الجزء الأول ٣٠٧ المجلد الثالث والثلاثون

مجلة المجمع العلمي العربي

دمشق

١ كانون الثاني سنة ١٩٥٨ م

٩ جمادى الآخرة سنة ١٣٧٧ هـ

مد

مجلة
المجمع العلمي العربي
دمشق

انشئت سنة ١٣٣٩ هـ الموافقة لسنة ١٩٢١ م

تصدر أربعة أجزاء في السنة

قيمة الاشتراك السنوي	في سورية ولبنان ١٠٠٠ قرش سوري
	وفي سائر الاقطار ١٢٠٠ قرش سوري

تدفع مقدماً

جمهرة الإسلام ذات النثر والنظام

تأليف أمين الدين أبي الغنائم مسلم بن محمود الشيزري

صاحب هذا الكتاب من المؤلفين الأدباء عاش في أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع في دولة الأيوبيين ، واتصل بأحد ملوكهم الملك المسعود صاحب اليمن .

والمؤلف هو أمين الدين أبو الغنائم مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري ، ذكره ابن خلكان (في ترجمة طغتكين بن أيوب ١ / ٢٩٨) فقال : « كان أديباً شاعراً وكان موجوداً سنة ٦١٧ وتوفي في هذه السنة أو بعدها ، وكان أبوه أبو الثناء محمود نحوياً متصدراً بجامع دمشق لإقراء النحو وذكره الحافظ ابن عساكر في تاريخه الكبير ، والعماد الكاتب في كتاب الخريدة وقال توفي بعد سنة ٥٦٥ وكان جده أرسلان مملوك ابن منقذ صاحب شيزر » والصحيح أنه عاش الى ما بعد سنة ٦٢٢ يدل على ذلك أرجوزة له في التاريخ ذكر فيها حوادث العالم من خلق آدم الى سنة ٦٢٢ والأرجوزة موجودة في جمهرة الإسلام .

وقد ورد في مقدمة الكتاب أنه ألفه لخزانة صاحب اليمن الملك المسعود صلاح الدين يوسف بن الملك الكامل محمد بن الملك العادل سيف الدين أبي بكر بن أيوب المتوفى سنة ٦٢٦ .

وكأن المؤلف صار من خاصة الملك المسعود فلقد ترك دمشق وسكن اليمن وأكثر من مدح الملك المسعود ، وقصائده في هذا الشأن مع قصائد ابنه أحمد موجودة في الجمهرة .

وكتاب الجمهرة في جزءين عدد صفحاته ٥٢٦ صفحة في كل صفحة ٢٩ سطراً ، وقد جعله ستة عشر كتاباً تشتمل على مختارات من النظم والنثر ، وفي كل كتاب عشرة أبواب خمسة منها للنظم وخمسة للنثر ، فالجميع مائة وستون باباً نصفها نظم ونصفها نثر . وفي آخر كل كتاب قصيدة للمؤلف وأخرى لابنه أحمد في مدح الملك المسعود . ولم يختر في هذه المجموعة الضخمة شيئاً من شعر الجاهليين ولا من نثرهم ولذلك سماها جمهرة الإسلام .

من هذا الكتاب نسخة مصورة في المجمع العلمي العربي عن نسخة مخطوطة في جامعة ليدن رقم ٤٨٠ تاريخ نسخها سنة ٦٩٧ . وفي هذه المجموعة نصوص من الأدب العالي شعراً ونثراً لا تكاد توجد تامةً في غيرها من المظان ؛ من ذلك قصيدة منصور النمري التي أولها :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جزعُ إذا ذكرت شباباً ليس يرتجعُ

وقصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي التي أولها :

فما أم سقبٍ أودعته قرارةً من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

وقد حققناها هذه القصيدة ونشرناها في هذه المجلة م ٣٢ ص ٥٦٣

والقصيدة الرصافية لعلي بن الجهم أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسرِ جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وقد حققناها ونشرناها مع تكملة ديوان علي بن الجهم .

ومن ذلك رسائل نادرة ليعقوب بن اسحق الكندي ، وابن قتيبة ، ومحمد بن زكريا الرازي ، وأبي العلاء المعري ، والشريف الرضي وغيرهم . وهاك بياناً بما اشتملت عليه هذه المجموعة من الكتب والأبواب :

الكتاب الأول في المدح ، الكتاب الثاني في الغزل ، الكتاب الثالث في الافتخار ، الكتاب الرابع في الرثاء ، الكتاب الخامس في الهجاء ، الكتاب السادس في الزهد ، الكتاب السابع في العتاب ، الكتاب الثامن في المجون ،

الكتاب التاسع في الأراجيز ، الكتاب العاشر في الشكوى ، الكتاب الحادي عشر في التهاني ، الكتاب الثاني عشر في المثالث ، الكتاب الثالث عشر في الأوصاف ، الكتاب الرابع عشر في الاعتذار ، الكتاب الخامس عشر في المخمس والموشح ، الكتاب السادس عشر في الجواب والخطاب .

الكتاب الأول في المدح عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة الأعشى ميمون في مدح النبي عليه السلام وأولها :

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وبت كما بات السليم مسهدا

الباب الثاني : أخبار نبوية وبشائر لمن اسمه أحمد أو محمد أو عبد الله .

الباب الثالث : قصيدة الأخطل في عبد الملك بن مروان وأولها :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا وأزعجتهم نوًى في صرفها غِيَرُ

الباب الرابع : رسالة للقاضي الفاضل في أخذ أسطول الأفرنج بأسطول الملك العادل سنة ٥٨٨ هـ .

الباب الخامس : قصيدة الحصكفي في أهل البيت وأولها :

أقوتْ مغانيهم فأقوى الجَلَدُ ربعانِ كلٌّ بعد سكنى فدفدُ

الباب السادس : عبد الله بن عباس يصف الخلفاء الراشدين وأباه العباس في مجلس معاوية على سبيل الإجابة .

الباب السابع : قصيدة ابن قيس الرقيات في مصعب بن الزبير وأولها :

أقفرتْ بعد عبد شمسٍ كَدَاءُ فكُدَيٌّ فالركنُ فالبطحاءُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في فتح القدس .

الباب التاسع : قصيدة منصور النمري في هرون الرشيد وأولها :

ما تنقضي حسرةٌ مني ولا جَزَعُ إذا ذكرتُ شباباً ليس يرتجعُ

وهذه القصيدة على طولها من أجود الشعر ، ولم أجدها كاملةً إلاّ في هذه المجموعة .

الباب العاشر : أبيات لصاحب المجموعة في الملك الكامل تقرأ على عدة وجوه ·

الكتاب الثاني في الغزل عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة عمر بن أبي ربيعة المخزومي التي أولها :

أمن آل نعمٍ أنت غادٍ مبكِّرُ غداة غـدٍ أم رائحٌ فمهجِّرُ

الباب الثاني : خبر الفتى العذري وعمر بن أبي ربيعة المخزومي ·

الباب الثالث : قصيدة العكوك الكندي التي أولها :

هل بالطلولـــ لسائلٍ رَدُّ أم لهـا بتكلمٍ عهـدُ

الباب الرابع : يوم في دير مران لأبي الفرج الببغاء ·

الباب الخامس : قصيدة لذي الرمة في صاحبته مي وأولها :

ألا أيهـذا المنزل الدارس أسلمِ وأسقيتَ صوب الباكر المتغيمِ

وتلي هذه القصيدة قصيدة أخرى له أولها :

أللربع ظلّتْ عينك الماءَ تهملُ رشاشاً كما استن الجمان المفصَّلُ

الباب السادس : حديث ومنى بنت أبي سلمة المهلبية والفتى القرشي ·

الباب السابع : قصيدة مسلم بن الوليد الأنصاري (صريع الغواني) التي أولها :

وساحرة العينين لا تعرف السحرا تواصلني سراً وتقتلني جهـرا

الباب الثامن : في أخبار مسلم بن الوليد مع هرون الرشيد في هذا الغزل ·

الباب التاسع : قصيدة لديك الجن عبد السلام بن رغبان الحمصي أولها :

سهام لحاظٍ من قسي الحواجبِ نظمن الأسى في القلب من كل جانبِ

الباب العاشر : في ذكر القاضي يحيى بن أكثم ·

الكتاب الثالث في الافتخار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة في الفخر للملك المعز اسمعيل بن الملك العزيز سيف الإسلام طغتكين الأيوبي صاحب اليمن وفيها يدعي أن بني أيوب أمويون والقصيدة طويلة يذكر فيها مناقب بني أيوب وبني أمية ·

الباب الثاني : في كسر أسطول الروم على الاسكندرية ·
الباب الثالث : في الافتخار بالحرمين ·
الباب الرابع : فصول لابن أبي الشخباء [1] ·
الباب الخامس : قصيدة أبي فراس الحمداني التي أولها :

أراك عصي الدمع شيمتك الصبرُ　　أما للهوى نهيٌ عليك ولا أمرُ

الباب السادس : رسالة بفتح طبرية ·
الباب السابع : قصيدة لعلوي البصرة صاحب الزنج أولها :

رأيت المقام على الاقتصادِ　　قنوعاً به ذلةً في العبادِ

الباب الثامن : حديث علوي البصرة ·
الباب التاسع : قصيدتان لمحمود بن نعمة الشيزري والد صاحب المجموعة ·
الباب العاشر : سجل عن الملك العادل بولاية قوص وأسوان ·

الكتاب الرابع في الرثاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة دعبل الخزاعي في رثاء آل البيت وأولها :

مدارس آياتٍ خلتْ من تلاوةٍ　　ومنزلُ وحيٍ مقفر العرصاتِ

الباب الثاني : جواب تعزية بأسد الدين شيركوه ·
الباب الثالث : قصيدة لابن الرومي يرثي فيها قتلى أهل البصرة في ثورة علوي البصرة صاحب الزنج أولها :

ذاد عن مقلتي لذيذ المنامِ　　شغلها عنه بالدموع السجامِ

الباب الرابع : رسالة الشريف الرضي الى أبي القاسم سليمان بن أحمد ·
الباب الخامس : قصيدة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي في رثاء أخيه سعيد وأولها :

(١) المذكور في كتب التراجم ابن الشخباء وهو الحسن بن عبد الصمد بن الشخباء ويقال له الشيخ المجيد ، منشيء له خطب ورسائل جيدة وله نظم . أصله من عسقلان وتوفي بالقاهرة سنة ٤٨٢ (الأعلام للزركلي) ·

فما أم سقبٍ أودعتــه قرارةً من الأرض وانساحت لترعى وتهجعا

الباب السادس : رسالة لأبي اسحق الصابي يعزي أبا الفتح بن العميد عن أبيه أبي الفضل .

الباب السابع : قصيدة الشريف الرضي في رثاء أبي اسحق الصابي وأولها :

أعلمتَ من حملوا على الأعوادِ أرأيتَ كيف خبا ضياء النادي

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء في ولد كافي الكفاة وقد مات غريقاً .

الباب التاسع : قصيدة الرقاشي في رثاء البرامكة وأولها :

لا يفرحنْ بعيشة متنعمُ كل السرور بأهله يتصــرمُ

الباب العاشر : جواب تعزية بولد شمس الدولة توران شاه بن أيوب .

الكتاب الخامس في الهجاء عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لجرير يهجو الفرزدق أولها :

لا خير في مستعجلات الملاومِ ولا في خليلٍ وصله غير دائمِ

الباب الثاني : سجل القاضي الفاضل إلى هاشم بن محمد اللواتي .

الباب الثالث : قصيدة للفرزدق يهجو بني جعفر أولها :

عرفت بأعلى رائس الفأو بعدما مضتْ ضنةٌ أيامها وشهورُها

الباب الرابع : رسالة لابن أبي الشخباء في بعض الكتاب .

الباب الخامس : قصيدة لابن حجاج في رجل كبست زوجته مع ابنه أولها :

أوضح الحق منهج البرهانِ ومحا السر شائع الإعلانِ

الباب السادس : فصول لشمس المعالي قابوس بن وشمكير .

الباب السابع : قصيدة في الهجاء لابن واسانة أولها :

ويلك يا وجــه الخشبْ يا جــرذاً بــلا ذَنَبْ

الباب الثامن : رسالة لابن أبي الشخباء .

الباب التاسع : قصيدة لابن منير الطرابلسي كتبها الى الرئيس عفيف الدين المستوفي بحلب وهو مريض في حماة وقد اتصل به أنه نهي بحلب ودخلت الحشرية داره وأثبتوا ما فيها وختموا عليها ، ويعرّض ببعض اليهود أولها :

يا عفيف الدين الذي بدء صر ف ّ به أستكفُ صرف الزمانِ

الباب العاشر : رسالة علي بن وشاح في ذم محمد بن جعفر الجهري .

الكتاب السادس : في الزهد عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدتان في الزهد لمحمد بن عبد الله بن سنان الخفاجي مطلع الأولى :

أستغفر الله من تركي وإخلالي وهفوةٍ خطرتْ مني على بالي

ومطلع الثانية :

استغفر الله العظيم وعُذْ بهِ من شر غاوٍ في الخصام منافسِ

الباب الثاني : خطبة واصل بن عطاء في مجلس عمر بن عبد العزيز وقد تجنب فيها حرف الراء .

الباب الثالث : قصيدتان لأبي العتاهية مطلع الأولى :

لله عاقبة الأمورِ طوبى لمعتبر ذكورِ

ومطلع الثانية :

خليليّ إن الهمّ قد يتفرجُ ومن كان يبغي الحق فالحق أبلجُ

الباب الرابع : خطبة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه وأولها :

الحمد لله فاطر الخلق وفالق الإصباح .

الباب الخامس : قصيدة لعلي بن هشام أولها :

بينا الفتى في الأرض فوق الثرى أصبح في الملحود تحت الثرى

الباب السادس : منام حمزة بن حبيب الزيات .

الباب السابع : قصيدة لأبي جعفر النجار أولها :

شبابٌ كلامع برقٍ رَحَلْ وشيب كمثل غريمٍ نَزَلْ

الباب الثامن : الخطبة الرملية للمؤلف .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن ابراهيم الكيراني في الزهد أولها :

شكر الإله مزيدةٌ لك فاشكرِ وانظر إلى ألطافه وتدبَّرِ

الباب العاشر : حديث الباجي في الزهد .

الكتاب السابع في العتاب عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لأبي العلاء المعري يعاتب خاله علي بن محمد بن سبيكة أولها :

تفديك النفوس ولا تفادا فأدنِ الوصل أو أطل البعادا

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء في العتاب .

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي أولها :

أروم الوفاء الصعب بالمطلب السهلِ وأرتاد جود الحب في منبت البخل

الباب الرابع : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير يعاتب خاله .

الباب الخامس : قصيدة لأبي الطيب المتنبي أولها :

حتامَ نحن نساري النجم في الظلمِ وما سراه على خفٍّ ولا قَدَمِ

الباب السادس : رسالة للصابي يعاتب علي ابن الأنباري .

الباب السابع : قصيدة لأبي بكر محمد (بن عيسى) المعروف بابن اللبانة (الأندلسي) في العتاب أولها :

ضحك الربيع بحيث تبكي الأربعُ لما بكى للغيث فيها مدمعُ

الباب الثامن : رسالة للقاضي الفاضل في العتاب .

الباب التاسع : قصيدتان في العتاب للحسين بن علي بن محمد القمي .

الباب العاشر : رسالة للصابي يعاتب الخالديّين .

الكتاب الثامن في المجون والدعابة عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر ·

الباب الأول : قصيدة للصنوبري أولها :

شربنا في بعاذين[1] على تلك الميادين

الباب الثاني : رسالة تهنئة بمولود لقابوس بن وشمكير على سبيل المجون ·

الباب الثالث : قصيدة في المجون لمحمد بن المجلي بن الصائغ الطبيب يذكر فيها أحوال الشبيبة والشيخوخة أولها :

ألمّ المشيب فأجلى أماما وأضحت حبال هواها رماما

الباب الرابع : رسالة في المجون والدعابة للقاضي الفاضل ·

الباب الخامس : أرجوزة في المجون لأبي محمد الحسن بن وكيع التنيسي أولها :

يا سائلي عن أطيب الدهور وقعتَ في ذاك على الخبير

الباب السادس : حديث القدور وشهادة الحمير وأخبار حسان :

الباب السابع : مقصورة أبي الحكم الحكيم التي قالها في جماعة من شعراء دمشق أولها :

هاج الهوى يوم النوى جمر الجوى فالقلب موقوف على جمر الغضا

الباب الثامن : علي بن الجنيد الإسكافي وما جرى له مع المعتصم ·

الباب التاسع : قصيدتان في المجون لأبي الرقعمق مطلع الأولى :

عاذلَ كم فيه تعذلني وكم إلى كم تؤنبني

ومطلع الثانية :

عَدِّ عن قال وقيل وصعود ونزول

الباب العاشر : رسالة كتبها العتبي إلى صديق له قامر بكتبه وكان لها خطر فقمر ·

(١) بعاذين قرية من قرى حلب ·

الكتاب التاسع في الأراجيز عشرة أبواب .

الباب الأول : أرجوزة في نظائر[1] القرآن لأبي جعفر بن أحمد السراج القارئ أولها :

الحمد لله على ما ألهما من حمده فما يزال منعما

الباب الثاني : رسالة الخط والقلم لابن قتيبة .

الباب الثالث : أرجوزة في الفرائض .

الباب الرابع : رسالة أفلاطون في وصف النساء ترجمة محمد بن زكريا الرازي .

الباب الخامس : أرجوزة للمؤلف في التاريخ من آدم إلى زمان الخليفة الناصر سنة ٦٢٢ أولها :

الحمد لله القديم الأولِ بلا ابتداء والأخير الأزلي

الباب السادس : رسالة يعقوب بن اسحق الكندي الى بعض الخلفاء في جواهر السيوف .

الباب السابع : ملحة الرئيس أبي محمد القاسم بن علي بن محمد الحريري في النحو أولها :

أقول من بعد افتتاح القولِ بحمد ذي الطول الشديد الحولِ

الباب الثامن : في منافع الخواص من تصانيف الحكماء وأقوال العلماء وهي في خواص الحيوان والأشجار والأحجار والصموغ والعزائم .

الباب التاسع : أرجوزة عبد الله بن رؤبة المعروف بالعجّاج أولها :

قد جبر الدينَ الإلهُ فَجَبَرْ وعوّر الرحمنُ مَنْ وَلَّى العَوَرْ

الباب العاشر : كتاب الباه ومنافعه ومضاره ومداواته لمحمد بن زكريا الرازي .

الكتاب العاشر في الشكوى عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة كتبها من الحبس عبد الملك بن إدريس الأندلسي الى ولده أولها :

(١) المراد بنظائر القرآن السور المتفقة في عدد الآيات .

ألوى بعزم تجلدي وتصبري نأي الأحبة واعتياد تذكري

الباب الثاني : رسالة للقاضي الفاضل بعث بها إلى الديوان الإمامي الناصري .

الباب الثالث : قصيدة للسري الرفّاء كتبها الى أبي اسحق الصابي يشكو سرقة الخالديّين لشعره ويذكر إغارتهما عليه ويحذره منهما أولها :

قد أظلتك يا أبا إسحاقِ غارة الشعر والمعاني الدقاقِ

الباب الرابع : رسالة لنشوان (الحميري) يشكو ضياع دفاتره .

الباب الخامس : قصيدة للسلمي يشكو حاله وسقطةً في سكره أولها :

محاسن غضت ناظري من تعتّبا وفضلٌ نهاني وصفه أن أشببا

الباب السادس : رسالة القاضي الفاضل إلى سيف الإسلام .

الباب السابع : قصيدة لأبي اسحق الصابي يشكو زمانةً لحقته وزمانه وعجزه وضعفه وحاجته إلى الجلوس في محفة إذا أراد التصرف في حوائجه أولها :

إذا ما تعدتْ بي وسارت محفةٌ لها أرجلٌ يسعى بها رجلانِ

الباب الثامن : خطبة علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند مسيره إلى الشام أولها : أيها الناس إن الله فرض الجهاد وعظّمه ....

الباب التاسع : قصيدة لعمارة اليمني في الشكوى كتبها الى صلاح الدين الأيوبي أولها :

أيا أذن الأيام إن قلتُ فاسمعي لنفثة مصدورٍ وأنة موجعِ

الباب العاشر : حديث مزنة امرأة مروان بن محمد مع الخيزران أم موسى الهادي وهرون الرشيد .

الكتاب الحاي عشر : في التهاني عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لمحمد بن سلطان بن حيوس يمدح ناصر الدولة ويهنيه بمولود أولها :

سل عن فضائلك الزمان ليخبرا فنظير ملكك ما رآه ولا يرى

الباب الثاني : رسالة القاضي الفاضل الى الإمام المستضيء يهنيه بفتح مصر .

الباب الثالث : قصيدة لأحمد بن محمد الخياط الدمشقي يمدح فخر الملك بن عمار ويهنيه بالعيد أولها :

أعطى الشباب من الآراب ما طلبا وراح يختال في ثوبي هوى وصبا

الباب الرابع : رسالة ابن أبي الشخباء الى أمير الجيوش يهنيه بكسر أطرر بن أوق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي علي ابرون بن مهرد ؟ العاني يمدح مؤيد السلطان بن مكرم ويهنيه بظفره على عدوه بالمهرجان سنة ٤٠٢ أولها :

حسامك ماضٍ والملوك تجانبه وجدك عالٍ والسعود تناسبه

الباب السادس : رسالة الشريف الرضي الى الوزير سابور بن أزدشير يهنيه بعودة الوزارة إليه .

الباب السابع : قصيدة لأبي القاسم محمد بن هانئ (الأندلسي) المعروف بابن المغربي يمدح بها جعفر بن علي ويهنيه بأخذ قلعة كتامة أولها :

بلى هـذه تياء والأبلق الفردُ فسل أجأت الأُسد ما فعل الأُسدُ

الباب الثامن : رسالة للصاحب بن عبّاد .

الباب التاسع : قصيدة لابن أبي الشخباء .

الباب العاشر : خبر عمرو بن مسعدة وحائك الكلام .

الكتاب الثاني عشر في المثلث عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

(والمراد بالمثلث هنـا القصيدة أو الرسالة المشتملة على ثلاثة أغراض)

الباب الأول : قصيدة للبعيث يتغزل فيها ويفتخر ويهجو أولها :

أهاج عليك الشوقَ أطلالُ دمنةٍ بناصفة الجوين أو جانب الهجلِ

الباب الثاني: رسالة للقاضي الفاضل كتبها عن صلاح الدين الى الخليفة المستضيء.

الباب الثالث : قصيدة علي بن الجهم يمدح المتوكل أولها :

عيون المها بين الرصافة والجسر جلبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

الباب الرابع : في ذكر أبي الفضل أحمد بن الحسين الهمذاني (بديع الزمان) وفصول من رسائله .

الباب الخامس : قصيدة لبكر بن النطاح يتغزل ويفتخر ويمدح بها أبا دلف العجلي أولها :

وليلة جمعٍ لم أيت ناسياً لهـا وحين أفاض الناس من عرفاتِ

الباب السادس : خطبتان لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه .

الباب السابع : قصيدة للشماخ واسمه معقل بن ضرار أولها :

عفا بطن قوٍّ من سليمى فعالزُ فذات الغضى فالمشرفات النواشزُ

الباب الثامن : رسائل لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة لعلي بن جبلة (العكوّك) يمدح أبا دلف أولها :

ذاد وِردَ الغيِّ عن صدَره وارعوى واللهو من وطره

الباب العاشر : رسالة لأبي سهل الطوسي في ذكر الأمير أبي الفضل عبد الله ابن أحمد الميكالي وإيراد محاسن من نظمه ونثره .

الكتاب الثالث عشر في الأوصاف عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة أبي نواس الحسن بن هانئ يمدح الخصيب بن عبد الحميد ويصف الطريق أولها :

أجارة بيتينـا أبوك غيورُ وميسور ما يرجى لديك عسيرُ

الباب الثاني : رسالة لشمس المعالي قابوس بن وشمكير كتبهـا الى بعض الكتاب وكان قد أهدى إليه دواةً جعل داخلها قلماً وسكيناً ومقطّاً .

الباب الثالث : قصيدة لخلف بن حبان المازني في وصف الفرس أولها :

نأتْ دارُ سلمى فشط المزار فعيناك ما تطعمان الكرى

الباب الرابع : ولاية الحجاج على العراق .

الباب الخامس : قصيدة لأبي طالب المأموني يصف داراً بناها بعض الوزراء أولها :

قد وجدنا خطى الكلام فساحا وجعلنا النسيب منك امتداحا

الباب السادس : وصف الأسد لأبي زبيد الطائي .

الباب السابع : قصيدة لحيص بيص في الأوصاف منها هذا البيت في إصابة المرمى :

كأن مرماه مغناطيس أنصله ففيه قبل انتحاء القصد تسديدُ

الباب الثامن : في وصف العشق .

الباب التاسع : قصيدة في وصف الأسد للبحتري أولها :

أجدك ما ينفك يسري لزينبا خيال إذا آب الظلام تأوّبا

الباب العاشر : رسالة للقاضي الفاضل في الأوصاف .

الكتاب الرابع عشر في الاعتذار عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لأبي تمام الطائي يمدح بها أبا المغيث ابراهيم أمير دمشق ويعتذر إليه من هجو بلغه عنه أولها :

شهدتُ لقد أقوتْ مغانيكمُ بعدي ومحّتْ كما محّتْ وشائع من بُرْدِ

الباب الثاني : رسالة شمس المعالي قابوس بن وشمكير الى الشريف حمزة ابن قاسم العلوي يعتذر عن كسرةٍ كُسِرَها في بعض بلاد العجم .

الباب الثالث : قصيدة لصردر يعتذر عن تأخر الزيارة .

قد آن للماطل أن يقتضى وأن يعافي الحب من أمرضا

الباب الرابع : أبو العلاء المعري يعتذر الى أبي نصر الفلاحي أيام وزارته بحلب لما استدعاه صاحبها عزيز الدولة ليجعل له دار علم .

الباب الخامس : قصيدة في الاعتذار لسعيد أحد الخالديَّين أولها :

نيــل المطالب بالهندية البترِ لا بالأمانيّ والتأميــل والقدرِ

الباب السادس : رسالة لابن أبي الشخباء يعتذر إلى وزير بلغه أنه هجاه .

الباب السابع : قصيدة لأسامة بن مرشد يعتذر إلى ابن عمه صاحب قلعة شيزر عن قول بلغه عنه أولها :

أطاع ما قاله الواشي وما عرفا فعاد ينكر منا كل ما عرفا

الباب الثامن : رسالة القاضي الفاضل الى عبد المؤمن صاحب المغرب .

الباب التاسع : قصيدة لمحمد بن نصر القيسراني يمدح الوزير جمال الدين أبا الرضا محمد بن صدقة ويعتذر إليه أولها :

لو كان سرك للوشاة معرّضا لم أغض من دمعي على جمر الغضا

الباب العاشر : رسالة من الملك بهاء الدولة بن بويه إلى الشريف الرضي .

الكتاب الخامس عشر في المخمسات عشرة أبواب خمسة نظم وخمسة نثر .

الباب الأول : قصيدة لابن الهبارية أولها :

حيَّ على خير العملْ على الغزالـــ والغَزَلْ
على العــذار والكفلْ على العناق والقُبَلْ
على رياض قطــربلْ

فإنهــا جنانُ ما مثلهــا مكانُ
الروحُ والريحانُ والحور والولدانُ
والوقت فيهــا معتدلْ

الباب الثاني : رسالة لابن أبي الشخباء مبنية على حروف غير معجمة .

الباب الثالث : قصيدة لمهيار الديلمي خمّسها مؤيد الدولة (أسامة) بن منقذ أولها :

أسائقهــا للبين وهي عجولُ تأنّ فما هذا المسير قفولُ

الباب الرابع : رسالة لأبي اسحق الصابي بتحويل ميلاد عضد الدولة .

الباب الخامس : موشح لتاج الدين عثمان البلطي أوله :

وبلاه من روّاغ بجوره يقضي

الباب السادس : رسالة للقاضي الفاضل بولاية الشرقية عن الملك العادل .

الباب السابع : تخميس قصيدة قيس بن ذريح التي أولها :

سقى طلل الدار التي أنتم بها حناتم وبلٍ صيّفٍ وربيعِ

الباب الثامن : فصول لأبي العلاء المعري .

الباب التاسع : قصيدة مخمسة على حروف المعجم لمحمد بن ابراهيم الكيزاني أولها :

عزّ الدواء وألحّ الداء أما لأحكام الهوى انتهاء

أصبحت فيما حكم القضاء قضيتي قضيةٌ عمياء

يا رب غفرانْ.

الباب العاشر : فصول للشريف الرضي .

الكتاب السادس عشر في الخطاب والجواب عشرة أبواب خمسة نظم في كل باب منها قصيدتان وخمسة نثر في كل باب منها رسالتان .

الباب الأول : قصيدة لأحمد بن عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي بعث بها الى الصاحب بن عباد يشكو إليه علو السن والنقرس أولها :

إلى الله أشكو ضنىً شفني وكم قبله من ضنى قد شفاني

فكتب إليه الصاحب مجيباً بقصيدة أولها :

عناني من الهم ما قد عناني فأعطيت صرف الليالي عناني

الباب الثاني : رسالة للشريف الرضي بعث بها إلى أبي القاسم عبد العزيز بن يوسف وجوابها :

الباب الثالث : قصيدة لابن الهبارية كتبها الى الرئيس البارع أبي عبد الله ابن الدباس أولها :

يابن ودي وأين مني ابن ودي   أخلقتْ ظرفه الرياسة بعدي

فأجابه البارع بقصيدة أولها :

وصلتْ رقعــة الشريف أبي يعـــــلى فقامت مقام اقياه عندي

الباب الرابع : رسالة للصابي كتبها عن الوزير محمد بن بقية إلى القاضي أبي بكر ابن قريعة يعزيه عن ثور نفق فأظهر عليه الجزع وجلس للعزاء على سبيل الهزء ، وجواب القاضي ابن قريعة :

الباب الخامس : قصيدة لأبي أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي كتبها إلى القاضي التنوخي أولها :

شوقي إلى القاضي المنيف بمجدهِ   شوق يفوت الوصف أيسر حدهِ

فأجابه القاضي التنوخي بقصيدة أولها :

نفسي فداؤك والورى من بعدهِ   جردت سيف صبابتي من غمدهِ

الباب السادس : رسالة كتبها قابوس بن وشمكير الى الصاحب بن عباد وجواب الصاحب .

الباب السابع : قصيدة كتبها أبو القاسم بن الطحان إلى أبي عبد الله محمد ابن ابراهيم الكيزاني أولها :

أيها العالم الذي فاق في العلـــــم على زعمه شيوخ الزمانِ

فأجاب الكيزاني بقصيدة أولها :

مَن عذيري من الغويّ الماني   منكر الحق جاحد الفرقانِ

الباب الثامن : رسالة للصابي كتبها إلى الوزير أبي محمد الحسن بن محمد المهلبي وقد توجه إلى عمان وجوابها .

الباب التاسع : قصيدة كتبها أبو أحمد عبد الرحمن بن الفضل الشيرازي الى الصاحب بن عباد أولها :

إذا الغيوم ارجحنّ باشقها وحفّ أرجاءها بوارقها

فأجابه الصاحب بقصيدة أولها :

بدت عذارى مدت سرادقها وأقسم الحسن لا يفارقها

الباب العاشر : خطاب من داعي الدعاة أبي نصر هبة الله إلى أبي العلاء المعري وجوابه .

* * *

وقد ورد في آخر الجزء الثاني ما نسخته :

«تم كتاب جمهرة الإسلام
ذات النثر والنظام بحمد الله وعونه
تأليف مسلم بن محمود بن نعمة بن أرسلان الشيزري
وكان الفراغ من نسخه في نهار السبت الثالث والعشرين من شوال
من شهور سنة سبع وتسعين وستمائة للهجرة الطاهرة النبوية
على صاحبها أفضل الصلاة والسلام
وصلى الله على رسوله سيدنا محمد النبي وعلى آله وصحبه وسلم»

* * *

والكتاب على حسن خطه فيه كثير من التصحيف والغلط يحتاج تحقيق نصوصه الى جهد ودقة وروية .

خليل مردم بك

مصطلحات الاجتماعيّات النباتية

كان في الدولة السورية ، في سنوات الانتداب الأخيرة ، مستشار في وزارة الزراعة اسمه دلبس Delbes انتقل بعد جلاء الفرنسيين عن ديار الشام الى إحدى مؤسسات الأمم المتحدة . وكان رحمه الله ذا اطلاع واسع على علم النبات ، وكان عنده مَعْشَبة أي مجموعة من النبات كبيرة جمعها من أقطار الشرق الأدنى ، ولا سيما من الشام .

وفي أحد الأيام زارني وأهدى اليّ رسالة بالفرنسية نُسخت على الآلة الكاتبة ، واشتملت على جملةٍ من مصطلحات علم الاجتماع النباتي معرفةٍ تعريفاً علمياً موجزاً ، ومرتبة على حروف المعجم . وقد أطلق عليها اسم : معجم صغير لأهم ألفاظ الاجتماعيات النباتية :

Vocabulaire des principaux termes
de Sociologie Végétale
« Phytosociologie »

ويغلب على ظني أن المشار اليه هو الذي ألف هذه الرسالة أو هذا المعجم الصغير لمؤسسة الأمم المتحدة التي كان يعمل فيها مستشاراً أو خبيرا .

وكنتُ أنعمتُ النظر في هذه الألفاظ وفي تعريفاتها ، ونقلتها الى العربية ، وضمّنت الطبعة الثانية من « معجم الألفاظ الزراعية » عدداً منها [1] . وقد رأت لجنة مجلة مجمعنا فائدة في نشرها كلها أو في نشر جلها في المجلة لكي يطلع عليها أساتيذ النبات في جامعات الأقطار العربية وفي مدارسها الزراعية العالية .

(١) ورد أيضاً ذكر لبعضها في مقالي الذي عنوانه « جلة من المصطلحات النباتية » والمنشور في المجلد السادس والعشرين (سنة ١٩٥١) من هذه المجلة .

ومن المعلوم أن الألفاظ العربية الموضوعة هي الراجحة في نظري ، ولكنها لا تُعتبر ألفاظاً قد استقر الرأي عليها نهائياً ، فربما أدى فرط التقصي الى أن نبدل ببعضها ما هو أصلح منه .

ولقد حاولت عدم التصرف في التعريفات إلا قليلا . ومن الواضح أن تعريف مثل هذه الألفاظ العلمية يختلف في الطول والقصر والتركيز والتمثيل . وقد جاءت التعريفات في هذه الرسالة مركزة ومقتضبه لأنها وُضعت لأساتذة النبات لا لجمهرة القراء :

Abondance وَفْرة . غَزَارة . — تقدير العدد النسبي لأفراد كل نوع نباتي بالنسبة الى جميع الأفراد التي تشتمل عليها مجموعة من النبات .

Acaule لاساقيّ . — نبات ليس له ساق ظاهرة ، أو له ساق صغيرة جداً حتى لكأن الأوراق قد وُلدت من الجذر .

« Plantes » Accessoires نباتات تابعة أو ثانوية . — النباتات التي لا يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الاطّراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

« Plantes » Accidentelles نباتات طارئة . — النباتات التي يقل مقدارها عن ٢٥ في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة . (من ألفاظ الاطّراد Constance . انظر هذه الكلمة) .

Alliance رابطة . — وَحدة عالية في الاجتماعيات النباتية ، وهي جملة المجموعات النباتية التي لها تركيب نباتي متماثل ، وفيها عدد من الأنواع النباتية المشتركة .

« Plantes » Anémophiles نباتات رِيحِيَّةُ التَّلْقِيح أو الإلقاح . — النباتات التي تنثر الريحُ حبوبَ لقاحها فتلقح البُيَيضة « البُذَيرة » في مدقة الزهرة .

Antarctique « Région » منطقة جنوبية . — منطقة نباتية تقع جنوبيّ الدرجة السادسة والأربعين .

Anthèse تَمام التزهير أو التنوير . — الوقت الذي تنمو وتتفتح فيه جميع أجزاء الزهرة .

Anthropophiles « Plantes » نباتات أَليفة الإنسان . — الأنواع النباتية التي أثر فيها الإنسان بنفسه أو بغيره . والنباتات أوالف الإنسان في منطقة مّا هي الأنواع التي نقلها الإنسان الى تلك المنطقة .

Aridité « indice d' » دليل القُحُولة . — صيغة تستعمل في الجغرافية النباتية لوضع الخرائط الإقليمية :

$$ق = \frac{م}{١٠ \times ح}$$

ق = قحولة

م = المطر المتوسط السنوي

ح = الحرارة المتوسطة اليومية

Association مَجْمُوعة . — جماعة من النبات لها مفهومٌ نباتي معين ، وهو أن تكون مؤلفة من نباتات معلومة وثابتة .

Basiphiles « Plantes » نباتات أليفة القواعد . — تسمى أيضاً عدوة الكلس Calcifuges فراجعها .

Biologique « Spectre » طَيْف أحْيائي أو بِيُولُوجي . — تمثيل بياني للنباتات وفقاً لتصنيفها البيولوجي ، وعلى حسب النسبة المئوية التي توجد في جماعة نباتية أو في منطقة معينة .

وفي تعبير « الطيف النباتي » الذي عرّفه رُنْكار Raunklaer سنة ١٩٠٥ تُصنف النباتات خمس فئات أساسية وهي : النباتات البارزة Phanérophytes ،

والنباتات اللاطئة Chaméphytes ، والنباتات نصف الخفية Hémicryptophytes، والنباتات الأرضية Géophytes ، والنباتات البزرية Thérophytes (راجع هذه الكلمات) .

Biotiques « Facteurs » عوامل حَيَوِيَّة أو أحيائية . — العوامل التي يتعرض لها النبات فتؤثر في حياته (كالتكافل ، والتطفل ، والتنازع بين الأنواع ، والتجمع في مجموعات) .

Calcicoles « Plantes » نباتات أليفة الكلس . نباتات كلسية . — النباتات التي تستطيع النمو في أتربة مقدار الكلس فيها كبير .

Calcifuges « Plantes » نباتات عدوة الكلس . نباتات لا كلسية . — النباتات التي لا تستطيع النمو إلا في أتربة كلسها قليل .

Caractéristiques « Plantes » نباتات مُتَمَيِّزة . صيغة تستعمل في تعيين نوع الألفة Fidélité «انظر هذه الكلمة» . والنباتات المتميزة ثلاثة أشكال : مانعة أو محصرة Exclusives ، ومُنْتَقِية Électives ، ومُرَجِّحة Préférantes «انظر الفرنسيات» .

Chamephytes « Plantes » نباتات لاطئة — . نباتات تكون براعمها الهوائية على أقل من ٢٥ سنتيمتراً فوق سطح الأرض .

Cheiroptérophiles « Plantes » نباتات خُفَّاشية التلقيح . — نباتات يزور الخفاش أزهارها فيسهل تلقيحها .

Chionophiles « Plantes » نباتات ثلجية . — نباتات تحمل البرد وتستطيع النمو تحت طبقة غليظة من الثلج .

Chorologie علم الكُوَر . كُوَرِيَّات . — شعبة من علم الاجتماع النباتي تشمل جميع المعلومات المتعلقة بالموقع الجغرافي للمتعضيات، وبتجمعات هذه المتعضيات[1] .

(١) الكُوَر جمع كورة العربية أو قل المعربة قديماً . والفرنسية من اليونانية بمعنى علم الكور أو الأقطار أو الأصقاع .

Climax قِمّة ، أَوْج ، — منتهى ما تبلغه المجموعات النباتية في تطورها المترقي ، وهو التجمع الإقليمي النهائي ،

وتُدْرَك القمة «أو الأوج» عندما تكون التربة والنباتات التي تغطيها قد بلغت حالة التوازن مع الإقليم ،

Compagnes « Plantes » نباتات مرافقة ، — درجة من درجات الألفة Fidélité فراجعها ،

Constance إطّراد ، — وجود أفراد من النبات ، وجوداً منتظماً ، في بيان مجموعة نباتية ، وفي صيغة الاطراد هذه تُصنَّف نباتات المجموعة ثلاثة أصناف : مُطَّرِدة Constantes ، وتابعة Accessoires ، وطارئة Accidentelles (انظر الكلمات الفرنسية) ،

Constantes « Plantes » نباتات مُطَّرِدة ، — النباتات التي لا يقل مقدارها عن خمسين في المائة في بيانات « كشوف » الاجتماع النباتي لمنطقة معينة (انظر Constance) ،

Cryptophytes « Plantes » نباتات خَفِيّة ، — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية في التراب ، وهي ثلاثة أشكال : نباتات أرضية Géophytes ، ونباتات مَنْقَعِيّة أي نباتات المناقع Hélophytes ، ونباتات مائية Hydrophytes ، (انظر الفرنسيات) ،

Dispersion تَبَدُّد ، تَبْدِيد ، — صيغة في علم الاجتماع النباتي تستعمل في بيان تَوَزُّع الأنواع النباتية ، ومن حيث الإحصاء يكون التبدد نظامياً أو قل كفائياً ، عندما يكون التوزع موافقاً لقوانين الاحتماليّات ؛ ويكون التبدد تحت الكفاء عندما يكون التوزع أكثر انتظاماً ، كما في الكروم وبساتين الفواكه ؛ ويكون التبدد فوق الكفاء في الحالة المخالفة ،

Dominance غَـلَبَة . تَغَلُّب . — تقدير المساحة التي تشغلها نباتات من نوع واحد بالنسبة الى المساحة التي تشغلها أفراد النباتات جميعا .

Écologie علم البِيئَة . بِيئِيَّات . — دراسة الحياة الاجتماعية للكائنات الحية ، وتحليل تجمعاتها التي حصلت بتأثير العوامل الطبيعية والإقليمية فيها ، وعلى حسب تطورات تلك الكائنات في العصور السالفة .

Ectodynamomorphes «Sols» تُرَب خارجية التكوُّن أو التَّشَكُّل . — الأتربة التي يكون تكوُّنها تابعاً على الأخص للإقليم وللنباتات المرتبطة به . وهي التُّرَب « الناضجة » التي تكون في مناطق النبات الإقليمية .

Édaphiques « Facteurs » عوامل تُرابِيَّة . — عوامل مؤثرة في كيان النباتات ، تُعزى الى طبيعة التربة والى المؤثرات الفيزياوية — الكيمياوية .

Électives « Plantes » نباتات مُنْتَقِية . — نباتات مُتَمَيِّزة Caractéristiques (انظر الفرنسية) تقيم خاصةً في جماعة نباتية معينة ، ولكنها تشاهَد أيضاً في جماعات أخرى .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité (راجع الفرنسية) .

Endémiques « Plantes » نباتات مُتَوَطِّنَة أو مُسْتَوْطِنَة . — نباتات أو مجموعات من النبات تنمو في منطقة معينة .

ويستعمل هذا الاصطلاح في تعيين منابت الأنواع النباتية .

Endodynamomorphes «Sols» تُرَب داخلية التكوُّن أو التَّشَكُّل . — الأتربة التي تتكون من تفتت الصخرة الأم خاصةً . فالصحاري ، والتُّرَب المتجمدة ، وترب الجبال العالية التي نباتاتها قليلة ، كلها تعد داخلية التشكل .

Entomophiles « Plantes » نباتات حَشَرِيَّة التلقيح . — النباتات التي يكون تلقيحها وقفاً على حشرات تحمل اللقاح الى مِيسَمات الزهر .

Epiphytes « Plantes » نباتات مُمَايِشة أو مُلازِمة . — النباتات التي تعيش على جذع الشجر وفروعه ، من دون أن يكون لها أعضاء خاصة تُنشِبها في أنساج الشجر الحية .

Étages de végétation طَبقات النبات . — مُسْتَطيلات أو نُطُق من النبات من انواع مختلفة ، كلما ارتقى المرء في الجبال يرى بعضها فوق بعض .

Étrangères « Plantes » نباتات غريبة . — أنواع من النبات لا تظهر إلا عفواً في جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النبات على حسب مدلول الأُلفة Fidélité فراجعها) .

Exclusives « Plantes » نباتات مانِعة أو مُنْحَصِرة . — الأنواع النباتية التي تكاد تنحصر علاقتها بجماعة من النبات معينة (من اصطلاحات تصنيف النباتات على حسب مدلول الأُلفة Fidélité فراجعها) .

والنباتات المنحصرة جزء من النباتات المتميزة Caractéristiques فراجعها .

Facies végétal هَيئة نباتية . — المنظر العام لنبات منطقة بعينها .

Fidélité أُلفة . — اصطلاح يستعمل لتصنيف الأنواع في بيانات « كشوف » الاجتماعيات النباتية .

ويجعلون الأُلفة على خمس درجات : (١) النباتات المُنْحَصِرة أو المانعة Plantes exclusives، (٢) والمُنْتَقية Électives، (٣) والمُرَجِّحة Préférantes، (ونباتات هذه الدرجات الثلاث تسمى المتميزة Caractéristiques)، (٤) واللامُبالِيَة Indifférentes، أو قل المرافقة Compagnes، (٥) والطارئة Accidentelles، أو قل الأجنبية Étrangères (انظر الفرنسيات) .

Fréquence تَواتُر . تَرَدُّد . — النسبة المئوية لنوع نباتي معين في بيانات الاجتماعيات النباتية .

Géophytes « Plantes » نباتات أرضية . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في الأرض .

Halophiles « Plantes » نباتات ملحية أو أوالف الملح . — الأنواع التي تعيش في أتربة كثيرة الملح أي كلورور الصوديوم . وتكثر منابت النباتات الملحية في شواطئ البحار والبحيرات المالحة وفي المناطق الصحراوية « نصف القاحلة » .

Halophytes نباتات ملحية . — اسم يطلق على أوالف الملح من النبات (وهي النباتات السابق ذكرها) .

Hékistothermes « Végétaux » نباتات الصرود . — أنواع من النبات تنبت في درجة من الحرارة تحت الصفر .

Héliophiles « Plantes » نباتات شمسية . — أنواع نباتية لا تبلغ تمام نموها إلا كانت أشعة الشمس تقع عليها .

Hélophytes « Plantes » نباتات المناقع . — نباتات خفية Cryptophytes (انظر هذه الكلمة) تكون أعضاؤها التناسلية في حمأ المناقع .

Hémicryptophytes « Plantes » نباتات نصف خفية . — نباتات عشبية تكون أعضاؤها التناسلية على سطح التربة أو تحت سطحها قليلاً ، وتكون تلك الأعضاء مصونة بحراشف أو بحطام من الورق .

Holarctique « Région » المنطقة الشمالية الكاملة . — أصقاع شمالية متصلة تمتد في العالم القديم والعالم الجديد ، فهي في أوربة ما يقع شمالي البحر الأبيض المتوسط ، وفي آسية ما يقع في سيبرية وفي الصين الشمالية ، وفي أميركة ما يقع في القسم الشمالي من الولايات المتحدة وفي كندة .

Hydrophytes «Plantes» نباتات مائية . — النباتات الخفية Cryptophytes (راجع هذه الكلمة) التي تكون أعضاؤها التناسلية في الماء .

Hygrophytes « Plantes » نباتات الرُّطوبة . نباتات البيئات الرطبة . — النباتات التي تكيفت للعيش في الأقاليم أو الأتربة الرطبة .

Indifférentes « Plantes » نباتات لا مبالية . — النباتات المرافقة Compagnes (راجعها) التي تنمو كثيراً أو قليلاً في جملة جماعات نباتية . ويُستعمل هذا الاصطلاح في تصنيف النبات على حسب مدلول الألفة أي Fidélité فراجعها .

Landes نبات البَرَاح . — النباتات التي تنمو في الأتربة الحامضة بعد إبادة الحراج ، أو في الأراضي الزراعية التي بُوِّرت لنفاد خصبها [1] .

Malacophiles « Plantes » رِخْوِيَّةُ التلقيح . — النباتات التي تقوم فيها بعمل التلقيح حيواناتٌ من الرِّخْوِيَّات المَعَدِيَّات الأرجل .

Maquis غَيْطَلَة [2] . — تطلق الفرنسية على الحَرَجة المنحطة في التربة الرملية ، حيث قام مقام أشجارها المتميزة ، كالبهش أي بلوط الفلين مثلاً ، أنواعٌ مختلفة من الجنبة تألفت منها أعياص Broussailles كثيراً ما تكون ملتفة .

Mégathermes « Végétaux » نباتات الجُرُوم . نباتات الحَرّ . — النباتات التي تحتاج دائماً الى حرارة تزيد على عشرين درجة مئوية .

Mésologie مِيزُولُوجية . — جزء من البيولوجية النباتية يبحث في العلاقات بين المتعضيات النباتية والبيئة التي تعيش فيها [3] .

Mésophytes « Plantes » نباتات الرطوبة المعتدلة . — نباتات لا تستطيع العيش إلا في أقاليم معتدلة لا كثيرة اليبوسة ، ولا كثيرة الرطوبة . وهي فئة من النبات لا يمكن في التصنيف جعلها في جملة نباتات البيئات الرطبة ، ولا في جملة نباتات الصحراء .

(١) تطلق الفرنسية على تلك الأشكال من الأرضين ، وعلى نباتاتها . والبراح اصطلاح من وضعي .
(٢) الغيطلة اصطلاح من وضعي .
(٣) كثيراً ما تستعمل الفرنسية مرادفة لعلم البيئة Écologie .

Mésothermes « Plantes » نباتات الحرارة المعتدلة . — نباتات تألف درجة حرارة متوسطة مقدارها ١٥ درجة مئوية .

Messicoles «Plantes ou Associations» نباتات أومجموعات زَرْعِيَّة . — نباتات أو مجموعات من النباتات الطارئة تنمو مع الزرع في الحقول (وتسمى أوالف الزرع) .

Microclimat إقليم صغير . — إقليم خاص ببقعة أو بمنطقة معينة . والإقليم الصغير عامل مؤثر في حياة النبات الذي ينمو تحت شجر الغابات . فالإقليم الصغير لحرجة من الصنوبر مثلاً غير الإقليم الصغير لحرجة من البلوط .

Microflore نباتات دقيقة . — النباتات المكروبية في التربة ، وهي البكتريات الهوائية واللاهوائية .

Microthermes « Végétaux » نباتات البَرْد أو القُرّ . — نباتات تنمو بدءاً من درجة الصفر المئوية .

Nitratophiles « Plantes » نباتات نِتْرَاتية أو أليفة النِّتْرات . — نباتات تعيش في الزبل المُتَتَرِّب وفي النفايات التي تكون غالباً على مقربة من البيوت . وهذه النباتات إذا أُحرقت يكون في رمادها مقدار كبير من أملاح البوطاس ، ولذا سُميت أليفة النترات .

Ordre رُتْبة . — وحدة عليا في الاجتماعيَّات النباتية . وهي جملة من الرابطات Alliances (انظر هذه الكلمة) تميزت بعدد من الأنواع النباتية المشتركة .

Ornithophiles « Plantes » نباتات طَيْرِيَّة التلقيح . — النباتات التي تزور الطير أزهارها فتسهل تلقيحها .

Orophytes « Plantes » نباتات القنان أو الضُّهُور أو الأعْلام . — النباتات التي تنبت على قنة الجبال الشاهقة أو في الأماكن الكبيرة الارتفاع .

Pédologie علم التراب . تُرابيَّات . — جزء من علم التربة Science du sol تُدرس فيه الأمور الآتية :

(١) التربة في مكانها : الآفاق المتتابعة للتربة ، وبنيتها ولونها وشكلها ونباتها .

(٢) التربة في نماذج : تركيب التربة الفيزياوي والكيمياوي والمعدني ، ونشوء التربة من الصخرة الأم (الأصلية) ، وتصنيفها النشوئي ، وما حصل فيها من تبدلات جعلت لها صفات خاصة بتأثير عوامل الجيولوجية وفيزياء الأرض ونظم الأمطار والحرارة .

Périodicité دَوْرِيَّة . — مدة تَمَثُّل الأنواع النباتية . وهذه المدة تمكننا من تقدير تزاحم الأنواع في دورة نباتية .

PH (ت ١٠ ·) أو PH . — رمز تفاعل التربة (القلوية — الحمضية) . ويرتكز هذا التفاعل على التوازن الذي يحصل بين كمية يونات[1] H ويونات OH . ويكون لكل مجموعة نباتية PH معين .

Phanérophytes « Plantes » نباتات بارِزة . — نباتات شجرية أو جَنْبِيَّة[2] تكون أعضاؤها النابتة (أي براعمها) في رؤوس نوامٍ تعلو أكثر من ٢٥ سنتيمتراً فوق الأرض .

Phénologie « Phénoménologie » علم الظواهر . ظاهِرِيَّات . — دراسة الظواهر البارزة في حياة أحد النباتات (تفتح البراعم ، الإيراق ، الإزهار ، نضج الثمر الخ) .

Photométrie végétale قياس الضوء النباتي . — دراسة شدة الضوء وقياسها وتأثيرها في نمو النباتات .

Phytogéographie جغرافية نباتية . — جغرافية النباتات ودراسة توزعها على سطح الكرة الأرضية .

Phytoplankton نباتات مَغْمُورة أو مُعَلَّقة . — جماع المتعضيات النباتية التي تعيش معلقةً في المياه الحلوة أو المالحة[3] « لا طافية ولا راسبة » .

(١) اليونة تعريب ion ويسميها بعضهم الشاردة .
(٢) نسبةً الى جَنْبَة أي Arbuste .
(٣) في الأصل : التي تعيش على سطح المياه الحلوة أو المالحة .

وتكون غالباً أشنة (Algues وتسمى الطحالب في مصر) خيطية أو مجهرية .

Phytosociologie علم الاجتماع النباتي . اجتماعيّات نباتية . — دراسة المجموعات النباتية (راجع هذا الاسم) . والقوانين التي تنظّم اجتماع الأنواع في مجموعات .

Planktoniques « Associations » مجموعات مُعَلَّقة . — مجموعات النباتات المنسوبة الى النباتات المعلقة أو المغمورة .

Pollinique « Analyse » تحليل لَقاحيّ . — طريقة تُعيَّن بها النسبة المئوية لحبات اللقاح ، في المستويَات المختلفة من المَخثّات (المَطْرَبات Tourbières) . وهذا التحليل اللقاحي يسهل الكشف عن تأريخ النبت في العصور الجيولوجية الغابرة .

Pozdol بُزْدُول . — (معربة) يطلق هذا الاسم على أتربة ضاربة الى بياض تقوم عليها حراج روسية الشمالية وسيبرية . والبزدولات أو قل التُّرَب الرمادية مختصة بالأحراج .

Préférantes « Plantes » نباتات مُرَجِّحة . — هي نباتات مُتَمَيِّزة Caractéristiques (انظر هذه الكلمة) تكثر كثرة كبيرة أو صغيرة في جملة مجتمعات نباتية ، ولكنها ترجح منها مجتمعاً معيناً أي جماعة معينة . (اصطلاح يستعمل في تصنيف النباتات على حسب مدلول الألفة Fidélité فراجعها) .

Profil جانِبيّة [1] . — طريقة تصوير نَهجي لمقطع من الأرض ؛ وهو يوضح وجود التوازي بين التبدلات التي تحصل في النباتات والتبدلات التي تحصل في العامل السائد .

Progressives « Séries » مُتَسلسلات مُترَقّية . — متسلسلاتُ مجموعاتٍ نباتية تسير في اتجاه القمة «أي الأوج Climax » .

(١) الجانبية عن مجمع اللغة العربية ج ٤ ، وكذلك النهج بمعنى Schéma .

Regressives « Séries » متسلسلات متدنيـة . — متسلسلات مجموعات نباتية تبتعد عن القمة .

Relevé Phytosociologique بيانُ الاجتماع النباتي . بيانٌ « أو كشفٌ » اجتماعيٌّ نباتي . — العمل الرامي الى بيان جميع الأنواع النباتية التي تعيش في مكان معين وفي مساحة معينة ، والى تصنيف تلك الأنواع على حسب خصائصها الاجتماعية (الحيوية والكثافة والتغلب والوفرة والتواتر والالفة والاطراد وقابلية الاجتماع « انظر هذه الكلمات ») .

Rudérales « Plantes » نباتات الدِّمَن . خَضْراء الدمن . — النباتات التي ترجح العيش في الدمن على مقربة من المساكن .

Saprophytes « Plantes » نباتات رِمِّيَّة . — النباتات التي تعيش على المتعضيات النباتية البالية ، وهي ترتبط بها بخيوط من الأمشاج الفطرية غالبا .

Savane سَوَانة [1] . — يطلق هذا الاسم على المروج البرية الواسعة التي تتاخم منطقة الأحراج الاستوائية .

Savart ساوار [2] . — أرضون لا تزرع تُتخذ مراعيَ . والنباتات المختصة بالساوارات تنبت غالبًا في أتربة كلسية .

Saxicoles « Plantes » نباتات صَخْرِيّة . نباتات الصخور . — النباتات التي تعيش على الصخور ، وتكاد تكون كلها من الأشنة والطحلب والحزاز .

Sciaphiles « Plantes » نباتات ظِلّيَّة . نباتات الظل . — النباتات التي تعيش في الظل أو في ضوء شمسي ضعيف .

Sclérophylles « Plantes » نباتات صُلْبة الوَرَق . — نباتات أوراقها غليظة قاسية . وهذه النباتات يكون لها ضغط تناضحي يكاد يكون ثابتا .

---

(١) اسم يطلق على تلك المروج في الأنتيل وغيانة ، وقد اقتبسته الفرنسية من الاسبانية وعربناه .

(٢) يطلق هذا الاسم في شمبانية من أعمال فرنسة على الأراضي الطباشيرية الفقيرة وقد عربناه .

Sociabilité قابلية الاجتماع . اجتماعيّة . — الشكل الذي تجمع فيه أفراد كل نوع نباتي . وتُصنّف النباتات خمسة أصناف بموجب مدلول قابلية الاجتماع وهي :

(١) النباتات المنفردة	Plantes isolées
(٢) النباتات المجمعة فِرَقا	〃 en groupes
(٣) 〃 〃 قِطَعا	〃 en troupes
(٤) 〃 〃 مستعمرات صغيرة	〃 en petites colonies
(٥) 〃 〃 عمارات	〃 en peuplements

Stade de végétation طَوْرُ النبات . — كل مرحلة متميزة من مراحل تعاقب المجموعات النباتية .

Steppe سهْب . — اسم يطلق على المروج الواسعة في روسية الجنوبية . وتكون النجيليات أهم نباتات السُّهوب .

Stratification تَطَبُّق . تَنَضُّد . — تصنيف بدائي للنباتات تُقسم فيه أقساما أربعة :

الطبقة الشَّجَرية	Strate arborescente
〃 الجَنْبِيَّة (١)	〃 arbustive
〃 العشبية	〃 herbacée
〃 الطحلبية « الحزازية في مصر »	〃 muscinale

Succession تَعاقُب . — تعبير يطلق على جميع التبدلات التي تنتهي الى حلول عمارة نباتية مكان عمارة أخرى في صقع معين .

Thérophytes « Plantes » نباتات بزريّة . — نباتات عشبية حولية تستأنف الحياة ببزورها .

(١) نسبةً الى الجَنْبة Arbuste .

Topographiques « Facteurs » عوامل طُبُغْرافيّة . — الشروط الطبغرافية التي تؤثر في حياة النباتات وفي توزيعها (ارتفاع الأرض وميلها ومعرضها ومياهها) .

Toundras تَنْدَرة . — (معربة) اسم يطلق على مروج في المنطقة القطبية يعيش نباتها في تراب يصاب بالصقيع في معظم أيام السنة .

Tropophiles « Forêts » أحراج المناطق المعتدلة . — يطلق هذا الاسم على أحراج تعيش في المناطق المعتدلة الحرارة ، وتتألف من أشجار أوراقها مُعْبِلة .

Tropophytes « Plantes » نباتات مُتَحَمِّلة . — أنواع نباتية تكيفت لتعيش في بيئة تتعاقب فيها فصول كثيرة اليبوسة وفصول كثيرة الرطوبة . وهي تعد من « نباتات الصحراء » ومن « نباتات الرطوبة » على السواء .

Vitalité . — لفظ يدل على درجة النمو والفضاضة التي تبلغها الأنواع المختلفة في مجموعة نباتية . فعندما تتوفر لأحد الأنواع أصلح شروط البيئة تبلغ وظائفه الحيوية أقصى نشاطها وتصبح دورته التطورية على أتمها .

Xérophytes « Plantes » نباتات صَحْراوِيّة . نباتات الصحراء . — النباتات التي ألفت الأقاليم اليابسة .

Xérothermiques « Associations » مجموعات صَحْراوِيّة حَرارِيّة . — جماعات نباتية تعيش في مناطق قاحلة كثيراً أو قليلاً ، شمسها تسطع في مدة تكاد تكون طويلة .

Zonation تَمَنْطُق[1] توزُّع مِنْطَقِي . — توزُّع النبات في مناطق بين القطبين وخط الاستواء . ويحصل هذا التوزُّع لاختلاف الحرارة على حسب خطوط العرض .

مصطفى الشهابي

(١) ليس للتمنطق هذا المعنى في كتب اللغة . ومن المفيد إقراره .

ضوء جديد على دانتي والإسلام [1]

أربع وثلاثون سنة قد انقضت منذ أن عُرِض، على الاكاديمية الاسبانية، كتاب تقدم به عند انتمائه للاكاديمية (Discorso de recepcion)، المستشرق المختص بالدراسات العربية المدعو «ميچويل آسين بلاسيوس»، وكان في شرخ شبابه آنذاك. ولا أزال أذكر الى الآن الأثر الذي تركته في نفس والدي قراءة الكتاب المذكور المسمى «فكرة المعراج الإسلامية في الكوميديا الإلهية»-Escatologia musulmana en la Divina Comedia- وهو أثر امتزج فيه الإعجاب بالدهشة، وكاد يبلغ حد الفزع بالرغم من أن والدي كان من أوائل الذين قاموا بنشر آراء آسين في إيطاليا؛ ذلك أن الطرافة والجرأة واتساع الأفق التي اتسم بها افتراض آسين، والنتائج التي توصل اليها، أحدثت وقعاً شديداً. ولا أزال أحمل في ذهني ذكريات غير مكتملة الوضوح عن الأصوات المتنافرة التي ارتفعت في نقد المستشرق الشاب، وفي نقد دانتي في جو الحماس المحموم الذي تميزت به احتفالات عام ١٩٢١ بمرور ستمائة سنة على وفاة دانتي، كما اني أحمل ذكريات مبهمة عن حماس المؤمنين بنظرية آسين، وخيبة الأمل المريرة التي مني بها مقدسو دانتي، والأصداء العميقة المتلازمة لكل من التأييد والاستنكار؛ هذه المشاعر جميعها أثارها كتاب آسين مما لم يسبق اليه أي سفر آخر طيلة مائة عام. ثم ما لبثت أن طغت في كل مكان أصوات المعارضين الذين لم يؤمنوا بنظرية آسين ممن اعتمدوا في ذلك على الحجة أو المنطق أو من الذين آمنوا في أول الأمر

(١) بحث للمستشرق الإيطالي «فرانسسكو غابريلي» ترجمه الأستاذ موسى الخوري.

ثم أخذ إيمانهم يضعف ويهن ، وكان في عدادهم والدي • وقد رد عليهم آسين في كتابه « تاريخ معضلة ونقدها» ـ Historia y critica de una polemica ـ ببراهين حية مقنعة ، وشيجة الاتصال بموضوع الجدل • ثم ما عتمت حدة الجدل أن خفت وانتهى الأمر ، كعادة الأمور في مثل هذه الحال ، بأن خلف النزاع وراءه عدداً من المسائل يحيط بها سوء التفاهم وعدم الوضوح •

إلا أن التحامل المبدئي على العالم « الإسلامي العربي » الغريب البعيد في لغته وتقاليده ومكانه وحضارته ظل قائماً لا يقهر • وكان آسين يعتقد اعتقاداً راسخاً أن معارضة آرائه ، ولا سيما من قبل الإيطاليين ـ وهذا أمر كان مطابقاً للحقيقة فعلاً ـ لم يكن الباعث الوحيد على التبلد الذهني ، أو الفزع من رأي مستجد ، أو التصلب الفكري أمام الحقيقة المرة يُكْشَفُ عنها لأول مرة ، وانما كان بالإضافة الى ذلك كله التعصب الثقافي القومي ، والانصراف التام الكلي للدفاع بأي ثمن عن مجد قومي امتدت اليه يد الانتقاص والتجريح بعد أن ظلت أصالته وعظمته لا يرقى اليها شك أو نقد حتى ذلك الحين • وقد بذل آسين عناية شديدة في نهاية كتابه ليؤكد بأن مجد دانتي الشعري لم تكن لتنتقص من قدره تلك الصلة الوشيجة المستمرة التي آمن هو أنه اكتشف وجودها بين الصورة التي قدمها دانتي عن العالم الآخر وبين فكرة المعراج وفلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، وأردف قائلاً ان اعتزاز الإيطاليين بالاصالة المطلقة لقصيدتهم المقدسة وما انتاب هذا الاعتزاز نتيجةً لنظريته إنما هو الذي أوحى برد الفعل الايطالي أكثر من أي دافع آخر سواه •

فاذا كان هناك والحالة هذه من يعتبر العصبية القومية الايطالية العقبة الأساسية التي حالت دون قبول افتراض آسين ، فعلى مثل هذا أن يدرك أن الفكرة الايطالية في فلسفة النقد والجمال ، هذه الفكرة التي ذاع صيتها في سائر أنحاء أوربة ، هي التي تأبى علينا ، نحن معاشر الايطاليين ، أن نقابل بالفتور مشكلة

لا تمت بصلة الى سمو فن دانتي وصفته الشعرية الفذة ، حتى لو كان دانتي مديناً لابن عربي بكل ما اعتقد آسين أنه مدين له به (وسنرى فيما بعد أن تنبؤات آسين قد ثبتت صحتها في اتجاه آخر) ، فلا ينبغي لنا نحن الإيطاليين من عشاق الشعر أن يخطر ببالنا قط أنه قد ينشأ عن هذا أي انتقاص ، مهما ضؤل ، لعظمة دانتي في الناحية التي وهبنا إياها على وجه ليس له بديل أو مثيل ، ألا وهي الناحية الشعرية . فدانتي الشاعر لا يرقى اليه لوم أو تجريح ، وقصيدته قد تقبل النقد إلا من وجهة النظر الفنية الجمالية ؛ والمستشرق الاسباني العظيم كان في مقدمة من أدركوا هذه الحقيقة البسيطة وأعلنوها . والواقع أن أخطر الانتقادات التي وُجهت الى كتاب آسين كانت تتصل بمناح أخرى غير هذه التي ما كانت لتعتبر وجهة نظر شرعية محققة ، وعلى هذا الأساس وحده نشأت أخطر الشكوك بصدد افتراضات المؤلف . فهل كان دانتي يعرف من اللغة العربيـة ما يؤهله للاطلاع على المواد التي استطاع آسين البحاثة العالم أن يبرزها للمقارنة بقصيدته ؟ وهل كان في الحقيقة أكثر اطلاعاً من عامة معاصريه على شؤون العالم العربي الإسلامي ؟ وكيف تيسر له الاطلاع على انتاج ابن عربي أو أبي العلاء المعري وكلاهما يتصف بالغموض والإبهام ؟ وأي دليل على أن مؤلفات هذين الكاتبين أو أي انتاج عربي آخر يبحث في فلسفة الحشر والنشر قد ترجم الى لغات غربية ؟ ان هذه جميعها مشكلات تقع في مجال أبحاث التاريخ الثقافي ، ويجب علينا حلها إذا أردنا إثبات أسباب التشابه بين فلسفة الحشر الإسلامية وفكرة الحشر عند دانتي كما أوردها آسين . وقد أجاب عنها آسين بقوله إنه ليس من البعيد أن يكون دانتي قد ألم بقليل من اللغة العربية (ولكن الأمر كما نعلم نحن المستشرقين حق العلم يقتضي أكثر من مجرد الإلمام بقليل من العربية لفهم مؤلفات أبي العلاء وابن عربي المعقدة !) ، وأشار آسين أيضاً إلى أنه قادر على أن يبين وجود اهتمام خاص بالتاريخ الاسلامي والثقافة الإسلامية في إنتاج

دانتي ، ابن فلورنسة البكر ، وكذلك نوه آسين باحتمال لم يتمكن من دعمه بالوثائق وهو أن يكون «ألقيري دانتي» قد وقع على نصوص في فلسفة الحشر الإسلامية في بعض الترجمات ، وأن هذه الترجمات قد تكون مما حمله معه برونيتو لاتيني Brunetto Latini عند عودته الى مقاطعة توسكاني بايطاليا بعد انتهاء سفارته لدى ملك اسبانيا في عام ١٢٦٠ م ، وقد كانت هذه النقطة الأخيرة بالذات ، أي الوسيلة التي انتقلت عن طريقها فكرة الإسلام عن العالم الآخر الى دانتي ، هي التي ظلت الى وقت قريب مشكلة مبهمة تؤلف الحلقة المفقودة في السلسلة التي أحكم رباطها آسين ، حلقة حلقة ، بنفاذ وتعمق لا مثيل لهما ، بين اسبانيا العربية - اليهودية - المسيحية في القرن الثالث عشر ، وايطاليا في القرن الرابع عشر .

لقد أصبح معروفاً الآن بعد انقضاء أكثر من ثلاثين عاماً على عرض المشكلة لأول مرة أن الحلقة المفقودة ، قد عثر عليها . ذلك أن عالمين أحدهما اسباني والآخر ايطالي ، (وقد أمسك كل منهما بأحد طرفي السلسلة مستقلاً عن الآخر وغير عارف بجهوده حتى النهاية) ، نشرا خلال هذه السنوات النصين اللاتيني والفرنسي لكتاب اسباني عربي يدور حول فلسفة الحشر العربية الإسلامية . وقد ثبت أن هاتين الترجمتين كانتا معروفتين في ايطاليا في القرن الرابع عشر ؛ وهكذا تظهر لنا مشكلة دانتي والإسلام تحت ضوء جديد كل الجدة . وقد أسميت هذا الكتاب الفذ كتاب (المعراج أو كتاب معراج محمد) وفقاً للأسماء المتعددة التي عُرف بها باللاتينية والفرنسية القديمة والايطالية . وقد تم وضع الكتاب - كما كان متوقعاً بل محتوماً - في بلاط الفونسو بمدينة اشبيلية وبأمر الملك نفسه ، الذي دُعي بحق ملك الدينين أو الأديان الثلاثة ، والذي تصدق فيه هذه الصفة أكثر مما تصدق في جده ، فاتح طليطلة . وكان ابرهيم الفقين ،

الطبيب والعالم اليهودي المشهور بترجماته لمؤلفات ابن الهيثم والزرقاني ، قد نقل الى اللغة القشتالية ، قبل عام ١٢٦٤ بزمن غير طويل ، وبأمر من الملك نفسه ، النص الشائع لقصة المعراج أو رحلة محمد في أنحاء العالم الآخر . وعن ترجمة ابرهيم القشتالية هذه ، وهي ترجمة مفقودة ، أخذ الكاتب الايطالي بونا فنتورا من أهل سيينة نص الترجمتين الفرنسية واللاتينية الموازيتين له ، ومخطوطة احداهما لا تزال محفوظة في اكسفورد ببريطانيا في حين حفظت مخطوطات الأخرى في باريس والفاتيكان . وقد نُشرت الترجمتان في آن واحد من قبل أنريكو شيرولي في ايطاليا ، وجوزيه مونوز سنديبنو في اسبانيـا .

واذا استثنينا المقدمة الوجيزة التي كتبها بونا فنتورا سيينة شارحاً أصل الكتاب ومبرراً الغاية من وضعه فنحن نجد بين أيدينا في الحالتين ترجمة أمينة حرفيـة ، وفق أساليب الترجمة في ذلك العصر ، لمؤلف عربي في فلسفة الحشر والنشر ، وقد يكون أصل هذا المؤلَّف مفقوداً ، ولكنه كان ولا شك شائعاً جداً في اسبانيا في القرن الثالث عشر ، كما أنه لا بد أن يكون لهذا الأصل علاقة بالنصوص الأخرى الشفوية الخاصة بفلسفة الحشر التي نسخها أو لخصها آسين في كتابه . ولكنه يمتاز عليها جميعاً بتناسقه وشموله الكاملين ، وفي مقاطع منـه رونق أدبي قديم لا يخلو من قوة التأثير في النفس . أما القصة فهي معروفة : جبريل يوقظ محمداً من نومه في مكة ، ويأمره بامتطاء البراق ، ذلك الجواد المجنح الذي يحمله الى المسجد الأقصى ، ومن هناك يصعد الى السماء على درج ذهبي براق . ومن هنا أخذ اسم الكتاب الذي يتحدث عن أرجاء العالم الآخر . ويرى محمد (ﷺ) بعد ذلك ملك الموت ، ثم يرى ملكاً بشكل ديك ، وآخر نصفه من نار ونصفه من ثلج [1] ويجتاز سبع سماوات ، يلتقي في كل منها بنبي ،

(١) هذا لم يصحّ رواية ولا دراية . (لجنة المجلة)

حتى يمثل أخيراً أمام عرش الله ؛ ثم يزور الفردوس ويرى ما فيه من مباهج الطبيعة والمحبة ، ويتسلم من الله عز وجل القرآن الكريم وأوامر الصلاة اليومية والصوم[١] ، وتخفف هذه الأوامر فيما بعد استجابة لتوسلاته ، ومن ثم يرى جهنم ، ويطوف بأطباقها ودركاتها السبعة ، ويرى أنواع التعذيب فيها ، بينما يشرح له جبريل يوم القيامة والحساب على جسر الصراط . وعبثاً يحاول لدى عودته الى الأرض اقناع قريش بصدق رؤياه ، وقد دونها ، وشهد على صدقها كل من أبي بكر وابن عباس[٢] بناءً على طلبه . والصفات المميزة للمؤلف الأصلي محفوظة هنا بأمانة ، لا بنتيجة الأسلوب الأدبي لكتاب فحسب (هذا الأسلوب الذي على الرغم مما فيه من تشويه ، يأتي على ذكر عدد كبير من الأسماء والأماكن الواردة في الأصل العربي ، ويردد جملاً عربية كاملة في التسبيح والصلاة) ، بل لخلوه أيضاً من أي شرح أو إيضاحات دفاعاً عن الدين من وجهة النظر المسيحية ، وهكذا فاذا ماجرد النص من حلة اللغات ذات الأصل اللاتيني التي وُضع فيها ، فاننا نجد فيه العقيدة الإسلامية الشعبية في الموضوع محفوظةً بكل ما فيها من صراحة لا تخلو من بعض البساطة .

وهذا الكتاب الذي جعله الملك في متناول يد الغرب المسيحي (في ما لا يقل عن ثلاثة أسفار وربما في أكثر من هذا العدد ، بدافع من حب الاستطلاع الثقافي أكثر من الرغبة في الدفاع عن وجهة النظر المسيحية) ، انتشر بصورة فعالة وبطرق متعددة ؛ وبوسعنا أن نتتبع ما كان له من وقع في اسبانيا وفرنسا وايطاليا . وبناءً على ما بيَّنه شيرولي فان كتاب ابرهيم الفقين المترجم الى لغة قشتالة والذي لم يصل الينا هو المصدر الذي أخذ عنه « سان بيدرو باسكال » خلاصته

(١) إنما فُرض الصومُ في السنة الثانية من الهجرة ، فبينه وبين فريضة الصلاة خمس سنوات . (لجنة المجلة)

(٢) ولد عبد الله بن عباس في السنة الثالثة قبل الهجرة (أي عام الإسراء والمعراج) كما في « الإصابة » وغيرها . (لجنة المجلة)

الضافيـة عن رحلة محمد (ﷺ) الى العالم الآخر كما وردت في كتابه « Sobre La Seta Mahometana » الذي أشار اليه آسين وجعله مصدراً يحتمل أن يكون دانتي قد اعتمده . وعلى أساس المعلومات الدقيقة المتجمعة لدينا والحدس المعقول فان المخطوطات الثلاث المحفوظة لكتاب بونا ڤينتورا ، وجميعها من مطلع القرن الرابع عشر ، تحملنا الى مقاطعة بريتانية في شمالي فرنسا (المخطوطة اللاتينيـة المحفوظة بباريس) ، والى انكلترة (مخطوطة اكسفورد الفرنسية) ، والى بروڤنس (مخطوطة الفاتيكان اللاتينية) ، وتدلنا على أن كتاب المعراج (Liber Scalæ) مالبث أن شق طريقه الى ماوراء جبال البرانس . وأما فيما يتعلق باطلاع الايطاليين على هذا الكتاب فنحن إذا جعلنا تاريخ ترجمته عام ١٢٤٦ (وبذلك نكون قد تخلينا عن فكرة نقله على يد برونيتو لاتيني الذي سبقت سفارته لدى بلاط الفونسو التاريخ المذكور بأربع سنوات) فاننا نعثر على اقتباسين صريحين من قبل كاتبين ايطاليين ، أحدهما يلخص الكتاب تلخيصاً ضافياً مما يثبت أنه كان معروفاً في ايطاليا في منتصف القرن الرابع عشر وأواخر القرن الخامس عشر . ففي ذينك القرنين كانت كتابات راهب ابوليا الفرنسسكاني روبرتو كاراكشيولو الدينية معروفة ومشهورة ، وفي عهد السلالة الأراغونية في نابلي أورد روبرتو هذا في كتابه كلمـة الإيمان (Specchio della Fede) خلاصة لما وصفه هو « بالكتـاب الذي يدعوه المسلمون بالمعراج وبلغة العرب سلم محمد » . ولا ريب في أن هذا هو كتابنا وانه قد اطلع عليه بنص لاتيني . غير أن الشاعر التوسكاني ڤازيو ديڤلي أوپرتي يدنينا أكثر كثيراً من دانتي من حيث الزمان والمكان ، فهو يصف في كتابه دتامندو (Dittamondo) الفردوس كما تخيله المسلمون ، منوهاً بكتـاب المعراج في قوله :

« ولكنه في كتابه (أي كتاب النبي محمد ﷺ) الذي يدعى المعراج

يسرد ترتيب طعام الطوباويين

ويتحدث عن كل تفاحة (أي كل ثمرة من ثمار الفردوس) ... »

ويعود الفضل في لفت الانتباه الى هذا المقطع البالغ الأهمية والمؤلف من أبيات ثلاثة الى شيرولي . ترى أي ثمن كان يدفعه آسين لهذا المقطع !

وهكذا تكون السلسلة قد اكتملت . لقد كانت أوربة الغرب أو بتعبير أدق ايطالية القرن الرابع عشر تمتلك نصوصاً موفورة مفصلة ، تمتاز بأمانة النقل ، عن نظرة الإسلام للعالم الآخر ، نصوصاً يستطيع أيّ شاء أن يقرأها بالاسبانية أو الفرنسية أو اللاتينية دونما حاجة الى معرفة كلمة واحدة من اللغة العربية . وما من شك في أن « ڤازيو » قرأها ، وقد أثبت ما قرأه في قصيدته التي لا تعدُّ من الشعر الرفيع ، وهي قصيدة فيها مزيج من الأساطير التاريخية الكونية ، يشهد موضوعها عليها بأنها تقليد لشعر دانتي . ونحن لو افترضنا أن مواطن ڤازيو وأستاذه العظيم لم يقتبس عن كتاب المعراج اقتباساً كبيراً فهل نستطيع أن ننفي الاحتمال بأن دانتي قد رأى كتاب المعراج ؟ وهو احتمال يوحي به تطابق مادة الموضوع ، والتماثل في نواح كثيرة محددة ، ووسيلة الانتقال التي ثبتت تأريخياً . إن التعصب القومي الثقافي ـ أو كما أوثر أن أفسر هذا التعصب بقولي التبلد الذهني المقرون بالخجل والافتقار الى دليل إيجابي ـ لم يعد يقوى على إنكار الافتراض الدال على الذكاء المتوقد الذي قدمه آسين قبل ثلاثين سنة وأمكن الآن اثباته بصورة رائعة ، وذلك من ناحية الحدس التي قام على أساسها .

غير ان إثبات حقيقة شيء ، وتقدير قيمتها والمكان اللائق بها ومدى أهميتها في مجموع هذه المادة شيء آخر . ترى كيف يمكننا أن نقدر قيمة الاحتمال الذي يكاد يكون الآن حقيقة واقعة مؤكدة ، وهو أن هذه الخلاصة

(Summa) عن فلسفة الحشر الإسلامية لم تكن مجهولة لدى مؤلف الكوميديا الإلهية ؟ وأي الاستنتاجات يمكن التوصل إليها من هذه المقارنة التي سبق أن أجراها في جوهرها آسين (ما دام ثابتاً أن معظم عناصر كتاب المعراج هذا كانت موجودة في المواد العربية الأخرى التي جمعها ودرسها) ؟ أي الاستنتاجات المنصفة يمكن التوصل إليها من مقارنة المصدر الشرقي بقصيدة دانتي ؟ وأود أن أكرر قولي إن اعتبارات الفن الشعري البحتة لا مكان لها هنا ، ولكن هنالك مشكلة كاملة من أوجه الشبه السيكولوجية والمعنوية والثقافية التي لا تعتبر المقارنة معها مشروعة فحسب بل ملائمة وواجبة . واذا كان البحث فيما اقتبسه دانتي من هذه النماذج وكيف اقتبسه عنها غير ذي أهمية للحكم على دانتي بصفة كونه شاعراً ، فانه عظيم الأهمية لايضاح المصدر الفكري لمعتقداته ، والموقف الديني الأساسي لروحه وطرائق انتقائه ودمجه هذه العناصر الأجنبية في ثقافته المتأهبة للاستيعاب ، أو بعبارة أخرى : ما هو مدى وما هي حدود هذا الاتصال بين فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وبين «مضمون» ـ وهنا استعمل الكلمة بمعناها المألوف في فن الشعر ـ رؤيا دانتي ؟ أية تأثيرات محددة أثارها هذا الاتصال في تكوين القصيدة الملهمة ؟ وهل يستطيع المرء أن يتحدث عن اقتباس مباشر مادي يكاد يكون آلياً ، وعن أوجه التقابل في المفاهيم ، إن لم يكن في الفن الشعري ، أو أن يتحدث عن الأثر المتغلغل ، إن لم يكن المستبعد لسواه ، للرؤيا العربية السابقة ، في رؤيا الشاعر الايطالي .

ان هذه الناحية لأكثر عمقاً ودقة ، من نواحي القصيدة ، استأثرت باهتمام عالم واحد فقط من العالمين اللذين فسّرا كتاب المعراج ، أما بالنسبة الى العالم الآخر مونوز « Munoz » فالعلاقة بين الكتاب المذكور والكوميديا لاتعدو علاقة الأنموذج بالتقليد ، التقليد الذي عملت فيه بطبيعة الحال يد التحسين والتجميل ، وأضفت عليه صفة البهاء الروحي ، ولكنه على أي حال تقليد مباشر

لا لبس فيه ، وما كان ليخطر ببال لولا وجود السابقة الأولى . وبعبارة أخرى إن وجود كتاب المعراج ، وثبوت انتقاله الى عالم دانتي ، هما دليلان كافيان لأن يثبتا بصورة آلية الاعتماد المباشر للاحق على السابق في السلسلة الطويلة من أوجه التماثل التي أوردها آسين ، وهي أوجه التماثل في أسلوب التأليف وفي الفكر الأخلاقية واللاهوتية وفي الصور ورواية الحوادث ، وذلك من أسلوب تصميم الأقسام الثلاثة للعالم الآخر ، إلى أسلوب العقاب ، إلى مباهج الفردوس الأرضي ، إلى الرؤى التي تبهر الأبصار في الفردوس السماوي . ويرى مونوز أن سلسلة آسين القائمة على أساس أوجه الشبه واعتماد حلقة على أخرى ، لا تقبل النقض أو الجدل ، وكل ما ينقصها هو البرهان على وسيلة النقل التاريخية . ولما كنا قد وجدنا الآن هذه الحلقة في كتاب المعراج ، فقد انتهى الأمر وصار كل عنصر من عناصر الرؤى الاسلامية ، مهما غمض الشبه بينه وبين رؤيا دانتي ، يؤلف رابطة مباشرة بين الأصل والتقليد ، أو بين الأصل والفرع ، بل قُلْ رابطة بين السبب والأثر . وفي هذه الحال فالكوميديا الإلٰهية يجب أن تذكرنا في الحقيقة بجامع قرطبة العظيم الذي كُيِّفت أعمدته الشرقية المراكشية بما يتلاءم هو ومذهب التثليث المسيحي .

أما شيرولي فانه يبدي حساً تاريخياً أكثر حذراً (ولا ريب أنه لا يضمر أي تحيز قومي) ؛ وهو لا يرى أن قيام الدليل على معرفة ايطاليا للكتب التي تبحث فلسفة الحشر والنشر الإسلامية ، واحتمال اطلاع دانتي على هذه الكتب ، يكفيان في حد ذاتهما ليضعا بين أيدينا الدليل على شاعرية دانتي وروحانيته ومقدار إبداعه . وهو لا يتطرق إلى مشكلة « دانتي والإسلام » بالذات إلاّ في نهاية بحث كامل رائع حول « فلسفة الحشر والنشر الإسلامية وكتّاب الغرب في القرون الوسطى » ، وهو بحث جمع فيه شيرولي وحلل كل أثر من آثار معرفة كتاب الغرب المسيحيين للفكر الإسلامية عن العالم الآخر ، حتى ما كان

منها مستقلاً عن كتاب المعراج : فمن مؤلفات بولوجيوس والفاروس القرطبيين ، الى بتروالفونسو ، الى مجموعة طليطلة (Collectio Toletana) ، ومن غوغليو داالفارينا الى جان دوڤيرتي وغوغليو الطرابلسي ، ومن رامون مارتي الى لولو (Lullo) ، ومن توماس بورن الى روجر بيكن . وتبرز من هـذا البحث صورة كاملة مدهشة تجمع بين ما كتب من طراز الدفاع الركيك الشعبي عن العقيدة المسيحية ، وما في ذلك من مبالغة وتهويل شديدين بالنواحي الدنيوية والحسية للفردوس كما يصوّره القرآن (ونلاحظ هنا انه من وجهة النظر المسيحية فان مهاجمة الفكرة الإسلامية عن جهنم أشق كثيراً من مهاجمة فكرة الفردوس) ، وبين المحاولات الفلسفية ، التي اضطربت بتأثير قوة الفكر الإسلامي ولكنها لم تكن تجهله ، لإضفاء الصبغة الروحانية على عقوبات العالم الآخر ومباهجه وللتوفيق بين استقامة الرأي في العقيدة الدينية وتقرير فكرة سامية عن العالم الآخر . وقد بلغت مدرسة أكسفورد الغاية في مجال التفسير المسيحي للفكر الإسلامي في القرون الوسطى ، فقد درست هذه المدرسة بدقة متناهية أقوال ابن سينا وابن رشد لوضع الغبطة الفلسفية المدركة إلى جانب النواحي الأخرى من فلسفة الحشر والنشر الإسلامية في القرآن ، كما بلغ هـذه الغاية بطبيعة الحال ريموندو لولو ، المفسّر الكبير للعالم الإسلامي الذي عاش في القرن الثالث عشر واستقى معرفته عنه من المناهل الأصلية الأساسية ، فاستطاع أن يقدم لمعاصريه أصدق وأكمل صورة للفكر الإسلامي وبصورة خاصة لفلسفة الحشر والنشر العربية الإسلامية .

ولكن دعنا نهبط من هذا البحث العام الواسع الذي يدلل على القيمة الفريدة الفذة لدراسة شيرولي لنعود الى دراسة العلاقة المباشرة بين دانتي والإسلام تمهيداً لتقدير أثر كتاب المعراج في الكوميديا الإلهية تقديراً واقعياً . فنحن إذا درسنا مجمل معرفة دانتي بالديانة والعلوم والحضارة الإسلامية نصل الى نتائج

أبسط كثيراً . فمن الوجهة التاريخية ليست هناك أهمية كبرى للأبيات المتعلقة بالنبي محمد (ﷺ) في المقطع الثامن والعشرين من قصيدة الجحيم ، إذ لا تتبدل فيها الصورة التقليدية التي كان يعزوها الغرب للنبي العربي في القرون الوسطى ، وقلما نجد في مؤلفات دانتي العقائدية مقتبسات عن مؤلفين مسلمين أمثال الفلكيين الذين عرفهم الغرب بأسماء : ألبوماسار (Albumasar) والفراغانو (Alfragano) والبتراغيو (Alpetragio) والفلاسفة ابن سينا وابن رشد ؛ واذا وجدت هذه المقتبسات فانما تكون قد أخذت بطريقة غير مباشرة عن البرتوس مانيوس (Albertus Magnus) وسان توماس : وعلى أي حال فالمؤلفات الإسلامية لم تكن متوفرة لدانتي إلاّ بالنص اللاتيني . وخلاصة القول أننا نجد أنفسنا مضطرين إزاء هـذا كله إلى إنكار وجود ذلك الاطلاع الخاص على العالم العربي الإسلامي والاهتمام الخاص به الذي يلحظه البعض في مؤلفات دانتي . ويبدو لنا أن معرفته بالعالم العربي الإسلامي لا تزيد على معرفة أي رجل واسع الاطلاع في عصره . ومع ذلك وبالنظر الى أن دانتي كان العالم الكبير (Clerk, Scholar) والمفكر المتسع الثقافة فان بعض الفكر الإسلامية الفلسفية والأخلاقية ـ وخاصةً المتعلق منها بفلسفة الحشر الإسلامية ـ قد تسربت الى شاعرنا بمعزل عن كتاب المعراج وعن غير طريقه : مثال ذلك نظرية ابن سينا وتعابيره عن النور ، المشار اليها اشارة صريحة في كتاب (Convitio) والمقطع الوارد في كتاب مجموعة طليطلة (Collectio Tolenta) والذي يتحدث عن بقعة فوق حاجب الروح القادمة حديثاً ، تزيلها الملائكة لدى دخولها الفردوس ، مما يعيد الى ذاكرتنا في الحال علامات الخطيئة السبع التي تمحي عن حاجب دانتي تدريجياً في أثناء صعوده شعاب المطهر ، وبهذا نصل أخيراً الى كتاب المعراج ، ومن المرجح أن يكون دانتي قد اطلع عليه ، فإلى أي حد كان الكتاب مصدر إلهام عام له ، وأي أثر خاص كان له فيه ؟

لقد أجاب شيرولي عن هذا السؤال إجابة تميزت بمنتهى الحكمة وذلك مراعاةً منه لا لمؤيدي دانتي بل للحقيقة ذاتها . فهو يظن ان قراءة الرؤيا الإسلامية يمكن أن تكون عند دانتي أحد الحوافز الخارجية التي حفزته الى معارضة ما كان يُفترض أنه كتاب مقدس في الإسلام (لأن هذا ما كان يعتقده الغرب في كتاب المعراج) ، بقصيدة مسيحية عن « رحلة الى الآخرة تسمو بصدق العقيدة والحذق الفني في معالجة أعظم مواضيع الملاحم الدينية ، على الصور الرائعة التي ربطها الاسلام ، بالفردوس والجحيم » ، بدون أن ننسى لحظة واحدة الدور الأولي الذي تلعبه في أصل القصيدة فكرة الحياة الجديدة (Vita Nuova) أو بالأحرى الحياة الجديدة نفسها والحياة المتقمصة المنقولة ، والرغبة في أن يقول في ملهمته بياتريس « ما لم يُقَل في أحد من قبل » . وفي نطاق هذا التأثير العام نستطيع أن نعزو إلى السابقة الاسلامية فكرة الدليل الصابر الكريم ، مفسِّر جميع الأسئلة والشكوك (ويقوم بهذا الدور فرجيل وبياتريس مع دانتي وجبريل مع محمد) ، كذلك المسائل الدقيقة الكثيرة المتصلة بعلم الكون ، واللون المحلي الخاص لأقوال إله الجحيم بلوتوونمرود أو نمبروتي تلك الأقوال الغريبة التي تعيد إلى الذاكرة بعض العبارات العربية الواردة في النصوص اللاتينية لكتاب المعراج . ولكن دعنا الآن نواجه السيل الدافق من المتشابهات بين دانتي وكتاب المعراج . ان شيرولي عندما يستعرض أكثر هذه المتشابهات اتصالاً بموضوع البحث لا يغيب عنه أن يؤكد أهمية كل منها ، ليس على حدة وانفصال ، بل كجزء متحد بالمصادر الأخرى العديدة للالهام التي كانت قريبة المنال لدانتي ومألوفة بالنسبة الى ثقافته وخياله : ومنها المصادر الكلاسيكية الاغريقية اللاتينية ، والتوراة والإنجيل والمصادر المسيحية ، وهي مصادر ساهمت في تكوينه الروحي (ذلك لأن أي اطلاع خاص من قبله على أمور العالم العربي الإسلامي هو ، كما رأينا ، مجرد افتراض ووهم) ، تلك المصادر التي

كان بالإمكان في كثير من الأحيان أن توفر لدانتي الإلهام نفسَهُ الذي يوفره له كتاب المعراج لتزويده بتفاصيل رؤياه . وهذه هي الحال مع نسر جوبتر الذي صوّره دانتي ، حيث يمكن توحيد المصادر الكلاسيكية ومصادر التوراة المعروفة ودمجها بالصورة الإسلامية للمَلَك الذي يتخذ شكل ديك كبير ويقف على الأرض السابعة ، ولكنه يرفع رأسه عالياً حتى يداني عرش الإله وينشد مسبحاً بحمده ومجده[1] . وكذلك فمن الواضح أن السلّم الالهي الذي يستخدمه الاله (Saturn) ، ذلك المرتقى الذهبي اللون ، قد استوحي في المقام الأول من سلم يعقوب الوارد ذكره في التوراة ، ولكن هذا لا يستبعد الالهام الجزئي من معراج محمد الممتد من القدس إلى الفردوس الذي أعطى كتاب المعراج اسمه . وهكذا فيما يتعلق بالمحاكمة على الجسر الدقيق المسمى بالسراط ، القائم أمام الفردوس ومن تحته الجحيم تفغر فاها ، فهي تبدو في نظر شيرولي مماثلة للمحاكمة بالنار التي يتعرض لها دانتي لبلوغ الفردوس الأرضي ، هذا الفردوس الذي تبدو الدوافع الاسلامية لوصفه وصفاً أقرب الى الحس وأكثر إيحاء ، رغم أنه ينبغي أن لا ننسى الدور الذي تلعبه في هذا الايحاء أساطير التوراة عن جنة عدن ، والأسطورة الكلاسيكية عن حالة البشرية البدائية البريئة المباركة التي يشير اليها دانتي بقوله :

لعل الذين أعلنوا في غابر الأزمنة في أناشيدهم
قيام العصر الذهبي والرغد الذي يسوده
إنما حلموا بذلك المكان على جبل « بارناسوس »

ان دانتي نفسه ليلفت انتباهنا في هذه الأبيات من الشعر الى الصور السامية التي كانت تسبح أمام خياله السامي عندما أبدع بمقاطعه الشعرية الثلاثية الخالدة الغابة الالهية كثيفة ونابضة بالحياة ؛ ومع ذلك فالمرء لا يستطيع أن ينكر

(١) ليس في الإسلام نص في هذا . (لجنة المجلة)

إنكاراً تاماً ما حصل عليه شاعرنا من إلهام في عمله الابداعي من ذكريات (فردوس المباهج) ، في كتاب المعراج وما فيه من ملذات هادئة ، لكنها صبيانية ، وبينبوع مزدوج يتحول في قصيدة دانتي الى نهري « ليث » و « يونوي » ، وحادث وصول زمرة جديدة من أرواح البشر والعرائس اللاتي كن في انتظار هذه الأرواح بحب وشغف . ولكن حتى في هذه الحالة فإن إمكانية وجود العنصر الاسلامي متحداً بعناصر أخرى كثيرة ، أعظم منه حيوية ورسوخاً في ذهن الشاعر ، أمر يجب أن لا يبالغ فيه الى حد يتعارض مع ما يمليه العقل أو يتعدى حد الاحتمال ، ويجب تبعاً لذلك أن لا يطلب إلينا اعتباره مصدراً رئيسياً وموجِّهاً للالهام . وإننا لنتساءل : ترى هل كان على دانتي أن يقرأ في كتاب المعراج عن حور محمد ليحلم أنه رأى من جديد في مجد الفردوس الأرضي بياتريس ، تلك التي كانت أسمى تجربة روحية في شبابه والنجم القطبي لحياته ؟ وهكذا يمر شيرولي مراً سريعاً خفيفاً بهذا الخضمّ الواسع من المتشابهات ، (لا بسبب السطحية ، بل لدقة وروعة المعالجة) مختبراً كلاً منها ازاء مبدئه الأساسي ، وهو ما نردّده هنا مرة أخرى ، الاعتراف باحتمال امتزاج الدافع الاسلامي مع عدد كبير من المصادر الأخرى التي كان لها دوماً المكان الاول في ذهن دانتي وروحه ، حتى ولو انه من الثابت تقريباً أن دانتي اطلع على كتاب المعراج ، ذلك النص الوحيد الذي فتح أمامه الباب المؤدي الى عالم آخر ، لولا ذلك لبقي غريباً عن روحه ، وغريباً عن القيم الأساسية لنفسه اللاتينية المسيحية ومناقضاً لها .

وهكذا فاننا عندما نحكم ، في تحليلنا النهائي ، على الصلة القائمة بين دانتي وكتاب المعراج أو أي عنصر آخر من عناصر فلسفة الحشر والنشر الاسلامية يمكن أن يكون قد اتصل بالشاعر بوسيلة من الوسائل [وهنا أفكر بصورة خاصة بالمواضيع الجدلية لمجموعة طليطلة (Callectio Toletana)] يجب أن

لا ننسى ما يجزم به شيرولي في صفحاته الأخيرة التي تمتاز بروعة خاصة ، ألا وهو أنَّ دوافع الالهام والتفاصيل الروائية التي يمكن إرجاعها إلى مصادر عربية قد دخلت الكوميديا كجزء من بناء أوحى به كله مصدر آخر ، مختلف عنه ، ولكنه مثالي وفريد في نوعه ، ألا وهو المصدر المسيحي . ويوضح لنا شيرولي من هذا الاختلاف الأساسي في الروح ، هـذا الاختلاف الذي يتميز تقريره والاعتراف به بما كان لبيضة كولمبس من طبيعة الوضوح الكامل والفعالية في حل المشاكل ، ناحية واحدة فقط نجملها في الأمور التالية وهي : الأهمية المطلقة للايمان في عقيدة الخلاص الاسلامية والأعمال كوسيلة للخلاص عند دانتي وفي المسيحية ، وتقرير أهمية البر والمحبة في العقيـدة المسيحية كنقيض لمشيئة الله التعسفية [1] التي لا تقبل الجدل أو الاعتراض في الاسلام ، واختلاف قيمـة الصلاة بين الطقوس الاسلامية الالزامية المضنية [2] من جهة وقوة المحبة الحيـة التي تفعل فعلها مع العدالة الالهية في الصلاة المسيحية . فليس باستطاعتنا اذن أن نتحدث عن انموذج وتقليد ، حتى ولو سلمنا باحتمال الانتقـال المادي لصور وفكرٍ معينة ، ولا عن مجرد إضفاء الصبغة الروحية في حين يختلف الالهام الأساسي والموقف الأساسي اختلافاً جذرياً . ولذلك فإن المحرر الايطالي لكتاب المعراج يستنتج أن القصيدة المقدسة لا يمكن مقارنتها بجامع قرطبة ، المكرّس الآن لمذهب يختلف عن المذهب الذي أنشئ هذا البناء الرائع في سبيله ، ولكن لكي نقدم مثالاً هندسياً أكثر ملاءمة لعلاقة دانتي بالعالم العربي ، يجدر بنا أن نلجأ الى ذلك العمود العربي الاسباني ، المنقوش عليه اسم صانعه المسلم والقائم في بناء مسيحي خالص ، من الوجهتين التاريخية والفنية وفي مجموعه وجميع تفاصيله ،

(١) ليس في الإسلام مشيئة تعسفية ، ولا إكراه ولا إلزام ، بل في القرآن الكريم « لا إكراه في الدين » وفيه « لكم دينكم ولي دين » . (لجنة المجلة)

(٢) ليس في العبادة الإسلامية طقوس . والصلاة المفروضة لا تحتمل أكثر من خمس دقائق ، وأما القداس الكنسي ففيه طقوس وأزياء مختلفة معروفة . (لجنة المجلة)

ونعني به كاتدرائية بيزا ، حيث ما زال العمود المذكور يشهد بفن مجيد آخر بعد أن أخذ عرضاً ونتيجةً لحادث معين خاص واستخدم في إعطاء شكل رسمي ظاهري لمثل أعلى يختلف عنه في الناحية الدينية ، والشكل الظاهري .

إن أحدث دراسة شاملة للمشكلة القديمة التي أثارها آسين لأول مرة وأعيدت دراستها الآن على ضوء أحدث اكتشاف في الموضوع يؤدي بنا الى النقطة التالية : وهي كما أسلفنا أن العالمين اللذين ترجما كتاب المعراج هما أبعد ما يكونان عن الاتفاق في النتائج التي توصلا إليها وفي أسلوب استخدامها لترجمتيهما . أما تقرير أي الاثنين يجب أن نتبع في موقفه واتجاهه (ويبدو من نافلة القول أن أذكر هنا أياً من المترجمين الاثنين يعتبره كاتب هذه الأسطر مصيبا) فهذا يتوقف على إدراك الناقد الفرد وحاسة الحكم الصحيح على الأمور عنده ، معززين ، كما يجوز لنا أن نضيف ، بالاطلاع المباشر على انتاج دانتي وتفكيره وفنه ، وهو اطلاع كان آسين المظيم يتمتع به ولا ريب ، بخلاف بعض الذين رجعوا إلى كتابه . ولكننا نرى أنه ، حتى في نتائجهما المتعارضة سار محررا المعراج الذي نقل إلى الغرب بفضل الملك الفونسو شوطاً كبيراً من الطريق مترافِقَيْن ، والحقيقة هي أن هذا الجزء المشترك من الطريق الذي تكتنفه حقائق إيجابية لا يشوبها أي خلاف في التفسير ، هو الذي يدلنا على مدى النصر الذي أحرزه آسين بعد وفاته .

إن أستاذ مدريد الذي وقف وحده في وجه عدم مبالاة الذين يأبون التصديق وعدائهم ، أكّد أن المعتقدات الإسلامية المتعلقة بفلسفة الحشر والنشر والتي جمعها وحلّلها وانتقاها من أكثر مجالات الأدب العربي تباعداً ـ التقليدي منها واللاهوتي ، والصوفي والتهذيبي ، والعلمي والشعبي ـ لم تكن تلك المعتقدات تختفي وراء ستار حديدي قوامه اللغة والحضارة عن عالم الغرب اللاتيني وحبه للفضول والاستطلاع . وقد تتبع آسين الى أبعد الحدود المعروفة آنذاك وأقصاها

تسرّب هذا التراث الشرقي إلى العالم اللاتيني ، وبعد أن سدّ بدافع من الإيمان الحدسي جميع الفجوات التي واجهته رأى هذا التراث يزدهر في كثير من الأحيان بمماثلات ومشابهات مدهشة في (ملحمة دانتي الملهمة) ، وهي أعظم ما وصل اليه الإنتاج الفني للعصور الوسطى المسيحية . وبدا هذا التسرب الذي تتبعه آسين مماثلاً لمجرى الفيوس الأسطوري ، اذ اختفى في أعماق أرض اسبانيا ليظهر مجدداً في إيطاليا بعد انقضاء فترة من الزمن وقد اكتسب شكلاً خالداً في شعر دانتي . وكان يكتنف مجرى هذا الجدول في باطنه غموض شديد زاد فيه أن المرء لم يكن ليعرف أي المصادر المتعددة التي استقصاها آسين هو الذي وصل بالطريق المجهولة الى الهدف غير المرتقب . أما الآن فقد اتضحت المشكلة وتبسطت في آن واحد . فتلك النصوص العميقة الغور وغير المترجمة من الأدب العربي العالي ، كمؤلفات أبي العلاء المعري وابن عربي وما ماثلهما لم تسترع انتباه دانتي بطريق مباشرة ؛ ولكنه من المحتمل أن يكون إنتاج من الأدب العربي الشعبي ، تلذ مطالعته وله طابع تهذيبي ، قد وصل إلى دانتي ووقع تحت بصره وعينيه ؛ ذلك لأنه من المؤكد أن ذلك الإنتاج (وهو كتاب المعراج) قد وصل الى البيئة التي كان يعيش فيها دانتي وانتشر في الجو الثقافي الذي كان يستنشق هواءه ، وهو أمر ثبت لدينا بعد نشر ترجمات الكتاب اللاتينية التي سبق لنا ذكرها ، والتي يرجع الفضل في وجودها الأول الى ما تحلى به ملك اسبانيا الفونسو من حب استطلاع مبدع خلّاق . وبهذه الوسائل ، وربما بها وحدها ، نستطيع أن نتحدث عن اتصال مباشر ، ، لولا ذلك ما كان ليخطر ببال ، بين ثقافة دانتي (وأعني بها ثقافة الشاعر وثقافة مجتمعه) وبين المجموعة المظيمة من الموادّ العربية التي جمعها آسين ، تلك المجموعة التي كان اتساعها وتنوعها عائقاً في طريق قبول نظريته . وخلاصة القول فقد ثبت الآن وجود هذا الاتصال غير المباشر بصورة واضحة المعالم . والى هذا الحدّ وبموجب هذه الشروط ،

يبدو حدس آسين لنا جميعاً في الوقت الحاضر ثابتاً ساطع النــور . أما إذا تعدينا هذا الحد فسنجد آراء متعددة مختلفة فيما يتعلق بكيفية تفسير المختصين بدراسة دانتي للحقائق التي تم إثباتها ؛ وكما رأينا ، فهنالك من يرى أن الاتصال الذي تم ايضاح طريقه ، يثبت الدور الرئيسي الحاسم الذي يقول آسين إن فلسفة الحشر والنشر الإسلامية قد لعبته في خلق أعظم قصيدة مسيحية . ولكن هنالك من جهة أخرى أولئك الذين ، بنتيجة التمحيص والتدقيق والمقارنة الماهرة ، يعترفون بوجود اقتراحات وإيحاءات ، طابعها التعميم ، وصور ودوافع رافدة ، طابعها التخصيص ، دخلت جميعاً في روحانية وثقافة وخيال ، ليست سامية ومتفوقة فحسب ، بل ومختلفة عن تلك الاقتراحات والدوافع والصور اختلافاً تاماً جذرياً .

ومهما يكن من شيء فلنقبل الأمور التي نتفق حولها بدلاً من التشبث بالأمور التي نختلف عليها . ولنرحب باكتشاف هذه القطعة الجديدة من شبكة الثقافة الدولية للقرون الوسطى ، تلك الشبكة التي تميزت بالمتانة والصلابة والمرونة ولم تعرف الأستار الحديدية (وهذا القول يخجلنا ويبعث على الاضطراب عندنا نحن أبناء هذا العصر) ، بل اجتازت أبعد المسافات وأعظم الحواجز المادية والروحية (بفضل التعاون بين القوى الفكرية) مما تحسدها عليه منظمة اليونسكو في يومنا هذا ، وذلك بعد أن سلطت على القطعة المذكورة أنوار انبعثت عن مجهود قام به في آن واحد عالمان أحدهما اسباني والثاني ايطالي . ولنفكر مرة أخرى هنيهة من الزمن في هذه السلسلة السحرية : كتــاب المعراج العربي ، ملك اسباني ، طبيب يهودي ، ومسجل عقود ايطالي ... ، وفي الصور الخيالية للآخرة التي ازدهرت بصورة غامضة في قلب شبه جزيرة العرب ، وقد أحاطت بالبحر الأبيض المتوسط ونفذت الى لغة تسكانية العذبة ووصلت أرض فلورنسة

فأسهمت في إخصاب التربة التي أنتجت زهرة الكوميديا الإلهية السامية ، هذه القصيدة المقدسة التي أحاطتها يد الأرض والسماء ، ونكرر القول هنا اننا نقصد أرض الحضارة المسيحية وسماءها ، ولكنها سماء لا تخلو من انعكاسات من السماء المرصّعة بالنجوم ، التي حلّق فيها البراق المجهول الغامض في ليلة الإسراء المقدسة عند المسلمين ، ومن أرض الإسلام وخاصةً أرض اسبانيا حيث التقت حضارتان وتمازجتا في اتحاد عجيب ، وحيث أدرك بالحدس القوي النفاذ ، عالم محب للعزلة ، قبل خمس وثلاثين سنة ، انتقالاً أدبياً رائعاً ، ثبت وجوده الآن بالوثائق المحسوسة القاطعة .

فرانسسكو غابريلي

ترجمة : موسى الخوري

العقل والنقل عند الإمام ابن تيمية[1]

- ٢ -

مَن خالف صحيح المنقول فقد خالف صريح المعقول

إنَّ كل مَن أثبت ما أثبته الرسول ، ونفى ما نفاه كان أولى بالمعقول الصريح ، كما كان أولى بالمنقول الصحيح ، وإنَّ من خالف صحيح المنقول ، فقد خالف أيضاً صريح المعقول ، وكان أولى بمن قال الله فيه : «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» .

أنزل القرآن بلغة العرب لا بلسان الاصطلاح

(ص ٦٣) أرسل الله الرسول بلسان قومه ـ وهم قريش خاصة ، ثم العرب عامة ، لم ينزل القرآن بلغة مَن قال الأجسام متماثلة حتى يحمل القرآن على لغة هؤلاء ، هذا لو كان ما قالوه صحيحاً في العقل ، فكيف وهو باطل في العقل ؟

(ص ١٩٤) والقرآن نزل بلغة الذين خاطبهم الرسول (ﷺ) ، فليس لأحد أن يستعمل ألفاظه في معان بنوع من التشبيه والاستعارة ، ثم يحمل كلام من تقدمه على هذا الوضع الذي أحدثه هو .

ما المراد بالعالم

(ص ٦٨) المراد بالعالَم في الاصطلاح هو كلُّ ما سوى الله . فإنَّ هذه العبارة لها معنى في الظاهر المعروف عند عامة الناس أهل الملل وغيرهم ، ولها معنى في عرف المتكلمين ، وقد أحدث الملاحدة لها معنى ثالثاً . (فالمعنى الأول)

(١) نشر القسم الأول في (المجلد ٣٢ ، الجزء ٣ ، الصفحة ٤٩٢) .

انّ الله وحده القديم الأزلي ، وهذا المعنى هو المعروف عن الأنبياء وأتباع الأنبياء . (والمعنى الثاني) أن يقال لم يزل الله لا يفعل شيئًا ، ولا يتكلم بمشيئته ، ثم حدثت الحوادث من غير سبب يقتضي ذلك مثل أن يقال : ان كونه لم يزل متكلما بمشيئته أو فاعلا بمشيئته ، بل لم يزل قادراً (هو ممتنع) وانه يمتنع وجود حوادث لا أول لها ، فهذا المعنى هو الذي يعنيه أهل الكلام من الجهمية والمعتزلة ومن اتبعهم بحدوث العالم ، وقد يحكونه عن أهل الملل ، وهو بهذا المعنى لا يوجد في القرآن ، ولا غيره من كتب الأنبياء . (والمعنى الثالث) الذي أحدثه الملاحدة كابن سينا (٤٢٨ هـ) وأمثاله ، قالوا : نقول: العالم مُحدَث ، أي معلول لعلة قديمة أزلية ، أوجبته فلم يزل معها ، وسمّوا هذا : الحدوث الذاتي ، وغيره : الحدوث الزمني . والتعبير بلفظ الحدوث عن هذا المعنى لا يعرف عن أحد من أهل اللغات لا العرب ولا غيرهم ، إلاّ من هؤلاء الذين ابتدعوا لهذا اللفظ هذا المعنى . والقول بأنّ العالم مُحدَث بهذا المعنى فقط ، ليس قول أحد من الأنبياء ولا أتباعهم ، ولا أمة من الأمم العظيمة ، ولا طائفة من الطوائف المشهورة .

(ص ٧١) وإن قال الملحد : بل هذا العالم المشهود قديم ، واجب بنفسه غنيّ عن الصانع ، فقد أثبت واجباً بنفسه قديمًا أزليا هو جسم حامل الأعراض ، متحيز في الجهات ، تقوم به الأكوان وتحله الحوادث والحركات ، وله أبعاض وأجزاء ، فكان ما فرّ منه من إثبات جسم قديم قد لزمه مثله وما هو أبعد منه ، ولم يستفد بذلك الإنكار إلاّ جحد الخالق ، وتكذيب رسله ، ومخالفة صريح المعقول ، والضلال المبين .

حدوث العالم

(ص ٧٣) إن مسألة حدوث العالم اعترف بها أكابر النظّار من المسلمين وغير المسلمين ، حتى انّ موسى بن ميمون (أبو عمران) صاحب (دلالة الحائرين)

(سنة ٦٠١ هـ — ١٢٠٤ م) ـ وهو في اليهود كأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) في المسلمين ـ يمزج الأقوال النبوية بالأقوال الفلسفية ويتأولها عليها ، حتى الرازي (سنة ٦٠٦ هـ) وغيره من أعيان النظّار اعترفوا بأنّ العلم بحدوث العالم لا يتوقف على الأدلة العقلية ، بل يمكن معرفة صدق الرسول قبل العلم بهذه المسألة .

قيام الصفات بالموصوفات

(ص ١٧٨) المعقول هو قيام الصفات بالموصوفات ، والأعراض بالجواهر ، كالصورة الصناعية مثل صورة الخاتم والدرهم والسرير والثوب ، فانه عرض قائم بجوهر هو الفضة والخشب والغزل ، وكذلك الاتصال والانفصال قائمان بمحل هو الجسم .

(ص ١٤) وليست الصفات خارجة عن مسمى الموصوف ، ولا زائدة على ذلك ، بل هي داخلة في مسمى اسمه . وكلام المتكلم ليس ببائن عنه .

(ص ٢٠) وأمّا الصفات الملازمة للموصوف في الخارج فكلها لازمة له ، لا تقوم ذاته مع عدم شيء عنها .

(ص ١٧٨) والخالق تعالى أولى أن تكون حقيقته هي وجوده الثابت الذي لا يشركه فيه أحد ، وهو نفس ماهيته التي هي حقيقته الثابتة في نفس الأمر . ولو قدّر انّ الوجود المشترك بين الواجب والممكن موجود فيهما في الخارج ، وان الحيوانية المشتركة هي بعينها في الناطق والأعجم ، كان يميز أحدهما عن الآخر بوجود خاصّ ، كما يتميز الإنسان بحيوانية تخصّه . كما أن السواد والبياض إذا اشتركا في مسمّى اللون يتميز أحدهما بلونه الخاصّ عن الآخر .

الموجود بنفسه والموجود بغيره

(ص ١٩٦) فالله تعالى هو الموجود الواجب بنفسه خالق لكل ما سواه ، وأمّا الهيئة الاجتماعية إن قدّر لها وجود في الخارج فهي حاصلة به أيضاً سبحانه

وتعالى . وأما المجموع الذي كل منهم مفتقر إلى مَن يبدعه ، وليس فيه موجود بنفسه ، فيمتنع أن يكون فاعلهم واحداً منهم ، لأنه لا بدّ له من فاعل ، ولو كان فاعلهم لكان فاعل نفسه وغيره من الممكنات .

كل موجود فإما موجود بنفسه وإما موجود بغيره ، والموجود بغيره لا يوجد إلاّ بالموجود بنفسه ، ثبت وجود الموجود بنفسه ، واذا سمّي هذا واجبا وهذا ممكنا ، كان ذلك أمراً لفظيا .

الذات مستلزمة للصفات

وأكثر العقلاء من طوائف المسلمين وغيرهم ينكرون الجوهر الفرد ، حتى الطوائف الكبار من أهل الكلام ، وأئمة أهل السنة والحديث من أصحاب الأئمة الأربعة وغيرهم يثبتون الصفات الخبرية . هناك ذات موصوفة بصفات لازمة له . فاذا قال القائل : كل موصوف بصفات لازمة له يفتقر الى مركّب ومؤلف ، يجمع بين الذات والصفات كان قوله باطلا . وانّ هنا ذاتاً موصوفة بصفات ، ولا دليل لك على أن الذات القديمة الواجبة المستلزمة للصفات مفتقرة إلى مَن يركّب صفاتها فيها . فقد علمتم أنه ليس المراد بالمركّب إلاّ اتصاف الذات بصفات لازمة لها ، أو وجود معان فيها ، أو اجتماع معان وأمور ونحو ذلك ؛ ليس المراد أنّ هناك مركّبا ركبه غيره ، حتى يقال : إن المركّب يحتاج إلى مركّب ، بل إنّ الذات ، إن أريد بها الذات الموجودة في الخارج ، فتلك مستلزمة اصفاتها ، يمنع وجودها بدون تلك الصفات .

موافقة المعقولات للسمعيات

(ص ٢١٤) إنّ هذه المعقولات التي اضطرب فيها أكابر النظار وهي عندهم أصول العلم الإلهي ، إذا حققت غاية التحقيق تبين أنها موافقة لما قاله أئمة السنة والحديث ، العارفون بما جاءت به الرسل ، وتبين أنّ خلاصة المعقول خادمة

ومعينة وشاهدة لما جاء به الرسول (ﷺ) . ونحن ـ ولله الحمد ـ قد بينا الجواب عن جميع حجج الفلاسفة في غير هذا الموضع ، وبسطنا الحجج في ذلك .

(ص ٢١٧) وهذا مما تبين به أنه ليس في العقل الصريح ما يخالف النصوص الثابتة عن الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم وهو المقصود ، والذين يعارضون الكتاب والسنة بما يزعمون أنه من العقليات القاطعة ، إنما يعارضونه بمثل هذه الحجج الداحضة ، فكلُّ مَن لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم لم يكن أعطى الإسلام حقَّه ، ولا وفى بواجب العلم والإيمان . وكلُّ من جحد القضايا الضرورية المستقرة في عقول بني آدم التي لم ينقلها بعضهم عن بعض كان سوفسطائيا (١) .

المعقول ، مطابق لما جاء به الرسول

(ص ٢٣٢) وهؤلاء أهل الكلام المخالفون للكتاب والسُّنَّة الذين ذمَّهم السلف والأئمة ، لا قاموا بكمال الإيمان ، ولا بكمال الجهاد ، بل أخذوا يناظرون أقواماً من الكفار وأهل البدع الذين هم أبعد عن السنة منهم بطريق لا يتمُّ إلاّ بردّ بعض ما جاء به الرسول وهي لا تقطع أولئك الكفار بالمعقول ، فلا آمنوا بما جاء به الرسول حقَّ الإيمان ، ولا جاهدوا الكفار حقَّ الجهاد .

(ص ٢٣٢) وتبيَّن أن المعقول الصريح مطابق لما جاء به الرسول لا يناقضه ولا يعارضه ، وأنه بذلك تبطل حجج الملاحدة ، وينقطع الكفار ، فتحصل مطابقة العقل للسمع ، وانتصار أهل العلم والإيمان ، على أهل الضلال والإلحاد .

وقد كنت قديماً ذكرت في بعض كلامي أني تدبرت عامة ما يحتج به النفاة

---

(١) السوفسطائية أنكروا كلاًّ من الحسيَّات والبديهيات فقالوا بعدم الجزم في كلٍّ منها . وسوفا معناه : العلم والحكمة ، و « اسْطا » معناه المزخرف والغلط ، ومنه اشتقت السفسطة ، كما اشتقت الفلسفة من فيلاسوف : أي محب الحكمة .

من النصوص فوجدتها على نقيض قولهم أدلّ منها على قولهم كاحتجاجهم على نفي الرؤية بقوله تعالى : «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار» فبينت أن الادراك هو الاحاطة لا الرؤية ، وأن هذه الآية تدلّ على إثبات الرؤية أعظم من دلالتها على نفيها .

إثبات الصانع وإحداثه للمحدَثات لا يمكن إلا بإثبات صفاته وأفعاله

وإذا تدبَّر العاقل الفاضل تبيَّن له أنّ إثبات الصانع وإحداثه للمحدثات ، لا يمكن إلاّ باثبات صفاته وأفعاله ، ولا تنقطع الدهرية[1] من الفلاسفة وغيرهم قطعاً باتاً عقليا لا صلة فيه إلاّ على طريقة السلف أهل الاثبات ، للأسماء والأفعال والصفات . ففحول أهل الكلام كأبي علي (سنة ٣٠٣ هـ) وأبي هاشم (٣٢١ هـ) والقاضي عبد الجبار (سنة ٤٥١ هـ) وأبي الحسن الأشعري (سنة ٣٢٣ هـ) والقاضي أبي بكر (سنة ٤٠٣ هـ) وأبي الحسين البصري (سنة ٤٣٦ هـ) ومحمد بن الهيضم وأبي المعالي الجويني (سنة ٤٧٨ هـ) ، وأبي الوفاء بن عقيل (سنة ٥١٥ هـ) وأبي حامد الغزالي (سنة ٥٠٦ هـ) وغيرهم يبطلون طرق الفلاسفة التي بنوا عليها النفي ، منهم من يبطل أصولهم المنطقية ، وتقسيمهم الصفات إلى ذاتي وعرضي وتقسيمهم العرضي إلى لازم للماهية وعارض لها ، ودعواهم أنّ الصفات اللازمة للموصوف منها ما هو ذاتي داخل في الماهية ومنها ما هو عرضي خارج عن الماهية ، وبناءهم توحيد واجب الوجود الذي مضمونه نفي الصفات على هذه الأصول .

(ص ٢٥٩) وبعض حذاق المعتزلة نصر القول بعلو الله ومباينته لخلقه بالأدلة العقلية ، وأظنه من أصحاب أبي الحسين ، وقد حكى ابن رشد (سنة ٥٩٥ هـ) ذلك عن أئمة الفلاسفة ، وأبو البركات وغيره من الفلاسفة يختارون قيام الحوادث به كإرادات وعلوم متعاقبة ، وقد ذكروا ذلك وما هو أبلغ منه عن متقدمي الفلاسفة كما ذكرت أقوالهم .

---

(١) الدهرية : هم المنكرون للبعث والمعاد ، القائلون : «وما يهلكنا إلاّ الدهر» أي إلاّ مرّ الليالي والأيام .

(ج ٣ ص ٦٨) إنّ الاستدلال بحدوث المحدثات على إثبات الصانع هي طريقة فطرية ضرورية ، وهي خيار ما عندهم ، بل ليس عندهم طريقة صحيحة غيرها ، لكنهم أدخلوا فيها من الاختلال والفساد ، ما يعرفه أهل التحقيق والانتقاد ، الذين آتاهم الله الهدى والسداد .

تكليم الله تعالى لعباده

الناس متنازعون في تكليم الله لعباده ، هل هو مجرد إدراك لهم من غير تجدد تكليم من جهته ، أم لا بد من تجديد تكليم من جهته ، ؟ على قولين للمنتسبين إلى السنة وغيرهم من أصحاب أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد وغيرهم ، فالأول قول الكُلّابية [1] والسالمية ومن وافقهم من أصحاب هؤلاء الأئمة القائلين بأنّ الكلام لا يتعلق بمشيئته وقدرته ، بل هو بمنزلة الحياة . والثاني قول الأكثرين من أهل الحديث والسنة ، من أصحاب هؤلاء الأئمة ، وغيرهم وهو قول أكثر أهل الكلام من المرجئة [2] والكرّامية [3] والمعتزلة وغيرهم ، قالوا : ونصوص الكتاب والسنة تدل على هذ القول ، ولهذا فرّق الله بين إيحائه وتكليمه كما ذكر في سورة النساء وسورة الشورى ، والأحاديث التي جاءت بأنه يكلم عباده يوم القيامة ويحاسبهم .

الحوادث والمتجددات

(ج ٤ ص ١٧) ذكر (أي الآمدي) (سنة ٦٣١ هـ) أنّ لفظ الحادث مرادهم به الموجود بعد العدم ، سواء أكان قائماً بنفسه كالجوهر ، أو صفة لغيره

(١) قال ابن كلاب ومن وافقه : كلامه تعالى صفة ذات ، لازم لذاته كلزوم الحياة ، ليس هو متعلقا بمشيئته وقدرته ، بل هو قديم كقدم الحياة .

(٢) لُقّبوا بالمرجئة لأنهم يرجئون العمل عن النية والاعتقاد ، أي يؤخرون ، أو لأنهم يقولون لا يضر مع الإيمان معصية ، كما لاتنفع مع الكفر طاعة .

(٣) تُنسب الفرقة الكرّامية إلى محمد بن كرّام (كجمّال) وقد نُسب إليه انه كان يقول : إنّ الإيمان قول بلا عمل (مات سنة ٢٥٥ هـ) .

كالأعراض ، وسمي ما ليس بموجود كالأحوال والسلوب والاضافات (متجددات)
وهذا الفرق أمر اصطلاحي ، وإلاّ فلا فرق بين معنى المتجدد ومعنى الحادث .

(ص ١٨) وأما المذاهب فيقال : لفظ الحوادث والمتجددات في لغة العرب يتناول أشياء كثيرة ، وربما أفهم أو أوهمَ في العرف استحالات كالأمراض والغموم والأحزان ونحوها ، اذا قيل فلان حدث به حادث ؛ وكثير منهم يعبّر بالأحداث عن المعاصي والذنوب ونحو ذلك .

صدورها عمن لا فعل له ولا صفة محال

(ص ١٠) فقولكم ـ (أي الفلاسفة والدهرية) ـ بصدور الحوادث المختلفة الدائمة عمن لا فعل له ولا صفة ولا يحدث منه شيء أعظم فساداً من قول مَن يقول : انه تارة تصدر منه الحوادث ، وتارة لا تصدر ، فإنه إن كان صدور الحوادث عنه من غير حدوث شيء فيه محالا ، فصدورها دائماً عنه من غير حدوث شيء فيه أشد استحالة .

نفاة الصفات لا مستند لهم

(ج ٤ ص ١٨) ومن المعلوم أنه لا يمكن أصلاً أن ينقل عن محمد (ﷺ) ولا عن إخوانه المرسلين كموسى وعيسى صلوات الله عليهما ما يدل على قول النفاة لا نصًّا ولا ظاهرا ، بل الكتب الالهية المتواترة عنهم والأحاديث المتواترة عنهم تدل على نقيض قول النفاة ، وتوافق قول أهل الاثبات ، وكذلك أصحاب رسول الله (ﷺ) والتابعون لهم باحسان ، وأئمة المسلمين أرباب المذاهب المشهوره ، وشيوخ المسلمين المتقدمون ، لا يمكن لأحد أن ينقل نقلاً صحيحا عن أحد منهم بما يوافق قول النفاة ، بل المنقول المستفيض عنهم يوافق قول أهل الاثبات . فنقل مثل هذا عن أهل الملة خطأ ظاهر ، ولكن أهل الكلام والنظر من أهل الملة ، تنازعوا في هذا الأصل لما حدث في أهل الملة مذهب

الجهمية نفاة الصفات ، وذلك بعد المائة الأولى في أواخر عصر التابعين ، ولم يكن قبل هذا يعرف من أهل الملة مَن يقول بنفي الصفات ، ولا بنفي الأمور الاختيارية القائمة بذاته تعالى .

(ص ٦٥) وحقيقة هؤلاء الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم من الأشعرية وغيرهم ، أنّ الربّ لم يزل معطلا ، لا يفعل شيئا ولا يتكلم بمشيئته وقدرته . ثم انه أبدع جواهر من غير فعل يقوم به ، وبعد ذلك ما بقي يخلق شيئا ، بل إنما تحدُث صفاتٌ تقوم بها ، ويدّعون أنّ هذا قول أهل الملل الأنبياء وأتباعهم ! !

اضطرابهم في مسمّى واجب الوجود

(ص ١٨٧) واعلم أنّ هؤلاء غلطوا في مسمّى واجب الوجود ، وفيما يقتضيه الدليل من ذلك حتى صاروا في طرفي نقيض ، فتارة يثبتونه ويجردونه عن الصفات حتى يجعلوه وجوداً مطلقا ، ثم يقولون : هو الوجود الذي في الموجودات ، فيجعلون وجود كلّ ممكن وحادث هو الوجود الواجب بنفسه ، كما يفعل ذلك محقق صوفيتهم كابن عربي (سنة ٦٣٨ هـ) ، وابن سبعين (سنة ٦٦٨ هـ) ، والقونوي (سنة ٧٢٩ هـ) ، والتلمساني (سنة ٦٩٠ هـ) وأمثالهم ؛ وتارة يشككون في نفس الوجود الواجب ، ويقدرون أن يكون كل موجود ممكنا بنفسه ، لا فاعل له ، وأن مجموع الوجود ليس فيه واجب بنفسه ، بل هذا معلول مفعول ، وهذا معلول مفعول ، وليس في الوجود إلاّ ما هو معلول مفعول ، فلا يكون في الوجود ما هو فاعل مستغن عن غيره ، فتارة يجعلون كل موجود واجبا بنفسه ، وتارة يجعلون كلّ موجود ممكنا بنفسه ، ومعلوم بضرورة العقل بطلان كلّ من القسمين ، وان من الموجودات ما هو حادث ، كان تارة موجوداً وتارة معدوما ، وهذا لا يكون واجبا بنفسه ، وهذا لا بدّ له من موجود واجب بنفسه . . . وأن يكون ما دخل في مسمّى نفسه من صفاته لازما له ، فاتصافه بصفاته سواء سمّي ذلك تركيبا أو لم يسمّ ، لا يمنع أن يكون واجبا بنفسه لا يفتقر إلى

أمرٍ خارج عنه ، ولهذا كانت صفاته واجبة الوجود بهذا الاعتبار ، وإنْ لزم من ذلك تعدّد واجب الوجود بهذا المعنى ، بخلاف ما إذا عُني به أنه الموجود الفاعل للممكنات ، فإنّ هذا واحد سبحانه لا شريك له .

(ص ٢٤٨) والمسلمون متفقون على أن الله سبحانه وتعالى ، وصفاته اللازمة لذاته ، لا يجوز عليها العدم .

(ص ١٩٤) وعامة ما يلبِّس به هؤلاء النفاة ألفاظ مجملة متشابهة ، إذا فسرت معانيها ، وفُصِل بين ما هو حق منها ، وبين ما هو باطل ، زالت الشبهة وتبين أنّ الحق الذي لا محيد عنه ، هو قول أهل الإثبات للمعاني والصفات .

إنّ مَن شكّ في أوضح الأمرين وأبينهما في العقل ، وفي أمر لم يشكّ أحد من الأولين والآخرين فيه ، كان أولى بالجهل ممن قال ما قالت به الأنبياء والرسل وأتباعهم وسائر عقلاء بني آدم من الأولين والآخرين ، وعُلم ثبوته بالبراهين اليقينية ، وذلك أنه لم يجوز أحد من بني آدم ، وجود فاعل للعالم ، ولذلك الفاعل فاعل ، إلى ما لا نهاية له من غير أن يكون هناك فاعل موجود بنفسه ، فمن شك في جواز هذا ، أو عجز عن جواب شبهة مجوّزه ، كان جهله بيّنا ، وكان أجهلَ من أخش الناس ، قولاً بالباطل المحض من التشبيه والتجسيم .

لا يؤخذ بلفظ مجمل مشتبه حتى يتبين معناه ، ويعلم المقصود منه

(ص ١٧٩) هؤلاء عمدوا إلى ألفاظ مجملة مشتبهة تحتمل في لغات الأمم معاني متعددة ، وصاروا يدخلون فيها من المعاني ما ليس هو المفهوم منها في لغات الأمم ، ثم ركبوها وألفوها تأليفاً طويلا بنَوا بعضه على بعض وعظّموا قولهم وهوّلوه في نفوس مَن لم يفهمه ، ولا ريب أنّ فيه دقةً وغموضا لما فيه من الألفاظ المشتركة ، والمعاني المشتبهة . ولهذا يجب على مَن يريد كشف ضلال هؤلاء وأمثالهم أن لا يوافقهم على لفظ مجمل حتى يتبين معناه ويعرف مقصوده ، ويكون الكلام في المعاني العقلية المبيَّنة ، لا في معانٍ مشتبهة ، بألفاظ مجملة .

(ص ١٨٠) وما تنازع فيه الأمة من الألفاظ المجملة كلفظ المتحيز والجهة والجسم والجوهر والعرض وأمثال ذلك ، فليس على أحد أن يقبل مسمى اسم من هذه الأسماء ، لا في النفي ولا في الإثبات ، حتى يتبين له معناه .

فلسفة المعتزلة والجهمية في نفي الصفات والأفعال

(ص ١٨٧) إنّ المعتزلة والجهمية نفت أن يقوم بالله تعالى صفات وأفعال بناءاً على هذه الحجة ، قالوا لأنّ الصفات والأفعال لا تقوم إلاّ بجسم ، وبذلك استدلوا على حدوث الجسم ... فصاروا ينفون ما ينفونه من صفات الله تعالى لأنّ إثبات ذلك يقتضي أن يكون الموصوف جسما ، وذلك ممتنع ، لأنّ الدليل على إثبات الصانع إنما هو حدوث الأجسام ، فلو كان جسماً لبطل دليل إثبات الصانع .

وقالت المعتزلة كأبي الحسين وغيره أيضاً : إنّ صدق الرسول معلوم بالمعجزة ، والمعجزة معلومة بكون الله تعالى لا يظهرها على يد كاذب ... وغناه معلوم بكونه ليس بجسم ، وكونه ليس بجسم معلوم بنفي الصفات ، فلو قامت به الصفات لكان جسماً ، ولو كان جسما لم يكن غنيا ، واذا لم يكن غنيا لم يمتنع عليه فعل القبيح ، فلا يؤمن أن يظهر المعجزة على يد كذاب ، فلا يبقى لنا طريق إلى العلم بصدق الرسول ، فهذا الكلام ونحوه أصل دين المعتزلة .

(ص ١٨٩) وجمهور العقلاء ، وأهل العلم من الفقهاء وغيرهم متفقون على بطلان قولهم ، وأنّ الله تعالى يحدث الأعيان ويبدعها ، وإن كان يحيل الجسم الأول الى جسم آخر ، فلا يقولون إنّ جرم النطفة باق في بدن الإنسان ، ولا جرم النواة باق في النخلة ، والكلام على هذه الأمور مبسوط في غير هذا الموضع . والمقصود هنا أنّ هذه القواطع العقلية ، هي التي يعارضون بها الكتب الإلهية ، والنصوص النبوية ، وما كان عليه سلف الأمة وأئمتها . فيقال لهم : أنتم وكل مسلم عالم ، تعلمون بالاضطرار أن إيمان السابقين الأولين من المهاجرين

والأنصار والذين اتبعوهم باحسان ، لم يكن مبنيا على هذه الحجج المبنيـة على الجسم ، ولا أمر النبي أحداً أن يستدل بذلك على إثبات الصانع ، ولا ذكر الله تعالى في كتابه وفي آياته الدالة عليه وعلى وحدانيته شيئا من هذه الحجج المبنية على الجسم والعرض ، وتركيب الجسم وحدوثه ، وما يتبع ذلك ، فمن قال : إنّ الايمان بالله ورسوله لا يحصل إلاّ بهذه الطريق ، كان قوله معلوم الفساد بالاضطرار من دين الاسلام .

وأما السلف والأئمة فينكرون صحتها في نفسها ويعيبونها لاشتمالها على كلام باطل ، ولهذا تكلموا في ذم مثل هذا الكلام ، لأنه باطل في نفسه لا يوصل الى حقٍّ بل الى باطل . . . وان تقديم الشرع المعارض لها لا يكون قدحاً في العقليات التي هي أصل الشرع ، بل يكون قدحاً في أمور لا يفتقر الشرع اليها ولا يتوقف عليها وهو المطلوب .

أول من أظهر هذا النفي فى الإسلام

وأول من أظهر هذا النفي في الاسلام الجعد بن درهم معلم مروان بن محمد (سنه ١٣٢ هـ) ، قال الامام أحمد : وكان يقال انه من أهل خراسان ، وعنه أخذ الجهم بن صفوان مذهب نفاة الصفات ، وكان بحرّان هؤلاء النفاة الصابئة الفلاسفة أهل هذا الدين أهل الشرك ونفي الصفات والأفعال ، ولهم مصنفات في دعوة الكواكب ، كما صنفه ثابت بن قرة (سنة ٢٨٨ هـ) وأمثاله من الصابئة الفلاسفة أهل حرّان ، وكما صنفه أبو معشر الفلكي (سنة ٢٧٢ هـ) وأمثاله ، وكان لهم بها هيكل العلة الأولى ، وهيكل العقل الفعّال ، وهيكل النفس الكلية ، وهيكل زحل ، وهيكل المشتري ، وهيكل المريخ ، وهيكل الشمس ، وهيكل الزهرة ، وهيكل عطارد ، وهيكل القمر .

فالعقول عندهم عشرة ، والنفوس تسعة بعدد الأفلاك .

نفي الجبر وإثبات القدَر

(ج ١ ص ٣٥) عن بقية بن الوليد (سنة ١٩٧ هـ) قال : سألت الزُّبَيدي (سنة ١٤٩ هـ) والأوزاعيّ (سنة ١٥٧ هـ) عن الجبر ، فقال الزبيدي : أمر الله أعظم وقدرته أعظم من أن يجبر أو يعضل ، ولكن يقضي ويقدّر ، ويخلق ويجبل عبده على ما أحبّ ، وقال الأوزاعيّ : ما أعرف للجبر أصلاً من القرآن ، ولا السنة ، فأهاب أن أقول ذلك ، ولكن القضاء والقدر والخلق والجبل ، فهذا يعرف في القرآن والحديث عن رسول الله (ﷺ) ، فهذان الجوابان أحسن الأجوبة . أما الزبيدي محمد بن الوليد صاحب الزهري (سنة ١٢٤ هـ) فانه قال : أمر الله أعظم ، ويريدون بعضلها – أي النفس – منعها مما ترضاه . وأمّا الأوزاعيّ فانه منع من إطلاق هذا اللفظ حيث لم يكن له أصل في الكتاب والسنة ، فيُفضي إلى إطلاق لفظ مبتدع ظاهر في إرادة الباطل .

(ص ٣٦) قال النبي (ﷺ) لأشج عبد القيس : إنّ فيك لخصلتين يحبها الله ، الحلم والأناة ، فقال : أخُلُقين تخلقتُ بهما أم خُلُقين جُبلت عليهما؟ فقال : بل خُلُقين جبلتَ عليهما ، فقال : الحمد لله الذي جبلني على خُلقين يحبهما الله « رواه مسلم » .

(ص ٣٩) وبذلك يتبين أن الشارع عليه السلام نصّ على كل ما يعصم من المهالك نصًّا قاطعا للعذر ، وقال تعالى : « وما كان الله ليضل قوماً بعد إذ هداهم ، حتى يبين لهم ما يتقون » .

الإسلام يجمع الفِرَق ويعمُّها

(ص ٥٠) قال الشيخ أبو الحسن الأشعري في أول مقالات اختلاف الاسلاميين : اختلف المسلمون بعد نبيهم في أشياء ضلل فيها بعضهم بعضا ، وتبرأ بعضهم من بعض ، إلا أنّ الاسلام يجمعهم فيعمّهم ، فهذا مذهبه وعليه أكثر الأصحاب ،

وأما الفقهاء فقد نقل عن الشافعي رضي الله تعالى عنه قال : لا أردُّ شهادة أهل الأهواء إلاّ الخطّابية[1] ، فإنهم يعتقدون حلّ الكذب . وأما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه ، فقد حكى الحاكم صاحب المختصر في كتاب المنتقى عن أبي حنيفة رضي الله عنه أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة ... والذي نختاره أن لا نكفّر أحداً من أهل القبلة .

(ج ٢ ص ٥٢) ثم إنه ما من هؤلاء إلا مَن له في الإسلام مساع مشكورة ، وحسنات مبرورة ، وله في الردّ على كثير من أهل الإلحاد والبدع ، والانتصار لكثير من أهل السنة والدين ما لا يخفى على مَن عرَف أحوالهم ، وتكلم فيهم بصدق وعدل وإنصاف .

وصف القرآن الكريم في الحديث النبوي

(ص ٢٩) رَوى الترمذي (سنة ٢٧٩ هـ) وغيره عن علي (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (ﷺ) : إنها ستكون فِتَن ، قلت : فما المخرج منها يا رسول الله ؟ قال : « كتاب الله ، فيه نبأ ما قبلكم ، وخبرُ ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل ، من تركه من جبّار قصمه الله ، ومَن ابتغى الهُدى في غيره أضلّه الله ، وهو حبلُ الله المتين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسن ، ولا يخلق عن كثرة الردّ ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء .. مَن قال به صُدِّق ، ومن عمل به أُجر ، ومن حكم به عَدَل ، ومن دعا إليه هُدِي إلى صراط مستقيم » .

(١) الخطابية : أصحاب أبي الخطاب محمد بن أبي زينب الأسدي الأجدع ، وهو الذي عزا نفسه إلى أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق ، فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه ، تبرأ منه ولعنه وأخبر أصحابه بالبراءة منه ، وشدّد القول في ذلك ، . . . فلما اعتزل عنه ادّعى الأمر لنفسه . زعم أبو الخطاب أن الأئمة أنبياء ثم آلهة ، وقال بالهية جعفر بن محمد والهية آبائه (انظر الملل والنحل للشهرستاني) .

الترجمة التفسيرية للقرآن

ولذلك يترجم القرآن لمن يحتاج إلى تفهمه إياه بالترجمة ، وكذلك يقرأ المسلم ما يحتاج إليه من كتب الأمم وكلامهم بلغتهم ، ويترجم بالعربية ، كما أمر النبيُّ (ﷺ) زيدَ بن ثابت (سنة ٤٥ هـ) أن يتعلَّم كتاب اليهود ليقرأ له ويكتب له ذلك ، حيث لم يأمن اليهود عليه .

إثبات الإرادة الأزلية والعلة الفاعلية والغائية

(ص ٢٠٣) الأشعرية أثبتوا السبب الفاعل لإرادة العبد ، وأثبتوا لله إرادة قديمة تتناول جميع الحوادث ، ولكن لم يثبتوا لها الحكمة المطلوبة والعاقبة المحمودة ، فكان هؤلاء بمنزلة من أثبت العلة الفاعلية دون الغائية ، وأولئك بمنزلة العلة الغائية دون الفاعلية . والمتفلسفة المشاؤون يدعون إثبات العلة الفاعلية والغائية ، ويعللون ما في العالم من الحوادث بأسباب وحكم ... وحقيقة قولهم : إن أفعال الرب تعالى ليس فيها حكمة ولا عاقبة محمودة ، لأنهم ينفون الإرادة ، ويقولون ليس فاعلاً مختاراً .

حدوث ما يُحدثه تعالى من المخلوقات تابع لأفعاله الاختيارية

(ج ٢ ص ٣) حدوث ما يحدثه الله تعالى من المخلوقات تابع لما يفعله من أفعاله الاختيارية القائمة بنفسه ، وهذه سبب الحدوث والله تعالى حيٌّ قيوم ، لم يزل موصوفاً بأنه يتكلم بما يشاء فعَّال لما يشاء ، وهذا قد قاله العلماء الأكابر من أهل السنة والحديث ، ونقلوه عن السلف والأئمة ، وهو قول طوائف كثيرة من أهل الكلام والفلسفة المتقدمين والمتأخرين ، بل هو قول جمهور المتقدمين من الفلاسفة ، وعلى هذا فيزول الإشكال ، ويكون إثبات خلق السموات إنما يتمّ بما جاء به الشرع ... وكل كمال وصف به المخلوق من غير استلزامه لنقص ، فالخالق أحقُّ به ، وكلُّ نقص نزّه عنه المخلوق فالخالق أحقّ أن ينزّه

عنه ، والفعل صفة كمال لا صفة نقص ، كالكلام والقدرة ، وعدم الفعل صفة نقص كعدم الكلام وعدم القدرة ، فدلّ العقل على صحة ما دلّ عليه الشرع وهو المطلوب .

ولمّا كان الإثبات هو المعروف عند أهل السنة والحديث كالبخاري (سنة ٢٥٦ هـ) وأبي زرعة (سنة ٢٦٤ هـ) وأبي حاتم (سنة ٢٧٧ هـ) ومحمد بن يحيى الذهلي (سنة ٢٥٨ هـ) وغيرهم من العلماء الذين أدركهم محمد بن اسحق (سنة ٣١٣ هـ) وابن خزيمة (سنة ٣١١ هـ) ، كان المستقر عنده ما تلقاه عن أئمته من أنّ الله تعالى ، لم يزل متكلماً إذا شاء ، وانه يتكلم بالكلام الواحدِ مرةً بعد مرّةٍ .

الكشف عن مذهب المعتزلة وبيان حقيقته

(ص ٦) كانت المعتزلة تقول : إنّ الله مُنَزّه عن الأعراض والأبعاض والحوادث والحدود ، ومقصودهم نفيُ الصفات ونفيُ الأفعال ، ونفيُ مباينته للخلق وعلوّه على العرش ، وكانوا يعبّرون عن مذاهب أهل الإثبات أهل السنة بالعبارات المجملة التي تشعر الناس بفساد المذهب ، فانهم إذا قالوا إن الله مُنزّه عن الأعراض لم يكن في ظاهر هذه العبارة ما يُنكَر ، لأن الناس يفهمون من ذلك أنه مُنَزّه عن الاستحالة والفساد ، كالأعراض التي تعرض لبني آدم من الأمراض والأسقام ، ولا ريب أنّ الله مُنَزّه عن ذلك ، ولكن مقصودهم أنه ليس له علم ولا قدرة ولا حياة ولا كلام قائم به ولا غير ذلك من الصفات التي يسمّونها هم أعراضا . وكذلك إذا قالوا : إن الله مُنَزّه عن الحدود والأحياز والجهات ، أوهموا الناس أنّ مقصودهم بذلك أنه لا تحصره المخلوقات ، ولا تحوزه المصنوعات ، وهذا المعنى صحيح ، ومقصودهم أنه ليس مباينًا للخلق ولا منفصلا عنه ، وأنه ليس فوق السموات ربّ ولا على العرش إله ، وأنّ محمداً لم يعرج به إليه ، ولم ينزل منه شيء ، ولا يصعد إليه شيء ، ولا يتقرب اليه شيء ولا يتقرب إلى شيء ولا ترفع اليه الأيدي في الدعاء ولا غيره ،

ونحو ذلك من معاني الجهمية . وإذا قالوا إنه ليس بجسم أوهموا أنه ليس من جنس المخلوقات ، ولا مثل أبدان الخلق ، وهذا المعنى صحيح ، ولكنّ مقصودهم بذلك أنه لا يرى ولا يتكلم بنفسه ، ولا تقوم به صفة ، ولا هو مباين للخلق وأمثال ذلك . وإذا قالوا : لا تحله الحوادث أوهموا الناس أن مرادهم أنه لا يكون محلاً للتغيرات والاستحالات ونحو ذلك من الأحداث التي تحدث للمخلوقين فتحيلهم وتفسدهم ، وهذا معنى صحيح ، ولكنّ مقصودهم بذلك أنه ليس له فعل اختياري يقوم بنفسه ، ولا له كلام ولا فعل يقوم به يتعلق بمشيئته وقدرته ، وأنه لا يقدر على استواء أو نزول أو إتيان ، أو مجيء ، وأن المخلوقات التي خلقها لم يكن منه عند خلقها فعل أصلاً ، بل عين المخلوقات هي الفعل ، ليس هناك فعل ومفعول ، وخالق ومخلوق ، بل المخلوق عين الخلق ، والمفعول عين الفعل ونحو ذلك . وابن كلاب ومن اتبعه وافقوهم على هذا وخالفوهم في إثبات الصفات .

الإمام الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى

وكذلك الأشعري يثبت الصفات بالشرع تارة وبالعقل أخرى ، ولهذا يثبت العلوّ ونحوه مما تنفيه المعتزلة ، ويثبت الاستواء على العرش ، ويردّ على مَن تأوله بالاستيلاء ونحوه مما لا يختص بالعرش - أي هو تعالى مستول على كل شيء من مخلوقاته لا على العرش وحده ، وهو العالي على كل شيء ، المحيط بكل شيء في جميع أحواله من نزوله وارتفاعه ، لا يحيط به شيء ، ولا يحتوي عليه شيء . وكان الأشعري وأئمة أصحابه يقولون انهم يحتجون بالعقل لما عُرف ثبوته بالسمع ، فالشرع هو الذي يعتمد عليه في أصول الدين ، والعقل عاضد له معاون . لكن المعتزلة القائلون بأن دلالة السمع موقوفة على صحته صرحوا بأنه لا يستدل بأقوال الرسول على ما يجب ويمتنع من الصفات بل ولا الأفعال ، وصرحوا بأنه لا يجوز الاحتجاج على ذلك بالكتاب والسنة وإنْ وافق العقل فكيف إذا خالفه . وهذه الطريقة هي التي سلكها من وافق المعتزلة في ذلك . وأما الأشعري وأئمة

أصحابه فإنهم مثبتون لها (أي الصفات الخبَرية) يردّون على مَن ينفيها أو يقف فيها فضلاً عمن يتأولها .

وأمّا مسألة قيام الأفعال الاختيارية به فإنّ ابن كُلاّب والأشعريّ وغيرهما ينفونها ، وعلى ذلك بنوا قولهم في مسألة القرآن ، وبسبب ذلك وغيره تكلم الناس فيهم في هذا الباب بما هو معروف في كتب أهل العلم ونسبوهم إلى البدعة . والصواب إنّ الله بجميع صفات ذاته واحد ، لم يزل ولا يزال ، وما أضيف إلى الله من صفات فعله مما هو غير بائن عن الله فغير مخلوق .

التفاسير المأثورة مثبتة للصفات

والتفاسير المأثورة عن النبي صلوات الله عليه والصحابة والتابعين مثل تفسير محمد بن جرير الطبري (سنة ٣١٠ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن ابراهيم المعروف بدُحَيم (سنة ٢٤٥ هـ) ، وتفسير عبد الرحمن بن أبي حاتم (سنة ٣٢٧ هـ) ، وتفسير ابن المنذر (سنة ٣٠٩ هـ) ، وتفسير أبي بكر عبد العزيز ، وتفسير أبي الشيخ الأصبهاني ، وتفسير أبي بكر مردويه ، وما قبل هؤلاء من التفاسير مثل تفسير أحمد بن حنبل (سنة ٢٤١ هـ) ، واسحق بن إبراهيم (سنة ٢٣٨ هـ) وبقي بن مخلد (سنة ٢٧٦ هـ) وغيرهم . ومن قبلهم مثل تفسير عبد بن حميد ، وتفسير عبد الرزاق (سنة ٢١١ هـ) ، ووكيع بن الجرّاح (سنة ١٩٧) ، فيها من هذا الباب الموافق لقول المثبتين ما لا يكاد يحصى . وكذلك الكتب المصنفة في السنة التي فيها آثار النبيّ (ﷺ) والصحابة والتابعين .

خلاصة ما تقدم

الردّ بعشرات الآيات على مَن يقول : إن الله تعالى لا يتكلّم إلا بأصوات قديمة أزلية ليست متعاقبة وهو لا يقدر على التكلّم بها ، ولا له في ذلك مشيئة ولا فعل (٦٠ — ٦٣ ج ٢) وقد جاء في آخرها قوله : وأمثال ذلك كثير في كتاب الله تعالى ، بل يدخل في ذلك عامة ما أخبر الله به من أفعاله لا سيما

المرتبة كقوله تعالى : «ولسوف يعطيك ربك فترضى» ، «وهو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده» ، «ألم نهلك الأولين ثم نتبعهم الآخرين» وآيات كثيرة كلها تدلّ على أفعال الله تعالى بالتعاقب والترتيب .

(ص ٦٠) وخلاصة هذا المبحث الطويل الجليل هو في قوله : لكن المقصود هنا أن نبين أنّ القرآن والسنة فيهما من الدلالة على هذا الأصل ما لا يكاد يُحصر ، فمن له فهم في كتاب الله يستدلُّ بما ذكر من النصوص على ما ترك ، ومَن عرف حقيقة قول النفاة علم أنّ القرآن مناقض لذلك مناقضة لا حيلة لهم فيها ، وأن القرآن يثبت ما يقدر عليه ويشاؤه من أفعاله تعالى التي ليست هي نفس المخلوقات .

كلام هؤلاء الطوائف

من تدبّر كلام هؤلاء الطوائف بعضهم مع بعض تبين له أنهم لا يعتصمون فيما يخالفون به الكتاب والسنة إلاّ بحجة جدلية يسلّمها بعضهم لبعض ، وآخر منتهاهم حجة يحتجون بها في إثبات حدوث العالم لقيام الأكوان به أو الأعراض ، ونحو ذلك من الحجج التي هي أصل الكلام المحدَث الذي ذمّه السلف والأئمة ، وقالوا إنه جهل ، وان حكم أهله أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ؟ ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ؛ وكذا مَن عرف حقائق ما انتهى إليه هؤلاء الفضلاء الأذكياء ازداد بصيرة وعلما ويقينا بما جاء به الرسول (ﷺ) ، وبأن ما يعارضون به الكتاب والسنّة من كلامهم الذي يسمونه عقليات ، هي من هذا الجنس الذي لا يتفق إلاّ بما فيه من الألفاظ المجملة المشتبهة مع مَن قلّت معرفته بما جاء به الرسول ، وبطرق إثبات ذلك ؛ ويتوهم أنّ بمثل هذا الكلام يثبت معرفة الله وصدق رسله ، وأن الطعن في ذلك طعن فيما به يصير العبد مؤمنا ، فيتعجّل ردّ كثير مما جاء به الرسول (ﷺ) ، لظنه أنه بهذا الردّ يصير مصدّقاً للرسول في الباقي .

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يقع التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أنّ الربّ لم يزل معطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، بل ولا يمكنه عندهم أنّه لا يزال يتكلم بمشيئته ويفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم . وجعل هؤلاء من المعقول أنّه يمتنع دوام كونه قادرا على الكلام والفعل بمشيئته .

(ص ١١١) فاذا خلق في الشجرة « إني أنا الله رب العالمين » — ولم يقم هو به كلام — كان ذلك كلاماً للشجرة ، فتكون هي القائلة !! والحوادث لا تحلّ به تعالى من غير مشيئة ولا قدرة ، بل يفعلها بمشيئته وقدرته ، واتصافه بها واجب لأنها صفات كمال . والذات الموصوفة بصفاتها ، القادرة على أفعالها ، مستلزمة لما يلزمها من الصفات ، قادرة على ما تشاؤه من الأفعال .

نفي القول بخلق القرآن

(ص ١٢٣) إنّ الطريقة المعروفة التي سلكها الأشعري وأصحابه في مسألة القرآن هم ومن وافقهم على هذا الأصل من أصحاب أحمد وغيرهم كأبي الحسن التميمي ، والقاضي أبي يعلى (سنة ٤٥٨ هـ) وابن عقيل (سنة ٥٢٥ هـ) وأبي الحسن الزعفراني (سنة ٢٥٩ هـ) من أصحاب أحمد (سنة ٢٤١ هـ) . وكأبي المعالي (سنه ٤٧٨ هـ) وأمثاله وأبي القاسم الروامي ، وأبي سعيد المتولي (سنة ٤٧٨ هـ) وغيرهم من أصحاب الشافعي (سنة ٣٠٤ هـ) ؛ والقاضي أبي الوليد الباجي (سنة ٤٧٤ هـ) وأبي بكر الطرطوشي (سنة ٥٢٠ هـ) وأبي بكر بن العربي (سنة ٥٤٣ هـ) وغيرهم من أصحاب مالك (سنة ١٧٩) ، وكأبي منصور الماتريدي (سنة ٣٣٣ هـ) وميمون النسفي (سنة ٥٠٨ هـ) وغيرهما من أصحاب أبي حنيفة

(سنة ١٥٠ هـ) ، أنهم قالوا : لو كان القرآن مخلوقا للزم أن يخلقه إما في ذاته أو في محل غيره ، أو قائما بنفسه ، لا في ذاته ولا في محل آخر ، و(الأوّل) يستلزم أن يكون محلاً للحوادث ، و (الثاني) يقتضي أن يكون الكلام كلام المحل الذي خلق فيه فلا يكون ذلك الكلام كلام الله ، كسائر الصفات إذا خلقها في محل ، كالعلم والحياة والحركة واللون وغير ذلك . (والثالث) يقتضي أن تقوم الصفة بنفسها ، وهذا ممتنع . فهذه الطريقة هي عمدة هؤلاء في مسألة القرآن ؛ وقد سبقهم عبد العزيز المكي (سنة ٢٤٠ هـ) صاحب المحاورة المشهورة إلى هذا التقسيم ، وقد يظنّ الظانّ أن كلامهم هو كلامه بعينه ، وانه كان يقول بقولهم ان الله لا يقوم بذاته ما يتعلق بقدرته ومشيئته ، وان قوله من جنس قول ابن كلاب ؛ وليس الأمر على ذلك ، فانّ عبد العزيز هذا ، له في الردّ على الجهمية وغيرهم من الكلام ما لا يعرف فيه خروج عن مذهب السلف وأهل الحديث . وذكر طرفاً من هذه المناظرة التي جرت بحضور الخليفة المأمون بين عبد العزيز الكناني المكي وبشر المرّيسي (سنة ٢١٨ هـ) إلى أن قال عبد العزيز : وما كان قبل الخلق متقدما ، فليس هو من الخلق في شيء ثم قال : فقد كسرتُ قول بشر بالكتاب والسنة واللغة العربية ، والنظر والمعقول . ثم قال ابن تيمية ـ معلقا على كلام عبد العزيز وبشر ـ : والمقصود هنا أن ما قام بذاته ، لا يسميه أحد منهم مخلوقا ، سواء كان حادثا أو قديما ، وبهذا يظهر احتجاج عبد العزيز على بشر ، فإن بشراً من أئمة الجهمية نفاة الصفات ، وعنده : لم يقم بذات الله تعالى صفة ولا فعل ولا قدرة ولا كلام ولا إرادة ، بل ما ثمّ عنده إلاّ الذات المجرّدة عن الصفات والمخلوقات المنفصلة عنها كما تقول بذلك الجهمية من المعتزلة وغيرهم ، فاحتجّ عليه عبد العزيز بحجتين عقليتين ، (إحداهما) أنه إذا كان كلام الله مخلوقا ، ولم يخلقه في غيره ولا خلقه قائماً بنفسه ، لزم أن يكون مخلوقاً في نفس الله ، وهذا باطل ، و (الثانية) أنّ

المخلوقات المنفصلة عن الله خلقها الله بما ليس من المخلوقات ، إمّا القدرة كما أقرّ به بشر ، وإما فعله وأمره وإرادته كما قاله عبد العزيز ، وعلى التقديرين ثبت أنه كان قبل المخلوقات من الصفات ما ليس بمخلوق فبطل أصل قول بشر والجهمية أنه ليس لله صفة ، وأنّ كل ما سوى الذات المجرّدة فهو مخلوق ، وتبيّن أنّ الذات يقوم بها معان ليست مخلوقة ، وهذا حجة مثبتة الصفات للقائلين بأنّ القرآن كلام الله غير مخلوق على مَن نَفَى الصفات ، وقال بخلق القرآن .

قصور كثير من المصنفين في المقالات والمذاهب عن بلوغ الغاية

(ص ١٥٨) يوجد كثير من المتأخرين المصنفين في المقالات والكلام يذكرون ـ في أصل عظيم من أصول الإسلام ـ الأقوال التي يعرفونها ؛ وأمّا القول المأثور عن السلف والأئمة الذي يجمع الصحيح من كل قول ، فلا يعرفونه ولا يعرفون قائله ، فالشهرستاني صنّف الملل والنحل وذكر فيها من مقالات الأمم ما شاء الله . والقول المعروف عن السلف والأئمة لم يعرفه ولم يذكره ، والقاضي أبو بكر ، وأبو المعالي ، والقاضي أبو يعلى ، وابن الزعفراني ، وأبو الحسين البصري ، ومحمد بن الهيضم ، ونحو هؤلاء ، من أعيان الفضلاء المصنفين ، تجد أحدهم يذكر في مسألة القرآن أو نحوها عدة أقوال للأئمة ويختار واحداً منها ، والقول الثابت عن السلف والأئمة كالإمام أحمد ونحوه من الأئمة لا يذكره الواحد منهم ، مع أنّ عامة المنتسبين الى السنة من جميع الطوائف يقولون انهم متبعون للأئمة كمالك والشافعي وأحمد وابن المبارك (سنة ١٨١ هـ) وحمّاد بن زيد (سنة ١٧٩ هـ) وغيرهم لا سيما الإمام أحمد فانه بسبب المحنة المشهورة من الجهمية له ولغيره أظهرَ من السنة وردَّ من البدعة ما صار به إماماً لما بعده ، وقوله هو قول سائر الأمة ، فعامّة المنتسبين الى السنة يدّعون متابعته والاقتداء به ، سواء كانوا موافقين له في الفروع أو لا ، فان أصول الأئمة في أصول الدين متفقة ، ولهذا كلما اشتهر الرجل بالانتساب إلى السنة كانت موافقته لأحمد

أشدّ ، ولما كان الأشعري ونحوه أقرب الى السنّة من طوائف من أهل الكلام ، كان انتسابه إلى أحمد أكثر من غيره كما هو معروف في كتبه . . . والعصمة إنما هي ثابتة لمجموع الأمة ليست ثابتة لطائفة بعينها .

قول الحشوية المنتمين إلى الظاهر

(ص ١٥٩) ذهب الحشوية المنتمون إلى الظاهر إلى أنّ كلام الله تعالى قديم أزلي ، ثم زعموا أنه حروف وأصوات ، وقطعوا بأنّ المسموع من أصوات القرآء ونغماتهم عين كلام الله تعالى ؛ وأطلق الرعاع منهم القول بأنّ المسموع صوت الله تعالى عن قولهم . . . ومعلوم أنّ هذا القول لا يقوله عاقل يتصور ما يقول ، ولا نعرف هذا القول عن معروف بالعلم من المسلمين ، ولا رأينا في كتاب أحد أنّ المداد الحادث انقلب قديما ، ولا أن المداد الذي يكتب به القرآن قديم ، بل رأينا عامّة المصنفين من أصحاب أحمد وغيرهم ينكرون هذا القول ، وينسبون ناقله عن بعضهم إلى الكذب ، وأبو المعالي وأمثاله أجلّ من أن يتعمّدوا الكذب ؛ لكن القول المحكيّ قد يسمع من قائل لم يضبطه ، وقد يكون القائل نفسه لم يخبر قولهم ، بل يذكر كلاماً مجملاً يتناول النقيضين .

ما جاءت به الكتب والرسل هو الحق

(ص ٢٠٧) وهذا مما يبيّن أنّ ما جاءت به الرسل هو الحق ، وأنّ الأدلة العقلية الصريحة ، توافق ما جاءت به الرسل ، وأنّ صريح المعقول ، لا يناقض صحيح المنقول ، وإنما يدخل التناقض بين ما يدخل في السمع وليس منه ، وما يدخل في العقل وليس منه ، كالذين جعلوا من السمع أنّ الربّ لم يزل معطّلا عن الكلام والفعل ، لا يتكلم بمشيئته ، ولا يفعل بمشيئته ، فجعل هؤلاء هذا قول الرسل ، وليس هو قولهم .

(ج ٣ ص ٨١) فالتوراة مملوءة من وصف الله بمثل ذلك (أي من صفات

الكمال) وكذلك الإنجيل ، وسائر نبوات الأنبياء مثل الزبور ، ونبوة اشعياء وأرميا ، وأساطين الفلاسفة كانوا يقولون بذلك ، والسلف من الصحابة والتابعين ، وأهلُ الحديث متواتر عنهم ذلك .

علم مما تقدَّم أن الله تعالى كامل الصفات ، له الأسماء الحسنى ، ولا يكون عن الكامل في ذاته وصفاته إلاّ الفعل المحكم ، لكن تلك الفرَق جعلت قواعدها وأصولها محكمة ، وما أخبر به الرسول متشابها ، ثم أصَّلوا أصلاً في ردّ هذا المتشابه إلى المحكم ، وما أصَّلوه مخالف لصريح العقل وسليم الفطرة ، كما هو مخالف لما جاءت به الرسل عن الله .

قال الإمام ابن القيم : وقد كفانا شيخ الإسلام ابن تيمية هذا المقصد في عامَّة كتبه ، لا سيما كتابه الذي وسمه « ببيان موافقة العقل الصريح للنقل الصحيح » فمزّق فيه شملهم كلّ ممزّق ، وكشف أسرارهم وهتك أستارهم ، فجزاه الله عن الإسلام وأهله أفضل الجزاء . وقال أيضاً :

وجملة أمرهم أنهم في المسلمين كالزغل في النقود ، يروج على أكثر الناس لعدم بصيرتهم بالنقد ، ويعرف حاله الناقدُ البصير من الناس ، وقليل ما هم اهـ .

أقول وخاتمة القول في هذا الباب أنّ كلام الله ورسوله ، وكلام أئمة السنة والعلم ، هو أوضح تبياناً ، وأرسخ إيمانا ، وأوفى ميزانا ، يتآخى فيه العقل والنقل ، والطبع والشرع ، والفطرة والدين ، وأنه هو الأسلم ، والأعلم والأحكم ، وأنّ نفاة الأفعال والصفات ، يشبهونه سبحانه بالجمادات « سبحان ربّك رب العزة عما يصفون » .

محمد بهجة البيطار

ما سمعت وما رأيت
في بلاد السوفيت (١)
- ٤ -

المعرض الزراعي :

زرت هذا المعرض في اليوم الثالث من قدومنا الى موسكو ، وحق له أن يعد في طليعة المعارض الزراعية العالمية سعةً وتنسيقاً وتنظيماً . افتتح في صيف هذا العام ، والغاية منه على ما قيل الدعاوة لما تحقق من تقدم زراعي في البلاد وما تم على يد التعاونيات الزراعية من ازدهار في هذا المضمار .

وتبلغ المساحة التي يشغلها المعرض ٢٠٧ هكتار ويشتمل على ٣٦٠ بناء موزعة على جمهوريات الاتحاد الست عشرة في جانب المباني الرئيسية التي تمثل المصالح العامة . وقد عمل في إخراجه الى حيز الوجود أربعة آلاف من المهندسين المعماريين والرسّامين والنحاتين ورؤساء الحرف من جمهوريات الاتحاد كافة .

ويفتح المعرض الزراعي أبوابه في أول شهر آب من كل سنة حتى منتصف شهر تشرين الثاني . يرى الزائر أول ما يرى فيه باحة واسعة تتوسطها بركة كبيرة ذات فوّارة عالية ، يحيط بها أحواض ملأى بأنواع الأزهار الجميلة التنسيق والترتيب ، فضلاً عن التماثيل الرخامية العديدة ، والفوّارات الجانبية الكثيرة تتلوّن بالمصابيح الكهربائية بألوان شتى مما يجذب سكان موسكو والزائرين القادمين من أنحاء الاتحاد وخارجه أن يجدوا السلوى المنشودة ناعمين بالنسيم العليل في ليالي الصيف ، مشنفين آذانهم بألحان الجوقات الموسيقية التي تعزف حتى ساعة متأخرة من الليل .

(١) انظر المجلة مج ٣١ : ص ٤١٦ و ٥٨٦ و مج ٣٢ : ص ٤٧٨ .

ولما لم يكن لدينا متسع من الوقت لزيارة الأجنحة جميعها أو معظمها ، فقد اضطررنا الى الاكتفاء ببعضها . زرنا بعض الأجنحة التي تمثل المصالح العامة في المعرض بادئين بجناح الآليات (الميكانيكا) الذي تعلو سقفه قبة شاهقة ويحوي الكثير من آلات الزراعة الضخمة ، ثم انتقلنا الى جناح الحيوانات الزراعية والماشية ، وعرض علينا نوع من البقر قيل ان نتاج البقرة الواحدة من اللبن في السنة يبلغ ١٦ طناً ، ونوع من الغنم يختلف مقدار ما ينتجه من الصوف بين ١٥ و ٢٥ كيلو سنوياً ، ونوع من الثيران يبلغ وزن الواحد منها ١٦٠٠ كيلو ، في جانب أنواع الخيل العديدة والضخمة وهي ولا شك دون الخيول العربية جودة ومظهراً .

وانتقلنا بالطواف الى جناح بوزبكستان فشاهدنا من معروضاته الأنواع المختلفة من العنب والتفاح ، وقد ذقنا بعضه فلم نجد فيه تلك النكهة العطرة التي يمتاز بها ثمر بلادنا . ويعد القطن في طليعة منتوجات هذه الجمهورية الهامة وقدّر ما جني منه في هذه السنة بـ ٦٠ ٪ من قطن بلاد الاتحاد السوفيتي .

وزرنا بعده جناح أرمينية وراعنا فيه أن رأينا الكثير من الفواكه التي اشتهرت بها بلادنا وما جاورها كالبرتقال والمندَرين (اليوسفي) والموز في جانب الأثمار الأخرى ، ولهذه الجمهورية شهرة واسعة في صنع الأشربة الروحية .

ورأينا في جناح أوكرانية أنواعاً مختلفة من الحنطة ما بين صيفي وشتوي ، وكذلك الشوفان والشعير ، ولا غرابة ان رأينا سهولها الفسيحة أثناء تحليق الطائرة فوقها لا يكاد يخلو شبر واحد من أرضها من نبات ، وأن تكون هذه البلاد مطمح الغزاة وتربتها نادرة المثال بالطيبة والخصب .

وشاهدنا في جناح جورجية المحاصيل الزراعية التي تشبه محاصيل بلادنا شبهاً كلياً ، وانتهى بنا المطاف الى ما يدعى بالجناح المركزي ويبدو أنه مخصص بالدعاوة الكثرة ما شاهدنا على جدرانه من لوحات ولافتات ملأى بأرقام الإحصاء التي

ترمز الى مدى التقدم الذي أحرزته البلاد في عهد الثورة ووفرة الإنتاج الزراعي الآخذ بالزيادة باطراد . وبزيارة هذا الجناح الأخير ختم طوافنا في المعرض الزراعي وقد استغرق أربع ساعات ولو وددنا زيارة جميع الأجنحة لاقتضى لها عدة أيام .

متحف الثورة :

وهو كائن في شارع غوركي ، زرناه في الرابع من تشرين الثاني ، تحفه موزعة على ١١ قاعة خصصت الأولى لما يمثل حالة روسيا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين ، وفي القاعتين الثانية والثالثة معروضات تبين حالة البلاد في خلال الثورة الأولى (١٩٠٥ — ١٩٠٧) ويرى الزائر في القاعة السادسة الوضع الذي كان قائماً خلال الحرب العالمية الأولى ، وبدء الثورة الثانية (١٩١٤ — ١٩١٧) وفي القاعات التالية ما تم في البلاد من أحداث بعد ذلك .

وإن من بين التحف المعروضة في قاعات خاصة الهدايا التي تلقاها ستالين من شعوب الاتحاد السوفيتي ومن الأصدقاء الأجانب ، وفيها مجموعة من السيوف والأسلحة المختلفة في جانب القطع النفيسة القيمة واللوحات الزيتية .

حفلة الاستقبال في المجمع العلمي السوفيتي :

أقيمت حفلة استقبال لوفدنا في مجلس الهيئة العليا (Presidium) لمجمع العلوم السوفيتي وذلك مساء الخامس من تشرين الثاني .

وصلنا في الموعد المضروب الى مقر المجلس الكائن في أحد الأبنية الفخمة أمام باحة كبيرة من أحد شوارع موسكو الواسعة ، ودخلنا قاعة الاستقبال الفسيحة ، وبعد التعارف مع الأعضاء الذين كان عددهم يربو على العشرين مع بعض مراسلي الصحف والمصورين ، جلسنا حول موائد نضدت عليها أكواب الشاي وما يتبعه من مآكل وأشربة مختلفة ، ابتدأ بالكلام أمين السر العام (السيد طوبجيف) بالروسية سارداً تاريخ المجمع ونشاطه ، وكانت مقاطع خطابه

تترجم تباعاً الى الفرنسية من قبل ترجمانتنا المرافقة (نادين) ، ورد عليه الزميل الأمير جعفر بالفرنسية بكلمة مناسبة شاكراً لمجمع العلوم السوفيتي دعوته لأعضاء المجمع العلمي العربي في دمشق ، والحفاوة البالغة التي يلقاها الوفد في كل مؤسسة يزورها متمنياً للمجمع اطراد التقدم ، وتلاه أمين السر المساعد بكلمــة ألقاها بالفرنسية مطرياً الجهد الذي يبذله مجمعنا العلمي في نطاق عمله خاصاً بالثناء زميلنا الأستاذ الدهان لبلائه البلاء الحسن في نشر المخطوطات وخبرته الواسعة في هذه الناحية ، وأخذت لنا أثناء ذلك عدة صور ودامت الحفلة قرابة الساعتين ·

فمما اطلعت عليه أن هذا المجمع الذي كان يعرف بالمجمع الرومي قد تأسس من قبل بطرس الأول سنة ١٧٢٤ فيكون قد سلخ من العمر حتى عام زيارتنا ٢٣٠ سنة وكان مقره في العاصمة بطرسبورغ (بتروغراد ثم لينغراد الآن) وتم نقله الى موسكو بعد سنة ١٩٢٦ ، وقد أدى المجمع خدمات جلى ولا سيما في عهد رئيسه ميخائيل لومونوسوف (Mikhail Lomonossov) بكثرة العلماء الذين تم توجيهم وتخريجهم باشرافه ·

وقد نص نظامه الأساسي الجديد الذي صُدق سنة ١٩٣٥ ان من أهداف المجمع الرئيسية الإفادة الرتيبة مما يحققه العلم للمساهمة في تشييد مجتمع شعبي دون تمييز بين الطبقات ، وتضاعف نشاط المجمع بعد انتقاله الى موسكو وارتباطه بالسلطات الحكومية الموجهة ارتباطاً شديد الأواصر ·

وأصبح مجمع علوم الاتحاد السوفيتي الآن معدوداً في طليعة المعاهد العلمية في العالم وبعد أن كان عدد أعضائه قبل الثورة ١٥٤ فقد أصبح ١٦٠ عضواً عاملاً و ٣٣٠ عضواً مراسلاً وبلغ عدد العلماء المنتسبين إليه ١٠٠٠٠ ومجموع العاملين فيه ٣٠٠٠٠ ·

ومما قاله أمين السر العام إن لينين عُني بالعلم واقتفى ستالين أثره مما أدى الى ازدهار مجمع العلوم السوفيتي وتحقيق أهدافه بهمة لا تعرف الكلل وأصبح

من أكبر المؤسسات العلمية في العالم . وان للمجمع الآن ثمانية فروع وهي : العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والكيمياء والجغرافيا وعلم الأحياء (Biology) والتكنيكا (Technic) والتاريخ والحقوق والفلسفة والأدب ، ويرتبط بالمجمع أكثر من ٥٠ مؤسسة للبحوث العلمية ، و ١٦ ملحقاً لها مقرها في نواحي البلاد النائية ، كما أنه يشرف على ٣ مراصد جوية و ١٧ مختبراً .

ولمجمع علوم الاتحاد السوفيتي الصلة الوثيقة بمجامع جمهوريات الاتحاد . ويشرف المجلس الأعلى على إحكام الصلة ما بين أجزاء هذا الجهاز الهائل ، يجتمع سنوياً في موسكو وينظم الخطط اللازمة الرامية الى تحقيق البحوث العويصة والعظيمة . وعلى ذلك فقد زاد عدد المشتغلين من رجاله ٦٠ ضعفاً عما كان عليه قبل الثورة وارتفع رقم الموازنة ٧٠٠ ضعفاً .

وتدير الأعمال لجنة تتألف من رؤساء الملاحق ويعمل تحت إشرافها الآن (١٩٥٤) ٤٠٠٠ باحث لتحضير الأطروحات .

وان في جانب مجمع العلوم السوفيتي مجامع للزراعة وللطب وللفنون الجميلة . والصلات بين هذه المجامع متينة ، إذ يشترك معظم الأعضاء في الهيئة العليا المشرفة على إدارة البلاد (اللجنة المركزية للحزب الشيوعي) .

ويمنح المجمع جوائز سنوية قدرها ٢٠٠٠٠٠ روبل [١] في الدرجة الأولى و ١٠٠٠٠٠ في الدرجة الثانية و ٥٠٠٠٠ في الدرجة الثالثة .

ولمجمع العلوم السوفيتي ٥٠ مجلة علمية وقد بلغ عدد المطبوعات والنشرات التي تم طبعها في هذه السنة ٢٠٠٠٠ .

وقد علمت أن الهيئة العليا لمجمع العلوم السوفيتي تضم بين أعضائها طبيبين أحدهما يرأس شعبة بحوث الجملة العصبية (وقد زرته في اليوم السابق) والثاني أستاذ الفيزيولوجيا في كلية الطب .

(١) يساوي الدولار الأميركي ٤ روبلات في ذاك الحين ، وقد هبطت هذه القيمة عن ذي قبل الآن .

معهد الآداب الأجنبية :

زرنا هذا المعهد في السادس من تشرين الثاني ، وقد راعنا فيه حفظ مخطوطات غوركي ومخطوطاته وما الى ذلك من الآثار بطريقة فنية دقيقة يقيها البلى والفساد مع تقادم العهد وتطاول الزمن ، فضلاً عن الترتيبات المتخذة ضد الحريق .

دار كتب لينين :

يعنى أولو الأمر في بلاد الاتحاد السوفيتي عناية فائقة بنشر العلوم وتهوين السبيل للبحث والمطالعة فما زرنا مؤسسة من المؤسسات التي زرناها في شتى أنحاء البلاد إلا رأينا فيها مكتبة عامرة ، كما ان لكل معمل من المعامل بناء ضخماً في قربه يدعى بقصر الثقافة (Palais de Culture) يضم فيما يضمه مكتبة تحوي من الكتب ما يرفع مستوى العامل ويتيح له أن ينمي معلوماته ويستزيد علماً مما يفسح له المجال الى زيادة الأجر ونوال التقدير ، في جانب ما يضمه المبنى المذكور من مسرح للتمثيل وقاعة للسينما وملاعب للرياضة .

ولقد ترامى إلينا أن عدد المكتبات العامة في بلاد الاتحاد قد بلغ ٣٦٨ الف (سنة ١٩٥٤) منها زهاء ألف في العاصمة وحدها . ومما يباهي به رجال هذا العهد أن موسكو لم يكن فيها عام ١٩١٣ سوى ١٢ مكتبة عامة عدد المجلدات فيها ٨٥ الف وارتفع في هذه السنة الى ١٥٠ مليوناً .

ولدار كتب لينين في العاصمة السوفيتية المقام الأول وهي من مفاخر هذه البلاد حقاً ولم أر مثيلاً لها في المكتبات التي زرتها في عواصم بلاد الغرب المختلفة . زرناها في السادس من الشهر وقد استقبلنا القيم عليها وأدلى الينا بالمعلومات التالية :

يعود تأريخ تأسيس هذه المكتبة الى سنة ١٨٦٢ ولم يكن عدد ما تشتمل عليه من كتب ليتجاوز قبل الثورة ١٠٠٠٠ مجلدة واقتصر عدد القاعات فيها على ٢٠ حتى سنة ١٩١٧ ، أضيف اليها ١٤ قاعة ، وسرعان ما ارتفع عدد

الكتب الى مليونين وأصبح الآن (سنة ١٩٥٤) ٧٧ مليون و ٣٠٠ ألف[1] وارتفع عدد الموظفين فيها من ٤٥٠ الى ١٧٥٠ وان مجموعة نادرة من الصحف تحويها المكتبة في جانب المخطوطات والطبعات الأولى من مطبوعات القرنين الثالث عشر والرابع عشر والتي تعد الوحيدة من نوعها ولا سيما فيما يختص بالأساتذة الروس من أدباء وعلماء .

ويشتمل فرع الكتب النادرة على مجموعة عظيمة من المنشورات الروسية من العصر السادس عشر الى العصر التاسع عشر وان من بين هذه الكتب ما كان ممنوعاً اقتناؤه في العهد القيصري وتم طبعه بصورة سرية .

وتحفظ المكتبة باحترام كلي الطبعات الأولى لماركس (Marx) وانجلس (Engels) كما انها قد جمع فيها الطبعات الأولى لمؤلفات لينين (V. Lenine) وستالين (J. Staline) .

وليست موجودات المكتبة باللغة الروسية وحدها بل ان فيها كتباً كتبت بـ ١٦٦ لغة . وهي تتبادل المطبوعات مع معظم مكتبات العالم وترد اليها مطبوعات الاتحاد السوفيتي بالمجان ، تقتني ما صدر منها خارج بلاد الاتحاد إما عن طريق التبادل أو الشراء ، وقد قيل لنا ان عدد الكتب النادرة يبلغ ١٨٠٠٠٠ وعدد ما فيها من كتب عربية ٣٥٠٠ ، منها ١٥٢ مخطوطة . والمكتبة مشتركة بـ ٩٠ صحيفة و ٨٠ مجلة واشتركت سنة ١٩٥٤ بـ ٨٦ من مصر ولبنان وفيها ٦٢ ألف ميكروفيلم .

ولا أدل على عظمة هذه المكتبة من أن طول الرفوف التي نضدت الكتب فوقها يبلغ مجموعه ٢٠٧ كيلو متر ، وأن نقل الكتب من مستودعها الى قاعة التوزيع ليتم بحافلة كهربائية خاصة .

---

(١) لقد حاولت عبثاً الحصول على معلومات حديثة عن هذه المكتبة وعن جامعة موسكو سواء بالكتابة أو بتكليف من لهم صلة من السوفيتيين ، مما يشير الى استمرار التحفظ الشديد في اقامة الصلة بالأجانب ، شأنهم فيما مضى دون اي تغيير .

تفتح المكتبة أبوابها للقراء من التاسعة صباحاً حتى الثالثة والعشرين والنصف ليلاً ويختلف عدد القراء فيها من ٤٠٠٠ — ٥٠٠٠ في اليوم . موازنتها ٥٠ مليون روبل .

وإن مما جلب انتباهنا فيها القاعة المخصصة للأولاد ، والجهاز الفني الذي يشتمل على ٣ مختبرات للكيمياء ومختبر واحد للبحث الفطري (Mycology) وفيها فهرس يشتمل على جميع الكتب التي طبعت في بلاد الاتحاد السوفيتي . وان المكتبة تتبادل الكتب مع ٥٢٥ مؤسسة منها ٧٤ في الولايات المتحدة و ٣٤ في المملكة المتحدة و٣٢ في فرنسة . وتصدر نشرة سنوية عن الكتب الأجنبية .

وإن مما قاله قيم المكتبة لنا إن في النية توسيع المكتبة في السنة القادمة ، وإن لها ٣ ملاحق اثنان منها في موسكو وواحد في بالطه .

هذا ويلاحظ الزائر للمكتبة الهدوء والسكون اللذين يخيمان على من فيها من موظفين وقراء بما فيهم الأولاد وتنظيم العمل في استقدام الكتب في منتهى السرعة ، إذ لا يستغرق طلب الكتاب من مستودعه ووصوله إلى قاعة المطالعة بالحافلة الكهربائية أكثر من بضع دقائق .

العرض العسكري :

وهو العرض العسكري الذكرى ٣٧ لثورة ١٥ تشرين الأول يقام في صباح السابع من تشرين الثاني الآن (بعد أن بدل التاريخ الشرقي السابق بالتاريخ الغربي) ويقام نظيره في الأول من أيار من كل سنة وكلاهما يوم عيد وطني تعطل فيه جميع الأعمال والمصالح في أنحاء الاتحاد السوفيتي كافة .

نُبئنا مساء اليوم السابق بالدعوة التي وجهت الينا لشهود العرض العسكري ولم تسلم الينا بطاقات الدعوة إلا صباح هذا اليوم نفسه . وقد أعلمنا بلزوم ترك الفندق قبل موعد العرض بساعتين وأن علينا أن نذهب الى الساحة الحمراء (مكان العرض) مشياً على الأقدام لأن وسائل النقل بما في ذلك السيارة

المخصصة لركوبنا معطلة . خرجنا من الفندق بصحبة الترجمانة فألفينا الأسواق التي مررنا بها كلها مغلقة الأبواب ، ولم نر أية سيارة في الطرق جميعها ، وكانت شراذم من الجند ترابط بها عند كل مفترق للطرق ، والغريب من هؤلاء الجنود أنهم لا يحملون أي سلاح . اضطررنا للوصول الى الساحة الحمراء أن نسلك سبلاً ملتوية غير مستقيمة حتى استغرق وصولنا اليها ٥٠ دقيقة بينما لا يتجاوز هذا ١٥ دقيقة في الأيام الأخرى .

وكنا نُسأل عند كل مكان ترابط فيه الجنود عن بطاقات الدعوة التي نحملها وعن هوياتنا وقد أحصيت عدد المرات التي فتشت فيها تلك البطاقات فبلغت الثمانية ، ولكم لقينا في خلال مرورنا من تلك الطرق الخاوية من ممانعة من الجنود بالمرور طالبين الينا المرور من طريق أخرى لولا كلمات كانت تهمس بها ترجماتنا ودليلتنا في أذن رئيس تلك الشرذمة من الجنود فيفسح لنا المجال بالمرور دون سوانا من المشاة الذين ليس لهم إلا سلوك الطرق الأخرى .

وصلنا الى الساحة الحمراء في الساعة التاسعة وعشر دقائق ، فوجدناها غاصة بآت الألوف من البشر ، وقادنا أحد الرتباء الى المكان الذي خصص لجلوسنا وكان رقمه ٦ يبعد عن المنصة الرئيسية قليلاً ويظن أنه مخصص للأجانب وبعض أساتذة الجامعة وأعضاء المجامع ، فقد عرفت من بين هؤلاء أحد الأطباء الذين زرتهم في اليوم السابق في المعهد الطبي الذي يشرف عليه .

وابتدأ العرض العسكري في تمام الساعة العاشرة بقدوم المارشال بولغانين الذي كان إذ ذاك وزيراً للدفاع ، راكباً سيارة مكشوفة وواقفاً فيها لتأدية التحية العسكرية للجموع المحتشدة في جانبي الطريق التي اخترقتها سيارته منطلقة من أحد أبواب الكرملين ، وتلقاه في آخر الساحة قائد موقع موسكو وهو واقف في سيارة مكشوفة أيضاً .

وكانت تتقدم الجموع الغفيرة المجتمعة في الساحة الحمراء صفوف من الجند

تمثل القطع المختلفة من رجال الجيش من مشاة وبحارة وطيارين وصف ضباط ، وكلما مرّ وزير الدفاع بسيارته أمام القطعات كان يجهر بكلمات التهنئة بالعيد الكبير فيتلقى الجواب من الجند بصوت جهوري . وما ان وصل أمام المنصة الرئيسية حتى عزفت جوقة الموسيقى (وقد قدرت عدد أفرادها بـ ١٠٠٠) النشيد الوطني ، وسرعان ما قصفت المدافع من فوق أسوار الكرملين ، وألقى المارشال بولغانين كلمة لم يتجاوز إلقاؤها ١٠ دقائق عدّد فيها الأعمال التي تمت في خلال السنة المنصرمة من إنماء في الاقتصاد وازدهار في الزراعة ، ثم تطرق الى السياسة الخارجية مقتصراً على الخطوط الرئيسية . ونقلت ترجماننا نصها الى الفرنسية . وبعد الانتهاء من هـذه الخطبة المقتضبة ابتدأ العرض العسكري بمرور القطعات المختلفة الواحدة تلو الأخرى بنظام بديع (١) وترتيب فائق يخيل الى الرائي كأن صفوف الجند (وعددها ٣٢) تتحرك حركة موافقة كشخص واحد . فتلا مرور المشاة والخيالة المدفعية والآليات من خفيفة وثقيلة ومدافع مما لم يقع نظرنا على أمثالها بينما كان هدير الطائرات يملأ الفضاء .

وما أن انتهى استعراض الجنود وقد دام زهاء ساعة ونصف الساعة ، حتى تبعه مرور المنظمات الرياضية ونوادي الشباب من ذكور واناث بأعلامها وشاراتها المختلفة بنظام لا يقل عما شاهدناه في الجند والكل يهزج الأهازيج الحماسية .

والاستعراض الذي بدأ في تمام الساعة العاشرة استمر حتى الرابعة عشرة ، وفضلت وصحبي الانسحاب والعودة الى الفندق ، ولم تتسنَّ لنا هذه إلا بشق الأنفس مجتنبين الطرق التي رسم لقوافل الناس أن تخترقها .

(١) كنت أظن أن مثل هذه الاستعراضات العسكرية انما تتم بنت يومها دون استعداد سابق ، إلا اني في رحلتي الثانية الى موسكو والتي تمت قبيل العيد الوطني بأيام لاحظت في جانب التحضيرات التي ترتب آناء النهار ، ترتيبات عسكرية وتمارين تقوم بها قطعات الجند قبيل منتصف الليل عندما يخف المرور من الشوارع المؤدية الى الساحة الحمراء .

متحف تريتيا كوف (Tretyacov) :

وهو متحف اللوحات الزينية التي تمثل الفن الرومي للنصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدء القرن العشرين . يحمل اسم المثري الذي أسسه غواية منه في هذا المضمار ثم وهبه للشعب . أتيح لي أن أزوره مرتين الاولى سنة ١٩٥٤ والثانية سنة ١٩٥٦ ، وأن أمتع الطرف في كلتيهما بما يزين قاعاته الاثنتين والخمسين من صور زينية رسمها وصوّرها نوابغ الفن الرومي ، ولطالما شاهدنا ما نقل عنها من مثيلات تزين جدران أبهاء المؤسسات والدور والفنادق في جانب اتخاذ بعض البيوتات التجارية لبعض الصور شعاراً تجارياً لها .

يعد السوفيت النصف الثاني من القرن التاسع عشر العصر الذهبي للفن الرومي في نواحيه المختلفة ، ففيه ظهر نبغاء الكتاب والموسيقيين والرسامين والنحاتين الذين يمثلون مايدعونه بالفن الديموقراطي الواقعي (Democratic and realist art) . لذا يعتبرون هؤلاء وأولئك باعثي اليقظة في روح الشعب ومذكي نار الثورة والانتفاض ، وان ما أتوا به من روائع الفن لتنجاوب مع ما يكمن في قرارة نفوس سواد الناس من تأهب للثورة والانتفاض على الطبقة الارستوقراطيـة وطغيانها الغاشم .

وعلى ذلك كان دليلنا في زيارة متحف تريتيا كوف يفسر لنا مدلول كل لوحة من اللوحات بما يأتلف والفكرة السالفة ولكم خامرنا الشك في بعض ما ذهب اليه إذ لا يعقل أن تنصب مشاعر جميع المتفننين على احترام نار الثورة وأن تخلو تلك اللوحات مما يمجد العهد السالف متغاضية عن بعض محاسنه (وإن قلّت) وأن لا يرى أي أثر لمأثرة من مآثر تلك الامبراطورية التي كان لها شأنهـا حيناً من الدهر . فكل اجتماع شعبي تمثله إحدى اللوحات على رأي الدليل كان تفسيره تنادي الطبقة الكادحة والفقيرة من الشعب ومطالبتها بحقها السليب ،

متى كان تاريخ تلك اللوحة يعود الى عهد القياصرة وإلا فهي نقيض ذلك تفسر بالتأييد والدعم .

ويعود تاريخ أقدم اللوحات الى ١٨٦١ وأحدثها الى ١٩٣٠ ورأينا بين اللوحات لوحة الرسام بيروف (Perov) وتاريخها ١٨٦٥ وعنوانها تشييع الميت الى المقبرة كيف أن الأرملة الثاكل تقود الخفة الثلجية التي تحمل نعش زوجها مقوسة الظهر تمسك بعنان فرس هزيل على أرض كساها الثلج وبنياها يمسكان بجانبي النعش ، فهي ترمز ولا شك الى منتهى الشقاء والفقر والحرمان .

وللرسام نفسه لوحة لها شهرتها في جميع البيئات عنوانها الصيادون حين الراحة ويبدو فيها ثلاثة صيادون اثنان منهم في سن متقدمة والثالث شاب حديث العهد في هذه (الهواية) يسرد أحد العجوزين مغامراته الفذة والمبتدئ يصغي اليه بانتباه بينما العجوز الآخر مضطجع على جنبيه يبتسم لتلك الأقاصيص وينم على شكه بصحتها ومبالغة الراوي لها حكه بيده خلف أذنه .

ومن اللوحات التي تندد بالعهود السالفة لوحة نافرف (Nevrev) سنة ١٨٦٦ ويرى فيها الناظر مشهد المساومة على بيع الفتاة الحسناء بين رب المقاطعة والمثري المشتري ، وأهلوها واقفون مشدوهون منتظرون مصير فلذة كبدهم ، وكذلك لوحة بوركيروف (Purkirov) سنة ١٨٦٢ وفيها صورة من مراسم إكليل الزواج بين كاعب في ريعان الصبا وشيخ بلغ من الكبر عتيا يظهر من سيماه ثراؤه وانتماؤه الى الطبقة الارستوقراطية .

وإن اللوحات التي تندد بويلات الحروب وما يتبعها من دمار لكثيرة ، الجزء الكبير منها تصور غارات التتر والأتراك والمواقع التاريخية الشهيرة التي تم النصر فيها للروس منها لوحة فرشاغين (V. V. Vercshahagin) الذي عرف بأنه رسام المعارك الحربية وقد طاف في أنحاء القفقاس وآسيا الوسطى والهند وفلسطين واليابان وغيرها من البلاد ، تعرف اللوحة بمجد الحرب (Apotheosis of war)

كادعاها مجد تيمورلنك (Ap. of Tamerlane) أيضاً ويرجع تاريخها الى سنة ١٨٧١ ، صور فيها هرماً من الجماجم يرتفع فوق صحراء تلفحها الشمس ووراءه خرائب مدينة قديمة ، وأراد الرسام بعد ذلك أن يضفي على لوحته الزيتية معنى سياسياً فقدمها هدية الى جميع الفاتحين في العصر الحاضر وفي الماضي والمستقبل شأن ما يبدو في الكتابة البادية على اطار اللوحة . ومع أنه لم يكن من أنصار الحرب فقد أشاد ببطولة الجندي الروسي وشجاعته . ورأينا في إحدى اللوحات التي تمثل المعارك التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والأتراك (١٨٧٣) كيف كان جواب الجيش الروسي المحاصر لطالبي الاستسلام اذهبوا الى الشيطان (Go to the devil) كما يبدو في أسفل اللوحة ، وكذلك لوحات تمثل الجيش الروسي قبل المعركة مع الأتراك وبعدها والجثث الكثيرة التي تملأ الأرض . ومن اللوحات التي تمثل الحياة في آسيا الصغرى اللوحة التي يبدو فيها مشهد بيع الرقيق وباب تيمورلنك (١٨٧٢) ، ومن لوحاته في الهند ضريح تاج محل في آغرا . ورسم عدا ذلك بعض اللوحات التاريخية التي يضمها متحف التاريخ في موسكو كنابوليون في روسيا والتي تمثل بطولة الجيش الروسي في الحرب الوطنية (١٨١٢) . لذا يعد الناس لوحات هذا الرسام مصداقاً على كرهه حرب العدوان ودليلاً على وطنيته الملتهبة .

وللرسام فازنتزوف (V. Vasentsov) لوحة رائعة (١٨٨٠) عنوانها بعد المعركة وهي المعركة التي دارت رحاها بين الجيش الروسي والمغيرين من رجال القبائل ، فترى في هذا المشهد جثث القتلى مبعثرة فوق الأديم والقمر في كبد السماء يضيء ساحة الوغى بنوره الباهت والنسور تتسابق على التهام أولئك الضحايا وكأنها بتطاحنها فوقها في معركة تلتحم فيها الأجنحة بعضها في بعض مما يضفي على اللوحة المذكورة التي طار صيت الرسام بسببها روحاً شاعرية سامية .

ولوحة الرسام نفسه المعروفة بالبواسل (Warriors) الثلاثة من اللوحات

التي استنسخت وتراها تزين الكثير من قاعات الاستقبال حتى ان شركة من شركات صنع اللفائف قد اتخذها شارة لمصنوعاتها ٠

وانتهى بنا الطواف في قاعات هذا المتحف الى زيارة قاعة أوكرانيا وفيها الصور الزيتية الرائعة وفي مقدمتها اللوحة الكبيرة التي تغطي أحد الجدران وفيها مشهد حفلة ذكرى التحاق أوكرانيا بروسيا ومرور ٣٠٠ سنة عليه ٠

جامعة موسكو :

وهي الجامعة الجديدة التي بنيت في مكان يعرف بهضبة لينين والتي هي أول ما يراها القادم من المطار في طريقه الى العاصمة ، ويعد مظهرها مع الكرملين أجمل طابع لعاصمة السوفيت ٠ وتحمل الجامعة اسم العالم الروسي لومونوسوف (Lomonosov) الذي رأينا في لنينغراد متحفاً خاصاً به يشتمل على ما يمثل تاريخ حياته نحتاً ورسماً ٠

ويعود تأسيس هذه الجامعة الى سنة ١٧٥٥ (وعلى ذلك فقد احتفل بمرور ٢٠٠ سنة على التأسيس في أيار سنة ١٩٥٥) ولقد كان مقرها في المبنى الذي يشغله معهد الآداب الأجنبية الآن والكليات التابعة لها مبعثرة في أنحاء مختلفة من العاصمة ٠ وبوشر في بناء هذا الصرح الضخم سنة ١٩٤٩ وانتهى البناء سنة ١٩٥٣ وقد قيل لنا ان تكاليف البناء المذكور قد بلغ مليارين من الروبلات والمساحة التي تشغلها الجامعة ٣١٧ ألف هكتار ٠

ويرى الداخل الى باحتها الفسيحة جداً مبنى مركزياً له جناحان ووراءه عدة مبان ٠ فالجزء المركزي شاهق يشتمل على ٣٢ طبقة وارتفاعة ٧٨٧ قدماً (ويعد لذلك أعلى من أي مبنى في الولايات المتحدة ما عدا المباني الستة في مانهاتان Manhattan) أما جناحا المبنى المذكور فيشتمل كل منهما على ١٧ طبقة ، وحول هذه الأجزاء الثلاثة عدة أبنية للكليات والمختبرات ومرصد الجو ٠

ولا أدل على عظمة هذه الأبنية بمجموعها (وربما عدت أكبر جامعة في العالم) من أن ٥٠٠ مجموعة من الشركات قد اشتركت في إنجاز البناء وان فيها ١٠٠٠ قاعة للتدريس والاختبار وان مجموع سطح السقف فيها يبلغ ٤٢٫٥ هكتار وانه يقتضي لزيارة جميع الأمكنة فيها اجتياز مسافة ١٤٥ كيلومتراً ، وان مجموع طول الممرات التي فيها يبلغ ١١٠ كيلومترات .

ويزيد الدليل على ذلك ان ما تحويه من ١٢٠ ألف غرفة لو أتيح للوليد أن يبيت منذ ولادته ليلة واحدة في كل غرفة من الغرف في الجامعة لما انتهى قبل أن يبلغ الستين من العمر .

وللجامعة في الوقت الحاضر ١٢ كلية و ١٨٠ رئيساً للتدريس وعدة مراكز للبحوث العلمية ، وتحوي ٩ معاهد للبحوث بينها معهد ستيرنبرغ (Sternbug) الفلكي وحديقة النبات التي تعد أقدم حديقة من نوعها في البلاد .

وترتبط جامعة موسكو بوزارة التعليم العالي ولا ترتبط كلية الطب بها ، فيها زهاء ١٨٠٠٠ طالب [1] يدرسون على أيدي ٢٠٠٠ أستاذ ومساعد منهم ٢٠ أعضاء في المجامع العلمية .

وتعنى الجامعة بمزج التعليم النظري بالتطبيق العملي ، ويستهدف البحث في المختبرات ومراكز الاختبار البحث بكل ما يتصل بالاقتصاد الوطني . وفي الطبقة العليا من البناء المركزي قاعات متحف علم طبقات الأرض مع ما يحويه من معروضات تمثل الثروة المعدنية في البلاد .

ومن السهل الارتقاء الى الطبقات العليا والوسطى من هذا البناء الضخم بالمصاعد الكثيرة التي تخترق أرجاءه وعددها ١١٤ منها ما يصعد به حتى الطبقة ٢١ ثم يرتقى بمصعد آخر حتى الطبقة العليا . وبعد انتهاء الزيارة هبطنا بمصعد واحد حتى الأرض وكانت السرعة زهاء ٣٫٥ متر في الثانية .

(١) وقد ذكر لي الزميل الدكتور جميل صليبا أن هذا الرقم قد أصبح ٢٣٠٠٠ في هذه السنة (١٩٥٧) .

وتبلغ مساحة حديقة النبات ٤٢ هكتاراً في منتصف باحتها الفسيحة بناء ذو أربع طبقات لكلية الأحياء (Biology) وعلم الطفولة (Pedology) وتضم عدة مبان أخرى للبحوث وإنماء النبات والاقليم الاصطناعي .

وقاعة الاحتفالات على غاية من الترتيب والتنظيم تستوعب لـ ١٥٠٠ ، وزين سقف الممرات في الطبقة الأولى بصور مشاهير العلماء في العالم لاحظنا بينهم صور لبعض العلماء العرب وطبيعي أن يكون معظم العلماء ممن ينتمون بصلة الى الاتحاد . وفي الجامعة ٤ مطاعم يستوعب كل واحد منها ١٠٠٠ و ٣٥ مقصفاً (بوفيه) وذكر لنا أن ثمن الوجبة من الطعام يختلف بين ٢و٥ روبل و ٥ روبلات . والكتب المدرسية تعطى الى الطلاب بالمجان .

وإن مما خصص للطلاب من مساعدات ١٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية الآداب و ٢٠٠٠٠ روبل لكل طالب في كلية التاريخ الطبيعي . ولا يطلب من الطالب سوى دفع ٤٠٠ روبل سنوياً مع إعفاء أبناء مشوهي الحرب والمتقاعدين والفقراء من الدفع .

وإن من الطلاب من يتلقى عوناً مادياً يختلف بين ٢٥٠ و ٥٥٠ روبلاً في الشهر يرفع العون الى المتفوقين ٢٥ ٪ وعندما ينال أحدهم إحدى الدرجات يصبح العون المادي المذكور ٧٨٠ — ٩٠٠ روبل وإن في مكتبة الجامعة ٥ ملايين مجلدة وتعد في المرتبة الثالثة من دور الكتب للاتحاد السوفيتي ، فضلاً عن المكتبات الخاصة لكل كلية أو مؤسسة . وقد قيل لنا ان الطلاب الذين يدرسون في الجامعة ينتمون الى ٥٩ قومية [1] . والانتساب الى الجامعة تابع الى مسابقة تعد فيها علامة النجاح ٣ من خمس علامات ، في جانب اختبار الطالب نفسياً واجتماعياً .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

(١) إن ما هو متبع في بلاد الاتحاد السوفيتي ان التعليم الابتدائي اللغة فيه هي اللغة المحلية لكثرة سكان تلك الجمهورية ، وفي المرحلة الثانوية يصبح التعليم بالروسية إلزامياً وكذلك في الجامعة . ومع ان لغة التعليم الابتدائي باللغة المحلية فان كتابة كل اللغات إنما يكون بالأحرف الروسية وحدها .

كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي

- ١ -

١ — المقدمة

الموضوع :

أبو بكر محمد بن يحيى الشهير بابن الصائغ وابن باجّة [1] (المتوفى سنة ٥٣٣ هـ ش/١١٣٨م) هو رئيس فلاسفة العرب في المغرب ، وإنه وإن اشتهر في عهده بأنه أكبر الشرّاح لفلسفة أرسطاطاليس بعد ابن سينا [2] ، وأنه سابق لابن رشد المعروف عند الأوربيين « بالشارح الفاضل » ، فذوو العلم لم يعرفوا فضله حق المعرفة ، ولم يُنشر من مؤلفاته إلى الآن سوى كتابه (تدبير المتوحّد) ، وبضع رسائل مختصرة . أما كتاب (تدبير المتوحّد) فقد عُرف منذ القرون الوسطى ، وكان نقل إلى العبرية في القرن الثاني عشر ، وله ترجمة بالألمانية نُشرت في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي .

وكانت كتب ابن باجّة محفوظة في مخطوطين عتيقين في خزانتي اكسفورد

---

(١) لترجمة ابن باجّة راجع بروكلمن (Brockelmann) : تاريخ آداب اللغة العربية ج ١ ص ٦٠١ ، ضميمه ج ١ ص ٨٣٠ ؛ دائرة المعارف الإسلامية (Encyclopaedia of Islam) ج ٣ ص ٣٦٦ ؛ سارطن (Sarton) : Introduction to the Hystory of Science القسم ١ ج ١ ص ١٨٣ ، والمقّري : نفح الطيب ج ٤ ص ٢٠١ - ٢٠٦ .

(٢) انظر مقدمة المخطوطة (بودليانا ، نمبرة ٣٠٦ پوكك ، Pock) لابن الإمام ؛ ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ ؛ ابن طفيل : حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه (Gauthier) ص ١٢٠ .

وبرلين . فأخذت في مطالعة (كتاب النفس) في مخطوط بودليانا (اكسفورد) على أمل أن أقابله بمخطوط برلين ، ولكنني علمت من مراسلاتي لمدير خزانة برلين ان المخطوط مفقود . وبعد هذا ظهر لي بوساطة الأستاذ پال كالى (Prof. P. E. Kahle) ان المخطوط كان قد نقل من خزانة برلين الى الشرق في زمان الحرب العالمية الثانية فغاب أثره .

والآن ليس لي معذرة في تحقيق هذا الكتاب معتمداً على مخطوط واحد إلا أن أقول إنه وإن تعسّر تحقيق كتاب دقيق ، وخصوصاً تحقيق كتاب في علم ذهني كالفلسفة بالاعتماد على نسخة واحدة ، لكنه من المعلوم أنه لا يوجد عندنا إلاّ مخطوط واحد ، فإن أريد تحقيق هذا الكتاب فلا بدّ من الاعتماد على هذا المخطوط وحده ، وهو مخطوط بودليانا ليس غير .

وحينما عزمت على التحقيق لم أجد بداً من مطالعة المخطوط المذكور من أوله إلى آخره ، وهو مشتمل على ٢٢٢ ورقة ، فقابلت أكثر العبارات من (كتاب النفس) بالعبارات المترادفة التي وجدتها في مواضع أخرى ، وبذلت جهدي في تصحيح الكتاب على قدر الطاقة .

وقد أتمّ ابن باجّة كتابه هذا ، ولكنه نقص مقدار يسير من آخر الكتاب من عند تلميذه العزيز الوزير أبي بكر الحسن علي بن عبد العزيز الشهير بابن الإمام[1] . وإنما وصلتْ كُتُب ابن باجّة إلينا عن ابن الإمام هذا . فإنه جمع جميع ما كتبه ابن باجّة في مجلد ضخم ، فنقل منه تلاميذه . وقد ذكر ابن الإمام هذا النقص متأسفاً عليه[2] ، وإلى هذا أشار ابن طفيل ، معاصر

(١) ترجمته في عيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ، تحقيق مولر (Müller) ج ٣ ص ٦٣ .

(٢) راجع مخطوط بودليانا (Poc. 206. Fol. 4 A) ورقة ٤ ألف « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » ، أيضاً ورقة ١٢٠ ب : « وكتاب النفس ينقص منه مقدار يسير ذكر الوزير انه سقط منه بعد وقوعه اليه » .

ابن باجّة ومصنف قصة حيّ بن يقظان ، في مقدمة قصته المشهورة حيث قال : [١] « وأكثر ما يوجد له من التآليف إنما هي غير كاملة ومخرومة من أواخرها ككتابه في النفس وتدبير المتوحد ، وما كتبه في المنطق وعلم الطبيعة » .

كتاب النفس – تأليف مستقل :

يذكر ابن باجّة كتاب النفس كما يذكر كتاب تدبير المتوحد ، بألفاظ تدل على أنه تصنيف على الأصل ، وكتاب بنفسه . فإنه يذكر تأليفاته الأخرى بعبارة دالة على أنها شروح لكُتُب أرسطاطاليس [٢] . فهذا التأليف تأليف مستقل ليس بشرح ولا تلخيص لكتاب آخر .

ولما وافق هذا التأليف كتابَ النفس لأرسطاطاليس ، لا سيما الباب الثاني والباب الثالث منه ، في ترتيب المضامين وتوضيح أكثر المسائل من علم النفس ، لا يكاد يستبعد أن يقال انه تأليفٌ لخصه ابن باجّة من الكتاب المشار اليه آنفاً ، وأضاف اليه مسائل أخرى .

أسلوب ابن باجّه في كتابه :

عُرف ابن باجّة في عصره بفصاحته في شعره وكماله في الغناء والموسيقى [٣] ، غير ان أسلوبه في كتبه الفلسفية دقيـق ، وعباراته عويصة غامضة لا تخلو من الإغلاق والصعوبة . ولكن تلميذه ونديمه ابن الإمام يرى رأياً مختلفاً ، فقد نطق بفضله وبراعته في الإفهام والتفهيم ، وبحسن فهمه لكتب أرسطاطاليس [٤] . وقد يشهد كتابه في النفس على أنه سهل ممتنع في كثير من مواضع هذا الكتاب .

(١) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٢ – ١٣ .

(٢) راجع المخطوط نفسه ، ورقة ١١٣ ب : « كتبناه في كتاب النفس » ، ورقة ٣٢٠ ألف : « وقد لخصنا في كتابنا في النفس » ، ورقة ٨٩ ألف : « كتبناها في شرح الرابعة من الآثار » .

(٣) راجع ابن خلدون : تاريخه ، ج ١ ، نشر بولاق ، ص ٥١٩ ؛ المقري : نفح الطيب ج ٤ ، ص ٢٠١ – ٢٠٦ ، سارطن : مقدمة ، ج ١ ص ١٨٣ .

(٤) انظر الصفحة التالية .

وكما أن الفارابي ، وعلى كتبه كثيراً ما يعتمد ابن باجّة ، يعدّ عبارته كلما يتشوق الى توضيح مقاله ، ابن باجّة ايضاً يخلّ بالمعاني حينما يميل الى تفصيل قوله بأسهل عبارات . وله اعتراف بهذا التقصير ، وكثيراً ما تأسف لعجزه عن تبديل العبارات لضيق الوقت [1] . فأحياناً نجد عباراته لا توافق قواعد علم النحو ، خصوصاً الضمائر التي تختلف عن المراجع في التذكير والتأنيث ، والأمثال كثيرة لا تكاد تؤول جميعها الى الكاتب وحده . وكاتب المخطوطة نفسه عالم بالأدب ، وكان وُلّيّ القضاء وطارت شهرته ، في ذلك العصر ، في الأدب والعلوم الفلسفية ، وهو من تلاميذ ابن الإمام ، فلا يمكن أن يقال انه أخطأ في الكتابة في سائر مواضع الأغلاط [2] . ولقد أصاب ابن طفيل ، معاصر ابن باجّة الأصغر ، حيث يقول [3] : « وقد صرّح هو نفسه بذلك ، وذكر أن المعنى المقصود برهانه في رسالة الاتصال ليس يعطيه ذلك القول اعطاءً بيّناً إلا بعد عسر واستكراه شديد ، وان ترتيب عبارته في بعض المواضع على غير الطريق الأكمل ولو اتسع له الوقت مال لتبديلها » .

أثر ابن باجة على معاصريه :

على رغم هذا لقد أثر تفكير ابن باجّة على معاصريه تأثيراً عميقا ، وخصوصاً على ابن رشد وابن طفيل . وظاهر ان ابن رشد كتب جوامعه أي جوامع

(١) راجع الأندلس ، ١٩٤٢ م ص ٢٢ و ٢٣ ؛ تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، تحقيق الدكتور احمد فؤاد الاهواني ، ص ١١٧ : اثبت هذا القول في زمان منغص بالداخل اليّ والخارج عني . فلما قرأته رأيت فيه تقصيراً عن افهام كنت اردت افهامه ، فان المعنى المقصود برهان ليس يعطيه هذا القول اعطاءً بينا الا بعد عسر واستكراه شديد .... وكذلك وجدت ترتيب العبارة في مواضع على غير الطريق الأكمل ، ولم يتسع الوقت لتبديلها » .

(٢) المخطوط نفسه ، ورقة ١٢٠ ب : قال القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النفر وهو المعروف بالأديب .

(٣) حي بن يقظان ، تحقيق جوتييه ص ١٣ .

كتب أرسطاطاليس التي قد انطبعت بأجمعها ، سوى (كتاب الحس والمحسوس) ، بحيدر اباد (هند) تحت عنوان « رسائل ابن رشد » بعد مجموعة ابن باجة التي جمعها ابن الإمام تحت عنوان « مجموعة من كلام الشيخ الإمام الوزير أبي بكر محمد بن باجة الاندلسي » محتوية على شروحه على كتب أرسطاطاليس في الطبيعيات ، والآثار العلوية ، والحيوان ، وعلى رسائل أخرى ، ولذلك نجد مصنفات ابن رشد وابن طفيل متأثرة بمصنفات ابن باجة .

ولقد أقرّ ابن رشد نفسه في كتابه ـ تلخيص كتاب النفس [١] ـ بأوضح عباراته ـ أنّ كلّ ما بيّنه في بحث العقل هو رأي ابن باجة . ولكنه أحياناً ينتقد على ابن باجة في أفكاره ، كما ينتقد على الفارابي وابن سينا في بعض من أفكارهما [٢] . والفوائد الموضحة التي أضفتها إلى نصّ الكتاب بأسفل الصفحات قد تفصح عن قدر ما اقتبسه ابن رشد .

قيمة كتاب النفس :

كتاب النفس لابن باجة ، له قيمة في تاريخ علم النفس عند المسلمين ، فإنه يطلعنا على بعض مآخذ كتب ابن رشد ومراجعها ، وأيضاً يملأ الفراغ بين الفارابي وابن رشد .

لقد ترجم اسحاق بن حنين كتاب النفس لأرسطاطاليس في القرن التاسع الميلادي [٣] بالعربية ، وإنهم عثروا في هذا العصر على نسخة من هذه الترجمة باستانبول ، ولم تنشر بعد . وأعدّ الاسكندر الافروديسي تلخيصاً لهذا الكتاب (الموجود باليونانية والعبرية) ، وكتب الفارابي شرحاً عليه [٤] ولم يعثر عليه

(١) تحقيق الدكتور الاهواني ، ص ٩٠ ، وهذه العبارة غير موجودة في نسخة حيدراباد المطبوعة .
(٢) انظر رسائل ابن رشد ، حيدراباد ، ١٩٤٦ ، ص ١١٠ .
(٣) الفهرست لابن النديم ، تحقيق فلوجل (Flügel) ، لپسك ج ١ ص ٢٥١ ، تاريخ الحكماء للقفطي ، نشر لپرت (Lippert) ص ٤١ .
(٤) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٢٧٩ .

أحد إلى يومنا هذا . وابن النديم يذكر لنا أن شروحاً لثامسطيوس ، وسيمفليقيوس ما عدا الشروح السالف ذكرها كانت موجودة بالعربية [١] . والذي يتراءى أن ابن البطريق أوّل مَن كتب « جوامع » كتاب النفس ، وهناك رسائل أخرى عديدة لها عنوان كتاب النفس ذكر ابن النديم في الفهرست أنها كانت موجودة باللغة العربية ، وهي تحت ثاوفرسطس (ص ٢٥٢) ، الاسكندر الافروديسي (ص ٢٥٣) [٢] ، ثامسطيوس (ص ٢٨٣) ، فلرطرخس (ص ٢٥٤) [٣] ، وارسطن (ص ٢٥٥) ، ولكن لم نطّلع على مخطوطة من هذه الرسائل إلى الآن . وقد نشر الدكتور أحمد فؤاد الأهواني المصري مع تلخيص كتاب النفس لابن رشد نصاً عربياً تحت عنوان « كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين » ، والظاهر انه ليس بترجمة ولكنه شرح على كتاب النفس ، كُتب ، كما أظنه ، قبل اسحاق بن حنين ، وله ترجمة فارسية قد عثرتُ على عدة نسخ منها في مكتبة بودليانا [٤] ، والمتحف البريطاني ، ونشرتُ مقالة ، فيها قابلت هذه المخطوطة الفارسية بالنص العربي في مجلة المجمع الملكي الآسيوي البريطاني بلندن [٥] .

إلى هذا اليوم لم ينشر شرح على كتاب النفس لارسطاطاليس سوى النص العربي الذي أشرت اليه آنفاً ، فكتاب النفس لابن باجّة له مزية أخرى من ناحية التقدم ، فإنه أوّل نصّ يلخص لنا سائر ما يوجد في الأبواب الثلاثة لكتاب النفس لأرسطاطاليس .

(١) ابن النديم : الفهرست ، ص ٢٥١ .
(٢) القفطي : تاريخ الحكماء ، ص ٥٤ .
(٣) أيضاً ، ص ٢٥٧ .
(٤) مخطوط بودليانا (Mss. Ous 95) ورقة ٤١ ب – ٥٢ ب ، وفي آخر المخطوطة : « تمام شد مقالهٔ سيوم وبتمامى آن كتاب نفس منسوب بارسطاطاليس دروقت غروب خورشيد روزيكشنبه . . . . ورقم بتاريخ شهر جادى الثاني سنة ١٠٣٩ – ١٦٦٩ ، والحمد لله رب العالمين . . . . . »
(٥) The Journal of the Royal Asiatic Society, London, April, 1936

والعجب أن ابن باجة يذكر في كتابه الفارابي والاسكندر الافروديسي ، وجالينوس وثامسطيوس ، كما يذكر أرسطاطاليس وأفلاطون ، ولكنه لم يذكر ابن سينا الذي هو متقدم عليه ، مع أن ما سرده ابن الامام ، تلميذه الرشيد ، تقدمة للمجموعة ، يشهد بأن ابن سينا كان معروفاً بين العلماء بأرض الأندلس وكانوا معترفين بفضله ، حيث يقول [1] (ورقة ٤ ألف) :

« ويشبه أنه لم يكن بعد أبي نصر الفارابي مثله في الفنون التي تكلم عليها من تلك العلوم ، فإنه إذا قرنت أقاويله فيها بأقاويل ابن سينا والغزالي وهما اللذان فتح عليهما بعد أبي نصر في المشرق في فهم تلك العلوم ، ودونا فيها ، بان لك الرجحان في أقاويله وفي حسن فهمه لأقاويل أرسطو ، والثلاثة أئمة دون ريب ، وآتون ما جاء به من قبلهم من بارع الحكمة عن يقين يمتاز به أقاويلهم ويتواردون فيها مع السلف الكريم » .

النفس وقواها :

يعرّف ابن باجة « النفس » في كتابه ، كما عرّفها أرسطاطاليس ، بأنها استكمال أوّلي لجسم طبيعي آليّ ، ويفصّل القوى الثلاث للنفس ـ الغاذية والحسّاسة والمتخيلة ـ ، ويقول عن الناطقة بأن النفس يقال عليها بنوع من الاشتراك . والنفس عنده من المتفقة أقوالها ، فلهذا لا يمكن تعريفها من جهة واحدة . وتعرف بنحو من الاشتراك فقط . وانما يتعلق فحصه عن النفس ، بالجملة ، بنفس الحيوان .

القوة الغاذية :

القوة الغاذية عُرفت بأنها استكمال أوّلي للجسم الآليّ المغتذي ، وتساعدها قوتان ـ النامية والمولّدة .

(١) وهذه العبارة نقلها أيضاً ابن ابي اصيبعة في طبقاته : عيون الأنباء ، نشر مولر (Müller) ج ٢ ص ٦٣ .

فالغاذية تعد من الغذاء في المغتذي ما يستعمل لحفظ البدن ونموّه وآخر للتناسل . وكما أن الغاذية تصنع الغذاء جزءاً لأعضاء المغتذي ، تصنع المولّدة في البدن جسماً من نوعه ، وتولّده .

ولمّا كان محرك المولّدة عقلاً بالفعل لا يختلط الأمر عليها ولا تولّد إلا من نوع بدنها . وهذا التناسل قد يكون عن «محركاتٍ أُخَرَ مثل العفونة في الحيوان الذي يتكون عنها» .

القوة الحساسة :

وعرفت القوة الحساسة بأنها استكمال أوّلي لجسم آليّ حاسّ ، وهي تدرك الصور المحسوسة ، ولها حواس ، ولكل حاسة آلة ، فلهذا يقول ابن باجّة انها النفس[1] . وهذه الحواس هي البصر والسمع والشم والطعم واللمس والحس المشترك . والقوّة المحرّكة التي أشار اليها[2] ولكنه لم يفصل عنها ، هي ، في ظني ، القوة النزوعية التي قد فصلها ابن باجّه في رسالة مستقلة ، وقد بيّن فيها أن النفس النزوعية جنس لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، والنزوعية بالنفس المتوسطة ، والنزوعية التي تشعر بالنطق . والأوليان مشتركتان عنده في الحيوان وبها تكون التربية للأولاد والتحرّك الى المكان والأشخاص والالف والعشق ، والغذاء والديار . والثالثة يختص بها الانسان فقط[3] .

(١) راجع النص : والخمس التي هي الحواس بيّن من امرها انها أنفس .
(٢) ايضاً : والسابعة هي القوة المحركة .
(٣) راجع مخطوط بودليانا ، ورقة ١٣٩ ب : والنفس النزوعية إما ان تكون جنساً لثلاث قوى ، وهي النزوعية بالخيال ، وبها يكون التربية للأولاد والتحرك الى اشخاص المكان والالف والعشق وما يجري مجراه ، والنفس النزوعية بالنفس المتوسطة وبها نشاق الغذاء والديار ، وجميع الصنائع داخلة في هـــذه ، وهاتان مشتركتان للحيوان ، ومنها النزوعية التي تشعر بالنطق وبها يكون التعلم ، وهذه يختص بها الإنسان فقط .

وعلى غير منهج الفارابي ، إن صحت نسبة رسالة الفصوص له [1] ، وعلى غير منوال ابن سينا [2] ، ابن باجة لا يصف الحواس قط بأنها «ظاهرة» أو «باطنة» ، ولا يذكر «المصوّرة» وإن نسب «الحفظ» للحس المشترك [3] .

وأما كيف يقع الإدراك وكيف يكون الحس؟ فانه يبيّن ، تباعا لأرسطاطاليس ، أن الإدراك هو قبول صور المحسوسات . ولما كانت الصورة مخازة بالمادة أوضح أن المراد من الصورة ههنا هي نسبة تخصها ، وهي هيولى بالتقديم وهيولى المدركات يقال لها هيولى بالتأخير . ولما كانت المعاني المدركة لها علاقة بالمادة فنحن نقدر على إدراك الخواص الهيولانية .

القوة المتخيلة :

قوة التخيل هي استكمال أولي لجسم متخيل آلي ، والمتخيلة تتقدم عليها الحاسة فإنها تخدمها بتقديم الموادّ إليها ، ولهذا يوصف التخيل والحس بأنهما نوعان من إدراك النفس ، والفرق بينهما ظاهر فالحسّ خاص والتخيل عام .

والقوة المتخيلة تنتهي الى القوة الناطقة التي بها يفصح الإنسان عما في ضميره ، وبها يكون التعلم والتعليم .

والحاصل أن النفس ، كما بيّنها ابن باجة نفسه [4] ، هي القوة الفاعلة ، لما

---

(١) رسالة الفصوص ، نشرها ديتريصي (Dieterici) : Al - Farabi's Philosophical Abhandlungen, 73, 74 . وقد اثبت خليل الجرّ (Khalil Geor) في مقالته في Revue des Etudes Islamique, 1941 — 46, 31 — 39 أن نسبة الرسالة الى الفارابي خطأ ، وانما هي من مصنفات ابن سينا .

(٢) راجع الشفاء مخطوط بودليانا ، الأوراق ١٦١ ألف ، ١٨٢ ألف ، ١٨٣ ألف ، وفضل الرحمن : Avicenna's Psychology

(٣) النص

(٤) مخطوط بودليانا ، ورقة ٢٢٠ ب : فان النفس الفاعلة ، وذلك لأن النفس يقال على نحوين كما تلخص فيما كتبناه في النفس ، فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفعلة ، وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة .

طبع مزدوج ، فحينما يقال ان النفس استكمال أولي فهي قوة منفعلة . وحينما يقال انها استكمال أخير فهي قوة فاعلة . وقد أضحت اثنينية « المادة والصورة » و « المحرك والمتحرك » و « الفعل والانفعال » ، و « الأول والأخير » ـ وهي مزية معروفة لفلسفة أرسططاليس ـ أصلاً طبيعياً لسائر الحجج التي سردها ابن باجّة في هذا الكتاب .

ويقول ابن باجّة في رسالة أخرى في النفس الناطقة انها « موهبة إلٰهية » بها تبصر النفس الناطقة « الموهبة » نفسها كما انها « ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس » [١] ، وقال في موضع آخر : « إن هذه الموهبة هي الاتصال بالعقل الفعال » [٢] .

وله سوى هذه الرسالة رسائل أخرى في تفصيل نواح شتى من النفس خصوصاً « النفس النزوعية » و « الوقوف على العقل الفعال » ، و « ماهية الشوق الطبيعي » وغيرها ، وفيها بيّن أفكاره في العقل ، والنبوة والوحي ومسائل أخرى .

فأخذ ابن باجّة يوضح علم النفس على منهج أرسططاليس وانتهى أخيراً إلى مسئلة النبوة كما وصل اليها ابن سينا ، وكما فصّلها الإمام الغزالي في رسالته

(١) ايضا ، ورقة ١٣٦ ب : ورأى بقوته الناطقة حين فاضت عليها الموهبة ، تلك الموهبة كما ترى بقوة العين ضوء الشمس بضوء الشمس ، والسبب القريب في إدراك المعقولات وحصول القوة الناطقة بالفعل هو الموهبة التي هي مثل ضوء الشمس ويبصر بها ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون من يؤمن بالله وملائكته وكتبه الخ . ورقة ١٣٧ ألف : والتفاضل في موهبة الله التي بها تبصر القوة الناطقة متقارب بحسب ما يعطيه الله ايضاً في اول خلقه الانسان من الاستعداد لقبول الموهبة التي بها تبصر القوة الناطقة . . . . .

(٢) ايضاً ، ورقة ١٣٦ ب : ويرى مخلوقات الله تعالى حتى يكون . . . . . . كتبه ورسله والدار الآخرة ايماناً يقيناً فيكون من الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار ، ولا فكرة إلا بتلك الموهبة ، وتلك الموهبة هي اتصاله بالعقل الفعال .

(مشكوة الأنوار) ، وقد اعترف ابن باجة بفضل الإمام الغزالي وذكره بالاحترام والإكرام [1] .

والتزمتُ في الشرح بجمع المواد التي يتيسر بها فهم النص العربي . وبعد أن ذكرت الشواهد والمترادفات من كلام ابن باجة أشرت إلى مآخذ الأفكار في فلسفة ارسطاليس ، وفي كتب الفارابي وابن سينا وغيرهما من الفلاسفة اليونانيين والمسلمين .

ولعدم مهارتي بالإغريقية اعتمدت على الترجمة الانكليزية للكتب اليونانية وخصوصاً لكتب أرسطاليس التي نُشرت باكسفورد .

هذا ونشكر لحضرات الأستاذ ح . ا . ر . جب (H. A. R. Gibb) ، والأستاذ ريچرد والسر (Richard Walzer) ، والأستاذ واندن برك (Van Den Bergh) على ما بذلوه معي من عناء في تصحيح الكتاب وما علقت عليه من التعاليق ، وحضرات أمناء خزانة بودليانا باكسفورد ، فلهؤلاء جميعاً عاطر الثناء .

* * *

(١) ايضاً ، ورقة ١٢٣ ب : والطريق للصوفية المتعمدين للقبول ، وطريق الغزالي من الطرق الموصلة والطرق المأخوذة اولاً عن نبينا صلى الله عليه وسلم .
ورقة ١٢٤ ب : وانظر مع لظوك في مقالات الخير في عيون المسائل ، ثم في قول ابي حامد تجد الكل من نمط واحد والكل في التأويل مع الكتاب العزيز متفق . . . . .
ورقة ١٢٥ ألف : انظر إلى قول الغزالي في آخر كتاب المشكوة فانه يعتقد ان الأول فطـر جميع الفاعلين ان يفعلوا ، والمنفعلين ان ينفعلوا ، وانظر إلى قول ابي نصر في عيون المسائل يقول : ان نسبة جميع الأشياء إليه من حيث انه مبدعها (ورقة ١٢٥ ب) او هو الذي ليس بينه وبين مبدعها واسطة . . . . .

٢ — المخطوطة

كتاب النفس لابن باجّة جزء من مخطوطة موجودة بمكتبة بودليانا تحت رقم پوكك ٢٠٦ (Pocock 206) ، وعنوانها «مجموعة من كلام الشيخ الإمام العالم الكامل الفاضل الوزير أبي بكر محمد بن باجة الأندلسي رضي الله عنه» ، عدد أوراقها المكتوبة ٢٢٢ (اثنان وعشرون ومائتان) ، كل صفحة «$٣\frac{٣}{٤}$" × $٧\frac{١}{٢}$"» ، وتحتوي على ٢٧ وأحياناً على ٣٢ (اثنين وثلاثين) سطراً ، وكاتب النسخة رجل عالم وهو الأديب القاضي الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر الذي انتسخها بقوص في شهر الربيع الآخر سنة ٥٤٧ هـ. ش. (١١٥٢ م) ، وقابلها بالنسخة الأصلية لابن الإمام الذي قرأ نسخته على المصنف ، وقد أتم القراءة في الخامس عشر من رمضان المبارك سنة ٥٣٠ هـ. ش. (١١٣٥ م)[١] ـ أي قبل موت ابن باجّة نفسه بثلاث سنين . فهذا التاريخ يحكم قطعاً بأنه رحمه الله تعالى مات سنة ٥٣٣ هـ. ش/١١٣٨ م ، أي بعد

(٢) وهو ظاهر من عبارة المخطوطة ١٢٠ ألف :
« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت مامثاله : قابلت بجميع مافي هذا الجزء جميع الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الورع الزاهد البر العدل التقي عصمة الأخيار وصفوة الأبرار السيد الوزير ابي الحسن علي بن عبد العزيز بن الامام السرقسطي وهو ينظر في اصله المخبوء به من يد فريد دهره وبشير عصره ونادرة الفلك في زمانه ابي بكر محمد بن يحيى بن الصايغ المعروف بابن باجّة قراءة بقراءة على المصنف باشبيلية والعزيز المذكور ادام الله عزه يومئذ عامل عليها ومستأدٌ لخراجها وما اضيف من العمل إليها ، وكان فراغ الوزير من قراءة هذا الجزء عليه في تاريخ اخرة اليوم الخامس عشر من شهر رمضان سنة ثلثين وخمس مائة . وكتب الحسن بن محمد بن محمد بن محمد ابن النضر بقوص في شهر ربيع الآخر سبع واربعين وخمس مائة ، نسأل الله سبحانه علماً نافعاً في الدنيا والآخرة إنه على مايشاء قدير . »

٥٣٠ هـ . ش . / ١١٣٥ م ، لا في سنة ٥٢٥ هـ ش / ١١٣٠ م كما زعمه بعضهم [1] .

وفي صفحة ١١٨ ألف عبارة أخرى توثق التاريخ الأول وتدل على أن الكاتب الحسن بن النضر نقل هذه النسخة الى الورق المذكور في آخر الربيع الأول سنة ٥٤٧ هـ . ش / ١١٥٢ م وقابل النسخة بالأصل المكتوب بيد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام :

« وحيث انتهيت إلى مثل هذا الموضع من الأصل وجدت ما مثاله : قابلت جميع ما في هذا الجزء من الأصل المنقول منه وهو بخط الشيخ العالم الأوحد الكامل الفاضل الزاهد أبي الحسن علي بن عبد العزيز بن الإمام وكمل بقوص في سلخ شهر ربيع الأول سنة سبع وأربعين وخمس مائة ، وكتب الحسن بن النضر في التاريخ المذكور (المخطوط : المذكور) » .

ونسخة برلين كما يظهر من فهرس اهلورت (Ahlwardt) ج ٤ رقم ٥٠٦٠ ، تاريخ كتابتها الجمادى (الأولى) سنة ٦٧٠ هـ . ش . / ١٢٧١ م . هذه النسخة تمتاز عن نسخة بودليانا في أنها احتوت على مصنفات ابن باجّة في الطب والأدوية والنجوم وغيرها أيضاً ، وعلى مقالات الاسكندر الافروديسي في البصر واللون التي خليت منها نسخة بودليانا . وفي تحقيق أهلورت (Ahlwardt) هذه النسخة مبنية على نسخة ابن الإمام ، ولكن المحتويات ترشد الى أن سائر ما وجد في نسخة بودليانا كان موجوداً في نسخة برلين سوى كتاب تدبير المتوحد والمقالات في المنطق . وإن نسخة برلين كانت أوفى وأكمل فهي مشتملة ، كما ذكرت آنفاً ، على مقالات شتى في فنون أخرى ، بخط مغربي حسن .

و (كتاب النفس) في نسخة بودليانا جاء في ست وعشرين ورقة ونصف صفحة من ورقة . (من ورقة ١٣٨ ب الى ورقة ١٦٥ ألف) ، والنسخة قد أصيبت

---

(١) انظر وفيات الأعيان لابن خلكان ، نشر Wüstenfeld ج ١ — ٧ ، نمبره ٦٨١ (1835) .

في مواضع كثيرة بالرطوبة الخارجية فتلاصقت الأوراق بعضها ببعض . وإنها وإن كانت في خط حسن نسخي إلا أنها كانت أحياناً غير منقوطة وغير معربة كما هو عام في المخطوطات الفلسفية . والأسلوب في الكتابة غريب فالألف والكاف واللام مكتوبة في شكل واحد لا يتيسر للقارئ أحياناً تمييزها . هذا مع أن النسخة مملوءة بالأغلاط النحوية التي صيّرت النسخة عويصة جداً ، لا يسهل فهمها للأذهان [1] .

وبعد أن قابلت كتاب النبات بتمامه ، ورسالة الوداع ، ورسالة اتصال العقل وهما ناقصتان في نسخة بودليانا ، (وقد نشر الرسائل الثلاث المرحوم الأستاذ آسين پلاسيوز (Prof. Asin Palacios) من النسختين [2] ،) بنسخة بودليانا ظهر لي أن نسخة برلين كانت مفيدة جداً لمن أراد التحقيق في أجزاء من المجموعة ، فالنسختان قد تختلفان في النص ، فان فُقد لفظ في نسخة أحياناً ، زيد لفظ في الأخري [3] .

على أني قد اختلفت في مواضع كثيرة من الرسائل المذكورة من قراءة الأستاذ المذكور [4] ،

(١) مقالة دنلوب (Mr. Dunlop) المنشورة في J. R. A. S. 1945. p. 62 .

(٢) انظر مجلة الاندلس ، ميدرد Al-Andalus 1940, 42, 43 .

(٣) مثلاً « النزوعية » لا توجد في نسخة برلين ، ويوجد في حاشية نسخة اكسفورد ؛ انظر الأندلس ١٩٤٢ ، ص ١٢ (رسالة الاتصال) . وإن اردت الأمثال فانظر الأندلس ج ٥ ، ١٩٤٠ ، ص ٢٦٦ — ٢٧٨ (كتاب النبات) وقابل بالمخطوطة .

(٤) مثلاً قرأ الأستاذ آسين « القوة المتمنية » في موضع « القوة المنمية » ، انظر الأندلس ج ٧ ، ١٩٤٢ ص ١٢ ؛ ايضاً ١٩٤٠ ، ص ٢٦٧ : « فان كان للنبات ذكر وانثى فانما يجب ان يكون ذلك في المتميزة فقط فأما ما ليس بمتميز . . . » وقراءتي « المثمرة » و « يثمر » في الموضعين ، في نسخة اكسفرد : « المتميزة » و « يثمر » .

وقد ترك أيضاً بعضاً من الألفاظ سهواً [١] . وأما (تدبير المتوحّد) الذي نشره الأستاذ المذكور فإنه أحسن تحقيقاً من الوُرَيقات التي نشرها من الكتاب السالف ذكره المستشرق دنلوپ (D. M. Dunlop) فانه مثلاً ، قرأ « التشكيك » « تشكيلاً » ، و « المشككة » « مشكّلة » . وهكذا قرأ « المهين » موضع « المهن » ، و « رؤف » موضع « ردف » ، و « لهتين » موضع « لهذين » ، و « لذلك لا يرد ، والجمهور » موضع « ولذلك لا يردف الجمهور » ، و « الأمور الحربية » موضع « الأمور الجزئية » [٢] .

والنص على ما ذكرت مملوء من الأغلاط التي وقعت إما من الكاتب أو كانت في الأصل الذي كان بخط ابن الإمام . واجتهدت في تصحيح كثير من الأغلاط في النصّ وأثبت ألفاظ المخطوطة في الأسفل في كل من الصفحات . والألفاظ التي أضفتها من عندي لتوضيح العبارة أو المعنى وضعتها بين قوسين هكذا : < .... > . وقد وجدت فراغاً في مواضع عديدة فبذلت جهدي في سدّ هذا الفراغ في كثير من المواضع الخالية . ورغماً عن هذا يمكن أني سهوت عن بعض الفراغ فبقي غير مسدود .

وكما ذكرت من قبل ، هذه النسخة عتيقة جداً فصارت رديئة في كثير من المواضع في أوراق كثيرة ، فكثيراً ما تلاصقت الأوراق للرطوبة التي لحقتها ، وعندما فرّقوا الأوراق ضاع كثير من الحروف أو الألفاظ بأسرها ، فالعبارة

---

(١) انظر مثلاً ، الأندلس ، ١٩٤٢ ص ١٢ : السطر الأخير : « فاذا يكون حينئذ انساناً بالقوة » ، في نسخة اكسفرد « بالقوة الفكرية » (ورقة ٢١٦ ب) ؛ ١٩٤٣ ص ٣٧ : « وذلك في اليسار فيكون كالحــاكم » وفي المخطوطة : « ... فيكون كالك كالحاكم » ؛ ص ٤٠ : « إذ هو منقسم » ، في المخطوطة : « إذ هو جسم منقسم » .

(٢) انظر J. R. A. S. 1945. p. 64

بقيت ناقصة لا يتضح معناها . لقد أثبتُّ هذه العبارات بعد جهد بليغ ومقابلة بعبارات مترادفة وجدتها في تلك الرسالة والرسائل الأخرى من المجموعة ووضعتها بين قوسين شكلها هكذا : [. . . . .] .

ولم يُنشر جزء من هذه المخطوطة من قبل ، ولم يحقق إلى هذا الآن سوى ما نشره الأستاذ المرحوم آسين پلاسيوز من كتاب (تدبير المتوحد) ، (كتاب النبات) ، (رسالة الوداع) ، (ورسالة اتصال العقل بالانسان) ، وأما ما كتبه أوكلي (Ockley) في ترجمته الانكليزية لحي بن يقظان لابن طفيل (انظر حاشية الترجمة المذكورة التي نشرت بمصر) ، أن جميع المخطوطة لابن باجة حققه ونشره الأستاذ ادورد پوكك (E. Pocock) ، فليس له حقيقة [١] ، إذ لم ينشر الأستاذ پوكك شيئاً من المخطوطة ولم يذكر هذا في مقدمة ترجمته لحي بن يقظان اللاطينية التي سماها (المقدمة) Elenchos Scriptorum (فهرس المصنفين) ونشرها مع الترجمة ، Philosophus Autodidactus [٢] ، وما ادّعى قطّ أنه فعل هـذا .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

جامعة داكة ، باكستان الشرقية ، ايلول سنة ١٩٥٧

---

(١) انظر ترجمة حي بن يقظان الانكليزية ، طبع القاهرة ، ١٩٠٥ ، ص ٨ في أسفل الصفحة .

(٢) اكسفورد ، ١٦٧١ ، ص A 2 .

التعريف والنقد

المغرب في حلى المغرب لابن سعيد المغربي

حققه وعلق عليه الدكتور شوقي ضيف

طبع دار المعارف بمصر في أكثر من (٥٥٠) صفحة بالفهارس

كنت قبل هذا بمدة ، كتبت تقريظاً نقدياً للجزء الأول من هذا الكتاب القيم ، الذي نشره الأستاذ المحقق الدكتور شوقي ضيف ، ونوهت بعمله العظيم ، وأشرت الى بعض المآخذ ، وعلى التحقيق بعض الكلمات التي خالف رأيي رأيه في قراءتها أو هو لم ينتبه الى تصحيحها ، من غير أن أغفل مطلقاً عن الاعتراف بمجهوده الجبار الذي أخرج به ذلك النص المهم في حلة قشيبة من التحقيق والضبط والتعليق تعجز الكثير من أئمة هذا الشأن .

وغبرت مدة اقتنيت فيها الجزء الثاني ، وكنت متشوفاً لظهوره ، ولكني لم أستطع قراءته متملياً مستفيدا ، لما كنت منهمكاً فيه من الأعمال والتبعات ، حتى أمكنتني الفرصة الآن ، وقد تخففت من تلك الأعباء الثقال ، فكان هو من أول الكتب التي سارعت الى منادمتها والاستمتاع بها . ولا أكذب القارئ أنني زدت إعجاباً وتقديراً لعمل الدكتور الفاضل فلا أدري أكان عمله في هذا الجزء أكثر تدقيقاً منه في الجزء الأول أم أن تجربة ثلاث سنين [1] وخبرتها هما اللتان جعلتاني أقدر أعمال الناس وأزنها بميزانها الحقيقي أكثر من ذي قبل .

وعلى هذا السنن العلي اللاحب ، أردت أن أتمم ذلك التقريظ ـ ولا خير

(١) نشر تقريظ الجزء الأول في ج ٤ من مج ٢٩ من هذه المجلة الصادر في اكتوبر ١٩٥٤ (ص ٥٨٠ – ٥٩٣) .

في تقريظ لا يكتب بروح نقدية ـ بالتنبيه على بعض الهنوات ولا أقول الهفوات ، فانني أؤكد أن بعض الكمات التي ينتبه اليها القارئ هي في الغالب مما يغفل عنه الكاتب ، فلا يكون إهمالها من باب الخطأ الذي يلزم المؤلف . وهي لذلك عندي من الهنوات التي لا مصدر لها ، لا من الهفوات التي تؤخذ على الكاتب . . ومن الطبيعي أن أغض الطرف عن بعض الشّكلات التي تزحلقت عن محلها ، أو وضعها الطابع غلطاً على غير وجهها ، فان من سبق له أن نشر كتاباً أو مقالاً أو قصيدة فيها بعض الشكل لا بد أن يكون قد صُدم ببعض هذا التغيير . وبعض القراء يجهلون ذلك فيأخذون به المؤلف ، ولكنهم أحرياء أن يعرفوا من سياق العمل أن مثل هذا المؤلف أو ذاك ليس ممن يجهل أن الفاعل مرفوع وأن مضارع الثلاثي غير مضموم الأول الخ ، وهكذا نحن لم نتتبع شيئا من الهوس الذي يتورّط فيه بعضُ الكتَّاب .

ولا أحتاج أن أقول . . انني بهذا التنبيه إنما أتعاون مع حضرة الناشر على خدمة هذا الكتاب ، وأتمم ما بدأت به في الجزء الأول من التقريظ والنقد ، عناية بهذا الأثر النفيس الذي كانت المكتبة العربية في أمس الحاجة اليه . ولذلك أزفُّ من جديد عرائس التهاني للدكتور شوقي ضيف على توفيقه وتبريزه في خدمة الأدب العربي سواء بالتأليف أو النشر أبقاه الله وأدام النفع به . وهذه هي تلك الهنوات المشار اليها . .

وقع في ص ٨ ضبط كلة موسطة بفتح الميم والسين . ونص العبارة التي جاء فيها « وهي في الاقليم الخامس موسطة » ، والضمير يرجع الى مدينــة طليطلة . وأظن أن هذه الكلة وقعت في الجزء الأول بهذا الضبط أيضاً . وكنت توقفت فيها . ولما كنت بعيداً عن منزلي ومكتبتي لم يمكني تحقيقها . وبمقتضى ما ذكره اللغويون من أن فعل وسط هو من باب وعد يظهر لي أن حقها أن تكون

بكسر السين .. على أن صاحب القاموس ذكر أن موسط البيت بوزن مكرم هو ما كان في وسطه خاصة فليحرر .

وفي ص ١٦ عن أبي الخطاب الشاعر : «وكان في صلة الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الأفطس» . ولعل الصواب : وكان في جملة الفضلاء . . .

وفي ص ٢٣ :

أعلل نفسي بالمواعد والمنى   وما العيش واللذات إلا محمدُ
بذاك سبا عقلي وهاج لي الجوى   ولم يسبه حورٌ أوانسُ نُهد

وأظن أن صواب كلمة بذاك .. فذاك بالفاء .

وفي ص ٥٢ : «وكان (ابن همشك) يردي أهل الجنايات من حافّة عظيمة» وضبط الحافة هنا بتشديد الفاء ، والصواب تخفيفها فان الحافة جانب الوادي مخففة . ولعل الضبط خطأ مطبعي .

وفي ص ٦٧ ما نصه : «لا يعدم مال الكريم غارة من الأفضال (تسن) ، وعادة من الاحسان تسن» ويجب إعجام السين من (تسن) في الفقرة الأولى . وهو تطبيع .

وفي ص ١٠٣ : «ونهرها الكبير (يعني غرناطة) يقال له شَنَّيل» بفتح الشين والنون مع تشديدها ، وتكرر هذا الضبط في شعرٍ ورد في نفس الصفحة . وعلى ما يظهر لي ، يجب أن يكون كل من الشين والنون في هذا الاسم مكسوراً ؛ أما الشين فلأنهم قد يكتبون هذا الاسم بزيادة ياء بعده هكذا : شينيل ، ومعلوم أن اشباع الكسرة يولد الياء . وقال ابن زمرك في إحدى قصائده التي يصف بها بعض مصانع غرناطة كما في نفح الطيب :

يا قصر شينيلٍ وربعك آهل   والروض منك على الجمال قد اقتصر

وأما النون فلأنهم يذكرون في مفاخر غرناطة على سبيل النكتة الأدبية ، أن نهرها شنيل يعدل بألف من نيل مصر لأن عدد الشين في حساب الجُمَّل ألف . فاذا قلنا شنيل فكأنما قلنا ألف نيل . ومقتضى هذا كسر النون كما لا يخفى . ويسمي الاسبان نهر شنيل Genil على عادتهم من قلب الشين العربية خاء في

بعض الأسماء . وعلى كل حال فهم قد كسروا الخاء المنقلبة على الشين والنون معاً .

وفي ص ١٠٤ من موشح :

ورسولي قد تعرّف منه بما أدري فحرّف

ولإقامة الوزن يجب حذف الباء من قوله بما .

وفي ص ١١٧ :

لا تلمني بأن طربت لشدوٍ يبعث الأنس فالكريم طروبُ

ليس شق الجيوب حق علينا إنما الحق أن تشق القلوب

وقد ضبط اللام في لا تلمني بالفتح ، ولا شك أنه خطأ مطبعي وأن حقه الضم . أما صدر البيت الثاني فيظهر أن صوابه أن يكون هكذا : ليس شق الجيوب حقاً علينا . ولا يحسن نصب شق ورفع حق لأن الأول هو المحكوم عليه . وبعد كتابة ما ذكر رأيته كما ذكرتُ في نفح الطيب .

وفي ص ١١٩ في التعليق : «وذكر ابن ذاكور في شرحه على القلائد» والصواب ابن زاكور بالزاي . وأظنني نبهت على هذا في الجزء الأول .

وفي ص ١٤٤ :

أنت الهوى لكنْ سلواي الهوى قصد ابن معن والحديث شجونُ

وأظن أنه (قصر ابن معن) بالراء كما يدل عليه ما بعده ، والبيت السادس بالخصوص .

وفي ص ١٥٦ :

عليك لنا فضلٌ ومنٌّ وأنعم ونحن علينا كل مدح مُحَبَّر

وأعرف أنها مُحَبَّرُ ، وقافية الشعر مضمومة فهو الذي يناسبها بغير تكلف .

وفي ص ٢٢٥ : «ولهم فيه غال عظيمة» بضم الغين ، والصواب كسرها . وفيها عن الكاتب ابن طاهر : «أخبرني والدي أنه لم يزل مع الملك المذكور عثمان بن عبد المؤمن في عز ونعمة ، إلى أن وقع له على رسالة بعثها الى أخيه أبي جعفر بن عبد المؤمن ملك اشبيلية فغار وسمّه فمات» الخ . . وقد ضبط فعل وقع

بالتشديد من التوقيع ، وأظن أن سياق القصة يعطي أنه بالتخفيف من الوقوع بمعنى العثور ، أي أنه عثر له على هذه الرسالة التي يخاطب بها أخ مخدومه ، يريد أن يلتحق به ، فغار مخدومه وقتله .

وفي ص ٢٣١ :

وان أحمدَ في الدنيا وان عظمت لواحد مفرد في عالم أمم

بفتح همزة أمم وأظن أن الصواب ضمها ، ولعله تطبيع .

وفي ص ٢٥٣ :

اربأ بنفسك أن تكون متابِعا ما الحر إلا أن يُؤمّ فيُتبَعُ

ببناء يؤم للمفعول فهو بمعنى يقصد ، وظهر لي أنه ربما كان يؤم على صيغة المبني للفاعل من الإمامة وتأتي كلمة يتبع بعده أكثر تمكنًا وأقرب مناسبة .

وفي ص ٢٥٥ :

الزّرُّ بزّ القفـا وخلعتُـه فاخلع علينا من ذلك البزّ

وقد ضبطت كلمة بز بالفتح على أنها فعل ماض ، والصواب رفعها على أنها اسم بدليل عطف وخلعته عليها ، ولا معنى لفعل بزّ هنا ، وربما (ورب للتكثير) كان ذلك الضبط تطبيعًا .

وفيها ضبطت كلمة (وتهت) بضم التاء وهي من تاه يتيه ، فحقها الكسر ، ولا يبعد أن يكون ذلك خطأ من الطبع .

وفي ص ٢٦٧ :

ثماني خصال في الفقيـه وعرسه وثنتان والتحقيق في الأ (مر شيق)

وهذا من شعر البكتي الشاعر الهجّاء المشهور . ووضعُ الناشر الفاضل للحروف الأخيرة في البيت بين عقفتين يدل على أنها لم تثبت بالأصل وأنه هو الذي تمم البيت بها . وقد جاء البيت تامًّا بما يقرب من عمل الناشر عند صفوان ابن ادريس في زاد المسافر ونصه :

ثماني خصال في الفقيه وعرسه وثنتان والتحقيق بالمرء أليقُ

ومن أبيات القطعة في المغرب :

ويكذب أحياناً ويحلف حانثا ويكفر تقليداً ويرشى و (يحمق)

هكذا بتتميم الناشر ، والبيت في زاد المسافر هكذا :

ويكذب أحياناً ويحلف حانثا ويكفر تقليداً ويزني ويسرقُ

وفي الصفحة بعض اللحن في بعض الأبيات الأخر ، ونظن أنه من خطأ الطبع .

وفي ص ٢٦٩ :

وصارم أبصرت ذي فلْكةٍ فقلت يا صارم من فلّكا

فقال لي لحظ غلامٍ رنا ونهد عذراء كما فلّكا

وقد ضبطت فلكا الثانية بالبناء للمجهول والصواب بناؤها للفاعل ، يقال فلك ثدي الجارية وتفلك . وما نظن الشاعر أتى بالبيت الأول إلا لاصطياد هذا الجناس الكامل ، فلا يصرف عن قصده .

وفي ص ٢٧٧ : ذكر ابن سعيد في ترجمة أبي الحسن جعفر بن الحاج أنه هو والد أبي محمد عبد الحق الذي ارتضاه أهل لورقة للقيام بأرضهم ، فلم يرض .. وفي الصفحة قبلها ذكر في ترجمة أبي محمد هذا أن اسمه عبد الله .. ولم يحقق الناشر الفاضل في ذلك ، مع أنه أحال على مصادر كثيرة لترجمة أبي الحسن بن الحاج هذا ما بين خطية ومطبوعة . وبما أن الخطية التي أحال عليها ليست بيدنا فاننا أيضاً لم نستطع أن نقول كلمة فاصلة في الموضوع ، لا سيما والضبي في البغية وابن الابار في المعجم يسميان هذا الولد اسماً ثالثاً هو عبد الرحمن .

وفي ص ٢٧٩ ورد هذا البيت :

رويداً فلي قلب على الخطب جامد ولكن على عتب الأحبة دائبُ

بالدال المهملة في دائب ، ولا يخفى أن الصواب إعجام هذه الدال ، فكلمة ذائب هنا واقعة في مقابلة جامد من عروض البيت ، ولا معنى للدؤوب على معاتبة

الأحباب بل المقصود ذوبان القلب من سماع عتابهم . وهذا كله إنما سببته نقطة سقطت من يد المنضد فيما نعتقد ، ولكنها نقطة هي مركز الدائرة في معنى هذا البيت .

وفي ص ٢٨٧ جاء هذا البيت :

وما هو غير أن أدعى وحسبي   حيا الإخوان أو موتُ الأعادي

بضم التاء من موت ، ولا شك أنه معطوف على حيا فحقه النصب . والشاعر يتأسف على عدم إدراك مراده قبل الموت كما في البيت قبل هذا ، وما مراده إلا ما ذكر . وفيها أيضاً هذا البيت :

أنكرت ان راع الزمانَ أدبي   وهل رأيت ذا نهى مُؤمَّنا

بنصب الزمان ، والصواب رفعه لأنه هو الفاعل الرائع .

وفي ص ٢٩٨ هذا البيت :

بلادي التي ريشت قويدِمَتي بها   فُرَيخاً وآوتني قرارتُها وَكْرا

وفيه تصغيرُ قادمة على قويدمة بزيادة الياء ، ولا تصح هذه الزيادة نحواً ولا عروضا .

وفي ص ٣٠٢ وقع هذا البيت من قصيدة :

وأصدرت الرايات حمراً كأنها   صدورٌ حسانٌ مسَّهنَّ عبيرُ

وقد نونت فيه صدور وحسان على وصف للصدور ، وأملح من ذلك أن تضاف صدور الى حسان لتفيد أن هذه الصدور لغوان حسان لا مطلق صدور حسان قد تكون على حسنها لرجال خشان .

وفي ص ٣٠٦ جاءت هذه العبارة : « إنه ما اختلف الليل والنهار إلا بنقص وامرار » هكذا بالصاد في نقص وأظنه بالضاد .

وفي ص ٣١٠ أبيات في النوار المعروف بالخيري ويقولــــ له العامة عندنا الخيلي ، منهــا :

لك الخير أتحفني بخيريّ روضةٍ   لأنفاسه عند الهجوع هبوبُ

أليس أديبُ النّور يجعل ليله نهاراً فيذكو تحته ويطيب

والمقصود قوله أديب النور ، فانه بالنصب خبر ليس ، لا بالرفع كما ضبط في الكتاب ، والشاعر يشير بذلك الى قولهم الليل نهار الأديب .

وفي ص ٣١١ من قصيدة في وصف بحيرة بلمسية :

اذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيع كل حسن من الزهر

هكذا ثبت هذا البيت باضافة ربيع الى كل حسن ، وبيان ذلك بقوله من الزهر ، ويظهر لي أن صواب هذا البيت هو كما يلي :

إذا الناس حنوا للربيع وجدتنا بها في ربيعٍ كلَّ حين من الدهر

والضمير في بها يعود للبحيرة ، فهي ، كما قال المؤلف وردد ذلك الشاعر في أبيات أخرى ، تكسب بلمسية جمالاً طبيعياً وخضرة ونضرة بحيث تجعلها كأنها دائماً في فصل الربيع . وبعد هذا البيت يقول الشاعر :

تهب نَعاماها فيفغم أنفنا بأنفاسنا الملذوذة البردُ في الحرّ

وقد ضبط فعل يفغم بالبناء للمجهول وأنفنا مرفوع على أنه نائبه ، ثم ضبط البرد بعلامة الرفع أيضاً . ولا شك أنه بعد أخذ الفعل فاعله لم يبق إلا جر البرد بالإضافة الى ما قبله إضافة لفظية . فإن أردنا أن نرفعه فعلينا أن نبنيَ فعل يفغم للمعلوم وننصب أنفنا على أنه مفعول له ويكون البرد حينئذ فاعلاً مرفوعا .

وفي ص ٣١٢ يقول الشاعر في صفة مذانب ماء ، من أبيات :

كالنصل إلا أنه لا يُتّقَى كالظل إلا أنه لا يُرهَبُ

ولا شك أن الظل هنا محرفة عن الصل بالصاد وهو الحية الخبيثة بدليل قوله لا يرهب ، وتشبيه الماء الجاري بالصل معهود عندهم .

وفي ص ٣١٤ حكاية عن ابن عائشة الشاعر أنه كان يوماً مع ابن خفاجة وجماعة من الأدباء تحت خوخة منثورة فهبت ريح صرصر ، أسقطت عليهم زهرها .. الخ ، وظاهر أنها خوخة مُنوَّرة لا منثورة .

وفي ص ٣١٦ وردت ترجمة الحافظ أبي الربيع الكلاعي ، وهو منسوب إلى ذي الكلاع بفتح الكاف من أذواء اليمن ، فضَمُّ الكاف كما في الكتاب خطأ . وأثبت له المؤلف أبياتاً في مشط فضة ، منها هذا البيت :

مُشط الحسان بمعظم ظلم لعمري عظيمُ

وقد ضبط لفظ مشط بضم الميم ، وهو الآلة كما لا يخفى ، والمراد هنا الفصل بدليل قوله بعظم ، فحق الكلمة إذن فتح أولها .

وفي ص ٣١٩ هذا البيت :

فبتُّ لا حالُهُ كحالي ضجيعُ بدرٍ صريعُ سكرِ

برفع اللام من حاله ، وصوابه لا حالَهُ .

وفي ص ٣٣٩ هذان البيتان من قصيدة :

يا يوسفاً أزرى بحسن الذي آمن في الجُب وقوع الملك
قطعت أيـدي نساء له فكم قلوب قطَّع الناس لك

ويظهر لي أن آمن صوابها أمن ، وأن البيت الثاني سقط من أوله حرف الشرط والتقدير إن قطعت ، وذلك ليتزن ولتكون الفاء من فكم واقعة موقعها من الجواب .

وفي ص ٣٤١ بيت من موشحة لابن حريق يقول فيه :

محمد اللنـق يا غزالي يا صاحب العينين الكبارِ

وقد ضبط اللنق بالشدة المفتوحة على اللام ثم بتسكين النون والقاف معاً ، وأظن أن الصواب تشديد اللام مع الضم وتسكين النون ورفع القاف ، أولاً — لأنه بتسكين القاف يختل وزن البيت . وثانياً — لأن اللنق لقب هذا الموصوف وبه يعرف ، فحقه أن يكون تابعاً في الإعراب لمحمد . وإنما قلنا إن اللنق لقب ، لأن هناك من أعلام الأندلسيين من يعرف باللونكو ، فالغالب أن اللنق الذي نحن بصدده هو تعريب له . وانظر هل تكون هذه الكلمة (اللونكو) مأخوذة من Long الفرنسية بمعنى الطويل ؟ .

وفي ص ٣٦٨ ورد هذا البيت ضمن قطعة :

والشمس تجنح للغروب مريضةً والبرق يرقَى والغمامة تنفثُ

وضبط فعل يرقى بفتح القاف من الرُّقِيّ وهو بالكسر من الرُّقْيَة كما لا يخفى بدليل ما بعده .

وفي ص ٣٧٤ هذا البيت من قطعة :

فلا رحلت إلا بقلبي ظعينةً ولا حملت إلا ضلوعي هودجا

والظعينة المرأة المسافرة في الهودج فهي الراحلة بقلبه وهي الفاعل برحلت ، فحقها الرفع لا النصب كما ثبت في الطبع .

وفي ص ٣٧٦ جاءت هذه العبارة من كلام الفتح في القلائد : « وكانت عنده (مناهل) تزف فيها للمنى أبكار نواهد » وقد توقفنا في مناهل هذه ، لا لاختلال السجع ولكن لعدم وضوح المعنى أيضاً معها . ورجعنا الى القلائد فاذا بها : مشاهد .

وفي ص ٣٨٦ في ترجمة ابن مغاور الشاعر أن بعض الأعيان وهب له نصيبه من السقيا في يوم ما ، فسقى جنته ، وجاء في ذلك اليوم ضيف فكتب اليه يستسقيه خمراً هذين البيتين :

سقيت أرضي بفيض ماء فاسقِ ضلوعي بفيض راح
واترك جفاي يذهب جفاءً واخفض جَناحاً على جُناحي

وقد علق الناشر الفاضل على صدر البيت الثاني بقوله : « هكذا الشطر في الأصل » . وأظن أن هذا الشطر واضح لا غبار عليه ، فان الشاعر أحسّ بقلة الذوق في كثرة السؤال فاعتبر ذلك جَفاءً وعدمَ بر ، فقال لمخاطبه المسؤول : « واترك جفاي يذهب جفاءً » أي غثاء كغثاء السيل مما لا يعتد به ، قال تعالى : «فأما الزبد فيذهب جفاءً» فجَفاي بفتح الجيم وجُفاء بضمها ، وهما كذلك عند الناشر الفاضل ، إلا أن همزة جفاء جاءت في الكتاب مضمومة ، وهو خطأ

مطبعي لا شك فيه ، فظهر أن الشطر صحيح المعنى واللفظ لا توقف فيه ، نعم في قوله جفاي زحاف يمكن تجنبه بجعله جفائي ، وربما كان كذلك عند الشاعر .

وفي ص ٤٢٩ هذا البيت من قطعة :

مسروا كاقتداء الطير لا الصبر بعدهم جميل ولا طول الندامة ينفعُ

ولم أفهم لاقتداء الطير بالقاف معنى . فرجعت الى (قلائد العقيان) التي أحال الناشر الفاضل عليها في تحقيق بعض ألفاظ القطعة ، فوجدتها كذلك ذكرت هذه الكلمة ، وقد وقع في وهمي أنها ربما تكون محرفة من اغتداء بالغين ، والمعنى أنهم مسروا بكرة كما تبكر الطير في نهوضها . وفي الحديث : «لو توكلتم على الله حق توكله لرزقتم كما ترزق الطير ، تغدو خماصاً وتروح بطانا» فهذا هو اغتداء الطير . وفي شواهد البلاغة :

إذا أنكرتني بَلدة ونكرتها خرجتُ مع البازي ، عليَّ سوارُ

وفي ص ٤٤٥ ثبت هذا البيت :

وحقك ما تركت الشعر حتى رأيت البخل قد أزكى شهابه

بالزاي في أزكى ، فقلت ياليت المنضد أبدل ذال زاكون بزاي أزكى ، والذال المعجمة كثيراً ما ترد في مطبوعات الشرق زاياً ، لأن بعض إخواننا الشرقيين ينطقونها شبيهة بالزاي تماماً .

وفي ص ٤٥٠ ورد هذا البيت :

ثمرات الأنس ترتاد عنـدي وهي من روضك تُجنى وتُجبى

بكسر همزة الأنس وحقها الضم ، وبفتح تاء ترتاد وحقها الضم أيضاً . وفي الصفحة التي بعدها هذان البيتان :

أخطأت في بر الذي لم ترعه وغدا يلاحظني بمقلة ساخرِ

إن التواضع للذي يعتـدُّه ضعة لجهـل ما له من عاذر

وترعه لا شك أنه تصحيف صوابه يرعه ليبقى الكلام كله على الغيبة في غاية الانسجام .

وفي ص ٤٦٢ وقع هذا البيت :

يقولون لا يبعـد ولله دره وقد حيل بين العير والنزوان

وقد ضبط يبعد فيه بضم العين وصوابه الفتح لأنه من البَعَد بفتحتين بمعنى الهلاك ، لا من البُعد بالضم ضد القرب ، وبعض اللغويين يسوي بينهما ، والتحقيق التفرقة .

وفي ص ٤٥٤ ورد هذا المقطع من موشح :

بي جوى مضمـر ليت جهـدي وفقه
كلمـا يذكى ففـؤادي أفقـه
ذلك المنظـر لا يـداوى عشقه

وصواب يذكى كما لا يخفى يذكر وهو خطأ مطبعي ، وذكر المحقق الفاضل أن هذه اللفظة وقعت في رواية دار الطراز يظهر و يا ما أحسنها هنا ...

وفي ص ٤٦٢ من قطعة في عدم الاعتداد بالأحساب والأنساب إذا لم يكن صاحبها ذا مالـــ :

فحـرام المجـد والعلم إذا لم يكن عندك شيء من ذهب

وعلق الناشر الفاضل على كلمة فحرام أنها في الأصل حرام .. ولا شك أن الفاء التي زادها الناشر قصد بها إقامة الوزن . ولكن صواب الكلمة هو ما كان في الأصل ، على أن تقرأ : حِرُ أمِّ المجد والعلم ... بكسر الحاء وضم الراء من حر مع إضافتها للفظ أم ، وغير خفي ما يقصد بذلك من الفحش والإزراء .

وفي ص ٤٧٠ من بيتين في وصف الخيل :

هي البحور ولكن في كواثبهـا عند الكريهة منجاة من الغرق

والمراد بكواثبها أعاليها لا أسافلها كما فسرت في التعليق على أن المراد بذلك أرجلها .. وفي الحديث يضعون رماحهم على كواثب خيلهم ، قالوا هي من الفرس مجمع كتفيه قدام السرج . ويرشح هذا المعنى أن الشاعر جعلها منجاة من الغرق ، شأن من يجتنب الغرق أن يطلب العلو لا السفل .

وهنا ننتهي من هذه الملاحظات التي نرجو أن لا نكون أوغلنا فيها حتى أسففنا وسفلنا ، على أننا قد تركنا بعض الكلمات لم يخامرنا شك في أن خطأها من باب التطبيع .. وأما قبل وبعد فإن قصدنا هو خدمة هذا الكتاب القيم ، ولو بجزء من ألف ، من العناية التي حظي بها من حضرة ناشره الفاضل ، فليقبل منا جنابه هذا التطفل على عمله العظيم مع أصدق التحيات وأخلص التقدير .

عبد الله كنون

خريدة القصر وجريدة العصر
تأليف العماد الأصفهاني الكاتب

« قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، في ٦٨٨ صفحة متوسطة ما عدا الفهرس ، عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل ، وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م »

— ١ —

لا يزال المجمع العلمي العربي بدمشق دائباً على إخراج التراث العربيّ القديم الزاهر بنشره رسائله ومخطوطاته ، في اللغة والنحو والأدب وتاريخ الأدب ، ومن مآثره في هذا المجال إخراجه الجزء الأول من القسم الثاني لشعراء « خريدة القصر وجريدة العصر » للأديب الطائر الصيت قديماً وحديثاً « عماد الدين الاصفهاني الكاتب » ، وقد أسندَ تحقيقه إلى الدكتور الأديب المحقق « شكري فيْصَل » وهو أهل لثقة المجمع العلميّ العربيّ في ذلك وأمثاله ، فحقّقه بطريقة دلت على سلامة بحثه وبراعته فيه ، وطول باعه في معالجة هذا الكتاب العسير النشر والتحقيق ، وهو لا يزال في عنفوان شبابه ، وقد طالعت هذا الجزء مستفيداً مستجيداً ، ولم يستوقفني فيه استيقاف الرايث ، عن المسير في الدمائث ، إلا أشياء يسيرة أنا ذاكرها على الترتيب فأقول :

١ — جاء في ص « ٣٠ » قول الشاعر الغزّي :

مثقف الأسَل الظمآن تُرْجِمُهُ درعُ الكميّ حطياً دونَ مُرتشفِهْ

بجعل « ترجمه » رباعياً ، والفصيح الذي هو لُغة القرآن « تَرْجِمُهُ » بفتح التاء ، قال الجوهري في الصحاح : « رجع [1] بنفسه رجوعاً فرَجَعَهُ غيره ، وهُذَيْل تقول أرجَعَه . وقوله عز وجلّ : (يَرجِعُ بعضُهم إلى بعضٍ القولَ) أي يتلاوَمُون » . وقال الفيومي في المصباح المنير : « رَجَع من سفره وعن الأمر يرجع رجعاً ورجوعاً ورُجعى ومَرجعاً . قال ابن السكيت : هو نقيض الذهاب ، ويتعدى بنفسه في اللغة الفصحى فيقال : رجَعْتُه عن الشيء وإليه ، ورَجَعْتُ الكلامَ وغيره أي رددته ، وبها جاء القرآن قال تعالى : فإن رَجَعَكَ الله . وهذيل تُعدّيه بالألف » .

فالفصيح هو الثلاثي ولم يكن الغزي الشاعر هُذلياً فيصحّ أن تنسب اليه لغة هذيل .

٢ — وورد في « ص ٢٤ » قول الشاعر الغزي أيضاً :

ولو حصل الإنجازُ لم يبق مطمع وَجودُ اشتعال النار داعي خُمودها

بفتح « الواو » من « وجود » واعتدادِها واوَ ابتداء ، والصواب عندي أنها أصلية من كلمة « وُجُود » مصدر الفعل « وَجَد يجد ووُجدَ يُوجَد » ، ولغة الشاعر متأثرة بلغة المتكلمين ، ومنها كلمة « الوُجود » . ألا تراه يقول بعد ذلك « ص ٢٥ »:

وهل سالب العُريان إلا مُنَبِّه على عدم الأشياء قبل وُجودها ؟!

فمراد الشاعر إذنْ هو أن الاشتعال إذا كان في النار سبَّب خمودها لأن

---

(١) وجاء في مختار الصحاح « رجع الشيء بنفسه من باب جلس ، ورجعه غيره من باب قطع ، وهذيل تقول ارجعه غيره بالألف » . وقوله « من باب قطع » خطأ لا أعلم أحداً قاله غير المختصر للصحاح هذا ، على أن مصدره وحده يشبه مصدر « قطع » .

الجمود نتيجة الاشتمال ، فهو قد أراد مطلق الاشتمال والانقاد ، ولم يشترط الكرم ولا الجودة .

٣ — وجاء في « ص ٢٥ » قول الغزي المقدم ذكره :

يقولون ما سيَّرتَ ما يُتَّقى به مغانيك غاباتٌ خلَتْ من أُسودها

ببناء « يُتَّقى » للمجهول الغائب ، ولا يتجه عندي له وجهٌ ، والراجح عندي « ما تُتَّقى به » للمجهول ، وباسناده الى المخاطب ، يعني : ما أطَقْتَ أو قدّمت مايخشاك به الناس ، ويتحامون جانبك ، فحالُك كغابةٍ لا أُسَد فيها ، يَجُوسُ خِلالَها الشجاع والجبان وبنات آوى والثعلبان .

٤ — وجاء فيها قولُهُ :

فما يقتضي جَدْواكَ مُوردُ مِدْحةٍ لِأَسلافِك الأثمانَ قبل ورودها

بفتح الهمزة من « أَسلافك » ولا وجه له عندي وإنما هو « إِسلافك » بكسر الهمزة مصدر « أسلَفَه الشيء » أي أقرضَه إياه بلا منفعة ، ومُراد الشاعر بالبيت هو أنّ ممدوحه لا يجعل جَدْواه مكافأة للشاعر المادح له ، بل يحسن إليه ابتداءً قبل أن يعلم مالديه ، وهذا تأويل البيت الذي جاء قبله :

وجُدتَ ارتجالاً والغمامةُ طالما تكرّر يحدوها ضجيج رُعُودها

فالشاعر إذن لا يُسلِفُ الممدوحَ أثمان مَدْحِه قبل ورود الجدوى عليه .

٥ — وجاء في « ص ٢٧ » قول الشاعر المذكور :

فمَهّدْ عُذرَ مَن أمسى نَزيفاً بتركِ الكأسِ في كفِّ المُدِير

فقال الدكتور المحقق في الحاشية « النزيف : السكران » ولا أرى له موضعاً ، وإنما المُراد به العطشان ، الشديد العطش ، كقول الشاعر :

فلثمتُ فاها آخذاً بقرونها شرب النَّزيف ببرد ماء الحشرجِ

ثم إن الشطر الثاني لا ينصر معنى « السكران » ها هنا ، لأنّ الكأس تُركت في كفِّ المُدير ، وتركها كذلك مَعْطَشَة للمُسقي ، كما هو معلوم .

٦ — وجاء في «ص ٣١» قوله :

فلم يبقَ دينار سوى الشمس لم ينَلْ ولم يَبْقَ غيرُ البدر في الناس درهمُ

وفي «ص ١١٧» قول القيسَراني :

قضيـة جائرة مالهـا غيرُ مجير الدين مُستأصِلُ

والصوابُ في كلا البيتين «غيرَ» بالنصب لأنه مستثنى مقدَّم ، وهو كثير في الشعر ولا يصلح للنثر المرسل .

٧ — وورد في «ص ٤٣» قول الغزّي في وصف القلم :

وأنَّ الذي يَسقيه حِينَ يَمُجهُ لِجانٍ وعافٍ منه حتفٌ ونائِلُ

والصواب «تَسقيه» والذي تسقيه إياه هو الحبر ، فحين يُلقيه من فيه يكون حتوفاً للجناة ونوائل للعُفاة . فلا وجه لـ «يَسقيه» لأن الذي يسقيه هو الإنسان فكيف يمجُه من فيه ؟

٨ — وورد في ص ٥٩ قوله :

وما مشيبُ المـرء إلا غُبْرَةٌ تعلَّقتْ من ركض عُمر قد غَبر

بفتح الباء من «غَبَر» بمعنى «بقي» على الوجه الفَصيح ، ولا وجه له ، والصواب «غبِرَ» بكسر الباء من باب «فرِحَ» أي أصابه الغبار ، فالعمرُ لما أصابه الغبار وهو سائر بقي من أثر ركضه الشيبُ الذي هو شعر أغْبَر ، والشيء يشبه أصلَه وهو معنى شعري مليح .

٩ — وجاء في «ص ٦٤» قوله :

ويَعجُمُ الطَّلُّ ما يخُطُّ على صفحتِه مَرُّ شمألٍ وصَبا[1]

بجعل «يَعجُم» ثلاثياً من باب نصرَ ، ولا وجه له عندي ، لأن مُراد الشاعر أن

(١) أخذه منه بهاء الدين علي بن الساعاتي وزاد عليه فزاده جمالاً بقوله من مقطوعة طائية :
والطلّ في سلك الغصون كلؤلؤ رطب يصافحه النسيم فيسقط
والطير تقرأ والغدير صحيفة والريح تكتب والغمامة تنقط .

الريح بمرورها على الغدير تترك ما يُشبه الخط على مائهِ فينزل الطَّلُّ وهو المطر الضعيف فينقط ذلك الخطّ ، فالصواب إذن « يُعْجِمُ » الرباعي من « أعجَمَ الخطَّ » أي أزال إعجامَه بالنقط ومنه الحروف المعجمة كالباء والتاء .

١٠ — وورد في « ص ٦٩ » قوله :

ولما دخلتُ الريّ قلت لرفقتي خذوا حِذرَكم من داغرٍ وخَؤونِ

« داغر » بالغين المعجمة ، والصواب « داعر » بالعين المهملة وهو الخبيث والشاطر ، وهو من الدعارة أي الخبث والفسق ، والدُعّار هم الشطار .

١١ — وورد في « ص ٨٨ » قول ابن منير الطرابلسي :

وكم له في كبـدي لسعةٌ يَرودها الدرياقُ من فيـهِ

برفع « لسعة » والصواب نصبُها ، قال أبو البقاء الحسيني في كلّياته ـ ص ٢٩٩ ـ : « وإذا فُصل بين كم الخبرية ومميِّزها نصب مميّزها نحو : كم في الدار رجلاً » . والشاعر قد فصل بين كم ومميّزها . وقد كرّر الدكتور الفاضل هذا الضبط في « ص ٥٣٠ » في قول الشاعر « هذا وكم للدهر عندي نكبةٌ » والصواب « نكبـةً » .

١٢ — وجاء في « ص ٩٤ » قول ابن منير الطرابلسي نثراً : « يبد أن يجريَ القدر بإذهاب الجفا ، وتقذيذ ما في العين من قذى » .

ولا وجه لقوله « تقذيذ » عندي وإنما هو « التقذية » يُقال « قَذّى العين تقذية أي أخرج منها القذى » كما في الصحاح ومختارهِ وغيرهما ، فهو من الأفعال الرباعية الثلاثية الأصل ، التي ضُعّفَتْ عينُها للسَّلْب ، مثل مَرَّضه تمريضاً وعلّله تعليلاً وقرّده تقريداً » .

١٣ — وورد في « ص ١٠٣ » قول العماد الاصبهاني : « وقد أثبتُّ منها ما عقدتُ عليه خنصر الاختيار ، وثنيتُ إليه عنان الانتقاد » . وأسلوب العماد المسجّع يستوجب « الانتقار » بالراء دون « الانتقاد » بالدال ، وإنْ كان مقارباً

له في المعنى ، والانتقار يشاكل الاختيار ، قال الفيّومي في « جفل » من المصباح المنير : والجَفَلى على فَعَلى ، (بفتح الكل من ذلك) وهي أن تدعو الناس الى طعامك دعوة عامة من غير اختصاص ، قال طرفة :

نحن في المَشْتاة ندعو الجَفَلى   لا ترى الآدبَ فينا ينتقِرْ

يُقال : دعا فلان الجَفَلَى لا النَقَرَى ، والنَقَرَى : الدعوة الخاصة ببعض الناس . فالانتقار الوارد في قول العماد الاصبهاني هو مصدر الفعل « ينتقر » الوارد في بيت طرفة آنفاً .

١٤ — وجاء في « ص ١٠٩ » قول القيسراني :

فلا تَحفَلَنّ بصَول الذئابِ   وقد زأر الأَسَدُ الباسِلُ

بفتح الفاء من « تحفلنّ » والصواب كسرها ، قال الرازي في مختار الصحاح : « حَفَلَ القوم من باب ضَرَبَ » ، وقال الفيومي في المصباح : « حَفَلَ القومُ في المجلس حَفْلا من باب ضرب : اجتمعوا » . ذكرنا ذلك للبرهنة على كسر الفاء من مضارع « حَفَل » لأنّ معنى « لا تحفِلنّ بكذا » : لا تهتم به ولا تُبالِه .

١٥ — وجاء في « ص ١١٠ » قوله :

أرى القسّ يأمُلُ فوت الرماح   ولا بُدّ أن يضرب السابلُ

وأرى صواب القَسّ « القُمْس » أو « القُمْص » كما جاء في « ص ١٥٨ » وهو قوله :

كما أُهدتِ الأقدار للقُمص أَسرَهُ   وأسعَدُ قِرن من حَواه لك الأَسرُ

قال الدكتور المحقق في الحاشية : ولعله يريد القمص صاحب طرابلس وكان ممّنْ أسره نور الدين ، انظر ابن الأثير في حوادث سنة ٥٥٩ » . قلت : هذا هو الصواب الذي بعثنا على المشاكلة بين اللقبين وتخطئة الرسم الأول .

١٦ — وجاء في « ص ١٢٤ » قوله :

إذا جاذبتهنّ البوادي مَزِيّةً   من الُحسن شبَّهن البراقع بالنُقَبِ

بفتح النون وتسكين القاف من « النّقب » ، والصوابُ ضمّ النون وهو جمع « النّقاب » بكسر النون . وهو القِناع تجعله المرأة على مارن أنفها وتستر به وجهها ، فالبراقع للبَدَويّات « والنُّقُب » للحضريّات ، وتسكين القاف من « النُقْب » جمع النقاب جائز في النثر فضلاً عن الشعر .

١٧ – وجاء في « ص ١٣٧ » قول القيسراني أيضاً :

يا بِعِطفيكِ من تيهٍ ومن صَلَفٍ مَنْ دَلّ ذلك يا هذا على تَلَفي ؟

ولا نرى لاسم الإشارة « ذلك » موضعاً ها هنا ، والصوابُ « مَنْ دَلَّ دَلَّكَ » وهو مِن قولهم « دَلَّت المرأة دَلاً ودلالاً تغنَّجت » . وكان القيسراني مغرماً بالجناس ، ولا يخفى ما بين الفعل « دلّ » و « الدلّ » المصدر من التجانس اللفظي .

١٨ – وورد في « ص ١٤٤ » قوله :

ذاكَ على سَفْكِ دمي مُحبَّبٌ أنا القتيل مُغرَمٌ بمَنْ قَتَلْ

برفع « مُغرَم » ، والوجه نصبُه لأنه حال من « القتيل » ، يعني أن حبيبه قتله وهو مغرم بذلك الحبيب . فان كانت النسخة الأصل قد جاءت بهذا الرفع فهذا خطأ قديم .

١٩ – وجاء في « ص ٢٠١ » قول العماد في ترجمة عرقلة الكلبي : « وله من قطعة كتبها الى ابن السّديد وقد سافر الى بغداد يطلب منه شُقّة » بضم الشين وكسرها من « شُقّة » ، والصحيح كسرها لأنها في الأصل مصدر ثلاثي للهيأة مثل « القِطعة من كل شيء والرِّزمة من الثياب والخِرْقة من خرق الثوب ، والصِّبْغة من الصَّبْغ والطِّيلة من الطول » . والشِّقّة هي قطعة من النسيج طويلة ، أحسبها تسمّى اليوم ببغداد « طاقة » .

٢٠ – وجاء في « ص ٢١٧ » قول عرقلة المقدّم ذكره « ومن الشقيق جهنّمٌ لا تَحرِقُ » بكسر الراء من « تحرق » ، وورد في « ص ٣١١ » قول المهذب الدمشقي « تُردي شياطين الرجوم وتَحرُق » بضمّ الراء ، والصواب الثاني

دون الأول لأنه بمعنى « يُحرِق » الرباعي ، ولا يجوز كسر الراء إلا إذا كان « حَرَق » بمعنى « حكَّ » كحرَق نابَه على فلان : كناية عن شدة غيظه ولا محلّ له في البيت المذكور ·

٢١ — وجاء في « ص ٢٣١ » قول نصر الهيتيّ من هيت حوران « نُطوى ونُنشر والأدناسُ تَشمُلُها » بضم الميم وكسرها كأنه من « شمَلَ العنْزَ يشمُلُها » أي غطّى ضرعَها بشيء يشبه الخلاة ، ولا وجهَ لهُ هاهنا بعد قوله « ونُنشَر » ، فالصواب « تشمَلُها » بضم الميم وفتحها من « شمَلَهم الأمر : كفرِح ونصَرَ أي عمَّهم » كما جاء في قاموس الفيروزأبادي وغيره من معاجيم اللغة ·

٢٢ — وورد في « ص ٢٤٥ » قولُ وُحَيش الأسَديّ « قوموا انظُروا حسنهُ أكبرُ » فقال الدكتور المحقق في الحاشية : « كذا في الأصلين ولعلها : فحُسنه ، ليستقيم الوزن » · قلت : ولا يسلم البيت مع ذلك من الزحاف ، والذي أراه أنْ ضميراً أسقطه الناسخ من الشطر وأن الأصل « قوموا انظروه حسنهُ أكبرُ » ·

٢٣ — وجاء في « ص ٢٥٢ » قول فتيان الشاغوريّ « ولا غروَ إنْ جادتْ جُفوني بمائها » بكسر همزة « إنْ » · والغَرْوُ : العجبُ فينبغي أنْ يأتي معه متعجَّبٌ منه مجرور بِمِن ، وقد تُحذف للتخفيف والتلطيف ، فالصواب « ولا غروَ أنْ جادتْ ··· » بفتح همزة « ان » لأنّ « أنْ » والفعل الذي يليها جاءا في تأويل مصدر مجرور في الأصل بِمنْ ثم حُذفت « مِن » للتخفيف ، والتقدير « فلا غروَ مِن أن جادَت » ·

٢٤ — وجاء في « ص ٢٦٧ » قول المشتهى الدمشقي :

يا أهل تنّيسٍ وتُونة قايسُوا كم بين طَرْزِكُمْ وطرْزِ الباري

وقال الناشر المحقق في الحاشية « في نسخة ح : طُرْزكم » · وأرى أن يضاف إلى قوله جملةُ « وهو الصواب » ، لأنه أراد جمع « طِراز الثوب » وهو علَمُه ،

ويجوز على بُعدٍ إرادته المواضع التي تنسج فيها ثياب تُونة وتنّيس على سبيل المجاز لأنها مصدر ذلك النسيج ، وضَبْط الناشر « الطرز » بفتح الطاء دون كسرها ترجيح بلا مُرجح ، وأحسب الفيومي صاحب المصباح التزم وحده الفتح .

٢٥ — وجاء في « ص ٣٢٢ » قول ابن الزغليّة :

فمَن يُناوئك في هذا الأنام وفي يمينك الماضيان السيف والقلمُ

بجزم « يناوئك » بغير جازم ، وتلك ضرورة شعرية لا داعيَ لها ، فالشاعر ، فيما أرى ، سهّل همزة « يناوئ » فصار « يُناوِيْ » فالأصل « فمَنْ يُناوِيكَ . . . » ولا ضرورة معَه .

٢٦ — وجاء في « ص ٣٤٦ » قول المهذَّب الدمشقي : « يُناغي النسائم بنغمة مزماره ، ورنة أوتاره ، ودساتين حناجر كالخناجر ، وألحانٍ أعذبَ من نقرات المزاهر » . فقال الناشر الفاضل : « الدستان في اصطلاح أصحاب الموسيقى : الوتر من العُود أو ما يقابله في سائر الآلات » . ولم يُحِلْ في نقل هذا الشرح على كتاب لغةٍ حتى يسلم من تبعة النقل والعُهدة ، وأراه قد نقله من « المُنْجِد » للناقل الأب لويس معلوف اليسوعي . وهو خطأ لا شك فيه ، والصحيح أنّ « الدساتين هي ما عليه أطراف أوتار العود من مقدّمه وهي كلمة فارسية » . وقيل إنّ عربيّها « العتَب »[1] . وفي القاموس : « العتَب . . . والعيدان المعروضة على وجه العود منها تُمدُّ الأوتار الى طرف العود » . وكلام المهذب بعينه ينفي أن تكون « الدساتين » أوتاراً ، الا تراه يقول « ورنة أوتاره ودساتين حناجر كالخناجر » عطف الدساتين على الأوتار وشبّهها بالخناجر ، والأوتار لا تشبه الخناجر .

٢٧ — وجاء في « ص ٣٦٢ » قول الأمير يغمر بن عيسى : « وتَقَضّى

(١) راجع الأغاني « ٥ : ٢٨١ » طبعة دار الكتب المصرية وفيـه « ويده تصعد وتنحدر على الدساتين » .

أكثر النهار ، ولاح علينا دلائل الفرار » فقال الدكتور المحقق في التعليق على الفرار : « كذا في الأصل ولعلّها : الغِرار : القليل من النوم » . وأرى أنه « القَرار »[1] وهو ضد الحركة والانزعاج ، ومقتضى الحال لا يتحمل القليل من النّوم ، كما دل عليه سياق الخبر ، وقد يكون غير « القرار » الذي ذكرناه ، إلا أنه لا يكون « الغِرار » الذي اقترحه الناشر الفاضل .

٢٨ — وورد في « ص ٣٦٥ » قول الأمير المقدم ذكره : « ومن حصان كِصن ، أو بَرْق في مُزْن ، ومن حَجْر ذات حَجر . . . » . فقال الناشر في الحاشية « الحَجْر : الأُنثى من الخيل » وفَتَحَ الحاء أيضاً ، والصواب كسر الحاء أي « الحِجْر » ، قال الفيومي في المصباح : « والحِجْر بالكسر أيضاً : الفرس الأنثى وجمعها حجور وأحجار ، وقيل الأحجار جمع الإناث من الخيل ولا واحد لها من لفظها . وهذا ضعيف لثبوت المفرد » . وجاء في القاموس بعد ذكره « الحجر » : « وبالكسر : العَقل . . . والأُنثى من الخيل وبالهاء لحن جمعه حجور وحُجورة وأحجار » .

٢٩ — وورد في « ص ٣٦٨ » قوله « والحَجَلُ قد فارق نَبَجَهُ وضَيّع مدخله ومخرجه » والصواب « نَبَجه » كما ورد في « ص ٣٨١ » وهو في قوله « وعايَنَ الدُّرّاج مَدرجا ، ورأى نَبَجاً ، وعزم على النزول به » قال الناشر الفاضل : « وفي أرجوزة أبي فراس الحمداني :

إن لزّها البـاز أصابت نَبَجا أو سَقَطَتْ لم تلقَ إلا مَدْرَجا »

نقل ذلك لشرح كلمة « النبَج » وهو الصواب ، فيجب أن تضبط الكلمة الأولى كالثانيـة .

---

(١) ويؤيد هذا الرأي قوله بعد ذلك « فحينئذ قَـرّ لنا القرار واطمأنّت بنا الدار » ، ففي الأول لاحت دلائل القرار » ثم حَقّ القرار .

٣٠ — وجاء في «ص ٤١٣» قول سَعادة[١] الأعمى :

وحولهم عُزُلٌ لو أنهم قصدُوا أضحى القنا وهو في لبَّاتهم قَصَدُ

وجاء في «ص ٤٢١» قوله أيضاً :

وينثني ولها في كفّه قَصَدٌ يثني عليه ثناءاً غيرَ منفصلِ

بفتح القاف من «قصد» في البيتين ، وهو خطأ والصواب كسر القاف اسم جمع «القِصْدَة» وهي كِسْرة الرمح المكسَّر ، قال الفيروزأبادي في القاموس «والقِصْدة بالكسر : القطعة مما يُكَسَّر جمعه (قِصَد) كعِنَب ورمح قَصِد وقَصِيد وأقصاد متكسِّر[٢]» .

٣١ — وجاء في «ص ٤١٩» قول سَعادة أيضاً :

ملوك حجُور الأريحيات مُذ نشَوا مُهودهمُ والمكرماتُ لهم قِمْطُ

بكسر القاف من «قِمْط» والصواب ضمّها لأنه جمع «قِماط» وهو خرقة عريضة تلف على الطفل إذا كان في المهد ، وسُكِّنَتْ ميم «القمط» جوازاً من أجل وزن الشعر ، ولا وجه للقِمط الذي تُشد به قوائم الشاة للذبح كما هو ظاهر للناظر .

٣٢ — وورد في «ص ٤٥٤» قول ابن قسيم الحموي :

فأثار ذلك من زنادقةٍ حَسَداً فسَمّوا حُبَّهم رِفضا

بكسر الراء من «رفضا» والصواب فتحها ، لأنه مصدر «رفض» الثلاثيّ ولم يسمع فيه وجه كسر الراء ، وقد أطلق اصطلاحاً على طائفة معلومة وهم «الرافضة» .

(يتبع) مصطفى جواد

(١) ترجمه الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات كما أشار اليه الشارح الناشر ، ولم يشر الى أنه ترجمه باسم «سعيد بن عبد الله الحمي» في كتابه نكت الهميان في نكت العميان «ص ١٥٧» ، ونقل من الخريدة أيضاً .
(٢) كذا ورد قول الفيروزأبادي والصواب «مكسَّر» لأن المتكسّر ما يتكسر بنفسه .

مقدمة ابن خلدون (*)

- ٢ -

ونترك الآن الكلام على ماشُبِّه علينا من الكلمات والتعبيرات في هذه (المقدمة) على أن نعود إليها بعد أن نشير إلى بعض ما جاء من الأعلام مهملًا بلا ضبط ، ومضبوطاً على غير وجهه الصحيح . جمعناها الى بعضها ، وذكرنا صفحاتها في الطبعة القديمة ، وفي الطبعة الحديثة ، تسهيلًا المراجعة :

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور	
مُيُورقة	: ٤٦	ميورقة	: ٧٥	مَيُورقة (١)	بفتح وضم وسكون الواو والراء (فيلتقي فيها ساكنان)
مايرقه	: ٦٥	مايرقه	: ١٠٩		
مَنَرقه	: ٦٥	منرقة	: ١٠٩	مَنُورقه (١)	بفتح فضم فسكون ...
سردَنية	: ٦٥	سرَدنية	: ١١٢	سَرْدَنية (٢)	بفتح .
هرقلة	: ٦٥	هريقيلة	: ١١٢	هِرقلة (٣)	على ما في الطبعة القديمة
جَدّة	: ٤٧	جدّة	: ٧٦	جُدّة (٤)	بضم
سُفالة	: ٤٦	سفالة	: ٧٦	سُفالة (٥)	على ما في الصفحة الـ٤٦ من القديمة .
سَفالة	: ٥٧				
مِدين	: ٥٧	مدين	: ٧٦	مَدين (٦)	بفتحه بعدها ساكن .

(*) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٧٢ — ٦٨٠) .

(١) مَنُورقة ومَيُورقة : أولاهما بالنون والأخرى بالياء : جزيرتان شرقي الأندلس .

(٢) سَرْدانية : جزيرة في بحر المغرب . وقال بعضهم : انها مدينة في صقلية .

(٣) مدينة ببلاد الروم .

(٤) جُدّة : فرضة مكة .

(٥) آخر مدينة تعرف بأرض الزنج .

(٦) مدينة بين المدينة والشام .

المشهور		الطبعة الحديثة		الطبعة القديمة
الشِّحر [١] على ما في القديمة	٧٧ :	الشّحر	٥٧ :	الشّحر
ظَفار [٢] بفتح وفاء مخففة	٩٥ :	ظَفّار	٥٧ :	ظَفّار
ودّان [٣] بالدال المهملة المشددة	٩٦ :	ودان	٥٨ :	ودّان
السَّراة [٤] بالفتح	١٠٣ :	السُّراة	٦٢ :	السُّراه
لَمْطة [٥] بفتح فسكون	٩٦ :	لطَة	٥٧ :	لمْطة
الضِمار؟ [٦] بكسر أوله	١٠٤ :	الضمّان	٦٢ :	الصمّان
القُفْص [٧] بضم فسكون	١٠٥ :	القَفْص	٦٣ :	القَفَص
كَرْمان [٨] بفتح فسكون . وربما كسرت كافه	١٠٥ :	كُرمان	٦٣ :	كُرمان
الخُتَّل [٩] بضم اوله بعدها تاء مشددة مفتوحة	١٠٧ :	الختل	٦٣ :	الخَتَل
التُبَّت [١٠] بضم اوله بعدها باء مشددة مفتوحة	١٠٧ :	التَبْت	٦٤ :	التَبْت
البُتَّر [١١] بضم اوله بعدها تاء مشددة مفتوحة	١٠٧ :	البتر	٦٤ :	البَتْر

(١) صُقع على ساحل بحر الهند من ناحية اليمن .

(٢) ظفارِ بمنزلة قَطَامِ وحذارِ : مدينة باليمن .

(٣) ودّان هذه : مدينة بافريقية افتتحها عقبة بن عامر سنة ٤٦ .

(٤) السَّرَاة : جبل مشرف على عرفة .

(٥) لَمْطة : أرض بأقصى المغرب سُمّيت باسم قبيلة من البربر .

(٦) لم أجد الضمّان الواردة في الطبعة الجديدة ، وأما الصمان في الطبعة القديمة : فوضع من نواحي الشام بظاهر البلقاء . وما أحسب ابن خلدون أراده ، وهو يقول : . . . والاحساء ، وفي غربها الخطب والصمّان (على ما في الطبعة القديمة) والضمّان (على ما في الطبعة الجديدة) والأقرب أن يكون الضمار وهو موضع بين نجد واليمامة ولا سيا ان ابن خلدون يتابع كلامه هنا فيقول : وبقية أرض اليامة .

(٧) القُفْص : وردت في مادة (بلوص) من معجم البلدان ، مضبوطة بالحركات لا بالحروف : بضم القاف وسكون الفاء والقُفص : جيل كالأكراد وجبال القفص تعرف بهم .

(٨) ولاية من بلاد فارس .

(٩) كورة مما وراء النهر على تخوم السند .

(١٠) بلد بأرض الترك .

(١١) حصن ببلاد فرغانة .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور
الصَغْد	٦٤ :	الصَغْد	١٠٧ :	الصُغْد[١] بالضم
اسروشنّه	٦٤ :	اصروشنّة	١٠٧ :	امروشنه[٢] بنون مخففة
فِرغانة	٦٤ :	فِرغانة	١٠٧ :	فَرغانة[٣] بالفتح
مالِقة	٦٦ :	مالقّة	١١٠ :	مالَقة[٤] بلام مفتوحة وقاف مخففة
المَنْقَب	٦٦ :	المنكب	١١٠ :	المُنكَّب[٤] بضم اوله وكاف مشددة
المِرية	٦٦ :	المِرَية	١١٠ :	المَرِّية[٤] بفتح وراء مشددة مكسورة
إشبيليَّة	٦٦ :	أشبيليَّة	١١٠ :	إشبيلية[٤] بكسر أوله وياء مخففة
غِرناطة	٦٦ :	غِرناطة	١١٠ :	غَرناطة[٤] بالفتح
واداياش	٦٦ :	واداياش	١١٠ :	واديآش[٤]
سِرقَسْطة	٦٦ :	سرقَسطة	١١١ :	سَرقُسْطة[٥] بفتح اوله وضم ثالثه
جبْلة	٦٨ :	جبْلة	١١٣ :	جَبَلة[٦] بالتحريك
مصيات	٦٨ :	مصيات	١١٣ :	مِصياف[٧] آخره فاء أو باء مصياب
عين زُربة	٦٨ :	عين زُربه	١١٣ :	عين زَربة[٨] بفتح أوله
المَصيصة	٦٨ :	المصيصة	١١٤ :	المصِّيصة[٩] بتشديد الأولى

(١) الصُغد وقد تكتب بالسين . وهما صُغدان : صُغد سمرقند ، وصغد بخارى .

(٢) اسروشنة أو اشروسنة كلاهما بالنون المخففة : بلدة كبيرة بما وراء النهر .

(٣) مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر ، متاخمة لبلاد تُركستان .

(٤) من مدن الأندلس .

(٥) مدينة بجزيرة صقلية .

(٦) مدينة بساحل الشام .

(٧) مدينة من أعمال اللاذقية بالساحل الشامي . وكانت حصناً للاسماعيلية .

(٨) عين زَربة أو زَربى : ثغر قرب المصيصة .

(٩) المصِّيصة : وفي رواية مرجوحة بتخفيف الصادين : مدينة على شاطيء جيحان من ثغور الشام بين انطاكية وبلاد الروم .

الطبعة القديمة		الطبعة الحديثة		المشهور
حُرّان	: ٦٨	حُرّان	: ١١٤	حَرّان [١] بالفتح وتشديد الراء
اللُّكام	: ٦٨	اللكام	: ١١٤	اللُّكّام [٢] بالضم وتشديد الكاف
سَميساط	: ٦٨	سَميساط	: ١١٤	سُميساط [٣] بضم أوله
هَيْت	: ٦٩	هَيْت	: ١١٥	هِيت [٤] بالكسر
صَيْمَرة	: ٦٩	صَميره	: ١١٦	صَيْمَرة [٥] بفتح أوله وياء ساكنة ثم ميم مفتوحة
خَوَنْجان	: ٦٩	خَونْجان	: ١١٦	خُونَجان [٦] بالضم وفتح النون
البَنْدَقان	: ٧٠	البدقان	: ١١٦	بُنْدُكان [٧] بضم أوله وثالثه
طَبَرْستان	: ٧٠	طَبَرْستان	: ١١٧	طَبَرِستان [٨] بكسر الراء
مَهْرَجان	: ٧٠	مهرجان	: ١١٨	مِهرِجان [٩] بكسر أوله وثالثه . وبكسر أوله وفتح ثالثه .
خوارَزم	: ٧١	خوارَزم	: ١١٨	خوارِزم [١٠] بكسر الراء
خَجَنْده	: ٧١	حَجَنْده	: ١١٨	خُجَنْدَة [١٠] بضم أوله وفتح ثانيه
هِرمِز	: ٦٣	هِرمِز	: ١٠٥	هُرمُز [١٠] بضم أوله وثالثه

* * *

(١) قصبة ديار مضر بين الرها والرّقة .

(٢) اللُّكام : الجبل المشرف على انطاكية . وهو مخفف الكاف في شعر المتنبي :

بها الجبلان من صخر وفخر أنافا ذا المغيث وذا اللكام

(٣) مدينة على شاطىء الفرات في طرف بلاد الروم .

(٤) بلدة على الفرات من نواحي بغداد .

(٥) موضع بالبصرة على فم نهر مَعقل .

(٦) قرية باصبهان .

(٧) من قرى مرو .

(٨) من بلاد فارس .

(٩) مِهرِجان : بكسر أوله وثالثه : كورة . وبكسر أوله وفتح ثالثه قرية في بلاد فارس .

(١٠) مواضع مشهورة .

وقعت الطبعة الجديدة في خطأين :

١ — أهملت ضبط أعلام كان من الواجب ضبطها ·

٢ — سايرت الطبعة القديمة مسايرةً مطلقة في ضبط الأعلام الأخرى · فأخطأت الجديدة في ما أخطأت فيه القديمة · وضبط هذه الأعلام ضبطاً تاماً صحيحاً ، كان ممكناً ، وإن كان متعباً ، وذلك بالرجوع الى دواوين اللغة ، ومعاجم الأعلام ، وكتب السير · وهو ما نرجو أن يكون في طبعة مقبلة إن شاء الله ·

عارف النكدي

ثلاثة أزهار في معرفة البحار

لأحمد بن ماجد ، الملاّح العربي

توافرت الأبحاث الحديثة عن الرُّبّان العربي شهاب الدين أحمد بن ماجد ، فزاحت الستر عن آثاره المغمورة و وأظهرت ما له من فضل على حركة الاستكشاف في القرن الخامس عشر · وقد سبق لمجلة المجمع العلمي العربي بدمشق أن عرّفت بابن ماجد ، ونوّهت برسائله العديدة في الملاحة ، ولا سيما « كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد » · وكان المستشرق الافرنسي فرّان (G. Ferrand) قد نشر الكثير عن « أسد البحر الهائج » ، وأوضح انتفاع البرتغاليين به في رحلاتهم ، وعَرَض للمصطلحات الملاحية العربية ، ورجع بها الى أصولها · وأخرج الأستاذ محمد ياسين الحموي عام ١٩٤٧ بدمشق دراسة مستوفاة احتوت جملة ما بلغه الاستقصاء عن هذا النوتي العظيم ·

وتتوثّق معرفتنا بابن ماجد بهذا الكتاب الجديد الذي نشره في مطلع عام ١٩٥٧ معهد الاستشراق في المجمع العلمي للاتحاد السوفياتي · وعنوان الكتاب المثبت على الغلاف هو : « ثلاثة أزهار في معرفة البحار » · أما العنوان المطبوع على الصفحة الأولى فهو :

« ثلاث راهمانجات المجهولة »

وقد جاء تحت هذا العنوان :

لأحمد بن ماجد ربان رحلة ڤاسكو دي جاما

وهي مأخوذة عن النسخة العربية الفريدة

التي توجد في مكتبة معهدالاستشراق

عني بنشرها وتحقيقها وترجمتها

الى اللغة الروسية ووضع الفهارس

ثيودور شوموڤسكي

ويبدو لي أن العنوان الثاني من وضع الأستاذ الناشر . ولعلّ الصواب فيه :

« ثلاثة راهنامجات مجهولة »

وفي القاموس المحيط : الراهْنامَج كتاب الطريق ، وهو الكتاب يسلك به الربابنة البحر ، ويهتدون به في معرفة المرامي وغيرها . وهو يقابل كلمة (Itinéraire) بالفرنسية .

والقسم الأوّل من الكتاب يتضمّن تصويراً فوطوغرافياً لهذه الراهنامجات ، وهي ثلاث رسائل مخطوطة منظومة شعراً . وأحسب أن القارئ العربي يود لو كانت هذه الرسائل قد نُشرت بالحرف الطباعي ، مع الاجتهاد باتمام نقصها ، واصلاح خطأ النسّاخين فيها ، وتذييلها بهوامش موضّحة تلقي الضوء على ما فيها من مصطلحات بحرية وفلكية ، وتضبط أسماء الأماكن وتحدّد مواقعها ، وتشير الى ما يقابلها في هذا العصر .

وقد ألحق الأستاذ المحقق بهذا القسم مصوّراً ملوّناً لمراحل الرحلات التي تضمّنتها الرسائل ، كتب عليها : « صورة بحر الهند ولها البنادر التي ندخها أحمد بن ماجد » . وفي القاموس نَدَخَ : صدم ، يقول راكب البحر : ندخنا ساحل كذا ، وأندخنا المركب الساحل ..

ويطيب لي أن أطري الجهد الفذّ الذي اضطلع به الأستاذ الناشر في عمل هذا المصوّر، ووضع الأسماء عليه في مواضعها المحققة أو الموهومة، معتمداً في ذلك على بعض الباحثين أحياناً، وعلى التحرّي الذاتي أحياناً أخرى. ويزيد من فضله أن المعاجم الجغرافية المتوفرة لا تذكر إلا القليل من هذه الأسماء. ومعجم البلدان لياقوت يرجع الى أوائل القرن الثالث عشر، ولا نجد فيه سوى النزر من الأماكن الواردة في رسائل ابن ماجد.

ويخيّل إليّ ان الكسب العلمي من هذا المصوّر يزدوج لو أن واضعه الفاضل أرفق بكل اسم قديم مقابله في عرف الجغرافيين المحدثين، إذن لكنا عرفنا مثلاً أن جزيرة الغور هي فورموزة، وان الفالات ليست سوى جزر لاكديف، وديبجات هي جزر مالديف (وكان ابن بطوطة يسميها جزائر ذيبة المهل)، وان جزيرة القُمر هي مدغسكر[1].

وليغفر لي الأستاذ الناشر أن أخالفه في تحقيق بعض المواقع، كما أثبتها على المصوّر، اجتهاداً منه أو اقتباساً. فقد جاء بين يدي رسالة ابن ماجد الأولى ذكر ساحل الهند الغربي، وما عليه من الكُوَر والفُرَض، بدءاً من جنوبه حتى شماله؛ وقد عدّ عليه من الأسماء بالترتيب: مليبار (مالابار) وكبلن، وجوزرات والسند؛ ورُسمت كبلن مهملة الباء، فأثبتها الناشر كَبَلَن ووضعها في جزيرة جاوة، على آلاف الكيلومترات من الهند. والذي يتراءى لي أنها كَلْيَن، ورسمها بالفرنجية Kalyan، وهي الى اليوم قائمة شمال ساحل الملابار قرب بومباي. وغير بعيد عنها في الشمال تقع كورة الكُجَرات (Gujarat)، ولا مجال للشك في أنها هي الجُوزُرات، وتليها بلاد السند.

(١) يذكر ياقوت في معجمه (المجلد السابع، ص ١٥٩) أن القُمر جزيرة في وسط بحر الزنج ليس في ذلك البحر جزيرة أكبر منها. ولا يزال اسم القُمر يطلق على مجموعة جزر صغيرة قائمة في شمال مدغسكر (Comores).

ويبدو لي أيضاً أن مرفأ حَمِضَة وجزر الفُصَيليّات في البحر الأحمر قد رُفعت على المصوّر الى أواسط الحجاز ، وهي من ساحل اليمن الشمالي أو العسير . فالفصيليات تقع إزاء مرفأ شُقَيق ، وتعرف الآن بالوَصَليّات . وأما حمضة فيذكرها ياقوت في أكثر من موضع ، ويقول انها في أرض اليمن من جهة قبلتها[1] ، وقد وضعها الأستاذ الناشر محل فرضة اللِيث جنوبي جُدّة . وهي الى ذلك مشكولة في فهرس الأماكن حَمْضَة ، وعند ياقوت بكسر الميم . وأرى من ناحية أخرى أن الألف واللام يجب إسقاطها من كلمة القُلزُم في جملة « بحر القلزم العرب » المطبوعة على المصور فوق البحر الأحمر .

ويزدان القسم الأوّل من الكتاب أيضاً بدائرة الجهات الأصلية والفرعية بالنسبة الى مواقع النجوم ، استنتاجاً من رسائل ابن ماجد . وهي الجهات التي تدلّ عليها الابرة المغناطيسية أو الحُك[2] . وقد ذيّل الناشر هذه الصورة بجملة لا تسلم من لبس ، فكتب : « ٣٢ خناً من الجدول أو دائرة الأرياح العربية » . والخنّ هنا هو الخانة أو الموقع ، ويستعملها ابن ماجد مجموعةً على أخنان ، وليس له بهذا المعنى أصل في العربية . والأرياح هي كالرياح جمع للريح . والقصد منها هنا مهابّها بالنسبة الى منازل النجوم والقمر . واصطلاح « دائرة الرياح » أو « وردة الرياح » مألوف عند المحدثين بمعنى دائرة الجهات (Rose des vents) ، وتنقسم الى ٣٢ قسماً .

والقسم الثاني من الكتاب يشتمل على ترجمة رسائل ابن ماجد الى الروسية ، وعلى عرض لتصانيفه ؛ وينتهي بفهارس للمصطلحات الملاحية والأسماء الجغرافية والفلكية الواردة في الرسائل ، وجدول بالقوافي والأوزان الشعرية ، وثبت بالمصادر التي رجع اليها الناشر واعتمد عليها . وغنوة هذا القسم مقصورة على من يعرفون اللغة الروسية . وليس بوسعنا أن نعلّق عليه بشيء .

(١) المجلد ٣ ، ص ٣٤٢ ، المجلد ١٠ ، ص ٥٢٣ .
(٢) في القاموس المحيط الحُك : إبرة الملاحين .

أما الرسائل المصوّرة فلا يعسر على القارئ الجزم بأنها متفاوتة الخطوط ، ومجانفة في أكثر أبياتها لأبسط قواعد اللغة وموازين العروض . وسيتحقق القارئ بنفسه أن الخطأ فيها لا يقع وزره على النسّاخين ـ في الغالب ـ ، بل على صاحب الرسائل . وهي ـ إن صحّت نسبتها اليه ـ لا تشهد بأنه « شاعر القبيلتين » كما كان يحب أن يلقب نفسه ..

ولا ندري ما قصد اليه المؤلّف في نعته نفسه برابع الثلاثة ورابع الليوث في المقدمات التي استهلّ بها رسائله . ولعله أراد من سبقه من البحّارة المغامرين ، أو أنه عنى أجداده ، وكلهم ملاّح بارع .

واسم الرسالة الأولى « الأرجوزة السُفالية » نسبةً الى سُفالة (Sofala) ؛ وهي الى اليوم مدينة على شفير افريقية الشرقية البرتغالية (موزامبيق) ، قبالة جزيرة مدغسكر . ويقول عنها ياقوت انها آخر مدينة تُعرف بأرض الزنج (ج ٥ ، ص ٨٨) .

وتستهدف هذه الأرجوزة هداية الربابنة عبر المحيط الهندي ، بين ساحل الهند وسواحل افريقية الشرقية ، وتبيان ما يقتضي ذلك من معرفة الاتجاهات (الأخنان) والقياسات والمراحل (المجاري) والطرق (الدير) . وهي تشتمل على ٨٠٥ أبيات من بحر الرجز ، مطلعها :

الحمد لله الذي أنشا الملا من عدم جلّ تعالى وعلا

ويضيق بنا المجال عن تسقّط زَلاّت المؤلّف في هذه الرسالة ، وتتبّع ما خالف به أقيسة اللغة وأبحر النظم ، حتى ليتردّى أحياناً كثيرة الى مستوى الشعر العامي الفج ، بالاضافة الى ما مسخه الناسخون وما استعمله الناظم نفسه من كلمات عامية أو أجنبية .

والحدس بأن المؤلف توخّى عن قصد فائدة جمهرة الملاحين ، فكتب لهم بلغتهم ، وخاطبهم وفق مداركهم ، وانه لم يرد أن يُخرج للمثقفين تحفة فنية

أو أدبية ، وان تسكين أواخر الكلم لبس إلا من دواعي هذه المحاولة في التبسيط ، أقول إن هذا الحدس يضعفه هنات أصيلة في النص ما كان تقويمها يحول دون الغاية المرجوة . ولعل ابن ماجد كان في الواقع خرّيت بحار ، لا صانع أشعار ، وإن رُويت له أبيات قليلة تسمو إلى مرتبة الشعر الجيّد .

وهذه بعض الأمثلة من أوائل الأرجوزة :

الى السواحلْ ونواحي القُمرِ	الى سُفالةْ استمع واحـرِ (ب٦)
مجراك في الجوزا معاً والنيرِ	على قَدَرْ ريحك في المسير (٨)
أو زحْن أو طوفان أو أمطارْ	فذاك بالتدبير بالأسفارْ (١٣)
واجرِ على السِماك ثم الكاثرْ	حتى يزيد الجاه اصبعْ وافرْ (٢٢)
موسمه السبعين في خروجهْ	وفي الثمانين يكون ولوجهْ (٢٥)
ولم يلج من سار في التسعين	إلا أن يكونْ في نادر السنين (٢٦)
تلقا به السُهيل والظلـيمْ	ستةْ ونصف كن به عليمْ (٢٩)
أربعْ أصابعْ في قياسِ واحدْ	وثلثْ أيضاً فوقهم زوايدْ (٣٢)
ورتّب المجرا مع القياسِ	في نتخة[1] البر فكن ذوا بامي (٣٣)
ربان لا ينقصْ ولا يزيدْ	وردْ في الاكليل بالتوكيدْ (٤٢)
يزيد في المِرزَم في التربيعا	اصبعُ إلا ربعُ يا حريفـا (٦٦)
وقس على المعقـل والمربّعِ	فهن معلوماتْ معكم ومعي (٦٩)
يكونْ ستةْ ثم الاربع اصبعِ	مثل قياس الأصل قسه واسمعِ (٧٩)
ان قياس النجوم الطالعـةْ	والغاربات فيهـم المنازعةْ (٨٠)
ذكرتهم لتعرف الأفلاك !	وسيرذي الكواكب الزواكي (٨٣)

والقصيدة الثانية هي المَلْقية ، وذلك نسبة الى مَلْقَة (ملقة) ، أي شبه جزيرة مالاقا ، ويستعمل ابن ماجد هذه التسمية أيضاً . وهو يعدّد المراحل

(١) يستعمل ابن ماجد نَتَخَ بمعنى نَدَخَ أي رسا .

اليها من الهند ، فيقول في مقدمتها : من بر الهند الى بر سيلان ، وناك باري (وقد رسمها الناشر على المصوّر نال باري ، والأصل أصح ، وهي تُعرف الى اليوم بجزر نيكوبار) ، وشُمطرة ، وبر السيام ، وملمقة ، وجاوه ، وما كان في طريقهم من الجزر والشعبان ومناخهن وصفتهن والبلد فيهن ، وقفاصي (مضيق مالاقا) وغيرها ، وجميع ما يتعلق به المشارق والجنوب والغور والصين ، الى حدود الحرات الشارفة على البحر المحيط الذي لا خلفه سوى جبل قاف (امريكا ؟) .

وأبيات القصيدة ٢٧٣ ، وهي من الرجز أيضاً ، ومطلعها :

عزمت والعزم حميد في السفر   لا سيا من بلدة فيها ضرر

وهي كأختها الأولى أشبه بزجل العوام ، وتماثلها في ضعف السبك وعوج اللغة وتعثر النظم ، وتتزيد عليها في إقحام ياخي (يا أخي) وياخواني (يا إخواني) في عشرات المواضع .. وحسب القارئ هذه الأمثلة :

إن كان في هذا النجوم نفسا   شرّق وأشمِل لاتكونْ أخرسا (١٤)
وان تكن ياخي بعيد عنها (١٨)
وفيهم الضيق فكن بالعالمِ   حتى تكون للطريق لازمي (٣١)
أرمي بها إن شيت أخذَ الماء   والما تحت القطعة الكبرا (٩٩)
وفوقهن جبلاً معروفا   له سنام وبه موصوفا (١٥٠)
والماء يسقي داخلْ كن عارفْ   عندكْ وإلا اطرحْ ولا تخالفْ (١٩٠)

الخ ...

وآخر الرسائل وأقصرها هي التائية ، وتصف طريق الملاحة بين جُدّة وعدن (حمِضة ، القُصيليات ، سيبان ، الحُديدة ، أرض الحُصَيْب [زَبيد] موشج ، بُقعة ، جزيرة زُقَر ، عارة) . وتقع في ٥٥ بيتاً ، وبحرها الطويل ، ومطلعها :

سرت نسمة الفردوس من أرض مكةٍ   بريح الصبا فاشتاقت السير حلبتي

وهي بالجملة أقوم لغةً ، وأمتن رصفاً ، ولكنها لا تبرأ من سَقَط ، أمثال :

مسافتهم زامين والريح طيب كذا ستة للزقر كن متلفت (٣٢)

خصوصاً إذا ما كان ليلك ظلمي (٣٥)

* * *

وبعد ، فحمد العروبة للأستاذ شوموفسكي توفره على بعث تراثها ونشر مآثرها ، وقد بذل في إخراج هذا الكتاب أكرم الجهد .

(دمشق) **الدكتور عزة النص**

رسالة الغفران(١)

لأبي العلاء المعري

تحقيق الدكتورة بنت الشاطئ

« الطبعة الثانية ، دار المعارف في القاهرة سنة ١٩٥٧ ، في ٦٢٤ صفحة »

— ٢ —

٤ — أورد أبو العلاء ص ١٦٨ قول الأعشى :

محقبا زكرة وخبز رقاق وحباقا وقطعة من نون

وقال : « يعني بالحباق جرزة البقل » . وشرحت المحققة الحباق بأنه نبات طيب الرائحة(٢) ، وما قاله الشيخ أولى وأجود ، يشهد لذلك أن البيت ورد في الأغاني ١١٩/٢ (طبعة الساسي) في جملة أبيات عزاها لحنين الجبري ، وروايته :

محقبا ركوة وخبز رقاق وبقولا وقطعة من نون

(١) انظر القسم الأول : (مج ٣٢ ، ج ٤ ، ص ٦٨٥ — ٦٨٧) .
(٢) الحباق وزن كتاب جمع حَبَق عن ابن خالويه كما في اللسان ومستدرك التاج ، والحبق أنواع كثيرة ذكرها الأمير الشهابي في معجم الألفاظ الزراعية . (لجنة المجلة)

٥ — أورد الشيخ ص ١٨٥ أبياتاً من قافية عدي بن زيد ، فيها :

لم يعبه إلا الأداحي فقد وبّـــــر بعض الرئال في الأعلاق

وضبطت المحققة (الأداحي) بتشديد الياء وضمها ، والصواب ـ هنا ـ تسكينها ليتزن البيت .

٦ — أورد أبو العلاء ص ٢٦١ أبياتاً من الرجز في وصف رحى اليد ، وهي :

أعددت للضيف وللجيران حريتين تتعاوران

لا توأمان وهما ظئران

وقالت المحققة في كلتا الطبعتين : « . . . أما الحريبة فلم نجد من معاني المادة ما يناسب المقام ، . . . . ويمكن أن تكون (حريتان) هنا مثنى حُرَيْبة تصغير حراة وهي الجانب والشق والناحية ، وقد يفرض ـ على بعد ـ أنها (رُحَيّتان) لا (حريتان) مثنى رُحَيّة مصغر رحى ، صحفها الناسخ فقدم الحاء على الراء ، وهذا الاحتمال الثاني لا قوة له ، لأن المعنى إنما يقوم على ما بين حجري الرحى من التلازم دون التراؤم » .

ثم عقبت ـ في الطبعة الجديدة ـ بذكر ثلاثة آراء في ضبط الكلمة وتوجيهها ، أحدها رأيي وخلاصته أنها (حَرّيّتين) مثنى حرّية ، نسبة للحرة ، وهي الأرض ذات الحجارة السوداء ، أي أن هذه الرحى متخذة من حجارة الحرة . والآخر للدكتور محمد يوسف ، أدلى به في كلمة عقب بها على مقالي في مجلة الكتاب عدد تموز (يولية) ١٩٥١ ، وخلاصته أنها مصحفة عن (جُرَيْبتين) ، والثالث للأستاذ السيد أحمد صقر ، ذهب فيه إلى أنها مصحفة عن (خِدَبّتين) .

وما كنت قلته ـ سنة ١٩٥١ ـ اجتهاداً قد وجدته مؤخراً منصوصاً عليه ، فقد أورد ابن قتيبة الأبيات ـ مع خلاف في بعض اللفظ ـ في المعاني الكبير ص ٣٧٦ وقال : « يعني رحيين من الحرّة » . وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

٧ — أورد الشيخ ص ٢٦٧ — ٢٦٨ أبياتاً من قصيدة حائية متدافعة بين أوس بن حجر وعبيد بن الأبرص ، منها :

كأنَّ ريقه لما علا شطبا أقراب أبلق ينفي الخيل رمّاح

وكانت المحققة ضبطت ـ في الطبعة الأولى ـ كلمة (شُطَبا) بضم الشين وفتح الطاء ، وشرحتها بأنها جمع شطبة وهي السعفة الخضراء . فصححتُ ـ في مقالي السابق ـ ضبط الكلمة ، وذكرت انها ينبغي أن تضبط (شَطِبًا) بفتح الشين وكسر الطاء ، أو بالتحريك ، بالاعتماد على القاموس المحيط واللآلي ومعجم البلدان ، وهو اسم جبل . فأصلحت المحققة ـ في الطبعة الجديدة ـ الشرح على ما جاء في مقالي ، على حين أبقت الكلمة في متن الكتاب مضبوطة كالسابق (شُطَبا) .

٨ — أورد الشيخ ص ٢٧٦ بيتاً من رائية الأفوه الأودي ، وهو :

ريّشت جرهم نبلا فرمى جرهما منهن فوق وغرار

ثم أورد منها ص ٢٨٩ بيتاً آخر وهو :

كشهاب القذف يرميكم به فارس في كفه للحرب نار

وضبطت المحققة الروي في كلا البيتين بالسكون ، والصواب الضم ، فالبيتان من قصيدة مطلقة الروي (انظرها في ديوانه ص ١١ — ١٣ في مجموعة الطرائف الأدبية) وفيها :

يحلم الجاهل للسلم ولا يقر الحلم إذا ما القوم غاروا

ومثل هذا البيت لا يمكن تقييده لأنه موصول بواو الغائبين .

٩ — وقال ص ٣١٨ : «وكان سيبويه ينشد هذا البيت بكسر الهمزة :

أحب لحبها السودان حتى احب لحبها سود الكلاب»

وضبطت المحققة (احب) الثانية بالنصب ، وكنت اقترحت ـ في مقالي السابق ـ ضبطها بالرفع . فدفعت المحققة هذا الوجه . وحجتي في الموضوع أن

المضارع إنما ينصب بعد حتى إذا كان مستقبلاً بالنسبة الى ما قبلها ، وأما إذا دلّ على الحاضر ـ كما هو الحال في هذا البيت ـ فالوجه الرفع .

١٠ — أورد أبو العلاء ص ٣٢١ قول علقمة بن عبدة :

يهدي بها أكلف الخدين مختبر من الجمال كثير اللحم عيثوم

ثم قال : « فروي [يهدي] بالدال غيرِ معجمة » .

وضبطت المحققة (غير) بالكسر ، والصواب فتحها ، فهي منصوبة على الحال ، ولا يصح ـ هنا ـ الوصف إذ لا توصف المعرفة بنكرة .

١١ — أورد الشيخ ص ٣٢٣ بيتين من معلقة عمرو بن كلثوم ، وهما :

فما وجدت كوجدي أم سقب أضلته فرجعت الحنينا

ولا شمطاء لم يترك شقاها لها من تسعة إلا جنينا

وذكر أن (شمطاء) ـ في البيت الثاني ـ يجوز عنده نصبها من وجهين ، ذكر أولهما ثم قال يذكر الآخر : « والآخر أن يكون من ولاه المطر .. » ويغلب على الظن أن في الكلام سقطاً ، وأن الأصل « والآخر أن يكون [ولى] من ولاه المطر .. » ، ليستقيم وجه الكلام .

١٢ — أورد ص ٣٢٤ قول الراجز :

دار لظميا وأين ظميا أهلكت أم هي بين الأحيا

والصواب (دار لظمياء ..) ليتزن البيت .

١٣ — ذكر أبو العلاء ص ٣٢٩ ميمية المرقش المفضلية (هل بالديار أن تجيب صممْ) ثم قال : « على أن مرقشا خلط في كلمته فقال :

ماذا علينا أن غزا ملك من آل جفنة ظالم مرغِمْ »

وقالت المحققة في الطبعة الأولى : « الشاهد هنا في كسر حركة ما قبل الروي (مرغِمْ) وهو في بقية القصيدة بالفتح ، وهذا عيب في القافية سماه أبو العلاء هنا خلطاً » . وأما في الطبعة الثانية فقد أشارت إلى ما قالته في الطبعة الأولى ،

ثم أشارت إلى رأيي ، وخلاصته أن ما عناه أبو العلاء بالخلط هنا إنما هو مجيء البيت من البحر الكامل الأحذ المضمر ، لأن قوله (نة ظالمْ) وزنه (متفاعلن) على حين أن سائر الأبيات من السريع . ولم تقطع المحققة بأحد الوجهين .

وقد انحرفت المحققة في التعبير عن رأيي ، فذهبت الى اني قلت : إن وزن البيت (مستفعلن مستفعلن متفاعلن) وهذا شيء لم أقله ، وهذه الصيغة التي جاءت بها ليست من الكامل الأحذ في شيء . وكل ما ذكرته ما سقته آنفاً من أن قوله (نة ظالم) وزنها (متفاعلن) . فخرج البيت بذلك إلى الكامل المضمر الأحذ .

وهذه النقطة تحتاج الى شيء من البسط ، فالرأي الذي أبديته ما أزال مصراً عليه . والعيب الذي أشارت إليه المحققة هو ما يسمى في مصطلح القوافي (سناد التوجيه) ، ومن عادة أبي العلاء أن يسمي السناد ـ على مختلف أنواعه ـ باسمه الصريح ، كما فعل ص ٣٢٢ عندما عرض للسناد في معلقة عمرو بن كلثوم ، ثم إن مرقشاً قد ساند في معظم أبيات القصيدة بالضم والكسر ، فلم عني أبو العلاء بذكر هذا البيت خاصة ؟ ومن هنا يبدو أنه إنما عنى ظاهرة في هذا البيت لا يشاركه فيها سائر الأبيات ، وهو ما ذكرناه .

١٤ ـ قال أبو العلاء ص ٣٥٥ يحكي قول ابن دريد في بيتين ينسبان إلى آدم عليه السلام في ثانيهما إقواء ـ : « فقال أول ما قال : أقوى » .

هكذا ضبطت المحققة هذه العبارة جعلت النقطتين بعد (قال) الثانية ، فجعلت (أول ما قال) ظرفا لـ (قال) الأولى ، والصواب وضعها بعد (قال) الأولى (قال : أول ما قال أقوى) فيكون (أول ما قال) ظرفاً لـ (أقوى) وداخلا في مقول ابن دريد . والمعنى أن آدم قد وقع في الإقواء أول ما أخذ بقول الشعر . ويشهد لما ذهبتُ إليه أن الشريف ابن الشجري أورد القصة في أماليه ١ / ٣٨٤ (طبعة حيدر آباد) ، وعبارته في حكاية قول ابن دريد :

«هذا شعر قد قيل في صدر الدنيا وجاء فيه الإقواء». والقصة أيضاً أوردها ياقوت في معجم الأدباء ٨/١٨٦ وعبارته في حكاية قول ابن دريد: «أول من أقوى في الشعر أبونا آدم عليه السلام في قوله» ثم أنشد البيتين.

١٥ — أورد أبو العلاء ص ٣٥٨ أبيات النابغة التي يذكر فيها قصة الحية «ذات الصفا» وفيها قوله:

كما لقيت ذات الصفا من خليلها   وكانت تديه المال غبا وظاهره

وكانت المحققة ضبطت (غبا) في الطبعة الأولى بكسر الغين، وذهبتُ في مقالي — اعتماداً على ما ورد في الديوان ص ٦٢ (طبعة بيروت) — إلى أنها بضم الغين ومعناها: ما غمض من الأرض، وهذا وهم قد وقعتُ فيه، وتابعتني المحققة في طبعتها الجديدة، والصواب أنها بكسر الغين، والغبّ أن ترعى الإبل يوماً وترد من الغد، والظاهرة أن ترد كل يوم نصف النهار. وقد وردت الكلمتان في حكاية المعري نفسه للقصة ص ٣٥٦ وشرحتهما المحققة ثمة شرحاً صحيحاً، إلا أنها في شرح بيت النابغة تابعتني في الوهم الذي كنت انسقت إليه.

١٦ — عرفت المحققة ص ٣٦٦ بعذافر بن أوس قالت: «لعله عذافر الفقيمي، أورد ابن قتيبة في (أدب الكاتب) رجزاً له وقال: «وليس بحجة — وهو فقيمي، وكان بكري إبله إلى مكة»». وهذا يوهم أن العبارة السالفة كلها من كلام ابن قتيبة، وهو لم يقل إلا «وليس بحجة»، وأما سائر الكلام فلناشر الكتاب الأستاذ محيي الدين عبد الحميد في حاشية الكتاب. انظر (أدب الكاتب ص ٣٩٩).

١٧ — أورد أبو العلاء ص ٤٢٦ قول أبي نواس:

نديم قيل محدثهْ ملكٍ

وضبطت المحققة الثاء من (محدثه) بالضم، والصواب الفتح، لأن الأصل (محدثَةُ ملكٍ) وهذه الهاء مزيدة للمبالغة كما هي في علامة ونسابة وراوية لا للتأنيث، وسكنها الشاعر للضرورة.

١٨ — أورد أبو العلاء ص ٤٢٧ بيتاً من الرجز وهو :

يا بيذرهْ يا بيذره يا بيذره

وكانت المحققة في الطبعة الأولى جعلته نثرا ، وكنتُ نبهت إلى ذلك في مقالي ، ولكن هذا التنبيه أسقط في جملة ما أُسقط من المقال . وأزيد الآن أن البيت من أبيات في جمهرة ابن دريد ١/٢٣ ، و ٢١٩ وروايته (يا بيدره) بالدال المهملة .

١٩ — قال الشيخ ص ٤٥٧ : « . . يقنت على رهط الإجبار ويسند إلى عبد الجبار » .

وشرحت المحققة القنوت بما لا يفهم منه المقصود تماما ، ومعنى العبارة – فيما نرى – أنه يقنت في صلاته ويدعو على الجبرية . وهذا ما كنت ذهبت إليه في نقدي للطبعة الأولى ، إلا أن المحققة لم ترضه ، وعلقت بقولها : « . . صرف القنوت إلى الدعاء على فئة لا وجه يرجحه . والسياق أن الرجل مراء كاذب التدين يتعبد على طريقة رهط الإجبار ، ويروي أو يعتقد على طريقة المعتزلة » . ويشهد لما ذهبت إليه ما أُثر عن رسول الله (ﷺ) أنه كان يدعو في قنوته لأسلم وغفار ، ويدعو على عضل والقارة . وما قالته المحققة من أن أبا العلاء أراد أن يصف الرجل بأنه مراء صحيح ، ولا ينافي ما قلت ، لأن أبا العلاء وصفه بأنه « . . ما يزال يحتقب من المآثم عظائم . . » فهو يدعو على مخالفيه من الجبرية ويقول بمقالة المعتزلة ، مع عكوفه على المآثم ، وهي – في نظر المعتزلة – تجعل الإنسان لا مؤمناً ولا كافرا وإنما في منزلة بين المنزلتين .

٢٠ — قال الشيخ ص ٥٢٣ « . . فأخذ – أي ابن القارح – عن الكتابي سور التنزيل » .

وكانت المحققة في الطبعة الأولى ص ٤٨٩ ذهبت إلى أنها (الكتابي) مستظهرة بقول أبي العلاء : « وما عنيت بالكتابي من نسب الى توراة وإنجيل ،

دون من نسب إلى القرآن المجيل» . وذكرت أن نيكلسون قرأها (الكتاني) - بالنون - ولكنه أخطأ معرفة المعني بذلك ، وقالت المحققة : «وإذا صحت قراءة نيكلسون تعين أن يكون الكتاني هنا أبا حفص الكتاني أحد شيوخ ابن القارح . . . ولكن يبقى بعد هذا سؤال هو : لم عني أبو العلاء بذكر الكتاني دون بقية الشيوخ الذين ذكرهم ابن القارح وهم جميعاً من الأعلام ؟» وكنت علقت - في مقالي السابق - على هذا الكلام بقولي : «ما قرأه نيكلسون هو الصحيح ، وإن كان لم يوفق إلى معرفة المعنيّ بذلك ، وما قالته المحققة من أنه يتعين - إن صحت قراءة نيكلسون - كونه أبا حفص الكتاني صحيح أيضاً ، أما الجواب على سؤالها فغاية في البساطة ، وهو أن أبا حفص هذا شيخ ابن القارح في القراءة ، ويتضح هذا من قول ابن القارح في رسالته : «. . . وأبي حفص الكتاني صاحب أبي بكر بن مجاهد . .» وأبو بكر هذا إمام القراءة في المئة الرابعة ، وهو الذي اختار القراءات السبع المعروفة .

هذا ما كنت كتبته في تلك الأيام ، إلا أن مجلة «الكتاب» أسقطته فيما أسقطت ، ويظهر أن المحققة رأت أصول المقال ، فعلقت في الطبعة الثانية مرجحة قراءتها (الكتاني) قالت : «. . وهي بلا ريب أقوى وأرجح . .» .

والكتاني هذا ذكره ابن الجزري في طبقات القراء فيمن أخذوا عن ابن مجاهد ، ثم ترجم له أيضاً وذكر من أخذوا عنه ، إلا أنه لم يذكر ابن القارح فيهم .

٢١ - أورد الشيخ ص ٥٣٤ أبياتاً قيل إنها لطفيل الغنوي يمدح رسول الله (ﷺ) ، وأولها :

وأبيك خيرٍ إن إبل محمد ... غُزُلٌ تناوح أن تهب شمال

هكذا جاء ضبطه في كلتا الطبعتين (خيرٍ) و (غُزُل) وصوابه كما رواه المرتضى في أماليه ٢/١١٦ :

وأبيك خيراً إن إبل محمد ... عزل تناوح أن تهب شمال

ورواه أيضاً ابن رشيق في العمدة ٢/٩٨ ، وروايته :

وأبيك حقاً إن إبل محمد عزل نوائح أن تهب شمال

وشرح المرتضى البيت قال: « أراد : أبيك الخير، فلما طرح الألف واللام نصب. والعُزْل : التي لا سلاح معها ، وسلاح الإبل سنامها وأولادها ، وإنما جعلوا ذلك كالسلاح لها من حيث كان صاحبها إذا رأى سمنها وحسن أجسامها ورأى أولادها تتبعها نفس بها على الأضياف فامتنع من نحرها ، فلما كان ذلك صاداً عن الذبح ، ومانعاً منه ، جرى مجرى السلاح لها ، فكأنه يقول: هذه الإبل وإن كانت ذوات سلاح ، من حيث كانت شحمة سمينة فهي كالعزل إذ كان سلاحها لا يغني عنها شيئاً ولا يمنع من عقرها » . وانظر حول هذا المعنى وأمثاله المعاني الكبير لابن قتيبة ١ / ٣٩١ — ٣٩٢ وسمط اللآلي ٦٣١ — ٦٣٢ ، وأساس البلاغة ولسان العرب (ربح) .

٢٢ — قال أبو العلاء ص ٥٦٢ « . . ولا كالدينار في البيت الذي أنشده أبو عمر الزاهد . . »

وترجمت المحققة — في كلتا الطبعتين — لأبي عمر الزاهد هذا على أنه « أبو عمر الزاهد الدمشقي من كبار مشايخ الصوفية وساداتهم . . » وكنت استدركت في مقالي السابق على المحققة هذا وقلت : « ولا شأن لأبي عمر الزاهد هذا في رواية الشعر . والمراد هو أبو عمر الزاهد غلام ثعلب » وعلقت المحققة على كلامي بقولها : « الذي بدا لي أن هذا البيت بأبي عمر الزاهد المتصوف أشبه . . » . ولكن هذا لا ينهض حجة على ما قلنا ، فالمعروف في الرواية واللغة إنما هو غلام ثعلب .

* * *

هذا ما عنّ لي من خواطر حول الطبعة الجديدة من رسالة الغفران ، وإني لأشكر من رأى فيما أبديت خطأ فردني إلى الصواب ، كما أشكر المحققة الأديبة جهدها وخدمتها للأدب ولغة العرب .

راتب النفاخ

مجموعة خطب الرئيس شكري القوتلي

رئيس الجمهورية السورية

خلال عامين من رئاسته (من ايلول ١٩٥٥ الى ايلول ١٩٥٧)

طبعت في دمشق عام ١٩٥٧ في ٢٢٨ صفحة من قطع الوسط

ويلي النص مجموعة من الصور التذكارية

رافق فخامة الرئيس الأول الفكرة التحررية منذ نشأتها وناضل مع المناضلين الأحرار في سبيل بعث القومية العربيـة وتحقيقها ، ولم يتطرق الى نفسه رغم وعورة مسالكها اليأس ولا خامرها الوهن ، جالد الإرهاب وصابر الاضطهاد ، وقارع بأس الاستعمار في عنفوان سلطانه ، وله في كل مرحلة من مراحل نضال الأمة ونهضتها مآثر حميدة وقبسٌ منيرٌ ، سارت بهديه البلاد ، وجنت بقيادته الرشيدة أطيب الثمرات .

أخلص فخامته لشعبه بأعماله ، وصدقه القول ، ولم يخلف له وعداً ، ولم يحنث له بعهد ، فهو له الصادق الأمين والمرشد الحكيم ، شارك شعبه في آماله وآلامه ، وأفراحه وأتراحه ، ومنحته الأمة ثقتها طوعاً ، وألقت اليه باختيارها مقاليد أمورها .

ومن حسناته السماح بجمع هذه الخطب ونشرها للملأ للذكرى وشحذ الهمم ، وهي صفحات مشرقة نقية ، رائدها الصراحة والإخلاص والوفاء ، مجموعة خطب بل مجموعة حكم ألقاها فخامته خلال عامين اثنين في مناسبات مختلفة وأحداث هامة في حياة الشعب السوري ، وهي كما وصفها في مقدمته ناشر هذه المجموعة : «سجل وقائع ، وتوضيح مناهج ومبادئ ، ودعوة في كل مناسبة إلى النضال والعمل ، والدأب في سبيل حرية العرب ووحدتهم ، وفي سبيل تأمين حياة كريمة عزيزة ، موفورة الرخاء في ظل العدالة الاجتماعية لكل سوري ولكل مواطن عربي» .

أمد الله في حياته لأداء رسالته وتحقيق آماله .

جعفر الحسني

آراء وأنباء

انتخاب
رئيس المجمع العلمي العربي

انتهت مدة انتخاب معالي الأستاذ الرئيس السيد خليل مردم بك في ٣١ تشرين الأول سنة ١٩٥٧ ، فعقد المجمع العلمي العربي جلسة في ٢ تشرين الثاني سنة ١٩٥٧ وجدد بالإجماع انتخابه لمدة أربع سنوات . وقد صدر بذلك مرسوم جمهوري رقمه ٣٥١٤ بتاريخ ١٢ كانون الأول سنة ١٩٥٧ .

أعضاء المجمع العلمي العربي في سنة ١٣٧٧ هـ — ١٩٥٨ م

الأعضاء العاملون

١ — الرئيس : الأستاذ خليل مردم بك

٢ الدكتور اسعد الحكيم
٣ الأمير جعفر الحسني (أمين السر العام)
٤ الدكتور جميل صليبا
٥ 〃 حسني سبح
٦ 〃 حكمة هاشم
٧ 〃 سامي الدهان
٨ الاستاذ شفيق جبري
٩ الاستاذ عارف النكدي
١٠ 〃 عز الدين التنوخي
١١ 〃 فارس الخوري
١٢ الشيخ محمد بهجة البيطار
١٣ الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي
١٤ 〃 مرشد خاطر
١٥ الأمير مصطفى الشهابي (نائب الرئيس)
١٦ الدكتور منير العجلاني

الأعضاء المراسلون

١ الدكتور عبد الرحمن الكيالي سورية
٢ الاستاذ عمر ابوريشة 〃
٣ الأستاذ محمد سليمان الأحمد 〃
٤ الدكتور قسطنطين زريق 〃
٥ الاستاذ أنيس المقدسي لبنان
٦ 〃 بشارة الخوري 〃
٧ الشيخ سليمان ظاهر 〃
٨ الدكتور صبحي المحمصاني 〃
٩ 〃 عمر فروخ 〃
١٠ الأستاذ مارون عبود 〃
١١ الدكتور نقولا فياض 〃
١٢ الأب اس. مرمرجي الدومنكي فلسطين
١٣ الاستاذ قدري حافظ طوقان 〃
١٤ 〃 محمد الشربقي 〃
١٥ 〃 احمد حامد الصراف العراق
١٦ الدكتور داود الچلبي 〃
١٧ الاستاذ ساطع الحصري 〃
١٨ 〃 طه الهاشمي 〃
١٩ 〃 عباس العزاوي 〃
٢٠ الشيخ كاظم الدجيلي 〃
٢١ الاستاذ كوركيس عواد 〃
٢٢ الشيخ محمد بهجة الاثري 〃

٢٣	الاستاذ محمد رضا الشبيبي	العراق
٢٤	الدكتور مصطفى جواد	〃
٢٥	الاستاذ منير القاضي	〃
٢٦	〃 احمد حسن الزيات	مصر
٢٧	الدكتور احمد زكي	〃
٢٨	الاستاذ احمد لطفي السيد	〃
٢٩	〃 خليل ثابت	〃
٣٠	الدكتور طه حسين	〃
٣١	الاستاذ عباس محمود العقاد	〃
٣٢	الدكتور عبد الوهاب عزام	〃
٣٣	الشيخ محمد الخضر حسين	〃
٣٤	الدكتور منصور فهمي	〃
٣٥	الأمير يوسف كمال	〃
٣٦	الشيخ محمد نور الحسن	السودان
٣٧	الأستاذ حمد الجاسر	المملكة العربية السعودية
٣٨	〃 خير الدين الزركلي	〃
٣٩	〃 علي الفقيه حسن	ليبية
٤٠	〃 حسن حسني عبد الوهاب	تونس
٤١	〃 محمد الطاهر بن عاشور	〃
٤٢	〃 محمد البشير الابراهيمي	الجزائر
٤٣	〃 عبد الحي الكتاني	مراكش
٤٤	〃 عبد الله كنون	〃
٤٥	〃 علال الفاسي	〃
٤٦	〃 احمد آتش	تركية
٤٧	الدكتور علي أصغر حكمت	ايران
٤٨	الاستاذ آصف علي أصغر فيضي	الهند
٤٩	الاستاذ أبو الحسن علي الحسني الندوي	الهند
٥٠	〃 عبد العزيز الميمني	پاكستان
٥١	〃 يوسف البنوري	〃
٥٢	الدكتور بلاشير (رجيس)	فرنسة
٥٣	الاستاذ دوسو (رينه)	〃
٥٤	〃 كولان (جورج)	〃
٥٥	〃 لاوست (هنري)	〃
٥٦	〃 ماسه (هنري)	〃
٥٧	〃 ماسينيون (لويس)	〃
٥٨	〃 أربري (أ. ج.)	بريطانية
٥٩	〃 جيب (هـ. ا. ر.)	〃
٦٠	〃 غليوم (الفرد)	〃
٦١	〃 ريتر (هلموت)	المانية
٦٢	〃 هارتمان (ريشارد)	〃
٦٣	〃 ديدرنغ (س.)	السويد
٦٤	الدكتور ضودج (بيارد)	الولايات المتحدة
٦٥	الاستاذ فيليب حتي	〃
٦٦	〃 غومز (اميليوغارسيا)	اسبانية
٦٧	الدكتور اشتولز (كارل)	النمسة
٦٨	الاستاذ موجيك (هانز)	〃
٦٩	〃 ماهلر (ادوارد)	المجر
٧٠	〃 جبرايلي (فرنشيسكو)	ايطالية
٧١	الدكتور شخت (يوسف)	هولاندة
٧٢	الاستاذ بدرسن (جون)	الدانيمرك
٧٣	〃 كرسيكو (يوحنا اهتنن)	فنلاندة
٧٤	〃 رشيد سليم الخوري	البرازيل

أعضاء المجمع العلمي العربي الراحلون

١ الشيخ طاهر الجزائري سورية
٢ 〃 سليم البخاري 〃
٣ 〃 مسعود الكواكبي 〃
٤ الاستاذ الياس قدسي 〃
٥ 〃 أنيس سلوم 〃
٦ 〃 جميل العظم 〃
٧ 〃 سليم عنحوري 〃
٨ 〃 عبد الله رعد 〃
٩ 〃 رشيد بقدونس 〃
١٠ 〃 اديب التقي 〃
١١ الشيخ عبد القادر المبارك 〃
١٢ الاستاذ معروف الأرناءوط 〃
١٣ السيد محسن الأمين 〃
١٤ الاستاذ الرئيس محمد كرد علي 〃
١٥ 〃 محمد البزم 〃
١٦ 〃 سليم الجندي 〃
١٧ الشيخ عبد القادر المغربي 〃
١٨ الأب جرجس شلحت 〃
١٩ 〃 جرجس منش 〃
٢٠ الاستاذ قسطاكي الحمصي 〃
٢١ الشيخ كامل الغزي 〃
٢٢ الاستاذ ميخائيل الصقال 〃
٢٣ الشيخ بدر الدين النعساني 〃
٢٤ الشيخ راغب الطباخ سورية
٢٥ 〃 عبد الحميد الجابري 〃
٢٦ 〃 عبد الحميد الكيالي 〃
٢٧ 〃 محمد زين العابدين 〃
٢٨ الدكتور صالح قنباز 〃
٢٩ الشيخ سليمان الأحمد 〃
٣٠ الاستاذ ادوار مرقص 〃
٣١ الشيخ سعيد العرفي 〃
٣٢ البطريرك ماراغناطيوس افرام 〃
٣٣ الاستاذ حسن بيهم لبنان
٣٤ الأب لويس شيخو 〃
٣٥ الشيخ عبد الله البستاني 〃
٣٦ الاستاذ جبر ضومط 〃
٣٧ 〃 عبد الباسط فتح الله 〃
٣٨ الشيخ عبد الرحمن سلام 〃
٣٩ 〃 مصطفى الغلاييني 〃
٤٠ الاستاذ عمر الفاخوري 〃
٤١ 〃 بولص الخولي 〃
٤٢ 〃 امين الريحاني 〃
٤٣ الامير شكيب ارسلان 〃
٤٤ الشيخ ابراهيم المنذر 〃
٤٥ الاستاذ جرجي يني 〃
٤٦ الشيخ احمد رضا 〃

٤٧	الاستاذ عيسى اسكندر المعلوف	لبنان
٤٨	〃 فيليب طرازي	〃
٤٩	الشيخ فؤاد الخطيب	〃
٥٠	الشيخ سعيد الكرمي	فلسطين
٥١	الاستاذ نخلة زريق	〃
٥٢	الشيخ خليل الخالدي	〃
٥٣	الاستاذ عبد الله مخلص	〃
٥٤	〃 محمد اسعاف النشاشيبي	〃
٥٥	〃 عادل زعيتر	〃
٥٦	〃 محمود شكري الآلوسي	العراق
٥٧	〃 جميل صدقي الزهاوي	〃
٥٨	〃 معروف الرصافي	〃
٥٩	〃 طه الراوي	〃
٦٠	الاب انستاس ماري الكرملي	〃
٦١	الاستاذ مصطفى لطفي المنفلوطي	مصر
٦٢	〃 رفيق العظم	〃
٦٣	〃 احمد كمال	〃
٦٤	〃 احمد تيمور	〃
٦٥	〃 احمد زكي باشا	〃
٦٦	الدكتور يعقوب صروف	〃
٦٧	السيد محمد رشيد رضا	〃
٦٨	الاستاذ حافظ ابراهيم	〃
٦٩	〃 احمد شوقي	〃
٧٠	الشيخ احمد الاسكندري	〃
٧١	الاستاذ اسعد خليل داغر	〃
٧٢	الاستاذ داود بركات	مصر
٧٣	الدكتور امين المعلوف	〃
٧٤	الاستاذ مصطفى صادق الرافعي	〃
٧٥	الشيخ عبد العزيز البشري	〃
٧٦	الدكتور احمد عيسى	〃
٧٧	الأمير عمر طوسون	〃
٧٨	الشيخ مصطفى عبد الرازق	〃
٧٩	الاستاذ انطون الجميل	〃
٨٠	〃 خليل مطران	〃
٨١	〃 ابراهيم عبد القادر المازني	〃
٨٢	〃 محمد لطفي جمعة	〃
٨٣	الدكتور احمد امين	〃
٨٤	الاستاذ عبد الحميد العبادي	〃
٨٥	الشيخ محمد بن ابي شنب	الجزائر
٨٦	الاستاذ محمد الحجوي	مراكش
٨٧	〃 زكي مغامز	تركية
٨٨	الشيخ ابو عبد الله الزنجاني	ايران
٨٩	الاستاذ عباس إقبال	〃
٩٠	الحكيم محمد أجمل خان	الهند
٩١	الاستاذ فران (جبرئيل)	فرنسة
٩٢	〃 هوار (كليمان)	〃
٩٣	〃 بوفا (لوسيان)	〃
٩٤	〃 مالنجو	〃
٩٥	〃 كي (أ.)	〃
٩٦	〃 باسه (رينه)	〃

٩٧ الاستاذ ميشو بللير فرنسة
٩٨ 〃 مارسيه (وليم) 〃
٩٩ 〃 مرجليوث(د٠س٠) بريطانية
١٠٠ 〃 بفن 〃
١٠١ 〃 براون (ادوارد) 〃
١٠٢ 〃 كرينكو (فريتز) 〃
١٠٣ 〃 هومل المانية
١٠٤ 〃 ساخاو (ادوارد) 〃
١٠٥ 〃 هوروفيتز (يوسف) 〃
١٠٦ 〃 هارتمان (مارتين) 〃
١٠٧ 〃 ميتفوخ (اوجين) 〃
١٠٨ 〃 بروكلمن (كارل) 〃
١٠٩ » غولد صيهر (اغناطيوس) المجر
١١٠ » ماكدونالد (د.ب) الولايات المتحدة
١١١ 〃 هرزفلد (ارنست) 〃
١١٢ 〃 سارطون (جورج) 〃
١١٣ 〃 كراتشكوفسكي(أ) الاتحاد السوفياتي
١١٤ 〃 برنلز (ايفيكين) 〃
١١٥ الاستاذ آسين بلاسيوس (ميكل) اسبانية
١١٦ 〃 لوپس (دافيد) البرتغال
١١٧ 〃 جويدي (اغنازيو) ايطالية
١١٨ 〃 نالينو (كارلو) 〃
١١٩ 〃 غريفيني (اوجينيو) 〃
١٢٠ 〃 مونته (ادوارد) سويسرة
١٢١ 〃 هس (ج٠ ج٠) 〃
١٢٢ 〃 كوفالسكي (ت٠) بولونية
١٢٣ 〃 موزل(الوا) تشكوسلوفاكية
١٢٤ 〃 هورغرنيه (سنوك) هولاندة
١٢٥ 〃 اراندوك (ك٠) 〃
١٢٦ 〃 هوتسما (م٠ ت٠) 〃
١٢٧ 〃 بوهل(ف٠م٠ب٠) الدانيمارك
١٢٨ 〃 استروب (ج٠) 〃
١٢٩ 〃 سترستين (ك٠ف٠) السويد
١٣٠ 〃 سعيد ابوجمرة البرازيل

وفاة الأستاذ ا . ايفيكين برتلز

(١٨٩٠ ـ ١٩٥٧)

نعى إلينا معهد الدراسات الشرقية في موسكو الفقيد ا . ا . برتلز أحد أساتذة المعهد البارزين ، والعضو المراسل للمجمع العلمي العربي ومجمع العلوم السوفياتي ، والعضو الفخري في مجمعي العلوم الإيراني والتركماني . وقد خسر بوفاته الاستشراق علماً من أعلامه العاملين . وكان الفقيد كأستاذه وصنوه المرحوم كراتشكوفسكي حجة في اختصاصه ، عميق الغور في أبحاثه ، شملت معارفه ودراساته رقعة واسعة من العالم الإسلامي الآسيوي ، وتعددت بقدرها خصائصه وتنوع مواضيعه .

ولد الفقيد برتلز في عام ١٨٩٠ ، وهو ابن طبيب من بطرسبورغ ، انصرف في بادئ أمره الى العلوم الطبيعية ، وألف على حداثته أبحاثاً فيها ، ثم درس الحقوق وانتسب في ذات الوقت الى المعهد الموسيقي ثم توجه أخيراً الى الاستشراق ، فدخل في عام ١٩١٨ الكلية الشرقية في جامعة بتروغراد ، وكان من أبرز أساتذته : بارتولد وكراتشكوفسكي وفريمان وروماسكيفتش وسميرنوف وغيرهم من أفاضل المستشرقين ، فنال منها شهادة الدكتوراه في علوم اللغات . وما كاد يتخرج من الكلية الشرقية حتى لمع اسمه وتبوأ مركزاً سامياً بين علماء الاستشراق وتميز عنهم بتعدد اللغات التي يحسنها ، وكان يتقن أربعاً وعشرين لغة غربية وشرقية استعملها في أغراضه العلمية . وعهد اليه في سنة ١٩٥٠ مديرية شعبة تاريخ الشرق السوفياتي وثقافته ، ومنح تقديراً لعلمه جائزة ستالين .

وقد يطول بنا سرد مفردات مؤلفات الفقيد البالغة (٢٣٠) بحثاً أكثرها باللغة الروسية ونقتصر على التعريف بموضوعاتها :

ترجم كثيراً من النصوص العربية والسنسكريتية والطادجيكية والبوشتو والاوزبكية والتركمانية والازربجانية والفارسية والتركية ، ووضع كتابين في قواعد اللغتين الفارسية والبوشتو ، وأشرف على وضع المعاجم التاليـة : رومي طادجيكي ، وطادجيكي رومي ، وأفغاني رومي ، وله دراسات واسعة عن تاريخ الأدب الفارسي والطادجيكي والاوزبكي والتركماني والأدب العربي في القرون الوسطى • وله أبحاث طويلة عن التاريخ الإسلامي والمذهب الصوفي •

ويعتبر الفقيـد رحمه الله باعث النهضة الثقافية بين شعوب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس • وكان في طليعة المستشرقين العاملين انتاجاً ومن أوسعهم آفاقاً ، وافاه أجله قبل أن يستنفد نشاطه وتفتر همته فأدّى على أكمل وجه رسالته ، وخلد بتصانيفه ذكره •

رحمه الله رحمة واسعة •



المرحوم الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر
(١٨٩٧ _ ١٩٥٧)

وفاة الأستاذ عادل ابن الشيخ عمر زعيتر

فجع المجمع العلمي العربي في دمشق بعضو من خيار أعضائه المراسلين في فلسطين ، وهو المرحوم عادل زعيتر ، وخسرت الثقافة العربية بفقده أحد أعلامها العاملين ، كان رحمه الله من رجال القانون اللامعين والساسة المناضلين المخلصين ، اكتسب في فلسطين ثقة مواطنيه وتقديرهم .

ولد الفقيد في نابلس سنة ١٨٩٧ وأتم فيها دراسته الابتدائية ، ثم انتقل الى المدرسة الاعدادية في بيروت وحصَّل الآداب في الكلية السلطانية بالآستانة .

دُعي الى الجندية في الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٦ ، وكان من ضباط الاحتياط في الجيش العثماني . ولما اضطهد الترك العرب انضم الى الجيش العربي بقيادة الأمير فيصل بن الحسين ، فحكم عليه الترك بالإعدام غيابياً سنة ١٩١٧ . ناب في عام ١٩١٩ عن نابلس في المؤتمر السوري ، وكان في جملة من نادوا بملكية فيصل على سورية ، وساهم في وضع دستور المملكة السورية لذلك العهد ، واشترك في جميع المؤتمرات الفلسطينية .

دخل في سنة ١٩٢١ كلية الحقوق في جامعة باريس ونال في سنة ١٩٢٥ شهادتها ، ثم عاد سنة ١٩٢٧ الى فلسطين وامتهن فيها المحاماة ، ودرّس من سنة ١٩٢٧ الى سنة ١٩٣٦ الاقتصاد السياسي والمالي والفقه الدستوري والدولي وقانون المرافعات المدنية والجزائية في معهد الحقوق بالقدس . ثم استقال من التدريس وانقطع الى العلم والأدب والسياسة المثالية . انتخب في سنة ١٩٥٣ عضواً في المجمع العلمي العراقي ، وانتخب في سنة ١٩٥٥ عضواً مراسلاً للمجمع العلمي العربي في دمشق .

ونقل الى العربية من روائع المؤلفات الغربية الكتب التالية :

١ — روح الشرائع (جزآن) لمونتسكيو .
٢ — العقد الاجتماعي .
٣ — أصل التفاوت بين الناس .
٤ — إميل أو التربية لجان جاك روسو .
٥ — حضارة العرب .
٦ — حضارات الهند .
٧ — روح الجماعات .
٨ — السنن النفسية لتطور الأمم .
٩ — فلسفة التاريخ .
١٠ — روح التربية .
١١ — حياة الحقائق .
١٢ — الآراء والمعتقدات .
١٣ — روح الثورات والثورة الافرنسية .
١٤ — روح الاشتراكية .
١٥ — روح السياسة .
١٦ — اليهود في تاريخ الحضارات الأولى لغوستاف لبون .
١٧ — ابن خلدون وفلسفته الاجتماعية لبوتول .
١٨ — النيل .
١٩ — البحر المتوسط .
٢٠ — كليوباترة .
٢١ — بسمارك .
٢٢ — نابليون .
٢٣ — ابن الإنسان .
٢٤ — الحياة والحب لإميل لودفيغ .
٢٥ — حياة محمد لإميل درمنغم .
٢٦ — تاريخ العرب العام لسيديو .
٢٧ — الآلهة عطاش .
٢٨ — حديقة أبيقور لأناتول فرانس .
٢٩ — كنديد أو التفاؤل لفولتير .
٣٠ — أصول الفقه الدستوري لإيسمن .

وله في الموضوعات التي ألقاها في معهد الحقوق بالقدس مؤلفات لم تطبع .
كان الفقيد في طليعة المترجمين ، أميناً في نقله ، سليماً في أسلوب إنشائه ، رحمه الله رحمة واسعة .

مؤتمر الأدباء العرب

خلال الأسبوع الثاني من هذا الشهر (٩ — ١٥ كانون الأول سنة ١٩٥٧) انعقد في القاهرة المؤتمر الثالث للأدباء العرب ، وقد دعت إليه جمهورية مصر ، ولبت الدعوة وفود الدول العربية ، وجعلت مقرها قاعة المتحف الزراعي ، واتخذت موضوعها « الأدب والقومية العربية » يتحدث فيه الأدباء من كل قطر عربي خلال ستة أيام كان أولها للافتتاح وآخرها للاختتام ، وفيما بينهما انقسمت الأحاديث إلى عناوين أربعة هي : الشعر ، والنثر ، والنقد ، وحماية الأديب ، وصلتها كلها بالقومية العربية .

وكان لا بد أن يذهب الأدباء مذاهب شتى في فهم هذه العناوين والتعبير عنها ومناقشتها ، يحملون في أقوالهم ثقافة قطرهم ومشربه ومنحاه ، يختلفون باختلاف أسنانهم من شباب ، وكهولة ، وشيخوخة ، ومن انصراف الى بعض الأدب القديم ومتانته وروعته إلى عكوف على بعض الأدب الحديث في سهولته وطرافة ألوانه وغرابة فنونه ، ومن نظرة إلى لغة العرب على أنها مقدسة كريمة من نبع عظيم ، ونظرة أخرى على أنها واسطة للتعبير ليس غير ، صالحة للتلوين والتبديل لعلها تشبه الألوان المستحدثة في لغات الغرب .

وكانت فرصة لمؤرخ الأدب العربي الحديث أن يستمع إلى شباب يجدون الشعر في أقوال لا يربط بينها وزن ولا يحدها بحر ، ولا يصلها معنى بمعاني الشعر العربي الموروث . ويستمع إلى آخرين يريدون العامية في الحديث والكتابة ، ويرون أن المسرحية أو القصة تسقط حين تكتب في الفصحى ، وتسمو إلى ذرى القوة حين ترسم في العامية ، ثم يستمع إلى نقد هذه الآراء كلها .

وكانت كذلك مناسبة فريدة أن يستمع مؤرخ العصر إلى ألوان الفهم عند الشباب وغير الشباب في موضوع القومية العربية ، فهي ترتبط حيناً بالدين ،

وحيناً بالعرق ، وأحياناً بالعنصرية والتاريخ . فبعضٌ يرى القومية في ترابط العرب ، وبعض يراها في اتحاد المسلمين ، وبعض يرى أن تكون في أهدافها إنسانية عالمية تجمع العالم بأقوامه وأقطاره .

وطبيعي أن يتحدث الأدباء عن نظريات الأدب المختلفة في قوالبه الجمالية والمثالية ، أو في خدمته وأنواعه ، وأن يتطرقوا إلى نظرية الفن للفن أو الفن للشعب . وأن يتساءلوا هل يرتفع الأديب إلى مستوى المثالية ، ويرفع إليه قراءه من الشعب ، أم ينزل من مستواه إلى أبناء الشعب ليفهموه ويدركوا أقواله .

وقد تحدث الدكتور طه حسين عن القومية العربية في الشعر القديم ، ورأى أن نتمسك بالقطامي والأخطل لأنهما عربيان ، ثم نظر إلى الأديب فجعل له الحرية في فنه وقوله لأن انتاجه وعبقريته ونبوغه مفخرة لقومه وأمته فلا سبيل إلى أن نفرض على الفنان طريقة أو منهجاً . ولكنه رأى أن يقوم الأديب بواجبه نحو أبناء وطنه يشعر بمشاعرهم ويتحسس بآلامهم ، وأن تنهض الأمة بواجبها نحو أدبائها . وتحدثت الدكتورة سهير القلماوي عن تطور القومية العربية وصلتها بالأدب فرسمت السبل الواضحة البيّنة لأدب المستقبل . وارتفع الأستاذ محمود المسعدي إلى ذروة النقد والفن المثالي في تحليل الأدب والقومية العربية وحرية الفنان وصلته بالإنسانية ، فكان مع زميليه اللذين ذكرنا واسطة العقد من هذا المؤتمر .

واشترك في الخطابة أدباء وعلماء كالشيخ محمد بشير الإبراهيمي عن الجزائر ، والأستاذ عبد الله كنون عن المغرب ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين عن العراق ، فكانوا في مباحثهم على هدوء العلماء وأناة الباحثين وعمق المفكرين الناقدين ، فاستحقوا إعجاب السامعين وثناءهم .

وكان من الطبيعي كذلك أن يتحدث المؤتمر عن الوعي القومي والسياسة التحررية والنضال الشعبي والحياد الإيجابي ، وموقف الأدباء العرب من هذه المفاهيم المستحدثة في ألفاظها ، القديمة في ألوانها ، وتطرقوا الى الأوطان السليبة والربوع المهددة كالجزائر الحبيبة وفلسطين المنكوبة ، وسورية ومصر

المجاهدتين ، مما استثار الحماسة والأسى والوطنية ، وانتهى بالسامعين إلى قرار الدفاع عن الوطن العربي بأقلام الأدباء والكتّاب للحفاظ على قوميتنا وتراث شعبنا .

ولا شك في أن هذا المؤتمر كان سوقاً للشعر والخطابة والحديث والمناقشة ، يستحق التسجيل على أنه يمثل بعض التيارات المعاصرة ، ويصور بعض الآراء المستحدثة في النصف الأول من القرن العشرين ، ولعل هذا ينبّه الأذهان إلى ضرورة البحث والدرس والتأليف ، ويدفع إلى التفكير بانشاء فروع في المجامع العلمية العربية بدمشق والقاهرة وبغداد لبحث هذه النظريات ، وتأليف كتب في تأريخ القومية العربية ومختارات للأدب العربي القومي نثره ونظيمه ، في أناة عاقلة وحكمة بالغة ودرس طويل . فليس الارتجال طريقاً إلى صنع المناهج الدائمة ، وليس النقاش السريع من أسس البحث المنظم العاقل ، لأن نتائجه تذهب بذهاب الزمن الذي قيلت فيه . ولعلّ مجامعنا العربية تصغي إلى ندائنا فتقدم للشباب خميرة دراساتها وعميق فهمها وواسع اطلاعها ، لعلهم يستنيرون بهديها ويأخذون بنظمها ، قبل أن تستولي عليهم بعض منازع الفكر الأجنبي المرتجفة وثورات الأدب العصبية فتبعدهم عن جذور التراث الكريم ، وتربطهم بفرع من فروع التفكير التي لا تتصل بماضينا ولا تصلح لحاضرنا ولا تمكن للأسس السليمة في مستقبل أدبنا وقوميتنا .

الدكتور سامي الدهان

ابن سينا الشاعر

الشيخ الرئيس ، وإن كان رجل حكمة وفلسفة وطب ، اشتهر اسمه بها ، وقيس به سواه فيها ؛ حتى قال ابن عنين ، أديب الشام (المتوفى سنة ٦٣٠ هـ) يمدح الإمام فخر الدين الرازي ، في قصيدته اللامية :

غلط امرؤ بأبي علي قاسه هيهات قصّر عن مداه أبو علي (١)

---

(١) ديوان ابن عنين (طبعة دمشق ١٣٦٥) ص ٥٤ ، من كلمته التي اوّلها :
ريح الشمال عساك أن تتحملي خدمي إلى المولى الإمام الأفضل .

هو أيضاً ، متظرف يطرب إلى الأدب ، ماجن لا يلهيه الدرس عن الشراب [1] والغناء .

رزق الشيخ ابن سينا صفاء الأدباء ، وتخلق بأخلاق أولي الظرف ، وقد أوتي حسن الطبع ، وبلاغة المنطق ، وفصاحة الكلام ؛ فتعاطى القريض ، وقال الشعر ، وعالج النظم . فقد حدثنا ـ وهو صادق ـ أن والده أحضر له معلم الأدب ـ وهو في غضاضة الغصن ـ وأنه بلغ ما بلغ أولو الكمال ، وهو في أوائل الصبا [2] .

ثم أتيح له أن يظفر بخزانة نوح بن منصور ، التي فتحت له أبوابها في بخارى ، فقرأ ما بها من كتب العربية ، واطلع على مجموعات الأدب ، ودواوين الشعر ؛ وهو لم يكمل ثماني عشرة حجة [3] . وقد كان الشعر فسحته إذا ناب خطب ، وعوذه إذا اشتدّ زمان ؛ ينفس به كربه ، ويفرج بإنشاده همه [4] ؛ فقد قال ـ وهو يعاني ما ينوء بأمثاله من الغبن ـ :

لما عظمت فليس مصر واسعي　　　لما غلا ثمني عدمت المشتري

وقال ـ وهو في السجن ـ :

دخولي في اليقين كما تراه　　　وكل الشك في أمر الخروج

وقد كان ـ على فضله ـ ماجناً (كما مرّ) ؛ قال تلميذه الجوزجاني : إنه كان يجمع تلاميذه في داره كل ليلة ، فكانوا إذا فرغوا ، حضر المغنون والشراب [5] .

لقد بلغ هذا الطبيب الأديب ـ على كل حال ـ مرتبة أكابر أئمة اللغة المحققين ، وقصته مع أبي منصور الجبان ، شاهد عدل ؛ استطاع أن يكتب ما يصح

(١) اعتذر ابن سينا عن نفسه بأنه كان يشربها تداويا .　　　(لجنة المجلة)

(٢) سرگذشت (طبعة طهران ١٣٣١ ش) ص ١ .

(٣) المرجع المذكور ص ٤ — ٥ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٥) سرگذشت ص ٧ — ٨ .

انتسابه إلى الصابئ ، والصاحب ، وابن العميد ، ونظم أشعاراً في الغريب ، وألف معجماً سمّاه (لسان العرب) [١] ، وصنف رسالة في أسباب حدوث الحروف ومخارجها ، وعمل القصيدة المزدوجة في المنطق [٢] ، ومعتصم الشعراء في العروض [٣] ، وله خطب وتحميدات وأسجاع كثيرة [٤] ، تنم على وفور فضله ، ونظم القصائد والأشعار في الزهد ، يصف فيها أحواله [٥] ، كما تضاف إليه أراجيز في الحكمة والمنطق والطب [٦] ، وله ـ كذلك ـ رسائل بارعة بالعربية والفارسية ، ومخاطبات ، ومكاتبات ، ومراسلات ، وهزليات . ويعدّون في رسائله (كتاب الملح في النحو) [٧] .

وقد استشهد الرضي الاستراباذي ـ المتوفى سنة ٦٨٦ ـ بشيء من شعره في باب الحروف العاطفة من كتاب (شرح الكافية) [٨] ؛ وهو قوله :

سيّان عندي إن برّوا وإن فجروا ... إذ ليس يجري على أمثالهم قلم [٩]

وهذه منزلة رفيعة ، لم يرزقها إلاّ الأقدمون من فحول الشعراء ، قبل طبقة بشار بن برد .

---

(١) فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ص ٢٠١ .

(٢) سرگذشت ص ١٦ .

(٣) المرجع المذكور ص ١٧ .

(٤) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٥) المرجع نفسه ص ١٨ .

(٦) تراجع فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ، تأليف يحيى مهدوي (طبعة طهران ١٣٣٣ ش) ص ٢٥ – ٨ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٧١ – ١٨٠ ، و ص ٢٢٥ .

(٧) سرگذشت ص ١٨ .

ومما يؤكد اهتمامه بالأدب والشعر ، ما قاله ابن ماكولا : انه رأى ديوان شعر الإمام أبي بكر الزاهد ، وأكثره بخط ابن سينا (تراجع الجواهر المضية في طبقات الحنفية طبعة حيدر آباد الدكن ١٣٣٢ ، ج ١ ص ١٩٥) .

(٨) شرح الكافية (طبعة استانبول ١٣١٠) ج ٢ ص ٣٧٦ ، وتراجع خزانة الأدب للشيخ عبد القادر البغدادي (مصر ١٢٩٩) ج ٤ ص ٤٦٤ .

(٩) البيت من كلمته المطولة التي أوّلها :

يا ربع نكّرك الأحداث والقدم ... فصار عينك كالآثار تتهم

تراجع خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٥ – ٦ .

هذه نبذة صغيرة من مقام الرجل في العربية والأدب ، وهو الذي قال في كلمته التي منها الشاهد المذكور آنفاً :

أما البلاغة فاسألني الخبير بها   أنا اللسان قديماً والزمان فم[1]

أمّا الشعر فإنه ذو اللسانين ، وله شعر جيد في العربية والفارسية[2] . ويوجد في أياصوفية ديوان صغير جداً[3] عدّته ١٠ صفحات ، قوامه ١٨٨ بيتاً .

هذا وقد نسبت إلى ابن سينا أراجيز مختلفة ، وشعر كثير ؛ منـه الرائية الطويلة التي أولها :

يربّك أيهـا الفلك المدار   أقصد ذا المسير أم اضطرار

وهي ٥٠ بيتاً ، وقائلها ؛ هو أبو علي الحسين بن عبد الله بن يوسف بن أحمد ابن شبل ، البغدادي ، المتوفى سنة ٤٧٤ هـ[4] . والأرجوزة التي ذكرها الدميري المتوفى سنة ٨٠٨ في كتاب (حياة الحيوان) ؛ وقال : قيل إنها لابن شيخ حطين[5] .

أما عينيته التي عني بها الناس قديماً وحديثاً ، فلعلّ أقدم أصولها الموجودة ، يرجع إلى حدود سنة ٥٨٠ هـ[6] ، وهي عشرون بيتاً . وقد قال ابن أبي الوفاء ، المتوفى سنة ٧٧٥ هـ : إنها ١٦ بيتاً[7] .

---

(١) ديوان ابن سينا (وستأتي صفته) الورقة ٤٣ أ .

(٢) خزانة الأدب ج ٤ ص ٤٦٧ .

(٣) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ [الرسالة الثامنة] الورقة ٤١ أ – ٤٥ أ نسخة (اياصوفيه كتبخانه سي) وقد تفضل صديقنا المحقق الجليل الأستاذ مجتبى المينوي فأذن لي وصورتها على المايكروفلم الموجود عنده في خزانته بطهران ، وقد خمن هو تاريخ كتابتها سنة (٥٨٠ – ٦٠٠ هـ [ظ ؟]) . ويراجع كتاب مؤلفات ابن سينا للأب جورج شحاته قنواتي (مصر ١٩٥٠) ص ١٢١ – ٢ .

(٤) ارشاد الأريب لياقوت الحموي (طبعة مرغليوث ١٩٢٧ ، ج ٤ ص ٣٨ – ٤١) ونسبها إلى الشيخ ابن سينا من المتأخرين الشيخ محمد علي بن علي بن محمد عز الدين الشامي العاملي الحناوي الصوري المتوفى سنة ١٣٠٣ هـ في الجزء الأول من كتاب (سوق المعادن والحلل وكل ما يسرّ الأفئدة ويقرّ المقل) نسخة الشيخ عبد الله السبيتي في الكاظمية . ويراجع – أيضاً – كتاب مؤلفات ابن سينا ص ٣٢١ .

(٥) حياة الحيوان الكبرى للكمال الدميري (مصر ١٣١١) ج ٢ ص ٣٢٨ .

(٦) المجموعة المرقومة ٤٨٤٩ في اياصوفية / الرسالة الثامنة – الورقة ٤٤ ب – ٤٥ أ .

(٧) الجواهر المضية ج ١ ص ١٩٥ .

وقد رواها : محيي الدين بن عربي [١]، وابن أبي أصيبعة [٢]، وابن خلكان [٣]، واليافعي [٤]، وابن كثير [٥]، والدميري [٦]، والبهاء العاملي [٧]، وعبد الرؤوف المناوي [٨]، وابن العماد [٩]، والسيد نعمة الله الجزائري [١٠]، والسيد عباس الموضوي المكي [١١]، والحاج ملا هادي السبزواري الحكيم [١٢] وفئة كثيرة من المتأخرين [١٣].

وقد شرحها طائفة من الأفاضل [١٤]، وقلدها كثير من الشعراء، وردّ عليها

(١) محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار (مصر ١٣٠٥) ج ١ ص ١١٩ .
(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (مصر ١٢٩٩) ج ٢ ص ١٠ – ١١ .
(٣) وفيات الأعيان (مصر ١٢٦٧) ج ١ ص ٤٢٢ – ٣ .
(٤) مرآة الجنان وعبرة اليقظان (حيدر آباد الدكن ١٣٣٨) ج ٣ ص ٥٠ .
(٥) البداية والنهاية (مصر ١٣٥٨) ج ١٢ ص ٤٢ – ٣ .
(٦) حياة الحيوان الكبرى ج ٢ ص ٣٢٨ .
(٧) الكشكول (مصر ١٢٨٨) ص ٢٤٥ – ٦ ، و (طهران ١٢٩٦) ص ٢٦٣ .
(٨) شرح قصيدة النفس (مصر ١٣١٨) ص ٢٧ – ١٤٤ .
(٩) شذرات الذهب في أخبار من ذهب (مصر ١٣٥٠) ج ٣ ص ٢٣٦ – ٧ .
(١٠) مقامات النجاة (نسخة حكمت آل اقا . في طهران ، المخطوطة سنة ١٢٢٨) الورقة ١٤٤ ب .
(١١) نزهة الجليس ومنية الأديب الأنيس (مصر ١٢٩٣) ج ٢ ص ٢٢٠ .
(١٢) أسرار الحكم (طهران ١٢٨٦) ص ٢٩٠ – ٣٠١ .
(١٣) دانشنامه ناصري (طهران ١٢٩٦) ص ٧٩ ، وتسع رسائل في الحكمة والطبيعيات (قسطنطينية ١٢٩٨) ص ١٢٩ – ٣٠ ، وكتاب بلوهر وبوذاسف (بمبي ١٣٠٦) ص ٢٨٧ – ٨ ، ومنطق المشرقيين (مصر ١٣٢٨) المقدمة صفحة كب – كج ، ومطرح الأنظار في تراجم أطباء الأعصار لعبد الحسين الطبيب التبريزي (تبريز ١٣٣٤) ج ١ ص ١٤٤ – ٥ ، وجشن نامه للدكتور ذبيح الله صفا (طهران ١٣٧١) ج ١ ص ١١٦ – ٧ ؛ وشرح عينية ابن سينا بتحقيق الدكتور حسين علي محفوظ (طهران ١٩٥٤) ص ٣ – ١٢ .
(١٤) تراجع فهرست نسخه هاى مصنفات ابن سينا ص ١٩٥ – ٧ ، وكشف الظنون (طبعة تركية ١٩٤٣) ج ٢ ص ١٣٤١–٢ ، ومؤلفات ابن سينا ص ١٥٢ – ٥ .

بعض أشياخ الحكمة ، وأجازها شرذمة من فحول الأدب والشعر ، وأكاد أميل الى القول ان خير من ردّ عليها ، الأديب العراقي ، الشيخ عبد علي الحويزي المشعشعي ، البصري [1] ، في قصيدته المشهورة ، التي أولها :

لا ابتـداء إلاّ له إنتهاء جلّ من كلّ شأنه إبتـداء [2]

وقد كنت عنيت أنا بإخراج العينية وتحقيقها في مهرجان ابن سينا الألفي بطهران سنة ١٣٧٣ هـ ، كما وازنت بين أشعار الشيخ العربية والفارسية ، والظن كل الظن أن أشعاره الفارسية ـ وإن كانت قليلة ـ خير من شعره العربي ، وفور معان ، وجودة إنشاء ، وفصاحة بيان .

الدكتور حسين علي محفوظ

---

(١) هو الشيخ عبد علي بن ناصر بن رحمة الحويزي ، من أفاضل تلاميذ بهاء الدين العاملي . كان فاضلاً بارعاً ، شاعراً فائقاً ، من أشياخ الأدب في عصره ، ويعدّ من الطراز الأول في صناعة الكتابة ، قرّبه ولاة البصرة ، وأحسنوا إليه ، فلازمهم حتى مات بها في أواخر القرن الحادي عشر ، وخلف آثاراً جليلة كثيرة . له ترجمة في سلافة العصر للسيد علي خان المدني (مصر ١٣٣٤) ص ٥٤٦ – ٥٤) وريحانة الأدب لمحمد علي التبريزي الخياباني المدرس (طهران ١٣٦٦ – ٧١) ج ١ ص ٣٥٧ – ٨ ، وروضات الجنات للسيد محمد باقر الخوانساري (ايران ١٣٦٧) ص ٣٥٤ – ٥ ، وأمل الآمل لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ايران ١٣٠٧) ص ٤٨١ – ق ٢ ، وخلاصة الأثر للمحبي (مصر ١٢٨٤) ج ٢ ص ٤٢٧ – ٣٢ ، وفوائد الرضوية للشيخ عباس القمي (طهران ١٣٣٩ ش) ج ١ ص ٢٣٧ – ٨ ، والتأسيس للسيد حسن الصدر (بغداد ١٣٧٠) ص ١٨٢ .

(٢) أثبتها الشاعر نفسه في باب (حلي الأفاضل) من كتابه كلام الملوك ملوك الكلام ص ١٤٧ – ٨ نسخة دار الكتب الوطنية (كتابخانه ملي) بطهران ، المرقومة ٩٠٧ / مخطوطات . المكتوبة سنة ١٢٨٤ هـ .

(الفواهق)

في البيت السادس من عينيّة عبد الملك بن عبد الرحيم الحارثي ، القائل :

فَخَالَفَها عَارِي الفَوَاهِقِ شَاسِبٌ أَخُو قَفْرَةٍ أَضحَى وأَمسى مُجَوَّعَا

جاء التعليق على كلمة « الفواهق » في الحاشية كما يلي : « كأنه أراد بالفواهق جمع فهقة ، وهي عظم عند مركّب العنق ، ولكن جمعها فِهَاق ، ولذلك رأى محقق الطبعة المصرية أنها مصحّفة عن « النواهق » وقال : « النواهق : العظام الشاخصة بجوار العين . » ولكن يردّ على ذلك أنّ النواهق لذوات الحافر وليست للسباع المفترسة . »

وأرى أنها « الفواهق » لا تصحيف فيها ولا لبس . وهي جمع « فاهقة » وقد جرت على القياس المعروف في جمع « فاعلة » . والفاهقة هي الفهقة ذاتها . يعزّز ذلك أن كثيراً من أنحاء الشوف بلبنان ولا سيما بلدتنا ، تجري فيها هذه الكلمة « الفاهقة » على ألسنة الكبار والصغار ، حقيقةً ومجازاً . ولست أذكر أني سمعتها من أحد إلاّ بهذا اللفظ . . يقول من يأتي الماء في يوم حرّ : « لقفت الماء على وجهي وفاهقتي » . ويقول المغيظ المحنَق : « امتلأتُ الى فاهقتي » .

إن المتكلمين باللغة العامية يغلب أن ينقلوا الألفاظ عمّن تقدّمهم نقلاً أميناً ، جيلاً بعد جيل . وفيما نعلم أن عائلتنا جاءت لبنان من نواحي الأردنّ من نحو أربعمائة سنة . وانّ أجدادنا من « هوازن » نزلوا في بعض أنحاء الأردن منذ الفتح العربي ، في مكان غير بعيد عن « الفَلَجَة » موطن الشاعر الحارثي . وعندي أنّ تلك الجماعات المتجاورة قديماً استعملت « الفاهقة » وتناقلتها بهذا اللفظ ، بدليل ورودها في قصيدة عبد الملك ، وبقائها محفوظةً مُتناقلةً عندنا الى هذه الأيام . وأرى أنهُ لا يقدح في هذا كون الكلمة لم ترد في المعاجم بهذا المعنى .

وورد في البيت الثالث ص ٥٦٦ : « فما شَقَّ ضوءُ الفجرِ حتى تَصَدَّعتْ » . وهنا استعمل فعل « شَقّ » على نحو ما تحكيه جماعتنا باللغة العاميّة ، إذ تقول : « شَقّ الضوءُ ، وشَقّ الفجرُ ، وقتُ شَقّة الفجر ، الخ » . لعلّ في هذا سنداً لذاك ؛ والله أعلم .

عارف أبو شقرا

فهرس الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثين

صفحة

التعريف والنقد

آراء وأنبـاء

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ نيسان سنة ١٩٥٨ م ١١ شهر رمضان سنة ١٣٧٧ هـ

الأخطل

هو أبو مالك غياث بن غوث بن الصلت من قبيلة تغلب ، وتغلب من ربيعة من العرب العدنانية . وبلاد تغلب بالجزيرة الفراتية بجهات سنجار ونصيبين بين الخابور والفرات ودجلة ، وتعرف ديارهم بديار ربيعة . وكانت تغلب بدواً بالجزيرة لا حاضرة لها إلا القليل بالكوفة ، وكانت النصرانية غالبة عليهم لمجاورتهم للروم . والأخطل لقب غلب عليه لخبث لسانه في صغره ، ومعنى الأخطل السفيه .

وكانت الجزيرة منذ زمن الأخطل معدودة من الشام أو ملحقة بالشام وكان الأخطل يعتبر شامياً ، قال الفرزدق [1] :

فيهن [2] شاركني المُساورُ بعدهم وأخو هوازنَ والشآمي الأخطلُ

كان الأخطل نصرانياً ، قال الشعر وهو غلام ، وهجا كعب بن جعيل

(١) شرح ديوان الفرزدق لعبد الله الصاوي ج ٢ ص ٧٢١ .
(٢) أي في القصائد .

شاعر تغلب ، واتصل بيزيد بن معاوية ومدحه في حياة أبيه ، وكان سبب اتصاله به أن يزيد طلب إلى كعب بن جعيل أن يهجو له الأنصار لأن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري شبب بأخته رملة ، فامتنع كعب تحرجاً لأنه مسلم ، ودله على الأخطل فهجاهم الأخطل بقصيدة منها :

ذهبتْ قريشٌ بالسماحة والندى   واللؤمُ تحت عمائم الأنصارِ
فدعوا المكارمَ لستمُ من أهلها   وخذوا مساحيكم بني النجار

ومنذ ذلك الحين اختص ببني أمية يمدح خلفاءهم وأمراءهم ويفد عليهم إلى دمشق ، ويدعو اليهم ويهجو خصومهم . فقربه بنو أمية وآثروه ولا سيما عبد الملك ابن مروان فقد كان للأخطل عليه دالة عظيمة ، ذكروا أنه كان يدخل عليه وقد علق على صدره صليباً ولحيته تنفض خمرا ، ووقعت مهاجاة بينه وبين جرير طال أمرها ولم تنته إلا بموت الأخطل . وظل الأخطل أثيراً عند بني أمية حتى توفي في خلافة الوليد بن عبد الملك سنة خمس وتسعين وقد نيف على السبعين .

شعره :

الأخطل أحد فحول الشعراء الإسلاميين ومن أشهر الشعراء في العصر الأموي ، يمتاز شعره بالاستواء والصقل والتهذيب من غير تعمل أو تكلف ، وأثر الطبع فيه شديد الظهور ، روي عنه أنه كان ينظم القصيدة تسعين بيتاً فما يزال يعود عليها بالتشذيب والتهذيب حتى يسقط الستين ويبقي على الثلاثين . وقد يمعن بالتنقيح والتحكيك حتى يسلخ في نظم القصيدة حولاً كاملاً . روى صاحب الأغاني أن الأخطل قال لعبد الملك بن مروان يا أمير المؤمنين زعم ابن المراغة (جرير) أنه يبلغ مدحتك في ثلاثة أيام ، وقد أقمت في مدحتك :

خَفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا   (وأزعجتهم نوى في صَرفها غِيَرُ)

سنةً فما بلغت كل ما أردت .

وأكثر شعره يسير فيه الطبع والتهذيب شرعا، وقد شبهوا الأخطل بالنابغة الذبياني لصحة شعره، والحقيقة إنه يشبه النابغة من عدة وجوه، فكلاهما يجمع بين الطبع والتثقيف، وكلاهما يجيد المدح والوصف، وحوادث حياتهما متشابهة، فكل منهما اتصل بالملوك وحظي عندهم، وكل منهما أسهم في شؤون قبيلته إلى حدّ بعيد، واتخذ من شعره وسيلة لمصلحتها . ولا مرية في أن الأخطل كان يترسم خطى النابغة ويطبع على غراره في طائفة صالحة من شعره، وقد يعارضه في النسج والوزن والروي، ويسترفده المعنى والتصور والتصوير، من ذلك قصيدته التي أولها[1] :

تغيّر الرسمُ من سلمى بأحفارِ وأقفرتْ من سليمى دمنةُ الدارِ

فإنه عارض بها قصيدة النابغة التي أولها[2] :

عوجُوا فحيُّوا لِنُعْمٍ دمنةَ الدارِ ماذا تحيون من نُؤْيٍ وأحجارِ

ففي قصيدة الأخطل كثير من معاني النابغة وألفاظه ولا سيما وصف ثور الوحش .

ومن ذلك قوله يشبه الممدوح بالفرات[3] :

وما الفراتُ إذا جاشتْ حوالبُهُ في حافتيه وفي أوساطه العُشَرُ
وذعذعته رياح الصيف واضطربتْ فوق الجآجيْ من آذيِّه غُدُرُ
مسحنفرٌ من جبال الروم يستره منها أكافيف فيها دونه زَوَرُ
يومًا بأجود منه حين تسأله ولا بأجهر منه حين يجتهر

وكرر هذا المعنى في عدد من قصائده فقال[4] :

وما مزبدٌ يعلو جزائر حامرٍ يشق إليها خيزراناً وغرقدا الخ

(١) ديوان الأخطل ص ١١٢ .
(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ٤٩ .
(٣) ديوان الأخطل ص ١٠١ .
(٤) ديوان الأخطل ص ٩٦ .

وقال[١] :

وما مزبد الأطواد من دون عانةٍ يشق جبال الغور ذو حَدَبٍ غَمْرِ الخ

وقال[٢] :

كأنه مزبدٌ ريانُ منتجعٌ يعلو الجزائرَ في حافاته الزَبَدُ الخ

وكل ذلك مأخوذ من قول النابغة[٣] :

فما الفراتُ وإن جاشتْ غواربُهُ ترمي أواذيُّه العِبْرين بالزَّبَدِ
يمده كل وادٍ مترعٍ لَجِبٍ فيه رُكامٌ من اليَنْبوت والخَضَدِ
يظل من خوفه الملاحُ معتصماً بالخيزرانة بين الأَيْن والنَّجَد
يوماً بأجود منه سيبَ نافلةٍ ولا يحول عطاء اليوم دون غدِ

على أن للفرات في نفس الأخطل أثراً بليغاً لأنه نشأ في سقيه وعاش بالقرب منه .

* * *

كان الأخطل يستلهم شعره من البادية لأنه نشأ في بادية الجزيرة الفراتية ؛ وأثر الحاضرة ضئيل في شعره على كثرة وفوده على الخلفاء بدمشق ، فقد كان يفضل حياة البداوة على حياة الحضارة قال[٤] :

من العربيات البوادي ولم تكن تلوّحها حُمَّى دمشق ومومُها[٥]

لذلك فبادية الجزيرة الفراتية بجبالها وسهولها وأوديتها وأنهارها - ولا سيما الفرات - وأجوائها وأنوائها ونباتها من شيح وقيصوم وخزامى ووحشها وطيرها

(١) ديوان الأخطل ص ٢١٤ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٧٢ .
(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٢١ .
(٥) المُوم : أشد الجدري .

ماثلة في شعر الأخطل، منها يستمد وعليها يعتمد والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله[١] :

وبيداء ممحالٍ كأنّ نعامها بأرجائها القصوى أباعرُ هُمَّلُ
ترى لامعاتِ الآلِ فيها كأنها رجالٌ تعرّى تارةً وتسربَلُ
وجَوْزِ فلاةٍ ما يغمّض ركبها ولا عينُ هاديها من الخوف تغفلُ
بكل بعيد الغَوْلِ لا يهتدى له بعرفان أعلامٍ وما فيه منهل
ملاعب جِنّانٍ كأنّ ترابها إذا أُطردتْ فيه الرياح مغربل

وقد سبق إيراد أمثلة من شعره ذكر فيها الفرات ومثلها قوله[٢] :

إذا غاب عنا غاب عنا فراتنا وإن شهِدَ أجدى فيضه وجداولُهْ

وقوله[٣] :

وإذا عدلتَ به رجالاً لم تجد فيض الفرات كراشح الأوشالِ

* * *

وأثر النصرانية في شعره ضئيل جداً لم يرد ما يشير إليها أو يدل عليها في كل شعره إلا قوله[٤] :

حَلْيٌ يَشُبُّ بياضَ النحرِ واقِدُهُ كما تُصَوَّرُ في الدير التماثيلُ

وقوله[٥] :

إني ورب النصارى عند عيدهمُ والمسلمين إذا ما ضمّها الجُمَع[٦]

(١) ديوان الأخطل ص ٦ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٦٤ .
(٣) ديوان الأخطل ص ١٦٠ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٢ .
(٥) ديوان الأخطل ص ٧١ .
(٦) هذا مأخوذ من قول كعب بن جعيل التغلبي وهو مسلم :

إني ورب النصارى في كنائسها والمسلمين إذا ما جمّعوا الجُمَعا
والقائم الليل بالإنجيل يدرسه لله تسفح عيناه ، إذا ركعا

انظر مجلة المجمع العلمي العربي م ١٩ ص ١٠٦ .

ورب كل حبيس فوق صومعةٍ يمسي ولا همه الدنيا ولا الطمع

وقوله (١) :

ولستُ بصائمٍ رمضانَ طوعاً ولستُ بآكلٍ لحمَ الأضاحي

ولستُ بقائمٍ أبداً أنادي قبيل الصبح حيَّ على الفلاح

ولكني سأشربها شمولاً وأسجد عند منبلج الصباح

وقوله (٢) :

لما رأونا والصليب طالعـا ومَارَ سَرْجِيسَ وسمًّا ناقعا

ويظهر أن الأخطل لم يعرف من مزايا النصرانية إلا أنها تبيح الخمر ولا تفرض صوم شهر رمضان ؛ ورد في الأغاني أن عبد الملك بن مروان قال للأخطل يوماً : لِمَ لا تسلم يا أخطل ؟ قال إن أنت أحللتَ لي الخمر ووضعت عني صوم رمضان أسلمت ؛ فقال له عبد الملك : إن أنت أسلمت ثم قصرت في شيء من الإسلام ضربتُ الذي فيه عنقك . وقال له مرةً : ألا تسلم فنفرض لك ألفين في عطائك وتوصَل بعشرة آلاف درهم ؟ قال فكيف بالخمر ؟ قال وما تصنع بها ؟ وإن أولها لمر وإن آخرها لسكر ، قال أما إن قلتَ ذاك فإن بينهما لمنزلة ما ملكك فيها إلا كلعقة من ماء الفرات بالإصبع ؛ فضحك عبد الملك .

ويرى الأستاذ نيكلسون صاحب تاريخ الأدب العربي (٣) أن نصرانية الأخطل لم تكن عن إخلاص وإيمان بل عن أهواء نفسية لأنها تبيح له الخمر ، ويستشهد متهكماً على تقواه بما رواه صاحب الأغاني قال : كانت امرأة الأخطل حاملاً ـ وكان متمسكاً بدينه ـ فمرَّ به الأسقف يوماً ، فقال لها الحقيه

(١) ديوان الأخطل ص ١٥٤ .

(٢) ديوان الأخطل ص ٣٠٩ .

(٣) A Literary History of the Arabs, 240

فتمسحي به ، فمدتْ فلم تلحق إلا ذنب حماره فتمسحت به ورجعتْ ، فقال لها : هو وذنب حماره سواء .

ويرى الأب لامنس اليسوعي في الفصل الذي كتبه على الأخطل في دائرة المعارف الإسلامية أن هجاء جرير الأخطل أدل على نصرانية الأخطل من شعره نفسه ، وأنه لم يكن نصرانياً مستقيماً لأنه طلق امرأته وتزوج امرأة مطلقة . وفي ذلك يقول [1] :

كلانا على همٍّ يبيت كأنما بجنبيه من مسِّ الفراش قروحُ
على زوجها الماضي تنوح وإنني على زوجتي الأُخرى كذاك أنوح

وعربية الأخطل أظهر كثيراً في شعره من نصرانيته ، فقد كان يحلف باللات والعُزّى وهما صنمان من أصنام العرب في الجاهلية ، وورد في الأغاني ج ٧ ص ١٧٣ « أخبر شيخ من قريش قال : رأيت الأخطل خارجاً من عند عبد الملك ، فلما انحدر دنوتُ منه فقلت : يا أبا مالك من أشعر العرب ؟ قال هذان الكلبان المتعاقران من بني تميم (الفرزدق وجرير) فقلت فأين أنت منهما ؟ قال : أنا واللات أشعر منهما » وورد أيضاً أن « عاصم بن شبل الجرمي سأل الأخطل عن هذا فذكر نحوه وقال : واللات والعزى » .

ويمدح الخليفة الأموي بحروبه للروم وانتصاره عليهم وإثخانه فيهم وهم نصارى ، من ذلك قوله : (ديوان الأخطل ص ١٩) :

إليك أمير المؤمنين رحلتها على الطائر الميمون والمنزل الرحبِ
الى مؤمنٍ تجلو صفيحةُ وجهه بلابلَ تغشى من همومٍ ومن كرب
وفي كل عامٍ منك للروم غزوةٌ بعيدة آثار السنابك والسرْب

(١) ديوان الأخطل ص ٣٣٩ .

وقوله : (ديوان الأخطل ص ٢٠٤) :

قتلتَ الرومَ حتى شذّ منها عصائبُ ما تُحرِّزُها القُصورُ

وقوله : (ديوان الأخطل ص ٢١٨) :

وإن أتعرض للوليد فإنه نمته إلى خير الفروع مضاربُهْ
وما بلغتْ خيلُ امرئٍ كان قبله بحيث انتهت آثاره ومحاربه
وتضحي جبال الروم غبراً فجاجُها بما أشعلتْ غاراته ومقانبه
من الغزو حتى انضم كل ثميلةٍ وحتى انطوت من طول قَوْدٍ جنائبه

وللإسلام أثر في شعر الأخطل ، فقد كان يحلف بالكعبة والحرم وزمزم والحج ومناسكه ، ويذكر الإسلام مقروناً بالعفة والتقوى ، وينصح للخليفة بأن لا يقبل طاعة قيس لأنهم غير مخلصين في إسلامهم من ذلك قوله [1] :

ولقد حلفت برب موسى جاهداً والبيت ذي الحرمات والأستارِ

وقوله [2] :

إني حلفتُ برب الراقصات وما أضحى بمكة من حجبٍ وأستارِ
وبالهدي إذا احمرت مذارعها في يوم نسكٍ وتشريقٍ وتنحار
وما بزمزم من شُمْطٍ محلّقةٍ وما بيثرب من عونٍ وأبكار

وقوله [3] :

وقد حلفت يميناً غير كاذبةٍ بالله رب ستور البيت ذي الحجبِ
وكل موفٍ بنذرٍ كان يحمله مضرّجٍ بدماء البدن مختضب

(١) ديوان الأخطل ص ٧٨ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١١٩ .
(٣) ديوان الأخطل ص ١٨٤ .

وقوله [١] :

كأن المشرفية في ذراه ونيران الحجيج لها سعيرُ
حلفت بمن تساق لها الهدايا ومن حلت بكعبته النذور

وقوله [٢] :

لقد حلفت بمن أسرى الحجيج له والناذرين دماء البُدْن في الحرمِ

وقوله [٣] :

يبطرن ذا الشيب والإسلام همتهُ ويستقيد لهن الأهيف الرَّوَقُ

وقوله [٤] :

فإن تك قيسٌ يا بن مروان بايعت فقد وهلَتْ قيسٌ إليك من العذرِ
على غير إسلامٍ ولا عن بصيرةٍ ولكنهم سيقوا إليك على صُغْرِ
ولما تبينا ضلالة مُصْعَبٍ فتحنا لأهل الشام باباً من النصر

وقد يقتبس من آي القرآن من ذلك قوله [٥] :

(فأصبحوا لا يُرى إلا مساكنهم) كأنهم من بقايا أمةٍ ذهبوا

والآية (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) في سورة الأحقاف .

* * *

(١) ديوان الأخطل ص ٢٠٢ و ص ٢٠٤ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٢٦٤ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٢٦٠ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٣٣ .
(٥) ديوان الأخطل ص ٣٨ .

فنون شعره

أحسن الأخطل في المدح ووصف الخمر والنساء ووصف الثيران والحمر الوحشية ؛ فلقد قيل : إن الأخطل أمدح العرب ، وسئل جرير عنه فقال : كان أشدنا اجتزاءً بالقليل وأنعتنا للحمر والخمر .

كان هوى الأخطل السياسي مع بني أمية يرى أنهم أحق قريش بالخلافة وأجدر العرب بالملك ، واتفق أن قبيلة قيس التي حاربت بني أمية أغارت على تغلب قبيلة الأخطل فكان من الطبيعي أن يكون الأخطل مع بني أمية بحكم مصلحة قبيلته ، يشيد بمدحهم ويحرضهم على أعدائهم ويرى أن نصرهم نصر لقبيلته ، كما أنه ينكر على كل من خرج عليهم كعبد الله بن الزبير وأخيه مصعب ، فلا عجب إذا جوّد في مدحهم للأسباب التي مرّت ، ولأنه لقي من إحسانهم ما لا يمكن أن يلقاه من غيرهم .

كان الأخطل يمدح بني أمية بالشرف والكرم والحزم والقوة وشدة البطش في الحرب وسعة الحلم والعفو عند المقدرة ، وأن لهم حقاً في الخلافة أخذوه وقاتلوا دونه وحافظوا عليه بسيوفهم ، مشيراً إلى أيامهم الكثيرة ووقائعهم العديدة في سبيل ذلك ، مدلاً بما لقبيلته من البلاء الحسن في نصرتهم قال[1] :

وقد نُصِرتَ أمير المؤمنين بنا لما أتاك ببطن الغوطة الخبرُ

أضف الى ذلك الجود العميم وكثرة العطايا وإطعام الطعام وما إلى ذلك من الصفات التي اعتاد أهل البادية أن يمدحوا بها .

ولعل الأخطل لم يعتن بشيء من شعره كعنايته بهذا الباب ، فلقد روي عنه أنه قال لعبد الملك : أقمت في مدحتك « خفَّ القطينُ فراحوا منك أو بكروا[2] »

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٥ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٩٨ .

سنة . وشعره في المدح شديد الأسر قليل السقط حسن الديباجة شريف المعاني واضحها مهذب منقح من ذلك قوله [١] :

فالله لم يرض عن آل الزبير ولا | عن قيس عَيْلان حيًّا طالَ ماخَرَبُوا
يعاظمون أبا العاصي وهم نفرٌ | في هامةٍ من قريش دونها شَذَبُ [٢]
بيضٌ مصاليتُ أبناء الملوك فلن | يدرك ما قدّموا عُجْمٌ ولا عرب
إن يحلُموا عنك فالأحلامُ شيمتهم | والموتُ ساعةَ يحمى منهمُ الغضب
كأنهم عند ذاكم ليس بينهمُ | وبين من حاربوا قربى ولا نسب
كانوا مواليَ حقٍّ يطلبون به | فأدركوه وما مَلُّوا ولا لغبوا
إن يك للحق أسبابٌ يُمَدُّ بها | ففي أكفهم الأرسان والسبب
هُمُ سعوا لابن عفّانَ الإمامِ وهم | بعد الشماس مروها ثُمَّتَ احتلبوا
حرباً أصاب بني العوّام جانبها [٣] | بعداً لمن أكلته النارُ والحطب

وقوله [٤] :

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا | أبدى النواجذَ يوماً عارمٌ ذَكَرُ
مفترشٌ كافتراش الليث كلكلَهُ | لوقعةٍ كائنٍ فيها له جَزَر
في نبعةٍ من قريشٍ يعصبون بها | ما إن يوازَى بأعلى نبتها الشجر
حشْدٌ على الحق عيّافو الخنا أُنُفٌ | إذا أَلَمَّتْ بهم مكروهةٌ صبروا
شُمْسُ العداوة حتى يستقاد لهم | وأعظم الناس أحلاماً اذا قَدَروا
لا يستقل ذوو الأضغان حربهم | ولا يُبَيِّنُ في عيدانهم خَوَرُ

(١) ديوان الأخطل ص ٣٨ .
(٢) الشذب : الشوك والقشر .
(٣) كذا في الأصل ولعل الصواب « جاحمها » والجاحم : الجمر الشديد الاشتعال والجاحم من الحرب : معظمها وشدة القتل في معركتها يقال اصطلى فلان بجاحم الحرب . . . .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٠٣ .

هُمُ الذين يبارون الرياح إذا قلّ الطعامُ على العافين أو قتروا
بني أميـة نُعماكم مجللة تمت فلا منةٌ فيها ولا كَدَرُ
بني أميـة قد ناضلتُ دونكمُ أبناء قومٍ همُ آوَوْا وهم نصروا
أفحمت عنكم بني النجار قد علمتْ عُليا معدٍ وكانوا طالما هدروا
حتى استكانوا وهم مني على مضضٍ والقول ينفذ ما لا تنفذ الإبرُ
بني أميـة إني ناصحٌ لكمُ فـلا يبيتنّ فيكم آمنا زُفَر
إن الضغينة تلقاها وإن قدمت كالعرّ يكمن حينـاً ثم ينتشر

وقوله (١) :

المنعمون بنو حرب وقد حدَقَتْ بي المنيةُ واستبطأتُ أنصاري
قومٌ إذا حاربوا شدوا مآزرهم عن النساء ولو باتت بأطهار

وقوله (٢) :

ونفسي تمنيـني العراقَ وأهله وبِشْرٌ (٣) هواها منهم وحميمُها
أبوك أبو العاصي عليكم تعطفتْ قريشٌ لكم عرنينها وصميمها
أبى أن يكون التاج إلاّ عليكمُ لصيدِ أبي العاصي الشديد شكيمها
بكم أدرك الله البرية بعدما سعى لِصُّها فيها وهبّ غَشُومها

وقوله (٤) :

لا يُسمع الجهلُ يجري في نَديّهم ولا أميةُ في أخلاقهـا الفَنَدُ
تمتْ جدودُهمُ والله فضّلهم وجَدُّ قومٍ سواهم خاملٌ نَكِدُ
هُمُ الذين أجاب اللهُ دعوتهم لما تلاقت نواصي الخيل فاجتلدوا

(١) ديوان الأخطل ص ١١٩ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٢٢ .
(٣) هو بشر بن مروان ولاه أخوه عبد الملك إمرة العراقين .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٧٢ .

ليست تنال أكفُّ الناس بسطتهم ولبس ينقضُ مكرُ الناس ما عقدوا
قومٌ اذا أنعموا كانت فواضلهم سيباً من الله لا منٌّ ولا حسد

* * *

أما وصفه الخمر فجيد بالغ ، سبق به جميع من تقدمه من الشعراء كالأعشى وأبي محجن الثقفي ، وخلا له الجو في عصره لأن الشعراء الإسلاميين كالفرزدق وجرير وكثيِّر وذي الرمة لم يصفوا الخمر تحرجاً وتأثماً ، أما هو فقد كان مدمناً لا يتحرج من تعاطيها ووصفها لأنه نصراني بل كان يستعين بها على قرض الشعر وإنشاده وأصبح وصفه لها أعظم خصائصه التي امتاز بها .

يصف الأخطل الخمر بدقة وبراعة واستقصاء ، فيصور بريقها وتوهجها في الكاس ، وما يطفو على وجهها من الحبب ، ويسمعك هديرها وما يفور من رشاشها ، ويصف رائحتها وطعمها ودبيبها في الأعضاء وما تبعثه في الشارب من النشوة والأريحية . ويحلو له التحدث عنها والتغني بها فيسلسلها منذ كانت عناقيد في الكرم على شاطئ الفرات ، وكيف تمهدها الأكرة بالسقي إلى أن قطفت وعصرت وعتّقت في دنانها وطال عليها الأمد ونسج عليها العنكبوت وتغالى بها التجار وتنافس بها المتنافسون فحملت إلى الأقطار النائيـة . ويتناول بالوصف أيضاً زقاقها ودنانها وزجاجاتها وكؤوسها ويتفنن في تصوير مجالسها وشَربها وما فيها من قينةٍ وساقٍ وشارب ملتخ ، ويعجبه بخاصة وصف السكارى والمربدين في فتور أجفانهم ولجلجة ألسنتهم وتخاذل أعضائهم وإسرافهم على أنفسهم في معاقرة الخمرة . ولقد لهج الأخطل بالخمر وما يتصل بهـا فذكرها في مناسبات شتى في كثير من قصائده فتارةً يفتتح بها ، وأخرى يثب إليها وثبـاً ، وطوراً يذكر ما اعتراه من الذهول حين فارق أحبابه فيشبه نفسه بالشارب الثمل فيجد مخرجاً للإفاضة بنعوتها ، وحيناً يفتخر بمعاطاتها مع ندمائه وأصحابه ؛ كل ذلك ببراعة فائقة وأسلوب أخّاذ وتخيل جميل وتشبيه بديع وطبع مؤات ولعل إحسانه

في هذا الباب يفوق إحسانه في جميع الأبواب التي قال الشعر فيها ، والشواهد على ذلك كثيرة منها قوله (١) :

صريعُ مدامٍ يرفع الشَّربُ رأسَه ... ليحيا وقد ماتتْ عظامٌ ومَفصِلُ
تهاديه أحياناً وحيناً تجره ... وما كاد إلا بالحُشاشة يعقِلُ
إذا رفعوا عضواً تحامل صدره ... وآخر مما نال منها مخبَّلُ
وجاءوا ببيسانيةٍ هي بعدما ... يُعَلُّ بها الساقي ألذ وأسهلُ
تمر بها الأيدي سنيحاً وبارحاً ... وتوضع باللهم حَيٍّ وتُحْمَلُ
وتوقف أحياناً فيفصل بيننا ... غناءُ مُغَنٍّ أو شِواءٌ مرعبل
فلَذَّتْ لمرتاحٍ وطابتْ لشاربٍ ... وراجعني منها مِراحٌ وأخْيَلُ
فما لَبِثَتْنا نشوةٌ لحقتْ بنا ... توابعها مما نُعَلُّ ونُنْهَلُ
تدبُّ دبيباً في العظام كأنه ... دبيب نمالٍ في نقاً يتهيَّل
فقلت اقتلوها عنكمُ بمزاجها ... فأطيبْ بها مقتولةً حين تُقْتَلُ
رَبَتْ وربا في حَجْرها ابن مدينةٍ ... يظل على مسحاته يتركَّل
إذا خاف من نجمٍ عليها ظماءةً ... أدبَّ إليها جدولاً يتسلسل

وقوله (٢) :

إذا ما نديمي علَّني ثم علَّني ... ثلاث زجاجاتٍ لهن هديرُ
جعلتُ أجر الذيل زَهواً كأنني ... عليك أمير المؤمنين أمير

وقوله (٣) :

وكأسٍ مثل عين الديك صرفٍ ... تنسي الشاربين لها العقولا

---

(١) ديوان الأخطل ص ٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٥٤ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٣٧١ .

إذا شرب الفتى منهـا ثلاثاً بغير الماء حاول أن يطولا
مشى قرشيةً لا شك فيهـا وأرخى من مآزره الفضولا

وقوله [١] :

ترى الزجاج ولم يُطْمَثْ يطيف به كأنه من دم الأجواف مختضبُ
حتى اذا افتضّ ماءُ المزن عذرتها راح الزجاجُ وفي ألوانه صَهَبُ
تنزو إذا شجَّهـا بالماء مازجُها نَزْوَ الجنادبِ في رمضاءَ تلتهب
راحوا وهم يحسبون الأرض في فلكٍ إن صُرِعوا وَقَتِ الراحاتُ والركب

* * *

ومما جوّد به الأخطل وصف الثيران والحمر الوحشية فانه يصورها صورةً واضحةً متحركةً في أشكالها وألوانها ومسارحها ومراتعها ، ويصف صيدها وصفاً دقيقاً فيريك معركةً حاميـةً بينها وبين كلاب الصيد الضارية التي تطاردها ، وكيف يهيج الثور فيكر عليها مستبسلاً فينال منها بقرنيه ما ينال الفارس برمحه من خصمه ، الى ما هنالك من المشاهد المتتابعة في مثل تلك الوقائع . ولهذه الصورة أثر عميق في مخيلة الأخطل فانه كررها غير مرة في شعره ، وهي تشبه كثيراً أو هي مأخوذة من الصورة التي رسمها النابغة الذبياني لثور الوحش في قصيدته الرائية التي أولها :

عوجوا فحيوا لِنُعْمٍ دمنةَ الدارِ ماذا تحيون من نؤيٍ وأحجارِ

والأخطل يترسم خطى النابغة في كثير من مناحي شعره . وإكثار الأخطل من وصف الوحش أثر عميق من آثار البادية في نفسه ، ولغته في هذا الباب أجزل ، وأسلوبه بدوي ، وقوافيه مكينة رصينة . من ذلك قوله [٢] :

---

(١) ديوان الأخطل ص ٣٧٨ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١١٤ .

... فبات في جنب أرطاةٍ تُكَفِّئُهُ ريحٌ شآميةٌ هبّتْ بأمطارِ
يجول ليلته والعَيْنُ[(١)] تضربه منها بغيثٍ أجش الرعد نَيّار[(٢)]
إذا أراد بها التغميض أرقه سيلٌ يدبُّ بهدم الترب موّار
كأنه إذ أضاء البرقُ بهجتَهُ في أصفهانيةٍ[(٣)] أو مصطلي نار
أما السَّراةُ فمن ديباجةٍ لَهَقٍ[(٤)] وبالقوائم مثلُ الوشم بالقار
حتى إذا انجاب عنه الليلُ وانكشفتْ سماؤه عن أديمٍ مُصْحِرٍ عارِ
آنسن[(٥)] صوتَ قنيصٍ إذ أحسَّ بهم كالجنّ يهفون من جَرْمٍ وأنمار
فانصاع كالكوكب الدري ميْعَتُهُ غضبانَ يخلط من مَعْجٍ وإحضار
فأرسلوهن يُذرين الترابَ كما يُذْري سبائخَ قطنٍ ندفُ أوتار
حتى إذا قلت نالتــه سوابقها وأرهقتــه بأنيابٍ وأظفـار
أنحى إليهن عينـاً غير غافلةٍ وطعنَ محتقر الأقران كرّار
فعفّر الضارياتِ اللاحقاتِ به عفر الغريب قداحاً بين أيسار

وكرر الأخطل هذه الصورة في عدة قصائد من شعره تجدها في ديوان الأخطل ص ١٣٨ و ص ١٦٩ و ص ٢٣٠ و ص ٢٦١ وكلها مأخوذة من الصورة التي رسمها النابغة الذبياني في قصيدته الرائية التي سبقت الإشارة اليها .

أما البادية فإن روحها شائعة في جميع شعره ومع ذلك فقد خصها بالوصف في كثير من قصائده ولا عجب إذا جوّد فانه ابنها ، ومن شعره في وصف القطا في البادية قوله[(٦)] :

---

(١) العين : السحاب .
(٢) النيّار : الشديد الانصباب .
(٣) أي حلة أصفهانية
(٤) أي شديد البياض .
(٥) الضمير من آنسن للكلاب . ومن أحس للثور . وقوله بهم : أي الصيادين من قبيلتي جرم وأنمار .
(٦) ديوان الأخطل ص ٢٤٧ .

... على آجِنٍ أبقتْ له الريحُ دمنةً وحوضاً كأُدحيِّ النعامةِ أثلما
إذا صدرتْ عنه حمامٌ تركنه لِوِرْدِ قطاً يـقي فُرادَى وتوأما
تراها إذا راحتْ رِواءً كأنها مُعلّقةٌ عند الحناجر حَنْتَما[1]
تأوَّبُ زُغْباً بالفلاة تركنهـا بأغبر مجهولِ المخارم أقـتما
إذا نبهتهن الروافدُ بالقِرى سقين مجاجاتٍ هوامد جُثَّما
ينبهن قيظيَّ الفراخ كأنما ينبهن مغموراً من النوم أعجما
ثنين عليه الريش حتى تلاحقت وصار شعاعاً قيظها[2] قد تحطَّما
فطارتْ شِلالا وابذَعرَّتْ كأنها عصابةُ سَبْيٍ شَعَّ[3] أن يتقسما

وتناول بالوصف السفن التي كان يراها بالفرات فقال[4] :

فـفارقن الخليط على سفينٍ يشقُّ بهن أمواجاً صعابا
ترى المـلاَّح محتجزاً بليفٍ يؤمُّ بهن آجاماً وغابا
إذا التبَّـان قلَّص عن مشيحٍ صدفن ولم يردن له عتابا
بعجُّ الماءِ تحت مسخَّراتٍ يصكُّ القارَ والخشبَ الصلابا
يعمن على كلاكلهن فيه ولو يُزجى إليه الفيلُ هابا
وإما اضطرهن إلى مضيقٍ وموج المـاء يطَّرد الحَبابا
تتَابعَ صِرمةِ الوَحْدي تأوي لأُولاها إذا الراعي أهابا
دَجنٌ بحيث تنسغ[5] المطايا فلا بَقًّا يخفن ولا ذبابا
إذا ألقوا مراسيهن حلوا دبيبَ السبي يبتدر النِّقابا[6]

* * *

(١) الحنتم : الجرار الخضر .
(٢) يريد « قيضها » والقيض قشر البيض .
(٣) طارت شِلالاً : أي متفرقة . وابذعرت : أسرعت في تفرقها . وشعَّ : أي تفرق هارباً .
(٤) ديوان الأخطل ص ٥٢ .
(٥) تنسغ : تتباعد .
(٦) النقاب : الطريق في الغلظ .

وللأخطل في الهجاء قدم راسخة شبّ عليه واكتهل وشاب وكان من أول ما قال من الشعر وهو صبي إذ هجا كعب بن جعيل شاعر تغلب فقال :

سُميِّتَ كعباً بشر العظام وكان أبوك يسمى الجُعَلْ

وإنَّ محلك من وائلٍ محل القراد من أُست الجمل

وبالهجاء نال الحظوة عند يزيد بن معاوية ، إذ هجا له الأنصار ، ثم عند خلفاء بنى أمية بهجائه خصومهم . وهو أحد الشعراء الذين طالت ألسنتهم وجعلوا الهجاء من أهم أبواب الشعر وأمضى سلاح يتخذه الشاعر في كل أغراضه ؛ ولقد لج الهجاء بينه وبين جرير زمناً طويلاً ، وكان من قادة جيش الشعراء الجرار الذين هاجوا جريراً بهجائهم فظهر عليهم جرير وانهزموا أمامه ولم يثبت له منهم إلا الفرزدق والأخطل ولم يكف لسانهما عنه إلا الموت . وسبب تهاجي جرير والأخطل أن الأخطل سمع بالضجة التي كانت قائمة حول الفرزدق وجرير وتهاجيهما واتفاق الناس على تقديمهما واختلافهم في أيهما أشعر وروايتهم لنقائضهما ، فقال لابنه مالك وهو أكبر ولده انحدر الى العراق حتى تسمع منهما وتأتيني بخبرهما ، فانحدر مالك حتى لقيهما وسمع منهما ثم أتى أباه ، فقال له كيف وجدتهما ؟ قال وجدت جريراً يغرف من بحر ، ووجدت الفرزدق ينحت من صخر . فقال الأخطل : الذي يغرف من بحر أشعرهما ، وقال يفضل جريراً على الفرزدق [1] :

إني قضيت قضاءً غير ذي جنفٍ لما سمعت ولما جاءني الخبرُ

أنْ الفرزدق قد شالت نعامته وعضّه حيةٌ من قومه ذكر

فلما قدم الأخطل على بشر بن مروان في الكوفة بعث إليه قوم الفرزدق بهدايا وقالوا له : لا تعن على شاعرنا ، واهج هذا الكلب الذي يهجو بني دارم ،

(١) ديوان الأخطل ص ٣٤٩ .

فإنك قد قضيت على صاحبنا ، فقل أبياتاً واقض لصاحبنا عليه فقال الأخطل قصيدة أولها [1] :

أجرير إنك والذي تسمو له كأسيفةٍ فَخَرَتْ بحدج حَصَانِ

وقال جرير يرد حكومة الأخطل في قصيدة طويلة أولها :

لمن الديار ببرقة الريحانِ إذ لا نبيع زماننا بزمانِ

وهي طويلة يقول فيها :

ياذا الغباوة إن بشراً قد قضى أن لا تجوز حكومة النشوانِ

ثم استطار بينهما الهجاء :

وروى صاحب الأغاني « أن رجلاً من بني شيبان جاء الى الأخطل فقال له : إنا وإن كنا بحيث تعلم من افتراق العشيرة واتصال الحرب والعداوة تجمعنا ربيعة ، وإن لك عندي نصحاً ؛ فقال هاته فما كذبت ؛ فقال إنك قد هجوت جريراً ودخلت بينه وبين الفرزدق وأنت غني عن ذلك ، ولا سيما أنه يبسط لسانه بما ينقبض عنه لسانك ، ويسب ربيعة سبًّا لا تقدر على سب مضر بمثله ، والملك فيهم والنبوة قبله ، فلو شئت أمسكت عن مشارته ومهارته . فقال صدقتَ في نصحك ، وعرفتُ مرادك ، وصلتك رحم ، فو الصليب والقربان لا تخلصن الى كليب خاصةً دون مضر بما يلبسهم خزيه ويشملهم عاره ، ثم اعلم ان العالم بالشعر لا يبالي وحق الصليب إذا مرَّ به البيت العائر السائر الجيد أمسلم قاله أم نصراني » .

وهكذا كان فقد تخلص إلى كليب دون أن يمس مضر فاجتمع من تهاجيهما نقائض طبعت في ديوان على حدة .

وهجاء الأخطل على قلة إقذاعه وضيق مضطربه مرٌّ لاذع ، هجا قيساً وقيس

(١) ديوان الأخطل ص ٢٧٣ .

من مضر ومن مضر قريش وفيهم النبوة والخلافة فتصرف تصرف حاذق لبق وبلغ ما أراد ، وهجا جريراً وانحاز إلى الفرزدق ، وجرير ابن عم الفرزدق كلاهما تميمي من مضر . وكان جرير يستبيح من هتك حرمات الأخطل ما لا يستبيحه الأخطل في الرد عليه ، ومع ذلك فقد أحسن التصرف وثبت ولم يتقهقر . وطريقته في الهجاء أن يقذف المهجو وينال منه ، ويذكر مخازي قبيلته ويرميها باللؤم والجبن والشح وسقوط المروءة والدناءة ، ويعيِّرها الأيام التي كانت عليها ، وقد ينال من نساء القبيلة فيحملهن قبيحات قذرات غير مصونات ، ويتخذ لذلك صوراً فيها حذق وفن ، ويستعين بالتهكم والسخرية ، ويختلق المعايب والمساوئ والنقائص والمثالب ، وتراه إلى جنب ذلك يغلو بالفخر بقبيلته ، فينوه بيأسها ويشيد بفضائلها وينسب إليها كل مكرمة ، ويوازن بينها وبين قبيلة المهجو — والميزان بيده — فترجح الأولى وتشيل الثانية ، والأمثلة على ذلك كثيرة منها قوله [1] :

أما كليب بن يربوعٍ فليس لهم عند التفارط [2] إيرادٌ ولا صَدَرُ
مُخَلَّفون ويقضي الناسُ أمرهمُ وهم بغيبٍ وفي عمياءَ ما شعروا
بئس الصحاةُ وبئس الشَّرْبُ شَرْبُهمُ إذا جرى فيهمُ المُزَّاءُ والسَّكَرُ
قومٌ أنابت إليهم كل مخزيةٍ وكل فاحشةٍ سُبَّت بها مُضَرُ
الآكلون خبيثَ الزاد وحدهمُ والسائلون بظهر الغيب ما الخبر
ثم الإيابُ إلى سودٍ مدنَّسةٍ ما تستحم إذا ما احتكت النُّقَرُ
وأقسم المجدُ حقًّا لا يحالفهم حتى يحالف بطنَ الراحة الشعر

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٩ .
(٢) التفارط : التقدم في طلب الماء .

وقوله [١] :

ما زال فينا رباطُ الخيل مُعْلَمَةً   وفي كليبٍ رباط الذل والعارِ
النازلين بدار الذل إن نزلوا   وتستبيح كليبٌ مَحْرَمَ الجار
والظاعنين على أهواء نسوتهم   وما لهم من قديمٍ غير أعيار [٢]
قومٌ إذا استنبح الأضيافُ كلبَهُمُ   قالوا لأمهم بولي على النار
لا يثأرون بقتلاهم إذا قُتِلوا   ولا يكرُّون يوماً عند إجحار [٣]
ولا يزالون شَتَّى في بيوتهمِ   يسعون من بين ملهوفٍ وفَرّار

ومثل هذا الهجاء تجده في ص ٥٠ و ٨٩ و ٢٧٣ و ٢٧٥ من ديوانه ، وفي بعضه ينتصر للفرزدق فيمدح قبيلته مغايظةً لجرير .

ومما يجب التنبيه إليه أن الأخطل من أقل الشعراء الهجائين إقذاعاً في العصر الأموي حتى قال هو عن نفسه : « ما هجوتُ أحداً قط بما تستحيي العذراء أن تنشده أباها » وقال عمر بن شبه : « كان الأخطل أخبثهم هجاءً في عفاف عن الفحش » فوقر في النفوس أن الأخطل لا يقذع ولا يفحش في هجائه ، ولكن الواقع أنه أقل إقذاعاً وإفحاشاً من غيره ، ومن هجائه الذي تستحيي العذراء وغير العذراء أن تنشده قوله [٤] :

فلا تدخلْ بيوتَ بني كليبٍ   ولا تقربْ لهم أبداً رِحالا
ترى منها لوامعَ مُبْرِقاتٍ   يكدن (ينلن) [٥] بالحدق الرجالا
قصيرات الخُطى عن كل خيرٍ   الى السوآت مُسمحةً رِعالا

(١) ديوان الأخطل ص ٢٢٤ .
(٢) الأعيار : جمع عار .
(٣) الإجحار : الإلجاء والاضطرار .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٦٥ .
(٥) حذفنا شكلة الكاف من هذه الكلمة .

وقوله [١] :

خنافس أُدلجتْ لمبيت سوءٍ ورثن فراش زانيةٍ وزانِ
وما أمٌّ ربوت على يديها بطاهرة الثياب ولا حصانِ
كأن عجانها لحيا جزورٍ تحسر عنهما وضر الجرانِ

وقوله [٢] :

وما تركتْ أسيافنا حين جُرِّدتْ لأعدائنا قيسِ بنِ عَيْلانَ من عذرِ
وقد عركتْ بابنيْ دُخانٍ فأصبحا إذا مااحزألاّ [٣] مثل باقيةِ البَظْر

وقوله يهجو امرأة من قومه هجته اسمها الدلماء [٤] :

ألا أبلغ أبا الدلماء عني بأن سنان شاعركم قصيرُ
فإن يَطعنْ فليس بذي غَناءٍ وإن يُطعن فطعنته يسير
متى ما ألقه ومعي سلاحي يخرُّ على قفاه لا يحير

وقوله [٥] :

هجاني المنتنان أبنا جُعَيْلٍ وأيُّ الناس يقتله الهجاءُ
ولدتم بعد إخوتكم من استٍ فهلاّ جئتمُ من حيث جاءوا

وقال له كعب بن جعيل [٦] :

« ويلٌ لهذا الوجه غب الحمه »

فقال الأخطل :

« فنال [٧] كعب بن جعيلٍ أمه »

---

(١) ديوان الأخطل ص ١٩٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٣٢ .
(٣) احزألّ : ارتفع .
(٤) الأغاني ج ٧ ص ١٧١ .
(٥) الأغاني ج ٧ ص ١٦٢ .
(٦) خزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ٢٢٠ .
(٧) حذفت همزة الكاف .

وهناك أمثلة أخرى من هذا النوع تجدها في ديوانه ص ١٦٦ و ٢٨٦ ، ٣١٩ .

* * *

والاخطل غزل عذب يفتتح به كثيراً من قصائده ، وهو غزل ينم بجملته على نفس مرحة طروبة ميالة إلى اللهو والصبوة ، خبيرة بأخلاق الغواني وأهوائهن ؛ والأخطل في نسيبه وتشبيبه يكشف الغطاء عن كيد النساء ويحل طلاسم سحرهن ويدل على حبائلهن شأن من طالت صحبته لهن فقتلهن علماً كما قتلنه حباً ؛ وهو إلى ذلك مدل بشبابه وسيلته إليهن وشفيعه عندهن ، فإذا جلله الشيب وأصبح يوقّر ولا يُحَب — وهو القائل :

وإذا دعونك عمهنّ فإنه نسبٌ يزيدك عندهن خبالا —

استعاد ذكرياته العذبة الشجية بنغمة مملوءة تحسراً وتلهفاً . ومن جيد غزله قوله (١) :

ما إن رأيت كمكرهنّ إذا جرى فينا ولا كحبالهنّ حبالا
المهديات لمن هوينَ مسبّةً والمحسنات لمن قلين مقالا
إن الغواني إن رأينك طاوياً بُرْدَ الشبابِ طوين عنك وصالا
وإذا وعدنك نائلاً أخلفنه ووجدت عند عِداتهن مِطالا

وقوله (٢) :

وإذا هممن بغدرةٍ أزمعنها خُلُقاً فليس وصالهن يدومُ
ورأين أني قد علتني كبرةٌ فالوجهُ فيه تَضَمُّرٌ وسهُوم
وطوين ثوب بشاشةٍ أبلينه فلهن منك هساهسٌ وهموم
ولقد يَكُنّ إليّ صُوراً مرّةً أيامَ لونُ غدائري يَحْمُومُ
ولقد أكون من الفتاة بمنزلٍ فأبيتُ لا حَرِجٌ ولا محروم

(١) ديوان الأخطل ص ٤٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ٨٣ .

وقوله (١) :

يبرقن بالقوم حتى يختبلنهم ورأيهن ضعيفٌ حين يختبر
يا قاتل اللهُ وصلَ الغانياتِ إذا أيقن أنك ممن قد زها الكِبَرُ
أعرضن لما حنى قومي موتّرها وأبيضّ بعد سواد اللمة الشَّعَر
ما يرعوين إلى داعٍ لحاجته ولا لهن إلى ذي شيبةٍ وطر

وقوله (٢) :

وقد أكون عميد الشَّرب تُسمعنا نجاء تسمع في ترجيعها صحلا
من القيان هتوفٌ طالما ركدت بفتيةٍ يشتهون اللهو والغزلا
فبان مني شبابي بعد لذته كأنما كان ضيفاً نازلا رحلا
إذ لا أطاوع أمر العاذلاتِ ولا أبقي على المال إن ذو حاجةٍ سألا

وقوله (٣) :

وقد أحدِّثُ أروى وهي خاليةٌ فلا الحديث شفانيها ولا النظرُ
ليست تداويك من داء تخامره أروى ولا أنت مما عنده تقِرُ
كأن فأرة مسك غار تاجرها حتى اشتراها بأغلى سعرها التَّجِرُ
على مُقبَّل أروى أو مشعشعةً يعلو الزجاجةَ منها كوكبٌ خَصِرُ

ومثل ذلك أبيات تجدها في ديوانه ص ١٤٦ وله قصيدة قسمها بين الغزل والفخر أولها :

طرق الكرى بالغانيات وربما طرق الكرى منهن بالأهوالِ

ذكر بها الطيف ووصف محاسن محبوبته وصفاً حسناً تجدها في الديوان ص ٣٢٢ .

* * *

(١) ديوان الأخطل ص ٩٩ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٤٢ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٢٥٢ .

والأخطل فخور بنفسه ولكنه بقبيلته أشد فخراً ، وله شعر في الفخر غير قليل ولا سيما في النقائض ، فقد كان يهجو جريراً ويرمي قبيلته بكل نقيصة ، ويدعي كل مكرمة لتغلب فيفتخر بكرم أصلها وشدة بأسها ، ويذكر أيامها ووقائعها في العرب وقد سبقت الإشارة الى ذلك . ومن فخره قوله [1] :

ونحن رفعنا عن سَلُولِ رماحنا وعمداً رغبنا عن دماء بني نصرِ
ولما تبيَّنـا ضلالةَ مُصْعَبٍ فتحنا لأهل الشام باباً من النصر
محونا بعرنين أشم وعارضٍ لنمنع ما بين العراق الى البِشْر
فأصبح ما بين العراق ومنبجٍ لتغلب تَردي بالردينية السمر

ولم يرو عنه في الرثاء إلا أربعة أبيات رثى بها يزيد بن معاوية . وله في الأدب والحكمة أبيات سارت مسير المثل لصحة معانيها وحسن سبكها ولكنها قليلة منها قوله [2] :

والناس همهمُ الحياة وما أرى طول الحياة يزيد غير خَبالِ
وإذا افتقرتَ الى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

وقوله [3] :

وإن امرأً لا ينتهي عن غَوايةٍ إذا ما اشتهتها نفسه لجهولُ

وقوله [4] :

لن يرجع الشيّبُ شباناً ولن يجدوا عِدْلَ الشباب لهم ما أورق العُودُ
إنّ الشباب لمحمودٌ بشاشته والشّيبُ منصرَفٌ عنه ومصدود

(١) ديوان الأخطل ص ١٣٢ .
(٢) ديوان الأخطل ص ١٥٨ .
(٣) ديوان الأخطل ص ٢٥٨ .
(٤) ديوان الأخطل ص ١٤٧ .

وقوله [1] :

حتى استكانوا وهم مني على مضضٍ والقول ينفذ ما لا تنفذ الإِبَرُ
إن الضغينة تلقاها وإن قدمتْ كالعُرِّ يكمن حيناً ثم ينتشر

* * *

وبعد فالشائع المتعارف أن الأخطل مع الفرزدق وجرير طبقة واحدة ، وأنهم أشعر الإسلاميين ، ولكل واحد من هؤلاء جماعة يقدمونه ويتعصبون له . ولكن هناك جماعة من النقاد يرون أن الأخطل دون الفرزدق وجرير ولا يقرنونه بهما ، ويقولون إن قبيلة الأخطل رفعت من شأنه وأنزلته فوق منزلته لقلة الفحول من الشعراء فيها ، وقديماً عرفت تغلب بالإفراط بتمجيد شعرائها كما فعلت بعمرو ابن كلثوم قبل الأخطل فروت قصيدته التي أولها :

ألا هبي بصحنك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

وتناشدها وتغنى بها كبار التغلبيين وصغارهم حتى هجوا بذلك وقيل فيهم :

ألهى بني تغلبٍ عن كل مكرمةٍ قصيدةٌ قالها عمرو بن كلثومِ
يروونها أبداً مذ كان أولهم يا للرجال لشعر غير مسئوم

ويدل على قلة الفحول في تغلب قول الفرزدق بعد أن مات صديقه الأخطل [2] :

أمسى لتغلب من تميم شاعرٌ يرمي القبائل بالقصيد الأثقلِ
إذ غاب كعب بني جُعَيْلٍ عنهمُ وتمر الشعراء بعد الأخطل
يتباشرون بموته ووراءهم مني لهم قطع العذاب المرسل

(١) ديوان الأخطل ص ١٠٥ .
(٢) ديوان الفرزدق ٢ / ٧٠٨ .

وروى المرزباني في الموشح ص ١٣٨ عن بشار بن برد أنه قال : «والله ما كان الأخطل مثل جرير والفرزدق ، ولكنهما كانا من مضر ، فكرهتْ ربيعة ألاّ يكون منها مثلهما فتعصبتْ له ورفعتْ منه» .

وقال صاحب الأغاني (1) : «والفرزدق مقدم على الشعراء الإسلاميين هو وجرير والأخطل ، فأما قدماء أهل العلم والرواة فلم يسووا بينهما وبين الأخطل لأنه لم يلحق شأوهما في الشعر ، ولا له مثل مالهما من فنونه ، ولا تصرف كتصرفهما في سائره ، وزعموا أن ربيعة أفرطت فيه حتى ألحقته بهما» .

خليل مردم بك

---

(١) الأغاني ١٩ / ٤٨ .

بدء الأدب الحديث

إذا لم يبلغ الأدب في القرن الثامن عشر ما بلغه في القرن التاسع عشر من القوة والنضج فليس معنى هذا أن القرن الثامن عشر لم يظهر فيه نثر أو شعر فالجبرتي مثلاً صاحب التاريخ المشهور ولد في منتصف القرن الثامن عشر وفي لبنان والشام وربما في غيرهما من بلاد العرب كالعراق ونحوه ظهر شيء من الشعر ولكن من الثابت أن هذا كله كان ضعيفاً فالشعر كان أكثره في تهنئة أو رثاء أو مديح أو في بعض الوصف ، تكاد الشاعرية تموت فيه وتغلب عليه صنعة لفظية .

وقد يكون من جملة الأسباب في ضعف الأدب في تلك الأيام بحسب رأي بعض المؤرخين قلة المدارس على أنه قد نشأت كتاتيب ومدارس صغيرة في الشام أو لبنان أما في مصر فقد كان فيها الأزهر ولكن الكتب التي كانت تدرس فيه كانت تخوض في العقائد والتوحيد والتصوف والنحو والصرف فالأدب على الشكل الذي نفهمه اليوم لم يكن له ظل .

وكما كانت المدارس قليلة كانت الكتب قليلة فالمخطوطات كانت بدلاً من المطبوعات لأن المطابع لم تكثر الا في القرن التاسع عشر ولما جاء نابليون مصر جاء بأدوات مطبعية ولكنها لم تطبع كتباً ذات شأن .

على الرغم من ضعف الأدب وقلة المدارس والكتب ظهر كتّاب في دواوين الحكومات في مصر والشام ولبنان كانوا يتولون الإنشاء على أيام الجزّار والأمير الشهابي ومحمد علي وابنه ابراهيم .

متى نشأ الأدب الحديث ؟

نشهد في هذا العصر حيرة في تحديد أولية الأدب الحديث لا بدّ من الإشارة اليها قبل التعرّض للموضوع .

سير بنا قريباً أن الأدب الحديث وفقاً لما قرره طائفة من المؤرخين ظهر بظهور نابليون في مصر أي في آخر القرن الثامن عشر وأول القرن التاسع عشر ولكن بعض المفكرين لم يروا لنابليون فضلاً في ذلك وإنما ردوا الفضل كله في بدء الأدب الحديث الى محمد علي وحده ، ثم وقع الانقلاب الأخير في مصر وحدثت النقمة على محمد علي وأسرته فنزعت بعض الأقلام الى تصوير محمد علي في أقبح صورة بحيث جعلوه لا فضل له في النهضة الحديثة وعلى هذا نكاد نضيع في مهاب مختلفة من الآراء على انا سنعالج موضوعنا في عزلة عن هذه المهابّ على قدر الامكان .

نرجع الى سؤالنا : متى نشأ الأدب الحديث ؟

ليس الجواب عن ذلك بسهل لأن الأدب الحديث نما في بيئات مختلفة نما في مصر ولبنان والشام والحجاز واليمن والعراق ، هذا اذا جاوزنا افريقية فليس من الهين الإحاطة بميلاد الأدب في هذه البلاد كلها على أن النهضة بدأت في الشام ولبنان ومصر على نحو ما ذكره جرجي زيدان وامتدت منها الى سائر الأطراف ، ففي كل بقعة من هذه البقاع آثار من الأدب في النثر والشعر ولكن ليس من اليسير الكلام على هذه الآثار كلها ففي بعضها تعوزنا أمور كثيرة تعيننا على التوضيح وكيف كانت الحال لا بدّ قبل الشروع في دراسة الأدب الحديث من معرفة أوليته .

اعتاد أصحاب التاريخ الأدبي أن ينطلقوا في تحديد تاريخهم من أمر معين قد يكون هذا الأمر في بعض الأحوال ظهور دين جديد ، فاذا رجعنا الى

أدبنا القديم وجدنا أن ظهور الإسلام كان بدء أدب جديد في العرب قال ابن فارس في كتابه الصاحبي :

« كانت العرب في جاهليتها على إرث من إرث آبائهم في لغاتهم وآدابهم ونسائكهم وقرابينهم فلما جاء الله جل ثناؤه بالإسلام حالت أحوال ونسخت ديانات وأبطلت أمور ونقلت من اللغة ألفاظ من مواضع الى مواضع أخر بزيادات زيدت وشرائع شرعت وشرائط شرطت فعفّى الآخر الأول » .

من هذا يتبين لنا أن الإسلام نقل العرب من حال الى حال ، نقل تفكيرهم وشعورهم وعواطفهم وعاداتهم وأخلاقهم فجاب لهم تفكيراً جديداً وشعوراً جديداً وعواطف جديدة وعادات جديدة وأخلاقاً جديدة فكان لا بد لهذه الحياة من صيغ تفرغ فيها صورها ، هذه الصيغ الحديثة كانت بدء أدب حديث في العرب .

قد يكون هذا الأمر أظهر الأمور في تاريخ أدبنا واذا شئنا أن نبحث عن أمور ثانية وجدنا في حرب العرب والروم على أيام سيف الدولة بدءاً لنزعة جديدة في الأدب وان كان المؤرخون لا يبالون كثيراً في تاريخهم بهذه النزعة التي صبغت حرب العرب والروم بصباغ ديني ظهر منه أثر قليل على شعر الشعراء الذين أحاطوا بسيف الدولة ولكن الأثر الواضح الذي ظهر على شعر أولئك الشعراء انما هو الصباغ القومي فكانت كلمة العرب تملأ الشعر الذي قيل في تلك الحروب وفي سيف الدولة نفسه فهذا الصباغ القومي قد يجوز أن يكون نزعة جديدة من نزعات أدبنا القديم . وربما كانت حرب صلاح الدين والصليبيين أظهر أثراً في الشعر من حرب سيف الدولة والروم فيصح الرجوع الى الشعراء الذين عاشوا على أيام صلاح الدين حتى نرى على شعرهم آثار تلك الحرب .

لقد عمدتُ الى هذا المثل على ضعفه ولكني اذا عمدت الى أمثال ثانية كانت بدء أدب جديد في تاريخنا وجدت منها أشياء كثيرة فقد تعودنا أن

نقسم عصور أدبنا القديم بحسب دولنا القديمة مثل دولة بني أمية ودولة بني العباس وان كانت الاعتراضات وردت على هذا التقسيم ·

وإذا انتقلنا من أدبنا الى أدب آخر وجدنا أن المؤرخين يقسمون هذا الأدب أقساماً مختلفة بحسب نزعات خاصة فالأدب الذي ظهر في فرنسة في القرن السابع عشر كان طابعه العقل فالعقل كان له في الأدب السلطان الأكبر فكانت غاية الكاتب أو الشاعر الإفصاح عن الحقيقة الخلقية · هذه النزعة كانت في الأدب الفرنسي بدء أدب حديث اصطلحوا على تسميته الأدب المدرسي ولكن معناه يحملنا على تسميته أدب العقل ·

لا ينبغي أن يستنتج من ذلك ان كل انقلاب في السياسة أو في الاجتماع أو في الدين أو في غير مظهر من مظاهر الحياة يصح أن يكون بدء أفق من الآفاق الأدبية فاذا أدى هذا الانقلاب الى أفكار جديدة وعواطف جديدة وشعور جديد تستلزم صيغاً حديثة غير الصيغ التي كانت مألوفة قبل الانقلاب كان الانقلاب بدء أفق جديد ولكنه اذا كان متمماً للحياة التي كانت قبله ولم يحدث فيه حادث فلا معنى لجعله بدء أفق جديد ، فاذا فرضنا أن شعراء دولة بني العباس استمروا في شعرهم في التغني بما كان يتغنى به شعراء دولة بني أمية فلا يصح أن تكون دولة بني العباس بدء عهد جديد في الأدب ولكن اذا شهدنا أن النزعة القومية ضعفت في عهدها وكثرت الشعوبية وكثر التغني بآثار الفرس والطعن على العرب لزمنا أن نعتبر الدولة العباسية بدء عهد جديد لأن الشعر العربي دخلته في عهدها صيغ جديدة لم يكن لها أثر في الماضي ·

لا نريد أن نتبسط في المقدمة وضرب الأمثال وانما نريد الوصول الى بدء أدبنا الحديث · أين بدء هذا الأدب في تواريخ أدبنا الحديث ؟

من هذه التواريخ تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر للأب لويس شيخو اليسوعي ، اعترف المؤلف في مقدمة مؤلفه بأن اللغة العربية ليس لها تاريخ

أدبي حتى أحس بهذا الأمر فئة من المستشرقين في فرنسة وألمانية وانكلترة وروسية وايطالية فألفوا بعض التآليف أودعوها وصف العلوم العربية وتراجم أصحابها وقائمة كتبهم التي صنفوها ولكن هذا كله لا يغني عن تاريخ الأدب شيئاً فان هذه التآليف كلها ليست إلا بواكير أعمال .

كتب الأب لويس شيخو في مجلة المشرق فصولاً في الآداب العربية في القرن الأخير تمهيداً لمن تحدثه نفسه بوضع تاريخ أدبي وجمع هذه الفصول في كتاب مستقل كان تاريخ الآداب العربية من أول القرن التاسع عشر حتى ١٨٧٠ .

لم أجد في هذا التاريخ اشارة الى انقلاب كان بدء الأدب الحديث وانما قال صاحبه : وراجت أسواق العلوم بعد كسادها حتى بلغت ما نراه اليوم من أمرها في ظل الذات الشاهانية أيد الله شوكتها .

أشار الأب شيخو في بدء تاريخه الى الكتب والمخطوطات والمطابع في أول القرن التاسع عشر والى المنشئين في دواوين ولاة الدولة العثمانية في بلاد العرب والى بعض طوائف النصارى وتكلم على الآداب العربية في أوروبة في بدء القرن التاسع عشر .

ثم رجع الى تفصيل الكلام على الأدب الحديث في أول القرن التاسع عشر فقال : كان افتتاح القرن التاسع عشر في أيام السلطان الغازي سليم خان الثالث .

ثم تكلم على مصر في عهد محمد علي وعلى بعض الأدباء في غير مصر بصورة مختصرة ثم ذكر شيئاً من تراجمهم وآثارهم .

هذا شيء مجمل مما ذكره الأب لويس شيخو اليسوعي في تاريخه : الآداب العربية في القرن التاسع عشر وإذا دخلنا في التفاصيل وجدنا أنه زاد في تاريخه ان دراسة اللغات الشرقية قويت في أوروبة من القرن الثاني عشر حتى عظمت حركة المستشرقين على توالي السنين كما عظمت حركة الجمعيات الآسياوية وفي أوائل القرن التاسع عشر طبعت كتب عربية في الآستانه ومصر وأكثر الذين

اشتهروا في تلك الأيام لم يتعلموا في مدارس منظمة بل نبغوا بتحصيلهم الخاص مهتدين بفئة من كتاب الدواوين .

أما جرجي زيدان فقد تكلم في تاريخه على العرب قبل بدء الأدب الحديث تكلم على العرب في مصر وسورية وذكر طائفة من الأدباء ثم انتقل الى الكلام على بدء الأدب الحديث فجعل هذا البدء سنة ١٧٩٨ وهي السنة التي دخل فيها نابليون مصر فقال في جملة ما قال : إن أبرز مظهر هذه النهضة تأثير أوروبة في هذا العصر .

إذا اهتممنا بما جاء في تاريخ جرجي زيدان من الكلام على المكتبات في بدء أدبنا الحديث وعلى المجلات والجرائد والجمعيات والتمثيل والموسيقى وغير ذلك فجدير بنا أن نهتم بالأدب ، شعره ونثره ، فقد أحصى زيدان في تاريخه فريقاً من الشعراء في مصر وسورية ولبنان وحتى في تونس وأتى على ذكر بعض الأدباء .

لقد نجد في هذا التاريخ بعض نظرات عامة في الأدب الحديث وبعض تراجم مختصرة ولا تخلو هذه النظرات في بعض الأحيان من شيء من الصواب فاذا تكلم زيدان على الإنشاء وأشار الى ميل الكتاب الى السجع والبديع في أواخر العصر العثماني تكلم بعد ذلك على تأثير حضارة الغرب في الإنشاء فأشار الى ما كان للطبيعيات والرياضيات من تأثير في تعديل ميل المنشئين الى السجع والبديع وترغيبهم في مجرد الحقيقة ولم يغفل عن الإشارة الى تحدي الكتّاب لأساليب البلغاء من المتقدمين مثل ابن المقفع والجاحظ .

ونجد في كتاب صغير ألفه الياس أبو شبكة سماه «روابط الفكر والروح بين العرب والفرنجة» اشارة الى بدء أدبنا الحديث في مصر وسورية قال المولف :

« جاء نابليون الى مصر في العام ١٧٩٨ وفي نفسه من الشوق الى نفض غبار القرون عن موطن الفراعنة ما فيها الى فتح طريق الهند وكان في ركابه طائفة من العلماء الأعلام كمونج وبرتوله وفوريه فما كاد يفتح القاهرة حتى أنشأ فيها

مؤسسة علمية ولى ادارتها جماعة من العلماء الذين رافقوه في حملته وكان عددهم مئة وثلاثة وأربعين بينهم العالم والأديب والفنان والطابع » .

أما بدء أدبنا الحديث في سورية فقد قال فيه أبو شبكة : « وان يكن بونابرت قد فشل في فتح سورية فقد تولى هذا الفتح مكانه أعلام الفرنسيين من رجال الأدب والعلم فمن ذلك الاحتكاك الجديد بين الشرق والغرب نشأ في نفوس أدباء فرنسة وشعرائها شوق ملح الى زيارة الشرق وعلى أثره نشطت حركة الرسالات التي كان لها الفضل الأكبر في تحويل الشرقيين الى منابع الثقافة الفرنسية » .

فهذا كلام واضح يدلنا على أن صاحبه جعل بدء الأدب الحديث في مصر دخول نابليون مصر وجعل بدء الأدب الحديث في سورية انتشار البعثات الغربية فيها .

أما جرجي زيدان فقد قال في النهضة في سورية :

« لكن نوراً ضئيلاً ظهر في سورية في أواخر القرن السابع عشر على أثر قدوم الإرساليات الدينية وانتشار الرهبنات الكاثوليكية » .

وقد نبغ في القرنين الأخيرين قبل هذه النهضة طبقة من العلماء أكثرهم من رجال الاكليروس واشتغل قسم منهم بالأدب واللغة والتاريخ .

على هذا الوجه يختلف بدء الأدب الحديث في سورية عن بدئه في مصر .

هذا على وجه الإجمال ما يتصل بأولية الأدب الحديث فليس في الآراء التي بسطناها في بدء هذا الأدب شيء من الشطط ، فالذين يقولون ان الأدب الحديث نشأ قبل دخول نابليون مصر لا ينحرفون عن الحق الا أن الأدب كان ضعيفاً في شعره ونثره والذين يقولون ان دخول نابليون مصر كان فاتحة الأدب الحديث لا يقولون شططاً فان نابليون مهد في مصر سبيلاً الى تفتيح العقول على الرغم من أن غايته كانت الاستعمار فان مجيء العلماء معه قد أبقى

آثاراً في نواحي الفكر وإذا قلنا ان هذه الآثار قد انبسطت في زمن محمد علي قلنا حقاً لأن مصر اتصلت بالغرب عن طريق البعثات والرحلات .

والخلاصة ان لاتصال الشرق بالغرب في أوائل القرن التاسع عشر ولنشوء المدارس الأجنبية في سورية ولبنان فضلاً عظيماً في استفاقة العقول من مراقدها فقد أنشئت الجامعة الأميركية في بيروت ثم الجامعة اليسوعية كما أنشئت مدارس وطنية وأجنبية وكثرت الجرائد والمجلات وفي مقدمتها المقتطف فقد ظهرت هذه المجلة العظيمة أول الأمر في بيروت ثم ضعفت حرية الرأي فنقلها أصحابها الى مصر وقد كان لها فضل عظيم في بلاد العرب من حيث تفتيح العقول والتمهيد لموضوعات العلم فقد كان أصحابها يبسطون العلم ويعممونه ، كانوا يلجأون الى أدق المباحث العلمية أو المحاضرات التي تلقى في الغرب فيلخصونها بأسلوبهم العلمي السهل حتى تستقر في أذهان الناس والذين كانوا يطالعون المقتطف في تلك السنين كانوا خاصة الخاصة .

في القرن التاسع عشر اختمر الأدب والشعر والنثر وظهر كتاب كبار وشعراء كبار في مصر ولبنان وسورية أما في مصر فقد عنوا في صدر النهضة بالتعريب فنقلوا فئة من كتب الغرب الى لغة العرب ودرّسوها في المدارس وبعد أن نشأت الثورة العرابية في غضون القرن التاسع عشر كثرت في مصر المدارس الأجنبية والمجلات والجرائد والمطابع وطبعت كتب اللغة والتاريخ والأدب ودخل على الأزهر كثير من الإصلاح .

وكذلك في لبنان وسورية فقد كثرت المدارس الأجنبية وعكف الأدباء على اللغتين الفرنسية والانكليزية واقتبسوا عن أدبها فنقلت الى العربية روايات من القرن السابع عشر الفرنسي وانطلقت الأقلام في موضوعات الاجتماع فكتب الكتاب في الحرية والأخلاق وتعليم المرأة والقومية وغير ذلك ثم رحل فئة من رجال الأدب والفكر الى أوروبة فاشتد اتصال الشرق والغرب واطلع

كتّاب الشرق على أخلاق بعض أمم أوروبة وعلى عاداتهم وأطوارهم ومآكلهم ومشاربهم وقابلوا بين الشرق والغرب في كثير من الأمور فانعكست آثار هذا كله على كتابتهم ومن أبرز الذين زاروا أوروبة أحمد فارس الشدياق فأدرك الأدب حق إدراكه وثار بأدبه على كثير من أوضاعنا ، على جهل الحكام وضعف الثقافة ، وعادات الناس ، وجهل المرأة ، كما ثار على رجال الدين في لبنان ، وذهب مذاهب أبعد فمال الى الأدب المجرّد في بعض كتاباته فصوّر أموراً لم يتعود أدبنا أن يصورها .

وجملة القول إن أدبنا الحديث نشأ عن اتصال الشرق بالغرب إمّا على أيدي المدارس الأجنبية في مصر ولبنان وسورية ودراسة اللغات الأجنبية وإما على سبيل الرحلات وكان نشوؤه وقوته من أول القرن التاسع عشر حتى يومنا هذا ولقد نشهد أمراً عجيباً في انتقاله من طوره الذي نشأ عليه الى الطور الذي قوي فيه أو نضج بعض القوة والنضج ، فان الذي يقابل بين بعض نماذج من المراسلات والمكاتبات الرسمية قبل القرن التاسع عشر وبعض بلاغات في صدر القرن التاسع عشر وبين آثار طائفةٍ من كتّاب القرن التاسع عشر وشعرائه لا يكاد يصدق أن الأدب قد تكامل في هذه الفترة من الزمن ، فقد غلب عليه في القرن الثامن عشر سجع سخيف وتفكك ورخاوة ثم أصبح بعض الكتاب والشعراء في القرن التاسع عشر يحذون أساليب بلغاء كتابنا وشعرائنا المتقدمين كالجاحظ وابن المقفع وأبي تمام والبحتري والمتنبيء وغيرهم وبعضهم ظهرت على كتاباتهم آثار كتّاب القرن الرابع كالحريري والبديع والخوارزمي ويكاد يكون هذا الأمر أعجب أمور أدبنا في القرن التاسع عشر .

شفيق جبري

ينابيع المعرفــة

عند ابن سينا (٩٨٥ ــ ١٠٣٧)

جاء ابن سينا الى الحياة وبنفسه ظمأ قاتل وحر مذيب ورأى ينابيعها الصافية تنساب مترنمة جذلى فأقبل يشرب منها بكؤوس مترعة ولكن هذه النفس لم ترتو من كل هذه الينابيع العذبة بل راحت تمتّ براحتيها من الغدران الملأى بالآفات كأنها آتية من الصحراء القاحلة ولا غرو فالنفوس الكبيرة لا يقنعها شيء قليل والقلوب العظيمة لا ترويها كل أمواه الحياة . وكما كانت شفتاه لا ترتويان من لذاذات الدنيا ونفسه لا تشبع من متع الحياة كذلك كان عقله المتألق يريد الإحاطة بكل أنواع المعرفة . فرأيناه يحوم فوق رياضها كما تحوم النحلة الظمأى فوق الزهور فيرشف منها رشفات عامرات ويسكب كل ذلك في خليته العظمى ولما تمتلئ .

إذا تأملنا المعرفة عند ابن سينا نجدها بحراً واسعاً وحوله الأنهار تصب فيه الماء صباً فيجرها اليه ولا يمتلئ . فعنده تجمعت معارف الأوائل والمتأخرين وفي محرابه سجد كل الفلاسفة والمتكلمين . كيف لا ولديه خلاصة الخلاصات من علوم اليونان وحكمة الهند وفارس وألمعية السريان وفصاحة العرب وخطابة الرومان وكأني به وضع كل هذه المعارف في بودقة واحدة كبرى فصهرها وأعد منها ذوباً صافياً مثل اللجين هو ذوب نفسه الكبيرة وعصارة قلبه العبقري .

خلق ابن سينا ليكون ذا حكمة بالغة ومعرفة متألقة وقد توصل الى شيء من المحصول العلمي والفلسفي ومما يؤسف له تقصيره في الغوص الى أعماق نفسه للبلوغ الى الينبوع الأصيل الكامن في قرارته العاقلة واستخراج روائع العبقرية

الحقيقية كما انه لم يعن كثيراً بالبحث العميق في مذاهب الفلاسفة الكبار بل اكتفى بشروحها السطحية وهي من محصول المعلقين والشراح السابقين وذلك لانصرافه الى أمور من شأنها إخماد جذوة الحكمة وإطفاء أنوار المعرفة ونحن وإن كنا لا نستطيع أن نسجل له أي ابتكار فكري أو مذهب فلسفي خاص شأن الفلاسفة الحقيقيين إلا أننا نعجب لسعة إدراكه وتوصله الى نتائج حاسمة حفظها له التاريخ الفكري بمداد التجلة والإكبار ، مما لا يتوصل إليه إلا الأفذاذ من المتتبعين .

أعجب المشارقة بفلسفة أرسطو منذ تعرفهم به وراحوا يتناولونها من جميع النواحي درساً وتحقيقاً وشرحاً وتعليقاً بل راح كثيرون منهم على منواله ينسجون وفي حبله يحطبون ومن بحره يغترفون وبآرائه وأفكاره يتقيدون وكأني بهم أسرتهم عبقرية المعلم الأول فلم يحيدوا عنها يَمنة أو يسرة إلا ما كان لديهم مناهضاً ولحقهم مناقضاً . وقد صرح بمناهضته كثيرون منهم ولا سيما الفيلسوف ابن كيفا في بحوثه النفسية [1] . أما فيلسوفنا فلم يكن إلا أحد هؤلاء الفلاسفة وقد نسج على منوال أرسطو في مبادئه وأصوله وسار معه جنباً إلى جنب إلا في ما كان مخالفاً للوحي والتنزيل وكأني به حاول اخضاع أرسطو وفلسفته لغاياته وأهدافه وهذه هي منتهى العبقرية عند ابن سينا ولكننا نلاحظ أن الشيخ الرئيس بعد بنائه على أسس أرسطو انتهى به المطاف الى مذهب أفلاطون والأفلاطونية الجديدة دون قصد منه ولذلك ثلاثة أسباب :

١ — استقاؤه فلسفة أرسطو ممزوجة بهاتين الفلسفتين وقد حدث ذلك إبان القرن السابع يوم اشتغلت مدرسة قنسرين الفلسفية بمبادئ المعلم الأول ، فأشربتها بمبادئ يوحنا فيلوفونوس وأفلاطون والأفلاطونية الجديدة [2] .

(١) ابن كيفا في بحوثه النفسية وعلم النفس باب ٤ الباب ٢٠ .

(٢) اللؤلؤ المنثور ص ١٥٦ .

٢ — تشربه بالأفكار الفلسفية القدمى التي نشأت في الشرق ولا سيما الهند وفارس وهذه تتفق أحياناً مع مبادئ الفلسفتين المشار اليهما .

٣ — محاولته تسخير الفلسفة المشائية ذاتها لمبادئه الدينية كما فعل من قبله أستاذه الفارابي في الجمع بين الحكيمين [١] .

وأما تصريحه في مناهضة بعض آراء أرسطو ومدرسته [٢] ، فذلك طبيعي في فيلسوف مثله إذ ليس من الممكن أن يستسلم في جميع آرائه ولديه الدين والوحي والمثل الشرقية المعروفة ناهيك عن أن هذه هي خلة الجبروت والكبرياء في هذا العبقري فقد أبت نفسه العظيمة أن تظهر خضوعها المطلق للمعلم الأول وأرادت التظاهر بتحديه طمعاً في حفظ كرامتها وصون عظمتها . وقد رأينا ابن سينا يبالغ في إطراء نبوغه غير مرة [٣] .

أما الذين درسوا كتبه وقابلوها بمنتوج المعلم الأول فقد قرروا أنه كان مشائياً صريحاً وهذا ابن العبري الذي أعجب به أكثر من إعجابه بجميع الفلاسفة الشرقيين يؤيد ذلك فيصرح (ان ابن سينا لما أخذ وزنة ارسطوطاليس (فلسفته) لم يزدها خمساً لكن أكثر من خمسين وزنة) [٤] وناهيك بفيلسوف كابن العبري تعمق في درس المعلمين أرسطو والشيخ الرئيس وأصدر هذا التقرير الصريح الأمر الذي لا يدع مجالاً للشك في أن ابن سينا كان أرسطوطاليسياً في جميع دراساته الفلسفية .

ومع هذا نجد إعادة معرفة ابن سينا الى ينابيعها الأصلية ليست من الهنات الهينات بل هي مجازفة كبرى في وسط كهذا يجتمع فيه أفاضل العلماء وأساطين المعرفة في الشرق والغرب .

---

(١) الجمع بين الحكيمين ص ٥ .
(٢) الشفاء : الفن ٥ المقالة ٢ الفصل ٣ طبعة طهران ١٣٠٣ .
(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء القاهرة ١٨٨٢ ج ٢ ص ٢ وفيه أيضاً ص ٣ .
(٤) ابن العبري : تاريخ الدول السرياني ص ٢١٩ .

- ١ -

إذا تتبعنا منطق ابن سينا من ألفه الى يائه لا نجـده إلا منطق أرسطو بعينه إلا ان ابن سينا لم يستقه من ينبوعه الأصيل بل تلقاه من كؤوس غير كؤوس أرسطو . ومع ذلك حفظت فيه الصفات الأصلية التي تناقلها المترجمون والشراح جيلاً بعد جيل .

هذا منطق ابن سينا بين أيدينا وهذه تفاصيله وفي إمكاننا استعراض بعضها للوصول الى ينبوعه الحقيقي والسواقي التي جرت فيها مياهه حتى وصلت الى جنينة الشيخ الرئيس .

العقل البشري عند ابن سينا ناقص محدود ولذلك هو بحاجة الى موجه أمين يقوده الى الحق (١) والمنطق هو ذلك الموجه فبدونه لا يستطيع معرفة الطريق الى الحق ولا الوصول الى الهدف ، والمنطق ينتقل بالعقل البشري من المعلوم الى المجهول (٢) ويعتقد ابن سينا ان كل انسان بحاجة ماسة الى المنطق إلا الأنبياء المؤيدين بالوحي الإلهي (٣) وهذا رأي ابن العبري المنقول عن أرسطو (٤) .

وأهم التفاصيل التي يمر بها ابن سينا في منطقه بعد المقدمات المعروفة هي الحد والجنس والفصل والأمور المحدودة والبسيطة والمركبة . والرسم والافعال والانفعالات والحد والماهية والتركيب وشرائط الوجود والماهية ومفهوم الذات ووجود الذات (٥) .

واذا تأملنا هذه التفاصيل وشروحها وأهدافها نجدها تسير بحسب طريقة الفارابي

---

(١) حي بن يقظان طبعة ليدن ص ٣ .
(٢) النجاة ص ٦ .
(٣) منطق المشرقيين ص ٧ .
(٤) كتاب « الأحداق » في المنطق – المقدمة .
(٥) منطق المشرقيين مطبعة المؤيد القاهرة ١٩١٠ ص ٢٤ – ٢٦ .

وأصول منطقه وتتفق معها الاتفاق كله فيكون ابن سينا والحالة هـذه تلميذ الفارابي في المنطق كما هو تلميذه في فهم ما وراء الطبيعة ·

وأما انتقال طريقة الفارابي الى ابن سينا فكان بواسطة (التعليم الثاني) وقد استقاه الفارابي من مؤلفات الفلاسفة الذين سبقوه بمدة قليـلة وقد حدثنا حاجي خليفة في كشف الظنون : ان الفارابي جمع التراجم الفلسفية التي عملت في عصر المأمون وجعل منها ترجمة ملخصة محررة مهذبة مطابقة لما عليه الحكمة ··· وسمى كتابه بالتعليم الثاني فلذلك لقّب بـ (المعلم الثاني) ثم يذكر أن هذا الكتاب ظل مسوداً بخط الفارابي في خزانة المنصور حتى اطلع عليه ابن سينا ولخص منه كتاب (الشفاء)[1] ·

وقد طعن البعض في قول حاجي خليفة هذا بصورة خفيفة ولكن مهما كان الأمر فانه قول حقيقي مسلم به الآن (الشفاء) هو بحق ملخص (التعليم الثاني) هذا من جهة ومن جهة ثانية ان ابن سينا لا يقر بالفضل لأي فيلسوف ما عدا الفارابي مما يدل على حفظه لجميل المعلم الثاني ·

أما الفارابي فما عدا تلقيه العلوم الفلسفية على يوحنا بن حيلان[2] وكان هذا على مذهب أرسطو فانه لخص جميع الترجمات الفلسفية التي خلفهـا أرسطو الى العربية وعلماء متعشقاً لأرسطو وكتبه وهذه شروحه الكتب أرسطو المنطقية تؤيد ذلك[3] ولا نشك أبداً أن هذه الشروح وغيرها وصلت ابن سينا فاستقى منها منطقه ·

ومنطق أرسطو الى أن وصل ابن سينا مرّ بأربعة أدوار هامة بدأت فـي أواسط القرن الخامس المسيحي وانتهت في نهاية القرن التاسع ·

---

(١) كشف الظنون طبعة ليتبزغ ١٨٣٠ ج ٣ ص ٩٨ — ٩٩ ·
(٢) تاريخ الحكماء للقفطي طبعة ليتبزغ ١٣٢٠ هـ ص ٢٢٧ والمسعودي : التنبيه والإشراف طبعة ليدن ١٨٩٧ ·
(٣) تاريخ الحكماء للقفطي مطبعة السعادة ١٣٢٦ هـ ص ٢٧ — ٢٩ ·

الدور الأول : هو دور الترجمة الأولى من اليونانية الى السريانية وأول مرة تعرف السريان بمنطق اليونان كان حوالي سنة ٤٥٠ حيث ترجم هيبا مطران الرها (٤٣٥ — ٤٥٧) ايساغوجي برفيريوس الى السريانية لفائدة طلاب مدرسة الرها التي أخذت تدرس العلوم عن طريق الترجمة ثم أعقبت الكليـة نفسها ترجمتين أخريين لايساغوجي برفيريوس وفي الوقت نفسه ترجم فروبا الايساغوجي ترجمة رابعة ثم قام كومي الرهاوي بترجمة كل كتب أرسطو الى السريانية [1] وعندها أصبح السريان يعرفون أرسطو معرفة حقيقية وتلك المعرفة كانت أصلاً وأساساً لجميع المعارف الشرقية المستقاة من اليونانية . وفي أوائل القرن السادس نبغ سرجيس الراسعيني الفيلسوف والطبيب الشهير (٥٣٦ +) فأعاد ترجمـة ايساغوجي برفيريوس الصوري وألحقه بمقولات ارسطو من كتبه المنطقية كما ترجم كتاب النفس أيضاً برمته [2] وهذه ساعدته على بلوغ ذروة الإبداع في العلوم الفلسفية .

وفي القرن السابع نبغ الفيلسوف الرياضي والفلكي ساويرا سابوخت أسقف دير قنسرين (٦٦٧ +) [3] وأنعش العلوم اليونانية من لغوية ومنطقية وفلسفية وفلكية ورياضية في كلية قنسرين الشهيرة واشتغل بالترجمة فوصلنا من أعماله ترجمة كاملة لأنالوطيقي الأول (تحليل القياس) ونبغ بعد مدة تلاميذه الثلاثة المشاهير اثناسيوس البلدي [4] (٦٨٦) ويعقوب الرهاوي [5] (٧٠٨) وجرجس أسقف العرب [6] (٧٢٥) فترجموا عدا الايساغوجي كتـاب مقولات أرسطو

(١) اللؤلؤ المنثور للبطريرك الانطاكي مار افرام الأول ص ١٢٦ .
(٢) اللؤلؤ المنثور ص ١٢٧ و ٣٢٦ .
(٣) اللؤلؤ المنثور ص ٢٨٣ - ٢٨٥ .
(٤) اللؤلؤ المنثور ص ٢٨٩ - ٢٩٠ .
(٥) اللؤلؤ المنثور ص ٢٩١ - ٣٠٦ .
(٦) اللؤلؤ المنثور ص ٣٠٩ .

والكليات الخمس وكتاب الأورغانون وهكذا انتهى عهد الترجمة البكر . وينتهي بانتهائه الدور الأول .

والدور الثاني : هو دور التعليق والشرح والتأليف أخذاً عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان وذلك باللغة السريانية وأشهر الشراح والمعلقين والمؤلفين سرجيس الراسعيني الفيلسوف الآنف الذكر وسابوخت والبلدي ولا سيما في المواضيع المنطقية[1] .

والدور الثالث : هو دور النقل الى العربية من السريانية مباشرة أو من اليونانية الى السريانية فالعربية وقد عربت في هذا الدور كتب أرسطو في المنطق وأشهر نقلتها حنين بن اسحق وابنه اسحق بن حنين بن اسحق وتيودور وأبو بشر متى ويحيى بن عدي والدمشقي وابراهيم بن عبد الله وابن ناعمة[2] ؛ على أن أجودهم نقلاً وأفصحهم عبارة وأشدهم تدقيقاً للمعاني كان يحيى بن عدي الذي أصلح الكثيرين من المعربين الذين نوهنا بهم هنا .

والدور الرابع : هو دور التعليق في العربية وقام بأعبائه المعربون الآنفو الذكر ويضاف اليهم أبو نصر الفارابي الذي أخذ عنهم كثيراً[3] .

هذه هي الأدوار التي مرت بها العلوم المنطقية حتى وصلت فيلسوفنا ابن سينا وأنت تعلم ما هي الطوارئ التي تصيب كل علم إذا مر بأربعة أدوار كهذه وتناقلته الأيدي جيلاً بعد جيل إلا أننا نرى أن هؤلاء النقلة والشراح والمعلقين كانوا أمينين في واجبهم لأنهم حافظوا على جوهر هذا العلم الجليل ونحن نعلم أن السبب في بقاء المنطق سالماً على حالته الأولى هو كونه قواعد التفكير المحدودة المقررة التي لا تتبدل وهو لغة الحق وضابط العقل البشري .

لا حاجة بنا الى مقابلة منطق ابن سينا بما تركه التراجمة والمعلقون والشراح

(١) اللؤلؤ المنثور ص ١٢٧ .

(٢) تاريخ الحكماء للقفطي مطبعة السعادة ص ٢٧ – ٢٩ .

(٣) تاريخ الحكماء القفطي ص ٢٨ .

والمؤلفون لأن المنطق هو هو في كل الأجيال ولم يزد عليه هؤلاء العلماء حرفاً واحداً غير الشرح والتعليق وهذا محصولهم بين أيدينا باللغتين السريانية والعربية ففي العربية لدينا البحوث الوافية للمؤلفين الذين ذكرنا بعضهم في هذه العجالة ولا سيما لفيلسوفنا ابن سينا وأما في السريانية فلدينا الشيء الكثير الذي خلفه لنا أولئك الأعلام وقد جمعه وشرحه علمان كبيران من أعلام الفلسفة عندنا في القرنين الثاني عشر والثالث عشر وهما ابن الصليبي مطران آمد (١١٧١ م) وابن العبري مفريان المشرق (١٢٨٦ م) .

ان ابن الصليبي قام بعمل جبار تجاه المنطق فانه شرحه شرحاً وافياً سنة ١١٤٨ م مجملاً شروح جميع المفسرين السابقين وقد حفظت شروح كثيرة في مؤلفه بينما فقدت في أصولها وفصولها . وقد أولى اهتمامه في جميع شروح الايساغوجي بثلاثة فصول مسهبة والمقولات وقدم خمسة فصول على شرح (العبارة) ثم شرح تحليل القياس (الانالوطيقا) ووضع فصولاً شتى في حل مغلقاته ثم (البرهان) (أنالوطيقا الثانية)[1] وحفظ كتابه الجليل هذا ويقع في ٧٧٠ صفحة كبيرة للخط السرياني الدقيق[2] .

أما ابن العبري فان دراساته المنطقية قد جمعها في كتبه الثلاثة المعروفة وهي : الجزء الأول من كتابه الفلسفي الجليل (زبدة الحكم) وتناول فيه أقسام المنطق الثمانية برمتها مع شرحها شرحاً وافياً وكتيبه الصغير (الأحداق) ودرس فيه بصورة موجزة الايساغوجي (وبارى ارمينياس) (العبارة وانالوطيقي الأولى والثانية) (القياس — البرهان) وطوبيقي (الجدل) والسوفسطيقي (السفسطة) وترك المعلمين الآخرين (ريطوريقي) الخطابة و (فويطيقي) الشعر لأنه أشبعهما درساً وشرحاً وفي كتابه الأول (زبدة الحكم) ثم كتاب (حديث الحكمة) وقد استعرض

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٣٨٢ .

(٢) كمبرج رقم ٢٠١٦ .

فيه بصورة عابرة (المقولات) (قاطيقورياس) والقياس والبرهان (انالوطيق الأولى والثانية) وهذه كلها ما زالت بلغتها السريانية ما عدا الاخير (حديث الحكمة) فقد ترجم الى العربية ونشر لأول مرة سنة ١٩٤٠ .

إن هذه الكتب المنطقية تعطينا فكرة واضحة عن منطق أرسطو من جهة وعن الشروح التي قام بها السريان من جهة ثانية . وعن مطابقة منطق ابن سينا لمنطق ارسطو . ومنطق المترجمين والمؤلفين السريان الأولين من جهة ثالثة كما انها تعطينا النتيجة الحاسمة . ان هذه الأعمال الفلسفية التي ظهرت اعتباراً من القرن الخامس فما بعد هي أساس العلوم الفلسفية عند جميع الشرقيين وان منطق ابن سينا منحدر عنها بالطرق التي علمناها الآن وبالتالي ان ابن سينا استقى منطقه من هذه الينابيع .

- ٢ -

علمنا ان ابن سينا سار في منطقه على طريقة الفارابي ومناطقة المشرق قبله وبالتالي أرسطو فقد تأثر خطواته خطوة لخطوة شأن بقية علماء المنطق الشرقيين وكذلك في النفس يعتمد على الأسس التي وضعها أرسطو ولكنه يخالفه في ما يخالف النظرية الدينية واللاهوتية وهذه المخالفة أضفت على بحوثه مسحة من مبادئ أفلاطون ولكنك إذا سرت معه خطوة فخطوة تظن أن أرسطو يتكلم ولكنه أرسطو من نوع جديد .

كان ابن سينا طبيباً وعالج أسقام الجسد معالجة فعّالة وحاول أن يكون طبيباً للنفوس أيضاً وصرف عناية كبرى لمعالجة أسقامها وحملها الى العودة بطريق خاص الى الينبوع الأصلي وهذه الفكرة وإن كانت تبدو أفلاطونية أو أفلاطونية جديدة إلا أنها فكرة دينية توصل اليها ابن سينا بواسطة فلسفة أرسطو نفسها وقد سخر والحالة هذه أرسطو نفسه الى بلوغ أهدافه الدينية .

فما النفس يا ترى ؟ وما هذه القوة الجبارة التي منحت لهذا المخلوق العاقل ؟ يقول ابن سينا (انها كمال أول لجسم طبيعي آلي[1]) وهذه فكرة أرسطو ذاتها حفظها ابن سينا وسخرها للبلوغ الى غاياته بعد أن صبغها بألوان دينية صرفة أوحتها اليه عقيدته الروحانية المستقاة من صميم الروح الشرقية .

رضي ابن سينا أن يبني عقيدته على دعامة أرسطو هذه بينما حسبها قبله فلاسفة الشرق دعامة واهية لأنها مبهمة غائصة في ظلام دامس وقد يمكن أن يكون هذا (الكمال) على ضربين متباينين الأول : أن تكون كمالاً للجسم تسيره تحت سيطرتهـا وبزواله تحافظ على بقائها وخلودها كالملاح بالنسبة الى السفينة ، والثاني : أن تكون كاللون الخارجي بالنسبة الى السفينة وهذا يزول بزوالها . وقد تحدى فلاسفة الشرق أرسطو في هذه النظرية وقالوا اذا قصد أرسطو الضرب الأول من الكمال يكون صادقاً وأما إذا قصد المعنى الثاني يكون مخطئاً . وقد عقد ابن كيفا الفيلسوف اللاهوتي فصلاً خاصاً لتسفيه رأي أرسطو هذا[2] مع أنه يأخذ بآرائه في مواضيع نفسية أخرى .

وهذه النفس عند ابن سينا (قوة) وهذه القوة منقسمة الى قوتين إحداهما (القوة العاملة والثانية العالمة[3]) ومبدأ تجزئة النفس مبدأ أرسطو بعينه وقد قبله ابن سينا وأثبته وتخطى منه إلى مبدأ خلقي صريح وانتهى الى جعل نزاع هائل بين قوتي النفس الأولى تقود البدن وتحثه على الرذيلة والثانية تريد الارتفاع به الى المثل العليا[4] وكان يغني عن ذلك لو لم يعتمد على فكرة أرسطو في التجزئة وقد استعرض ابن كيفا الفيلسوف هذه التجزئة استعراضاً كاملاً وأسندها

(١) النجاة ص ٢٥٨ مطبعة السعادة ـ القاهرة سنة ١٣٣١ .
(٢) علم النفس لابن كيفا الباب ٤ ـ تفنيد عقيدة أرسطو .
(٣) النجاة ص ٢٥٨ .
(٤) النجاة ص ٢٦٨ .

الى أرسطو ثم فندها ببراهين عقليـة لا تقبل الاعتراض وأثبت وحدة (القوة) في النفس ونسب جنوحها تارة الى الفضيلة وطوراً الى الرذيلة الى إرادتها الخاضعة وخضوع هذه الإرادة الى الميول الصالحة أو الطالحة بحسب الظروف المادية والأدبية المحيطة بها[1] .

ويأخذ ابن سينا بمبدأ أرسطو في التجزئة مرة أخرى فيقسمها وهي عنـده (كجنس واحد) بضرب من القسمة الى ثلاثة أقسام وهي النباتية والحيوانيـة والانسانية وكل منها (كمال أول لجسم طبيعي آلي) الأول من جهـة ما يتولد ويربو ويغذو والثاني من (جهة ما يدرك الجزئيات ويتحرك بالإرادة) والثالث (من جهة ما يفعل الأفعال الكائنة بالاختيار الفكري والاستنباط بالرأي ومن جهة ما يدرك الأمور[2]) وبعد هذا هل يستطيع ابن سينا أن يتهرب من مبادئ أرسطو ونتائجه ؟ وهذه مبادؤه واضحة في قراراته النفسية هذه يشرحها ثم يثبتها بعد أن يجمع حولها البراهين وقد أخذ بها بعض الفلاسفة السريان وشرحوها شرحاً وافيـاً ولا سيما العلاّمة ابن العبري[3] الذي يمثل كل أدوار الفلسفة عند قومه السريان .

وقد تمسك ابن سينا بهذه الأقسام تمسكاً شديداً فشرح قواها واحدة واحدة تبعاً للشروح التي علقت على معارف أرسطو فللنفس النباتيه ثلاث قوى هي الغاذية والمنمية والمولدة[4] وللنفس الحيوانية قوتان محركة ومدركة وكل من هاتين القوتين تنقسم أيضاً الى قسمين آخرين ثم يتطرق الى شرح القوة الحسية بما فيها المخيلة والإدراك والحافظة والذاكرة ويعين محلاً خاصاً من الدماغ لكل من هذه القوة وهكذا كان ينادي المعلم الأول حسبما نستفيد ذلك من النقول السريانية[5] .

(١) علم النفس لابن كيفا الباب ٤ – تفنيد آراء الفلاسفة .
(٢) النجاة ص ٢٥٨ .
(٣) منارة الأقداس الركن ٨ المقدمة المقصد الثاني وزبدة الحكم الكتاب ٨ في النفس الباب ٤ الفصل ١ .
(٤) النجاة ص ٢٥٨ .
(٥) النجاة ص ٢٦٤ – ٢٦٧ .

وإذا أردنا السير بجانب الفيلسوفين اليوناني والشرقي نجد الثاني يسير مع الأول خطوة فخطوة حتى يبلغ الى كيان النفس العاقلة وهذه عنده مفارقة للجسم تبقى بعد فنائه فيتركه ويعود ادراجه الى عقيدته الخاصة وهي تقرير روحانية النفس وخلودها الأمر الذي أنكره باعتقاده أن (الصورة لا تقوم إلا بالمادة) .

وقد استعرض الفلاسفة الشرقيون آراء أرسطو هذه منذ القرن السادس المسيحي حتى نهاية القرن الثامن أو بالحري قبل وجود ابن سينا بقرن كامل ودرسوها بدقة وإتقان وقابلوها مع معتقداتهم اللاهوتية فأخذوا ببعضها ونبذوا البعض الآخر ولا سيما ما لا يتفق والتقارير اللاهوتية الخاصة بالروحانية كما عمل ابن سينا تماماً فهذا ابن كيفا المتوفى سنة (٩٠٣ م) أي قبل ولادة ابن سينا باثنتين وثمانين سنة جمع معارف اليونان والسريان في النفس واتفق مع أرسطو في بعض نظرياته وناهضه ونقض آراءه في البعض الآخر ولا سيما في ما لا يتفق والعقيدة المسيحية في النفس وكيانها وروحانيتها وخلودها [١] .

ولا حاجة للسير مع ابن سينا في جميع نظرياته النفسية لأن الشيء المهم لدينا هو ينبوع هذه النظريات وقد علمنا من هذه النظريات العابرة أن ابن سينا يتمشى مع أرسطو جنباً الى جنب في جميع المراحل ما عدا ما يناهض الوحي الأمر الذي يناهضه ابن سينا وينقضه ويجنح الى ما يجعلنا نتصور أنه يأخذ بنظريات أفلاطون والافلاطونية الجديدة وهو وإن كان فيه شيء من الاحتمال إلا أن الشيخ الرئيس حافظ على مبدئه الديني كمسلم يؤمن بالله وبالروحانيــة والخلود ، وإذا سلمنا أن الإسلام قد جاء بكل هذه التعاليم وأقرها بصراحة فلا حاجة لأخذها من مصدر آخر فالأفلاطونية الجديدة مع ما فيها من الروحانية والسمو المثالي نجدها في أمور كثيرة تخالف الدين أيضاً ولكنها أقل خطراً من نظريات

(١) علم النفس لابن كيفا الباب ١٢ و ١٣ .

أرسطو وقد مجد ابن سينا أفلاطون فسماه (الآلهي) بضع مرات [١] كما كان يسميه فلاسفة السريان من قبله ٠

وقد استفاض ابن سينا في بحث (الشعور) وأولاه اهتماماً عظيماً ، مما حمل بعض الباحثين على الاعتقاد أن ابن سينا هو أول فيلسوف شرقي طرق بحث الشعور ولكننا نجد الفيلسوف ابن كيفا يفرد له باباً خاصاً في كتابه ويشبعه درساً وتشريحاً [٢] قبل ابن سينا بقرن كامل ٠ وقد ألف كتابه هذا باللغة السريانية وأخذت منه أفكار كثيرة وترجمت الى العربية بعد وفاته بمدة وجيزة ولا نجزم هنا أن ابن سينا اطلع عليها مع وجود احتمال ذلك ولكننا نجزم أن ابن سينا ليس أول فيلسوف شرقي بحث الشعور كما أننا لا نقرر ان ابن كيفا هو أول من بحثه فقد نجد شتاته مبثوثاً في المؤلفات النفسية عند الفلاسفة السريان ٠

أما معارف ابن سينا النفسية فقد تخطت الأجيال الطويلة حتى وصلته بالطريقة التي وصلته فيها المعارف المنطقية سواء بسواء لأن علم النفس لأرسطو ترجم في القرن السادس الى السريانية بقلم الفيلسوف الطبيب سرجيس الراسعيني [٣] وكان سرجيس أميناً في النقل فاهماً موضوعه حق الفهم ، وهو الذي منحه قوة التعبير الصحيح عن مرامي المؤلف اليوناني ٠

ولم يتوقف الفلاسفة السريان عند الترجمة وحسب ، في علم النفس بل أخذوا يؤلفون المجلدات الضخمة في هذا العلم الجليل وأشهر أولئك الأعلام آحودامه جاثاليق الشرق (٥٧٥ +) الذي يعد مؤلفه في النفس أجود مؤلف في اللغة السريانية لأنه يدرس النفس درساً دقيقاً والانسان باعتباره عالماً صغيراً وفي تركيب الانسان من نفس وجسد ويعد آحودامه الفيلسوف مبتكراً في هذا الموضوع

(١) النجاة ص ٣٤٩ ٠

(٢) علم النفس لابن كيفا الباب ١٦ ٠

(٣) اللؤلؤ المنثور ص ١٥٧ ٠

لأننا لم نقرأ لغيره من الفلاسفة بهذا المعنى حتى القرن التاسع عشر حيث أعطانا صورته المصغرة الفيلسوف الألماني هرور بعد ثلاثة عشر قرناً وهذا لعمري شرف عظيم يوليه هذا الفيلسوف للغة السريانية خاصة وللفلسفه الشرقية عامة ؛ وفي القرن السابع وأوائل الثامن نبغ في العلوم الفلسفية يوحنا الاثاربي وصنف كتاباً جليلاً في النفس البشرية ما زالت نسخته الوحيدة موجودة [1] وقد نقلها العلامة أياونيس الداري في كتابه في النفس [2] وفي القرن التاسع نبغ الفيلسوف أياونيس الداري (٨٦٠ +) فقدم مؤلفاً جليلاً آخر في النفس ما زالت منه ثلاث نسخ قديمة في أشهر خزائن الكتب الغربية [3] على أن أعظم مؤلف في علم النفس باللغة السريانية هو موسى بن كيفا (٩٠٣) في منصرم القرن الثامن وقد اهتم السريان بهذا المؤلف النفيس فدرسه كثيرون من علمائهم وأكثروا من نسخه ونقله برون الى الألمانية سنة ١٨٩١ م .

وقد ترجم كتاب أرسطو في النفس الى العربية في هذا العهد كما أننا نعتقد أن التراجمة السريان الذين عاشوا في القرنين الثامن والتاسع نقلوا وعلقوا على هذه الكتب بالعربية حتى كونوا منها مجموعة صالحة في علم النفس أخذت تتداولها الأيدي في بغداد وغيرها فأخذ بها الفارابي ثم ابن سينا وغيرهما من فلاسفة هذه الحقبة .

وقد حفظت خلاصة المؤلفات النفسية اليونانية والسريانية في كتب العلامة الفيلسوف ابن العبري ، وانا نحوز جميعها وقد ألف هذا العالم الجليل عدة مقالات في النفس البشرية منها المقالة الثامنة من كتاب منارة الأقداس والكتاب الثامن

---

(١) خزانة بوسطن عدد ٣٩٧٣ قرن ١٣ .

(٢) بوسطن ٣٩٣٣ والفاتيكان عدد ١٠٠ وعدد ١٤٨ خطت سنة ١٢٣٤ .

(٣) الفاتيكان عدد ٤٠ والزعفرانية ١١١ والبطريركية الانطاكية بحمص وفي الموصل عدة نسخ منه .

من الموسوعة الفلسفية الكبرى (زبدة الحكم) والمقالة السادسة من كتاب (الأشعة) هذا بالسريانية ولم تزل مخطوطة . أما بالعربية فلهذا الفيلسوف رسالة ضافية في النفس أنشأها بقلمه وقد نُشرت .

وإذا تأملنا تعاليم ابن العبري النفسية نجدها خلاصة الخلاصات في ما كتب في هذا العلم الجليل من مؤلفات يونانية وسريانية واذا استمد ابن العبري بعض نظريات ابن سينا في النفس فانما عمل ذلك لتعشقه فلسفة أرسطو والشيخ الرئيس بآن واحد ، ولولا مؤلفاته لفقدنا معلومات كثيرة في هذا الباب .

فتكون الدروس النفسية عند ابن سينا إذن صادرة عن المؤلفات اليونانية والسريانية التي سبقتها بعهد طويل أخذها عن طريق التراجمة والمؤلفين الذين نبغوا بالعربية قبل عصره بمدة ولولا ضيق المقام لكان علينا أن نقابل بينه وبين الدراسات النفسية في اللغة السريانية وإن كنا قد ذكرنا بعض شذور من هذه المقابلة .

أما دراسات ابن سينا في ما وراء الطبيعة فانها تكون مزيجاً عجيباً من آراء أرسطو وأفلاطون والدين إنما الأساس من حجارة نحتتها يد أرسطو وقدمتها يد ابن سينا بناءً شامخاً بآراء أفلاطون وكل ذلك ليستظل به الدين أو بعبارة أكثر صراحة ان ابن سينا حاول التوفيق بين الفلسفة والدين بل أراد إخضاع الفلسفة لخدمة الدين وإثبات نظرياته اللاهوتية ويظهر أنه في عصر ابن سينا شاعت هذه الطريقة بين الفلاسفة وهي التوفيق بين الفلسفة والدين وإخضاع الفلسفة للتعاليم الدينية لأننا نجد فيلسوفاً مسيحياً معاصراً لابن سينا هو الحسن بن الخمار الذي كان موجوداً سنة ٩٩٧ يعالج الموضوع بنفس الطريقة التي عالجه بها ابن سينا وألف كتاباً في التوفيق بين رأي الفلاسفة والنصارى [١] وهذا ما عمله قبل هذا التاريخ أيضاً بمدة قرون كثيرون من فلاسفة الشرق الذين كتبوا

(١) الفهرست ص ٣٧٠ .

باللغة السريانية فانهم هم الذين ابتكروا هذه الطريقة في البحث اللاهوتي فاستمدها بعض الفلاسفة في عهد الترجمة والتعليق الى اللغة العربيــة وأدخلوها مؤلفاتهم اللاهوتية أمثال يحيى بن عدي وابن الخمار الآنف الذكر وغيرهما من المؤلفين فجاء ابن سينا يحتذيها ويستمدها منهم . ولكنه كان ناجحاً فيها نجاحاً عظيماً .

وابن سينا مدين بالفضل للفارابي في دراسات (ما وراء الطبيعة) فانه بعد تبحره في المنطق والطبيعيات رغب في الإلهيات فوجد طريقه شائكاً وأقبل على كتاب (ما بعد الطبيعة) لأرسطو يطالعه ويعيده زهاء أربعين مرة حتى (صار محفوظاً) ولكنه كان لا يفهمه وأوشك اليأس أن يحمله على تركه حتى عثر على كتاب (أغراض كتاب ما بعد الطبيعة) لأبي نصر الفارابي وما أجال نظره فيه حتى انفتحت عليه أغراض هذا العلم[1] .

ولا حاجة للتعليق على هــذه الحادثة الهامة فانها توضح لنا أمرين هامين الأول ان ابن سينا استمد دراساته في ما وراء الطبيعة من أرسطو وان كان قد استمد من غيره والثاني ان الفارابي أستاذه الوحيد في فهم هذا الموضوع والفارابي أيضاً بدوره استمد حل مشكلاته عن أساتذته وعن العلماء الذين سبقوه وأضاف الى تفاسيره ما استمده من اجتهاده الخاص فجاء عمله مستوفياً شروطه العلمية .

لم يكن ابن سينا فيلسوفاً جامداً ولكنه كان حر التفكير طليقاً يستمد من هذا الفيلسوف ما يفيده ثم يتركه ويذهب الى الآخر حتى يؤلف مجموعة كاملة من الفكَر الراجحة التي تعينه على إثبات نظريته فيخرج من هذا الميدان ظافراً وهذه طريقة دقيقة تحتاج الى لباقة وذكاء وكان ابن سينا موهوباً في كليهما .

واذا استعرضنا نظريات ابن سينا في ما وراء الطبيعة نجدها تأخذ مبدأها من المعلم الأول وتمر على أفلاطون وغيره من الفلاسفة الروحانيين وتنتهي عند عتبة الدين وكأني بالشيخ قد استخدم كل تلك الفلسفات لصالح الدين وإثبــات نظرياته الروحية .

(١) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ص ٣ والقفطي مطبعة السعادة ص ٢٧٠ .

والشيء الحقيقي الذي يمكن قوله في جنوح ابن سينا الى العقائد الأفلاطونية والأفلاطونية الجديدة هي تشبعه من ترجمات أرسطو نفسها الى العربية فان هذه الترجمات عندما ترجمت أولاً الى السريانية وعلق عليها معلقون وشراح من السريان دخلتها عناصر فلسفة أفلاطون والأفلاطونية الجديدة بمعرفة الشراح أو بدون معرفتهم وذلك لأن السريان جنحوا الى هاتين الفلسفتين لتشبعها بالروح الدينية والمثل الزهدية العليا وهذه أديارهم تملأها هذه الروح وكان من الطبيعي أن تتعدى الى تفاسيرهم وشروحهم لأرسطو أو لغيره من الفلاسفة اليونانيين وعندما ترجمت الترجمات السريانية في ما وراء الطبيعة والإلهيات على الأخص الى اللغة العربية احتفظت بعناصرها الجديدة التي درسها الشراح والمعلقون فاستطابها العرب بدورهم فرأيناها تظهر في نتاجهم الفلسفي ولا سيما الشيخ الرئيس واليك تفصيل ذلك ٠ فاذا أراد ابن سينا إثبات وجود الإله أخذ مبدأ براهينه من أرسطو لأنه يرى (ان المبدأ المفارق) انما هو مفارق الهيولى [1] واستناداً على دعائم قديمة يورد ابن سينا براهين كثيرة لإثبات عقيدته بوجود الإله ويرى أنه لا ينبغي التماس البرهان على وجود الإله بشيء من مخلوقاته بل إمكان ما هو موجود وما يجوز في العقل وجوده موجوداً أولا واجب الوجود وجوده عين ماهيته ٠

وهناك طريقتان لإثبات واجب الوجود الأولى خاصة بالمتكلمين وهي الاستناد الى الحدوث والثانية خاصة بالفلاسفة وهي الاستدلال على الواجب بامكان الممكنات [2] وابن سينا يختار طريقة الفلاسفة ممزوجة بقضية عدم وجود ووجود بعد عدم ويعود الى الإثبات بأن العالم (ممكن) وهو بحاجة الى علة تخرجه الى الوجود [3] وليست هذه الطريقة جديدة في إثبات (واجب الوجود) فقد رأيناها عند الفلاسفة الشرقيين منذ القرن السابع ، فان يعقوب الرهاوي الفيلسوف السرياني الكبير

(١) الإشارات ص ١٥١ ٠
(٢) النجاة ص ٣٤٧ ٠
(٣) النجاة ص ١٤٦ ٠

المتوفى ٧٠٨ م ألف كتاباً نفيساً في هذا الموضوع وسماه (بالعلة الأولى) وبرهن فيه على وجود واجب الوجود بواسطة العلية والعالم لديه (ممكن) وهو بحاجة الى علة (أولى) تخرجه من الإمكان الى الوجود وأحياناً من العدم الى الوجود [1] وانتشرت هذه الطريقة من البرهنة على وجود واجب الوجود فأخذ بها جميع الباحثين الذين جاءوا بعد هذا التاريخ وقد وجدنا بحوثاً لاهوتية بالعربية للفيلسوف يحيى بن عدي في هذا المضمار لا شك ان ابن سينا تأثر بالترجمات العربية التي وجدها بين يديه في ما وراء الطبيعية ولا سيما إثبات واجب الوجود .

وقد تناول يحيى بن عدي نظرية (الممكن) بطريقة أخرى ووضع في نقضها كتابين أحدهما (إثبات طبيعة الممكن وأقوى الحجج على ذلك والتنبه على فسادها) والثاني في كتاب (الشبهة في إبطال الممكن) [2] .

وقد علمنا أن ابن عدي نقل كتاب (ما وراء الطبيعة لأرسطو) من السريانية العربية ذكره ابن العبري في تاريخ مختصر الدول [3] والقفطي (في مادة يحيى بن عدي) .

وإذا قابلنا نظريات ابن سينا في إثبات الإله بما خلفه المؤلفون الشرقيون في هذا المضمار نصيب شيئاً من البحوث القديمة نستطيع جعلها أساساً للبحوث التي جاء بها فيلسوفنا وقد جمع الفيلسوف ابن العبري في كتاب (منارة الأقداس) خلاصة هذه النظريات ما عدا ما استنبطة من فكرته النيرة التي كانت له تعود على أسس أرسطو على وجه أخص وكذلك في كتابه (زبدة الحكم في قسم الإلهيات [4]) .

إذا عدنا مرة أخرى الى طريقتي المتكلمين والفلاسفة في إثبات واجب الوجود نجد ابن سينا في بادئ الأمر يعتنق مذهب المتكلمين مع أنه يعرض بهم

---

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٣٠٣ .
(٢) القفطي مادة يحيى بن عدي وثبت مؤلفاته في مقدمة كتابه تهذيب الأخلاق ص ١٤ .
(٣) مختصر الدول ص ٣٩ والقفطي ص ٢٣٧ .
(٤) زبدة الحكم .

وينتقدهم والأظهر أنه حاول السير على طريقه الفلاسفة في قضية (الامكان) ولكنه سقط في ما كان يخشاه فمال الى المتكلمين .

إن (واجب الوجود) عند ابن سينا واحد أحد لا كثرة في ذاته ولا تصدر عنه كثرة ولا تضاف اليه صفات إلا بطريقة السلب والايجاب خشية تعارضها مع وحدة الذات [1] وهذا الواحد لا يصدر عنه إلا الواحد وهو (العقل الأول) وهذا (العقل) يصدر الكثرة بطريقة التسلسل فبتعقله لعلته يصدر عنه (عقل ثالث) وهذا يدير (الفلك الأقصى) ثم بتعقله أيضاً لذاته تصدر عنه نفس بعقل فعله بتوسطها ثم يستمر الصدور على هذه الطريقة فكل (عقل) تصدر عنه ثلاثة أشياء (عقل ونفس وجسم [2]) .

أما الإمكان فكل شيء تحت السماء (ممكن) صادر بطريقة التسلسل عن واجب الوجود وصدوره أزلي ومحله الهيولى والهيولى إمكان مجرد أزلي لجميع الموجودات [3] وعند (الهيولى) يقف فعل العقل لأنه لا يؤثر فيها وهي مبدأ الكثرة في الجزئيات .

من أين لابن سينا هذه الآراء ؟ انها تظهر غريبة عن الإسلام والمسيحية بآن واحد على الأقل في ظاهرها اللفظي لأن (الإله) فيهما قادر على كل شيء يقول للشيء ـ مهما كان ـ كن فيكون ، وإذا بابن سينا هنا يقيده ويحصر أعماله ويقصرها على اصدار (عقل) بواسطته يستحيل كل شيء في الامكان الى وجود فعلي وبالتالي يحدث الكثرة في الكائنات الموجودة وعندنا ان ابن سينا استقى آراءه هذه عن فلاسفة المسيحية الأولين الذين بحثوا في (العقل الأول) الذي سموه أيضاً (الكلمة) وطبقوه على الكتاب المقدس (بكلمة الله خلقت السموات وبروح فيه كل جنودها) .

---

(١) صفات الواجب ـ النجاة ص ٣٦٩ و ٣٨٣ و ٤١١ ، والإشارات ص ١٤٤-١٤٧.
(٢) رسالة في معنى الزيادة ص ٤٦ .
(٣) الإشارات ص ١٥١ .

وإذا ألقينا نظرة أعمق من ذلك وهي الأخيرة نجد هذه الآراء مستمدة من المعلم الأول أخذها بعض فلاسفة المسيحية في العصور الأولى ثم انتقلت مع الترجمات الى العربية فأخذها الفلاسفة الذي كتبوا فيها وعنهم استمدها ابن سينا بثوبها الطبيعي الذي وصله عن طريق الترجمة والشروح . والآن نجد هذه الآراء وما يتبعها من صفات الله (السلبية والايجابية) مجموعة في اللغة السريانية ويضاف اليها أيضاً ما علقه ثاومسطيوس على بعض كتب أرسطو في ما وراء الطبيعة وما أنتجه من شروح للبعض الآخر وذلك في الموسوعة الفلسفية الكبرى للعلامة غريغوريوس ابن العبري في هذا الكتاب يذكر أساس هذه النظريات ويعيدها الى أرسطو وقد صرح بذلك مرات كثيرة [1] .

واذا تطرق ابن سينا الى صفات (واجب الوجود) استمدها من الصفات التي ذكرها أرسطو وأضفى عليها ثوباً من المبادئ الدينية المقررة في الوحي مشرباً بخطوط متاوجة من الأفلاطونية الجديدة وهي من محصول الشرّاح والمعلقين الأولين ثم يتطرق الى موضوع (الصفات الإلهية) ويحذر كل الحذر أن يؤثر شيء من الصفات على (الوحدة) في واجب الوجود الأمر الذي أقره المعتزلة واعتنقه الفلاسفة بعدهم أمثال الكندي والفارابي وابن سينا .

إن نظرية الصفات بثوبها السلبي والإيجابي كانت معروفة قبل المعتزلة وقبل هؤلاء الفلاسفة بوقت طويل أخذ الباحثون أصلها من أرسطو وعدلوها بطريقة توافق الديانات المنزلة ونجدها بثوبها الحقيقي عند العلاّمة ابن العبري وقد حافظت على كيان (الوحدة) في الإله الحق [2] ونقض هذا الفيلسوف نظرية أرسطو

(١) ابن العبري (زبدة الحكم) كتاب الثيولوجي (اللاهوت النظري) وهو الثاني لما وراء الطبيعة الباب ٢ الفصل ٢ النظرية ٥ والباب ٣ الفصل ٣ النظرية ٤ والباب ٤ الفصل ٥ النظرية ٢ وفيه ايضاً النظرية ٣ والباب ٤ الفصل ٧ النظرية ٤ .

(٢) النجاة ص ٤٠٩ .

(٣) ابن العبري : زبدة الحكم الثيولوجي الباب ٢ الفصل ١ النظرية ٤ .

نقضاً منطقياً [١] وتظهر على بحثه عناصر البحث الفلسفي الذي أضفاه المعلقون والفلاسفة في عصر الشرح والتعليق .

أما نظرية (العلم) في واجب الوجود فان ابن سينا شأن بقية الفلاسفة الشرقيين خالف أرسطو فيها لأن المعلم الأول كان يقول إن الإله يعقل ذاته ويعقل الكليات فقط لأن معرفته بالجزئيات يضحر بكماله الوحداني بينما يصرح ابن سينا ان الله يعقل ذاته ويعقل الكليات كما يدرك الجزئيات ولكن بصفتها الكلية [٢] وهو المسلم الذي نعلم ان الإله (لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في السموات ولا في الأرض [٣]) وفي عقيدة ابن سينا ان تصريحه يتفق مع مقررات الدين هذه) [٤] .

واذا أردنا معرفة ينبوع هذه النظرية نضع أمامنا نظرية أرسطو كأساس ثم نضيف اليها التعاليم الدينية المسيحية والاسلامية وما علقه الفلاسفة الشرقيون على أرسطو منذ القرن السادس فما بعد ولا سيما ما كتبه الفيلسوف يحيى بن عدي في (ان الله يعرف الكليات والجزئيات والفرق بين العلمين) [٥] وبعد ذلك نهتدي الى الينابيع الحقيقية لهذه النظرية ونجد خلاصة ذلك في الموسوعة الفلسفية للعلامة ابن العبري يستعرض فيها نظرية أرسطو ثم يأتي بالبراهين المنطقية على نقضها تبعاً لآراء الفلاسفة السابقين [٦] .

ويدرس ابن سينا (العناية الإلهية) ويحددها بقوله (العناية هي كون

(١) منارة الأقداس الركن ٩ الباب ٢ الفصل ٢ المقصد ٢ الرد ١ .
(٢) الشفاء مقالة ٨ الفصل ٦ ص ٥٨٩ .
(٣) قرآن كريم سورة ب الآية ٣ .
(٤) الشفاء مقالة ٦ فصل ٦ ص ٥٩١ .
(٥) القفطي في مادة يحيى بن عدي ومقدمة كتابه (الأخلاق) ص ٦ .
(٦) زبدة الحكم الثيولوجي الباب ٢ الفصل ٤ النظرية ١ .

الأول عالماً لذاته بما عليه الوجود من نظام الخير وعلة لذاته للخير والكمال بحسب الامكان وراضياً به على النحو المذكور فيعقل نظام الخير على الوجه الأبلغ في الإمكان [1]) وجمل عقيدته هو كون الإله بما أنه خير كلي أبدع كل شيء خيراً وكمالاً وجمالاً ويعتقد ان الخير طبيعي ذاتي والشر عرضي طاريء فكل وجود خير وكل عدم شر والإله يصرف عنايته على تأييد الخير ولكنه يسمح في وقوع شر قليل لإصابة خير كثير وهذا مذهب التفاؤل الذي أخذ به بعض الفلاسفة الشرقيين ومن الذين أيدوه وكتبوا في العناية الإلهية قبل زمن ابن سينا كثيرون أشهرهم يعقوب الرهاوي [2] (٧٠٨) وقرياقس التكريتي البطريرك [3] (٨١٨) وانطون التكريتي إمام الفصحاء (القرن التاسع) [4] وقد استمد ابن العبري آراءهم جميعاً في هذا الموضوع وكتب بحثاً ضافياً في (العناية) وجعل فيه الخير ايجابياً في الوجود والشر سلبياً وهو نقص الوجود أو عدمه ثم قرر أن الله يسمح في شر قليل استجلاباً للخير الكثير [5] .

— ٣ —

والطبيعيات عند ابن سينا هي نفس طبيعيات أرسطو يبدأها على غرار أرسطو بالتفريق بين المادة والصورة والعلاقة بينها وتركيب الأجسام والقوة والفعل وغير ذلك من المواضيع التي أخذ بها الفلاسفة الطبيعيون منذ عهد الترجمة والتعليق . ولم يصل الينا شيء مهم من العلم الطبيعي في الترجمات السريانية القدمى سوى بعض الفصول التي لا تغني فتيلاً ولا نعتقد الا أن طبيعيات أرسطو ترجمت الى

(١) النجاة ص ٤٤٦ .
(٢) اللؤلؤ المنثور ص ٣٠٣ .
(٣) فيه أيضاً ص ٣٣٠ .
(٤) فيه أيضاً ص ٣٣٧ .
(٥) العناية الإلهية منارة الأقداس الركن التاسع كله .

السريانية والعربية في عصر واحد وعلقت عليها الشروح أيضاً في الوقت نفسه ، ونجد أخبار هذه الترجمة والشروح عند جمال الدين القفطي ص ٢٨ — ٣١ . أما الطب عند ابن سينا فليس من موضوعنا مع العلم أن ترجمات طبية كثيرة وصلت الينا ونبغ أطباء كثيرون في الشرق نالوا شهرة واسعة أمثال سرجيس الراسعيني الفيلسوف الذي نقل طائفة من تآليف جالينوس في الطب [١] . كما نبغ غيره كثيرون في القرون الثلاثة السادس والسابع والثامن وقد كتبوا بلغتهم السريانية ثم جاء عهد الترجمة في العصر العباسي فامتلأت خزائن بغداد بالكتب الطبية من مترجمة وموضوعة وطبعاً اعتمد ابن سينا على هذا التراث الضخم وعليه بنى طبه فأعطانا (كتاب القانون) وغيره من مؤلفاته الطبية .

— ٤ —

بقي علينا شعر أرسطو عند ابن سينا لم نتطرق اليه الى الآن وان كان تابعاً للكتب المنطقية عند المعلم الأول ذلك لأن أهميته قليلة بالنسبة الى بقية العلوم التي أخذ بها الشيخ الرئيس .

إن شعر أرسطو عند ابن سينا يظهر فيه الضعف وتحيطه الركاكة وقد فقد قيمته وأضاع روعته وطبعاً لا نستطيع لوم الشيخ الرئيس في هذه الهنات لأنه أبدع في كل المواضيع التي تناولها عن المعلم الأول بواسطة ترجماتها وشروحها أما تقصيره في هذا الموضوع فلا نظن يعود اليه وان كان ابن سينا ليس شاعراً بالمعنى الصحيح .

طبعاً وصل شعر أرسطو (فويطيقي) الى ابن سينا عن طريق الترجمة ولكن هل كانت هذه الترجمة صحيحة تؤدي المعاني (للفويطيقي) ؟ ذلك لا نظنه لأن كتباً كثيرة ترجمت من اليونانية أضاع المترجمون معظم غايات المؤلف

(١) اللؤلؤ المنثور ص ٢٣٦ .

لجهلهم طرق النقل من اليونانية الى اللغة التي نقلوا اليها أو لضعفهم في إحدى اللغتين أو في كلتيهما أو في أصول ذلك العلم نفسه ·

وصلتنا ترجمة سريانية قديمة لفويطيقي أرسطو ونعتقدها خرجت من قلم خبير باللغتين اليونانية والسريانية ولا شك أن الذي ترجم كتب أرسطو المنطقية برمتها ترجم معها الفويطيقي لأن المعلم الأول وضعه كقسم قائم بذاته لمعارفه المنطقية وهو من مجهود القرن السادس يوم كانت الترجمة من السريانية الى اليونانية في أوجها بفضل الراسعيني وساويرا سابوخت وغيرهما من كبار النقلة ·

إلا أن السريان حسبما يظهر لم يعنوا كثيراً في هذا الموضوع لعدم الحاجة اليه لذلك لا نجد في تآليفهم المنطقيه شيئًا له خطورة فيه بينما أولوا عناية هامة لإلياذة هوميروس فترجمت شعراً الى السريانية واستمد منها شذوراً كثيرة أنطون التكريتي الفصيح في كتابه (الفصاحة) وذكره زهاء عشر مرات وأورد أبياتاً من الالياذة المنقولة الى السريانية[1] ·

أما الترجمة السريانية للفويطيقي فقد نقلت الى العربية مرتين الأولى بيد أبي بشر متى والثانية بيد يحيى بن عدي والراجح عندنا أن ترجمة أبي بشر هي التي وصلت ابن سينا فاقدة قوتها الأصلية لضعف عباراتها العربية وفقدانها روعتها الأصلية والدليل الواضح على ضعف متى في النقل تولي يحيى بن عدي نفسه إصلاح كثير من نقوله حسبما يخبرنا جمال الدين القفطي وهـذا واضح لدى كل متتبع ·

أما ابن سينا فباعتماده على نقل عربي ركيك من جهة وفاقد صفاته الأصلية من جهة ثانية جاءت أعماله في هذا الموضوع لا روح فيها ولا حياة ولا نستطيع اتخاذها كأثر ذي خطر علمي كبـير ولا لوم على ابن سينا فاللوم على ناقل الترجمة التي اعتمد عليها ·

---

(١) الفصاحة لأنطون التكريتي المقالة ٥ في الشعر القانون ١٢ وما بعده ·

ولدينا الآن بالسريانية قسم (المأساة) من (فويطيقي) أرسطو أورده العلامة سويريوس يعقوب البرطلي في (كتاب الديالوغ) وانك لتجد في هذا القسم روح الترجمة السريانية للمأساة وهي قسم مهم من الفوطيقي [1] فنعلم أن المترجم السرياني قام بواجبه خير قيام ولو أخذت الترجمة العربية لشعر أرسطو بهذه الدقة والروعة لما هفا بها فلاسفتنا العرب ولكن هو الإنسان . ولدينا ترجمة كاملة في (الفوطيقي) بالسريانية أوردها العلامة ابن العبري في القسم الأول من موسوعته الفلسفية (زبدة الحكم) [2] .

هذا ما استطعنا قوله في (ينابيع المعرفة عند ابن سينا) ومن كان لديه من مزيد فليزودنا والله الموفق .

(الموصل) **غريغوريوس بولس بهنام**

مطران الموصل وتوابعها للسريان الأرثوذكس

---

(١) الديالوغ المقالة ٣ – الجواب على السؤال العشرين .

(٢) زبدة الحكم المجلد الأول المقالة ٩ كلها .

الاتجاه القومي في التربية العربية

لو أن مؤرخاً أراد أن يكتب تاريخ حياتنا الحاضرة لما وجد فيها ظاهرة أدل على تطورنا من عناية الحكومات العربية المختلفة بنشر التعليم في جميع طبقات الشعب . فقد تنبه العرب في هذه الحقبة الأخيرة من الزمان لما أصابهم من ضعف فطفقوا يؤسسون المدارس ، وينشرون العلم ، ويضمون الى قديمهم ما جد من الحضارات ، ويوجهون مدنيتهم وجهة جديدة . وكلما رفع كابوس الاستعمار عن قطر من الأقطار العربية نهض أبناؤه يتلمسون وسائل المعرفة والقوة بإيمان وعزيمة ما كان يتأتى لهم تحقيقها في زمن استعبادهم . ذلك لأن ارتفاع كابوس الاستعباد يؤدي بطبيعة الحال الى تفجير القوى الكامنة في النفوس ، والى تيسير سبل المعرفة المؤدية الى رفع مستوى الشعب واستثمار أرض الوطن . فلا غرو إذا ازدادت عناية الأقطار العربية بنشر التعليم بازدياد تحررها ، ولا عجب أن يؤدي انتشار التعليم الى هذه النهضة المباركة التي نشاهدها اليوم في كل مكان .

لا أريد أن أتحدث الآن عن مبلغ انتشار التعليم في الأقطار العربية ، فهذا أمر قد تولته دوائر الإحصاء في وزارات المعارف وعملت الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية على جمعه في حوليات خاصة . ومن راجع هذه الحوليات الثقافية وجد عدد تلاميذ المدارس في العالم العربي يزداد عاماً بعد عام ، حتى لقد أصبح عددهم الآن في بعض الأقطار العربية أكبر مما كان عليه قبل نصف قرن بمائتي مرة . ولو كان الغرض الذي أقصد اليه الآن غرضاً كمياً لعرضت على القارىء جداول الإحصاء ، ولرسمت له خطوطاً بيانية تدل على سرعة انتشار التعليم ، ولكنني كما قلت آنفاً لا أريد أن أتحدث الآن عن الناحية الكمية ،

لعلي أنها لا تكشف عن جوهر التعليم ، ولاعتقادي أن الأساس في التعليم إنما هو نوعه وكيفيته لا مقداره وكميته . لذلك قصرت بحثي في هذا المقال على الناحية الروحية ، وأردت بالناحية الروحية الكلام على ماهية التعليم وحقيقته وعلى الاتجاهات الفكرية العامة المحيطة به .

إن لمعرفة هذه الاتجاهات العامة فائدة كبيرة ، لأنها تشعر القائمين على شؤون التربية بمقاصد أعمالهم وتعينهم على تنظيم الخطط والمناهج ، وتوجه سياسة التعليم توجيهاً صالحاً ، فلا ترتجل فيها الحلول ارتجالاً ، بل تنفذ وفقاً لخطة مرسومة وفكرة واضحة معلومة . أضف الى ذلك أن في البلاد العربية أنماطاً كثيرة من المدارس ، واتجاهاتها تختلف باختلاف نزعاتها ومذاهبها ، فاذا لم توجه أهدافها ، ولم تعمل على تخريج تلاميذ متجانسي العقائد ، متحدي الأفكار والعواطف ظلّ مثلنا الأعلى ممزقاً ، وشملنا شتيتاً مفرقاً ، ووحدتنا القومية مجزأة مبددة .

لذلك رأيت أن أتحدث عن اتجاهات التربية في العالم العربي ، لعلنا اذا استضأنا بنورها نستطيع أن نلم شعثنا ، ونؤلف من نزعاتنا الفردية المتفرقة روحاً كلية عامة ، فما هي اتجاهات التربية العربية ، لا بل ما هو المثل الأعلى لتربيتنا القومية ؟

لاشك أن للتربية العربية الحاضرة اتجاهات كثيرة كالاتجاه الفردي ، والاتجاه الاجتماعي ، والاتجاه الديموقراطي ، والاتجاه الوطني ، والاتجاه القومي والإنساني . ومن الصعب لا بل من المحال أن يحيط الباحث بجميع هذه الاتجاهات ، وان يوفيها حقها من البحث في مقال واحد . فلا بد لنا إذن من الاقتصار على اتجاه واحد وهو الاتجاه القومي وأثره في التربية العربية الحاضرة . وليس في هذا التحديد تضييق لنطاق البحث لأننا حينما نتكلم على الاتجاه القومي سنطلّ منه على الاتجاهات الأخرى . فما هو هذا الاتجاه القومي ، ما هي حقيقته ، وما هي غايته ؟

للجواب على هذا السؤال نقول أولاً إن الاتجاه القومي في اصطلاحنا هو اتجاه التربية الى تحقيق مبادئ القومية العربية . فما هي هذه المبادئ ، هل القومية

العربية مفهوم نظري مجرد ، أم هي حقيقة واقعية ، هل هي فكرة وأمل ، أم تجربة وعمل ، هل هي نزوع الى الماضي ، أم اتجاه الى المستقبل ، هل هي حقيقة ثابتة لا تتغير ، أم حقيقة متجددة ، هل هي إيمان عاطفي بكيان سياسي مستقل ، أم وثوق عقلي بكيان اجتماعي متكامل ، ثم ما هي العناصر التي تقوم عليها هذه القومية ، هل تقوم على وحدة اللغة والفكر ، والعقيدة ، أم تقوم على وحدة الجنس ، ووحدة المصالح الاقتصادية ، وبعبارة واحدة هل العروبة حفاظ عن مجتمع تقليدي راكد ، أم هي بعث وتجديد لمجتمع تقدمي متطور ؟

هذه أسئلة مختلفة تخطر ببال المفكر عند الكلام على القومية العربية ، فأنا لا أريد الآن أن أجيب عن كل واحد من هذه الأسئلة على حدته ، بل أريد أن أقول فيها قولاً عاماً ، وهو ان العروبة شيء من هذا كله ، فهي فكرة وعمل ، وعقيدة وأمل تجمع بين الاستمداد من الماضي والاقتباس من الحاضر والنزوع الى المستقبل ، لا بل هي حقيقة متجددة ، وإيمان عاطفي ووثوق عقلي ، وتقدمية ديموقراطية وإنسانية تقوم على وحدة اللغة والفكر ، ووحدة التاريخ والمصالح ، ووحدة المشاعر والمنازع . فالعروبة التي نؤمن بها ليست فلسفة قومية ضيقة ، ولا هي عقيدة اجتماعية مغلقة مؤلفة من الكره والبغضاء والتهديم والشر ، وإنما هي فلسفة اجتماعية مثالية ، لا بل فكرة تقدمية مؤلفة من الحب والإبداع والعدل والنظام والانتاج والخير ، من مقوماتها محبة الوطن العربي ، ومحبة الإنسانية جمعاء ، ومن سياستها العدل والانصاف داخل البلاد العربية وخارجها ، وغاية ما يرجوه العرب أن يسهموا في تقدم الحضارة ، وأن يتمموا رسالتهم التي بدأوها في الماضي ، وأن يكملوا القيم الإنسانية بما يضيفونه اليها من انتاجهم الثقافي ، إذ الإنسانية المعذبة محتاجة اليوم إلى عقل موجه يستمد مفاهيمه من عبقريات جميع الأمم لا من أمة دون أخرى . وربما كانت الأمة العربية أكثر الأمم إيماناً بالسلام العام . فكما أنها لا تريد أن تعتدي

على غيرها ، كذلك تأبى أن يعتدي غيرها عليها . ومن واجب التربية العربية في هذه الحالة أن توقظ في التلاميذ العرب الشعور بالكرامة ، وأن تعدّهم لاسترداد حقهم المغصوب في فلسطين وغيرها . وهذا حق طبيعي لا يتهم المطالب به بأية رغبة في الاعتداء ، ولا بأيّ تنكر للسلام العام . قال رئيس الجمهورية السورية : « إننا نحمل أعباء رسالة قومية في هذا العالم هي في الصميم رسالة إنسانية ، مبعثها كل ما في ضمير هـذا الشرق من أسمى مبادئ الدين القويم والخلق النبيل ، وليس في ديننا أو في أخلاقنا أو تقاليدنا إلا كل دعوة الى الخير والتسامح ، وعدم التفاضل بين الناس إلا بما يقدمون بين أيدي ربهم من حسنات . ونحن العرب نؤمن بحق تقرير المصير لجميع الشعوب الطامحة الى حياة الحرية والكرامة ، ونؤمن بأن لا سبيل الى سلام عادل في الأرض ، إلا إذا احترم الأقوياء هذا المبدأ الإنساني الرفيع . فصراعنا مع قوى الشر والبغي والعدوان أينما كان هو صراع قومي وإنساني معاً »[1] .

وقصارى القول ان فلسفة العروبة تدعو الى الاعتزاز بالماضي والعمـل على إصلاح الحاضر والتطلع الى مستقبل فيه من عناصر الحضارة أروعها ، ومن العلوم والصناعات أقواها وأرسخها ، ومن الأخلاق الفاضلة أكملها . من مبادئها أن العرب في جميع أقطارهم يؤلفون أمة واحدة ، وان هذه الوحدة تقوم على وحدة المنازع والمشاعر ، ووحدة اللغة والتاريخ والثقافة ، ووحدة المصالح الاقتصادية وغيرها . ومن مبادئها أيضاً أن العروبة فكرة تقدمية تهدف الى إنشاء مجتمع متجدد يضمّ إلى محاسن القديم ما تجدّد من الحضارات ويهيّئ لأفراده أمناً اجتماعياً وفردياً ، ويرفع مستوى حياتهم ، ويجهزهم بالعلم والصناعة ، ويقيم علاقاتهم على أساس العدل والمساواة والحرية والكرامة . فاذا شئنا أن يكون لتربيتنا الحديثة اتجاه قومي محقق وجب علينا أن نضمنها جميع هذه المبادئ ، بحيث تهيّئ لنا جيلاً جديداً

(١) من خطاب رئيس الجمهورية السورية في عيد الجلاء يوم ١٧ نيسان ١٩٥٦ .

عالماً بتاريخه معتزاً بماضيه ، مؤمناً بوحدته القومية ، مدركاً لواجباته ، مشبعاً بروح التضامن والأخوة بين جميع أبناء البلاد العربية ، مجهزاً بالمعرفة ، قادراً على استثمار ثروته الزراعية والمعدنية ، مؤمناً بالعدل الاجتماعي والحرية والكرامة الإنسانية .

وهنا نتساءل هل استطاعت التربية العربية الحاضرة أن تحقق هذا الاتجاه القومي ، أم هي لا تزال حتى الآن تخبط وتضطرب دون أن تهتدي الى أسلوب واحد يجمع شتات الأفكار والعواطف ويوحد المنازع والمشاعر ويوجه المواطن العربي الى غاية قومية واحدة . ذلك ما أريد الآن أن أستقصيه للاطلاع على ما بلغته تربيتنا القومية من تقدم نسبي في وسائلها وغاياتها .

لنستعرف أولاً ما تضمنته قوانين المعارف في بعض الدول العربية من الإشارة الى الأهداف القومية :

١ — لقد جاء في قانون المعارف السوري : «إن مهمة وزارة المعارف الأساسية هي تربية الجيل الجديد تربية صالحة من جميع الوجوه البدنية والخلقية والفكرية ، لينشأ كل فرد من أفراده قوي البدن ، حسن الخلق ، صحيح التفكير ، محباً لوطنه ، معتزاً بقوميته ، مدركاً لواجباته ، مزوداً بالمعلومات التي يحتاج اليها في حياته ، قادراً على خدمة بلاده بقواه العقلية والبدنية وبجهوده الانتاجية» ، وجاء في الدستور السوري ان التربية والتعليم حق لكل مواطن ، وان التعليم الابتدائي إلزامي ومجاني في مدارس الدولة وموحد البرامج ، وان التعليم الثانوي والمهني مجاني في مدارس الدولة ، وان التعليم الديني إلزامي في جميع المدارس لكل ديانة وفق عقائدها ، وان على الدولة أن تجعل أولية في موازنتها لنشر التعليم الابتدائي والريفي والمهني ، وتعميمه تحقيقاً للمساواة بين السوريين وإقامة للنهضة على أسس صحيحة ، وتسهيلاً لاستثمار أرض الوطن ، وإن التعليم يجب أن يهدف إلى إنشاء جيل قوي بجسمه وتفكيره ، مؤمن بالله ،

متحل بالأخلاق الفاضلة ، معتز بالتراث العربي ، مجهز بالمعرفة ، مدرك لواجباته وحقوقه ، عامل للمصلحة العامة ، مشبع بروح التضامن والأخوة بين جميع المواطنين ، وانه يجب على الدولة أن تعنى بتقوية الشخصية والحريات الأساسية ، وأن تتبنى الحركة الرياضية والكشفية والفتوة في المدارس والجمعيات والأندية ، وأن تحمي العلوم والفنون وترعى تقدمها وانتشارها وتشجع على البحوث العلمية وتحمي الآثار والأماكن الأثرية، والأشياء ذات القيمة الفنية والتاريخية والثقافية .

٢ — وجاء في قانون المعارف الأردني : « إن مهمة وزارة المعارف الأساسية هي إتاحة الفرص لتعليم الشعب وتربية شخصية المواطن وتنشئة جيل صحيح الجسم ، سليم العقيدة ، سديد التفكير ، قويم الخلق ، يدرك واجبه نحو الله والوطن ويتجه بالعمل لخير بلاده » . وفي الدستور الأردني مواد تؤيد هذه الأهداف وتتضمن مبدأين أساسيين هما القومية والديموقراطية . أما القومية فان الدستور الأردني يشير اليها بقوله إن المملكة الأردنية الهاشمية دولة عربية ، وإن الشعب الأردني جزء من الأمة العربية ، وأما الديموقراطية فتظهر في تصريح الدستور بأن الأردنيين أمام القانون سواء لا تمييز بينهم في الحقوق والواجبات فالتعليم الأردني يهدف بحسب هذه النصوص الى تربية الطفل تربية كاملة تجمع بين صحة الجسم وقوة التفكير ومتانة الخلق وسلامة العقيدة على أساس قومي ديموقراطي .

٣ — وجاء في أنظمة التعليم العراقية ان واجب وزارة المعارف تهيئة أمة صحيحة جسماً وعقلاً وخلقاً ، وأن هدَفَ التعليم نشر الثقافة العامة في الجيل الناهض ، وتنشئة جيل مزود بما تتطلبه الحياة المدنية من معلومات عامة وتفكير صحيح وجسم قوي وأخلاق متينة وروحيات سامية وذوق سليم ويد عاملة وإخلاص وتضحية في سبيل الأمة والوطن . وإن على المدرس أن يوضح الروابط الجغرافية التي جعلت البلاد العربية وحدة متماسكة الأجزاء ، وكيف جاءت كلها متحدة في اللغة والثقافة ، وان عليه أيضاً أن يعود تلاميذه الاستقلال الذاتي في البحث

والتتبع ، وأن ينمي الروح العلمية فيهم ، ويعودهم التفكير المنطقي والملاحظة والتجربة ، وأن يدعوهم الى الاهتمام باللغات الأجنبية ، وينشئهم على تحمل المسؤولية ، ويحبب اليهم المثل العليا الروحية والخلقية ، ويغرس فيهم حب الخدمة والتفاني في سبيل أبناء الشعب ، وأن يعمل على تنشيط أجسامهم وتقوية صحتهم ، وينمي فيهم الذوق الفني وجميع المواهب الخاصة التي تحبب اليهم مزاولة بعض الفنون . وجماع ذلك كله أن يعلم المدرس أنه مسؤول عن تنشئة شبان مزودين بأفضل ما يمكن أن تقدمه المدرسة من تربية وطنية وفكرية وروحية .

٤ — ومما جاء في دستور لبنان ان التعليم حر ما لم يخل بالنظام العام ، وينافي الآداب ، ويتعرض لكرامة أحد الأديان والمذاهب . وان حقوق الطوائف من جهة إنشاء مدارسها الخاصة مكفولة على أن تسير وفقاً للأنظمة العامة التي تصدرها الدولة . وفي البرامج اللبنانية إشارة الى أن الغاية المثلى من التعليم هي إعداد الإنسان الحق والمواطن البصير والعضو العامل في المجتمع إعداداً يبدو في التربية الروحية والعقلية والجسدية . أما التربية الروحية فتقوم على تبيان فكرة الإله الخالق وعلاقته بالمخلوقات وعلى احترام الشخصية الانسانية ، وعلى الأخذ بتدرج القيم الصاعد من المادة الى العقل ، وعلى ضرورة التمرس بالفضائل السامية وتفهم حقوق الإنسان وواجباته . وأما التربية العقلية فتقوم على تعويد التلميذ صحة التفكير واستقامة القياس وقوة الملاحظة ودقة الانتباه . وأما التربية الجسدية فغايتها تقوية جسم التلميذ وتنميته على أسلوب رياضي يهدف الى الصحة والجمال . والحكومة اللبنانية تريد أن تربي النشء تربية وطنية صحيحة وأن توجهه توجيهاً صريحاً نحو الحرية والعزة والاستقلال ، وأن تعزز تدريس اللغة العربية في جميع المعاهد وفي جميع فروع العلوم وهي تريد أن تجعل التعليم موافقاً لوضع لبنان ومصلحته وحاجة أبنائه من جهة ومسايراً لحركة الثقافة العالمية من جهة أخرى ، ولذلك عنيت بالتنشئة الوطنية والبدنية والتربية

الخلقية والاجتماعية وباطلاع اللبناني على منافيه التاريخية دون ما تبجح أو تزيد فيمتز بماضيه ويفهم حاضره ويحفز لمستقبله ، ثم يعرف علاقاته باخوانه في الدول العربية فيقدر مركزه منهم ويقوم بواجباته نحوهم على حب وإخلاص يعززهما قيامهم نحوه بالواجبات نفسها .

٥ — ومما جاء في مناهج مصر ان غاية التعليم الابتدائي تثقيف أبناء الشعب تثقيفاً عاماً يعدهم للحياة القومية ويوثق الصلة بينهم وبين مجتمعهم ، ويهيئهم للحياة في البيئة التي يعيشون فيها ، ويفسح لهم مجال النمو الجسمي والعقلي والخلقي ، وأن غاية التعليم الثانوي تنمية ثقافة الطالب وتقويم فكره وتدقيق حسه وتدريبه على الإسهام في الأمور الاجتماعية وتزويده بشيء من الاختصاص العام الذي يعده للدراسة العالية . والغرض الأساسي من هذا التعليم تكوين المواطن المستنير الدائب النزوع الى تحسين الواقع وتربية شخصيته تربية كاملة من الناحية العقلية والخلقية والجسمية ، بل التعليم الثانوي الذي يقتصر على تزويد الطالب بالمعلومات لا يبلغ غايته ، لذلك يجب أن تتوفر فيه عوامل أخرى تعين على تكوين شخصية الطالب ، وتسمى هذه العوامل بالنشاط المدرسي . وتهدف فلسفة التخطيط في وزارة التربية والتعليم في مصر الى تحقيق مبدأين هما : (١) العدل الاجتماعي (٢) وتكافؤ الفرص . وتحقيق هذه الفلسفة يتطلب أمرين : الأول توسيع قاعدة التعليم وتدعيمها ، والمقصود من ذلك نشر التعليم الابتدائي في جميع طبقات الشعب وتوجيهه توجيهاً تقدمياً بجعل مناهجه تدور حول موضوعات اجتماعية واقتصادية ذات صلة مباشرة بحياة التلميذ وتكوين شخصيته . والثاني تنويع التعليم الثانوي وتوجيه التلاميذ الى أنواعه بحسب استعداداتهم حتى يكشف عن الصالحين للقيادة في الميادين المهنية والاقتصادية ، والعناية بالتعليم الفني حتى يحقق أهدافه الخاصة من تكوين أيد عاملة ماهرة مدربة منتجة . ومن المبادئ التي أعلنها مجلس الثورة في الدستور الجديد أن التعليم حر في حدود القانون

والنظام العام ، وانه حق للمصريين جميعاً ، وان الدولة تهتم بنمو الشباب البدني والعقلي والخلقي ، وان التعليم في جميع مراحله مجاني في الحدود التي ينظمها القانون . وهو في المرحلة الأولى إلزامي ومجاني معاً .

٦ — ومما جاء في أنظمة الكويت ان مرحلة التعليم الابتدائي تهدف الى تعريف التلميذ ببيئته وتصوير الحياة التي تحيط به ، والعناية بتنمية الاتجاهات والميول الضرورية لتربية المواطن المستنير السليم العقل والبدن ، وايجاد أفراد قادرين على الإسهام في نصيبهم من الحياة المتطورة مع الاحتفاظ بخير ما فيها وتحسينها ، وتحقيق المساواة والقضاء على الفوارق الاجتماعية ، والاهتمام بالنواحي القومية والاجتماعية والعلمية ، والعناية باللغة العربية والدين ومرونة المناهج وارتباطها بالبيئة الطبيعية والاجتماعية وعدم التفريق بين مناهج البنين والبنات . ومن أهداف المرحلة المتوسطة تزويد الشعب بقدر مشترك من الثقافة القومية عماده إتقان اللغة العربية والإلمام بلغة أجنبية والإحاطة بتاريخ العرب وجغرافية بلادهم ومعرفة شيء من مبادئ العلوم التي تقوم عليها حضارة عصرنا ، وإتمام الكشف عن الميول والمواهب لتوجيه التلاميذ الى ما يصلحون له والعمل على تربيتهم تربية خلقية واجتماعية باشراكهم في أوجه النشاط الاجتماعي والثقافي والعناية بأجسامهم بتشجيع الرياضة البدنية والحركة الكشفية . ومن أهم ما جاء في خطة الدراسة الثانوية إبراز الناحية القومية العربية في دروس التاريخ واعتبار كل حادث من أحداث التاريخ العربي في أي قطر من أقطار العروبة حلقة مكملة لباقي الحلقات لا انفصام بينها . والغرض من ذلك أن يتضح للطالب العربي ان هذه الرقعة الفسيحة التي تعيش فيها الأمة العربية هي وطن لا يتجزأ ، وتاريخها لا يتجزأ ، كذلك الحال في دروس الجغرافية فقد عنيت بابراز مقومات الوحدة العربية وأسسها التاريخية والجغرافية .

٧ — ومما جاء في اتفاق الوحدة الثقافية المعقود بين مصر وسورية والأردن أن الدول المتعاقدة تتفق «على أن يكون هدف التربية والتعليم فيها بناء جيل عربي واع مستنير يؤمن بالله وبالوطن العربي ، ويثق بنفسه وأمته ، ويهدف للمثل العليا في السلوك الفردي والاجتماعي ، ويستمسك بمبادئ الحق والخير ، ويملك إرادة النضال المشترك وأسباب القوة والعمل الإيجابي ، متسلحاً بالعلم والخُلق لتثبيت مكانة الأمة العربية المجيدة وتأمين حقها في الحرية والأمن والحياة الكريمة» (المادة الأولى) .

٨ — وأحسن ما يتجلى هذا الاتجاه القومي في الأسس العامة التي وضعها المؤتمر الثقافي العربي الأول ، فقد جاء في هذه الأسس أن التربية الوطنية في البلدان العربية يجب أن تهدف الى ما يلي :

أولاً : إبراز الاتصال الجغرافي التام بين البلدان العربية في قارتي آسية وافريقية .

ثانياً : العناية باظهار أن هذه البلدان كانت مهداً لأقدم حضارات العالم وانها قدمت للحضارة العالمية أجل الخدمات .

ثالثاً : إبراز الاشتراك التاريخي بين هذه البلدان . ففي العصور القديمة كانت تربطها أوثق الصلات ، وكانت بعد ذلك خلال حقبة طويلة من الزمان وحدة سياسية تضمها امبراطورية عظيمة . كما ظلت في العصور الأخيرة مرتبطة بروابط قوية .

رابعاً : توكيد أن العروبة لم تكن في الماضي ولا في الحاضر مقصورة على طائفة من الطوائف أو دين من الأديان ، وان التعاون بين المواطنين العرب على تفاوت أديانهم كان قوياً في الماضي كما كان كذلك في النهضة العربية الحديثة .

خامساً : بيان أن التطور العالمي سائر نحو التكتل والاتحاد ، وان جامعة الدول العربية مظهر من مظاهر هذا التطور وليس معنى التكتل فقدان

شخصية الأجزاء المكونة له ، وانما المقصود منه أن تكون لهذه البلدان خطط مرسومة تنسق فيها جهودها لتحقيق الأهداف المشتركة .

سادساً : بيان ان الاستقلال حق طبيعي للشعوب ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب القضاء عليه .

سابعاً : توكيد ان النظام الديموقراطي الصحيح أكفل الأنظمة لضمان الحرية والعدالة والمساواة ، وإتاحة الفرص المتكافئة للجميع ، والعمل على اتخاذ الروح الديموقراطية الصحيحة عقيدة راسخة في نفوس النشء .

* * *

هذا ما رأيت أن أذكره من أهداف التربية العربية المنصوصة في النظم والقوانين . وما ذكرت منها الا القليل ، لأن الكلام على ذلك لا يمكن استقصاؤه في مقال واحد . ونظرة سريعة الى ما جاء في هذه النصوص تكفي للاطلاع على الفلسفة التربوية التي تضمنتها ، فما هي هذه الفلسفة ، هل هي فلسفة تجريبية الى فلسفة عقلية ، أم فلسفة ذرائعية نفعية . اننا لا نستطيع الآن أن نجيب عن هذا السؤال بوضوح تام ، ولكننا نستطيع أن نستنبط من القوانين والنظم بعض الأسس الفلسفية العامة التي بنيت عليها تربيتنا القومية .

الأساس الأول هو إعداد الطفل للحياة الكاملة . فان التربية في نظرنا لا تبلغ غايتها إلا إذا عملت على إعداد الإنسان الحق . وهذا الانسان الحق لا يكون كاملاً إلا كان قوي البدن ، حسن الأخلاق ، صحيح التفكير . وفي هذا الجمع بين تربية البدن وتربية العقل وتربية الأخلاق شاهد صادق على أن الانسان الكامل في نظرنا هو الذي يعتقد أن الخير في الوجود غالب على الشر ، وان سعادة الآخرة متوقفة على سعادة الدنيا ، وان للمعرفة بذاتها قيمة مطلقة ، وان هنالك بالإضافة الى القيم العقلية قيماً روحية ودينية لا يجمع الإنسان بين سعادة الدنيا وسعادة الآخرة إلا بالمحافظة عليها .

والأساس الثاني الذي نستند اليه في تربيتنا القومية هو الأساس الديموقراطي . إن للديموقراطية ثلاثة مبادئ وهي مبدأ سيادة الشعب ، ومبدأ المساواة ، ومبدأ الحرية الفردية . وهذه المبادئ الثلاثة مذكورة في أكثر دساتير البلاد العربية . فالسيادة للشعب لا يجوز لفرد أو جماعة ادعاؤها ، والمواطنون متساوون جميعاً أمام القانون في الواجبات والحقوق وفي الكرامة والمنزلة الاجتماعية ، والدولة تكفل الحرية والطمأنينة وتكافؤ الفرص لجميع المواطنين . وقد أدى تطبيق هذا المبدأ الديموقراطي الى إقرار إلزامية التعليم ومجانيته والى الأخذ بحرية التعليم والعمل على توحيد مناهجه . اننا نؤمن بالمساواة ونعتقد أن الطبيعة الإنسانية واحدة في جميع أفراد النوع البشري ، لا بل إن مبدأ المساواة بين جميع المؤمنين مقرر في التربية الإسلامية القديمة (إنما المؤمنون إخوة) ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى . والدليل على ذلك أن المعاهد التي أسسها المسلمون في الماضي لم تفرق بين الغني والفقير ، ولا بين أبناء الطبقات العالية والطبقات الفقيرة ، بل كانت معاهد مجانية يؤمها الطلاب من كل حدب وصوب ، ويجدون فيها كل عون مادي . فلا غرو إذا نادينا اليوم بمبدأ المساواة في التربية وجعلنا التعليم إلزامياً ومجانياً .

والأساس الثالث الذي نستند اليه في تربيتنا هو الأساس القومي . إننا نريد أن ننشئ جيلاً جديداً معتزاً بقوميته فلا يدرس تاريخ حضارته القديمة إلا ليستمد منها قيماً روحية تحفزه الى المستقبل وتدفعه الى استعادة مكانته بين الأمم ، ولا يدرس جغرافية البلاد العربية إلا ليطلع على عوامل الوحدة التي جعلت منها وطناً واحداً ، بل الدروس التي يتلقاها الطالب في جميع مراحل التعليم يجب أن تعمل على إيقاظ وعيه القومي ، وإشعاره بأن العربي أخو العربي أحب أم كره ، وان المصلحة القومية العليا فوق المصالح الاقليمية والطائفية ، وان القومية العربية حقيقة لا ريب فيها ، وان الاستعمار ضرب من الرق يجب

القضاء عليه ، وانه ينبغي لجميع الأقطار العربية أن تتضامن وتتعاون لتحرير البلدان العربية التي لا تزال واقعة تحت نيره ، وانه ينبغي للمجتمع العربي أن يصبح مجتمعاً متجدداً يضمن لأفراده مستوى كريماً من العيش ، ويكفل لهم أمناً اجتماعياً وفردياً ، ويحقق لهم الحرية والعدالة والمساواة . ويحررهم من الفقر والمرض والجهل ، على أساس ديموقراطي يتيح الفرص المتكافئة للجميع دون أي تمييز بين الطبقات والمذاهب .

وفي مبادئنا التربوية أسس كثيرة غير هذه كالدعوة الى الوطنية الصحيحة ، والدعوة الى الخير والانسانية والتسامح ، والدعوة الى تقديس القيم الروحية والايمان بالعلم والتقدم والتفاؤل ، والدعوة الى استثمار أرض الوطن ، وتنمية الانتاج القومي ، وتقوية الروابط الاجتماعية ، ولو مضيت أعدد ما اشتملت عليه نظمنا التربوية من مبادئ مثالية لكتبت في ذلك أوراقاً كثيرة ، فلنقتصر إذن على هذا القدر الذي ذكرناه ، ولنتساءل الآن هل استطعنا أن نحقق هذه المبادئ في تربيتنا الواقعية ، هل أنشأنا كما تقول أنظمتنا جيلاً جديداً قوياً بجسمه وتفكيره ، متحلياً بالأخلاق الفاضلة ، معتزاً بالتراث العربي ، مجهزاً بالمعرفة ، مدركاً لحقوقه وواجباته ، عاملاً للمصلحة العامة ، مشبعاً بروح التضامن والاخوة بين جميع المواطنين ؟

للجواب على هذا السؤال أقول إن التربية العربية لم تبلغ بعد غايتها بالرغم من التقدم النسبي الذي أحرزته حتى الآن ، وذلك لأسباب كثيرة منها حداثة النهضة في البلدان العربية ، واضطرارنا الى تعبئة جميع قوانا لمكافحة الاستعمار ، وعدم نمو الحياة الاقتصادية في جميع الأقطار العربية في وزن واحد من الاتساق ، وازدياد الاضطراب السياسي والاجتماعي ، وميلنا الى تقليد الحضارة الأوربية دون أن نوفق بينها وبين حاجاتنا القومية . فنحن لا نزال حتى الآن أمام مشكلات اقتصادية كثيرة ومشكلات اجتماعية وصحية كثيرة ، ومشكلات سياسية وإدارية

كثيرة ، لم نتغلب عليها لقلة تعاوننا ، وضآلة مواردنا ، وعجز وسائلنا . فلا غرو إذا ظلت تربيتنا الواقعية حتى الآن بعيدة عن الغايات السامية التي أشارت إليها نظمنا وقوانيننا ومناهجنا . ونظرة واحدة الى أوضاعنا الراهنة تكفي لإبراز ما انطوت عليه تربيتنا القومية من نقص ، وها أنا ذا أعرض على القارئ بعض هذه النقائص على سبيل المثال لعلنا إذا أدركنا أسبابها وعواملها نستطيع أن نتجنبها ونهيئ أسباب الإصلاح الذي نرجوه لأمتنا .

أولاً — ان تربيتنا القومية لم تبن على فلسفة قومية واضحة في الأذهان ولم تستمد من فكرة معينة أو غاية محددة . وانما نظمت في أدوار متعاقبة سيطر عليها التقليد حيناً وحب التجديد حيناً آخر دون أن تبنى على تجارب نفسية ودراسات اجتماعية مستمدة من تاريخنا وحاجاتنا . ان للحركات القومية في بلاد الغرب أئمة يبحثون في عناصر القومية ومميزاتها ووسائلها وغاياتها . ولبحوثهم النظرية أثر في توضيح غايات التربية وتحديد وسائلها . فاذا شئنا أن نبني جهادنا القومي على أساس واضح وجب علينا أن ننشئ لأنفسنا فلسفة قومية مستمدة من تراثنا الثقافي وحاجاتنا المتجددة ، وأن نهتدي في تربيتنا بهدي هذه الفلسفة فنوازن بين القوى الفاعلة والمنفعلة ونعمل على توجيه منازعنا الجنسية ومشاعرنا الدينية والاقليمية وآمالنا القومية الى غاية واحدة . إننا لا نستطيع أن نربي أولادنا كما كان أجدادنا يربون أولادهم في العصر العباسي أو العصر الفاطمي ، ولو فعلنا ذلك لأنشأنا جيلاً لا يصلح للحياة في القرن العشرين ، وكذلك لا نستطيع أن نربي أولادنا كما يربي البريطانيون أو الفرنسيون أو الأميركيون أولادهم . إن الزيتون لا ينبت إلا في المناطق المعتدلة واذا زرعته في منطقة باردة يبس وألقي في النار ، فالمثل الأعلى الذي يجب علينا أن ننسج على منواله في تربيتنا القومية إنما هو مثل أعلى جديد متصل بماضينا ومبني في الوقت نفسه على حاجاتنا وآمالنا ومنازعنا .

ثانياً — إن فلسفتنا القومية لا تزال حتى الآن مصطبغة بصبغة عاطفية تجعلنا نستمد تفكيرنا من القلب والعاطفة أكثر مما نستمده من العقل والنظر . وهذا الاعتماد على إلهام العواطف يجعل تفكيرنا القومي ذاتياً ، فاذا أحببنا أمراً من الأمور عددناه حقاً وديناً ، وإذا كرهناه عددناه باطلاً وكفراً ، وكثيراً ما نزن الأشياء بميزان شخصي ، فنؤخذ بالعاطفة ، ونطلق حكمنا على كل شيء حتى لو كانت الأشياء التي يشملها ذلك الحكم قليلة التشابه ، تؤثر فينا الحماسة السريعة الزوال أكثر مما يؤثر فينا الهوى العميق الثابت . ومع أننا نعلم ان المرء يساق بالغريزة الى الموت وبالعقل الى الحياة ، فإنّ سلوكنا الفردي والاجتماعي لا يزال في كثير من مواقفنا القومية مبنياً على العاطفة والغريزة . والسبب في طغيان العاطفة على سلوكنا قلة عنايتنا بالتربية العقلية المبنية على العلم والتجربة . فينشأ طلابنا أميل الى البلاغة والخطابة منهم الى المنطق والنظر . فاذا كتبوا أو تكلموا استمدوا تفكيرهم من عواطفهم ، واذا كذبتهم الحوادث تعصبوا لرأيهم ، كأنّ الوجود كله مصبوغ بعواطفهم ، وكأن العاطفة عندهم معيار الوجود ، وكثيراً ما ينكرون الحقائق ويصدقون إلهامهم ، أو يخضعون الطبيعة لتصوراتهم بدلاً من أن يخضعوا تصوراتهم للطبيعة . فمن الواجب على المربي العربي أن يعمل على مكافحة هذا الاتجاه فيعوّد طلابه تفضيل حاكم العقل على حاكم القلب ، ويبعدهم عن التعصب الفكري ، ويكسبهم روح النقد فلا يصدقون أمراً إلا إذا استطاعوا أن يؤيدوه بالحجج العقلية والدلائل البرهانية ، ولا يقدمون على أمر إلا إذا أعدوا له العدة الكافية ونظموه وخططوه على أساس عقلي .

ثالثاً — ومن خصائص اتجاهنا القومي الاعتزاز بالماضي . لقد قلنا إنّ من أهداف التعليم في البلدان العربية إنشاء جيل معتز بماضيه ، معتز بتراثه العربي . فنحن نعلم حق العلم ان أجدادنا لعبوا في تاريخ الحضارة دوراً هاماً فنقلوا علوم اليونان الى اللغة العربية ثم نقلوا هذه العلوم الى أوروبة يوم كانت

تتخبط في الظلمات . ونعلم حق العلم ان بلادنا كانت مهداً للنبوات ، وملتقى للحضارات ومقراً لامبراطورية عظيمة امتد سلطانها من أقصى الشرق الى أقصى الغرب . فلا عجب بعد هذا أن نحرص على إحياء تراثنا القديم وأن نفتخر بأجدادنا ونمجد أعمالهم ونعتزّ بهم . ولكن العجب أن نعيش في ماضينا ولا نعمل على تبديل حاضرنا . ان الافتخار بمآثر الأجداد ضروري جداً لإحياء الوعي القومي ، وإعادة الثقة بالنفس الى الجيل الجديد وحمله على الأخذ بما أخذ به السلف الصالح من عادات الايمان والصبر والإقدام والإخلاص والمروءة . ولكن اتجاهنا الى الماضي قد يبعدنا عن المستقبل ويمنعنا من مسايرة ركب الحضارة . وفرق بين أن يقف الانسان من ماضيه موقفاً سلبياً منفعلاً ، وبين أن يقف منه موقفاً إيجابياً فاعلاً . إن الموقف السلبي المنفعل لا يفجر مكامن القوة في نفوسنا بل يقتصر على إيقاظ شعورنا بمآثر أجدادنا فنظن أن ما فعلوه في الماضي كافٍ لنا في أيامنا هذه ، وأي فخر لنا إذا قلنا كان آباؤنا ، ولم نقل ها نحن أولاء ، ألا يصدق علينا في هذه الحالة قول الشاعر :

ألهى بني تغلب عن كل مكرمة قصيدة قالها عمرو بن كلثوم

لذلك كان من الواجب علينا أن نقف من حضارتنا القديمة موقفاً إيجابياً فاعلاً ، ونعني بهذا الموقف أن يكون شعورنا بمآثر أجدادنا حافزاً لنا على إكمال رسالتهم الخالدة بما نضمه الى قديمنا من جديد . فكما أنه ليس في مكنتنا أن نقطع صلتنا بماضينا . كذلك ليس في مقدورنا أن نتجاهل التطور الذي حدث في العالم وليس المعول في ذلك على إحياء الماضي ، بل المعول على الاستمداد من الماضي في سبيل إحياء الحاضر . والسبيل الى ذلك أن نضم الى هذا الماضي ما جد من الحضارات ، وأن يكون هذا الجديد الذي نضمه اليه ملائماً لمزاجنا الثقافي ولمشاعرنا ومنازعنا القومية :

وخير الناس ذو حسب قديمٍ أقام لنفسه حسباً جديداً

رابعاً — ومن صفاتنا في العمل القومي الاعتماد على الأساليب السلبية . لقد تعودنا هذه الطريقة السلبية خلال نضالنا القومي ضد الاستعمار ، لأننا كنا نرفض التعاون مع المستعمرين ونقف منهم موقفاً سلبياً ، فأدت سياسة اللاتعاون هذه الى تقلص ظل الاستعمار عن ربوعنا ، وصار البطل كل البطل من يقول للمستعمرين (لا)، والنذل كل النذل من يقول لهم (نعم) . ومع أن شاعرنا يقول :

حسن قول نعم من بعد لا وقبيح قول لا بعد نعم

فنحن لا نزال نقول (لا) في كل قضية من القضايا العامة ، والناس لم يغيروا اليوم هذا الموقف السلبي الذي تعودوه في زمن الاستعمار ، واذا غيروه بالنسبة الى مشاعرهم ومنازعهم فانهم لم يستطيعوا التغلب عليه في تنظيم الأعمال العامة التي تتطلب تعاوناً ايجابياً بين الأفراد . فظل العربي سلبياً في وطنيته ، سلبياً في قوميته ، سلبياً في تضامنه وتعاونه مع أبناء وطنه . والدليل على ذلك أن المواطن العربي لا يزال حتى الآن حريصاً على أن يختص بالشيء من دون جميع المواطنين فلا ينسبه إلا إلى نفسه ، فهو فردي في أسرته ، فردي في مهنته ، فردي في حزبه وطائفته ، فلا تذوب إرادته في الإرادة العامة ، ولا ينخرط في كتلة أو جمعية إلا إذا اعتقد أن له فيها منفعة ، ومتى تمّ انضمامه اليها حاول أن يكون مستقلاً عن المجموع . لذلك كان أول واجبات المربي العربي أن يحارب هذه الفردية السلبية ، وان يكسب طلابه روح التضامن والتعاون ، وأن يعودهم العمل الجماعي المشترك حتى يصبحوا كتلة واحدة ذات إرادة واحدة .

خامساً — إن نمو الوعي القومي في أمة من الأمم يفرض على أبنائها أن يكونوا مدركين لحقوقهم وواجباتهم معاً . فاذا أدركوا حقوقهم ولم يدركوا واجباتهم لم تكمل لهم شروط الوعي المطلوب . هل استطاعت تربيتنا الحديثة أن تنشئ جيلاً متصفاً بهذه الصفات ، اني أجيب عن هذا السؤال والألم يحز قلبي

بأن الجيل الجديد الذي تخرّج على أيدينا أميل الى المطالبة بحقوقه منه الى القيام بواجباته . فهو جيل واعٍ مدرك لحقوقه إدراكاً تاماً ، ولكن إدراكه لواجباته لا يزال ناقصاً . وهب أنه أدرك واجباته فإنّ ميله إلى القيام بها أضعف من ميله الى المطالبة بحقوقه ، فاذا سأل عن حقه ألحف ، وإذا سئل عن واجبه سوّف ، وهذا نقص عظيم لا تبلغ تربيتنا القومية غايتها إلا بتلافيه . والسبيل إلى ذلك أن نعوّد طلابنا تقديس واجباتهم وأن نمرنهم على القيام بها في نظام ومحبة وإخلاص ، فلا يفرطون في شيء مما تقتضيه المصلحة العامة ولا يضحون بحقوق غيرهم في سبيل مصالحهم الفردية بل يعملون في نظام أساسه التقدم وسبيله الإخلاص والتعاون والحب .

سادساً — ومن خصائص اتجاهنا القومي أنه لا يزال اتجاهاً نظرياً غير منطبق على الواقع النفسي والاجتماعي إننا نتكلم عن القومية والإنسانية والحرية والعدل والمساواة والديموقراطية والسلام والتقدم وغيرها دون أن يكون لهذه الألفاظ في أذهاننا مدلول واضح . إن معاني هذه الألفاظ تختلف باختلاف الزمان والمكان ، وما يسميه الغرب حريةً يعده الشرق استعباداً ، وما يسميه المستعمرون عدلاً يسميه العرب ظلماً وعدواناً ، لا شك أن لهذه الألفاظ معنى متعالياً يصدق على كل زمان ومكان ولكن مدلولها الواقعي يختلف باختلاف الأمم . فما هو معنى هذه الألفاظ عندنا . هل الحرية أن يفعل الإنسان ما يشاء ، أم أن يفعل ما تسمح به القوانين . وإذا كانت الحرية تابعة للقانون فما هي القوانين التي تضمن للعرب حق التمتع بحرياتهم الأساسية . لقد اخترنا أكثر قوانيننا عن الغرب دون أن نلائم بينها وبين منازعنا القومية ، فاذا كان مفهوم الحرية أن يفعل الإنسان ما يأمر به القانون ، وكان القانون غير ملائم لمنازع الشعب لم يكن هنالك حرية حقيقية . هذا كله يدل على أن المفاهيم السياسية والخلقية التي تضمنها اتجاهنا القومي لا تزال حتى الآن مفاهيم نظرية مستعارة بعيدة عن الواقع العربي . ومن واجب التربية العربية أن توضح هذه المفاهيم وأن تجعل الشعور العربي المحيط بها مبنياً على المزايا التاريخية والخصائص النفسية

والاجتماعية لا على التقليد الأعمى . ولا يكفي أن نقول في دساتيرنا يجب أن تهدف التربية الى تقوية الحريات الأساسية . بل يجب أن نعرّف قبل كل شيء الحريات الملائمة للمجتمع العربي المتجدد ، ما هي شروطها ، وما هي حدودها ، وما هي طبيعة القوانين المحيطة بها .

سابعاً – ومن خصائص تربيتنا القومية عدم ملاءمتها لحاجات الإنتاج ، فهي لم توجه التعليم نحو الحاجات الاقتصادية التي تجمع بين استثمار موارد الطبيعة وتنمية الصناعة وتحسين مستوى الحياة ، ولم تهيّء لنا المواطن المنتج القادر على استثمار ثروته الزراعية والمعدنية ، ان الذين يقصرون عملهم التربوي على إنماء الوعي القومي المجرد دون أن يربطوا بينه وبين نمو الانتاج لا يزالون متأخرين على زمانهم ، لأن القول باحياء الوعي القومي قد أصبح الآن من الأمور البديهية التي لا تحتاج الى برهان . ولكن الأمر الذي لم يصبح بعد بديهياً هو أن العروبة لا تتغذى بالعواطف والأحلام والآمال ، وإنما تتغذى بنمو الثقافة العقلية وتوجيه التعليم نحو الانتاج الاقتصادي ، بل التعليم الذي لا يكون عاملاً أساسياً في الانتاج القومي لا يبلغ غايته . إننا لا نزال نستعين بالخبراء الأجانب لإنعاش زراعتنا وتنمية صناعتنا ، وإنشاء مرافئنا ، واستثمار ثروتنا المعدنية وتنظيم اقتصادنا . مع أن الاستقلال السياسي الذي لا يستند إلى أساس اقتصادي ثابت إنما هو استقلال وهمي ، فاذا شئنا أن نكون أمة حية قوية وجب علينا أن نعنى بالتعليم الفني وأن نربط التربية بالانتاج القومي ، وأن نضع للتعليم تخطيطاً موافقاً لتخطيط الإنتاج ، فإن الإنتاج لا ينمو إلا إذا كان التعليم موافقاً لحاجات البلاد النفسية والاجتماعية والمادية ، وكل تعليم لا يهدف إلى تلبية حاجات الإنتاج القومي مقصر عن غايته .

ثامناً وأخيراً – من خصائص تربيتنا القومية استنادها إلى مبدأ الثقافة الصورية والتدريب الصوري ، وقوام هذا المبدأ أن القوى العقلية التي ينميها علم خاص يمكن أن تنشط نشاطاً عاماً نستطيع معه استخدامها في جميع العلوم الأخرى . كأن القوى العقلية أسلحة تشحذ بالتسنين حتى تصلح لقطع كل

شيء ، أو كأنها عضلات تنمو بالرياضة أو ضرع يقوى بالامتراء دون أن يكون بينه وبين العوامل الخارجية أي رابط حيوي أو وظيفي . فكأن واضعي المناهج يعتقدون أن كل علم ينمي ملكة خاصة ، فالحساب للتفكير ، ومبادىء العلوم للملاحظة والمحفوظات للذاكرة . فاذا أصبحت هذه الملكات قوية بالتمرين أمكن استخدامها في كل شيء . ولا يشترط في هذا التمرين أن يشعر الطالب بميل إلى موضوعه ، بل كلما كان ميله اليه أقل كانت قيمته في التثقيف الصوري أعظم . لا جرم أن في هذا النمط من التعليم رياضةً عقلية ترفع المتعلم من أفق المنفعة الضيق الى أفق التجريد الواسع . ولكن هذه الرياضة على ما فيها من جهد فكري ، لا تنفع الطالب في حياته العملية ، لأنها تطلب منه أن يعمل للعمل نفسه لا للنتائج اللازمة عنه ، ولأن العلوم التي ثقفها وبرع فيها دون أن يطبقها عملياً لا تزيده عن الحياة إلا بعداً ، وكثيراً ما نجده عاجزاً عن قياس مساحة أرضه أو حساب أرباحه أو معرفة نباتات حديقته لا لجهله بالهندسة أو الحساب أو علم النبات ، بل لبعد المسافة بين علمه النظري وحياته العمليه .

★ ★ ★

هذه بعض عيوب تربيتنا القومية ذكرتها هنا على سبيل الاختصار . واذا كان لي في نهاية هذا البحث أن أجمل ما ذكرت قلت إن التربية العربية يجب أن تهدف قبل كل شيء الى تنمية الوعي القومي في نفوس الأفراد ، ونعني بهذا الوعي القومي تنمية شخصية الفرد ، وتحريره من الفقر والمرض والهوى واللذات الرخيصة ، وتعويده الروح الانتقادية ، والتفكير المنطقي وتجهيزه بالعلم والفن ، وإشباعه من روح التضامن والتعاون ، وحمله على تفضيل المصلحة العامة على المصلحة الفردية ، ودعوته الى الإسهام الايجابي في كل عمل وطني ، وإشعاره بكيانه ومنزلته وكرامته ، وإيقاظ شعوره بالقومية العربية ، وبوحدة العرب في جميع أقطارهم ، وتنمية ثقافته العقلية ، وتعويده الاغتباط بالعمل وأداء الواجب والإقدام والاعتماد على النفس والكد لمصلحة المجموع . ولا يكفي لتحقيق ذلك أن تكتب الدساتير وتوضع القوانين والمناهج وتؤلف الكتب وتنظم الامتحانات

وتمنح الشهادات ، فقد يتم هذا كله على أحسن وجه دون أن يؤدي الى تثقيف أبناء الشعب تثقيفاً حقيقياً ، وأي خير يرجى من أهداف قومية تكتب في الدساتير والقوانين ولا تطبق بالفعل ، لا بل أي نفع يؤمل من تعليم مدرسي لا يهيئ المواطن المنتج ، فقد ترتقي النظم التربوية ولا ترتقي الثقافة ، وقد تكون الثقافة راقية في أمة من الأمم دون أن تكون مناهجها المدرسية كاملة ، وكذلك الوعي القومي قد يكون شديداً في نفوس الأفراد دون أن يكون في القوانين والدساتير أية اشارة واضحة اليه . ومن واجب الحكومات العربية أن لا تقتصر في احياء الوعي القومي على التعليم في المدارس ، وانما يجب عليها أن تعمل على نشره واحيائه بتنظيم الثقافة الشعبية وتوجيه الصحافة والإذاعة ، والإشراف على الحياة الرياضية والكشفية والثقافية والفنية في الجمعيات والأندية . والمعول في ذلك كله على المعلم الذي ينفذ لا على المناهج الخرساء التي تخطط وترسم . ومتى صلح المعلم صلح كل شيء ، ومتى فسد فسد كل شيء . بل المعلم الصالح هو نقطة الارتكاز في كل اصلاح تربوي ، ومن شرط المعلم أن يكون محبا لتلاميذه ، مؤمناً برسالته القومية . ومن كان معلماً ولم يكن مؤمناً برسالته كان ضرره أشد من نفعه . وأعتقد أن الوسيلة الوحيدة لإحياء الوعي القومي واصلاح التربية العربية هي الإكثار من دور المعلمين والمعلمات ، التي تخرج قادة التربية ، وللمعلمة العربية في هذا البعث القومي واجب أبلغ من واجب المعلم . لقد انتصرت ألمانيا كما قال بسمارك بمعلميها ومعلماتها لا بضباطها وجنودها ، ولولا الإيمان القومي الذي نشره المعلمون والمعلمات في العالم العربي الحديث لما تحررنا من نير الاستعمار . وما قام به هؤلاء القادة حتى الآن من جهد في الميدان القومي يقوي أملنا بأن هلال القومية العربية الذي ولد في النصف الأول من القرن العشرين سيصبح في النصف الثاني منه بدراً كاملاً .

جميل صليبا

مرسوم مملوكي شريف

بمخالفة عقيدة ابن تيمية

نعتقد أن كتابة التاريخ الإسلامي ، في مختلف وجوهه ، ينبغي أن تقوم بعد اليوم على الوثائق والأسناد الرسمية أكثر من اعتمادها على أقوال المؤرخين وحدهم . وذلك على نحو ما تجري كتابة التاريخ في الغرب . لأن هذه الوثائق أدعى الى الاطمئنان ، وأصدق في التصوير ، وأبعد عن الاضطراب أو الاختلاق في سرد الحوادث الذي نجده في كتب المؤرخين . وقد دعونا مرات الى العناية بهذه الوثائق على اختلاف أنواعها ، وجمعها ، ونشرها ، واتخاذها أساساً لدراساتنا عن التاريخ الإسلامي .

وقد عثرنا على أربعة مراسيم مملوكية شريفة ، من القرن الثامن والقرن التاسع ، أصدرها سلاطين مصر بمخالفة عقيدة شيخ الإسلام تقي الدين بن تيمية [1] ، وردع أتباعه عنها . وهذه المراسيم على جانب كبير من الشأن لأنهـا تبين رأي الدولة في عقيدة الشيخ ، في فترات مختلفة ، أثناء حياته وبعد مماته . فنحن نعلم أن حياة الشيخ كانت نضالاً مستمراً لم يهدأ ، لبث مذهبه والدعوة اليه . فقد أثار ما تكلّم به في ذات الله ووصفه ، وأنه يتكلم بالحرف والصوت ، وما ذكره عن التجسيم والاستواء والعلو والجهة والحيز وغير ذلك ، وما أفتى به

(١) عن ابن تيمية انظر المصادر التي ذكرناها في مقدمتنا لرسالة ابن قيم الجوزية عن « أسماء مؤلفات ابن تيمية » (دمشق ١٩٥٣) ص ٣ . وما تزال دراسات هنري لاوست H. Laoust أوسع وأحسن ما كتب عن شيخ الإسلام . وإذا استثنينا دراسة الأستاذ « أبوزهرة » عن « ابن تيمية » فغالب ما كُتب عنه بالعربية جمل بأسلوب خطابي عاطفي بعيد عن النهج العلمي ، سواء كان معه أو عليه .

في مسألة الطلاق ، وزيارة القبور ، أثار جمهور القضاة والعلماء والفقهاء ممن كانوا لا يرون رأيه ولا يذهبون مذهبه . وكان هذا النضال يثير الناس بعضهم على بعض . فتستيقظ الفتنة ويقع الشغب ، وكان يشتدّ أحياناً فيؤدي بالشيخ الى السجن ، أو يعرّض أصحابه للتشهير والتعزير والإهانة ، أو يؤلّب عليه الأمراء ، أو ينتهي إلى غضب السلاطين عليه وإصدارهم مراسيم كثيرة بمنعه من الفتيا ، أو مخالفة عقيدته ، وإلزام أتباعه ، خاصة الحنابلة ، بالرجوع عن مذهبه .

ونحن نقدّم هنا أحد هذه المراسيم التي عثرنا عليها [1] ، ـ وكلها لم تنشر بعد ـ . نقدّمه لأنه يتعلّق بعالم كبير من علماء دمشق ، وبناحية من تاريخ مدينتنا دمشق ، ولأنه يبيّن ما فعلته عقيدة الشيخ في المجتمع الإسلامي ، في مصر والشام ، من تنبيه الناس أو إثارتهم ، حتى اضطرت الدولة الى منعها وإصدار المراسيم بمخالفتها .

وقد وجدنا نصه في مخطوط تاريخي نادر ألّفه ابن أيبك الدواداري ، وكان معاصراً للشيخ ، وضمّنه أموراً دقيقة كثيرة شاهدها بنفسه أو سمعها من أقرانه .

* * *

صدر هذا المرسوم في سنة ٧٠٥ هـ/١٣٠٥ م ، عن السلطان الناصر محمد ابن قلاوون في سلطنته الثانية [2] . وكان نائب الشام يومئذ الأمير جمال الأفرم [3] ، وقاضي قضاة الشافعية فيها نجم الدين بن صَصْرى [4] .

(١) وسننشر الثلاثة الأخرى تباعاً .
(٢) انظر النجوم الزاهرة ، سنة ٦٩٨ هـ ؛ ٨ : ١١٥ .
(٣) انظر أمراء دمشق في الإسلام للصفدي (تحقيقنا) ص ١١ و ٢١٨ (مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٥) .
(٤) انظر قضاة دمشق لابن طولون (تحقيقنا) ص ٨٤ (مطبوعات المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٦) .

وقد كان نتيجة للثورة الثانية التي ثارها العلماء على الشيخ بعد صدور عقيدته الواسطية [١] . فقد تكلَّم فيها على استواء الله على العرش وغير ذلك . فأقام العلماء والفقهاء ، وجرت أمور كثيرة نوجزها فيما يلي :

تكلّم أحد أصحاب الشيخ بما ذكره في عقيدته . فعزّره ابن صَصرى وحبسه . فلم يرض ابن تيمية بحكم القاضي فجمع أصحابه ودخل الحبس وأخرج صاحبه .

فغضب ابن صصرى ، ووجد فرصة لامتحان ابن تيمية في عقيدته . فعقد له ولصاحبه الذي أخرجه مجلساً ليناقشه . ونوقش الشيخ في عدة مجالس . ويذكر الدواداري [٢] الذي كان معاصراً للشيخ ، والمقريزي [٣] ، وابن حجر [٤] أن الشيخ كتب بخطه وأشهد على نفسه أنه شافعي المذهب ، يعتقد ما يعتقده الإمام الشافعي ، وأنه أشعريُّ الاعتقاد . أي أن الشيخ رجع عن رأيه . فمعروف أن الشافعي والأشاعرة لا يقولون قول الشيخ في عقيدته الواسطية بشأن تفسير الاستواء وغيره .

لكن البرزالي يقول إن المجلس انتهى بقبول العقيدة [٥] ، بل يذهب ابن رجب « انه وقع الاتفاق على أن هذه عقيدة سنية سلفية » [٦] ويضيف البرزالي أنه بلغه أن العامة حملوا للشيخ عند عودته الى منزله من المناقشة الشمع من باب النصر الى القصّاعين [٧] .

---

(١) ثار الناس من قبل في سنة ٦٩٨ ﻫ بسبب الفتوى الحموية . لكن هذه الثورة مضت بسلام . انظر ابن حجر ، الدرر ١ : ١٤٥ .
(٢) في الدر الفاخر (مخطوطة أحمد الثالث) ورقة ١١٥ .
(٣) في السلوك . الجزء الثاني – القسم الأول ، ص ١٨ .
(٤) في الدرر الكامنة ١ : ١٤٥ .
(٥) ابن كثير ، البداية ١٤ : ٣٧ نقلاً عن البرزالي .
(٦) ابن رجب ، ذيل طبقات الحنابلة ٢ : ٣٩٦ (طبعة حامد الفقي) .
(٧) ابن كثير : البداية ١٤ : ٣٧ . عن مكان باب النصر والقصاعين انظر : مخطط دمشق القديمة ، لنا .

وأشاع أنصار الشيخ أنّ الشيخ قد انتصر ، وغضب خصومه فتربثوا ثم رفعوا الى نائب القاضي الشافعي أن أحد أصحاب الشيخ تكلم بما لا يوافقهم ؛ فعزّر . وتلا ذلك أن قرأ المزّي فصلاً من كتاب أفعال العباد للبخاري بالردّ على الجهمية . فأمر القاضي بحبسه ، فتوجّه ابن تيمية الى السجن وأخرج المزّي . وكان المزّي رفيقاً للشيخ عزيزاً عنده [1] . ثم اجتمع بابن صصرى القاضي عند نائب السلطنة فتشاجرا . واشتطّ ابن تيمية على القاضي [2] .

وجرت إثر ذلك أمور كثيرة ، فقد أراد نائب السلطنة «إخماد الفتنة» فرسم بطلب من كثر كلامه من أنصار الشيخ وخصومه وأمر باعتقاله . ونودي في البلد بمرسوم سلطاني : من تكلّم بالعقائد حلّ ماله ودمه ، ونهبت داره ، وهتكت عياله .

وعزل ابن صصرى نفسه عن القضاء في مجلس جديد عُقد بالميدان الأخضر لبحث العقيدة [3] .

كل ذلك يجري في دمشق ، وقد كتب نائب السلطان الى مصر بهذه الأمور .

وكان للشيخ في مصر خصوم كثار في الأمراء والقضاة والفقهاء والعوام . منهم قاضي قضاة المالكية علي بن مخلوف [4] ، والفقيه الشافعي شمس الدين محمد بن عدلان [5] ، والأمير ركن الدين بيبرس الجاشنكير [6] وكان هذا

(١) انظر عن رفقة ابن تيمية المزي والبرزالي والذهبي ، مقدمتنا للجزء الأول من سير النبلاء ص ١٩ (مطبوعات معهد المخطوطات العربية ودار المعارف بمصر ، القاهرة ١٩٥٧) .

(٢) الدواداري ، ورقة ١١٦ ؛ ابن حجر ، الدرر ١ : ١٤٦ .

(٣) الدواداري ، ورقة ١١٦ .

(٤) توفي سنة ٧١٨ هـ . انظر النجوم الزاهرة ٩ : ٢٤٢ .

(٥) توفي سنة ٧٤٩ هـ . انظر النجوم ٨ : ٢٦٢ .

(٦) هو الذي تسلطن سنة ٧٠٩ هـ . انظر النجوم ٨ : ٢٣٢ .

من أنصار الشيخ نصر المنبجي . وهو فقيه متصوف كان معتزلاً عن الناس ، يتردّد اليه الأكابر والأعيان . وكان يتغالى في محبة ابن عربي [1] . وكان ابن تيمية يطعن على ابن عربي ويلعنه ويكفّره فعاتبه الشيخ نصر فازداد ابن تيمية طعناً ، وصنَّف كتاب النصوص على الفصوص فأرسله اليه . فأغرى المنبجي الأمير بيبرس الجاشنكير به . ووافقه القاضي المالكي ابن مخلوف وقال : ان ابن تيمية يقول بالتجسيم . وعندنا من اعتقد هذا الاعتقاد كفر ووجب قتله [2] . فاجتمع هؤلاء وغيرهم على تحريض الأمراء على الشيخ . فصدر أمر سلطاني بأن يُحمل الشيخ ابن تيمية ، مع أخيه شرف الدين ، والقاضي ابن صصرى ، والوجيه ابن المنجا الى القاهرة .

لقد اجتمعت أسباب كثيرة أدّت الى هذا . فتمرُّد ابن تيميـة على أحكام القاضي ، والاشتطاط عليه ، ثم دخوله السجن وإخراجه المحبوسين من أصحابه بغير علم نائب السلطان ولا موافقة القاضي ، ثم عقيدته في التجسيم الـتي قالوا «إنه أفسد بها عقول جماعة كبيرة من أهل الشام» ، ثم طعنه على ابن عربي وتكفيره ولعنه ، كل أولئك عمل على الحطّ عليه وإحضاره الى القاهرة .

ولما وصل الشيخ الى مصر ، عقد له مجلس بقلعة الجبل حضره الأمراء ، والقضاة الأربعة ، وعدد من الفقهاء .

فادّعى الفقيه الشافعيّ ابن عدلان دعوى شرعية على الشيخ عند القاضي المالكي ابن مخلوف أنه يقول : إن الله فوق العرش حقيقة بذاته ، وان الله يتكلم بحرف وصوت .

---

(١) توفي المنبجي سنة ٧١٩ هـ . قال عنه الذهبي « جلستُ مع الشيخ نصر بزاويته وأعجبني سمته وعبادته . قل أن ترى العيون مثله . » انظر الدرر الكامنـة ٤ : ٣٩٢ ؛ والنجوم الزاهرة ٩ : ٢٤٤ .

(٢) الدواداري ، ورقة ١٢٣ .

فقام ابن تيمية وأراد أن يتكلم فتلجلج . ثم عاد فأراد أن يخطب ويذكر الله ويشرح عقيدته .

فصاح القاضي المالكي : نحن أحضرناك للدعوى عليك ، ما أحضرناك خطيباً !

وقال الحاضرون : ياشيخ - أو يافقيه - ! إن الذي يقوله معلوم ، ولا حاجة للإطالة . أنت قد ادّعى عليك هذا القاضي بدعوى شرعية . أجب عنها .

فأعاد القولَ في التحميد ، ثم قال :

— عند مَنْ هذه الدعوى ؟

فقالوا : عند القاضي زين الدين المالكي .

فقال : عدوي - أو خصمي - ، وعدو مذهبي . كيف يحكم فيّ ؟

فكرّروا عليه القول فلم يزدهم على ذلك شيئاً .

عندئذ حكم القاضي المالكي باعتقاله الى أن يرد جوابه على الدعوى .

فقال الشيخ : ﴿ ربِّ ! السجنُ أحبُّ إليّ مما يدعونني اليه ﴾ (١) وأُخرج من المجلس واعتُقل (٢) .

* * *

وانتهى المجلس بأمور أربعة :

أ - امتحن القاضي الحنفي والقاضي الحنبلي بمصر في عقيدتهما . فتكلّم بدر الدين بن جماعة في مسائل من القرآن ، وبشيء من عقيدة الشافعي .

وقيل للحنفي : ما تقولُ في ذلك ؟

فقال : كذا أعتقد .

---

(١) سورة يوسف ، ١٢ ، الآية ٣٣ . قال ذلك يوسف لما راودته امرأة العزيز عن نفسه فأبى .

(٢) الدواداري ورقة ١١٩ .

وسُئل الحنبلي فتلجلج . فلقنه ابن جماعة ما ينبغي أن يقوله فقال مثل قوله .

٢ — خلع على النجم بن صَصْرى وأعيد الى دمشق مع تقليد بقضاء القضاة الشافعية ، وقضاء العسكر ، ونظر الأوقاف ، مع زيادة المعلوم .

٣ — أرسل مرسوم سلطاني ، وهو الذي سنقدمه ، بمخالفة عقيدة الشيخ ابن تيمية ، وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة . والتهديد بالعزل والسجن . فنودي بذلك في أسواق دمشق . وقرئ بسدّة الجامع الأموي بعد صلاة الجمعة . قرأه محمد بن الشهاب محمود الموقع . ثم جمعوا الحنابلة من الصالحية وغيرها ، وأشهدوا على أنفسهم أنهم على معتقد الإمام الشافعي . وهو قوله :

« آمنتُ بالله وما جاء عن الله من أمر الله . وآمنتُ برسولِ الله وما جاء عن رسولِ الله عن مراد رسول الله » .

٤ — نودي بمثل ذلك في مصر . وجرى للحنابلة إهانة عظيمة ، وألزموهم بالرجوع عن عقيدة الشيخ وأن يقولوا :

« إن القرآن العظيم هو المعنى القائم بالنفس ، وإن ما في الصحف عبارة عنه ، وإن ما في الصحف موجود ومحفوظ في الصدور ومقر بالألسنة مخلوق . وإن القديم هو القائم بالنفس » .

وألزموا بنفي مسألة العلو والتصريح بذلك ، وأن جميع ما ورد من أحاديث الصفات لا يجري على ظاهره بوجه من الوجوه [1] .

فتلك هي الأسباب التي دعت إلى إصدار المرسوم ، وفي هذه الأسباب تبدو لنا صفحات من النضال في سبيل العقيدة ، في دمشق والقاهرة في القرن الثامن الهجري .

أما نص المرسوم فهو :

(١) الدواداري ، ورقة ١٢٤ . وقد فصّل في هذا الأمر وذكر ما لم يذكره غيره .

نسخة المرسوم الذي وصل
فيما يتعلّق بمخالفة عقيدة الشيخ تقي الدين بن التيميّة
وإلزام الناس بذلك خصوصاً الحنابلة

(مخطوطة الدرر الفاخرة للدواداري . أحمد الثالث ٢٩٣٢)

(ورقة ١٢٠ — ١٢٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي تنزّه عن الشبيه والنظير ، وتعالى عن المثيل ، ﴿ ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير ﴾ [1] .

نحمده على أن ألهمنا العمل بالسنة والكتاب . ورفع في أيامنا أسباب الشك والارتياب .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة مَنْ يرجو بإخلاصه حسن العقبى والمصير .

وننزّه الخالقَ عن التحيّز [2] في جهة لقوله تعالى ﴿ وهو معكم أينما كنتم . والله بما تعملون بصير ﴾ [3] .

ونشهد أنّ محمداً عبده ورسوله الذي نَهَجَ سُبُل النجاة لمن سلك طريق مرضاته . وأمر بالتفكّر في آلاء الله ونهى عن التفكّر في ذاته .

---

(١) سورة الشورى ، ٤٢ ، الآية ١١ .

(٢) ص « التحييز » .

(٣) سورة الحديد ، ٥٧ ، الآية ٤ .

صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين علا بهم منارُ الإيمان وارتفع . وشيّد الله بهم قواعد الدين الحنيفيّ ما شرع ، وأخمد بهم كلمة مَنْ حاد عن الحق ومال الى البدع .

* * *

وبعدُ فإنّ العقائد الشرعية ، وقواعد الإسلام المرعيّة ، وأركان الإسلام العلية ، ومذاهب الدين المعينة (كذا) هي الأساسُ الذي يبنى الإيمانُ عليه ، والمؤمّلُ الذي يرجع كلُّ أحدٍ اليه ، والطريقُ التي مَنْ سلكها فقد فاز فوزاً عظيما ، ومَنْ زاغ عنها فقد استوجب عذاباً أليما . فلهذا يجب أن تنفّذ أحكامُها ويوكّد زمامُها ، وتُصانَ عقائدُ هذه الأمة عن الاختلاف ، وتُزانَ قواعدُ الأئمة بالائتلاف ، ويخمد تواتر البدع ، ويفرق من ما جمع .

وكان التقيُّ بن التيمية في هذه المدة قد سلط لسانَ قلمه ، ومدَّ عنان كَلِمه ، وتحدّثَ في مسائل الذات والصفات ، ونصّ في كلامه على أمورٍ مُنْكَرَات ، وتكلّم فيما سكتَ عنه الصحابةُ والتابعون ، وفاه بما يخفيه السلفُ الصالحون ، وأتى في ذلك بما أنكره أئمة الإسلام وانعقدَ على خلافه إجماعُ العلماء والحكّام ، وشُهِر من فتاويه في البلادِ ما استخفَّ به عقولَ العوام ، نخالف في ذلك علماءَ عصره ، وأئمةَ شامه ومصره ، وبعثَ رسائلَه إلى كلّ مكان ، وسمّى فتاويه أسماءَ ما أنزل الله بها من سلطان . (ورقة ١٢٠)

ولما اتصل بنا ذلك ، وما سلك مويّدوه من هذه المسالك ، وأظهروه من هذه الأحوال وأشاعوه ، وعلمنا أنه استخفّ قومه فأطاعوه ، حتى اتصل بنا أنّهم صرّحوا في حقّ الله بالحرفِ والصوتِ والتجسيم ، قمنا في الله تعالى مستعظمين لهذا النبأ العظيم . فأنكرنا هذه البدعة ، وأنفنا أن نسمعَ عن من تضمه ممالكنا هذه السمعة . وكرهنا ما فاه به المبطلون وتلونا قوله ﴿ سبحانه وتعالى

عما يصفون ﴾[1] . فإنه جلّ جلالُه تنزّه عن العديل[2] والنظير ﴿ لا تدْرِكه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ﴾[3] .

وتقدّمت مراسيمنا باستدعاء التقيّ بن التيمية المذكور الى أبوابنا عندما شاعت فتاويه شاماً ومصرا . وصرّح فيها بألفاظ ماسمعها ذو[4] فَهْمٍ إلاّ وتلا ﴿ لقد جئتَ شيئًا نُكرا ﴾[5] .

ولما وصل الينا تجمّع أولو الحلّ والعقد ، وذوو[6] التحقيق والنقد ، وحضر قُضاة الإسلام ، وحكّام الأنام ، وعلماء الدين ، وفقهاء المسلمين ، وعُقد له مجلسُ شرع ، في ملأٍ من الأئمة والجمع ، فثبت عند ذلك عليه ، جميعُ ما نُسب اليه ، بمقتضى خطٍّ يده ، الدالّ على معتقده ، وانفصل ذلك الجمع وهم لعقيدته منكرون ، وواخذوه بما شهد به قلمه عليه و ﴿ ستُكتَبُ شهادتهم ويسئلونَ ﴾[7] .

وبلغنا أنه كان استُتِيبَ فيما تقدّم ، وأخّره الشرعُ الشريف لما تعرض الى ذلك وأقدم . ثم عاد بعد ردعه ومنعه ، ولم تدخل تلك النواهي في سمعه .

فلما ثبت ذلك في مجلس الحكم العزيز المالكي ، حكم الشرع الشريفُ بأن يُسجن هذا المذكور ، ويُمنع من التصرّف والظهور .

ومرسومُنا هذا يأمرُ بأن لا يسلك أحدٌ ما سلكه المذكور من هذه المسالك ، ويُنهى عن التشبه به في اعتقادِ مثلِ ذلك ؛ أو يغدو له في هذا القول متّبِعاً ، أو لهذه الألفاظ مستمِعاً ، أو يسري في التجسم مسراه ، أو أن يفوه بجهة العلو

(١) سورة الأنعام ٦ ، الآية ١٠٠ .
(٢) ص « التعديل » .
(٣) سورة الأنعام ٦ ، الآية ١٠٣ .
(٤) ص « ذوو » .
(٥) سورة الكهف ١٨ ، من الآية ٧٤ .
(٦) ص « ذوي » .
(٧) سورة الزخرف ، ٤٣ ، الآية ١٩ .

تخصيصاً كما فاه ، أو يتحدث (ورقة ١٢١) إنسان في صوتٍ أو حرف ، أو يوسّع القولَ في ذاتٍ أو وصف ، أو يُطلق لسانه بتجسيم ، أو يحيد عن طريق الحق المستقيم ، أو يخرج عن رأي الأئمة ، أو ينفرد عن علماء الأئمة ، أو يحيّز الله في جهة ، أو يتعرّض الى حيث وكيف ، فليس لمن يعتقدُ هذا المجموع عندنا غير السيف .

فليقفْ كلُّ أحدٍ عند هذا الحدّ ، فللّه الأمرُ من قبلُ ومن بعد . وليُلْزَم (١) كلٌّ من الحنابلة بالرجوع عما أنكره الأئمة من هذه العقيدة ، والخروجِ من هذه المشتبهات الشديدة ، ولزومِ ما أمر الله به من التمسّكِ بمذاهب أهلِ الإيمان الحميدة ، فإنّه من خرج عن أمر الله تعالى فقد ضلّ سواء السبيل ، وليس له منّا غير السجن الطويل من مقيل .

ومتى أصرّوا على الامتناع ، وأبوا إلاّ الدفاع ، فليس لهم عندنا حكمٌ ولا قضاء ولا إمامة ، ولا نَسْنَحُ لهم في بلادنا بشهادة ولا منصب ولا إقامة ، ونأمر بإسقاطهم من مراتبهم ، وإخراجهم من مناصبهم . وقد حذّرنا وأعذرنا ، وأنصفنا حيث أنذرنا .

فليُقرأ مرسومنا هذا على المنابر ، ليكون أعظم زاجر وأعدل ناهٍ وآمر . وليبلّغ الغائبَ الحاضر .

والخط الشريف أعلاه حجة بمقتضاه .

(القاهرة) صلاح الدين المنجد

(١) ص « فليزم » .

ما سمعت وما رأيت
في بلاد السوفيت
- ٥ -

الى لنينغراد :

غادرنا موسكو في الساعة ٢٣و٥٥ من مساء السبت ١٣ تشرين الثاني من محطة لنينغراد (Leningradsky) وهي من أقدم محطات العاصمة السوفيتية مضى على تشييدها أكثر من مئة عام مستقلين القطار المعروف بالسهم الأحمر (the Red Arrow) وهو قطار فخم توفرت فيه أسباب الراحة نظير أمثاله من قطر الغرب ، ولركاب الدرجة الأولى غرف ذات سريرين يعلو الواحد الآخر ومغسلة فيها ماء جارٍ حار وبارد وخزانة للثياب ومذياع متصل بالإذاعة العامة يفتح ويغلق متى شاء الراكب والتدفئة فيها جيدة . ولا ما ينتقد فيه إلا صوت العجلات المزعج ، وسرعة سيره متوسطة فقد قطع المسافة ما بين موسكو ولنينغراد وقدرها ٦٥٠ كيلومتراً بعشر ساعات لم نلاحظ توقفه خلالها سوى أربع مرات ، ولم نستطع تبين أسماء المحطات ، ولاح لنا نور الفجر من خلال الستارة المسدلة على النافذة في منتصف الساعة السابعة صباحاً ، ولم نرَ من هذه الطريق ومن خلال الستارة المسدلة سوى بعض الأحراج الكثيفة والمستنقعات . وتوقف القطار أخيراً في الساعة ١٠و٤٠ .

ولقد ألفينا في استقبالنا في المحطة بعض أعضاء مجمع العلوم وبينهم عقيلة المستشرق الراحل كراتشوفسكي وأحد الأطباء المشرفين على معهد باولوف في لنينغراد وقد رزته إبان إقامتي في المدينة . وأقلتنا الى المدينة سيارتان وحللنا في فندق أستوريا (Astoria) وهو من فنادق الدرجة الأولى .

برنامج الزيارة في لنينغراد :

لم نبلغ برنامجاً لإقامتنا في هذه المدينة ، إلا أن الزيارات التي تمت خلال إقامتنا فيها كانت كما يلي :

الأحد ١٤ تشرين الثاني	الساعة ٢٫٠٠	متحف الصومعة
	الساعة ٢٠٫٠٠	أوبرا (خطيبه القيصر)
الاثنين ١٥/ ١١	الساعة ١٠٫٠٠	زيارة معالم المدينة
	الساعة ١٢٫٠٠	المعهد الشرقي ومعهد باولوف (خاص)
	الساعة ١٦٫٠٠	متحف لوموسوف ومتحف الأقوام
	الساعة ٢٠٫٣٠	سنفونيا
الثلاثاء ١٦/ ١١	الساعة ١٠٫٠٠	مرصد بولكوف
	الساعة ١٢٫١٠	مصرف الدم (خاص)
	الساعة ١٥٫١٥	مكتبة المجمع العلمي
	الساعة ١٦٫٣٠	معهد الآداب الروسية
	الساعة ١٩٫٥٠	أوبرا (حسناء الغابة الهاجعة)
الأربعاء ١٧/ ١١	الساعة ١٠٫٣٠	زيارة المقبرة وضريح كراتشوفسكي
	الساعة ١١٫٣٠	مكتبة سالتيكوف
	الساعة ١٢٫٣٠	متحف الحيوانات
	الساعة ١٤٫١٠	عيادة طبية (خاصة)
	الساعة ١٩٫٥٠	أوبرا (فاوست)
الخميس ١٨/ ١١	الساعة ٨٫٣٠	ضاحية سمولني
	الساعة ١٠٫١٥	معمل الأحذية
	الساعة ١٢٫٠٠	الدارعة الفجر
	الساعة ١٢٫٢٠	المعهد الشرقي
	الساعة ١٤٫٠٠	قصر الطلاب
	الساعة ٢٣٫٠٠	العودة الى موسكو

وعلى ذلك فقد كان البرنامج مثقلاً جداً لم يترك لنا فيه وقت للراحة . وأتيح لي في هذه الأيام الخمسة التي قضيتها في لنينغراد زيارة بعض المؤسسات الطبية التي سيأتي وصفها في مقال خاص .

مدينة لنينغراد :

تعد لنينغراد (Leningrad) المدينة الثانية في بلاد الاتحاد السوفيتي ، وكانت عاصمة القياصرة حتى ١٨ آذار ١٩١٨ أسسها بطرس الأكبر(١)

(١) ولد بطرس الأكبر في موسكو سنة ١٦٧٢ ومات في بطرسبورغ سنة ١٧٢٥ وهو الابن الثالث للقيصر (Alexis Mitholovitsk) تولى الملك بعد أن نشأ في الريف الذي أقصته إليه أخته صوفيا الوصية على عرش أخيه ايفان ، ومارس حياة التقشف وعُني بالفروسية ، إذ عاد وهو في السابعة عشرة من عمره الى موسكو مستعيناً بجنود الميليشيا (Strelitz) مقصياً أخته عن وصايتها وباعثاً بها الى الدير حيث قضت نحبها فيه ، أما أخوه فلم يسمع له ذكر .
ويعد بطرس الأكبر باعث النهضة الأولى في تلك البلاد التي كانت متأخرة جداً في مضمار المدنية الحديثة ، واليه يُعزى الفضل في إدخال التجدد وتكوين الجيش والأسطول . فقد استخدم المهندسين الغربيين مستعيناً بخبرتهم ، وشد عصا الترحال الى أوروبة عدة مرات باحثاً ومتعلماً حتى أتقن عدة صناعات سيأتي ذكرها في وصف المتحف الخاص بآثاره ، ويروى أنه كثيراً ما شوهد بثياب العمال يشتغل في إنشاء السفن البحرية ، ولما ثار على حكومته رجال الميليشيا الذين كان لهم كبير النفوذ في البلاد وكان آنذاك في احدى رحلاته قطع رحلته عائداً الى موسكو فأنزل بهم العقاب الصارم بلا رحمة ولا شفقة ، وشرع إثر ذلك في تكوين الجيش النظامي على غرار النظم المتبعة في أوروبة ، وحرر المرأة من القيود التي كانت ترسف فيها ، وألزم طبقة الأشراف بالانخراط في خدمة الدولة ، ولما رأى الكنيسة تبدي تمنعاً في ادخال هذه الاصلاحات ألغى البطريركية وأناط السلطة الدينية بالمجمع المقدس .
وبعد أن استتبت الشؤون الداخلية وأوجد الجيش النظامي ، التفت الى منتصي بعض أجزاء البلاد في الشمال والجنوب ، فافتتح منفذاً بحرياً لبلاده في بحر البالطيك على مصب نهر نيفا (Neva) في خليج فنلندا حيث أنشأ أولاً حصناً منيعاً يعرف بحصن بطرس وبولس (Fortress of Peter and Paul) على أحد ضفتي نهر نيفا وأصبح سجناً رهيباً فيما بعد أزهقت فيه النفوس وقضي فيه على كل من سولت له نفسه أن يثور على حكم القياصرة ، وفيه كتب غوركي (Gorky) الفاجعة (drama) الشهيرة بأبناء الشمس (Children of the sun) مثّل فيها ما ينتاب نزلاء السجن من هواجس أحسن تمثيل ، وقد ألغي هذا السجن بعد ١٩٢٢ . وبعد هذه النواة تتابع البنيان وولدت للوجود مدينة بطرسبورغ .

(Peter the Great) سنة ١٧٠٣ ودعيت بطرسبورغ (Petresbourg) (حصن بطرس) حتى سنة ١٩١٥ حيث بدل اسم المدينة بـ بطروغراد باعتبار الاسم الأول ألماني التركيب وظلت تعرف بهذا الاسم حتى سنة ١٩٢٤ ، إذ استبدل الاسم ثانية بلنينغراد (Leningrad) تخليداً لذكرى لينين الزعيم السوفيتي الأول [1] إثر وفاته في التاريخ المذكور .

ولم يراع عند اختيار الموقع لتأسيس المدينة حسن المناخ بل اكتفى بطرس الأكبر بأنها منفذ صالح ليطل منه على عالم الغرب ضارباً عرض الحائط بكثرة المستنقعات التي كانت تملأ تلك الأرجاء على أن دلتا نهر نيفا منفذ قديم للتبادل التجاري البحري مع جميع أنحاء المعمورة . وان شدة التبخر المنبعث من المستنقعات تجعل جو هذه البقعة شديد الرطوبة ، ويستمر الشتاء فيها من شهر تشرين الثاني حتى نيسان وتجمد المياه في نهر نيفا (Neva) ستة أشهر .

ورافق تشييد البنيان صعوبات جمة وتوفي ألوف من العمال في تركيز الدعائم

(١) وهو (Vladmir Ilych Ulyanov) قطب الشيوعية الأول ومؤسس اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية ، ولد سنة ١٨٧٠ في مدينة (Simbirsk) (وتعرف الآن باسم Ulyanovok) ومات في غوركي (Gorky) قرب موسكو سنة ١٩٢٤ . الفم منذ نعومة أظفاره الى المنظمات الثورية ، واشتدت نقمته على الحكم القائم منذ أن أعدم أخوه الأكبر لاشتراكه في مؤامرة ضد اسكندر الثالث . طرد بسبب نشاطه الهدام من جامعة قازان ونفي الى سيبريا ثلاث سنوات ، واستقر به المقام أخيراً في جنيف ثم في فنلاندا وباريز حيث قام بالدعاوة القوية ضد الحكم القيصري . وعاد الى روسيا في نيسان سنة ١٩١٧ برضى السلطة الألمانية مقاوماً حكومة (KerensKi) الموقتة وبعد محاولة خائبة (في تموز) استطـاع في تشرين الثاني قلب تلك الحكومة واستلام مقاليد الحكم ، وعقد مع الألمان معاهدة (Brest Litovesk) سنة ١٩١٨ ، وصفت له الأمور بعد أن قضى على الثورة الداخلية التي كانت تغذيها حكومات الغرب ، وطبق النظام الشيوعي الذي دعا اليه (Karl Marx) واضطر الى تعديل خططه سنة ١٩٢٠ مدخلاً بعض التحوير على ذلك النظام وساعياً الى قيام ثورة شيوعية عالمية .

في المستنقعات حتى قيل إن هذه المدينة بنيت على أكداس من عظام البشر . وتمتاز الآن بشوارعها الفسيحة والمستقيمة وساحاتها الواسعة على ضفتي نهر نيفا وهو يخترقها من الجنوب الشرقي الى الشمال الغربي ، وله فيها عدة روافد وقنوات مما يجعل المدينة كأنها قائمة على عدة جزر توصل بينها الجسور الكثيرة ودعيت من أجل ذلك ببندقية الشمال .

طفنا في أرجاء المدينة في اليوم التالي لوصولنا اليها ، وكان أول يوم يهطل الثلج فيه مما جعلنا لا نتبين معالم المدينة ، رافقتنا في الزيارة دليلة خاصة كانت تتكلم بالروسية وتقوم بالترجمة الى الفرنسية مترجمتنا السيدة ناديا ، ورافقنا بسيارة أخرى مصور خاص أرسلته مصلحة اينتوريست لالتقاط الصور لنا إبان هذه الزيارة .

فما سمعناه عن هذه المدينة العظيمة أنها حديثة النشأة لا يتجاوز عمرها ٢٥٠ سنة عندما بنى بطرس الأكبر حصنه المشهور والذي انقلب الى سجن رهيب واتخذ الآن متحفاً . والمباني التي تليه كلها متاحف أو معاهد للتعليم وأشهرها مبنى البحرية الذي يعد في طليعة المباني مظهراً واتساعاً .

وإن الفوارق الكبيرة بين الطبقات التي تقطن هذه المدينة من طبقة عمال كادحين تلقى ألوان الهوان والعذاب وطبقة أرستقراطية تعيش في غاية الترف قد جعلت مدينة لينينغراد مصدراً للثورة والانتفاض على رجال الحكم عدة مرات ، وإن أول إضراب حدث فيها كان عام ١٧٤٩ بين عمال النسيج وشاركهم طلاب الجامعة وكان سبباً للفتك بهؤلاء وأولئك وزجهم في غياهب السجن . وقامت ثورة كبيرة سنة ١٩٠٥ باءت بالإخفاق وأعدم من أجلها الكثير ونفي عدد كبير الى مجاهل سيبريا .

وقصت علينا دليلتنا ما عانته هذه المدينة من هول خلال الحرب الأخيرة إذ ظلت محاصرة ٩٠٠ يوم (من ١٩٤٣ — ١٩٤٥) وكانت مقاومتهـا للجيش الألماني مضرب الأمثال في البطولة ، ولاقى سكانها بين جوع مرهق وبرد قارس

وحرمان من كل شيء ما لا يوصف ، وأهل المدينة فخورون جداً بأنهم مع ذلك كله لم يمكنوا أيّ ألماني أن يطأ بقدميه أرضها . وعلى ذلك فقد قصفت بالمدافع الثقيلة آناء الليل وأطراف النهار حتى تهدم معظم مبانيها ولم يبق في المدينة كلها لوح واحد من الزجاج سالماً . وما إن ألقت الحرب أوزارها والمدينة على ما هي من خراب قدّر الألمان أن إعادتها الى سابق عهدها يستغرق مدة لا تقل عن ٢٥ سنة . وتضيف دليلتنا الى ما تقدم فها هي تعود الى ما كانت عليه بعد خمس سنوات . وضربت لنا مثلاً عن إسراع الشعب الى تشييد البناء أن مدرسة تتألف من أربع طبقات انتهى بناؤها في ٢٨ يوماً . وجاز البنيان الحديث حدود المدينة السالفة الى أطرافها وأصبحت خلواً من أي بناء قديم على عكس ما هي الحال فيه في موسكو . وذكرت الحرمان الذي تعرض له السكان المحاصَرون ان نظام التقنين الذي فرض عليهم لم يكن ليسمح للفرد الواحد بأكثر من ١٢٥ غراماً من الخبز في اليوم .

ولقد درج القوم على تخليد ذكرى انتصارهم بأن ينشئوا الحدائق ويغرسوا أشجارها بأيديهم ، وإن من جملة ما شيد لهذا الشأن حديقة تبلغ مساحتها ١٣٠ هكتاراً فيها ستة تماثيل لأبطال أبلوا بلاء حسناً إبان المقاومة والحصار فاستحقوا شكر الشعب وشرف إقامة تلك التماثيل لهم وهم أحياء . وجرى احتفال فخم لهذه المناسبة حضره أصحاب التماثيل وذووهم وأنسباؤهم مما لم يسبق له مثيل في تاريخ البلاد .

وفي المدينة حديقة أخرى تضم رفاة من قتلوا في إحدى معارك الثورة الداخليـة انتفاضاً على الطغيان . وفي لينينغراد تمت الثورة التي أطاحت بعرش القياصرة ، وتم تسلم السلطة من الحكومة الموقتة من قبل لينين وأتباعه في احدى القاعات الرخامية الخضر (مالاشيت) .

ورأينا أثناء تجولنا في أرجاء المدينة كنائس يجدد بناؤها ، منها كنيسة تعرف باسم اسحق كانت قريبة من فندق استوريا ، ويجدد البناء لها لا لأجل إقامة شعائر الدين بل لاتخاذها متاحف . وراعنا ما رأيناه من تمثال كبير لبطرس الأكبر كتب تحته بطرس الأول كاترينا الثانية ، وهو يمثل الرجل العظيم ممتطياً صهوة جواده الذي لا يستند الى قاعدة التمثال إلا بقائمتيه الخلفيتين ، وقد روت لنا الدليلة أن نزاعاً قد ذر قرنه بين الكنيسة وبين بنت القيصر التي كانت تقطن القصر المقابل للكنيسة ، ووجه النزاع هل يوجه ذنب الجواد شطر الكنيسة أم شطر القصر ، ولما رجحت كفة رجال الدين اضطرت الأميرة إلى مغادرة القصر واختارت سواه مقراً لها .

وإن من أشهر شوارع المدينة (Mevsky Prospect) الذي يشبهه الأجانب بشارع الإيطاليين (Boulevard des Italiens) في باريز ، ويمتاز بسعته وبالمباني الجميلة الرائعة في جانبيه ، وساحة القصر (Dvotsovaya Ploshochad) من أكبر ساحات المدينة وأجملها يطل عليها قصر الشتاء الذي سيأتي ذكره ويتوسطها تمثال الملاك ذي جناحين يحمل صليباً فوق عمود لا يقل ارتفاعه عن خمسين متراً . ولكاترينا الثانية تمثال كبير أمام تياترو بوشكين (Pushkin theatre) مما لم نستطع أن نتبينه بسبب رداءة الجو وهطول الثلج .

ولليالي الصيف في لينغراد روعة خاصة وتعرف بالليالي البيض (White Nights) في شهري حزيران وتموز حيث يسفر الشفق حتى يستطيع القارئ أن يقرأ في الخلاء بغير مصباح ، مما يجعل لهذه المدينة روّاداً يقصدونها في الصيف ، فضلاً عمن يقصدها في أشهر الشتاء ناعماً بها بأنواع الرياضة الشتوية .

ومما ذكر لنا عن هذه المدينة أنه كان فيها بعد الحرب متحف جمع فيه كل ما أمكن جمعه مما يمثل ويلات الحرب وأهوالها ، وما عاشت فيه المدينة خلالها من بؤس وعوز ، حتى كان الزائر كثيراً ما يغشى عليه من عظم ما يراه

فاضطرت الحكومة الى إغلاقه . وإن ما أبدته لنينغراد من ضروب البسالة وضراوة الكفاح إبان الحرب والعدو المغير على بضعة كيلومترات منها قد أنعم عليها من أجل ذلك بالوسام الأكبر للينين وقد رأيناه منقوشاً فوق دار بلديتها .

ويغلب على سكان هذه المدينة المرح أكثر من سكان موسكو وهم بالجملة متجانسون شقر البشرة قلّ أن تجد بينهم ما تجده في موسكو من السكان الآسيويين . ويقدر عدد السكان بـ ٣و٥ مليون وكان في إحصاء ١٩٣٩ (٣و٢٧٠٠٠٠٠) .

وإن مما رأيته في أثناء تجوالي في المدينة جامعاً ذا قبة شاهقة ومئذنتين جميلتين وواجهة من القاشاني البديع كتب فوق بابه بخط جميل (إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) ثم (حافظوا على الصلوات) . وكان بابه الرئيسي يسدّه الثلج سألت عنه فقيل انه قيد التصليح وحاولت الدخول اليه من أحد أبوابه الجانبية فاذا بالباب يفتح وسيارة شحن ضخمة تخرج منه تحمل صناديق رأيت مثيلاتها في صحنه مما يدل على اتخاذ القوم إياه مستودعاً .

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

كتاب النفس

لابن باجّة الأندلُسي (*)

- ٢ -

(ورقة ١٣٨ ب) ومن كلامه (= ابن باجّة) رضي الله عنه

في النفس

بسم الله الرحمن الرحيم

والله الموفق والمُعين

< الفصل الأول في النفس >

الأجسام منها طبيعية ومنها صناعية (١) . فالصناعية كالكرسي والسرير ، فهذه لا توجد إلا عن إرادة (٢) . والطبيعية كالحجر والنخلة والفرس ، وهذه كلها

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص (٩٦ - ١١١) من هذه المجلدة .

(١) قارن ابن باجة ؛ المجموعة ، بودليانا ، ورقة ١٨٧ الف : « قال أرسطو ان الموجودات منها ماهي بالطبيعة ، ومنها من قبل أسباب أخر عدة ، أولاها من قبل الطبيعة . . . . وقوله ما وجودها بأسباب أخر ، ولم يقل (المهنة) ، لأن من الأجسام ماهي موجودة بالمهنة وتلك مشهورة ، ومنها ماهي موجودة عن أصناف الحيوان وغير الناطق ، وبيّن أن قواها ليس مهناً فان قيل لها مهن فبالاستعارة كالعسل والشمع الموجودين عن النحل » . وانظر . . . . . Aristotle : Physics III. 192 b 8 ؛ الفارابي : إحصاء العلوم ص ٤٥ ، ميدريد ، وأيضاً فصول المدني (مخطوطة بودليانا Hunt 307) ، ورقة ٩٢ ب : الأجسام منها صناعية ومنها طبيعية ، والصناعية مثل السرير والسيف والزجاج وأشباه ذلك ، والطبيعية مثل الإنسان وسائر الحيوانات ؛ ابن رشد ؛ رسائل ، حيدر آباد ، ١٩٤٧ ، ص ١٢ .

(٢) الأجسام الصناعية ليس فيها قوة الحركة أو السكون طبعاً ، ابن باجة (ورقة ٩٢ الف) ... فان السرير لايتحرك بما هو سرير أصلا ، ولا أيضاً يتحرك الخشب بقوة فيه إلى أن يصير سريراً ولا يتحرك بقوة يفيده إياها السرير إلى أن يكون سريراً ولا يتحرك الخشب أيضاً بقوة يفيده إياها شيء آخر بل إنما يتحرك مادام المحرك له موجوداً وهو متناهٍ وهذا المحرك هو صناعة وليست بطبيعة .
قارن أرسطو : Phys. II. i. 192 b 15 — 25 .

كائنة وفاسدة [١] .

وقد بيّن أرسطو في الكتب التي كتبها في الأمور العامية [٢] الأمور الطبيعية أن هذه كلها مؤلفة من صورة [٣] ومادة [٤] على ما هي عليه الأجسام الصناعية . وإن نسبة التامك [٥] في الذهب الى مادة الذهب كنسبة شكل الكرسي إلى الخشب . والمادة إما أن تكون غير مصورة بالذات على ما تبيّن في الأولى (ورقة ١٣٩ ألف) من السماع الطبيعي [٦] فالمكوّن منها جسم بسيط ، والأجسام

---

(١) قارن ابن باجة : ورقة ٦ ب : « الأجسام الطبيعية إما أن تكون كلها كاينة فاسدة على ما تشاهد في كل محسة » ؛ وأرسطو : Phys. II. i. 192 b 9 — 14

(٢) لفظ « العامية » يوجد في كتب الفارابي : (مسائل متفرقة ، حيدر آباد ص ٦ ، Al - Farabi's Philosophische Abhandlungen. 87 نشر ديتريصي (Dieterici) : سئل عن الأشياء العامية ، وفي تراجم حنين بن اسحاق (كتاب طياؤس ص ١٩ : الآلام العامية ، نشر بال كراوس (Paul Kraus) ووالسر (R. Walzer) تحت عنوان (Galeni Compendium Tiamaei Platonis) واستعمله ابن باجة في مواضع : ورقة ١٨٧ ب : وهـذه هي الأمور العامية على الاطلاق للطبيعة ، ورقة ١٦٩ الف : وأما العامية فهي ؛ أما الكندي (راجع رسالة الكندي الفلسفية ، نشر ابي ريده ص ٣٨٢) وابن سينا (الشفا : مخطوطة بودليانا Pocock 125 ، ورقة ٢٣ الف ٣) ، وابن رشد (السماع ، حيدر آباد ، ص ٥ و ١٢) يكتبون « العامة » .

(٣) المخطوطة : صور .

(٤) ابن باجة ورقة ٥ ب ، السماع : ولما شرع في هذا الفحص من النظر وجد رسومها (الطبيعة) قريب المأخذ من العلوم المتعارفة ، ووجد العلم بوجودها في الثلاثة التي هي المادة ، والصورة والفاعل بينا . . . . . أما في الأجسام الصناعية فظاهر ، وأما في الطبيعية ففي بعضها يظهر نحواً مّا من الظهور وفي بعضها يخفى كل الخفاء ؛ وأرسطو: Phys. I. 7. 190 b 20

(٥) النص بنفسه ورقة ١٥٣ الف .

(٦) واستدل ابن باجة قائلاً (ورقة ٧ الف) : فإنا متي وضعنا المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة إلى مادة وصورة ويمر ذلك إلى غير نهاية . . . وهذا إيضاً شنيع بل محال فتنتهي ضرورة إلى مادة غير ذات صورة : قارن أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 8

البسيطة [1] على ما تبين في مواضع أخر أربعة : وهي الأرض والماء والهواء والنار . فاما أن تكون المادة ذات صورة فلا يمكن أن تكون بهذه الصفة مادة لجسم طبيعي [2] غير الأربعة دون أن تختلط بها مادة أخرى . لأن الموجود البسيط اذا تغيّر ، فانه يتغير إما في صورته ، فيكون عنه موجود آخر بسيط مقابل له كالماء ، فإنه يكون عنه الهواء [3] والأرض ، وإمّا أن يتغير في لواحقه [4] فيكون ذلك استحالة لا تكوّنا . فمتى كان الموجود البسيط مُزمعا [5] أن يكون عنه موجود مركب لزم ضرورة أن يختلط به غير واحد . وكذلك يكون من الأجسام الصناعية ما يكون عن موجود واحد مصور لأن أنواع الصناعة لواحق الأجسام الطبيعية إلا أنها لا يقبلها ذلك الموضوع إلاّ من الصانع [6] .

(١) قارن أرسطو De Caelo III. 1. 298 a 29 .

(٢) « وبجسم طبيعي » ، أراد ابن باجة جسماً مركباً من صورة ومادة ، السماع ورقة ٨ الف : . . . بوجوده الجسم الطبيعي ، ووجوده يتم بوجود المادة والصورة ، وكل واحد منها طبيعة . . . . . . فالطبيعة أخلق بالصورة من المادة ، إلا أنها لما لم تكن دون المادة لم توجد بالفعل ، فالمادة معاضدة لها ، فالمادة أيضاً طبيعة ، والمجتمع منها هو الجسم الطبيعي ؛ وأرسطو يدعو الاسطقسات الأربعة الأجسام الطبيعية الاولية : Phys. IV. 1. 208 b 8 .

(٣) المخطوطة : هواء .

(٤) يفرق ابن باجة بين التغير في صورة الجسم الذي يسميه « التكون » (انظر النص) وبين التغير في الصفات ويدعوه « استحالة » (السماع ورقة ١٦ ب : والحركة في الكيف يقال لها استحالة ، وأيضاً النص . . . .) . وقد فصّل في « الكون والفساد » (ورقة ٨٠ ب) بان تكون استحالة أم لا قائلاً : « وبالجلة فمن جعل الموجود واحداً فهو يرى ضرورة أن التكون استحالة . . . . وأما من جعل الموجود أكثر من واحد بالنوع . . . . فهو يضع بالضرورة أن التكون غير الاستحالة » .

(٥) راجع أرسطو : Arist. Phys. i. 7. 190 b 18 .

(٦) هذا مبني على ما قاله أرسطو : « For the helmsman knows and prescribes what sort of form a helm should have, the other form what wood should be made and by means of what operations. In the products of art, however, we make the material with a view to the function, whereas in the products fonature the matter is there all along » . (Phys. ii. 2. 194 b 5)

والأجسام الصناعية منها ما يقبله بأمور تكون كلها موجودة عن الصناعة صرفاً كالكرسي ، فإن الخشب يقبل الصورة عن الصناعة ، وآلاته أيضاً صناعية . ومنها ما يكون المحرك [1] الأوّل <فيه> الصناعة [2] وتكون آلاته [3] أجساماً طبيعية كالزجاج ، فانه لا يتم وجوده إلاّ بحرارة النار والنار جسم طبيعي . وهذه أصناف : بعضها يكون جميع آلات الصناعة <فيها> أموراً موجودة لا عن إرادة ، وبعضها تكون آلاتها بعضها طبيعية وبعضها صناعية . لكن ما كان آلاته [4] طبيعية فما الجهة التي يكون بها صناعية ؟

فأقول : إن المحرّك منه بالعرَض ومنه بالذات [5] ، فقد يحرك بنفسه وقد يحرّك

---

(١) المخطوطة : المتحرك .

(٢) وقد بيّن ابن باجة : (السماع ، ورقة ٣٢ ب) والمحرك الأول يقال على أنحاء : أحدها المحرك الذي يحرك لا بأن يتحرك كالثلج ، يبرد الاناء لا بأنه يتبرد فان الثلج يبرد الإناء والإناء يبرد الماء ، والإناء يبرد ويتبرد معاً والثلج يبرد ولا يتبرد ، وقد يقال على ما يحرك وهو لا يتحـــرك ولا يمكن فيه أن يتحرك إلاّ بالعرض ، وقد يقال على ما يحرّك ولا يتحرك لا بالذات ولا بالعرض . فظاهر أن القول الأول حدّ لانه بين الوجود ، وأما الثاني فانه أيضاً يتبين أنه معنى موجود فان الصناعة تحرك ولا تتحرك ولا يمكن أن تتحرك إلا بالعرض .

(٣) المخطوطة : آلته .

(٤) المخطوطة : آلته .

(٥) هذا التقسيم « للمحرك »مأخوذ من قول أرسطو (راجع Phys. VIII. 5. 256 a 6) ، وابن باجة يذكره مرة بعد أخرى : ورقة ٥٦ ب : « ومنها (من المتوسطات من المحرك) بالذات كاليد التي تحرك المكاز ، ومنها بالعرض فان الأبيض يحرك المكاز . وما بالذات فهي ضرورة متناهية كما بين ذلك في السابعة من هذا الكتاب (السماع الطبيعي) . والمحرك الأول هو الأبعـــد ، فان الأبعد يحرك منفرداً بنفسه ، وأما المتوسطات فكلها إنما تحرك بالأبعد فالأبعد ، والأبعد هو المحرك الأول » . ورقة ٤٨ الف : إن المحرك والمتحرك بعضها بطريق العرض . . . . الحركة بذاتها . ورقة ٥٠ الف : والمحرك ينفصل بتقابل يخصه وهو أن يحرك بنفسه . . . . وقد يحرك بغيره .

راجع أرسطو : De Gen. i. 7. 324 a 30 sq.

بتوسط شيء آخر إمّا واحد وإمّا أكثر من واحد ، وهذه الوسائط هي آلات أو كالآلات للمحرك . وأما الصناعة فإنها لا تحرك بذاتها بل تحرّك بآلات [١] . وما يتحرك عن محرّك بهذه الصفة فله أكثر من محرك واحد فيكون له محرك أخير وهو الشيء الذي يلي المتحرك [٢] كالقدوم للخشبة ومنه أو هو الصناعة [٣] . والأخير على ما تبيّن لا يحرك دون الأول ، فأما الأول فإنه يحرك دون الأخير ، فإن الحركة إنما توجد في حين وجودها بحضور تحريك المحرّك الأول . فالمحرّك الأول فاعل للحركة وإليه تنسب [٤] كما تبين في الثامنة .

وكل متحرك يكون المحرك الأول فيه طبيعة فهو طبيعي ، وكل ما يكون المحرّك الأول فيه صناعة فهو صناعيّ [٥] كيف كانت آلاته .

وامّا ان الصناعة قد تتغير فذلك بالعرَض أو بالقصد الثاني ، وقد تبيّن كيف يكون ذلك في الثانية [٦] من السماع [٧] .

(١) راجع السماع ورقة ٥٠ الف : إن كل ما ليس بذي نفس فليس محركاً بل هو متحرك منفعل ، وإنما هو محرك باقتران المحرك به .

(٢) السماع ورق ٣٦ الف : وقد ثبت في أقاويلنا في الكون والفساد البرهان على أن الفاعل يلي المنفعل ويماسه . ويمثل ذلك بعينه يمكنه أن يبين أن المحرك يلي المتحرك والذي نريد هنا أن المحرك القريب عندما يبتديء بالحركة يلي المتحرك . راجع الكون . ورقة ٨١ ب : فالمحرك اذا حرك المتحرك فقد ماس هذا المحرك بطبيعة ذلك المتحرك والمتحرك ممسوس . وورقة ٨٢ ب : إن كل متحرك فهو يتلو محركه الأقرب ضرورة . . . . فالمتحرك والمحرك يتماسان . قارن أرسطو : Phys. VII. 2. 243 a 3

(٣) راجع التعليق ٢ . ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ الف .

(٤) راجع السماع ، ورقة ٨٠ الف : فان الإنسان يحرك اليد واليد العكاز ، والعكاز يحرك الحجر ، والمحرك الاول هو الإنسان وإليه ينسب الفعل في الحقيقة وهو المستحق الذم والمدح والعقاب والثواب . قارن أرسطو : Phys. VIII 5. 256 a 9 .

(٥) راجع أرسطو : Aristo. Phys. VIII. 4. 254 b 14; II. 1. 193 a 29 .

(٦) المخطوطة : الثامنة .

(٧) إن الصناعة كما ذكر (النص ، ص ٢ سطر ١٢) لا تحرك بذاتها بل بآلاتها ، ويبين ابن باجة معنى « القصد الثاني » قائلاً : (ورقة ٩ الف) « فان إنساناً اذا قصد إنساناً ليحاربه فقد قصد ليحارب من يعاونه لكن بالقصد الثاني لا بالأول » والصناعة توجب التغير وتكمل ما تركتـه الطبيعة ناقصاً . قارن أرسطو : Phys. II. 2. 194 a 36; II. 8. 199 a 15 .

(ورقة ١٣٩ ب) والصور كيف كانت إمّا أن تكون صناعية أو طبيعية [1] . والصور بالجملة هي كمالات [2] الأجسام التي فيها . وليست كمالات فقط ، بل كمالات متمكنة فيها كالملكات . والكمال إذا كان بهذه الحال سمّي استكمالاً . فالصور إذن استكمالات الأجسام ذوات الاستكمالات بالقوة . وهذه الاستكمالات ضروب [3] : منها ما للموجودات التي فيها تفعل أفعالها دون أن تتحرك بالذات ومنها ما تفعل أفعالها وهي تنفعل .

(١) والفرق بين الصور الصناعية والصور الطبيعية ، أن الأولى وإن كانت موجودة في موادها لا تقدر أن تحرك ماهي فيه ولا الغير ، كما أن الطبيعة تقدر على ذلك . راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٢ ب : « وليس للصور الصناعية وهي الموجودة في موادها قوة على أن تحرك ماهي فيه ولا على أن تحرك غيرها . وهذا هو الفرق بين الصور الصناعية وبين الطبيعية . فان الصور الطبيعية فيها قوى يحرك بها الأجسام ويتحرك بها الأجسام أيضاً على أنهـــا المحركة . قارن أرسطو : Phys. II. 1. 193 a 30 – 65

(٢) الكمال ، والاستكمال ، وصفه ابن باجة في شرحــــه على السماع الطبيعي ، ورقة ١٥ ب : « ومن الموجودات التي هي أجسام أو في أجسام من جهة أنها أجسام مّا هي محدودة بالطبع كالانسان والفرس ، ومنها ماهي محدودة بعرض وليس لها في أنفسها قدر يخصها ، فالاول لا يمكن أن يوجد فيه شيء بجزء لأن الكمال متى لم يوجد لم يكن ذلك الوجود » . ورقة ١٦ الف : « وأما الذي يبقى فيه المتغير واحداً بعينه فظاهر أن التغير لا يكون في الجوهر فان كان من عدم الى وجود كالتغير من الجهل الى العلم سمي استكمالاً » . ورقة ١٦ ب : « فالكون والفساد ليسا بحركتين وكذلك الاستكمال وهذا ما لم يلتفته أرسطو بل أجراه مجرى الحركة في مكان آخر ، فالحركة اذاً هي لموجود بالكمال ومن وجود بالكمال والى موجود بالكمال » .

وأما أرسطاليس فانه يقول إن الحركة هي استكمال المادة ، والنفس كمال الجسم ، انظر : Phys. III. 1.201 a 10, b 4; 2. 202 b 7; VIII. 1. 251 a 9; Met. XI. 9. 1065 b 16, 33

(٣) ابن باجة تكلم على مراتب الكمال في السماع ، ورقة ٥٢ ب : « فان وجود الشيء في المكان جنس من أجناس الكمال وهو على مراتب : فاولها أن يكون في موضع واحد فقط ولا يبارحه حتى يفسد ، ثم من بعد ذلك أن يتحرك حتى يكون في جميع تلك المواضع في زمان زمان فيكون أبداً بالفعل وبالقوة ، والمرتبة الثالثة أن يتحرك فيها على الاتصال » .

ولما كان كل متحرك فله محرك [١] كانت هذه إمّا أن تتحرك عن محرك خارج عنها ، كأكثر الأجسام الصناعية ، وإمّا أن يكون [٢] محركها فيها . وهذه في الصناعة كالميكانات [٣] التي تحركها لتفعل أفعالها تكون فيها زمانا ، وقد لخصت هذه في العلم المدني [٤] .

واما الطبيعية [٥] فمحركها في جميعها ، والجسم الطبيعي مؤلف من محرك ومتحرك [٦] . وأما الصناعية فإن المحرك فيها خارج عن المتحرك ، وهذا المتحرك مقارن بالعرض .

وأما الطبيعية فليست كذلك . وأما هل يوجد من الطبيعة شيء شبيه بالصناعة ففيه موضع فحص غير أنه يشبه ، إن كان ذلك ، أن يكون بوجه آخر .

والأجسام الطبيعية انما تتحرك الى مواضعها التي لها بالطبع [٧] إذا كانت

---

(١) قارن ابن باجة ، ورقة ١٣٠ الف : « وقد تبين في الثامنة أن كل متحرك فله محرك » .

(٢) المخطوطة : ومنها ما يكون .

(٣) يقول ابن باجة في موضع آخر ، السماع ، ورقة ٣٢ ب : « فان هذه الميكانات والاشياء الصناعية التي يخفى محركها يظهر للحس انها تتحرك من قبلها فيقع العجب منها » . وأيضاً ورقة ١٣٠ الف « وهذا (المحرك) قد يكون طبيعياً وبذاته وهو كأصناف الحيوان ، وقد يكون صناعياً كالميكانة » . وقد ذكر أرسطو : automatic machines ، انظر: Catapult; De Gen. An.. II 1. 734 b 10 أنظر Politics 1331 a .

(٤) الظاهر أن ابن باجة أشار إلى كتابه في السياسة أو العلم المدني كما يذكره ولكن هذا الكتاب ما وصل إلينا ، وقد ذكره مراراً في كتابه تدبير المتوحد ، قارن ص ٤ ، ٢٩ ، ٥٥ ، (ص ٤ : وقد لخصته في العلم المدني) .

(٥) المخطوطة : الطبيعة .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٥٣ ب : « أما الأجسام الطبيعية فقد تلخص القول فيها وبيّن أن حركتها من غيرها ولذلك لا يمكنها أن تقف بوجه ، وأن الجسم الطبيعي مؤلف من المحرك والمتحرك على جهة تأليف الحدّ لا على جهة التركيب حتى يكون هذا في جزء وهذا في جزء آخر » .

(٧) الأجسام الطبيعية لها مكان بالطبع ، انظر ارسطو : Phys. IV. 1. 208 b 8; VII. 3 253 b 35

في المواضع الخارجة عن الطبع ، فعند ذلك توجد فيها القوة [١] على ما في الطبع فلذلك حركاتها لها . إنما هي تنحو من أنحاء ما [٢] بالعرض . لأن وجودها في مواضع غير طبيعية انما هو لعايق يعوقها ، فإذا زال العايق صارت [٣] الى ما لها بالطبع . فلذلك ظن في هذه أن المحرك هو المتحرك وليس كذلك [٤] . فإن الحجر من جهة أنه بالقوة أسفل ويحرّك من طريق أنه ثقيل فالمتحرك [٥] فيه هو القوة على الأسفل والمحرك [٦] هو الثقل [٧] . فلذلك يتحرك بنحو واحد من الحركة بالطبع الذي فيه .

وليس في المتحرك وجود مضاد للمحرك [٨] إذ المتحرك قوته فقط . وليس

(١) القوة يعرفها ابن باجة في ورقة ١٨٩ ب : « القوة تقال على الاستمداد الذي يكون به الشيء كذا وكذا » . وقارن أرسطو : Arist : Met. 12. 1019 a 15 .

(٢) ولشواهد « انحاء ما » راجع النص نفسه (آخر الفصل الثاني « حيوانات ما ») ، السماع ، ورقة ١٥ ب : « أجسام ما » ؛ أيضاً ، ابن سينا : الشفا (مخطوط بودليانا) ورقة ١٨٢ الف : « أو أن يكون الذي يتخيل الواناً ما مشمول العين » ؛ ورقة ١٨٣ ب سطر ٢٢ : سببها اتصالات ما لا يشعر بها .

(٣) المخطوطة : صار .

(٤) قارن ابن باجة ، السماع ورقة ٥٠ الف : « فان المحرك ضرورة يجب أن يباين المتحرك وهذا شيء لا يمكن في الاسطقسات لأنها بسائط ومتشابهة الأجزاء . فقد بان أن كل ما ليس بذي نفس فليس محركاً بل متحرك منفعل وانما هو محرك باقتران المحرك به » . ويقول أرسطو : «So we are left with a mover, and a moved, and a goal of motion » » (Phys. V. I 224 b 6)

(٥) المخطوطة : المحرك .

(٦) المخطوطة : المتحرك .

(٧) النص ، ورقة ١٤٣ ب : كالثقل في الحجر فانه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك « .... يحرك حيناً ولا يحرك < حيناً > كالثقل » .

(٨) المخطوطة : للمتحرك .

كذلك ذوات الأنفس [١] . فان المتحرك ذو صورة له من أجلهــا فعل ما ، والمحرك إما أن يحرك حركة مضادة <أو> يحركها للطبيعة [٢] ، كرفع اليد الى فوق ، والطفر فانه يتحرك به الجسد وهو نقل الى فوق ، فلذلك يحرك النفس بآلة [٣] وهو الحار الغريزي أو مايجري مجراه .

(١) فلا تحتاج الى محرك خارج فانهــا تتحرك بذواتها : ابن باجة ، السماع ورقة ٤٨ الف : « والمتحركة بذواتها بعضها من تلقايها وهو الذي لا يحتاج في تحريكه الى آخر غيره كأنواع الحيوان » . ورقه ٥٠ الف : « والصنف الثالث المتحرك من تلقائه وهو يتحرك كالحيوان وهو متحرك عن غيره ولكنه فيه » . أيضاً أرسطو : Phys. VII. 2 243 a 14; VIII. 4. 254 b 15 ,

(٢) فتوجد في المتحركات بذواتهــا حركتان ــ الطبيعية والقسرية . راجع ابن باجة ، السماع ورقة ٥٠ الف : « وأيضاً فالمتحركات بذواتها منها ما يتحرك طبعاً ، ومنها ما يتحرك خارجاً عن الطبع وقسراً ، فان حركة الحجر الى فوق هي خارجة عن الطبع ، وقسراً لأنه قد قهر على ما في طبعه ضده » . قارن أرسطو : Phys. VIII. 3. 254 b 20 .

(٣) النفس والروح مترادفان عند العرب ومشتركان عند الفلاسفة . انظر تدبير المتوحد ص ١٨ : والروح يقال في لسان العرب على ما يقال عليه النفس ، ويستعمله المتفلسفون باشتراك . فتارة يريدون به الحار الغريزي الذي هو الآلة النفسانية الأولى ، ولذلك نجد الأطباء يقولون إن الأرواح ثلاثة : روح طبيعي ، وروح حساس ، وروح متحرك ، ويعنون بالطبيعي الغذائي إذ يوقعون الطبيعة في صناعتهم على النفس الغاذية ، ويستعمل على النفس لا من حيث هي نفس بل من حيث نفس محركة ، والنفس والروح اثنان بالقول ، واحد بالموضوع » . السماع ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الغريزي فغيه المحرك الذي لا يتحرك وهذا يحرك الحيوان ، وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقائه . وإذا ذهب هذا الروح عند موت الحيوان بقيت تلك (المتوسطات) غير متحركة ولا محركة » . الحيوان ورقة ٩٦ الف : « فهناك النفس والآلة الأولى على ما تلخص في الرابعة هي الحرارة الغريزية فحيث ينبوع الحرارة الغريزية فهناك النفس ، والقلب على ما شوهد بالتشريح هو ينبوع الحرارة الغريزية ، فالقلب هو مبدأ الحيوان ، فاما إن النفس حيث الآلة الأولى فإن ذلك قد تبين في الثامنة من السماع » . وأيضــاً النص ، ورقة ١٤٥ الف : وهذه الحرارة هي آلة النفس . قارن ارسطو : Arist. De Motu. Animalium. 10. 703 a 10; De Anima II. 4. 416 b 29; Parv. Nat. 14 VIII. 474 a 35 et sq.

والصور صنفان : استكمال لجسم طبيعي لا يقترن فيه المحرك بالمتحرك بالذات • ما يتحرك دون آلة بل يتحرك بجملته • ومنها استكمال لجسم طبيعي متحرك بآلات • والأول يقال عليه الطبيعة بخصوص والثاني يقال له نفس [1] •

فالنفس استكمال لجسم طبيعي آلي • والاستكمال (ورقة ١٤٠ ألف) منه أولي [2] ومنه أخير [3] • فإن المهندس عندما يعمل الهندسة يسمى مهندسا [على الكمال] الأخير • فاذا هندس كان على كماله الأخير • والنفس هي الاستكمال الأول [4] • فلذلك هي استكمال أولي بجسم طبيعي آلي • ووجود الجسم ذا نفس هي الحياة ، فكل جسم متنفس حيّ •

---

(١) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ٨ الف : « وذلك ان الأجسام ما يفعل فعله دون آلات كسموّ النار وهبوط الحجر وصور أمثال هذه تخص باسم الطبيعة ، ومنها ما يفعل فعله بآلات كاغتذاء النبات وحركة الحيوان ، وصور أمثال هذه الاجسام يقال لها نفس » .

(٢) والكمال الأول ، بالجملة ، هو الذي عند وجوده يستعد الجسم لقبول الصورة من غير أن يتغير بالذات لا بالعرض . راجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب ، والتعليق الآتي .

(٣) لقد أوضح ابن باجة الفرق بين الكمال الأول والأخير في السماع ورقة ٤٩ الف و ب : « وكذلك المهندس عندما ينام أو عندما لا يستعمل علمه بالهندسة فهو مهندس بالقوة على غير هذا الوجه الذي به المتعلم مهندس . فان قوة المتعلم هي إما جهل أو يقترن بها جهل . وإما النائم أو الذاهل عن عمله فليس قوته جهلاً ولا مقترنة بجهل بل هو على حال مقابلة للجهل ، فان المهندس النائم ليس يصدق عليه جاهل بالهندسة كما يصدق على من لا يعلمها من الناس الطبيعيين » . أيضاً النصّ ورقة ١٥٥ ب : « وأعني بقولي الأول كما يقال في المهندس حينما لا يستعمل عمله بالهندسة ، والموسيقار مالا يستعمل صناعة الموسيقى . . . حين يستعمل اللحن » . وأيضاً ورقة ٢٢٠ ب : « فالنفس إذا قيلت على الكمال الأول كانت قوة منفعلة وإذا قيلت على الكمال الأخير كانت قوة فاعلة ، إلا أن النبات أعطي كماله الأخير ولم يعط الكمال الاول ،فرداً ولذلك لم يوجد للنبات حس ، فان الحس كمال أول ، وكماله الأخير أمور غير محدودة بل هي بالذات غير متناهية وإنما تتناهى بالعرض .

(٤) راجع النص نفسه ورقة ١٥٥ ب : « إن النفس هي الاستكمال الاول » .وقارن أرسطو :
Arist : De Anima II. 1. 412 b 5.

ويتبين ان النفس من المتفقة أقوالها . فان قولنا «استكمال» يقال بتشكيك [١] ، وكذلك قولنا «جسم» وكذلك قولنا «آلة» ؛ فالنفس إذاً يقال لها بالنحو من التشكيك الذي يقال به الضعيف والكثير وما جانسه . فلذلك يجب أن نفصل فيقال ان النفس الغاذية هي استكمال الجسم الآلي المغتذي ، والحساسة استكمال الجسم الآلي الحاس ، والمتخيلة هي استكمال الجسم الآلي المتخيل . وأما الناطقة فالنفس يقال عليها بنوع من الاشتراك أظهر من هذه .

وكل علم على ما يقوله أرسطو حسن جميل [٢] . غير أن بعضه أشرف من بعض ، وقد عددت مراتب شرف العلوم في مواضع كثيرة . والعلم بالنفس يتقدم سائر العلوم الطبيعية والتعاليمية بأنواع الشرف كلها . وأيضاً فان كل علم مضطر الى علم النفس [٣] فليس يمكننا الوقوف على مبادئ العلوم ما لم نقف على النفس ونعلم ما هي بالحد على ما بيّن في مواضع أخر . وأيضاً فإن من الأمور الذايعة أن من لا يوثق بأنه يعرف حال نفسه فهو أخلق أن لا يوثق به في معرفة غيره . ونحن إن لم نعرف حال أنفسنا وما هي وإن لم يتبين لنا ما يقال فيها هل قيل على الصواب أم لا يوثق [٤] بذلك ، فنحن أحرى أن لا نثق بما يتبين لنا في سائر الأمور .

وأيضاً فإن العلم بالنفس يكسب للناظر قوة على أخذ مقدمات لا يكمل العلم الطبيعي دونها . وأما الحكم المدنية فلا يمكن أن يكون القول فيها على نظام قبل المعرفة بأمر النفس .

---

(١) الاسم إن كان حصول معناه في بعض الافراد أولى وأشد من الآخر كالوجود بالنسبة الى الواجب والممكن فهو عند المنطقيين مشكك ، والحال تشكيك ومعناه اظهار الشك ويستعمل للاشتراك والابهام ، انظر محمد علي التهانوي : كشاف اصطلاحات الفنون ، ص ٧٨٠ ، أيضاً Goichon : Lexique p. 162 .

(٢) قارن أرسطو : Arist, De Anima. I. 1. 402 a .

(٣) قارن أرسطو Arist : De An. I. 1. 402 a 4 .

(٤) المخطوطة : لاوثيق .

وأيضاً فان العلم يشرف إما بالوثاقة وهو أن تكون أقاويله يقينية ظاهرة ، وإما بشرف الموضوع وإعجابه كالحال في علم حركات النجوم . وعلم النفس فقد جمع الحالين معاً . وأخلق بعلم النفس أن يكون أشرف العلوم جميعاً ما خلا العلم بالمبدأ الأوّل . فيشبه أن يكون ذلك بوجه آخر مباينا[١] لسائر العلوم بحسب مباينة الموجودات[٢] عنه أيضاً . وأيضاً فان العلم بالمبدأ الأول لا يمكن ما لم يتقدم العلم بالنفس[٣] والعقل وإلا كان معلوماً بوجه أنقص .

وأكمل الوجوه التي يعلم بها المبدأ الأول العلم الذي يستعمل فيه القوة التي يفيدها علم النفس .

والعلم بالشيء ينسب إليه أنواع من النسب[٤] أولاها وأحراها بالتقدم علم[٥] ما هو ، والآخر علم لواحقه الذاتيـة الخاصة به ، والثالث (ورقة ١٤٠ ب) علم لواحقه الذاتية العامة[٦] — علم على سبيل الاستعارة .

---

(١) المخطوطة : مباين .

(٢) المخطوطة : مباينه للموجودات .

(٣) وكتب ابن سينا في شرحه على كتاب النفس لأرسطاطاليس : (عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ص ٧٥) أما معونتها في العلم الطبيعي فظاهر لأنها تعرف أحوال الحرث والنسل ، ولأن السماء أيضاً تتحرك بالنفس . . . . وأما في العلم الالاهي فلأن من النفس يتوصل الى معرفة الأمور المفارقة وتصور كيفية الإدراك بالعقل .

(٤) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٠٩ الف و ب . « والعلوم اليقينية ثلاثة : أحدها اليقين بوجود الشيء فقط وهو علم الوجود ، وقوم يسمونه علم انّ الشيء . والثاني اليقين بسبب وجود الشيء فقط ، وقوم يسمونه علم لِمَ الشيء . والثالث اليقين بهما جميعاً » . قارن أرسطو : Met. III. 2. 996 b 14; 1030 b 20; 1086 b 5; 1086 b 33; 999 b 26. Anal. Pos. I. 11; II. 19. 100 a 6; I. 24. 85 b 13; Zeller: Arist. Vol.I. 194.

(٥) المخطوطة : على .

(٦) المخطوطة : العامية .

وعلم ما الشيء (١) إما (٢) غير تام ، وهو أن يعلم بأحد أجزاء حده (٣) التامة — وهذا أصناف ، وتلخيص أصنافه في غير هذا الموضع — وإما تام وذلك أن يعلم بما يدل عليه حده .

والحد يقال بتقديم وتأخير على معان يشترك كلها في وجودها مساوية في الحمل على الشيء فهو لذلك خاصة بالشيء . والمقولة تتأخر هي بتأخر كل ما ألّف من أشياء لا يتقوم بها الشيء ، وقد تبين في غير هذا الموضع أن الأشياء المقومة للشيء هي أسبابه (٤) . والحدود المتأخرة هي <لا> تأتلف من أسباب بل إنما ألفت (٥) من اللواحق ، وهذه قد تكون بعيدة وقريبة (٦) وتكون ذاتية وغير ذاتية .

والحد الذي يقال بتقديم هو ما ألّف من الأسباب وهذا أيضاً أجناس كثيرة ، منها ما يؤلف من الأسباب البعيدة ومنها من القريبة ، وهو أخلق أن يكون حداً .

---

(١) المخطوطة : لشيء .

(١) راجع النصّ نفسه . الصفحة الآتية : وأيضاً فان من العلوم ..... أوّلا علم الشيء .

(٢) المخطوطة : ما .

(٣) قارن أرسطو Ana. Pos. III. 10. 93 b 29 . وابن رشد عرف الحد فقال : « هو قول يعرف ماهية الشيء بالأمور الذاتية التي بها قوامه » تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدر آباد ص ٤٤ .

(٤) قارن أرسطو Arist. Phys. II. 3. 194 b 23 .

(٥) المخطوطة : اللفت .

(٥) إن الكاتب غلط في كتابة « التّفت » مرة بعد أخرى ، فكتب « الفت » في سائر المواضع : ورقة ٩٥ الف : فلذلك اللفت (الفت) من أمثال هذه .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢١١ ب و ٢١٢ الف : « وكل واحد من هذه (أي الأسباب) إما قريب وإما بعيد . . . . فان السبب الذي بالذات لا بد أن يكون قريباً أو بعيداً أو أعم أو أخص أو بالقوة أو بالفعل » .

والأسباب بالجملة أربعة (١) : المادة والفاعل والصورة والغاية . وهذه قد تكون خاصة وقد تكون عامة بأن تجنس صورة لكنها عامة . والأحرى أن يكون حداً بالتقديم ما ألّف من الخاصة (٢) . وكذلك قد تكون بالقوة وقد تكون بالفعل . والأحرى أن يكون بالتقديم ما ألّف منها بالفعل .

وهذا الصنف من الحدود إما أن يكون معلوماً بنفسه فيكون معطى ، وإما أن يكون مستنبطاً ، والاستنباط إما بطريق القسمة أو بطريق التركيب ، كما بيّن في غير هذا الموضع (٣) . وأمثال هذه الحدود تجري مجرى الحدود والمعطيات (٤) ، وإما أن يستعمل في استخراجها البرهان المطلق ، وهذه ثلاثة أصناف (٥) ، إما أن يكون نتيجة برهان أو مبدأ برهان أو يكون برهاناً متغيراً بالوضع (٦) ، وهو أكمل الحدود وأولاها بالتقديم .

وأما الأدلّة (٧) فانها تفيد أجزاء الحد بالعرض لا بالذات . وقد لخصت هذه كلها في انالوطيقا الثانية .

---

(١) ابن باجة ، السماع ورقة ٥ ب : « ووجد العلم بوجودها أولا في الثلاثة التي هي المادة والصورة والفاعل بينا ، ووجد الرابع هو الغاية مشكوكاً فيه . ورقة ٢١١ ألف : فقال والأسباب أربعة فعددها » . قارن أرسطو : Arist. Phys. II. 3. 195 a 15; 194 b 23 — 195 b 21; Met. w. 2; An. Pos. 94 a 20.

(٢) قارن أرسطو : Arist.An. Pos. II. 13. 97 b 25 — 30 .

(٣) ابن باجة كثيراً ما يشير الى طرق الاستنباط ، راجع الحيوان ورقة ٩٢ الف : « فأسباب الشيء قد يدرك بالحس وقد يدرك بالقول وذلك إما بالتقسيم أو بالتركيب أو بالبرهان أو بالدليل » . الآثار العلوية ورقة ١٧ ب فان الحدود كما قيل في انا لوطيقى تؤلف إما بطريق التقسيم أو بطريق التحديد أو بطريق البرهان . وهذه الطريق غير طريق كتبها بقراطيس » . قارن أرسطو : An. Pos. II. 5. 91 b 12; Phys. VIII. 1, 252 a 24 وابن رشد : السماع ص ٢١ ، حيدر آباد .

(٤) قارن أرسطو An. Pos. I. 2. 72 a 15 — 24; II. q. 93 b 21 .

(٥) أرسطو : Arist : An. Pos II. 10. 94 a 21 .

(٦) أرسطو : An. Pos. II. 10. 94 a 2, a 21 .

(٧) الدليل عرفه أرسطو بأنه قضية برهانية تثبت بالضرورة أو بالاطلاق An. Pos. II. 27. 70 a 7

وإذ كنا نطلب في النفس هذا النحو من العلم ، وأخلق به أن يكون مرامه صعبا ، إلا أنه وإن كان صعبا فليس بغير ممكن .

وأما أن تكون النفس ليست من المعطيات من حدودها فذلك بيّن . وأما أن تكون من المستنبطة حدودها فذلك بيّن .

وأيضاً فان من العلوم التي تتلو[١] أولاً علم ما الشيء[٢] وكأنها كال له . فهو ان يعلم هل ذلك الشيء واحدٌ أم ليس بواحد . فإن كان واحداً فهو ذو أجزاء ، أم ليس بذي أجزاء وإن كان ليس بذي أجزاء فهل هو ذو قوى أو هو قوة واحدة ، وهذا كله يجب أن يطلب في علم النفس[٣] . فان هذه كلها آراء لمن تقدم . فان من تقدم قد رأى أن النفس تدل على كثير على نحو من أنحاء المشككة أسماؤها . ومنهم من رأى أنها ذات أجزاء كثيرة على طريق الانفصال على ما يراه ديمقراطيس[٤] ومن يقول بالأجزاء (ورقة ١٤١ ألف) . ومنهم من رأى أنها واحدة ذات أجزاء بالموضوعات على ما يراه جالينوس الطبيب[٥] .

(١) المخطوطة : تتلوا .

(٢) قارن أرسطو : De Anima. I. 1. 402 a 12 .

(٣) أيضاً .

(٤) رأى ديمقراطيس أن النفس جوهر مركب من أجزاء لا تنقسم ولا تنفصل ، راجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٠ ب : « أو أجزاء لاتنقسم ولا تنفصل كما يراها ديمقراطيس » . قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 1; 405 a 10 .

(٥) قارن كراوس (P. Kraus) والسر (R. Walzer) : Galeni Compedium Timaei Platonis ، النص العربي ص ٦ : وجعل النفس التي فيه من الجوهر الذي لاينقسم الباقي دائماً بحال واحدة ومن الذي ينقسم في الأجسام ؛ ص ٧ : ثم ان طياوس من بعد هذا الكلام يصف كيف تنقسم نفس العالم في جميع أجزائه ؛ ص ٩ : ثم قال فلما أتم خلق العالم قسم الأنفس وجعل عددها كعدد الكواكب وصيّر كل واحد منها في واحد من الكواكب وأراها طبيعة العالم وسنّ لها السنن وبينها لهــا » . أيضاً برجستراسر (Bergstrasser) : Galeni in Hippocratis De Septimanis ، ص ١٠٠ : « أعني النفس فجزّأها بأجزاء سبعة . فقال ان النفس سبعة أجزاء ، فاعلموا أنه ليس (أبقراط) وحده قال ان النفس مركبة من أجزاء شتى سبعة لكن ذكر أكثر أفاضل الفلاسفة ووجوههم شبه أفلاطون وأصحابه » .

وهذا رأي قد كتبه فلاطن في طيماوس (١) .

وما يجري هذا المجرى في النفس خاصة ويتشوق إليه أوّلاً حتى يكاد أن يكون الطلب لعلم النفس إنما هو من أجل هذا ـ فهو : هل هي مما تفارق أو ليست جملة مفارقة . ولذلك تجد أرسطو يقول في أول المقالة الأولى (٢) ، إن وجد للنفس فعل يختص به فيها دون الجسد أمكن أن تفارق . فانما بدأ بهذا القول قبل أن يشرع في الفحص عن هذا لأجل هذا الشوق السابق . وهذا كله مما يزيد هذا الجزء من العلم الطبيعي صعوبة .

وإذ كنا مزمعين (٣) على القول فهل هذا من النظر في الأجسام التي هي فيها أو من اللواحق التي تنسب الى الجسد (٤) الذي (٥) هي فيـه ، كالصحة والمرض ، أو من الأفعال التي تنسب اليها كالغضب والرضا (٦) . فانها إن لم تكن مفارقة أصلاً فكل الأفعال المنسوبة اليها مشتركة من الجسد إلاّ أن بعضها من أجلها وبعضها إما من أجل (٧) الجسد أو به (٨) .

ولما كان الحد على ما تبيّن في أنالوطيقا الثانية (٩) لا يمكن أن يأتلف حتى

---

(١) انظر ورقة ١٨٧ ب (ابن باجة) : « ولذلك لما رأى فلاطن إن النفس مفارقة ؛ مفارقة معنى ، ولزم عن هـــذا أن تكون أنفس بلا نهاية بالفعل » قارن أفلاطون : Plato : Timaeus (Trans.), Jowett, Vol. III. 35, 37 ؛ أرسطو : Arist : De An. I. 2. 404 b 16 .

(٢) أرسطو : De An. I. 1. 403 a 10 . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، نشر أحمد الأهواني ، ص ١١ .

(٣) كثيراً ما يستعمل ابن باجة « أزمع على » و « أزمع ان » ، الحيوان ، ورقة ٩١ ب : مزمعاً أن يكون ، ورقة ٩١ الف : مزمعاً أن يجري ؛ تدبير المتوحد ص ٦١ . والتعليق ١٠ .

(٤) المخطوطة : الحد .

(٥) المخطوطة : الى .

(٦) المخطوطة : المرضي .

(٧) المخطوطة : داخل .

(٨) أرسطو : De An. I. 1· 403 a 5—15; 403. a 28; 403 b 16; 402 a 6 .

(٩) أرسطو : Arist : An. Pos. 97 b 7; 28 .

يوجد الجنس الذي يوصف به ، فانه متى وضعنا حداً لم يأتلف من جنس الشيء كان أجزاؤه مدلولاً عليها بالأسماء المشتقة . إذ لا يمكن أن يحمل أمر على شيء ما مدلولاً عليها بالمثال الأول غير الجنس ، وكان هذا الحد[١] ينبئ عن وجود أمر في موضوع لم يصرح به فيكان ناقصاً ومنبئاً بنقصة . فلذلك يجب أن نفحص أولاً عن الجنس الذي يجب أن يحمل عليها وتوصف به ، لنجد به السبيل الى التحديد . فإن الجنس والفصل كل واحد منهما بوجه غير الوجه الذي به الآخر ، لأن الجنس هو الفصل بالقوة على أنه يتصور به . فهو بالقوة بنحو شبيه بالقوة التي تقال على المادة[٢] . فهو بالقوة شيء خارج عنه .

وأما الفصل فهو الحد بالقوة كما يقال ان الكل فيه أجزاؤه بالقوة . والجنس موجود في الفصل بالقوة على جهة مناسبة لوجود الجزء في الكل . هذا متى أخذ كل واحد منهما يدل على جملة المجتمع ، فكان ذلك جنساً من حيث هو جنس وهذا فصلا[٣] من حيث هو فصل . فأما اذا أخذ من حيث الحد[٤] < فالجنس > نتيجة برهان والفصل مبدأ برهان أو يجريان مجراهما . وذلك من حيث هما أجزاء المحدود كان عند ذلك كل واحد منهما الحد بالقوة بأنحاء أخر على ما (ورقة ١٤١ ب) في كتاب الحروف[٥] .

---

(١) المخطوطة : داخل .

(٢) شبّه ابن باجة الجنس بالمادة والفصل بالصورة . فالمادة وصفها أرسطو بالقوة والصورة بالفعل ، قارن أرسطو :
Met. 1043 a 19 : « For the formula that gives the differentiae seems to be an account of the form and the actuality, while that which gives the components is rather an account of the matter ». Also De An. II 1 412 a 10.

(٣) المخطوطة : فصل .

(٤) المخطوطة : الجسم .

(٥) راجع أرسطو : Mel. Z 12. 1037 b 29 Sq. ; وابن رشد ; تفسير مابعد الطبيعة ، بيروت ، ص ٩٤٧ و ٩٥١ و ٩٠٦ .

ولما كانت الطرق المسلوكة في استخراج الحد على ما تبين في أنالوطيقا الثانية ثلاثاً[١] : طريق التقسيم ، وطريق التركيب ، والطريق المستعمل فيها البرهان ، فأيّ الطرق يجب أن نسلك [...] حداً للنفس ؟ فطريق التقسيم لا يمكن فيها[٢] ، إذ الجنس الذي تترتب فيه ليس بمعروف فإنه لو كان ظاهراً بنفسه لما وقع التنازع فيها هل هي جسم أم لا .

وأما الطريق المستعمل فيها البرهان فذلك أيضاً غير ممكن فيها ، فان التصورات التي تصورت بها ليست واحدة[٣] ، وبعضها مركب من أشياء ليس بعضها لبعض بالذات ولا هي لازمة عن مقاييس فيمكن أن ننظر أوثقها فنستعمله . وفي الجملة ليس فيها لدينا سبيل نقدر بها على تقديم بعضها على بعض . وأيضاً فانا[٤] متى تأملنا تلك التصورات التي اقتسمتها الأقدمون من المتفلسفين ، لم نجدها لامتناقضة ولا متلازمة ، لكن يظهر منها لمن تأملها أن النفس مما يقال باشتراك . فإن أمكن في تصوراتها أن تعقل ويُطلب البرهان عليه — إن يكن[٥] — إنما وجدنا حداً من حدودها يقال عليه النفس ، ولم نجد المعاني التي يقال عليها النفس . فان النفس إن قيلت باشتراك فانما يقال بالنوع المشكك فيه . فلم يبق إلا طريق التركيب .

وظاهر أن طريق التركيب انما استعمل فيها لسبق العلم بوجوده ، والنفس من الأمور الظاهرة الوجود ، وطلب تبيين وجودها شبيه بطلب وجود الطبيعة . وهو من فعل مَن لا يعرف الفرق بين المعلوم[٦] بنفسه والمعلوم[٦] بغيره . فان

---

(١) المخطوطة : ثلثة .

(١) راجع التعليق ٥٢ .

(٢) قارن أرسطو De an I. 1 402 a 18 — 20 .

(٣) المخطوطة : واحداً .

(٤) المخطوطة : فان .

(٥) المخطوطة : يكون .

(٦) المخطوطة : العلوم .

من المعلومات المعلوماتُ الأُول ، ان الفرس والانسان ذو نفس ، لكن هذا النحو من الفكرة إنما يلتئم (١) بالنظر في كل ما يقال عليه النفس ، فلذلك ينظر في أنفس جميع الحيوان ، لأن في صور النبات موضع فحص .

وهذا النحو من النظر لم يكن مَن تقدم أرسطو ينظره . فان قصد المتقدمين (٢) إنما كان في نفس الإنسان خاصة حسب ما يرشد اليه نظرهم في الأمور المدنية التي كان الفحص في ذلك الزمان مقصوراً عليها فليس انما تنظر أنواع الأنفس لهذا (٣) الغرض فقط (٤) بل لأن العلم بكل واحد من الأنفس جزء من العلم الطبيعي .

فنقول : إن كل نوع من الحيوان فهو جسم مركب غير متشابه الأجزاء (٥) ولا متصلها ، بل أجزاؤه منفصلة بنهايات تخصها ، يلقى بعضها بعضاً إمّا على التحام وإمّا على مفصل ، وهو إذا كان أحدهما يتحرك في الآخر ، فان هذا شامل لكل حيوان . وأيضاً فان من (ورقة ١٤٢ الف) الأمور المعروفة ان كل حيوان فهو متحرك حساس ، وهو يحس بأجزاء تتحرك [وتحس] فهو مؤلف منها .

وبيّن أن الحيوان من جنس جسم وصورة ، فأما على [أي جهة] يقال انه مؤلف من جسم وصورة ، وهل النفس هي الجسم أو الصورة ، فذلك بيّن عند

(١) « التأم » ، كثيراً ما يستعمله ابن باجة ، راجع تدبير المتوحد ص ٣١ ؛ السماع ، ورقة ٩ الف « أمر رابع لا يلتئم وجود الشيء إلا به » ؛ « فان هذه متى وجدت التأم بها » ؛ ورقة ٨ ب : « لا يلتئم وجود بعض الأجسام » .

(٢) راجع أرسطو : De An. I 1, 402 b 4 .

(٣) المخطوطة : هذا .

(٤) الاشارة الى مطالعة العلم المدني .

(٥) ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٣ ب : « وأما مركبة متشابهة الاجزاء كالذهب والنحاس » .

من يثق بنظر نفسه . وقد بحث عن ذلك الاسكندر في كتابه في النفس[(١)] وبيّنه فليؤخذ من هناك .

واستقرّ الأمر على ما هو بين ان النفس هي صورة لمثل هذا الجسم[(٢)] ، واذا استعملنا التقسيم الذي لخصناه ُقبل لزومُ هذا . وذلك أن النفس استكمال لجسم طبيعي آليّ[(٣)] ، فهذا يشمل كل نفس وكل قوة من قواها سواء كانت ذات قوى أو ذات أخرى .

ولما كان قولنا « استكمال » مما يقال بتشكيك ولم يكن قولنا « طبيعي آليّ » مترادفاً[(٤)] كقولنا « الكلب النباح » في الكلب[(٥)] ، فبيّن أن النفس مما

---

(١) العبارة شاهدة على أن الكتاب كان موجوداً باللغة العربية في عهد ابن باجة . وأظن أن ابن باجة أراد شـــرح الفارابي على تلخيص كتاب النفس للاسكندر الافروديسي الذي ذكره القفطي (تاريخ ، ليبسك ، ص ٢٧٩ تحت الفارابي) تحت عنوان « كتاب شرح الاسكندر في النفس » . فانه يعتمد على كتب الفارابي في العلوم الفلسفيه كما يظهر من قوله ، ورقة ٢١٩ ب : « وكرر القول فيها أبو نصر ومكانه من هذا العلم مكانه . لكن لا يوجد في جميع كتبه التي وصلت إلى الأندلس هذا النحو من النظر » .

(٢) راجع أرسطو : De An. II. 2. 414 a 16 ؛ ولقد أوضح ابن سينا في الشفاء (ورقة ١٥٦ الف ، مخطوطة بودليانا) فقال : « فالنفس كمال أول . ولأن الكمال كمال الشيء فالنفس كمال لشيء ، وهذا الشيء هو الجسم وليس هذا الجسم لذي النفس كماله » .

(٣) ولقد صرّح ابن سينا ان النفس « ليست كمال الجسم الصناعي كالسرير والكرسي وغيره ، بل كمال الجسم الطبيعي ، ولا كل جسم طبيعي ، فليس النفس كمال أرض ولا نار . بل هي في عالمنـــا كمال جسم طبيعي يصدر عنه كمالاته الثانية بآلات يستعين بها في أفعال الحيوة التي أولها التغذي والنمو ، فالنفس التي نحدها هي كمال أول لجسم طبيعي آلى له أن يفعل أفعال الحيوة » أنظر أيضاً التعليق ٣٥ و ٣٨ .

(٤) المخطوطة : مردافا .

(٥) اصطلاح « طبيعي آلي » ليس مثل اصطلاح « الكلب النباح » ، فان الثاني مركب من المرادفين لان « النباح » ليس ههنا فصل الكلب فقط : ابن باجة ، السماع ، ورقة ٤٨ ب : فقولنا المتحرك الذي ليس واحد من هذين مركب تركيب ترادف وتعاون ، كقولنا « الكلب النباح » لأن النباح « فصل الكلب » .

يقال بتشكيك [١] وانها من المتفقة أقوالها .

وانها ليس هناك طبيعة واحدة تشتمل على جميعها [٢] فانها [٣] لو كانت متجانسة لكانت الأفعال متجانسة ، وأفعال الحيوان هي اغتــذاء وحس وحركة وتخيُّل ونطق . وليس اثنان من هذه متجانسة فتكون القوى عليها متجانسة ، بل بعضها يتقدم بعضاً كالاغتذاء والحس ، وبعضها يناسب بعضاً كالحس والتخيل . وكذلك القوى والنفس بتقديم وتأخير وتناسب . فلذلك لا يمكن أن يطابق بالحد جميع ما يقال عليه النفس بنحو واحد ، ولذلك لا يمكن أن تستعمل فيها الطريقة [٤] البرهانيــة .

وإغفال هذا النظر أحد الأسباب الذي له ذهب على الأقدمين أمرُ النفس . فإن الأقدمين كان الجميع منهم متفقين على أنهــا جوهر [٥] ، فلذلك كانوا

(١) راجع النص ، والتعليق ٤٠ . أيضـــاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٢ .

(٢) قارن أرسطو : Arist : De Anima II. 2. 413 b11 .

(٣) المخطوطة : فانه .

(٤) المخطوطة : الطريق .

(٥) عند صاحب التعريفات هناك خمسة جواهر تحت كل حقيقة – الهيولى ، الصورة ، الجسم ، النفس ، والعقل – المادة الأولى جوهر يمكن له الدوام أو عـــدم الدوام ، وتقبل الصور الجسمية والنوعية ، الصور الجسمية تدركها الحواس (على الفور) ، والجسم جوهر قابل للأبعـــاد الثلاثة او الجواهر البسيطة . النفس او الروح الحيواني جوهر بسيط يمين قوى الحياة ، ويقدر على الاحساس وحرية الفكر ، وهو متصل بالجسم ، والعقل جوهر مجرد من المادة ، يتعلق بالجسم ويدبره . دائرة المعارف الإسلامية ج ١ ص ١٠٢٧ (بالانكليزية) والفارابي عرف الجواهر الأولية بأنها أفراد متشخصة لها وجود بذاتها ، والجواهر الثواني هي أنواع واجناس توجد بوجود الافراد ، (انظر مسائل متفرقة ، حيدر آباد ، ص ٨ – ٧ ، وديتريصي ، ص ٨٩) . وابن سينا كتب فصلاً مستقلاً في الشفاء على هذه المسألة فقال : « ان النفس داخلة في مقولة الجوهر » ... وأخيراً قال : « فالنفس إذن ليست من الأعراض التي لا يختلف بها الأنواع ولا يكون لها مدخل في تقويم الموضوع ، فالنفس إذن كمال كالجوهر لا كالعرض ، –

يطلبون أن يجعلوها تحت أنواع الجوهر ، فقال بعضهم انها نار [١] ، وقال آخرون انها دم أو هواء [٢] . وبعضهم [٣] لما استحال عنده أن يكون جسما رام أن يجعلها تحت مقولة أخرى . وبالجملة فكان الجميع منهم يرتبها في المقولات العشر .

ولما تبيّن لفلاطن انها يجب أن ترتب في الجوهر ، وتبيّن له أن الجوهر يقال على الهيولى [٤] وهي الجسم وعلى الصورة [٥] ، وتبيّن له أنّ وضعها جسماً محال ، رامَ تحديدها من جهة ما يخصها . ولما كان يضع أن صور الأجسام المستديرة أنفس نظر فيما تشترك فيه هذه كلها ، فوجد الحس يختص

— وليس يلزم هذا أن يكون مفارقاً أو غير مفارق ، فانه ليس كل جوهر بمفارق فلا الهيولى مفارقة ولا الصورة » . (ورقة ١٥٨ ب ، Bodl. Ms. Poc. 125). وفي خزانة المجمع الملكي الآسيوي ، كلكته ، مخطوطة عنوانها : « رسالة للأرسطاطاليس في النفس » ، والرسالة منسوبة لابن سينا في بعض من نسخها الموجودة بخزائن لندن وليدن ، وقد نشرتُ هذه الرسالة مع ترجمتها الانكليزية في « أرمغان علمي » ، لاهور ، ١٩٥٥م ، تحت عنوان 'A Treatise on the Soul ascribed to Ibn Sina' وهي محتوية على فصل في أن النفس جوهر ، واليك الفصل كاملاً : « الفصل الثالث : كل قابل للمتضادات وهو بالعدد واحد فهو جوهر ، والنفس قابلة للبر والفجور والجرأة والجبن متضادات ، فالنفس جوهر ، وأيضاً فان كل متحرك للجوهر من ذاته هو جوهر ، والنفس محركة للجسم الذي هو جوهر فالنفس إذاً جوهر ، وأيضاً فان النفس جزء من الجوهر الذي هو الحيوان ، لأن كل حيوان نفس وجسم ، وجزء كل جوهر جوهر فالنفس إذن جوهر » .

(١) راجع التعليق ٥٨ .

(٢) قارن أرسطو : De An. I. 2. 405 a 22; 25; 405 b1 sq .

(٣) لعله أشار ابن باجة إلى أفكار انكساغورس (De An. 1. 2. 405 a 14) . انبدقلس (De An. 404 b 11) ، وغيرهما .

(٤) المخطوطة : المقولة .

(٥) قارن الفارابي : مسائل متفرقة ، حيدرآباد ، ص ١٩ . ديتريصي ص ٩٩ .

بالحيوان [١] ووجد الحركة تعمّها كلها فلذلك حدها بأنها « شيء محرك ذاته » [٢] ، فان الشيء دلّ به هنا على ما يدلّ قولنا « موجود » . وانما حدّها [٣] كذلك لأنه كان يرى ان كل محرك فهو متحرك ، إذ كان لا يمكن (ورقة ١٤٢ ب) عنده أن يحرّك شيء دون أن يتحرك [٤] ، وقد فحص عن هذا القول في السابعة من السماع [٥] .

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An I. 2. 403 b 25 .

(٢) كما قال ابن باجة : ورقة ٣٣ ب : « فان كان محرك مّا أولٌ يحرك لا بأن يتحرك عن غيره فذلك متحرك بذاته . فالى هنا انتهى النظر بافلاطون ولذلك رسم النفس أنها شيء يحرك ذاته ، غير أن القول لم يلزم أن مثل هذا لا يحركه غـــيره بالاطلاق ، بل انما لزم عنه أنه لا يحركه محرك خارج عنه فانما ألزم محالٌ مّا ؛

قارن أرسطو : De An. I. 2. 404 a 20; 406 b 11; 406 b 27; Phys. VIII. 9. 265 b 33.

(٣) المخطوطة : حدّه .

(٤) وابن باجة يبين في السماع الطبيعي (ورقة ٣٣ ب ، وقد نقل تحت التعليق ٨٦ .) إن أفلاطون إنما قال بان النفس شيء يحرك ذاته ولكن هذا القول لا يلزم منه ان مثل هذا لا يحركه غـــيره بالاطلاق . بل الحاصل أنه لا يحركه محرك خارج عنه وهذا كما ترى ليس بسديد ، فكل ما يكف عن الحركة بكف غير فهو متحرك من غيره ، ففكر أرسطو في الأمر وذهب إلى أن كل متحرك فمحركه غيره بالاطلاق ؛ انظر أيضاً ورقة ٣٥ ب : « وأرسطو لما نظر في هذه الأمور ووجد قولنا كل ما يكفّ عن الحركة بكف غيره (المخطوط : بكفاف غيره) فهو متحرك من غير بينة بنفسها ظاهرة ، ثم تأمّلها من هذه الجهات تمم ما كان أفلاطون وقف دونه فوضعها وأنتج ان كل متحرك فمحركه غيره بالاطلاق » .

(٥) راجع ابن باجـــة ، السماع الطبيعي ، ورقة ٥٣ ب ؛ أرسطو : VIII. 5, 256 a 13; I, 241 b 24 sq.; Phys. VII. 2. 243 a 13

وأما مناقضة الآراء المكتوبة في النفس فقد تقصّى ذلك أرسطو في الأولى من كتابه في النفس [١] فلنضع هذا التصور كذلك مجملاً .

فأما الفحص عن النفس [٢] فإن أرسطو يشرع فيه على هذا النحو الذي نقوله :

لما كانت الأنفس بعضها متقدمة بالطبع وبعضها متأخرة ، وأشدها كلها تأخّراً النفس المتخيلة ، فإن الحس يتقدمها .

وقد يُظن [٣] أنه يكون حيوان لا تخيّل له كالدود والذباب [٤] ، وان كان له تخيل فليس بمفارق للحسّ ولا هو محصل .

وأقدم قوى الحس كلها اللامسة ، وقوة الحسّ تتقدمها القوة الغاذية ، فالقوة الغاذية أقدم قوى النفس كلها .

فأما القوة الناطقة وان كانت نفساً فهي أشد تأخّراً في الطبع على جهة ما يتأخر الكامل عن الناقص في الطبع .

فلذلك يبدأ أرسطو [٥] في الفحص عن النفس الغاذية ، وهذا النوع من النفس له قوتان : إحداهما قوة النموّ والأخرى قوة التوليد . فالقوة الغاذية تتقدم الجميع ، فهي إذن أقدم قوى النفس .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

---

(١) قارن أرسطو : Arist. : De An. I. 3. 406 a 1 .

(٢) والظاهر أن ابن باجة أراد بالأنفس هنا قوى النفس .

(٣) وابن باجة لا يرجح هذا الرأي ويوافق أرسطو في قوله ان الدود مثلاً له حسّ وحركة وأيضاً تخيُّل ونزوع . كما يستفاد من قوله « قد يظن » . راجع أرسطو : De An. II. 2. 413 b 20 — 32; 414 a 1; 29 ؛ وأيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ص ١٧٤ .

(٤) قارن ابن رشد : تلخيص النص ، الأهواني ص ١٣ .

(٥) قارن أرسطو : Aristotle : De Anima. II. 4. 415 a 23 .

التعريف والنقد

كتاب الغصون اليانعة
في محاسن شعراء المائة السابعة

تحقيق الأستاذ ابراهيم الابياري

طبع دار المعارف بمصر (١٧٦) صفحة

وهذا كتاب آخر لابن سعيد المغربي ، صاحب كتاب « المغرب » ، يرى النور بعد ما لبث في ظلمات الخزائن قروناً عدة ، على يد خِرّيت ماهر ، خبير بخبايا الدفاتر ، هو الأستاذ ابراهيم الأبياري . وصلة الأستاذ الأبياري بالمغرب قديمة ، وعلاقته بالمغاربة قدماء ومحدثين وطيدة ، فكثير من طلبتنا درس عليه واقتبس من علمه ، وكثير من آثار علمائنا ما كان ليبرز للوجود لولا عنايته وتهممه به . ومنها « كتاب الغصون اليانعة » الذي بين يدينا الآن . فقد قام الأستاذ الأبياري عليه خير قيام .. قدم له بمقدمة عرّف فيها بقيمته ، وأثبت بالأدلة القاطعة نسبته لابن سعيد . وحقق نصه أتم تحقيق ، فضبطه وشرح ما فيه من الغريب ، وترجم للأعلام الواردة فيه أو أحال على مظان ترجمتها ، وألحقه بفهارس لمحتوياته من أسماء الأعلام والقبائل والأماكن والكتب والأبيات الشعرية ، فضلاً عن أسماء الشعراء المترجمين في الكتاب . وهذه هي الطريقة العلمية التي تعلو ولا يُعلى عليها في تحقيق الكتب القديمة ونشرها ، والتي لا تقل فيما تكلف من تعب ونصب عن تأليف الكتب ووضعها من الأصل ، (وما يعقلها إلا العالمون) .

وصلتي بكتاب « الغصون اليانعة » قديمة ، ترجع الى سنة ١٩٤٠ حين اطلعت عليه بمكتبة « الاسكوريال » ونقلت منه بعض التراجم المغربية ، وقد تذاكرت حينذاك في شأنه وشأن مؤلفه مع صديقي الأب نيمسيو موراطا المكلف بقسم المخطوطات في المكتبة المذكورة ، فأحالني على بحث نشر حوله في أحد أعداد مجلة « الأندلس » ، أثبت أنه من مؤلفات علي بن سعيد المغربي ثم بعد ذلك بنحو عشر سنين أخذت منه صورة فتوغرافية لمعهد مولاي الحسن . واهتم به بعض الأدباء في تطوان محاولاً نشره فلم يفعل شيئاً ، وكأن الأقدار إنما ادخرت فضل هذا العمل للأستاذ الابياري لأنها علمت أنه لا يستطيع أحد أن يفري فَرِيَّه في ذلك ، وزاده إخراج دار المعارف في هذه الحلة القشيبة رونقاً وجمالا .

وعلى أني طالعت هذا الكتاب في أصله ، فقد حُبِّب إليَّ أن أقرأه مرة ثانية في هذا الطبع الرائق ، خصوصاً وأن قراءة الأصل متعبة جداً ، لرداءة خطه . وأثناء مطالعتي له ، لاحظت بعض المآخذ الطفيفة ، والأغلاط الخفيفة ، منها ما يتعلق بالطبع ، ومنها ما يتعلق بالقراءة ، فأردت أن أنبه عليها في هذا المقال ، وذلك من دلائل إعجابي بالكتاب وتقديري لمحققه ، وإلا فما كنت لأتجاوبَ وهذا العملَ لو لم يكن يستحق التنويه ويتصف بالكمال أو يكاد ، عدا ما يدفع العين ويحقق بَشَرِيَّةَ من صدر عنه .

فأول ذلك ما أشار اليه المحقق الفاضل في مقدمة الكتاب ص . ك ـ من عبارة التمليك هذه التي كتبت على الورقة الأولى من المخطوط (لمحمد بن عبد الرحمن ابن الحكيم) فانه جعل هذا الاسم الأخير .. الحكم ، وهو في الأصل الحكيم .. والشخص هو الوزير ابن الحكيم رفيق ابن رُشَيد في رحلته ، والمترجَم في الإحاطة بما لا مزيد عليه من التنويه ، وهو أشهر من أن يُعرَّف .

ثم العبارة الثانية التي تفيد أن الكتاب كان في ملك زيدان بن المنصور وهي .. (الحمد لله . تملك هذا الكتاب عبد الله المعتمد عليه المفوض أموره

اليه أمير المؤمنين زيدان بن أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين أصلح الله أحواله)
وقد اشتبهت على حضرة المحقق فقرأ بعد اسم زيدان ·· مراكش الفهري ···
ولا يخفى أن هذا الكتاب هو من جملة الكتب التي كانت لمولاي زيدان بن المنصور السعدي وأخذها القُرصان الى اسبانيا فضُمَّت الى مكتبة « الاسكوريال » ويوجد على هذه الكتب كلها عبارة التملّك بخط المنصور نفسه أو بخط ولده زيدان ، ولا محل في اسمَيْ المَلِكَيْن معاً للفهري لأنهما من دَوْحة الأشراف العلويين المعروفين بالسعديين ·

وفي ص ٧ ·· وقعت هذه العبارة :« والنهوض الى الطبقة العالية ذات الإعراب والإبداع » والإعراب هنا وإن صح أن يراد به البيان لأنه أحد معانيه ، إلا أن قصد المؤلف هو الإغراب بالغين المعجمة ، وهو كذلك في الأصل ، وربما كانت نقطة الغين سقطت عند الطبع ·

وفي ص ١٠ أثناء تعليق لحضرة المحقق ما نصه ·· « وثَمّ كتاب آخر لابن سعيد ، وهو زبدة الحلب » وأظن أن هذا سبق قلم ، فزبدة الحلب هو لابن العديم المذكور تاريخه في التعليق ، جعله كالمختصر لذلك التاريخ · وعبارة « وثَمّ كتاب آخر » ربما أشعرت بهذا السَّبْق القلمي ·

وفي ص ١٢ « اطلعته واسطة من عقد شعرائها » والصواب في عقد · وفيها أيضاً ·· « ذاكرت بعض علماء بلدي في شأنه فنوه باسمه وأُنشدَني له » والصواب أحد علماء بلده · والخطآن يصح أن يكونا من الطبع ·

وفي ص ١٣ وقع هذان البيتان :

لجُر الصبا في وجنتيه غدا	يموج مثل البحر الجائل
أما تراه إذ طفا ماؤه	قد قذف العنبر في الساحل

والذي تعطيه قراءة الأصل أنه بحر الصبا لا لجره ، وهو المناسب لقوله يموج ولمعنى البيت التالي ، على أن هذا البحر الجائل الممثل به غير واضح المعنى ، ولا واضح اللفظ في الأصل فليحرر · وضبطت تاء أما تراه بضمة ، والصواب فتحها ·

وفي نفس الصفحة جاءت أبيات شعرية ذكر المحقق أنها من مجزوء المديد ، وهي من مجزوء الرمل ، وهذا أولها ليستدل به :

وبديع أطلع الآ س بروض الجلنار

على أن المديد لا يستعمل إلا مجزوءاً فلا يحتاج الى النص على أنه مجزوء .

وفي ص ٢٥ : يقول المؤلف في شعر لبعض من ترجمه من الأدباء .. « وهو من المحاسن التي لا يجب أن تغفل » .. فكان يجب « أن لا تغفل » ، فهذا التعبير الخطأ الذي يقع لبعض كتابنا اليوم مُزْمِنٌ ، ولا أقول قديم لئلا يُظَن صحته بالقُدْمة .

وفي ص ٣٢ والتي تليها تردد اسم الشاعر ابن بقي مضبوطاً بتشديد القاف وأظن أن هذا التشديد خطأ . لأن هذا الاسم أصله الفعل وإن قلنا انه منقول عن الصفة فحق التشديد أن يكون على الياء .

وفي صفحة ٣٨ يقول المحقق الفاضل في طريانة .. « انها بفتح فسكون : المنارة التي أمام اشبيلية على الجانب الغربي » والمعروف في ضبطها أنها بكسر الطاء ، ثم هي الجانب الغربي من مدينة اشبيلية أو الناحية الواقعة غربي النهر الكبير منها ، لا المنارة التي أمام اشبيلية ، ولعل أصل الكلمة المنازه ، أي أمكنة النزهة والفسحة ، فتصحفت في الطبع بالمنارة .

وفي ص ٤٣ : « وكان كثير الاجمال والمطايبة والمرح » والصواب : وكان كثير الاحتمال . وفيها : « ووتد » بالكسر وصوابه أن يكون مرفوعاً وهو وما بعده جملة في موضع الحال . وفيها « والفندق الذي ذبح فيه ابن الياسمين » والصواب ابن خاقان وهو سبق قلم ولا شك واقع كذلك في الأصل ، وتتابع (بالياء) فيه حضرة المحقق .

وفي ص ٤٤ : فليحزن الكتاب ما قد غاله ، وتكرر هذا الشطر فيها مرتين هكذا . وصواب الكلمة الأولى فليحذر .

وفي ص ٤٨ هذا البيت :

بدا لك النارنج وهو كأنما يريك على الأجياد دراً منضداً

والشطر الأول غير مُتَّزن كما لا يخفى ، وصوابه :

بدا لك لِلنَّارنج زَهْرٌ كأنما . . .

وفي ص ٤٩ وقع ذكر العلامة أبي الحجاج بن نموي بالواو مصحفاً الى نمري بالراء في الأصل وفي التعليق . ومصدر ترجمته الذي ذكره الأستاذ المحقق نفسه قد أثبته بالواو . وفيها أيضاً قطعتان من الشعر كتب عليهما أنهما من مجزوء المديد وهما من مجزوء الرمل .

وفي ص ٥٢ .. وردت قطعة شعر أولها :

ثار شوقي الى الحمى وهوى الخُرَّد الدمى
وتذكرت ما خلا من نعيمٍ تصرما

فجاء قول الشاعر وتذكرت مصحفاً الى وتذكري ، وهو كذلك لا يتزن ولا ينسجم مع ما عطف عليه . وفي ختام هذه الأبيات يقول الشاعر :

أيها المبتلي به عِش كئيباً متيما
والذي جاء لاحياً فيه صبّاً ومغرما
قل له دع سبيله وانج منه مسلما

وقد ثبت البيت الوسط منها في الكتاب هكذا :

والذي جاء لاحياً فيه صار مغرما

ولا يخفى ما فيه من اختلال الوزن وقطع الارتباط بالبيت الذي بعده .

وفي صفحة ٥٥ كتب على بيتي شعر أنهما من الكامل ، وهما رجز . وهذا نصهما :

يا ظبي سنجار أما ترثي لمن قد صار من أجلك في كف الأجل
قد كان مشغولاً بدرس علمه فاليوم لا علم بقي ولا عمل

وقد زيد في كلمة بدرس ألف فصارت بدارس وهو تصحيف فقط .

وفي ص ٦٢ هذا البيت :

إياك من صحبة السلطان ان لها صفواً يروق ولكن غبه كدر

وقد أثبت أوله هكذا : (أيا لمعز صحبة) وهو غير صحيح .

وفي ص ٦٩ وقع هذا البيت من شعر كُثَيِّر عزّة :

حيتكَ عزّةُ بعد الهجر وانصرفت فحي ويْحَكَ ، من حياكَ يا جَمَل

مضبوطاً بكسر الكاف من حياك وضم الجيم من جمل ، والصواب فتح الكاف خطاباً للجمل وفتح الجيم من جمل ، وهو جمل الشاعر الذي خاطبه بأبيات منها هذا . ولها قصة في كتب الأدب .

وفي ص ٧٠ قطعتان من الشعر فيهما ذكر لحرفة الأدب بضم الحاء وهي فقره وغلبة الزمان له .. ولكنها ضبطت في كلتا القطعتين بكسر الحاء ، وهو خطأ يقع فيه الكثير من الناس [1] .

وفي ص ٧٧ أبيات في وصف مطر غزير عاق الشاعر عن زيارة ، منها هذا البيت :

ملأ الأرض وُحولاً أصبحت وهْيَ مِثْلُ الحِبْر هُلْكَ الحَبَر

وقد صحفت فيه كلمة هلك بهلاً فانطمس معناه . والشاعر يقصد أن هذه الوحول التي هي في لونها الحالك مثل الحِبْر أي المداد صارت هُلْكاً ومَضْيعة للحِبَر أي اللباس والثياب .

وفي ص ٨٢ :

من لصب فوق فرش ضنى أبداً يبرا وينتكس

جفنه بالدمع منطلق وكراه عنه محتبس

جوسل العواد موضعه فهداهم نحوه النفس

(١) وفي لسان العرب (حرف) ما يدل على جواز الضمّ والكسر . فالحرفة بالضم : التشديد في المعاش من قولك رجل محارف اي منقوص الحظ لا ينمو له مال ، وكذلك الحرفة بالكسر ، ويقول في موضع آخر : (ومنه قولهم حرفة الأدب بالكسر) . (لجنة المجلة)

وقد جاء عجز البيت الأول في الكتاب هكذا .. أبداً فَبرُؤه ينتكس [1]، ولا يصح من جهة الوزن . ثم ان البيت الثالث ثبت في الأصل هكذا : جهل العذال ... وكذلك أثبته الأستاذ المحقق ، ولكنه غفل عن طرة جاء فيها : العواد وفوقها كلمة (بيان) إشارة الى صواب البيت الذي يَحسُنُ به معناه ، إذ لا يخفى أن لا مناسبة للعذال هنا .

وفي ص ٨٣ تعليق على ترجمة أبي الحرم الماكسيني نصه : « التكملة من معجم الأدباء ونكت الهميان وبغية الوعاة » ولم نر للمحقق الفاضل تكملة زاد بها شيئاً على ما في الأصل ، بل ربّما نقص ، فان في الأصل : « من مدينة ماكسين » وفي الطبع « من ماكسين » ، وأظن أنه أراد أن يحيل على مصادر ترجمة هذا الأديب فسبق القلم الى ذكر التكملة .

وفي ص ٨٧ وردت هذه الأبيات التي يمدح بها الشاعر ابنُ نوفل وزيرَ حلب ابنَ الموصول :

وصل الموصولُ كلٌّ علَّ — بكَ يا من لا نظير لهُ
لك دون المبتلى حسداً — آخرٌ قد زان أوله
وسماح ناهض ، وله — خلق في الناس أسفلَه
وكفاه أن يذوب جوًى — كلما أصبحت مُخمِلَه
ويذوقَ الموتَ من كمد — كلما حاذَيت منزله
والورى داع وملتفت — وسؤولٌ مدّ أنملَه

وقد ضبط في البيت الأول كل علا بتنوين كل وفتح عين علا ، ولا شك أن الشاعر يخاطب الممدوح ويذكر أن والده الذي اسمه الموصول ، وصل به كل عُلى ، فحق كل على النصب والإضافة الى على بضم العين . وكذلك ضبط

---

(١) ولعل الأقرب لرسم الأصل (يبرو) وهي لغة صحيحة ، ومنه قول بشار :
(فز بصبر لعل عينك تبرو) . (لجنة المجلة)

أسفله في آخر البيت الثالث بضم اللام وهو القافية التي يجب أن تكون مفتوحة كأخواتها قبلها وبعدها . ومحله جاءت في الكتاب تحمله فعلاً مضارعاً فارتفع اللام واختلفت القافية . وحاذيت كُتِبَتْ حازبت بالزاي وهو خطأ مطبعي ولا شك .

وفي ص ٩١ وقع ذكر الشريف أبي القاسم السبتي شارح مقصورة حازم ، في التعليق ، فجاءت نسبته البلدية هكذا : (البتي) وهو بلا شك خطأ مطبعي .

وفي ص ٩٥ هذا البيت من قطعة :

بغانا الحسود ولسنا كما يقول ولكن كما يعلم

وبغانا هذه هي في الأصل نعانا وكلاهما غير دقيق التعبير عما يريده القاضي أبو حفص بن عمر صاحب الأبيات ، وهو مَن هُو جودةَ شعر وبراعةَ نظم ، فهل تكون محرّفة عن هجانا ؟

وفي صفحة ٩٨ تبتدئ ترجمة الجراوي الشاعر المشهور ، وقد تكرر اسمه في المخطوطة بصورة الكوراي لا الكورائي كما أثبت في الطبع . وكثر الاضطراب في اسمه عند كثير ممن ترجموه . وقد بينا ذلك في ترجمته من سلسلة ذكريات مشاهير رجال المغرب ، وهي الحلقة السادسة . ووقع في ترجمته هذه بعض الأغلاط منها ضبط تادلا ، بلاد الشاعر ، بفتح الدال ، والمعروف فيه الكسر ، ومنها تحديد موقع جراوة قبيلة الشاعر ، ومنها الغلط في تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، جاء فيها المفضلية وغير ذلك ونظن أن هذه الصفحة لم يصححها الأستاذ المحقق نفسه .

وفي ص ١٠٢ هذا البيت :

أنحى الزمان على الاغرار واجتهدت في قطع دابرهم أحداثه السود

والاغرار هنا صوابها الاغزاز[1] .. وبعده :

---

(١) كذا (ل . م . ن)

ونازعتهم سيوف الهند أنفسهم فلم يفدهم عن الهيجاء تغريد

وصواب الكلمة الأخيرة تعريد بالعين المهملة .

وفي ص ١٠٣ هذا المطلع :

احاطت بغايات العلا والمفاخر على قدم الدنيا هلال بن عامر

وقد ضبط قدم بفتح القاف والصواب كسره . ومن هذه القصيدة أيضاً في نفس الصفحة :

وكم قد أقاموا من عروش موائل وكم قد أقالوا من جدود عواثر

وموائل هنا صوابها موائل بالهمزة .

وفي ص ١٠٦ هذا البيت :

يمت بالثلب والرقاعة والسـخف وأما ما سواه فـلا

وقد سقطت الباء في .. ما ، فصوابه : وأما بما سواه .

وفي ص ١٠٧ هذا البيت في الخمر :

من الماء فيهـا للحباب عمائم وللنور منها في الأكف ذوائب

وقد ضبط النور بفتح النون ولعل الصواب ضمها . وفيها :

قد يكرم القرد إعجاباً بخسته ..

وثبت القرد بالفاء فأوهم أنه الفرد بالفتح وهو القرد بالقاف المكسورة .

وفي ص ١١٤ :

يا تائهـاً يا جاهلاً يا قاطعاً كل مقالـ جاء من قائل

والبيت من السريع فياء النداء في (يا) قاطعاً زائدة . وفيها هذا البيت من قطعة :

ما فيهـم بعد أبي جعفر إلا إمام وارث (بغى) إمام

وبغى هنا خطأ صوابها عن ، فان الوزن والمعنى يختلان ببغى .

وفي ص ١٣٢ وقع ذكر العبيديين الفاطميين وضبط العين من هذا الاسم بالفتح والصواب الضم .

وفي ص ١٣٣ هذا البيت :

ولم أكن أغلط في مثله لكن رمتني ثقتي بالشفيع

وصواب رمتني هذه دهتني . وفيها هذا البيت أيضاً من قطعة في القلم :

يموت فيحيا ثم يفرغ زاده فيرجع للقبر الذي فيه أُتيما

وصوابه منه قيما بالقاف . ويعني الشاعر بالبيت الدواة .

وفي ص ١٤٧ ورد هذا البيت :

فأوسعه على التفسيح حمداً ويوسعني على الإحسان ذما

وأظن أن صواب قراءته على التقبيح .

وفي ص ١٥٠ من جملة أوصاف لبعض بني عبد المؤمن : «وأسفحهم يدا» وأظن أن صحة قراءتها وأسمحهم . وفي الصفحة التي بعدها هذا البيت من قطعة :

لا تحقرن صغيراً وتهملن غموضه

وقد ضبط لفظ غموضه بفتح الغين وعلق الأستاذ عليه بأن الغموضة هو الخامل الذليل ، ولم أقف على الغموضة فيما بين يدي من كتب اللغة ، وأرى أن الأولى ضم العين من هذا اللفظ على أنه الغموض مضافاً الى ضمير المتحدث عنه وهو الحقير . ولا حاجة حينئذ الى الإغراب بجعله غموضة .

هذا ما سنح لنا من التوجيهات في هذه التوافه التي كثرت عدداً وقلت حاصلاً ، ولا نبرئ أنفسنا مما يكون قد وقع لنا فيها من السهو والغلط فالانسان معدن الخطأ والنسيان .. ونتقدم الى الأستاذ المحقق بجزيل الشكر على ما أتاح لنا من التمتع بهذا الكتاب في حلة النشر الباهرة التي لا ينقص منها شيئاً وقوعُ مثل هذه الهفوات الصغيرة الى جانب حسنات التحقيق الكبيرة ونؤكد له مزيد احترامنا وتقديرنا .

عبد الله كنون

خريدة القصر وجريدة العصر
تأليف العماد الأصفهاني الكاتب

« قسم شعراء الشام ، الجزء الأول ، في ٦٨٨ صفحة متوسطة ما عدا الفهرس ، عني بتحقيقه الدكتور شكري فيصل ، وطبع بالمطبعة الهاشمية بدمشق ١٣٧٥ هـ = ١٩٥٥ م »

– ٢ – (*)

٣٣ – وجاء في « ص ٤٦٦ » قوله :

وحقّ نصف اسمه الأخير لقد كنتُ له قديماً كأوله

والشطر الثاني مكسور بتقديم « له » وتأخير « قديماً » ، والصواب « كنتُ قديماً له كأوله » بتقديم « قديماً » .

٣٤ – وجاء في « ص ٤٧٣ » قوله أيضاً :

لو كنتُ أعلمُ أنّ الدهر يعقِبُني بؤُمى لما اخترتُ أن تُهدى لي النِّعَمُ

بضم القاف من « يعقبني » وكسرها ، وفتح الياء الأولى من الفعل ، ولا أرى له وجهاً لأنه يريد « الإيراث » ، فاللازمُ الرباعي « أعقب يُعقِبُ إعقاباً » ، وجاء في نهج البلاغة في وصف الدنيا « لم يكن امرؤ منها في حَبرَةٍ إلا أعقبَتْه بعدها عَبْرة » « أو أعقبَتْهُم إلا الندامة » (1) .

٣٥ – وجاء في « ص ٥٢٣ » قول الأمير أسامة بن مُنقذ الكناني :

تَقلّبُ أحوالِ الزمان أفادني جميلَ الأمى فيما ينوبُ من الخطب

« الأمى » بفتح الهمزة ، ولا محلّ له في هذا البيت ، ولا صلة له بمراد الشاعر ، وإنما مُراد الشاعر « الأُسا » بضم الهمزة جمع « الأُسْوَة » أي القُدوة ، في الشدة والحزن غالباً ، ومن ذلك قول أعرابيّ من بني كلاب :

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في ص (١٢٤ – ١٣٤) من هـذه المجلدة .

(1) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد « ٢ : ٢٣٨ ، ٢٣٩ الطبعة المصرية » .

هوى ناقتي خلفي وقدّامي الهوى ... وإني وإياهـا لمختلفان
تحنُّ فتُبدي ما بها من صبابة ... وأخفي الذي لولا الأُسا لقضاني(١)

فالأُسا جمع الأُسوة في البيت الثاني وهي ما يأتسي به الحزين والذي أصابته شدّة .

٣٥ – وجاء في « ص ٥٣٣ » قول أسامة :

خلع الخليعُ عِذارَهُ في فسقِهِ ... حتى تهتّكَ في بُغيٍ ولواطِ

بضمّ الباء من « بُغيٍ » وهو مصدر « بَغاه يبغيه » مثل بُغاء وبُغْيَة بضم الباء أي طلب وقَصَد، مع أن المراد هاهنا « الزّنا والمُزاناة » فالصوابُ « في بِغًى » بكسر الباء ، قال الفيروزأبادي : « وبَغَتِ الأَمة تَبْغي بغيًا وباغَتْ مُباغاةً وبِغاءً » . فالبِغى مقصور البِغاء لضرورة الشعر .

٣٧ — وورد في « ص ٥٣٨ » قول القاضي الفاضل : وصل كتاب الحضرة الشاميّة الأجليَّة » . والصواب « الساميـة » من السموّ ولم يكن للشام حضرة ، فلا لزوم للنقط الثلاث ولا لتشديد الياء ، و « السامي » و « السامية » من رسوم المُراسلة في الدول الإسلامية ، كما في التعريف بالمصطلح الشريف وغيره .

٣٨ — وورد في « ص ٥٤١ » قوله يصف كتابًا وصل اليه :

وفَضَضْتُهُعن جَوْنةٍ فتأرجَتْ ... نَفَحاته مِسْكاً وفاحَتْ عَنْبرا

بفتح الجيم من « جَونة » والصّواب ضمّها ، فالجُوْنة : سُلَيْلَة مُغَشّاة بالأَدم كانت تكون عند العطارين من العرب ، ومنه قولهم « كأنه جُوْنة عَطار » لشدة عَبَق شذاه ، وجاء في مختار الصحاح « والجُونة بالضمّ : جُوْنَة العطار وربّما هُمِز . قلت : قال الأزهري الجُوْنة سُلَيْلَة مستديرة مُغشّاة أَدَمًا تكون مع العطارين » . وفي البيان والتبيين ما يدل على أن الحجّامين كانوا يستعملونها أيضًا . وتسمى أيضًا « الرَّبْعة » ، وأطلقت الرَّبعةبمجاز المجاورة على أجزاء القرآن الكريم .

٣٩ — وجاء في « ص ٥٤٧ » قول العماد الاصبهاني : « وقد سألني أنْ

(١) الكامل في الأدب للمبرد « ج ١ ص ٢٧ » طبعة الدلجموني .

أُنتجز له مطلوباً » بجعل الفعل الذي يلي « أَن » على وزن « أُفْتَعِل » ، والصحيح « أَتَنَجَّزُ » على وزن « أَتَفَعَّلُ » أي أسعى في إنجاز المطلوب ، قال الجوهري في الصحاح « واستنجز الرجل حاجته وتَنَجَّزَها أي استَنْجَحَها » . وفي المصباح المنير « واستنجزَ حاجتَه وتنجَّزها : طلب قضاءها ممَّن وَعَده إياها » . ومثله في القاموس ، ولم أجِدْ « انْتَجَزَ » إلا عند المتأخرين وبمعنى « نَجَزَ » اللازم .

٤٠ — وورد في حاشية « ص ٥٦٤ » قول ياقوت الحموي : « ولقد جئت البلاد ما بين جيحون والنيل فقلما رأيته يخرج عن هذا المذهب » ، والصحيح أن الأصل « جُبْتُ » بالباء وطُبِعَت في معجم البلدان مصحَّفة ، يقال « جُبْتُ البلاد أجوبُها » ، ولا محل لجئت في هذا المقام . وانما يقال « جاء إلى فلان وجاءه وجاءهم وجاء الى الدار وجاءها » . فالخطأ من مطبوع المعجم .

هذا ما ألفيته يستحق الكلام مما أصله اللغة وضبطها على حسب المعاني ، لأن المباني تابعة لها . وهذا شيء نزر جداً بالنسبة الى ضخامة هذا الجزء وصعوبة مادته ولا سيَّما السجع من نثر العماد . وبقيت كلمتان يستوجب ضبطها الكلام وسنأتي به في آخر الملاحظات .

وينبغي لنا أن نعطف القلم على مسائل التاريخ فنقول :

٤١ — جاء في التعليق على الشاعر المقتدر أبي المظفر محمد بن أحمد الأموي الأبيوردي « ص ٢٧ » أنه مات مسموماً باصبهان « سنة سبع وخمسين وخمسمائة » نقلاً من وفيات الأعيان لابن خلكان ، ولم تُذكر الطبعة ، والظاهر أنها قد حدث فيها غلط في النسخ والصواب « سنة سبع وخمسمائة » كما أجمع عليه المؤرخون ، وجاء في وفيات الأعيان « ج ٢ ص ١١٧ » طبعة بلاد العجم « وكانت وفاة الأبيوردي المذكور يوم الخميس بين الصلاتين عشرين [1] شهر ربيع الأول

(١) متأخرو المؤرخين يضيفون العقود ويحذفون النون إلحاقاً له بجمع المذكر السالم في الاضافة أيضاً ، ولكن الناسخ الفارسي لم يفطن لذلك .

سنة سبع وخمسمائة مسموماً باصبهان رحمه الله تعالى» . وذكر ابن الأثير وفاته في السنة المذكورة في حوادث الكامل قال : «والأديب أبو المظفر محمد بن أحمد ابن محمد الأبيوردي الشاعر المشهور ...» . وكذلك قال أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي في المنتظم «٩ : ١٧٦» وسبط ابن الجوزي في مرآة الزمان «مختصر ج ٨ ص ٤٨ طبعة الهند» . وياقوت في معجم الأدباء «٦ : ٣٤١ طبعة مرغليوث الأولى» وتاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى «٤ : ٦٢» والصفدي في الوافي بالوفيات «٢ : ٩١» وابن تغري بردي في النجوم الزاهرة «٥ : ٢٠٦» وابن العماد الحنبلي في الشذرات «٤ : ١٨» وابن الحر العاملي في أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل «ص ٥٩ من الطبعة الملحقة برجال أبي علي» . وغيرها من المخطوطات والمطبوعات . فالمخطوطات مثل «المحمدون من الشعراء للقفطي» . نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ١٠ .

٤٢ — وورد في «ص ٤١» في ترجمة «الغزي الشاعر» ما نصه «وله في القاضي زين الإسلام أبي سعد الهروي ...» فقال الدكتور شكري فيصل في الحاشية : «في كتب التراجم ، في حدود الخمسمائة اثنان بهذه التسمية أحدهما أبو سعد بن أحمد بن أبي يوسف الهروي قاضي همذان ـ انظر ترجمته في طبقات الشافعية ٤ : ٣١ ـ والثاني ... محمد بن نصر بن منصور أبو سعد الهروي القاضي ... ـ في الطبقات كذلك ٤ : ١٩٥ ـ ... أحد الفقهاء الرؤساء أرسله الخليفة [المسترشد بالله] ليخطب له بنت السلطان سنجر فقتله الباطنية بهمذان ... قتل سنة تسع عشرة وخمسمائة وفي تاريخ الذهبي سنة ٥١٨ ...» . ثم نبَّه في «ص ٦٨٣» على ورود ذكر أبي سعد الهروي في ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ولم يجزم في الحكم .

قلت : الدلائل مُتضافرة على أنّ المُراد هو الثاني أعني «زين الإسلام محمد ابن نصر بن منصور الهروي» لأنه هو صاحب لقب «زين الإسلام» والمشهور

المعلوم السيرة منها[1] ، قال سبط ابن الجوزي في حوادث سنة ٥١٨ من المرآة : « وتُقدِّمَ في رجب الى نظر الخادم [في المضيّ] الى سنجر لاستحضار الجِهَة ، وكان المتولي للعقد القاضيّ الهروي ، ورأيت في التاريخ لأبي يعلى بن القلانسي لدمشق أن الهروي قُتل في هذه السنة فقال : وفي سنة ٥١٨ ورد الخبر من العراق بأن قاضي[2] القضاة زين الإسلام أبا سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي كان قافلاً من ناحية خراسان بجواب السلطان سنجر عما صدر على يده اليه فدخل جامع همذان فوثب عليه قوم من الباطنية قد رُتّبوا له فضربوه بسكاكين حتى قتلوه[3] ... » ، ثم ذكر ترجمته في آخر حوادث السنة « ص ١١٥ » ولقبه ابن تغري بردي بزين الدين « النجوم ٥ : ١٥٠ » . والأول لم يُذكر له لقب ولا كان على مثل هذه الشهرة التي تستحق المدح .

٤٣ — وجاء في « ص ٥٧ » في الحاشية « الى أن زحف عليه السلطان محمد بن بركيارق بن ملكشاه ... » . وفي هذا القول خطأ ، صوابه « محمد بن ملكشاه أخو بركيارق » ، وهذا من الأمور التي لا تستوجب الاستشهاد ، لأن الأخ لا يكون أباً حقيقياً ، وبركيارق بن ملكشاه هو أخو محمد بن ملكشاه بالاجماع .

٤٤ — وجاء في حاشية ـ ص ٩١ ـ « الأمير معين الدين آنز الطغتكيني مقدم جيش دمشق ، ومدبر الدولة ... » نقلاً من شذرات الذهب « ٤ : ١٣٨ » . والصواب « أنر » كما في مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ١٥٤، ١٦٥، ١٧٢، ١٩٧ — ٩، ٢٠٠ — ٢٠٣، ٢٤٣، ٢٥٨، ٣٣٨ » والنجوم الزاهرة « ٥ : ٢٨٦، ٢٨٧ » قال ابن الفوطيّ في تلخيص معجم الألقاب : « معين الدين أبو المظفر أُنَر بن عبد الله التركي الدمشقي الأمير بدمشق ، ذكره الحافظ أبو القاسم بن عساكر في تاريخه عند تعديد مساجد دمشق . قال : وكان قد

(١) قال السبكي في ترجمة الأول : « كان أحد الأئمة وهو في حدود الخمسمائة ، إما قبلها بيسير وهو الأقرب ، ولذلك ذكرناه في الطبقة الرابعة ، وإما بعدها بيسير ... » .

(٢) الصحيح « أقضى القضاة » كما في الجواهر المضيّة « ٢ : ٣٧ » .

(٣) مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ١١٢ ، ١١٣ طبعة الهند » .

تُغلّب على مسجد في أيام المصريين وجُعِلَ مَتْبَنّاً منذ سنين ، فردّه الامير معين الدين أَتَر بن عبد الله مسجداً وهو قديم [١] » .

٤٥ — وجاء في « ص ٢٧١ » في ترجمة « الجُبَيلي » ما هذا نصه : « أنشدني له الشريف حَيْدرة الزيدي في حمام بناها الأفضل بمصر كتبت على بابها ... » . فعلّق الدكتور الفاضل على كلمة الأفضل « لقبه الأفضل نور الدين واسمه علي بن يوسف صلاح الدين بن أيوب ، ولد بمصر يوم عيد الفطر سنة ٥٦٥ وكان أكبر أولاد أبيه ... » . وليس هذا التعليق بصواب من حيث صلته بالمعلّق عليه ، فالشريف حيدرة العلوي الزيدي المصري المولد ورد مدينة واسط سنة « ٥٥٥ » وهُناك لقيه العماد الاصبهاني وسأله عن جماعة من شعراء مصر ، وهذا يعني أن الزيدي أخبرَهُ عن شعراء نُظِم شعرهم قبل سنة « ٥٥٥ » التي لقي فيها العماد المذكور ، فالجبيليّ الشاعر نظم شعره في حمام الأفضل قبل تلك السنة ، والملك الأفضل الأيوبي وُلد سنة « ٥٦٥ » أي بعد تلاقي الأديبين المقدم ذكرهما بعشر سنوات ، فمِنَ المُحال أنْ يكون الأفضل المُراد هو الأفضل علي ابن يوسف الأيوبي ، والصحيح أنه « الملك الأفضل أبو القاسم شاهنشاه بن بدر الجماليّ أمير الجيوش الفاطميّة ، وزير المستنصر بالله الفاطمي وابنه المستعلي بالله وابنه الآمر بالله حتى قتل سنة « ٥١٥ » كما في الوفيات « ١ : ٢٣٩ » طبعة بلاد العجم » . وترجمته مستفيضة .

٤٦ — وجاء في « ص ٣٣٥ » في ترجمة المهذب محمد بن حسّان الدمشقي قول العماد الاصبهاني « ونثرُهُ كالدر النظيم ، يرصِّعُهُ بالنطق الايادي ، في نطاق كلام العِبَاديّ « بكسر العين من « العِبادي » والباء الموحدة ، قال الناشر الفاضل : « الظن أنه يُريد عَديّ بن زيد العبادي الشاعر الجاهلي المشهور ، أول من كتب بالعربية في ديوان كسرى » . وليس ذلك بصواب فان عديّ بن زيد العبادي

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ٥ : الترجمة ١٤٠٩ من الميم ، طبعة لاهور » .

لم يُؤثر له نثر شائع ولا غير شائع حتى يضرب العماد المثل به ويشبِّهَ غيره به ، وإنما المُراد « العَبَّاديّ » بفتح العين وتشديد الباء ، نسبة الى « سِنْج عَبَّاد » وهو « أبو منصور المظفر بن أردشير الواعظ العَبَّاديّ » قال ياقوت في معجم البلدان : « سِنْج : بكسر أوله وسكون ثانيه وآخره جيم قريتان بمرو إحداهما يقال لها (سِنْج عَبَّاد) ينسب اليها أبو منصور المظفر بن أردشير الواعظ العَبَّادي مات في سنة ٥٤٧ ... » . وقال السمعاني في الأنساب « العَبَّاديّ ... هذه النسبة الى جماعة كبيرة ... وبمرو قرية كبيرة يقال لها سِنْج [١] العَبَّادي ، منها أبو الحسين أردشير بن أبي منصور العَبَّادي الملقب بالأمير ، كان واعظاً مليح الوعظ ، حسن السيرة ... وابنه الأمير أبو منصور المظفر بن أبي الحسين العَبَّادي من أهل مرو وأحدُ من اشتهر بحسن الوعظ وتصنيف العبارة وتحسينها ... تُوفي بعسكر مُكرم في بلاد الخوز سنة ٥٤٧ ثم حمل الى بغداد ودفن بها » . والمُراد بالعَبَّاديّ في قول العماد هو الابن أبو منصور المظفر ، فهو المشهور نثرُهُ بين الناس ، ألا ترى السمعاني قد قال « أحد من اشتهر بحسن الوعظ وتصنيف العبارة وتحسينها » . وذكره أبو الفرج بن الجوزي في تاريخه في وفيات سنة « ٥٤٧ » وقال « وكانت له فصاحة وحسن عبارة [٢] » وقال ياقوت في « عَبَّاد » من معجم البلدان « عَبَّاد بالفتح ثم التشديد وآخره دال ، قرية بمرو يسميها أهلها (شِنْك عَبَّاد) بكسر الشين المعجمة وسكون النون والكاف ويكتبها المحدثون (سِنْج عَبَّاد) بكسر السين المهملة وسكون النون والجيم ... ويُنسب الى هذه أبو منصور المظفر بن أردشير بن أبي منصور العَبَّادي الواعظ ، ذو اليد الباسطة فيه واللسان الطلق في فَنِّه ، حتى صار يُضرَبُ بحُسن إيراده

(١) في الأنساب المطبوع « شيخ العبادي » وهو خطأ والتصحيح من اللباب ، وورد الخطأ عينه في « العمراني » وليس له تصحيح من اللباب لأن ابن الأثير اختصر تلك المادة .

(٢) المنتظم « ١٠ : ١٥٠ » .

وبديهته على المِنْبر المثل ...» . وقال ابن خلكان : «أبو منصور المظفر بن أبي الحسن بن أردشير أبي منصور العَبَّادي الواعظ المروزي الملقَّب قطب الدين المعروف بالأمير ، كان من أهل مرو وله اليد الطُولى في الوعظ والتذكير وحسن العبارة ، ومارسَ هذا الفن من صغره الى كبره ومَهَر فيه حتى صار مِمّنْ يضرب به المثل في ذلك وصار عين ذلك العصر ، وشهد له الكل بالفضل وحيازة قصب السبق .. والعَبَّادي : بفتح العين المهملة وتشديد الباء الموحدة وبعد الألف دال مُهملة هذه النسبة الى سِنْج عَبَّاد[1] ...» .

وأجدُ في هذا الكفاية في البرهنة على ما قلتُ ، وإلا فسيرتُه كثيرة الورود في التاريخ .

٤٧ — وجاء في « ص ٥ — ٦ » قول العماد الاصبهاني في مدح القاضي عماد الدين طاهر بن محمد الشيرازي : «وكانت جائزته للغَزّي والقاضي الأرجاني والسيد أبي الرضا وأمثالهم المُتْبرين لكل واحد ألف دينار أحمر على قصيدة واحدة» . ولم يذكر الدكتور المحقق من السيد أبو الرضا هذا ؟ فهو أبو الرضا فضل الله بن علي الحسيني العلوي المعروف بابن الراوندي ، قال السمعاني في «الراوندي» من الأنساب «لعل أصله كان من هذه القرية [راوند من قرى قاشان] ، كتبتُ عنه بقاشان . وذكرته في حرف القاف» ثم قال في «القاشاني» من أنسابه : «القاشاني ... هذه النسبة الى قاشان وهي بلدة عند قم على ثلاثين فرسخاً من اصبهان ، دخلتها وأقمتُ بها يومين وأهلها من الشيعة ، وكان بها جماعة من أهل العلم والفضل ... وأدركت بها السيد الفاضل أبا الرضا فضل الله ابن علي العلوي الحسني القاشاني وكتبت عنه أحاديث وأقطاعاً من شعره ، ولما وصلتُ داره وقرعت الحلقة ، وقعدت على الدكة أنتظر خروجه فنظرت[2] الى

(١) وفيات الأعيان « ٢ : ٢١٦ طبعة بلاد العجم » .
(٢) الفاء زائدة على التوهم وهذا مألوف عند الفصحاء .

الباب فرأيت مكتوباً فوقه بالجص : إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً »[1] . أنشدني أبوالرضا العلوي القاشاني لنفسه بقاشان وكتبه لي بخطه :

هل لك يا مغرور من زاجر فترعوي عن جهلك الغامر ؟
أمس تقضى وغد لم يجيء واليوم يمضي لحة الناظر
فذلك العمر كذا ينقضي ما أشبه الماضي بالغابر ! !

وقال ابن الفوطي في ترجمة « فخر الدين محمد بن خالد ابن الشهيد أبي منصور الحنيفي الأبهري القاضي » : له إجازة من السيد ضياء الدين فضل الله بن علي ابن عبد الله بن الحسن الحسني الراوندي في ربيع الآخر سنة سبعين وخمسمائة[2] ... » . وورد ذكره في عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب « ص ١٦٣ طبعة الهند » وروضات الجنات للخونساري « ص ٧٢ » وكتاب الإجازات من بحار الأنوار ، وورد ذكر ابنه أبي المحاسن أحمد في « بدائع البدائه ص ١٣٢ » ، وهو ممن ترجمهم العماد الاصبهاني في خريدته ، كما جاء في ديوانه - أعني ديوان السيد أبي الرضا - طبعة مطبعة المجلس بطهران بعناية الأستاذ الأديب جلال الدين الأرموي المعروف بالمحدث خازن المخطوطات في دار الكتب العامة بطهران ، وترجم ابنه كمال الدين أحمد المقدم ذكره كما جاء في تلخيص معجم الألقاب « ٥ الترجمة ٢٥٠ من الكاف طبعة لاهور » .

٤٨ — وورد في « ص ٩١ » في ترجمة ابن منير الطرابلسي قول العماد الاصبهاني : واتفق انتزاح ابن منير من دمشق بسبب خوفه من رئيسها ابن الصوفي ومقامه بشيزر عند بني منقذ . ووصل زين الدين ابن حليم إلى شيزر ، فلقيه بها ورغبه في العود وخدمة معين الدين آنز ... » . فعلق الدكتور الفاضل على « ابن حليم » بقوله « في نسخة ح : ابن حكيم » ولم يزد على ذلك شيئاً يكون فيصلاً بين

(١) « سورة الأحزاب ٣٣ » .

(٢) نسخة المتحفة العراقية نقلاً من نسخة المكتبة الظاهرية بالتصوير « ٤ : ٣٢٢ » .

النَّصَّين ، ولا يُستغرب ذلك منه ، فقد وقعت الحيرة ولم يقع الجزم في هذين النصين في كتاب آخر [١] ، فانّ هذا الرجل كان من شيوخ العماد الاصبهاني وقد سمع عليه مقامات الحريري عن الحريري نفسه ، ودراسة تاريخ الأدب العربيّ توجب معرفته ، وقد ترجمه محيي الدين عبد القادر القرشي في طبقاته ، قال : «ابن حكيم محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيميّ ، لقب بابن حكيم ، أبو المظفر الواعظ ، ولعلّ في بعض أجداده من اشتهر بالحكمة وقولها» [٢] . وقال في ترجمته : «محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الحكيميّ ، عرف بابن حكيم ، أبو المظفر ، الواعظ ، فقيه أصحاب أبي حنيفة ... تفقه ببغداد على الحسين بن محمد بن علي الرئيس ، وذكر أنه سمع منه ومن جماعة سواه . وقال ابن ناصر [٣] : كَذّاب ماسمع شيئاً ببغداد ولا رأيناه مع أصحاب الحديث وهو قاصٌّ يتسوّق عنه العوام . قال السمعاني : ورأيت سماعه بخطّ من أثقُ به على أبي علي بن سعيد بن برهان ، ولعله سمع اتفاقاً لا قصداً» وقال «سكن دمشق ... قال ابن النجار : ودرس بدمشق بمدرسة طرخان وبنى له الأمير الواثق [٤] (كذا) المعروف بمعين الدين مدرسة ودرس بالمدرسة الصادرية أياماً ، وظهر له قبول في الوعظ ، وصنف تفسيراً وشرح المقامات ، سمعتُ [٥] شيئاً من شعره ، وكان قَسيلا [٦] في دينه ، خليعاً ، قليل المروة ، ساقطاً كذاباً ... ومن تصانيفه تفسير القرآن وشرح الشهاب للقضاعي ونظم مختصر القدوري وشرح المقامات» .

(١) الخريدة «القسم العراقي ج ١ ص ٢٩ من المقدمة» .
(٢) الجواهر المضية في طبقات الحنفية «٢ : ٣٩٤» . قلت : لو كان بعض أجداده مشتهراً بالحكمة وقولها لقيل له : «ابن الحكيم» كما يقال : «ابن الطبيب وابن النقيب» .
(٣) كان ابن ناصر كثير الثلب للعلماء كما ذكر ابن السمعاني في تاريخ بغداد .
(٤) الصواب «أنر» :
(٥) لايصح نسبة هذا القول الى ابن النجار لأنه ولد في ذى القعدة من سنة «٥٧٨» وابن حكيم توفي سنة «٥٦٧» ، وسيأتي أنه كلام ابن عساكر الدمشقي .
(٦) الجواهر «فشلا» وهو من غلط النسخ والطبع .

وقال «قال ابن النجار : أخبرنا إسماعيل بن سليمان السكري بدمشق أنبأنا أبو محمد عبد الخالق بن أسد بن ثابت الحنفي قال سألت أبا المظفر محمد بن أسعد [ابن حكيم] عن مولده فقال : في يوم الخميس السادس عشر من ربيع الأول سنة أربع وثمانين وأربعمائة» قال : «توفي في المحرم سنة سبع وستين وخمسمائة بدمشق»[١] .

وقال العماد الاصبهاني في الخريدة : «زين الدين أبو المظفر محمد بن أسعد العراقي الواعظ ، الفقيه الحنفي المعروف بابن حكيم ، من بغداد ، استوطن دمشق ، من ظرفاء العلماء وعلماء الظرفاء ، شاخ وتجر طربه ما باخ ، من شعره :

تقدمتمُ بالحظّ حتى سبقتم جياد المذاكي بالحمير الأظالع
كأنكم الأعداد لا يُبتدى بها لدى عقدها إلا بصُغرى الأصابع

وله : الدهر يخفض عامداً فيلاً ويرفع قدر نملهْ
فاذا تنبه للئــــا م وقامَ للنوام نَمْ لهْ»[٢] .

وقال جمال الدين أبو عبد الله محمد بن سعيد ابن الدبيثي الواسطي في تاريخه : «محمد بن أسعد بن نصر البغدادي أبو المظفر المعروف بابن حكيم ، الفقيه الحنفي الواعظ ، سكن دمشق الى أن توفي بها وكان يعظ بها . ذكره أبو سعد ابن السمعاني في كتابه وقال : التقيته بدمشق . وذكرناه نحن لأن وفاته تأخّرت عن وفاته . سمع منه أبو المواهب الحسن بن هبة الله بن صَصْرَى وذكره في معجم شيوخه . أنبأنا الحسن بن أبي الغنائم التغلبي [ابن صصرى] قال : محمد بن أسعد بن نصر العراقي البغدادي الفقيه الحنفي أبو المظفر يعرف بابن الحكيم ، الواعظ توفي سنة سبع وستين وخمسمائة ودفن بباب الصغير وقد جاوز الثمانين ـ رحمه الله وإيانا ـ»[٣] .

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية « ٢ : ٣٢ ، ٣٣ » .
(٢) خريدة القصر « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٢٦ الورقة ٤٢ » .
(٣) ذيل تاريخ بغداد « نسخة الدار المقدم ذكرها ٥٩٢١ الورقة ٢٧ » .

وقال القفطي : « كتب إليّ محمد بن هبة الله بن تميل الشيرازي أنبأنا الحافظ أبو القاسم الدمشقي [ابن عساكر] من كتابه قال : محمد بن أسعد بن محمد بن نصر أبو المظفر البغدادي المعروف بابن الحكيم الفقيه الحنفي الواعظ ، سكن دمشق ودرس بمدرسة طرخان ثم بنى له الأمير أنر المعروف بمعين الدين مدرسة ، ودرس بالمدرسة الصادرية أياماً وظهر له قبول في الوعظ وصنف تفسيراً وشرح المقامات . سمعت منه شيئاً من شعره ، وكان فَسْلاً في دينه ، خليعاً قليل المروءة ساقطاً كذاباً ، أنشدنا أبو المظفر ـ وكتبه لي بخطه :

ذكرتُ هوى سلمى وليلى بمعزل وعدتُ إلى مصحوب أول منزلِ
ونادت بي الأشواق مهلاً فهذه منازل مَن تهواه دونك فانزلِ
وخذ من نعيم قد صفا لك شربه ودع ماسوى الأحباب عنك بمعزل

... توفي سنة سبع وستين وخمسمائة ودفن بباب الصغير وقد جاوز الثمانين »[1] .

وترجمه الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات . قال : « محمد بن أسعد بن محمد بن نصر الفقيه أبو المظفر بن الحكيم البغدادي الحنفي العراقي الواعظ نزيل دمشق ... »[2] . وله ترجمة في الشذرات « ٤ : ٢١٨ » .

وقال العماد الاصفهاني في ترجمة الحريري : « وسمعت المقامات على ابن الحكيم عن ابن الحريري[3] » . فهذا ما علمناه من مراجع سيرة ابن الحكيم ، وآخر فائدة نذكرها من سيرته أنّ عثمان البلطي النحوي اللغوي الأديب الشاعر المشهور حدّث عن ابن الحكيم هذا[4] . وقد ذكرنا مختصر ما نقلناه آنفاً في

(١) المحمدون من الشعراء « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٣٥ الورقة ٥١ ، ٥٢ » .
(٢) الوافي « ٢ : ٢٠٣ » .
(٣) نسخة دار الكتب المقدم ذكرها « ٣٣٢٦ الورقة ١٨٢ ، ١٨٣ » .
(٤) التكملة لوفيات النقلة لزكي الدين المنذري المصريّ « نسخة المجمع العلمي العراقي المصورة ، الورقة ٤٧ » وتاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٩ » .

حواشي كتاب « تكملة إكمال الاكمال » لجمال الدين بن الصابوني [١] .

٤٩ — وجاء في «ص ٨٨ » في التعليق على «الحَظيرة» أنّها « موضع في بغداد» نقلاً من وفيات الأعيان ، والصحيح أنّها كانت فوق بغداد ، وهكذا ورد ذكرها في الوفيات ، قال ياقوت في معجم البلدان : «الحَظيرة : بالفتح وقد تقدم اشتقاقها ، وهي قرية كبيرة من أعمال بغداد من جهة تكريت من ناحية دُجَيل ينسج فيها الثياب الكرباس الصفيق ويحملها التجار الى البلاد » ، وزاد عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي في مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع أنها « قرب حَربى » وأنّ الثياب الكرباس من القطن .

٥٠ — وجاء في «ص ٢٢١ » قول عَرقلة الكلبي يمدح ابن نيسان بآمِد أي ديار بكر الحاليّة :

والعيش قد رقتْ حواشي حسنه ما بين دجْلَتِها إلى قُطْرَبُّلِ

فقال الدكتور شكري فيصل في الحاشية يصف قطربّل : «قرية ما بين بغداد وعُكبرا ، مشهورة بالخمر . ويقول عنها ياقوت : ما زالت متنزّهاً للبطّالين وحانة للخمارين ، وقد أكثر الشعراء من ذكرها» . قلنا : وفي المسألة غلَطان : أحدهما الاستشهاد بقرية قريبة من بغداد لإيضاح وصف آمِد في أعلى مدن الجزيرة وبينهما مئات فراسخ ، والآخر قول ياقوت إنّ « قطربل » بين بغداد وعُكبرا ، وتصحيح الغلط الأول هو أنّ « قطربّل » التي ذكرها عرقلة الكلبي الشاعر ، ذكرها ياقوت أيضاً وهي غير هذه القريبة من بغداد . قال : « ومقابل مدينة آمد بديار بكر قرية يُقال لها قُطرَبُّل تُباع فيها الخمر أيضاً ، قال فيها صديقنا محمد بن جعفر الرَّبَعي الحليّ الشاعر :

يقولون ها قُطرَبُّلٌ فوق دجلةٍ عَدِمتكِ ألفاظاً بغير معاني
أُقلّب طرفي لاأرى القُفصَ دونها ولا النخلَ باد من قرى البَرَدانِ »

---

(١) تكملة إكمال الإكمال « ص ١١٤ » طبعة المجمع العلمي العراقي بتحقيق كاتب هذه الكلمات .

فهو قد استغرب «قُطرَبُلّ» آمد لأنَّها ليست قريبة من القفص ولا يبدو نخل البردان للمقيم فيها، كما هو حال «قُطرَبُلّ» القريبة من بغداد. وتصحيح الغلط الثاني ذكره مؤلف مراصد الاطلاع بأن «الحظيرة» بين بغداد والمزرفة، لأنّ عُكبرا كانت أيام ياقوت من الجانب الشرقي، والحَظيرة في الجانب الغربيّ وبينهما فراسخ.

٥١ – وجاء في «ص ٥٤٩» قول العماد الاصبهاني: وقال السمعاني: سمعت أبا الحجاج [يوسف بن مقلد التنوخي الدمشقي الجماهري] يقول: سمعتُ الأمير علي بن مُرشد يقول: سمعت دُراجاً بدرب الحبيب ...». والصواب «درب حبيب» بغير الألف واللام، وهو منسوب الى رجل اسمه «حبيب» لا الى الحبيب، ولو راجع الدكتور الفاضل مظنة مطبوعة من مظان ترجمة الأمير «علي بن مُرشد الكناني الشيزريّ» أشار هو إليها في الحاشية تعليقاً لاستطاع تصحيح اسم هذا الدرب الذي كان مشهوراً بشرقي بغداد، وتلك المظنّة هي معجم الأدباء لياقوت الحمويّ «١: ١٨٤، ١٨٥ طبعة مرغليوث الأولى» فانّ ياقوتاً الحمويّ كان قد استمد أكثر أخباره من الخريدة، كما ظهر لنا من المقابلة بين النصين، وقد جاء في نص ياقوت «قال الأمير علي ابن مرشد سمعت دراباً يصيح بدرب حبيب فقلت فيه ...» وذكر الأبيات وكان تصفح هذا المرجع ذا فائدتين: تصحيح ما في الخريدة إنْ كان فيها خطأ، وتصحيح ما في معجم الأدباء، وقد ظهر خطأ فيه، ومن ذلك «دراب» مكان «دراج [1]»، و«بَتّ» مكان «نَتّ» الصحيح.

وقد ذكر ياقوت الأبيات الرائيَّة، والأبيات النونية المكسورة والنونية

(١) لعل الأصل «سمعت زُرْياباً» لأنه من الطيور التي تعلق في الأقفاص وتغرّد وتقلد الإنسان في نطقه، راجع «حياة الحيوان للدميري في زرياب». وكان الأب أنستاس ماري الكرملي يرى هذا الرأي أيضاً.

المختومة بالهاء والأبيات الميميّه ، والبيتين الرائيّين ، وشعراً آخر لم يذكره العماد الأصفهاني في الخريدة .

هذا ودرب حبيب قد ورد ذكره في عدّة كتب كالكامل لابن الأثير وفوات الوفيات وغيرهما [1] .

٥٢ — ولم يذكر في «ص ٢٧» من مظان ترجمة أبي المظفر محمد بن أحمد الأموي الابيوردي ، إلا الوفيات لابن خلكان ، وقد أشرنا إلى الخطأ في سنة وفاته ، وذكرنا من مظان سيرته معجم الأدباء لياقوت والمنتظم لابن الجوزي ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي وطبقات الشافعية الكبرى للسبكي ، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ، وشذرات الذهب لابن العماد الحنبلي وأمل الآمل لابن الحر العاملي ، والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي ، والمحمدون من الشعراء للقفطي . ذكرنا ذلك في النقدة الإحدى والأربعين .

ويطول بنا الحديث لو ذكرنا ما فات الدكتور الفاضل من مظان سير المترجمين في هذا الكتاب ، وهذا لا يعني أنه قَصَّرَ ، فانّ ما ذكره من المراجع قد فاقَ غيره في مثله ، ولكنه لِقِصَر عهده بجمع التراجم قد يفوته منها ما لا ينبغي أنْ يفوته ، كترجمة شرف الدين محمد بن نصر بن صَغير المعروف بابن القيسراني ، فقد وردت في معجم الأدباء «مختصر ج ٧ : ١١٢ طبعة مرغليوث» وفيها شعر يستفاد منه في المقابلة ، وكذلك القول في ترجمة «ملك النحاة» الوارد ذكره في «ص ٢٠٨ من الخريدة» فقد ترجمه فيمن ترجموه ياقوت في معجم الأدباء «٣ : ٧٤ طبعة مرغليوث أيضاً» . وقد أشرنا الى وجود ترجمة الأمير أبي الحسن علي بن مرشد الكناني الشيزريّ في التاريخ المجدّد لمدينة السلام المحفوظ جزؤه

(١) كالتاريخ المجدّد لمدينة السلام لمحب الدين محمد بن النجار ، قال « أنشدنا الحاتمي أنشدنا ابن السمعاني أنشدنا يوسف الدمشقي قال : سمعت علي بن مرشد يقول : سمعت دراجاً يصيح بدرب حبيب فعملت فيه هذه الأبيات وأنشدنيها . . . » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٣٨ » .

بدار الكتب الوطنية بباريس ، فهذا مخطوط مَعْذور مَن لم يقف عليه ، والغاية من الاستكثار من المراجع تصحيح بعض النصوص الأدبية والأعلام التاريخية والأعلام البلدانية .

٥٣ — وقد ورد في «ص ٥٤٩» قول أبي سعد بن السمعاني : «أنشدني أبو الحجاج يوسف بن مقلّد التنوخيّ الدمشقي الجماهري أنشدني الأمير ...» ووردَتْ كنيته أيضاً في «ص ٥٥٠» ولم يعلق الدكتور الفاضل على اسم هذا الأديب الراوي شيئاً ، وأوَدُّ لو يبحث عن سيرته وأخباره فانَّ له صلة نَسَبٍ نازلة بأبي الفتوح عبد السلام بن يوسف الدمشقي مؤلف «انموذج الأعيان» وقيل «أنموذج الزمان في شعراء الأعيان» . قال حاجي خليفة : «أنموذج[1] الزمان في شعراء الأعيان ، لأبي الفتوح عبد السلام بن يوسف الدمشقيّ المتوفى سنة ... » ولم يذكر السنة . والظاهر أنَّ هذا الأديب الدمشقي كان مُنافساً للعماد الاصبهانيْ في جمع تراجم الشعراء المعاصرين له ، وهو ابن التنوخي الوارد ذكره في الخريدة آنفاً ، قال ابن الدبيثيّ في ترجمته من تاريخه : «عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلّد الجماهري أبو الفتوح بن أبي الحجاج الدمشقي الأصل ، البغدادي المولد ، من أبناء الشيوخ المذكورين بالفضل والعلم والصلاح ...» إلى أن قال «توفي عبد السلام بن يوسف الدمشقي بدمشق بعد سنة ثمانين وخمسمائة بيسير[2]» .

وقد استمد منه ابن خلكان كما ذكرنا في حاشية سابقة ، وذلك في ترجمة «هبة الله بن أبي الغنائم المعروف بابن التلميذ النصراني الطبيب» قال : «وذكر في كتاب أنموذج الأعيان من شعراء الزمان فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان

(١) في حاشية نسخة الأصل المطبوعة باشراف وكالة المعارف التركية « النموذج بفتح النون : مثال الشيء والأنموذج لحن » وزاد ابن خلكان في التسمية « ... فيمن أدرك بالسماع أو بالعيان » « ٢ : ٣٢٧ طبعة بلاد العجم » .

(٢) ذيل تاريخ بغداد « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ لورقة ١٤٠ » .

أن ابن التلميذ المذكور كان متفنناً في العلوم ... » . واستفاد منه محب الدين محمد بن النجار البغدادي في تاريخه المجدّد لمدينة السلام بغداد ، قال في ترجمة « الفضل بن الحسن بن بركة أبو المكارم » : « من أهل الحلّة ، ذكره أبو الفتوح عبد السلام بن يوسف الدمشقي في كتاب أنموذج الأعيان ... »[1] .

٥٤ – وأختم هذه التعليقات بالكلام على ضبط لفظتين وردتا في أصل الخريدة الشامية : إحداهما في « ص ٩٦ » في قول العماد الاصبهاني وهو يترجم أبا عبد الله القيسراني : « وعَلا في سوق الأدب دُرُّه ، ونَفِقَتْ في متجر الرغائب رغائبه » فقد ضَبَطَ « نفقت » بكسر الفاء وليس ذلك بصواب ؛ لأنَّ « نفق » الذي منه النَّفاق (بفتح النون) والرواج ، مفتوح الفاء الأصلية ، قال الفيومي في المصباح المنير « ونَفَقَت الدابة نفوقاً من باب قعد : ماتَتْ ، ونفقت السِلْعَة والمرأة نَفاقاً بالفتح كثر طلابها وخطّابها » فقد وحّد بين الفعلين وخالَف بين المصدرين ، وكذلك ما ورد في مختار الصحاح ، أما « نَفِق » بكسر الفاء الأصلية فمعناه « نَفِدَ وفني » وهو ضدُّ مراد العماد الاصبهاني .

٥٥ – واللفظة الثانية في قول العماد وهو يترجم عرقلة الكلبي – ص ١٧٨ – : « لم يزل خِصِّيصاً بالأمراء السادة بني أيوب » بكسر الخاء وتشديد الصاد من « خصيصاً » وتَنْوينه ، والمعروف أنَّ هذا الوزن هو أحد أوزان مصدر الفعل « خَصَّ » المتعدي لا « خَصَّ » اللازم ، قال الفيروزابادي في القاموس : « خَصَّه بالشيء خَصّاً وخُصوصاً وخصوصيَّة ويفتح وخِصِّيصى ويُمدُّ [خِصِّيصاء] وتَخِصَّة[2] ، فالخِصِّيصى مصدر كالخِلّيفى والبِزّيزى والخِلِّيسى والدِسّيسى والحِثّيثى والشِمّيمى والقِتّيتى والمِسّيسى والمِكّيثى والنفّيضى والزِلّيلى

---

(١) التاريخ المجدّد « نسخة الدار المذكورة ٢١٣١ الورقة ١٤٠ » .

(٢) أنا شديد العجب من الفيروزأبادي كيف يجعل « التخصّة » أي التفعلة مصدراً للثلاثي مع أنها مصدر « خصّص تخصيصاً » فهي تقابل التخصيص كالتكرمة والتكريم والتحلّة والتحليل .

والسبّيي والردّيْدى والفختّيرى والدلّيلى والمجّيرى والوقّيفى . ولا محلّ للخصّيصى في جملة العاد المقدّمة ، وإنما يجب أن يكون وزن الصفة التي أوردها « فَعِيْلاً » نحو « خليل وجليل وكليل وعليل وصديق » . وهذا الوصف « خَصِيْص » مولّد مقيس على « صديق » أو « خليل » ولم يعرفه القُدماء ، ولا يصح عندي نقله إلى وزن « سِكّير » لئلا يلتبس بالمصدر ، وأكرَهُ ما تكرهُ العرب في لغتها الالتباس والإبهام والاستبهام .

هذا آخر ما استوقف النظر واستوجب التعليق ، وهو بالإضافة إلى عمل الدكتور شكري فيصل الأدبي الرائع ، كالخال في خد الحسناء ، والله ولي التوفيق والهادي الى سواء الطريق .

مصطفى جواد

شرح قانون أصول المرافعات المدنية والتجارية

تأليف السيد منير القاضي

٤٢٠ صفحة من القطع المتوسط – بغداد ١٣٧٦ هـ = ١٩٥٧ م

الأستاذ السيد منير القاضي رئيس المجمع العلمي العراقي علم من أعلام الفقه والقانون في البلاد العربية ، وهو أستاذ مادة المرافعات المدنية والتجارية في كلية الحقوق في بغداد ، وقد سبقت له عدة تآليف في الفقه والقانون من أهمها شرح مجلة الأحكام العدلية وشرح القانون المدني العراقي ؛ واليوم يتحف المكتبة الحقوقية بكتاب جديد هو «شرح قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية» ، وقد قدمه لنا بقوله : «هذا شرح ألقيتُ مضامينه محاضرات على طلاب الصف الرابع في كليه الحقوق ، ثم أفرغتها شرحاً للقانون ، مراعياً فيه التبسيط مع تجنب الإطناب والخروج عن الموضوع» .

إن قانون «أصول المرافعات» هو القانون الذي ينتظم جميع القواعد المتعلقة بالقضاء والمبينة لأصول التقاضي وكيفية تنفيذ الأحكام القضائية . وكان بعض

الفقهاء المسلمين اختار لهذه القواعد والأصول اسم «علم القضاء» [1] ، ولكن العثمانيين عندما أخذوا ينقلون الى بلادنا القوانين الفرنسية ترجموا كلمة Procédure [2] بـ «أصول المحاكمات» وظل هذا التعبير سائداً في البلاد العربية إلا في مصر إذ اختارت لقانونها اسم «أصول المرافعات» [3] ، والمرافعة لغة ، كما نعلم ، الشكوى الى الحاكم أو هي رفع الظلامة لمن يلي القضاء بين الناس ، مما جعل المشرع السوري يرى أن تعبير «أصول المحاكمة» أبلغ دلالة وأوسع شمولاً من «أصول المرافعات» للمراد من القانون الخاص بها فاستبقاه اسماً لقانونه الحديث .

لقد ابتدأ الأستاذ القاضي مؤلفه بسرد قصة قانون المرافعات في العراق ، وكيف أن اللجنة المكلفة لوضع مشروع جديد استبدلت بالاسم القديم الاسم الجديد ، وياليت المؤلف ذكر لنا «الأسباب الموجبة» التي وضعتها اللجنة المذكورة ، إذن لكنا اطلعنا على أسباب ترجيح اسم «أصول المرافعات» على اسم «أصول المحاكمات» وخصوصاً أن اللجنة لم تأخذ بكثير من اصطلاحات القانون المصري واستبقت مثلاً اسم أعلى محكمة في الدولة وهي «محكمة التمييز» ولم تأخذ بالاسم الذي اشتهرت به مثل هذه المحكمة في مصر وهو «محكمة النقض والإبرام» .

ومما يتصل بخلو الكتاب من ذكر «الأسباب الموجبة للقانون» أن القارئ لا يستطيع أن يلم في صفحات قليلة بالأحكام التي رأت اللجنة استبقاءها من

(١) انظر تبصرة الحكام لابن فرحون المالكي ، وكذلك كتاب معين الحكام للطرابلسي .

(٢) يطلق على قانون المرافعات أو مدونة أصول المحاكمات المدنية في فرنسة اسم Code de Procédure Civile ، ولم يخل هذا الاسم في فرنسة نفسها من نقد إذ يقترح بعض رجال القانون الفرنسيين تسمية القانون باسم «القانون القضائي» انظر Morel في كتابه Cours de Droit Judiciaire Privé باريس ١٩٥٢ - ١٩٥٣ ص ٥ .

(٣) لم يخل هذا الاسم في مصر من نقد أيضاً لقصوره وإبهامه - انظر مؤلف الدكتور احمد مسلم «أصول المرافعات» ص ٨ القاهرة ١٩٥٦ .

القانون القديم وبأهم الأحكام الجديدة التي جاءت بها والمصادر التي عنها أخذت ، وفي هذا الإلمام غناء لرجل القانون عن الرجوع الى النصوص القديمة ومقارنتها بالنصوص الجديدة .

لقد اختط المؤلف لنفسه في شرح القانون خطة أطلعنا عليها في الصفحات الأولى من كتابه ، فهو لم يقيد نفسه بتفسير مواد القانون مادةً مادة ، بل جعل أبحاث القانون تسترسل بقلمه القوي ولغته المشرقة متسلسلةً ، كما وردت في القانون ، بعضها إثر بعض ، متلازمةً متعانقة مترابطة ، وهو يوضح المواضيع التي جاء بها القانون تباعاً مع درج مواد كل موضوع في ذيل صحائفه .

وهذه الخطة كما يصفها المؤلف بحق «أجمع لمسائل القانون في الذهن وأقرب الى تصورها فيه متصلةَ الحلقات ... وهي أهدى لطلاب الحقوق في الإلمام بمواضيع الدراسة إلماماً تاماً» . ونحن إذ نؤيد الأستاذ الجليل في كلامه هذا ، لا نقره في تتمة قوله «وان شرح مثل هذا القانون مادةً مادةً لا يعين الحاكم أو المحامي ، ولا يفيد فائدة تذكر» لأن لكل طريقة في شرح القوانين مزاياها وعيوبها .

وتبعاً للخطة المذكورة يبدأ المؤلف بشرح أحكام الدعوى وما يتصل بها ، ثم يبين اختصاص المحاكم شارحاً كيفية إقامة الدعاوى وأصول المحاكمات حتى ينتهي مع القانون ببيان كيفية صدور الحكم وطرق الطعن في الأحكام .

ومما يسر رجل القانون الأصيل في عروبته متابعة المؤلف ، وهو يعلق على صياغة القانون وعلى بعض التعابير فيه ، بتعليقات بعضها لاذع وبعضها طريف ، فهو يقول مثلاً تعليقاً على المادة الأولى من القانون ونصها ـ الدعوى طلب شخص حقه من آخر بواسطة المحكمة ـ «إن تعبير ـ بواسطة المحكمة ـ تعبير غير دقيق ، لأن المحكمة ليست واسطة تعرض طلب الحق من آخر ، بل هي التي يُعرض الطلب أمامها لتقوم بما تراه حقاً فتقرر حكمها فيه ، والتعبير الصحيح هو ـ في

مجلس القضاء » . وهو يعلق على المادة ١٣ التي تقسم الدعوى الى نوعين دعوى أصلية ودعوى حادثة ، بقوله : « كلمة ـ أصيلة ـ هنا أفصح من كلمة أصلية ، لأن النسبة لا يذهب اليها إلا إذا تعذر أداء المعنى المراد بدون النسبة ، وليس الأمر كذلك هنا » .

والى جانب أمثال هذه التعليقات لم يترك المؤلف ، وهو العالم المتمكن في الفقه المطلع على كتب الشريعة الإسلامية وأحكامها ، الفرصة كلما سنحت له ، ليوازن بين أحكام القانون وأحكام الشريعة معللاً إياها تعليلا جميلاً قويا .

ويمضي المؤلف في شرحه مواد القانون حتى إذا أتى عليها استدرك على القانون ببعض الملاحظات القيمة ، ثم أثبت ، خدمةً لطلاب الحقوق ، بعض النماذج للعرائض والصكوك الهامة .

والكتاب مطبوع على ورق جيد طبعاً أنيقاً متقناً ؛ والجهد في إخراجه وتصحيحه يبدو واضحاً ، ولكنه برغم هذا الجهد لم يخل من الأخطاء المطبعية ؛ والكثير منها لا يخفى على القارئ ، إلا أن بعضها كان يحتاج الى تنبيه في آخر الكتاب كالذي ورد في الصفحات ٨ و ١٠ و ١١ من الإشارة الى المادة (١) وصحتها المادة (٢) .

والكتاب في جملته يعتبر من أحسن الشروح القانونية في اللغة العربية ، وجدير بأن لا تخلو منه مكتبة قاض أو محام أو فقيه .

عدنان الخطيب

محاضرات في الاستعمار
للأمير مصطفى الشهابي

ألقاها في القاهرة على طلاب معهد الدراسات العربية العالية سنة ١٩٥٦ و ١٩٥٧
وطبعها المعهد في جزءين كل منهما في (٢٢٠) صفحة من القطع الوسط

عُرف الأمير الشهابي بكتبه الزراعية ، وببحوثه المستفيضة في مصطلحات علوم الزراعة والمواليد وبقاموسه المسمى «معجم الألفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية» الذي هو نسيج وحده في هذه المواضيع والذي يعد أهم مرجع موثوق لمصطلحات تلك العلوم في أيامنا هذه .

وأما «كتاب الاستعمار» الذي نحن بصدده وتألفت منـه هذه المحاضرات فهو يختلف في موضوعه عن المواضيع العلمية واللغوية التي أَلِفَ الأمير الشهابي نشرها في هذه المجلة وفي غيرها ، وهو لا يقل عنها في فائدته وفي غزارة مادته العلمية .

فلقد عانى المسلمون عامة «والعرب خاصة» ويلات الاستعمار على مختلف أشكاله ، وكافحوه كفاحاً مريراً ، فأفلت بعضهم من حبائله ، ونعموا بنعمة الاستقلال ، ولبث آخرون يكافحون بشتى الوسائل ، وما من شك في أن النصر سيكون حليفهم ، ونحن نؤمن بنظرية المؤلف بأن الاستعمار بحالة الاحتضار ، وأن مصيره سائر في العالم الى الزوال .

ولكن الاستعمار عدو ألد للشعوب الضعيفة ، وهو يتبع في تسلطه على تلك الشعوب خططاً وقواعد ووسائل محكمة ومختلفة ، وقد أصبح الاستعمار في الغرب علماً يدرّس وتؤلّف فيه الكتب . ولذلك كان لا بد لنا من كتاب علمي في هذا الموضوع ، وقد حقق هذا الغرض الجزء الأول من «كتاب الاستعمار» وسد هذه الثغرة ، فجاء أول كتاب عربي تناول بحوث الاستعمار بطريقة علمية وتحليل سياسي .

وذكر الأمير الشهابي في مقدمة هذا الجزء أنه فكر في تأليف «كتاب الاستعمار» منذ سنة ١٩٣٦ ، وكان يومذاك عضواً في الوفد السوري الذي ذهب الى باريس لمفاوضة الحكومة الفرنسية في عقد معاهدة تحل محل الانتداب الفرنسي على سورية وتقضي باستقلال هذا القطر العربي ، فلقي الوفد من عنت ذئاب الاستعمار ، ومن تأثيرهم حتى في الحكومة الفرنسية ، ما جعله يفكر في

تأليف كتاب في الاستعمار وأساليبه ، فجمع لهذا الغرض أوثق المصادر الأعجمية التي ألفها الكتاب والسياسيون ورجال الدولة الأوربيون في مواضيع الاستعمار فجاء منها ومن اختباراته في الحكم بهذا الكتاب القيم .

وتكلم المؤلف في الجزء الأول المذكور على الدولة وصنوفها ، والاستعمار وتأريخه ، والتسلط وأشكاله ، والذرائع الحقوقية التي يتذرع بها المستعمرون تبريراً لاستعمارهم ، ويسمونها « حقوق الاستعمار » ، وقد دحض هذه الحقوق المزعومة دحضاً علمياً وفلسفياً وخلقياً و دينياً ، وأثبت حق الثورة في سبيل الاستقلال ، وختم هذا الجزء بذكر الأساليب التي تتبعها الدول الاستعمارية المختلفة في إدارة المستعمرات وفي محاربة أديانها ولغاتها واغتصاب شتى مرافقها .

أما الجزء الثاني فهو مؤلف من قسمين ، قسم تناول المؤلف فيه بلاد العرب وسكانها ، والقضية العربية وماهيتها ، ويقظة العرب الحديثة ومبعثها ، والقضية الشرقية وأهدافها ، والحرب العالمية الأولى وتأثيرها ، والثورة العربية الكبرى ومسوغاتها . وخص القسم الثاني منه بأساليب الحكم والإدارة التي اتبعها الفرنسيون في سورية ولبنان منذ سنة ١٩٢٠ حتى جلائهم عنهما في سنة ١٩٤٦ ، فقد تكلم باسهاب على الانتداب وماهيته الشرعية المزعومة ، والمفوضية العليا الفرنسية وأعمال دوائرها ، وتقسيم سورية دُوَيلات والغاية منها ، وسلطة المفوض السامي ومعاونيه التي امتدت الى كل التشريعات التي لها علاقة بسياسة البلاد ومصالحها ، كما امتدت الى تنفيذ الأعمال في مختلف الوزارات وتوابعها .

وقد أجاد المؤلف في كتابه أو قل في محاضراته التي جمع فيها ما لا يتيسر للطالب والباحث العثور عليه في مرجع آخر ، ولا غرابة في ذلك فالأمير الشهابي من قدماء العاملين للقضية العربية سواء في جمعية « العربية الفتاة » أم في « جمعية العهد » ، أم في مناصب الدولة العالية في الوزارات ، فجاء كتابه ثمرة معلومات غزيرة وخبرة واسعة وجهد طويل فأحسن فيه الى بني قومه فجزاه الله عنهم خير الجزاء .

تاريخ العراق بين احتلالين ــ العهد العثماني الأخير

الجزء الثامن

بقلم الأستاذ عباس العزاوي

طبع في بغداد سنة ١٩٥٦ في (٣٥٨) صفحة من قطع الوسط

يتضمن هذا الجزء الشطر الثاني من تاريخ العراق الحديث ، استأنف فيه المؤلف الحوادث التي توقف عندها في الجزء السابق من هذه السلسلة ، تناول فيه الحوادث التي جرت ما بين السنتين ١٨٧٢ م الى سنة ١٩١٧ م ، وأعقبها بتعليقات واستدراكات وفهارس مفيدة .

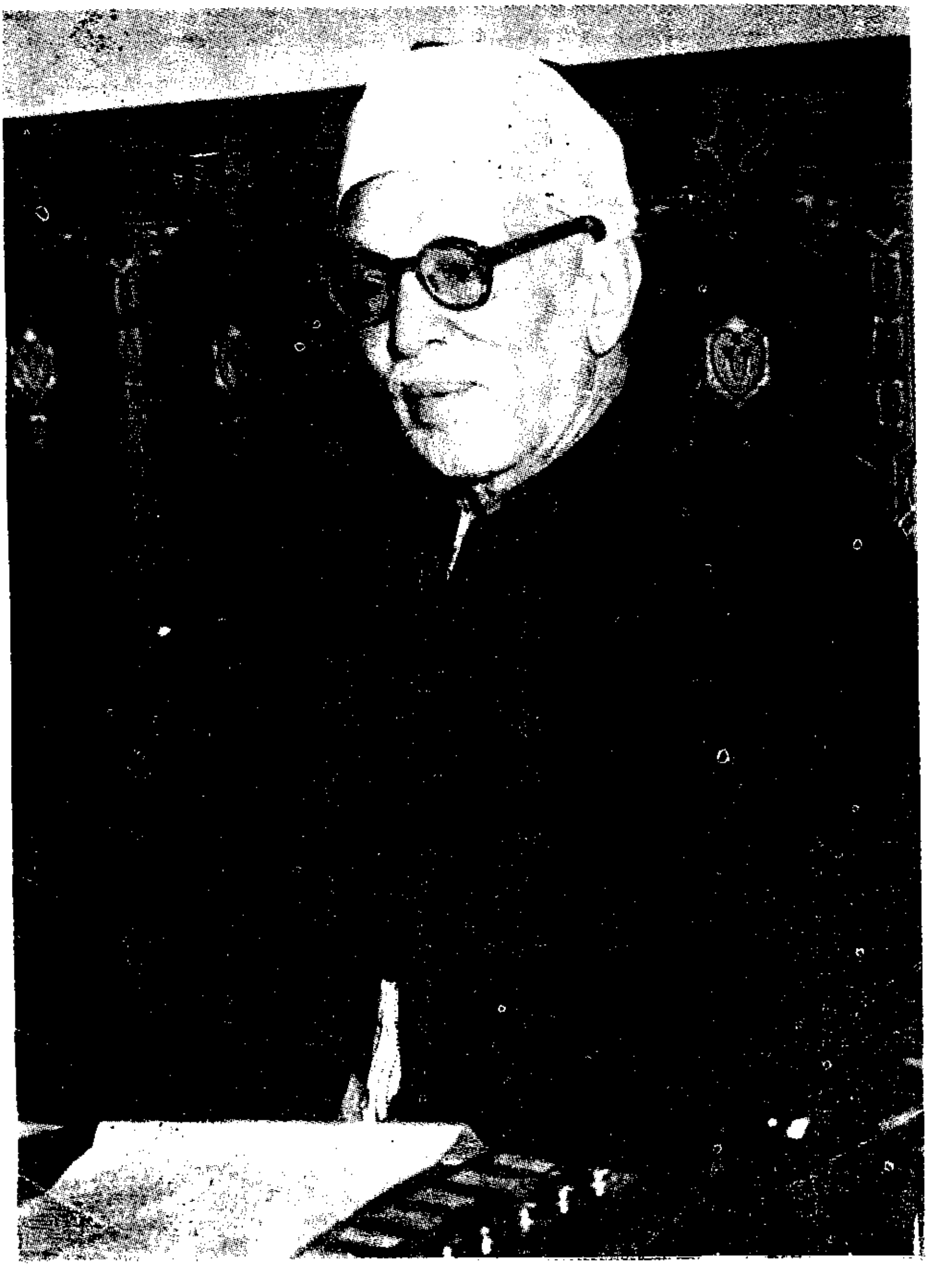
توالت على الدولة العثمانية في هذه الفترة القصيرة أحداث داخلية وخارجية خطيرة ، قضت في نهايتها على الامبراطورية العثمانية وقلصت سلطانها الى حدودها الحالية . وتأثرت بهذه الأحداث جميع الولايات العثمانية إقبالاً وإدباراً ، الى أن انتهى الأمر بانفصال الولايات العربية عنها عقب الحرب العالمية الأولى .

لكل من الولايات العربية تاريخها الداخلي الخاص ومشاكلها المحلية ، يتطلب تدوينها أبحاثاً طويلة ودراسة شاملة في مصادر مبعثرة وروايات مشوشة لتكوين هذا التاريخ . وقد نجح المؤلف في تاريخه عن العراق بتذليل هذه العقبات وتمحيصها ، ثم أودع ثمرة جهده الطويل في هذا السفر القيم ، سلسل فيه سنة فسنة حوادث العراق الإدارية والعسكرية والاجتماعية وسرد أخباره الثقافية والعمرانية وما حل به من نكبات وذكر تراجم بعض أعيانه وحوادث عشائره ، كلها مصادر مفيدة ، يعتمدها الباحث وينتفع بها المطالع .

وقد أدى الأستاذ المؤلف بهذا التاريخ خدمة جليلة للعراق يشكر عليها وتدعو الى الإعجاب والتقدير .

جعفر الحسني

آراء وأنباء



المرحوم الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين

(١٢٩٢ ــ ١٣٧٧ هـ)

(١٨٧٤ ــ ١٩٥٨ م)

وفاة الأستاذ الشيخ محمد الخضر حسين

فقدت الأمة بموت هذا الفقيد ـ عضو مجمعنا العلمي العربي ـ علماً من أشهر أعلامها ، ديناً وعلماً وأدباً وخُلقاً .

ولد رحمه الله بتونس سنة ١٢٩٢ هـ (١٨٧٤ م) ، ونشأ على أحسن الخصال والفعال ، وتلقى العلم بجامع الزيتونة الأعظم ، وأحرز الشهادة العالمية من هذا المعهد ، وتولى القضاء الشرعيّ في مدينة بنزرت وملحقاتها ، ثم أسند إليه التدريس بجامع الزيتونة ، وبالمدرسة الصادقية في تونس ؛ وقد ألّف في تونس عدة مؤلفات ، وطُبعت هناك .

وفي عام (١٣٣١ هـ) هاجر الفقيد من تونس إلى دمشق ، واتصل بطبقاتها ، فكان حميد السيرة مع الجميع ، وقرأ دروساً في جامع بني أميّة ، فقدره رجال العلم والمعرفة ، وتوثقت عرا الصداقة بينه وبين عالمي الشام الشيخ عبد الرزاق البيطار ، والشيخ جمال الدين القاسمي ، وبعد وفاة القاسمي رحمه الله أحب طلابه أن يقرؤوا على الشيخ بعض أمّات الكتب العربية والدينية ، فرحّب بهم ، وترك لهم الخيار في ما يحبون أن يقرؤوه ، فوقع الاختيار على المستصفى للغزالي في أصول الفقه ، وبداية المجتهد لابن رشد في فن الخلاف ، والمغني في النحو لابن هشام ، والكامل للمبرّد في الأدب ، وصحيح الإمام مسلم في الحديث ، فكان في ذلك كله رحمه الله إماماً مستقلاً مستدلاً .

وقد درّس في أرقى المدارس الرسمية والأهلية بدمشق ، وطبع فيها بعض مؤلفاته النفيسة ، منها « رسائل الإصلاح » وهي مقالات نافعة ، بل أصول جامعة في الإصلاح العام ، ورسالة في السيرة النبوية ، وموجز في آداب الحرب في الإسلام ، وكتاب « القياس في اللغة العربية » . وقد كتبت مجلة المجمع العلمي بدمشق منوّهة بهذه المؤلفات القيمة : « المجلد : ١٨ ص ٨١ سنة ١٣٦٢ هـ و ١٩٤٣ م) ، وكان رحمه الله عضواً عاملاً في مجمعنا العلمي العربي من أوائل إقامته بدمشق ، ثم صار عضواً مراسلاً بعد هجرته إلى مصر .

وقد سافر الفقيد إلى الأستانة أيام الحرب العامة الأولى ، وتولى التحرير بالقلم

العربي في وزارة الحربية ، ثم عاد إلى دمشق التي أحبها وأحبته ، ولكن جمال باشا السفاح اعتقله أشهراً بدمشق ، من دون سبب ولا موجب ، وعطله عن التأليف والتدريس ، وفي ذلك يقول الأستاذ الخضر :

غلّ ذا الحبس يدي عن قلمي   كان لا يصحو عن الطرس فناما
هل يذود الغمض عن مقلته   أم يلاقي بعده الموت الزؤاما
أنا لولا همة تحدو إلى   خدمة الإسلام آثرت الحماما
ليست الدنيا وما يبسم من   زهرها إلا جهاماً وقتاما

ولما احتلت فرنسة أرض الشام (٢٤ تموز ١٩٢٠ م) هاجر الأستاذ المرحوم إلى مصر ، فألف فيها « جمعية الهداية الإسلامية » وضمّ اليها رجالاً من أجلة العلماء والوعاظ والمرشدين في القطر المصري ، وأنشؤوا لها مجلة سميت باسمها ، وكان المرحوم مديرها ، ورئيس جمعيتها ، واستمر في هذا سنين ، ثم عينته وزارة المعارف العمومية مصححاً بالقسم الأدبيّ بدار الكتب المصرية ، ودخل امتحان شهادة العالمية الأزهرية فاستحقها ، ثم تفرّغ للتدريس بالأزهر ، وقضى في التدريس بأقسام التخصص في كليتي الشريعة وأصول الدين نحواً من عشرين سنة ، وعين رئيساً للتحرير في مجلة الأزهر ، واستمر في رئاسة التحرير ثلاثة أعوام ، ثم صدر مرسوم بتجنُّسه بالجنسية المصرية في أواخر سنة ١٣٥٠ هـ ، وتولىّ مشيخة الأزهر الشريف . وعين عضواً عاملاً بمجمع اللغة العربية في القاهرة عند إنشائه . وقد ألف وطبع في مصر كتباً منها : نقض كتاب « الإسلام وأصول الحكم » الأستاذ علي عبد الرازق ، ومنها : نقض كتاب « في الأدب الجاهلي » للدكتور طه حسين . ونشر في مجلة مجمع اللغة العربية مباحثه اللغوية والأدبية ، واستمرّ في ذلك من أول إنشاء المجمع (١٣٥١ هـ = ١٩٣٢ م) ، إلى أن توفاه الله تعالى عصر يوم الأحد ، في الثاني عشر من شهر رجب سنة ١٣٧٧ هـ ، الموافق ثاني يوم من شباط سنة ١٩٥٨ م . وكانت وفاته خساراً عظيماً على العالمين العربي والإسلامي ، تغمده الله برحمته ورضوانه ، وعوّض الأمة عنه خير العوض ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

الدورة الرابعة والعشرون لمؤتمر مجمع اللغة العربية [(١)]

«كلمة الأمير مصطفى الشهابي في حفل افتتاح المؤتمر»

سيدي الرئيس :

يسرني في مؤتمرنا هذا أن أنقل تحية الإخلاص والمحبة، من دمشق مهد العروبة الخالدة، إلى الكنانة معقل لغة الضاد الحصين، وركن قوميتنا العربية الركين؛ إلى هذا البلد الحبيب الذي طالما عزّت به لغتنا المضرية، وثقافتنا العربية، في الأزهر ودار العلوم والجامعات والصحافة ودار الكتب المصرية والمجامع والمعاهد العلمية ودور الطبع والنشر، وبخاصةٍ هذا المجمع الذي يعمل رئيسه وأعضاؤه، في صبر وإيمان مجرد عن الهوى والأثرة، على الاحتفاظ بسلامة العربية، وعلى جعلها تتسع للعلوم والفنون الحديثة، وتعبر في يسرٍ عن حاجات المدنية الحاضرة.

لقد شاء الله جل وعلا أن يجعل مصر مناراً للأقطار العربية، وأن يجعلها في جميع مقوّمات أمتنا معقد الرجاء، ومستَمَدّ الإلهام، والرأس الذي يلهم مختلف الأعضاء.

وكيف ينسى كل قوميّ عربي حر أن مصر كانت، منذ القرن الماضي الى يومنا هذا، ملجأً لأحرار العرب الساعين لاستقلال بلادهم. وكيف ينسى أنهم لم يلقوا فيها إلا عطف الكريم على الكريم، وحدب الشقيق على الشقيق.

لقد قال شوقي في حفلة تكريمه منذ أكثر من ربع قرنٍ من الزمن، يوم كانت الثورة السورية على الاستعمار في أحلك أيامها :

رُبَّ جارٍ تلفتت مصر توليه سؤال الكريم عن جيرانه

(١) افتتح مجمع اللغة العربية في القاهرة الدورة الرابعة والعشرين لمؤتمره السنوي، فألقى الأمير مصطفى الشهابي، نائب رئيس المجمع العلمي العربي، في حفل الافتتاح، كلمة نقل فيها تحية المجمع العلمي العربي إلى مصر ومجمعها، ثم ألقى البحث التالي على «الإقليم في الفرنسية والعربية».

ولو امتدت حياة أمير الشعراء رحمه الله الى هذه الأيام لقال :

رب أخ تلفتت مصر توليه سؤال الشقيق عن إخوانه

سيدي الرئيس مربي هذا الجيل ورأس هذا الرعيل :

إذا كان الاشتراك في اللغة أعظم عامل في بث الروح القومية في الشعوب ـ وهذا شيء لا اختلاف فيه ـ فعملكم أنتم ورفاقكم في هذا المجمع الموقر من أجل الأعمال الوطنية التي نبني عليها صرح قوميتنا العربية .

وإذا نقلتُ إليكم من دمشق تحية مجمعنا العلمي العربي فإنما أنقل في الحقيقة تحية السوري الى شقيقه المصري بل تحية العربي الى أخيه العربي .

لا زال الوطن المصري العزيز رأساً للوطن العربي الكبير ، ولا زال الشعب المصري الكريم شقيقاً أكبر لشعوب أمتنا العربية الخالدة .

الإقليم في الفرنسية والعربية

معاني الكلمة الفرنسية : إذا راجعنا كلمة (Climat) في المعجمات الفرنسية المشهورة كلاروس القرن العشرين ، ومعجم « لتره » ، ومعجم « روبير » الحديث وغيرها نجد أنها تدل على المعاني الآتية :

المعنى الأول : جملة الأحوال الجوية والجغرافية التي تبرز في بلد من البلاد أو قطر من الأقطار أو صقع من الأصقاع . يقال مثلاً : هذا بلد اقليمه حار أو بارد أو معتدل .

وأهم معاني الكلمة الفرنسية وأشيعها هو هذا المعنى ، أي أن اقليم بلد من البلاد هو نتيجة تأثير جملةٍ من العوامل الجوية كالحرارة والرياح والغيوم والأمطار ، وتأثير جملةٍ من العوامل الجغرافية كدرجة العرض التي يقع البلد فيها ، وكارتفاع أرضه عن سطح البحر ، وميله الى جهة من الجهات الأربع ، وبعده عن البحر أو قربه منه ، وغير ذلك من العوامل المتفاعلة .

والعامة في الشام تطلق اسم المناخ على هذا المعنى الأساسي للكلمة الفرنسية . وليس لاسم المناخ ولا لاسم الاقليم هذا المعنى في كتب اللغة العربيـة على ماسيجيء ذكره .

والمعنى الثاني للكلمة الفرنسية هو البلد أو الكورة أو القطر أو الصقع الذي يسود فيه الاقليم أي الذي له أحوال جوية وجغرافية خاصة . وهذا المعنى هو الذي اقتصرت عليه لفظة الإقليم في معجماتنا وكتبنا الجغرافية والفلكية القديمة .

والمعنى الثالث : البقعة الشجراء فيها حَرَجَةٌ من الاحراج .

والمعنى الرابع : معنى مجازي وهو الجو الأخلاقي وشروط الحياة . قال لامارتين مثلاً ما ترجمته : النفوس لها أقاليمها كالأرضين . وقال غيره : وجدت في هذا المجتمع اقليمي يريد البيئة الصالحة له أو التي يستلذها .

الإقليم عند اليونانيين القدماء : قسم علماء الفلك اليونانيون في الإسكندرية ماعرفوه من الكرة الأرضية سبع مناطق سموا كلاً منها إقليماً ، وذلك بدوائر عَرْضية متوازية بعضها شماليّ بعض ، فالإقليم الأول عندهم كان إقليم مَرَوَى في السودان ، ويليه الى الشمال اقليم أسوان ، ثم على التتابع أقاليم الإسكندرية فرودسَ فرومةَ فالبحر الأسود فسقي نهر الدنيبر الذي يصب في بنطسَ أي البحر الأسود . ثم أضافوا بعد ذلك الى هذه الأسماء أسماء بلاد أخرى عرفوها . وكان هذا التقسيم مبنياً على الأساس الآتي وهو أن تكون مدة النهار الأطول واحدة في جميع البقاع الواقعة على كل دائرة . وجعلوا بين كل دائرة والتي تليها فرقاً في النهار الأطول مقداره نصف ساعة .

الإقليم عند العرب : تأثرت العربُ خُطى يونانَ فجعلت مثلهـا الأقاليم الشمالية سبعةً بدءاً من خط الاستواء ، ولكنها ـ أي العربَ ـ وسَّعت وضبطت ماعرفه قدماء اليونانيين في هذا الموضوع ، وبحثت أيضاً في أقاليم سبعة أخرى جنوبيّ خط الاستواء . ولياقوت في معجم البلدان بحث طويل في سبعة الأقاليم الشمالية .

ومما ذكره ياقوت أن لكلمة اقليم أربعة اصطلاحات في أيامه :

الأول : اصطلاح العامة وجمهور الأمة ، وهو الجاري على ألسنة الناس دائماً ، وهو أن يسموا كل ناحية مشتملة على عدة مدن وقرى إقليماً نحو الصين وخراسان والعراق والشام ومصر وإفريقية ونحو ذلك ، فالأقاليم على هذا كثيرة لا تحصى .

والثاني : اصطلاح أهل الأندلس وهو أن يسموا كل قرية كبيرة جامعة اقليماً . فاذا قال الأندلسي أنا من اقليم كذا فانما يعني بلدة أو رستاقاً بعينه .

والثالث : اصطلاح الفرس قديماً ، وخلاصة ما ذكره ياقوت فيه أن الفرس جعلوا إيران شَهْر (أي بلاد ايران) مركزاً ، ثم خطوا حول كل مملكة دائرة سموها كِشْوَراً وكُشْخَراً أي كُوْرة ورُستاقاً . وبذلك قسموا أيرانشهر الى كِشْوراتٍ ستٍ ، والمعمورةَ بأمرها الى سبعٍ ، وكل منها يسمى اقليما .

والرابع : قال ياقوت : «وعليه اعتماد أهل الرياضة والحكمة والتنجيم» وهو التقسيم اليوناني موسَماً بأسماء الأمصار ومصححاً ، وعلى هذا يكون الاقليم في هذا الاصطلاح شاملاً لجميع الأصقاع التي تقع بين كل دائرتين من الدوائر السبع الملمع اليها .

واذا راجعنا المعجمات العربية لم نعثر فيها على شيء جديد . ففي اللسان الاقليم واحد أقاليم الأرض السبعة . وأقاليم الأرض أقسامها واحدها إقليم .

وفي القاموس : الإقليم كقنديل واحد الأقاليم السبعة .

وردد الزبيدي في التاج ما ذكره ابن منظور في اللسان وزاد عليه جملاً ذكرها ياقوت .

وفي أقرب الموارد : الاقليم في العرف قسم من الأرض يختص باسم ويتميز به عن غيره فمصر إقليم والشام إقليم واليمن إقليم .

ونقل صاحب المنجد هذه الجملة عن أقرب الموارد .

ولم يتجاوز دوزي هذا المعنى في معجمه ، ولم يبحث عن أصل الاقليم .

أما صاحب البستان فقد نقل عن معجم البلدان جملة عزاها ياقوت الحموي الى البيروني وهذا الى حمزة بن الحسن الأصفهاني وهي : الاقليم هو الرستاق بلغة الجرامقة سكان الشام والجزيرة يقسمون بها المملكة كما يقسم أهل اليمن بالمخاليف وغيرُهم بالكور والطساسيج وأمثالها .

ويتضح من ذلك أن معنى الاقليم في جميع هذه الاصطلاحات والتعريفات لا يتعدى المعاني التي تدل عليها ألفاظ البلد أو الكورة أو الرستاق أو الطسوج أو المخلاف أو الكِشور أو القطر أو الصقع أو جملةٍ من الأصقاع عددها سبعة أقاليم موزعة بين خط الاستواء والقطب الشَّمالي .

أما أهم معنى علمي لكلمة اقليم وهو جملة الأحوال الجوية والجغرافية لبقعة من الأرض فهو لا يظهر عندنا في تعريف ولا في اصطلاح .

أصل كليما الفرنسية واقليم العربية واحد : أجمعت معجمات اللغة الفرنسية ومعجمات أصول الألفاظ الفرنسية على أن كلمة كليما (Climat) الفرنسية من كليما (Clima) وكليماتيس (Climatis) اللاتينيتين وهما من كليما (Klima) اليونانية ومعناها المَيل استُعملت في القديم بمعنى ميل قطعة من الأرض بالنسبة الى الشمس ، ثم أُطلقت على البلد والكورة والقطر .

أما اقليم العربية أو قل المعرَّبة فقد جاء فيها في معجم البلدان ما يلي بالحرف :

« ... وقال محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الإقليم على ما ذكر أبو الفضل الهروي في المدخل الصاحبي هو الميل فكأنهم يريدون بها المساكن المائلة عن معدَّل النهار » .

وجاء في تعريف « الكورة » في معجم البلدان أيضاً ما يدل على أصل الاقليم ، فقد نقل ياقوت عن حمزة الأصفهاني أن الكورة اسم فارسي استعارته العرب وجعلته الأُستان (الرستاق) ، كما استعارت الإقليم من اليونانيين وجعلته

للكُشْخَر (الكورة والرستاق) . وحمزة بن الحسن الأصفهاني هو في رأي البيروني صاحب لغة ومعنى بها .

ويتضح من ذلك أن الفرنسية والعربية من أصل يوناني واحد . وليس بغريب الظن بأن كلمة إقليم المعربة كانت وسيطاً بين الكلمة اللاتينية والكلمة اليونانية وذلك حين نُقلت العلوم العربية الى اللاتينة .

أما كيف نشأت كلمة «الاقليم» من قليما (Klima) اليونانية فهو أيضاً شيء واضح ؛ فقد أضيفت ألف على أول الكلمة اليونانية منعاً للابتداء بساكن ؛ وعُرِّبَ حرف كَبَّا اليوناني قافاً وهو القاعدة ، ثم حذفت الألف الأخيرة لتجيء المعرّبة على وزن عربي وهو إفعيل . وليس في كل ذلك شذوذ عما كان مألوفاً في تعريب الألفاظ اليونانية .

وعلى هذا لا أرى مجالاً لشك بعض أصحاب المعاجم والكتب القديمة في أصل كلمة اقليم ، ولا لحذلقة الذين حاولوا إثبات عروبتها . فقد جاء في المعرّب من الكلام الأعجمي للجواليقي : «والاقليم ليس بعربي محض» . وجاء في اللسان : «قال ابن دريد لا أحسب الاقليم عربياً ، قال الأزهري وأحسبه عربياً ، وأهل الحساب يزعمون أن الدنيا سبعة أقاليم كل اقليم معلومٌ كأنه سمي اقليماً لأنه مقلوم من الاقليم الذي يتاخمه أي مقطوع» .

وياقوت الذي نقل عن حمزة الأصفهاني أن الاقليم من اليونانية نقل أيضاً ما ذهب اليه آخرون وذلك في قوله : «وأما اشتقاق الأقاليم فذهبوا الى أنها كلمة عربية واحدها إقليم وجمعها أقاليم مثل إخريط وأخاريط وهو نبتٌ ، فكأنه إنما سُمي إقليما لأنه مقلوم من الأرض التي تتاخمه أي مقطوع . والقَلْم في أصل اللغة القطع ومنه قلمت ظفري» .

وكل ذلك في نظري باطل فالعربية كسائر اللغات الحية تعير غيرها ألفاظاً ، وتستعير من غيرها ألفاظاً ، وهي ليست في حاجة الى متعصبين أو جهلاء يحاولون بالتمحل أو التخرص أن يعزوا اليها كلمات ليست من أصول عربية .

الخلاصة : ان تعريف الاقليم في معجماتنا القديمة والحديثة تعريف ناقص لا يصلح لهذا الزمن . فالاقليم في العلوم الجغرافية الحديثة ليس بلداً أو كورة أو جملة من الأصقاع فقط بل هو على الأخص جملة الأحوال الجغرافية والجوية لبقعة من الأرض . وهذا المعنى لا وجود له في المعجمات العربية . والعامة تسميه المناخ . والمناخ ليس له هذا المعنى . فالمعجمات تجيز لنا أن نقول مثلاً : الوجه البحري في مصر اقليم (أي كورة) حار رطب في الصيف . ولكنها لا تجيز لنا أن نقول : الكورة الوجه البحري اقليم حار رطب في الصيف أي أحوال جوية وجغرافية تجعل جو هذه الكورة حاراً ورطباً في الصيف .

ومؤلفو الكتب الجغرافية والكتب الزراعية في الشام والعراق يضمنون الاقليم هذ المعنى في كتبهم حتى تقابل العربية الفرنسية أو الانكليزية في هذه الناحية . وأعتقد أن المؤلفين المصريين أيضاً يجعلون للاقليم هذا المعنى في كتبهم الحديثة .

وعلى هذا أقترح على مؤتمر المجمع الموقر الموافقة على تضمين كلمة الاقليم معنى « جملة الأحوال الجوية والجغرافية السائدة في بلد أو كورة أو قطر أو صقع من الأرض » ، وذلك بالإضافة الى المعنى الوارد في المعجمات العربية وهو البلد والكورة والقطر والصقع وأحد الأقاليم السبعة . وأقترح أن يدرج هذا المعنى العلميُّ في تعريف الاقليم في المعجم الوسيط وفي المعجم الكبير ، هذا إذا كان القائمون على أمور المعجمين لم يلحظوا ذلك من قبل ، بل اكتفوا بالتعريفات والاصطلاحات الواردة في معجماتنا وفي كتبنا الجغرافية والفلكية القديمة .

واذا وافق المؤتمر على اقتراحي هذا تصبح الألفاظ الفرنسية المتعلقة بالاقليم مع ما يقابلها بالعربية على الصورة الآتية :

إقليم **Climat**

إقليميات (علم الأقاليم) **Climatologie**

إقليمي Climatique المنسوب الى الاقليم .

أقاليمي Climatologique المنسوب الى الاقليميّات أي الى علم الأقاليم .

أقلمة Acclimatation للمتعدي ، على قاعدة الاشتقاق من اسم العين .

تأقلم Acclimatement للّازم ، على قاعدة الاشتقاق من اسم العين .

ومصدرا الأقلمة والتأقلم أخذا يشيعان ، وأرجح أن بدء استعمالها كان في مصر .

ويستعمل بعض الكتاب في الشام كلمة الجَوّ في معنى الاقليم ، والجو غير الاقليم ، وكذلك الجويّات أي علم الظواهر الجوية (Météorologie) فهي تختلف في مدلولها عن الاقليميات وهو شيء معروف .

هذا ما بدا لي عرضه على المؤتمر من معاني الاقليم والألفاظ المتصلة به ، وفي الاقتراح الذي اقترحته وهو تضمين الاقليم المعنى العلميّ الجديد الذي ألمعت اليه ، وإدراجُه في المعجم الوسيط والمعجم الكبير ، وللزملاء الأفاضل الرأي الراجح .

وفقنا الله جميعاً في خدمة لغتنا الضادية المضرية .

اشتقاق الكلمة الانكليزية coffin

ادعى قاموس اوكسفورد الشهير [١] بأن أصل الكلمة الانكليزية كفن يعني التابوت ؛ والكلمة مشتقة من اللغة اليونانية القديمة (kopivos) كُفِنُسْ بنبرة فوق الضمة الأولى ، ثم دخلت هذه الكلمة الى اللغة اللاتينية فصارت (cophinus) أو (cofinus) بمعنى كُفِنُسْ ، والضمة الثانية هي معروفة في تلفظها ، ومعنى الكلمتين اللاتينية واليونانية هي السلة أو القفة ، وتتوافق القواميس الاشتقاقية الانكليزية كلها مع القاموس المذكور المشهور . ثم دخلت الكلمة

(١) MURAY; A new English dictionary, Oxford 1893, II, 591 sq.

الى اللغة الفرنسية القديمة وحفظت هذه المعنى ، ثم أضيف عليها معان جديدة مثل علبة وصندوق وأمثالها . وهذه المعاني موجودة أيضاً في اللغة الانكليزية والايطالية والاسبانية وشكلها في هذه اللغات (coffin) أو (cofin) ، ثم أصبح لها شكل ثان (coffre) في بعض اللغات وذلك في القرن الثاني عشر ، ودخلت هذه الكلمة أيضاً الى اللغة الألمانية (koffer) ومنها الى بعض لغات أخرى كالمجرية (kufer) واللغات السلافية الخ . . ومعناها (صندوق السفر) ثم غابت كلمة (coffin) من اللغات الأوربية تقريباً تماماً ، وبقيت في لهجات فرنسية ولها معان عجيبة ، ففي اللغة الفرنسية العصرية معناها مسن الحصاد ، وفي اللغة الانكليزية تعني التابوت ، واستعمال الكلمة في هذا المعنى لا يسبق القرن الرابع عشر حيث بدأ في اللغة الفرنسية ثم دخل هذا المعنى الى اللغة الانكليزية كما تدعي القواميس الانكليزية والفرنسية الاشتقاقية دون استثناء [١] .

ونحن نسأل الآن هل في الامكان تبديل المعنى من (السلة) الى التابوت ؟ وليس ثمة عالم يشرح الأسس النفسية (pydvgiws) لهذا التبديل ، وأعني تبديل معنى الكلمة اليونانية (kopivos) الى المعاني الجديدة في اللهجات الفرنسية [٢] . ان مشكلة ايضاح الأسباب النفسية لهذا التبديل ليست المشكلة الوحيدة إذ يثبت العالم الاسباني [٣] بأن اشتقاق كلمة (kopivos coffin) ليس ممكناً ، لأن نبرة كلمة cofin في حرفها الأول ونبرة كلمة (cofin) أو (coffin) هي في الحرف الأخير [٤] ، وهذا يعارض قوانين اللغات الغربية . إلا أن العالم الاسباني المذكور يشتقها من (coia) بمعنى (السلة) ويرى بأنها مأخوذة أصلاً من اللغة العربية يعني (القفة) ويشرح ويحلل المشكلة الصرفية كاملاً ، ولكن

(١) Godefroy, Dictionnaire de l'ancienne langue française, Paris 1883, vol. II, p 186 c. d.

(٢) Gamillscheg, Brük.

(٣) Corominas

(٤) ingl. coffin. no es probable que venga del lat. cophinus en la vista de la diferencia en la posicion del acento.

لا يحال المشكلة النفسية والمنطقية بمعني امكان تبديل معنى (قفة) الى معنى (تابوت) . وليس هذا بوظيفة الأستاذ الاسباني لأنه يشرح الاشتقاق الاسباني فقط إذ تستعمل الكلمة في اللغة الاسبانية بمعنى القفة والصندوق فقط ولا تستعمل فيها بمعنى (تابوت) أبداً ، كما تستعمل في اللغة الانكليزية والفرنسية القديمة .

والذي أرجحه أن الكلمة مشتقة من العربية من كلمة كفن ومعنى هذه الكلمة أقرب منطقياً ونفسياً للكلمة (تابوت) من كلمة (القفة) . إذ قليلاً ما يستعمل المسلمون التوابيت حين يلفون الجسد بالكفن ، واذا استعملوا التابوت وهم قلة فانهم يوارون الميت في الكفن ثم يرجعون التابوت الى القبر ، ولذلك فان التابوت الغربي يقابله في المشرق الكفن ، وحركات كلمة كفن (coffin) الانكليزية تحاذي حركات الكلمة العربية كفن ؛ أما هل نلفظ الحركات في بلدان لغة الضاد متحدة ؟ وهل ان الغربيين يقلدونها تقليداً صحيحاً ؟ وهم لا يعرفون مثلاً كيف يلفظون حرف الميم الأول في اسم حضرة النبي (ﷺ) أبضم مجهول أو بفتح معلوم[1] . ولا ننسى أن حركات الفعل كَفِنَ وتضم مجهولة . وكُفِنَ تكون النون ساكنة في اللغة العامة كُفِنْ وهذه هي حركات الكلمة الانكليزية تماماً .

فاستعمال كلمة كُفَّنْ (coffin) بمعنى تابوت ليس موجوداً قبل الحروب الصليبية فكان من المحتمل أن يكون الصليبيون الانكليز والفرنسيون أخذوا المعنى العربي .

ومن الاحتمال أيضاً أن يكون استعمال كلمة كفن الموجودة من السابق بمعنى (صندوق) و (قفة) سهل أخذ المعنى الجديد الكلمة موجودة .

ويشير استعمال كلمة coffin كُفَّنْ بمعنى النعش في ترجمة للانجيل[2] الى أنها مأخوذة من الكلمة العربية كَفَن وليس من الكلمة (kopivos) إذ أين الارتباط الموجود بين النعش والسلة كما هو موجود بين الكفن والنعش ؟ وهذه

(١) Mohammed, muhammad

(٢) Tindale Luk. VII, 14 : He went and touched the coffyn (AD 1526.)

أيضاً إشارة نفسية ، ونظن أن الكلمة جاءت بتوسط الصليبيين رأساً الى فرنسا وانكلترا ، وليس بطريق اسبانيا من الأندلس أو بطريق ايتاليا من صقلية العربية ، لأن معنى (تابوت) ليس موجوداً في اللغة الايتالية ولا في اللغة الاسبانية .

والخلاصة ان الاشتقاق لكلمة coffin المعتاد من الكلمة اليونانية kopivos له مشكلات صرفية ونفسية وأقدر أن اشتقاقها من الكلمة العربية كَفَن أقرب منطقاً ، وإن لم أقدم البرهان القاطع على ذلك ، والله أعلم .

كارل شتولفس

« أعيان ليبية »

١ — أبو اسحق ابراهيم الشهير بابن الأجدابي .

هو الإمام الحافظ أبو اسحق ابراهيم بن اسماعيل بن أحمد بن عبد الله الأجدابي اللواتي الطرابلسي ، ولد هذا العلامة بمدينة طرابلس الغرب ، وفيها ترعرع ودرس علوم اللغة والفقه والأدب على علمائها ، ولم يرحل عن طرابلس في طلب العلم ، بل جميع ما تلقاه عن رجالها فقط ، ولقد سئل مرةً من أين لك هذا العلم ؟ فقال : اكتسبته من بابي هوارة وزنانة ـ « وهما بابان في سور مدينة طرابلس الغرب معروفان بهذين الاسمين الى الآن » ـ . وابن الأجدابي من رجال القرن السادس الهجري ، ولم أهتد الى تاريخ وفاته بالرغم من مراجعة المظان المطبوعة والمخطوطة التي تتعلق بالتاريخ الليبي ، وقد ترجم ابن الأجدابي كثير من المؤرخين ، منهم ياقوت في معجم الأدباء والسيوطي في بغية الوعاة وابن غلبون في التذكار والنائب في المنهل العذب ، وكلهم متفقون على مكانته في العلم ، خصوصاً علم اللغة فانه كان مبرزاً فيه ، وهذا يتضح جلياً لكل من يتصفح تأليفه المسمى بكفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ ، وهو وان كان صغير الحجم فانه كبير الفائدة كثير العائدة ، مرتب على الأبواب سهل الحفظ على الطلاب ، وقد قال بعض أفاضل المتقدمين في مدحه :

من كان يطلب في الغريب وسيلةً من شاعرٍ أو كاتبٍ متلفظ
أو كان يبغي في الكلام بلاغةً فليحفظن كفاية المتحفظ

وهو مطبوع في مدينة بيروت في سنة ١٣٠٥ هجرية ، هذا وقد نظم كفاية المتحفظ كثير من الفضلاء ، منهم القاضي شهاب الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد ابن الخوبي المتوفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة ؛ ونظمها ابن جابر محمد ابن أحمد الأعمى الأندلسي وفرغ منه في سنة سبعين وسبعمائة ، ونظمها أيضاً من المعاصرين الأستاذ أحمد الفقيه حسن أحد سَراة طرابلس ، والى القارئ الكريم نتفاً مما نظمه من كفاية المتحفظ :

« باب في صفات الرجال المحمودة »

يلقب السخي بالجواد والخرق من يحسن للعباد
كذا الفتى إن أكثر العطايا يدعونه الخضم في البرايا
والخضرم المكثر للانفاق على المساكين ذوي الإملاق
والاريحي المرتاح للعطاء ثم الحسيب الطيب الاباء
والماجد الشريف والصنديد رئيس قوم رأيه سديد
كذلك الهمام كالصنديد للرئيس العظيم والشديد
سميذع جاء من الجحجاح لسيد القوم همـا يا صاح
وقل خليـلي للبيب العاقل أريب والوقود للحُلاحل
من جرب الأمور بالتدريب لقبـه بالنجـذ الأريب
ومدره القوم هو المقـدم وهو لسان حالهم وهو الفم
وقل لمن كان ذكي القلب يا لوذعي يا فريد الصحب
ومن لسانه بليغ مِصقع أما السَّري قدره مرتفع
واجمعـه يا صاح على سَراة بفتح سين جاء بالإثبات

ثم يتلوه باب في صفات الرجال المذمومة ، وهكذا الى أن ينتهي الكتاب ، فحبذا لو اهتم ناظمه بطبعه حتى يعم نفعه بين طلاب العلم ، ويسهل حفظه على تلامذة المدارس التي أصبحت خاوية الوفاض بادية الانفاض من علم اللغـة ،

الذي هو أس لجميع العلوم والفنون . وكان أبو اسحق ابن الأجدابي من صدور المائة السادسة ، وأثنى عليه كثير من الأعلام منهم مجد الدين الفيروزابادي وجلال الدين السيوطي في البغية ، وأكثر من النقل عنه الإمام الحافظ الثقة أحمد الفيومي في معجمه المسمى بالمصباح المنير ، وكمال الدين الدميري في حياة الحيوان وعدل كتابه (على صغر حجمه) بالمصنفات الكبيرة كالمصباح المنير للفيومي والتهذيب للأزهري والمجمل لابن فارس ونحوهم ، وربما اختار الفيومي كلامه في المصباح على كلامهم أحياناً ، ولم يطبع من آثاره سوى كتاب الكفاية ، وبقية تآليفه لعبت بها أيدي الزمان وطوارق الحدثان ، ومن مؤلفاته التي لم نطلع عليها ، وهي مما ذكره المؤرخون في ترجمته : كتابان في علم العروض كبير وصغير ، وكتاب في الرد على أبي حفص في تثقيف اللسان ، وكتاب في شرح ما آخره ياء من الأسماء وبيان اعتلال هذه الياء ، استوفى فيه جميع أحكامها على اختلاف أحوالها ، وتعرض فيه لشرح المقاطع التي في سورة مريم لاشتمالها على كثير من تلك الأحكام ، فجاء هذا التأليف في غاية التحقيق والإفادة ، وله كتاب مختصر في علم الأنساب ، وكتاب في الأنواء على عادة العرب ، ورسالة في الحَوَل وأسبابه ، وقد ذكر ابن غلبون في تاريخه أن سبب تأليفه لرسالة الحَوَل ، هو أن ابن الأجدابي حضر يوماً عند قاضي طرابلس أبي محمد عبد الله بن ابراهيم ابن هانش الطرابلسي ، فحكم بحكم أخطأ فيه ، فرد عليه المترجم وبين له وجه الصواب ، فزجره القاضي وقال له : اسكت يا أحول (لأن صاحب الترجمة رحمه الله كان أحول) فما استُدعيتَ ولا استُفتيتَ ، فدعاه ذلك الى تصنيف هذه الرسالة وأرسلها اليه ، ولا تزال المجالس العلمية والندوات الأدبية في هذه الديار تتعطر بذكره ، وتقتبس من تراثه العلمي في محاضراتها ومسامراتها ومساجلاتها :

وتذكر أخلاق الفتى وعظامه مغيبة في اللحد بال رميمها

(طرابلس الغرب) علي الفقيه حسن

فهرس الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تموز سنة ١٩٥٨ م ١٣ ذي الحجة سنة ١٣٧٧ ه

ابن الخيّاط

٤٥٠ — ٥١٧

حياته

أبو عبد الله أحمد بن محمد بن علي بن يحيى بن صدقة التغلبي ، المعروف بابن الخياط ، الشاعر الدمشقي الكاتب . يتصل نسبه بتَغْلِب وهي قبيلة من ربيعة من العرب العدنانية .

ولد ابن الخياط بدمشق سنة خمسين وأربعمائة ، كما ذكر ذلك هو نفسه [١] ، وكان أبوه خياطاً [٢] فاشتهر بالنسبة إليه ، وكان له أخ اسمه يحيى [٣] سيأتي

(١) قال ابن عساكر : « سئل أبو عبد الله (ابن الخياط) عن مولده فقال : في سنة خمسين وأربعمائة » . تهذيب تاريخ دمشق ٦٨/٢ .

(٢) قال ابن فضل الله العمري في الفصل الذي عقده في مسالك الأبصار لابن الخياط : « ... منذ نظم حسدت الشعرى شعره ، وود الغزال لو أن روقيه أحدهما له قلم والآخر لأبيه الخياط إبره » . مسالك الأبصار الجزء العاشر القسم الثاني ص ٣٦٧ نسخة أحمد الثالث مخطوط مصور في دار الكتب بالقاهرة .

(٣) قد يكون الأخ الأكبر لأنه سمي باسم جده جرياً على العادة المتبعة في تسمية أكبر الأبناء باسم جده .

ذكره . وكانت دار ابن الخياط في درب القصّاعين المعروف اليوم بحي الخيضرية[١] داخل باب الجابية ، وكان عند داره مسجد[٢] معلّق وقناة[٣] ، ولم تكن داره بعيدة عن دار[٤] الأمير أبي الفتيان ابن حَيُّوس شاعر الشام في ذلك الزمان .

نشأ ابن الخياط في جوار ابن حَيُّوس الشاعر ، ورأى الدنيا مقبلةً عليه ، وهو يتقلب في أعطاف النعيم ، فود الفتى الناشئ لو يكون مثله ، وآنس في نفسه ميلاً للشعر ، ونفوراً من صنعة أبيه الخيّاط ، فأخذ يؤدّب نفسه بحفظ أشعار[٥] المتقدمين وأخبارهم .

وكانت أحوال دمشق في حداثة ابن الخياط مضطربة غير مستقرة ، وأهل دمشق أحزاب يثورون بالولاة والقواد وينتقضون عليهم كرهاً لحكم الدولة الفاطمية ، وتأججت الفتنة سنة ٤٦٠ وعمر ابن الخياط وقتئذ عشر سنوات ، فثار أهل دمشق بأمير الجيوش بدر الجمالي الأرمني والي الشام واضطروه إلى الخروج من قصر الإمارة وأحرقوا القصر ونقضوا بقاياه[٦] ، وكان ذلك إيذاناً بزوال حكم الفاطميين عن الشام .

واشتد الخلاف بين الجنود وبين أهل دمشق ، وطرحت النار في جانب منها فاحترقت ، واتصلت منه بجامع بني أمية من غربيه فاحترق في شعبان سنة ٤٦١ ولم يبق منه إلا حيطانه الأربعة[٧] ، ونهبت دور أهل البلد وأموالهم ، فعظم الخطب واشتد الأمر .

---

(١) ويلفظه الدماشقة اليوم « الخُضَيرية » .
(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ٥٦/٢ .
(٣) ابن عساكر ١٥٤/٢ والمراد بالقناة ما يطلق عليه الدماشقة اليوم اسم « الطالع » وهو مقسم لتوزيع الماء على الدور .
(٤) ديوان ابن حيوس المقدمة ٦/١ .
(٥) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٧/٢ .
(٦) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٣ .
(٧) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ٩٦ .

وفي سنة ٤٦٣ فتح أتسز بن أوق الخوارزمي من أمراء السلطان ملكشاه السلجوقي القدس ، وقصد دمشق فحصرها وتابع النهب لأعمالها حتى خربها وقطع الميرة عنها ، فضاق الناس وصبروا ولم يمكنوه من ملك البلد[1] . وبقي يحاصرها من حين إلى آخر حتى دخلها في ذي القعدة سنة ٤٦٨ فأنزل جنده في دور الدمشقيين ، واعتقل من وجوههم جماعة وشمّسهم ببرج راهط حتى افتدوا نفوسهم بمال أدوه له ، ورحل جماعة منهم عن البلد الى طرابلس[2] .

وفي سنة ٤٦٩ لم يبق من أهل دمشق عشر العشر من الجوع والفاقة ، بل لم يبق من أهلها سوى ثلاثة آلاف إنسان بعد خمسمائة ألف أفناهم الفقر والغلاء والجلاء . وكان بها مائتان وأربعون خبازاً فصار بها خبازان ، والأسواق خالية ، والدار التي كانت تساوي ثلاثة آلاف دينار ينادى عليها بعشرة دنانير فلا يشتريها أحد ، والدكان الذي كان يساوي ألف دينار ما يشترى بدينار ، وأكلت الكلاب والسنانير والفيران[3] .

في هذه الفترة العصيبة ، مابين سنة ٤٦٣ وسنة ٤٦٩ ، ترك ابن الخياط دمشق ، وهو في عنفوان الصبا ، لم يشتهر بالشعر ، فقصد حماة واتصل هناك بأمير اسمه أبو الفوارس محمد بن مانك وكتب له وخدمه مدة[4] فعرف بابن الخياط الكاتب ، ثم اشتهر بالشعر ، وفي ديوانه ص ٧ قصيدة يمدح بها هذا الأمير أولها :

سَقَوْهُ كَأْسَ فُرْقَتِهِمْ دِهاقا وَأَسْكَرَهُ ٱلْوَدَاعُ فَمـا أفاقا

(١) ابن الأثير ٢٣/١٠ .
(٢) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٣٣١/٢ .
(٣) خطط الشام ٢٦٥/١ .
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبي المجلد الثاني عشر ورقة ١١٠ (مخطوط) .

وكان قد هاجر من دمشق إلى حلب أبو الفتيان ابن حَيّوس [١] جاره القديم سنة ٤٦٤ ، وأحسن وفادته بنو مرداس أمراء حلب وأغدقوا عليه عطاياهم ، فبدا لابن الخياط أن يزوره في حلب ، ولما اجتمع به وعرض عليه شعره قال : « قد نعاني هذا الشاب إلى نفسي ، فقلّما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلاً على موت الشيخ من أبناء جنسه » [٢] .

وقال ابن الخياط : « دخلت في الصبى على الأمير ابن حَيّوس بحلب [٣] وهو مسن فأنشدته :

لَمْ يَبْقَ عِنْدِي مَا يُبَاعُ بِدِرْهَمٍ ... وَكَفَاكَ مِنِّي مَنْظَرٌ عَنْ مَخْبَرِ
إِلاَّ صُبَابَةُ مَاءِ وَجْهٍ صُنْتُهَا ... عَنْ أَنْ تُبَاعَ وَأَيْنَ أَيْنَ الْمُشْتَرِي

فقال له ابن حَيّوس : لو قلتَ : « وأنت نعم المشتري » لكان أحسن ، ثم قال : كرمتَ عندي ونعيتَ إليّ نفسي ، فإن الشام لا يخلو من شاعر مجيد ، فأنت وارثي ، فاقصد بني عمّار بطرابلس فإنهم يحبون هذا الفن ، ثم وصله بثياب ودنانير » [٤] .

وقبل أن يذهب إلى طرابلس مدح الأمير وثّاب بن محمود بن نصر بقصيدة أنشده إياها بحماة سنة ٤٧٤ أولها [٥] :

عَتَادُكَ أَنْ تَشُنَّ بِهَا مُغَارا ... فَقُدْهَا شُزَّباً قُبّاً تَبَارَى

ومدح بعد ذلك بشيزر الأمير سديد الملك أبا الحسن علي بن مقلّد بن نصر ابن منقذ صاحب شيزر سنة ٤٧٦ بقصيدة أولها .

(١) ديوان ابن حيوس المقدمة ص ١٤ .
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥٦/١ .
(٣) كان ذلك سنة ٤٧٢ كما ورد في الديوان ص ٢٨٧ .
(٤) سير أعلام النبلاء ١١٠/١٢ (مخطوط) .
(٥) هي فاتحة الديوان .

يَقِيني[1] يَقِيني حادِثاتِ ٱلنوائِبِ   وَحَزمِي حَزمِي في ظُهورِ ٱلنَّجائِبِ

وتصح عزيمته على العمل بوصية شيخه ابن حَيُّوس ، فيترك الكتابة عند محمد بن مانك في حماة ، ويقصد بني عمّار بطرابلس في حدود سنة ٤٧٦ وهو ابن ست وعشرين سنة ، وصحت نبوءة ابن حَيُّوس ، فقد توفي بعد سنة من اجتماعه بابن الخياط في حلب ، سنة ٤٧٣ وأصبح ابن الخياط بعد ذلك على حداثة سنه شاعر الشام ، وظل كذلك الى آخر حياته ٠

دخل ابن الخياط طرابلس وكان صاحبها يومئذ القاضي جلال الملك أبا الحسن علي بن محمد بن عمّار ، وبنو عمّار من خير الحُكّام ولهم أيادٍ بيض على العلم والأدب ٠ فاتصل ابن الخياط بجلال الملك ومدحه ولم يتوسل إليه إلا بما عرف به من العطف على الشعر والشعراء، وإلى ذلك يشير بقوله من أبيات مدحه بها[2] :

آليتُ لاأبغي نَداكَ بشافعٍ   مالي إليكَ وسيلةٌ إلاّ كا

وذكر في قصيدة مدحه بها رحلته إليه فقال[3] :

وَخَرْقٍ كَأَنَّ ٱليَمَّ مَوجُ سَرابِهِ   تَرامَتْ بنا أجوازُهُ وخُروقُها

كأنّا على سُفْنٍ مِنَ ٱلعِيسِ فَوْقَهُ   مَجاديفُها أيدي ٱلمَطِيِّ وسُوقُها

نُرَجّي ٱلحَيا مِن راحةِ ٱبْنِ محمدٍ   وأيُّ سماءٍ لا تُشامُ بُروقُها

ومدح أخاه فخر الملك بعدة قصائد هي من أحسن شعره ، منها قصيدة فريدة هي في رأينا أحسن شعره سلمت جميع أبياتها وشرفت ألفاظها ومعانيها أولها[4] :

أَعطَى ٱلشَّبابَ مِنَ ٱلآرابِ ماطَلَبا   وَراحَ يَختالُ في ثَوْبَيْ هَوىً وَصِبا

كما مدح غيرهما من آل عمّار ومن رجال دولتهم وأسبابهم ٠

---

(١) الديوان ص ١٢ ٠
(٢) الديوان ص ٢٣ ٠
(٣) الديوان ص ٤٥ ٠
(٤) الديوان ص ٦٤ ٠

دخل ابن الخياط طرابلس وهو شاب لا يعتمد إلا على كفاءته في الشعر وطبعه الفياض وما حفظه من شعر المتقدمين ، إذ أن بضاعته في آلات العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وبديع وعروض بضاعة مزجاة . وكان في طرابلس شيخ أندلسي اسمه أحمد بن محمد الطليطلي له حلقة عامرة بالطلبة يلقي عليهم فيها دروساً في العربية والأدب ، فجعل ابن الخياط يغشى هذه الحلقة ولزم شيخها وأفاد من الأدب وفنونه . ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة ، بل جعل يختلف أيضاً الى دار العلم التي أنشأها بنو عمّار في طرابلس وجهزوها بأنواع الكتب ، ويعتبر نفسه من تلامذتها (١) .

وصحب في طرابلس جماعة من الوجوه والرؤساء والأدباء فضلاً عن أمرائها بني عمّار ، وكان في أوقات فراغه يجلس في دكان بسوق من أسوق طرابلس مع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يخرج معهم إلى البساتين والأماكن النزهة ، يروّحون عن أنفسهم ويتطارحون الشعر والأدب . قال ابن عساكر (٢) : « حدث السابق وهو أبو اليمن محمد بن الخضر المعري قال : اجتمعت بأبي عبد الله ابن الخياط بطرابلس ، وكنت أنا وهو نجلس في دكان إنسان عطار نصراني يعرف بأبي الفضل ذكي محب للأدب ، فخرجنا يوماً إلى ظاهر البلد ، فاخترنا موضعاً جلسنا فيه على غدير هناك ، فقال أبو عبد الله للسابق : اعمل في هذا المعنى أبياتاً عاجلاً ، فقال نعم ؛ فعمل ابن الخياط بديهاً (٣) :

أَوَ ما تَرَى قَلَقَ ٱلْغَدِيرِ كأَنَّهُ ... يَبْدُو لعينكَ منهُ حَلْيُ مَناطِقِ
مترقرقٌ لعبَ الشُّعاعُ بمائِهِ ... فأَرْتجَّ يَخْفُقُ مثلَ قلبِ العاشقِ
فإذا نَظَرْتَ إليه راعكَ لَمْعُهُ ... وعلتَ طرْفَكَ من سرابٍ صادقِ

ولم يفتح الله على السابق ببيت ولا بلفظة ، فقال العطار : قد عملت بيتاً واحداً وهو :

(١) الديوان ص ١٢١ .
(٢) تاريخ ابن عساكر ٢/١٠٢ (مخطوط) .
(٣) انظر الديوان ص ١٢٥ .

قد كنتُ آمُلُ أنْ أجيء مُصَلِّياً حتى رأيتك سابقاً للسابقِ

فاستحسنا ما أتى به وجعلناه من مأثور الأخبار . وكان السابق لا يحفظ من شعره بيتاً واحداً وأبو عبد الله بن الخياط يحفظ شعره منذ عمله إلى أن مات » .

والمدة التي عاشها ابن الخياط في طرابلس تقدر بعشر سنوات من سنة ٤٧٦ الى سنة ٤٨٦ تزيد أو تنقص قليلاً ، نجا فيها من الفقر ، ولكنه لم يبلغ ما يصبو إليه من الثراء ، على أن ما حاز من مال وعقار هناك لم يسلم من محن الدهر ، فقد احترقت داره في طرابلس وأتت النار عليها وعلى ما فيها من أثاث ومتاع ، وقد قال في ذلك قطعة منها قوله [١] :

قد نَحَتْ عظمي خطوبٌ لم تَزَلْ تأكلُ الأَحرارَ أكلاً مُمْعِنا
وأتتني بعدها نازلةٌ أنزلتْ في ساحَتيَّ المِحَنا

وشعره الذي قاله في طرابلس فيه مقدار غير يسير من الشكوى من معاكسة الدهر له ومن تعذر المطالب .

وفي هذه المدة وفد من طرابلس على منير الدولة والي صور سنة ٤٨٤ ومدحه بقصيدة أنشده إياها بصور أولها [٢] :

إذا عَزَّ نفسي عن هواكِ قصورُها فمثلُ النوى يقضي عليَّ يسيرُها

وعاد إلى طرابلس ولم يمكث بها طويلاً وتركها وعاد الى دمشق في حدود سنة ٤٨٦ ولسانه رطب بالثناء على بني عمّار ، فقد كتب من دمشق بعد خروجه من طرابلس قصيدة الى جلال الملك أولها [٣] :

لئنْ عَداني زمانٌ عن لقائِكمُ لَمَا عداني عن تَذْكارِ ما سلفا

ولما عاد ابن الخياط إلى دمشق كان ملكها يومئذ تاج الدولة تتش بن ألب أرسلان السلجوقي ، وكان وزيره هبة الله بن بديع الأصفهاني فصحبه وكان

(١) الديوان ص ٩١ . (٢) الديوان ص ١٣٣ .
(٣) الديوان ص ٣٨ .

أثيراً عنده ، قال ابن القيسراني [١] : «وقّع هبة الله بن بديع أبو النجم لابن الخياط بألف دينار وهو آخر شاعر في زماننا وقع له بألف دينار» .

وسافر معه سنة ٤٨٧ إلى الري وأنشده هناك قصيدة مدحه بها أولها [٢] :

أيا بَيْنُ ماسُلطْتَ إلاّ عَلَى ظَامي ... وياحُبُّ ماأبقيتَ مني سوى الوهمِ

ويقول وهو بالري مخاطباً هبة الله من أبيات [٣] :

وما كان لي لولاكَ بالرّيّ مَنْزِلٌ ... وإنْ شَغَفَتْ غيري وَتَيَّمَ حُبُّها

ولم تطب له الإقامة فيها فتركها بعد أن هجا مستوفي أعمالها واسمه فخراور بأبيات تظرّف فيها باستعمال كلمة فارسية وأول الأبيات [٤] :

قولا لِفَخْرَاوَرَ قَوْلَ آمْرِئٍ ... في عرضهِ عاثَ وفي الرِّيشِ [٥] راثْ

وذهب من الري إلى خراسان وفيها يقول منشوقا إلى دمشق وغوطتيها [٦] :

ألا ليتَ شعري هل أبيتَنَّ ليلةً ... يُرَوِّحني بِالْغُوطَتَيْنِ نسيمُ

ولم تطل مدة إقامته في بلاد العجم بل عاد إلى دمشق [٧] سنه ٤٨٧ واتصل فيها بالأمير حسان بن مسمار بن سنان أمير الكلبيين ومدحه بقصيدتين مطلع الأولى [٨] :

هي الديارُ فَعُجْ في رسمها العاري ... إنْ كان يُغنيك تعريجٌ على دارِ

ومطلع الثانية [٩] :

متى أنا طاعنٌ قلبَ الفِجاجِ ... وراميَ الخَرْقِ بالقُلُصِ النَّواجي

(١) سير أعلام النبلاء ١٢/١١٠ (مخطوط).
(٢) الديوان ص ١٤٥ .
(٣) الديوان ص ١٥٢ .
(٤) الديوان ص ١٥٣ .
(٥) ريش : بالفارسية اللحية .
(٦) الديوان ص ١٥٣ .
(٧) انظر الحاشية رقم ٣ ص ١٧٠ من الديوان .
(٨) الديوان ص ١٥٤ .
(٩) الديوان ص ١٦١ .

كما اتصل في السنة نفسها بعضب الدولة أبق أحد مقدّمي أمراء دمشق ومدحه بالقصيدة المشهورة التي أولها [١] :

خُذَا مِن صَبا نجدٍ أماناً لقلبِهِ   فقد كادَ ريّاها يَطِيرُ بِلُبِّهِ

وصحب عضب الدولة وخص به ومدحه بعدة قصائد ونادمه على الشراب في مجالس اللهو والأُنس والطرب ، وكان يرتجل الشعر في وصف تلك المجالس وما يجري فيها من اللهو . وطالت صحبته لعضب الدولة حتى فرق بينهما الدهر بوفاة عضب الدولة سنة ٥٠٢ فرثاه بقصيدة ليست من جيد شعره أولها [٢] :

أبعدَكَ أتّقي نُوَبَ الزمانِ   أبعدكَ أرتجي دَرَكَ الأماني

وبعد وفاة عضب الدولة اتصل بتاج الملوك أبي سعيد بوري بن طغتكين صاحب دمشق ، وكان حينئذ ولياً لعهد أبيه ، وصحبه كما صحب عضب الدولة ومدحه وكان يحضر مجالس لهوه وشرابه ويصفها .

وصحب أيضاً الرئيس أبا الذوّاد المفرّج بن الحسن الصوفي رئيس دمشق ، والوزير طاهر بن سعد المزدقاني ، وأبا اليمن سعيد بن علي التنوخي المعري متولي الشرطة [٣] بدمشق ، وأبا يعلى حمزة بن أسد المعروف بابن القلانسي رئيس دمشق وصاحب التاريخ المعروف بذيل تاريخ دمشق . ومدحهم وأخذ جوائزهم كما مدح غيرهم من القواد والوجوه والرؤساء .

وكان له عدد من الأولاد لا نعرف أسماءهم ، ولكن ورد في شعره ما يدل على ذلك ، فقد كتب إلى ابن الصوفي رئيس دمشق قصيدة ذكر فيها أنه ازداد عدد أولاده بمولود جديد قال [٤] :

.... غيرَ أنّي أدعو نَداكَ إلى يو   مٍ به زاد في عبيدِكَ عبْدُ

(١) الديوان ص ١٧٠ .
(٢) الديوان ص ٢٢٣ .
(٣) ابن عساكر ٢/٦٩ والأعلاق الخطيرة ، ص ١١٤ وص ٢٧٦ .
(٤) الديوان ص ٢٥٤ .

وَلَعَمْري ما كان يخرجُ نجـلٌ عن قبيلٍ أبوهُ فيهمْ يُعَـدُّ
وَلَأَنتَ ٱلْأَوْلَىٰ بعبدِكَ مِنّي كُلُّ مَوْلًى بعبـدِهِ مُسْتَبِدُّ

ومرض قبل وفاته مدةً ، وكتب في مرضه سنة (٥١٧) إلى الرئيس ابن القلانسي قصيدة هي آخر ما ورد في الديوان من شعره أولها [١] :

عسى باخِلٌ بلقـاءٍ يجودُ عسى ما مضى من تدانٍ يعودُ

ويقول فيهـا :

مرضتُ فهل من شفاءٍ يصابُ وهيهاتَ والداء طَرْفٌ وَجِيدُ
ويا حبَّذا مرضي لو يكو نُ مُمْرِضِيَ اليومَ فِيمَنْ يعودُ

وتوفي بدمشق في حادي عشر شهر رمضان سنة ٥١٧ سبع عشرة وخمسمائة [٢] . ولم تعين المقبرة التي دفن فيها ولعلها مقبرة الباب الصغير لقربها من داره .

ولم يشتهر أحد من أولاده بعده ولا من أولادهم ؛ ولكن ذرية أخيه يحيى اشتهر منها جماعة بالعلم والأدب والوجاهة عرفوا بأبناء سني الدولة ، ويظهر أن يحيى هذا هاجر مع أخيه الشاعر إلى طرابلس وتدبَّرها ، وولد له بها ابنه الحسن الملقب بسني الدولة أبي الكتائب ، ورجع سني الدولة إلى دمشق و « تولى كتابة الإنشاء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد ، وكان له ثروة وحشمة ووقف على ذريته أوقافاً ، وهو ابن أخي أحمد بن محمد بن الخياط الشاعر المشهور [٣] » وعرف أولاده ببني سني الدولة ، وتولى منهم غير واحد القضاء في دمشق منهم القاضي شمس الدين وابنه القاضي صدر الدين وابنه القاضي نجم الدين ، كان كل منهم قاضي القضاة في دمشق . وفيما يلي شجرة تبين نسب ابن الخياط وذرية أخيه :

(١) الديوان ص ٣٢٥ .
(٢) ابن خلكان ١/٥٧ .
(٣) المنهل الصافي لابن تغري بردي (مخطوط) بترجمة صدر الدين احمد بن يحيى بن سني الدولة .

صدقة

يحيى

علي

محمد

أبو عبد الله أحمد المعروف بابن الخياط (٤٥٠–٥١٧)

يحيى

سني الدولة الحسن [١]

هبة الله

قاضي القضاة شمس الدين [٢] أبو البركات يحيى (٥٥٢ – ٦٣٥)

قاضي القضاة صدر الدين [٣] أبو العباس أحمد (٥٧٠ – ٦٥٨)

قاضي القضاة نجم الدين [٤] محمد (٦١٦ – ٦٨٠)

---

(١) كان من كتاب الإنشاء لصاحب دمشق قبل نور الدين الشهيد . (المنهل الصافي بترجمة صدر الدين أحمد بن يحيى ابن سني الدولة) .

(٢) طبقات الشافعية ٥/١٥٠ وقضاة دمشق ص ٦٨ وشذرات الذهب ٥/١٧٧ .

(٣) قضاة دمشق ص ٧٠ وشذرات الذهب ٥/٢٩١ والمنهل الصافي .

(٤) قضاة دمشق ص ٧٤ وشذرات الذهب ٥/٣٦٧ .

علمه وأدبه

نشأ ابن الخياط بدار صانع فقير ، بحي من أحياء دمشق الجنوبية ، في فترة من الزمن شديدة الاضطراب في كل ناحية من نواحي الحياة ، لا يكاد الإنسان ينال فيها قوت يومه إلاّ بالجد والكد ، فلم يتيسر للشاعر الفتى أن يتلقى العلم والأدب عن المشايخ كما ينبغي ، بل كان يحفظ ما يطلع عليه ويختاره من الشعر الذي يعجبه وينسج على منواله ؛ وكانت دار ابن حَيّوس شاعر الشام وقتئذ غير بعيدة من داره ، وهو أمير موسر ، فودّ ابن الخياط لو يكون مثله وبقي معجباً به طول حياته . ولكن ابن حَيّوس هاجر من دمشق في أوائل سنة ٤٦٤[1] قبل أن يتمكن ابن الخياط من الأخذ عنه ، وما يذكر في كتب التراجم من أن ابن حَيّوس شيخ ابن الخياط يقصد به اجتماعهما في حلب كما سيأتي .

وتزداد الحال سوءاً في دمشق فيضطر ابن الخياط الى الخروج منها وهو ابن عشرين سنة ، تنقص أو تزيد قليلاً ، ولم يحفظ من شعره شيء قبل خروجه من دمشق إلى حماة حيث عمل كاتباً للأمير أبي الفوارس محمد بن مانك ، وكان لم يشتهر بعد بالشعر فعرف بابن الخياط الكاتب . وزار حلب غير مرة واجتمع هناك بابن حَيّوس ، قال ابن خلكان[2] : « لما اجتمع ابن الخياط بأبي الفتيان ابن حيوس الشاعر المشهور بحلب وعرض عليه شعره قال : قد نعاني هذا الشاب الى نفسي ، فقلما نشأ ذو صناعة ومهر فيها إلا كان دليلاً على موت الشيخ من أبناء جنسه » .

وتبدأ أخبار ثقافته وأخذه عن غيره من هذا التاريخ ، أي بعد بلوغه العشرين من عمره ، أما قبل ذلك فقد كان يأخذ نفسه بحفظ الشعر وأخبار الأدباء . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « اجتمع ابن الخياط بحلب بالأمير أبي الفتيان

(١) ديوان ابن حيوس المقدمة ص ١٣ .
(٢) وفيات الأعيان ١/٥٦ .

ابن حَيّوس ، وروى عنه وعن السابق محمد بن الخضر بن أبي مهزول المعري ، وحسان بن الحباب ، وأبي نصر بن الخيسي ، وعبد الله بن أحمد بن الدويدة . وروى عنه احمد بن محمد الطليطلي ومحمد بن نصر القيسراني وتخرج به » .

وفي آخر مرة اجتمع بابن حَيّوس وصله بثياب ودنانير ونصح له أن يقصد بني عمّار بطرابلس ففعل . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء : « قال أبو عبد الله احمد الطليطلي : كان ابن الخياط أول ما دخل طرابلس وهو شاب ، يغشاني في حلقتي وينشدني ما أستكثره له فأتهمه ، لأنني كنت إذا سألته عن شيء من الأدب لا يقوم به ؛ فوبخته يوماً على قطعة عملها ، وقلت أنت لا تقوم بنحو ولا لغة ، فمن أين لك هذا الشعر ؟ فقام إلى زاوية ففكر ثم قال اسمع :

وفاضلٍ قالَ إذ أنشدتُهُ نُخَبًا ... مِن بعضِ شعري وشعري كلُّهُ نُخَبُ
لا شيءَ عندكَ مما يستعينُ به ... مَنْ شأنُهُ معجزاتُ النظمِ والخُطَبُ
فلا عَرُوضٌ ولا نَحْوٌ ولا لُغَةٌ ... قل لي فمن أينَ هذا الفضلُ والأَدبُ
فقلتُ قولَ امرئٍ صَحَّتْ قريحتُهُ ... إنّ القريحةَ علمٌ ليس يُكْتَسَبُ
ذوقي عَرُوضي ولفظي جُلُّهُ لغتي ... والنحوُ طبعي فهل يعتاقني سببُ(١)

فقلتُ حسبك الله ، والله لا استعظمت لك بعدها عظيما . ولزمني بعد ذلك فأفاد من الأدب ما استقل به » حتى أن الطليطلي نفسه روى عنه .

ولم يقتصر على حضور هذه الحلقة بل جعل يختلف أيضاً إلى دار العلم التي أنشأها بنو عمّار في طرابلس وجهزوها بأنواع الكتب ويعتبر نفسه من تلامذتها ويطالب بما يوزّع عليهم من جراية وهبات(٢) .

(١) لم ترد هذه الأبيات في الديوان لأن الديوان لم يشتمل على أكثر ما قاله ابن الخياط في صباه على ما نرى .
(٢) انظر الديوان ص ١٢١ .

وأخذت تزداد ثقافته الأدبية مع الزمن وساعده على ذلك سرعة حفظه وقوة ذاكرته ، قال ابن عساكر : « كان ابن الخياط يحفظ أشعار المتقدمين وأخبارهم ، جالسته مرةً عند جدي القاضي أبي الفضل وتفاوضنا في معانٍ كثيرة .... وأجازني بجميع ما قاله من النظم والنثر سنة سبع وخمسمائة » (١) .

وصحبه في دمشق محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور وكان فتى ناشئاً ولازمه وقرأ عليه الأدب وتخرج به (٢) وهو الذي جمع ديوانه ورتبه . واختار أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه .

وكان لابن الخياط نثر واشتهر بـ (الكاتب) قبل أن يشتهر بـ (الشاعر) وأجاز ابن عساكر برواية نظمه ونثره ، وكان يفتخر بنثره كما كان يفتخر بشعره - على قلة شعره في الفخر - والى ذلك يشير بقوله (٣) :

... مما تَنَخَّلَهُ وَحَصَّلَ ماهِرٌ فَضَلَ البَرِيَّةَ ناثِراً ومُقَرِّضا

ولكن لم يصل إلينا شيء من ذلك النثر .

على أن أثر الثقافة ضئيل في شعره ، فقد كان يعتمد على طبعه وذوقه أكثر مما يعتمد على ثقافته الأدبية التي اتسعت مع الزمن ، والناظر في شعره يجده يأخذ بالرخص ويستعمل الضرورات وبعضها أشبه بالخطأ واللحن ، ويصوغ ألفاظاً ويشتقها على سبيل القياس ولو لم تسمع . وسنبسط ذلك عند الكلام على لغته .

صفته وأخلاقه

لم يعن أحد ممن ترجم لابن الخياط بوصف هيئته ، ولولا جملة واحدة نقلها الذهبي في سير أعلام النبلاء عن العماد الكاتب لما علمنا شيئاً عنها قال : « ... ومن كان ينظر إلى ابن الخياط يعتقده جمّالاً أو حمّالاً لبزّته وشكله

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٢/٦٧ .
(٢) ابن خلكان ٢/٢١ .
(٣) الديوان ص ٢٠٢ .

وعرضه» فقد كان إذن ضخماً عريضاً خشن الهندام والهيئة واللبسة ، يلبس الغليظ الجافي من الكساء . وعرفنا من شعره أشكالاً من الثياب التي كان يلبسها ، فقد كتب إلى أحد أصحابه يقتضيه فوطة يلبسها مع ثوب كان وصله به قوله من أبيات ص ٣١٧ :

قد وصلَ الثوبُ ولا عذرَ لي أن ألبسَ الثوبَ بلا فُوطَهْ

«والفوطة واحدة الفُوَط وهي ثياب تجلب من السند غلاظ قصار مخططة تتخذ مآزر يشتريها الجمالون والأعراب والخدم فيأتزرون بها» .

وكان يلبس على هذه الفوطة ثوباً ، وفوقه جبة من صوف أو خز إن تيسر ، قال[1] :

أسومُ الجبابَ فلا خزَّها أطيقُ ابتياعاً ولا صوفَها
وكيف السبيلُ إلى جُبّةٍ لمن ليس يملك تصحيفَها

وغني عن البيان أنه كان يرسل لحيته ، ويعتمّ بعمامة يكوّرها على رأسه .

ولا بد من أن يكون استعاض عن تقشفه وخشونته بقسط من التنوق بعد أن ارتاش وحسنت حاله وصحب الأمراء والوزراء والقواد والرؤساء ونادمهم .

ويظهر أنه كان قوياً جلداً على السفر ومشاقه وركوب الخيل والجمال ، فقد وصف أسفاره وما كانت تعانيه فيها الخيل والإبل . ولقد سافر في شبابه من دمشق إلى حماة وحلب وطرابلس وصور ، وعاد الى دمشق كهلا ، ولم يكد يستقر بها حتى قصد بلاد العجم فدخل الري ومنها إلى خراسان ثم عاد الى دمشق . وفي ديوانه أبيات غير قليلة في وصف أسفاره[2] .

(١) الديوان ص ٢٩٥ .
(٢) انظر الديوان ص ٤٥ و ص ٧٤ وص ١٤٧ و ص ١٦١ و ص ٢٣٧ وص ٢٥٦ .

وكان على ما يظهر ، مع سرعة خاطره وبداهته وارتجاله ، حلو الحديث حسن المحاضرة ، فاصطفاه علية القوم في طرابلس وفي دمشق ، فصحبهم وحضر مجالسهم الخاصة ونادمهم على الشراب .

وكان يميل الى مخالطة الناس وملابستهم ، والترويح عن النفس والتفرج بالجلوس في الأسواق في أوقات فراغه عند بعض أصحابه ومع بعض أصحابه من الأدباء ، وقد يذهبون معاً الى بعض الأماكن النزهة والبساتين ، فقد ذكر عنه أنه كان يجلس في طرابلس[١] في دكان عطار أديب ، وكان يجلس في دمشق بدكان الحسن[٢] بن رويبل الأبّار الشاعر في سوق الأبّارين[٣] يتناشدان الأشعار ، وكان يلعب بالنرد[٤] . ووصفه الصلاح الصفدي بالذكاء[٥] .

وكان لما قاساه في حداثته من الفقر والحرمان والغربة كثير الشكوى من الزمان وأهله ، وظل هذا ديدنه حتى بعد أن حسنت حاله ، قال من قصيدة وقد بلغ الأربعين من عمره يشكو المحارفة في العيش[٦] :

وقد وَسَمَتْني الأربعونَ بِمَرِّها وحالتْ بِشَيْبي للشبيبةِ حالُ
فليتَ الذي أرجو من العمر بعدها يطيبُ به عيشٌ ويَنْعَمُ بالُ
يقولُ أناسٌ كيفَ يعجزكَ الغِنى ومثلك يكفيه الفِعالَ مقالُ
وما عندهم أنّ السؤالَ مَذَلّةٌ ونقصٌ وما قَدْرُ الحياةِ سؤالُ

(١) انظر ص ٩ من المقدمة .
(٢) خريدة القصر ١/٢٦٢ ومرآة الزمان ص ١٠٠ .
(٣) سوق الأبّارين بباب الفرج (قرب الجامع المعلق) ولهم سوق آخر غربي البزوريين . أسواق دمشق ليوسف بن عبد الهادي . الخزانة الشرقية ١٢٨/٣ .
(٤) انظر الديوان ص ٢٨٤ .
(٥) الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الخياط (مخطوط) .
(٦) الديوان ص ٢٩٠ .

ويظهر أنه كان لين الجانب دمث الأخلاق يألف ويؤلف ، يدل على ذلك خلو شعره من الفخر والهجاء إلا قليلاً جداً من الأبيات في هذين المعنيين . وفي قوله يعاتب صديقاً له من أبيات[1] :

وما هيَ إلاَّ حُرْمَةٌ او رعيتَها رعيتَ فتىً عن شكرها لا يُقصِّرُ
كريمًا متى عاطيتَهُ كأسَ عِشْرَةٍ تعلمتَ من أخلاقه كيف تَسْكَرَ

ما يدل على ذلك .

ويقول ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار : « كان ابن الخياط في وقته ممن له القدر العلي ، والصدر الرحيب لفضله الجلي ، وهو دمشقي الدار ، شقي الحظ باللئام لا بغلبة الأقدار ، هجي بما نبه على جلالته ، ونوّه بقدر أصالته ، وشُبّه على حسوده فأكّد له المدح بما يشبه الذم ، وأراد به النقص في حقه وأراد الله خلافه فتم ، وتحيّل في إخفاء مسكه المتضوّع وريحه قد نم » فلم يأبه لمن هجاه من هؤلاء الحساد ومر بلغوهم مر الكرام ، ولم يجب أحداً منهم لأنه غير طعّان ولا لعّان[2] .

(يتبع) خليل مردم بك

(١) الديوان ص ١٢٤ .
(٢) هذا البحث مأخوذ من مقدمة ديوان ابن الخياط الذي هو الآن تحت الطبع مع مطبوعات المجمع العلمي العربي بتحقيق الأستاذ الرئيس خليل مردم بك .

القومية وعواملها[1]

تمهيد :

قبل الخوض في مواضيع القومية العربية لا بد لنا من البحث في مدلولات كلمات كثيراً ما تتردد على الألسنة ، ونراها في الصحف وفي الكتب الاجتماعية والفلسفية والسياسية : كالوطن والوطنية ، والقوم والقومية والأقوامية ، والشعب والأمة والأممية ، والدولة والدَّوْلية ، وغيرها من الكلمات التي يكون لبعضها معان لغوية ومعان اصطلاحية مختلفة ، ويكون للفلاسفة فيها آراء متعددة .

ولنبدأ حديثنا بكلمتي الوطن والوطنية .

الوطن والوطنيّة :

فالوطن في لغتنا الضادية المضرية المنزل أي البيت الذي تقيم فيه . ولم تذكر معجماتنا الأصلية لهذا اللفظ إلا هذا المعنى . وذكرت له أيضاً معاني مجازية : ففي « اللسان » الوطن المنزل تقيم به ، وهو موطن الإنسان ومحله ، والجمع أوطان . ومن المجاز : أوطان الغنم والبقر مرابضها وأماكنها التي تأوي اليها .

وفي « القاموس » : الوطن محركة وتسكن منزل الإقامة ومربط البقر والغنم .

وشرح الزبيدي صاحب « التاج » جملة القاموس بقوله : الوطن منزل الإقامة من الإنسان ومحله ، وهو أيضاً مربط البقر والغنم الذي تأوي اليه ، وهو مجاز .

---

(١) دُعي الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس المجمع الى إلقاء محاضرات في « القومية العربية » على طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة ، فتألف مما ألقاه ومما سيلقيه كتاب سيطبعه المعهد في حينه . وقد رأت لجنة المجلة نشر هذه المحاضرة الأولى لما اشتملت عليه خاصةً من تعريفات لغوية واصطلاحية لألفاظٍ كثيراً ما اختلف الكتاب في تحديد معانيها .

ولم يزد أصحاب المعجمات الحديثة كأقرب الموارد والبستان والمنجد على ما ذكر . ومن المعلوم أن لكلمة الوطن في كتب اللغة معاني أخرى لا صلة لها بما نحن بصدد بحثه . والوطن والموطن مترادفان .

وللكلمة المذكورة معان اصطلاحية قديمة في الشرع الاسلامي ، فقد جاء في كشاف اصطلاحات الفنون للتهانوي أن الوطن أنواع عند أهل الشرع : الأول الوطن الأصلي ويسمى بالأهلي وبوطن الفطرة والقرار أيضاً ؛ وهو أن يكون الوطن مولد المرء ومأهله ومنشأه . والثاني وطن الإقامة ويسمى أيضاً بوطن السفر والوطن المستعار والحادث ، وهو ما خرج المرء اليه بنية الإقامة فيه نصف شهر أو أكثر من غير أن يتخذه مسكناً . والثالث وطن السكنى وهو ما ينوي الإقامة فيه أقل من نصف شهر .

أما في الاصطلاح الحديث ، وهو ما يهمنا في بحثنا هذا ، فالوطن هو البلد الذي ولد المرء فيه ، أو البلد الذي يُنسب المرء اليه من حيث جنسيته أي تابعيته . والبلد في اللغة ليس القرية أو المدينة التي ولد أو نشأ الإنسان فيها . بل هو القطر كله ، أو بتعبير المعجمات جنس المكان ، كمصر والشام والعراق ؛ وعلى هذا يقال مثلاً مصر بلدي . أما مولد الإنسان ومسكنه (والأول يسمى اليوم مسقط الرأس) فهو البلدة بالتاء . والبلدة في كتب اللغة الجزء المخصص من البلد ، كالمدينة والقرية .

ومن الواضح أن الوطن في الاصطلاح الحديث هو البلد لا البلدة ولا المنزل ، وذلك خلافاً لما جاء في المعجمات ، وخلافاً لما كان متعارفاً عند القدماء . فابن الرومي مثلاً لم يشر الى أبعد من داره في أبياته الثلاثة الجميلة المشهورة وهي :

ولي وطن آليت ألاّ أبيعه وألاّ أرى غيري له الدهر مالكا
وحبب أوطانَ الرجال اليهم مآربُ قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهمو عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

وللوطن معان مجازية حديثة : منها أن تكثر زراعة نبات مّا في بلد من البلدان فيقال إنه وطنه . كقولنا مثلاً : جزيرة العرب وطن النخل . ومنها أن يحب الإنسان بلاداً غير بلده ، إما لأنه ارتاش وتأثل المال فيها ، أو لأن إقليمها موات له ، أو لغير ذلك من الأسباب ، فيقول إنها وطنه ، كقول أجنبي يحب مصر : مصر وطني .

ومنها أن يطلق المرء اسم الوطن على كل بلد أو بلدة يعيش فيها في خير . وهذا الاصطلاح قديم ، وله باللاتينية تعبير معروف وهو Ubi bene, ibi patria ، أي حيثما تكن في خير يكن وطنك .

ومنها أن يسمي الإنسان بلدته وطناً صغيراً ، وبلده وطناً ، وبلاد أمته وطناً كبيراً أو أكبر ، كقول العراقي الذي ولد ونشأ في بغداد : بغداد وطني الصغير ، والعراق وطني ، وبلاد الأمة العربية وطني الكبير أو الأكبر .

والوطنية حب الوطن والعمل في خيره . وهي لغوياً مصدر صناعي مشتق حديثاً بزيادة ياء النسب والتاء على كلمة الوطن ، مثل قول القدماء عروبية وجاهلية وكيفية وكمية وأشباهها ، وقول المحدثين حمضية وقلوية وعطرية وسمية وهلم جرا . ومن قرارات مجمع اللغة العربية اعتبار هذا الاشتقاق قياسياً .

وللوطني أي المنسوب الى الوطن ، في اصطلاحنا الحديث ، معنيان : الأول صفة العمل الذي فيه خدمة للوطن ، كقول أحدهم لقد قمت اليوم بعمل وطني . والثاني صفة المرء الذي يحب وطنه ويعمل في خيره كقولنا هذا الوطني هو من رجال أمتنا المجاهدين .

ومما اصطلحنا عليه حديثاً مصدر المواطنة للمشاركة في وطن واحد ، واسم الفاعل مُواطن للمشارِك فيه . ولم ترد المواطنة بهذا المعنى في معجماتنا القديمة . ففيها : واطنه على الأمر أضمر فعله معه ، فان أراد معنى وافقه قال واطأه وهو مجاز . ومن المفيد إقرار المعنى الحديث للمواطنة . وهو عمل يأتيه مجمع

اللغة العربية الذي من جملة أعماله تضمين بعض الكلمات معاني جديدة لشيوعها أو للحاجة اليها ·

القوم والقومية :

القوم في اللغة الجماعة من الرجال والنساء جميعاً · وقوم كل رجل شيعته وعشيرته · والقوم يذكر ويؤنث مثل رهط ونفر وكل ما كان للآدميين من أسماء الجموع التي لا واحد لها ·

ونحن في الاصطلاح الحديث نستعمل لفظة القوم بمعنى الأمة أي بمعنى الاصطلاح الحديث للأمة · وقد اشتققنا من القوم مصدراً صناعياً هو القومية · وكان من الواجب أن نشتق من « الأمة » مصدراً كهذا المصدر وهو « الأمية » ؛ ولكن لهذه الكلمة في اللغة معنى آخر مشهوراً وهو صفة الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب ؛ فخوف الالتباس يحملنا على العدول عن كلمة الأمية الى كلمة القومية · وعلى هذا أخذنا نطلق الأمة والقوم على ما يسميه الأعاجم Nation ، ونطلق القومية (لا الأمية) على ما يسمونه Nationalité ، وكذلك على ما يسمونه Nationalisme ، وفي اعتبارنا أن الأمة والقوم شيء واحد في الاصطلاح العربي الحديث ؛ فعندما تعذر علينا النسب الى الأمة نسبنا الى ما اصطلحنا على أنه مرادف لها وهو القوم ·

وتدل القومية في اصطلاح أيامنا هذه على جملة أمور : الأول صفة مخصوصة بجماعة من البشر وهم الذين يتألف منهم قوم أي أمة · يقال مثلاً : من نزعات القومية أن تنتظم في دولة · والثاني جملة الصفات التي تتميز بها أمة من الأمم ، أو هو الأمة في حياتها الخاصة والشخصية ، كقولنا القومية العربية والقومية الألمانية وهكذا · والثالث حب الأمة التي ينتمي الانسان اليها ، وتفضيل خصائصها على خصائص غيرها · والقومية بهذا المعنى مذهب من المذاهب السياسية مخالف لمذهب يسمى الأقوامية أو الأممية ، وهو مذهب المنكرين للقومية ،

الداعين الى حب البشرية دون تمييز أمة من أمة في ميولهم ونزعاتهم . وسترون ما في ذلك من ضرر على أمثالنا من الشعوب .

والقومي مَن دانَ بمذهب القومية . ونقيضه الأَقوامي أو قل اللاقومي .

وقد تكون القومية نزعة بسيطة في النفس ؛ وقد تكون برنامجاً لحزب سياسي ، أو عقيدة في نفوس أبناء الأمة الواعية . ولأعمال القوميين شكلان بارزان : الأول أن تكون الأمة غير مستقلة فيعمل القوميون على إبلاغها استقلالها التام . والثاني أن تكون الأمة مستقلة تماماً فيعملوا على مدافعة الأخطار عنها بشتى الوسائل السياسية والاجتماعية والاقتصادية . ومن النزعات القومية في التأريخ الحديث نزعة شعوب الأمة العربية الى الظفر باستقلالها التام ، وكفاح الهند حتى ظفرت باستقلالها ، وكفاح ألمانيا للإفلات من قيود معاهدة فرساي الخ .

ومن الواضح أن الأقوامي أو اللاقومي لا يهتم بمثل هذه الأمور الوطنية ما دام من مذهبه عدم الاعتراف بالأقوام ولا بأوطانها .

الأمة والشعب :

الأمة في معجماتنا القرن من الناس . وهي الجيل والجنس من كل حي . وأمة كل نبي من أُرسل اليهم . وكل قوم نُسبوا الى نبي فأضيفوا اليه فهم أمته . وللأمة معانٍ أخرى .

أما في اصطلاح هذه الأيام فالتعريف المشهور للأمة هو أنها جماعة من الناس يقطنون بقعة من الأرض معلومة ، ولهم لغة واحدة في الأعم ، وأخلاق متشابهة ، وماض مشترك في الأمجاد والآلام ، وحاضر مشترك في التفكير والمصالح .

والشعب في اللغة القبيلة العظيمة ، أو ما كان أكبر من القبيلة ؛ ولذلك جاء في أساس البلاغة : « العرب شعوب » . وفي لسان العرب : « وكل جيل شعب » . والشعب في هذا المعنى يرادف الأمة لغويا .

وهذا الترادف وارد أيضاً في الاصطلاح الحديث عندنا وعند بعض الأعاجم على السواء . فلكلمة الشعب عندنا ولكلمة Peuple عند الفرنسيين مثلاً أربعة معان اصطلاحية : الأول الأمة في معناها الحديث ، يقال الشعب الألماني والشعب الإيطالي أي الأمة الألمانية والأمة الإيطالية . والثاني جماع سكان بلد كمصر ، وسكان مدينة كالقاهرة فيقال شعب مصر وشعب القاهرة . والثالث طبقة مخصوصة من الأمة ، وهي طبقة الكافة ، أي القسم الأكبر من سكان البلد ، خلافاً لطبقات أخرى كطبقات النبلاء والأثرياء والباشاوات وغيرهم ممن يستأثرون بالمرافق العامة ولا سيما في الحكومات الفاسدة . والرابع جزء من الأمة له كيان سياسي مثل قولنا شعب تونس وشعب العراق وشعب السودان أجزاء من الأمة العربية . وهذا الاصطلاح الأخير هو في نظرنا أهم الاصطلاحات الأربعة . فنحن في هذه المحاضرات لم نطلق كلمة الشعب إلا على معناها الرابع . ولم نستعملها قط مرادفة لكلمة الأمة . فالأمة العربية عندنا هي جماع الشعوب العربية . وسكان سورية وتونس واليمن مثلاً ليسوا أمماً بل شعوباً من أمة واحدة هي الأمة العربية ، ولهم قومية واحدة هي القومية العربية .

الدولة :

ليس للدولة في معجماتنا الأصلية المعنى المعروف في زماننا هذا . فالدولة فيها انقلاب الزمان من حال البؤس والضر الى حال الغبطة والسرور . والدولة أيضاً العُقبة في المال ، أي النوبة والبدل . وأطلق المولدون القدماء الدولة على الملك ووزرائه .

أما في الاصطلاح الحديث فالدولة جماعة مستقلون يعيشون دائماً في أرض لهم معلومة ، ويخضعون لسلطة نُظمت لكي تضمن للفرد وللجماعة حريتهم وممارسة حقوقهم . ويتضح من هذا التعريف أن قوام الدولة الأول وجود فرقة من الناس كبيرة يستطيع أفرادها أن يعيشوا بما يكسبون ، والثاني أن يكون

هؤلاء الناس متمتعين بعيشة حرة مستقلة ، والثالث أن يكونوا خاضعين بمل‌ء إرادتهم لسلطة عليا منظمة مهمتها الإشراف على شؤونهم . والرابع أن يكونوا قاطنين أرضاً لهم معروفة وكافية لضمان استقلالهم وضمان ثباتهم مجتمعين في تلك الأرض . فكل جماعة من البشر استوى لها جماع هذه الأمور هي دولة . والدولة غير الأمة على ما هو واضح في تتمة هذا البحث .

علاقة الأمة بالدولة :

من مبادئ القوميين جعل بلادهم وطناً واحداً تضم أبناءه دولة قومية واحدة . ولكن ذلك لا يتيسر لهم دائماً ، فالقوة والتسلط الاستعماري ومطامع بعض الدول كثيراً ما تحول دون رغبات القوميين . وها كم بعض الأشكال التي تبدو لنا في علاقة الأمة بالدولة .

الشكل الأول : هو الشكل الطبيعي الذي تتوق القوميات الى تحقيقه ، وهو كما قلنا أن يكون للأمة دولة واحدة مستقلة تشمل سلطتها جميع الأراضي التي يتألف منها وطن تلك الأمة . وفي هذا الشكل تختلط الأمة بالدولة . ومن الأمثلة عليه فنلندة والسويد وغيرهما .

الشكل الثاني : هو أن يكون للأمة الواحدة أكثر من دولة واحدة مستقلة ، فتعمل القومية على ضم شتات الأمة في دولة موحدة أو في دولة اتحادية . مثال ذلك في الماضي ما كانت عليه ألمانية وايطالية قبل أن تتحد أجزاء كل منهما ، ومثال ذلك في الحاضر سعي القوميين العرب الى توحيد بعض الدول العربية المستقلة ، وهو ما سنبحث فيه في محاضراتنا التالية . ومن الواضح أن في هذا الشكل يكون لأبناء كل دولة من دول الأمة الواحدة وطن خاص ووطنية خاصة ، ولكنه يكون لجملتهم أي لأبناء الأمة جميعاً وطن عام يشمل تلك الأوطان المنفصل بعضها عن بعض . فالقومي العربي السوري مثلاً يعد سورية

وطنه الخاص ، ويعد مصر جزءاً من وطنه الكبير ، ويعمل على توحيدهما بطرائق شتى[(١)] .

الشكل الثالث : قد تكون الأمة عرضة للتسلط السياسي أو للتسلط الاستعماري فتسعى جاهدةً للتفلت من براثن المتسلطين . فالأمة البولونية مثلاً كانت قبل الحرب العالمية الأولى تابعةً لثلاث دول كبيرة ، على حين أن أبناءها ما انفكوا محتفظين بلغتهم وبقوميتهم الى أن تمكنوا من ضم شملهم في دولة مستقلة واحدة . وشبيه بذلك كان وضع اليونان وبلغارية ورومانية عندما كانت تابعة للدولة العثمانية . وشبيه بذلك أيضاً ما كانت عليه بعض الأقطار العربية بالنسبة الى تلك الدولة . ففي جميع هذه الحالات تعدُّ الدولة المسلطة أفراد الأمة المغلوبة على أمرها من رعاياها ، أي تعدهم جزءاً من أبناء دولتها ، ولا تعترف لهم بكيان قومي مستقل عن كيانها . أما هم فنزعتهم القومية تحملهم على مقاومة هذا التسلط ، وعلى بذل الجهد للظفر بالاستقلال ، وللانتظام في دولة قومية واحدة .

ويبرز من حديثنا هذا الفرق بين الأمة والدولة ، وصلة الواحدة بالثانية . فرب دولة تكون مؤلفة من أمم شتى : كما كانت الدولة العثمانية والدولة النمسوية المجرية في الماضي ، وكما هي الدولة السويسرية في الحاضر . ورب أمة تسلط عليها المتسلطون فحالوا دون تأليفها لدولة قومية مستقلة ، كالدول التي ألمعت اليها .

ولم تكن نظرة القدماء الى صلة الدولة بالأمة شبيهة بنظرة المحدثين اليها . فقبل القرن التاسع عشر من الميلاد ولا سيما في القرون الوسطى كان الوطن والدولة شيئاً واحداً في البلاد الأوربية وفي كثير من البلاد الأخرى ، وكان الإخلاص للملك أو للأمير هو الإخلاص للبلاد التي لهما سلطان عليها ؛ ورب أرض كان يُدخلها الملك في ملكه فتصبح جزءاً من وطن رعيته ، كما يصبح

(١) كتبت هذه المحاضرة قبل أن تتألف الدولة العربية المتحدة من مصر وسورية .

سكانها جزءاً من تلك الرعية ، دون أن يكون في نفوس الجماعات نزعة الى الحياة المشتركة في وطن شامل وأمة واحدة .

وعندما زالت عقيدة الناس بأن الملوك إنما يحكمون الشعوب ويهيمنون على شؤونها بسلطة أمدهم الله بها ، تبدلت نظرة الجماعة الى الملوك ، وتولدت فيها نزعة القومية القائلة بأن على الإنسان أن يجعل لحب وطنه وحب قومه المقام الأول في قلبه .

ولقد ذكرتُ أن الوطن في معجماتنا العربية المنزل الذي يقيم المرء فيه . فالوطنية أي محبة الوطن تبدأ في ذلك المنزل أي في ذلك الوطن الخاص الصغير حيث الأهل والأقربون ، ثم تتعداه الى البلدة حيث يكون للإنسان في طفولته وفي شبابه صلات شتى بسكانها ، وحنين الى ما أَلِفه فيها من أرض وجوّ وسماء .

وليس حب الإنسان للقطر الذي يتألف منه وطنه ، وللأقطار التي يتألف منها وطنه الكبير ، إلا امتداداً لحب وطنه الصغير وهو مولده ومنشأه . لكن حب الإنسان لمولده ينشأ عن عوامل معظمها مادية ، أما حبه لوطنه في معناه الاصطلاحي الحديث فهو ينشأ عن عوامل معظمها معنوية وروحية ، فما هي العوامل التي تعمل في نشوء القوميات عند الأمم ؟

عوامل القومية :

اختلف علماء الاجتماع والفلاسفة وسائر المفكرين في حصر عوامل القومية ، أو قل مقومات القومية . أهي البلد أي أرض الوطن ، أم العرق أو قل السلالة ، أم اللغة ، أم العناصر السياسية والاقتصادية ، أم التأريخ المشترك ، أم الدين ، أم الإرادة المشتركة . أم هي كلها أو بعضها ؟

واختلفوا خصوصاً في مدى تأثير كل عنصر من هذه العناصر في تكوين الأمم وانفصال بعضها عن بعض أو تمييز بعضها من بعض .

أرض الوطن :

لعل أول ما يتبادر الى ذهن الإنسان أنه لا بد لكل أمة من بلد تعيش فيه ، وتختص به ، وتتخذه وطناً لها . وليس في مقدورنا أن نتصور وجود أمة لا تملك رقعة من الأرض تتشبث بها ، وتجعلها رمزاً لتعلق أفراد الأمة بعضهم ببعض ؛ فهذا الكائن المادي عنصر لا غنى عنه لكل أمة تريد أن يكون لها كيان خاص في المجتمعات البشرية . ولكن هذا العنصر المهم ليس أهم العناصر التي تقوم عليها القوميات ، على ما سيجيء ذكره . ومهما يكن من أمر فالحدود الطبيعية من جبال وأنهار وبحار عوامل أثرت في جميع الناس بمقدار ما أثرت في تفريق بعضهم عن بعض . ومن المعلوم أنه لم تبق قيمة لهـذه العوامل في انتشار وسائل الاتصال في أيامنا هذه ، غير أن اتصال أراضي الوطن يكون أدعى الى ترابط أبنائه ، كما يكون انفصال تلك الأراضي أدعى الى تباعدهم على كر السنين . فالإنكليز في أسترالية وزيلندة الجديدة مثلاً أصبح لهم وطن خاص وقومية خاصة ؛ وكذلك الإسبانيون في الأرجنتين ، والبرتغاليون في البرازيل ، وذلك لبعد الشقة بين مواطنهم القديمة ومواطنهم الجديدة ، يضاف اليه عوامل أخرى كهجرة أناس من أقوام مختلفة ، وكتولد أجيال من الخلاسيين . والخلاصة أن فكرة الأرض المشتركة لا تكفي وحدها لتفسير تكوّن الأمة ، وإن تكن من مقوماتها المهمة .

وحدة العرق :

ومما يتبادر الى الذهن أيضاً أن الأمة قد ترتكز على وحدة العرق في أفرادها ، ولكن العرق (ويسمى السلالة أو العنصر أو الرَّسّ) شيء غامض في علم الإنسان وعلم السلالات البشرية . وقد تضاربت آراء العلماء في تحديد هذه العروق وفي تصنيفها علمياً حتى إن اختلاف الآراء في هذا الموضوع يوقع

المرء في حيرة ؛ ومن المعلوم أن بعض الاستعماريين يزعمون أن عروق البشر تتفاوت في مداركها وعقولها وقابلياتها ، وأن هنالك سلالات عليا وسلالات دنيا ، وأن في وسع شعب منسوب الى الأولى أن يحكم شعباً منسوباً الى الثانيـة ، وأن في وسعه أيضاً أن يقرضه ويقوم مقامه . وقد حاضرتُ رفاقكم في هذا الموضوع أي موضوع العنصرية منذ سنتين فاستغرق كلامي عليه اثنتين وثلاثين صفحة من الجزء الأول من كتاب الاستعمار فليراجعه من يشاء منكم .

والذي يهمنا قوله في هذا المقام أن العرق شيء والأمة شيء آخر ، وأن العرقية أو قل العنصرية غير القومية ، وأن عروق البشر الصافية قد انقرضت منذ أزمان واغلة في القدم ، وأنه لا يوجد اليوم في أوربة دولة كبيرة سكانها ينتسبون الى سلالة واحدة من سلالات البشر . فالإنكليز مثلاً يُنسبون الى السلتيين والنرمنديين والجرمانيين (الإنكليز السكسونيين) ، ومن الصعب القول بأن انكليز أيامنا هذه هم جرمانيون فحسب ، أي بأنهم آريون فيهم المزايا التي يلصقها عبـاد الآرية بهذا العرق ، تمييزاً لهم من سائر البشر ، لغاية التسلط والاستعمار .

ومما هو معروف أن الألمان هم أشد الأقوام تعصباً لنظرية العنصرية ، ومع هذا فان في ألمانية جرمانيين شقراً طوال الرؤوس والأجسام ، وفيها من أنسال الرومانيين ، ومن الفرنسيين الذين كانوا التجأوا اليها ، ومن الصقالبـة المتجنسين بالجنسية الألمانية ، وفيها عدد كبير من الهُجُن الذين تولدوا من أفراد هذه الأقوام أو السلالات . فالادعاء بأن الأمة الألمانية مثال نقاء العرق الآري شيء لا يستند الى دليل علمي . ومع هذا فالأمة الألمانية من أشد الأمم تعلقاً بوحدتها وبأهدافها القومية .

وفرنسة تُعد أمة لها صفات الأمة الواحـدة كالطبائع والأمزجة والعادات والميول المتقاربة . ولكن هذه الأمة مؤلفة من سلالات عديدة كالليغوريين

والرومانيين والسلتيين والجرمانيين والنرمنديين وغيرهم . فجميع هذه السلالات أو الأقوام المنسوبة الى سلالات مختلفة قد احتلت فرنسة أو جزءاً منها في زمن من الأزمان ، وتناسلت فيها ، واستقرت زمناً ، ولم تنشأ منها سلالة جديدة ، ومع ذلك نشأت الأمة الفرنسية من هذا المجموع المختلف .

ويتبين من هذه الأمثلة أن وحدة العرق تكاد تكون مفقودة في معظم أمم الأرض . ولكن قد يسود عرق من العروق بين أفراد إحدى الأمم فيكون عاملاً معنوياً في تساند هؤلاء الأفراد ، وفي انتظامهم أمة مستقلة عن غيرها من الأمم .

عامل السياسة والاقتصاد :

لا بد للشؤون السياسية والاقتصادية من أن يكون لها تأثير في نمو فكرة الحياة القومية . يقول بعض الكتاب : إن فتوحات روما هي التي وحّدت بلاد الغال ، وأوجدت فيها أول شعور بوحدتها المعنوية ؛ ويقولون : إن ملوك فرنسة هم الذين خلقوا فرنسة . وبمثل هذه الأقوال يجعلون للأنظمة السياسية وللأسر الحاكمة مكاناً مرموقاً في خلق الشعور بالحياة القومية المشتركة .

ولكن كتاباً آخرين يذكرون أمثالاً عديدة لأسر حكمت رقعاً صغيرة من أرض شعب واحد فحالت دون انتظام هذا الشعب في دولة واحدة ، أو حالت دون شعوره بأن له هو ومجاوريه كياناً قومياً مشتركاً . وتأريخ القرون الوسطى خاصةً مليء بهذه الأمثال في أوربة وفي غيرها .

والأسر الحاكمة أياً كانت قد تكون عنواناً للحياة الاجتماعية في زمن من الأزمان ، ولكنها لا تكون أصلاً لتلك الحياة . فقد يتعلق أحد الأقوام بأسرة حاكمة ويتخذها شبه رمز لقوميته ، وقد تفرض إحدى الأسر حكمها على شعب وتدعي أنها رمز لسيادته . ولكن الرمز في الحالين شيء والأصول التي تقوم عليها السيادة الحقيقية شيء آخر . فأصول السيادة الحقيقية لا نجدها

إلا في القومية أي في جماع القوى الروحية الكامنة في الأمة . ولذلك لا يكاد يحصل نزاع بين تلك القوى ونزوات الأسر الحاكمة (كما حصل في الثورة الفرنسية ، وكما حصل أخيراً في الثورة المصرية) حتى تنفصل النزعة القومية عن الأسرة الحاكمة ، وحتى تعاديها وتقضي على حكمها عاجلاً أو آجلا .

وليست كل دولة وطناً ، على ما هو معلوم . فالأجزاء غير العربية من الدولة العثمانية لم تكن وطناً لنا عندما كنا تابعين لتلك الدولة . ولم يكن الألباني ولا البلغاري ولا اليوناني يفكرون في أن الشام أو العراق أو الحجاز كانت أجزاء من أوطانهم . وهذا دليل على أنه قد يكون هنالك اشتراك في الحكومة وفي الأنظمة من دون أن تتكوّن من المشتركين فيها أمة واحدة حقيقية .

أما الاشتراك في المصالح الاقتصادية فهو يكون ذا تأثير في نموّ الفكرة القومية على قدر الشعور بضرورة ذلك الاشتراك . فاذا فقد الشعور به تصبح المصالح الاقتصادية عامل تفريق بين أفراد الأمة الواحدة لا عامل توحيد . فالاتحاد الجمركي في تاريخ ألمانية الحديث (Zolleverein) كان عاملاً سبق وحدة المانية السياسية في القرن الماضي ، ومهد السبيل أمام تلك الوحدة . ونحن نشعر مع غرفنا التجارية والصناعية والزراعية التي عقدت مؤتمرها منذ ثلاثة أشهر في القاهرة أن إزالة الحواجز الجمركية بين الأقطار العربية عامل من عوامل توحيد تلك الأقطار سياسياً ، ولذلك ترونا نتشبث بهذا الطلب على الرغم مما قد يكون فيه من التضارب في مصالح الأفراد ومصالح خزانات الدول العربية .

وفي الحقيقة ما من دولة أو أمة إلا فيها مدن أو كُوَر تعارض مصالحها الاقتصادية مصالح مدن أو كور أخرى . ولا بد لكل دولة أو أمة من تضحية منافع بعض الأفراد والجماعات في سبيل المصلحة العليا لتلك الدولة أو لتلك الأمة .

عامل الدين :

من المعلوم أن الاشتراك في الدين يُعد رابطة قوية تشد المؤمنين به بعضهم الى بعض . والأديان من حيث مبدأ القومية قسمان قسم يختص به قوم أو شعب أو جماعة ، وقسم يدين به الناس من مختلف الأقوام والشعوب . فالقسم الأول كاليهودية و كعبادة بعض الأوثان يولد في أصحابه نزعة خاصة تنضم الى النزعة القومية أو الجماعية ، فيزداد بها ترابطهم وتساندهم ، ويكون الدين عندهم ديناً قومياً ، ويكون في كيانهم عاملاً قوياً قد يضاهي عامل اللغة المشتركة والتأريخ المشترك .

أما القسم الثاني كالإسلام والنصرانية فهو أيضاً يولد في من يدينون به نزعة تساند قوية ، ولكنه يتجاوز النزعة القومية ، الى نزعة دينية شاملة لأقوام شتى .

ولقد كانت الأديان في التأريخ ، أي قبل نشوء مبدأ القوميات حديثاً ، أهم صلة روحية بين أبناء البشر ؛ ولكننا نرى في أيامنا هذه أن رابطة القومية قد تفوقت على رابطة الدين لدى كثير من الأقوام التي تدين بدين واحد . ومهما يكن مبلغ هذا التفوق فسيظل للتعاطف الديني مكان مرموق في صلات الأقوام المختلفة بعضها ببعض . وسنرى في محاضراتنا التالية تأثير الإسلام العظيم في انتشار أمتنا وفي نشر ثقافتنا العربية في الأقوام الإسلامية المختلفة . وسنرى أيضاً كيف أن التساند الديني بين العربي والأعجمي لا يجوز أن يتجاوز الحد الذي في تجاوزه إضرار بالوطن العربي وبالأمة العربية .

عامل اللغة :

يرى بعض الفلاسفة وعلماء الاجتماع ، ولا سيما الفرنسيين منهم ، أن وحدة اللغة عنصر مهم من عناصر الوحدة القومية . ولكنهم يقولون إن هذا العامل ليس كافياً ولا ضرورياً لخلق الأمة .

ويتمثلون في إثبات رأيهم هذا بأمتي الولايات المتحدة الأميركية وانكلترة فان لهما لغة واحدة على حين أنهما ليستا أمة واحدة ، وذلك خلافاً للأمة السويسرية فهي أمة لها ثلاث لغات أو أربع .

وأصحاب هذا الرأي هم الذين لا يبنون بناء الأمة إلا على الفكرة المثالية أي على الاشتراك في الذكريات وعلى ارادة الجماعة في أن تكون أمة مستقلة عن الأمم الأخرى .

ويرى آخرون ـ ونحن على رأيهم ـ أن الاشتراك في اللغة هو أكبر عامل يولد في نفوس الناس ارادة الانتظام في أمة واحدة . ولذلك لا يظل ثمة مجال لتقليل شأن اللغات في تكوين القوميات . فما لا شك فيه أن اللغة هي أقوى رباط معنوي بين الأفراد لأنها وسيلة تفاهمهم ، ولأنها أيضاً وسيلة نقل تراث الأجداد الثقافي الى الأحفاد . ومتى تفاهم الأفراد بلغة واحدة اتحدوا في تفكيرهم ، ونشأ فيهم شعور من التعاطف قلما ينشأ مثله في أفراد يتكلمون لغات أجنبية ؛ وهذا التعاطف عامل عظيم في جعل المتكلمين بلغة واحدة يتميزون من غيرهم ويؤلفون أمة واحدة منفصلة عن غيرها من أمم الأرض . واذا فقدت احدى الأمم لغتها ، وجعل أفرادها يتكلمون بلغة جديدة ، سرعان ما يفقدون قوميتهم ، ويندمجون في الأمة التي تتكلم بتلك اللغة الجديدة . ولذلك نرى الدول الاستعمارية تعمل جاهدةً على إضعاف لغات المستعمرات ، أو على قتلها ؛ ونرى تلك الدول تبذل جهدها في تعليم لغاتها وبث ثقافاتها ، لما لذلك من تأثير كبير ، سواء في وأد الروح الوطني في نفوس أبناء المستعمرة ، أم في خلق شعور بالرضى عن أفاعيل الدول الاستعمارية ، وعما تقترفه من آثام في المستعمرات والمحميات .

ورب أمة تسلط عليها قوم أجنبي ، وحكمها سنين عديدة ، فلبثت محتفظة بلغتها ، فوقاها تشبثها بلسانها عادية الاضمحلال ، حتى اذا استعدت وواتاها الزمن

القلب ، استردت ما فقدت من استقلال وسيادة ، فكانت اللغة سبباً في عودتها الى الحياة الحرة الكريمة .

ويتضح من هذه الإلمامة ، أن اللغة أهم جزء في جسم الأمة ، وأنها أكبر عامل في تكوُّن الأمة وفي بقائها حية على هذه الارض ، وأنه لا حياة لأمة تهمل لغتها وتدع غيرها من اللغات تتغلب عليها . وسنرى في محاضراتنا التالية مبلغ ما للغتنا الضادية المضرية من أثر كبير في كيان أمتنا العربية .

الفكرة المثالية :

من رأي أصحاب هذه الفكرة أن الأمة في أيامنا هذه لا ترتكز على العرق ، ولا على الدين ، ولا على الحدود الطبيعية للوطن ، ولا على العناصر السياسية والاقتصادية ، حتى ولا على اللغة . فهم يرون أن هذه المقوّمات الواقعية أو المادية لا تكون أصل الوحدة القومية ، وإنما أصل تلك الوحدة هو الفكرة المثالية . فقوام الأمة الجوهري عندهم عوامل روحية أو قل روح مشتركة ؛ ولهذه الروح دعامتان : الأولى اشتراك أفراد الأمة في ذكريات التأريخ من مجد وألم ، والثانية إرادة هؤلاء الأفراد أن يدوم هذا الاشتراك في الحاضر وفي المستقبل . ولرينان الفرنسي محاضرة مشهورة في هذا الموضوع . ومما جاء فيها أن الأمة تتألف من شيئين : الأول في الماضي ، والثاني في الحاضر ، وهما في الحقيقة شيء واحد . فالأول أن يكون لأفراد الأمة تراث كبير مشترك من الذكريات ، والثاني أن يكونوا راضين بحاضرهم ، وراغبين في العيشة المشتركة ، ومريدين المثابرة على تقدير قيمة الإرث المشاع الذي انتقل اليهم من أسلافهم ؛ وهو ينتهي الى القول بأن الأمة تضامن عظيم يحصل من الشعور بالتضحيات الماضية ، ومن الشعور بالتضحيات التي في النية القيام بها .

تأثير الاشتراك في التأريخ :

يتضح من رأي أصحاب الفكرة المثالية أن إحدى دعامتي القومية عندهم الاحتفاظ بالقيم الروحية التي انتقلت الى الأمة من التاريخ أي من ماضيها المشترك . ومما لا يقبل الجدل أن لشعور الأفراد بوحدة التأريخ أثراً كبيراً في حياة الأمة . ولكن التأريخ السياسي لأمة من الأمم قلما يكون واحداً طيلة أزمان طويلة . وهو لا يكون مشرقاً دائماً . ولذلك قال أحد الكتاب المفكرين : من واجبات كل أمة نسيان جزء من تأريخها . وقال آخر : لا يجوز في الوطنية الاكتفاء بالرجوع الى الماضي وحده ، بل يجب الاهتمام خاصةً بتوجيه الوطنية الى المستقبل . فالأغلاط التي حمّلنا الأجداد عبء إصلاحها تكاد تعادل أفعالهم الحسنة التي تركوها لنا أمثلةً تُحتذى . وليس الحرص على مستقبل صالح جديد بأقل وطنيةً من الإخلاص لعبادة الماضي .

وينتج عن هذا الرأي في مدى تأثير التأريخ المشترك أن بعض أصحاب الفكرة المثالية يغلّبون إرادة التعايش والعمل المشترك ، على التعلق بماضي الأمة ، ويجعلون لهذه الإرادة المقام الأول في بناء الأمة . وعلى هذا يصبح الأساس الأول والنهائي الذي تُبنى الأمة عليه هو مبدأ القوميات ، أو قل حق الشعوب بتقرير مصيرها ، أياً كان ماضيها .

ومهما يقلل أصحاب هذا الرأي من شأن الاشتراك في التأريخ ، يظل القسم المشرق من تأريخ الأمة عاملاً أساسياً في تكوين الشعور القومي فيها ، ذلك بأن من المؤثرات الفعالة في النفوس تذكر ما لماضي الأمة من أثر حميد في الثقافة والمدنية ، وما لرجالاتها من بطولة ، وما حفظت الأيام لها من قصص وأساطير ، وما خلفت لها من عادات وتقاليد .

والأمة الحية هي التي تهمل في تفكيرها (لا في دراسة التأريخ) النواحي المظلمة من تأريخها ، وتتشبث بنواحيه المشرقة ، فتكون تلك النواحي المشرقة عاملاً كبيراً من عوامل شعورها بوحدتها .

الخلاصة :

يلخص كلامنا على العوامل التي تؤثر في نشوء القوميات بأن هذه العوامل قسمان : قسم مثالي أو روحي ، وهو أن يكون عند أفراد الأمة شعور بكيانهم المشترك ، وإدراك جماعي له ، وإرادة تحفزهم على العيش عيشة مشتركة في أمة واحدة .

وقسم واقعي أو مادي، وهو أن يكون لهذه الروح المشتركة جسم ترتكز عليه ، وهذا الجسم هو جملة العوامل الواقعية أو المادية التي ألمعتُ اليها كالاشتراك في اللغة وفي التأريخ وفي الأرض وفي السلالة وفي الدين وفي المصالح ، الى آخر تلك العوامل التي لكل منها تأثير كبير أو صغير في تكوين الأمم على اختلافها .

ولا شك في أن أهم بواعث القسم الأول ، أي أهم ما يولد الروح المشتركة في نفوس الأفراد انما هو اشتراكهم في اللغة وفي الذكريات التأريخية .

والذي يهمنا ذكره فيما يتعلق بقوميتنا العربية أنها من حيث الفكرة المثالية تقوم ـ كغيرها من القوميات ـ على الشعور والإيمان بأن العرب في جميع أقطارهم أمة واحدة ، وعلى إرادة السعي لتحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية والاقتصادية لهذه الأمة . (وسنتكلم على هذه الأهداف) .

أما العوامل الواقعية التي ترتكز عليها قوميتنا العربية ، أي بواعث الفكرة المثالية ، فأهمها عاملان : الأول اللغة العربية الفصحى ، فهي التي تولد فينا ذلك

الشعور القوي المشترك بالتعاطف والتساند بين أبناء الناطقين بالضاد على مختلف شعوبهم وأقطارهم ، وهي التي تولد فينا تلك الإرادة أو النزعة المشتركة التي تحدونا على اعتبار هذه الشعوب أمة عربية واحدة ، واعتبار أقطارنا وطناً مشتركاً واحداً هو الوطن العربي الأكبر لتلك الأمة .

وأما العامل الثاني فهو تأريخنا المشترك . فالقسم المشرق من تاريخ أمتنا العربية عامل أساسي في تكوين النزعة القومية فينا ، ذلك بأن من المؤثرات الفعالة في نفوسنا تذكر ما لماضي أمتنا من أثر حميد في الثقافة والمدنية ، وما كان لرجالاتها من بطولة ، وما حفظت الأيام لنا من تراث علمي وأدبي عظيم ، وما خلفت لنا من قيم روحية لا كفاء لها .

وبعد ، إن القومية إيثار لا أثرة ، وتضحية لا جر مغنم ، وعقيدة في سويداء القلب لا شقشقة على عذبة اللسان . ويا ويح أمة لا تؤمن بقوميتها ، ولا تقبل التضحية في سبيلها ، ولا تعرف كيف تضمن لنفسها عناصر الحياة من علم وثقافة واقتصاد وقدرة على حكم نفسها بنفسها ، وعلى مدافعة العدوان عن وطنها . فأمة كهذه الأمة لا مكان لها ولا استقلال في عصر القوميات وفي معترك التسلط الاستعماري .

ومن الأجرام الفظيعة أن يتخلى أفراد الأمة الضعيفة عن عقيدة القومية ، وأن يتجاوزوها الى الإيمان الأعمى بعقيدة العالمية أو الأممية في هذا الزمن الذي ما يرح ذئاب الاستعمار فيه يلغون في دماء الشعوب الضعيفة ، ويأبون التخلي عن فرائسهم إلا بسفك الدماء .

ومن الخطأ الظن بأن القومية ظلم أو مشاكسة لغيرها من القوميات . فالقومية لا تكون كذلك الا عند الأقوام التي لها دول استعمارية غاشمة . أما

عند غيرهم من الأقوام فالقومية لا تكون إلا عقيدة إنسانية عادلة تحرص على احترام حقوق القوميات السائرة حرصها على جعل تلك القوميات تحترم حقوقها [1] .

مصطفى الشهابي

---

(١) قد يرى بعضكم أن يطالع في كتب أعجمية مواضيع مماثلة لمواضيع هذه المحاضرة ولذلك لعله من المفيد أن نضع أمام أهم مصطلحاتها الألفاظ الفرنسية التي تنظر اليها :

وطن	Patrie	أهالي . سكان	Population
وطنية	Patriotisme	دولة	Etat
وطني	Patriote	عالمية	Cosmopolitisme
مواطن	Compatriote / Citoyen	أقْوامية	Internationalisme
أمة ، قوم	Nation	أقْوامي / لا قومي	Internationaliste
(١) قومية (٢) جنسية . تابعية	Nationalité	الفكرة المثالية	Conception Idéaliste
قومية	Nationalisme	الفكرة الواقعية	Conception Réaliste
شعب	Peuple		

تحقيقات حول

نقد الغزالي

لمذهب المشائين والأفلاطونية المحدثة (*)

— ٤ —

ولنبدأ الآن بعرض الأدلة التي ينقلها الغزالي على لسان القائلين بقدم العالم، تمهيداً لبسط ما قاله في الرد عليهم .

خلاصة الدليل الأول :

من المستحيل أن يصدر كائن حادث عن قديم . ذلك لأن القديم متجانس من جميع الوجوه ، فلا يمكن أن يعرض له التغير ولا الاختلاف . وبيان ذلك أن العالم ـ قبل حدوثه ـ كان ذا وجود جائز ممكن . فإذا خرج إلى الوجود ، فلا بد من سبب أو « مرجح » اقتضى ترجيح الوجود على العدم . فكيف يمكن تعليل هذا المرجح دون الوقوع في إحالات منكرة ؟ أنقول إن الكائن الأزلي كان عاجزاً عن إحداثه ثم طرأت عليه قدرة الإحداث ؟ أم نقول إن الإحداث كان مستحيلاً قبل وقوعه ثم أصبح ممكناً ؟ أم إن الإله لم تكن لديه إرادة تشاء خلق العالم ثم حصلت له هذه المشيئة ؟

من الواضح أن كل هذه الفرضيات تقتضي تغييراً من حال إلى حال في ماهية الكائن الأبدي الذي يستحيل في حقه التغيير . فإذن لا بد لنا ، تفادياً من التناقض ، أن نسلم بأزلية العالم ، نظراً لوجوده الواقعي من جهة ، ولاستحالة حدوثه من جهة أخرى .

(*) راجع مجلة المجمع العلمي العربي ، المجلد ٣٢ ، الأجزاء ٢ و ٣ و ٤ (نيسان وتموز وتشرين الأول ١٩٥٧) .

إننا نشير إلى أن هذا الدليل من الأدلة التي يستمسك بها الأفلاطونيون المحدثون. ولقد أفاض في تفصيله إبرقلس في القرن الخامس (Proclus le Diadoque) بعد أن جمع كل ما أورده فرفوريوس وأتباعه على نظرية حدوث العالم. يقول ابرقلس : [١] « كل معلول ناشيء عن علة ساكنة فهو بالضرورة وبالطبيعة قديم . وبيان ذلك أن الكائن الذي يخلق غير متغير ، من جهة أنه ساكن. ولئن كان ساكناً في ماهيته ، أهُو يخلق ، من جهةِ وجوده نفسه ، لا بأن ينتقل من البطالة الى العمل أو من عدم الخلق الى الخلق . لأنه لو عرض له مثل هذا الانتقال ، لطرأ عليه تغيرٌ ، هو بعينه ذلك الخروج عن حال إلى حال ، فإذا قبِل التغيُّر كان ذلك مخرجاً له عن حال السكون . إذن فمتى كان كائن ما ساكناً : فإما ألاّ يزال على حال الخلق ، وإما ألاّ يخلق أبداً لكيلا يتعرض للحركة التي إنما تحصل إذا باشر الخلق ثم كفّ عنه . وإذن فإذا كانت علة الشيء ساكنة ، فبما أنه يستحيل ألا تكون علةً على وجه الدوام وبما أنه يستحيل أن تكون علةً في بعض الأحيان ، فلا بدّ أن تكون علةً أبداً . وإذا صحّ هذا ، فهي علة الشيء أبدي . والواقع أن علة الكون ساكنة . ولأجل أن تعتبر متحركة ، لا بد أن تكون معتبرة ناقصةً من جهة سعيها للتكامل ، فإن كل حركة ناقصةٌ . إذن فمن الضروري أن يكون الكون أبدياً على اعتباره محدثاً عن علة ساكنة » .

ومن المفيد أن نقرر أن ممن استعمل هذا الدليل فيما بعد ابنُ سينا إذ يقول : « وواجبُ الوجود واجبٌ أن يوجد ما يوجد عنه وإلا فله حال لم تكن ، فليس واجبَ الوجود من جميع جهاته [٢] » ... « وقد بُيّن أن واجب الوجود

(١) النصوص واردة بطريق يحيى النحوي . وقد أخذناها مترجمة الى الفرنسية عن اللاتينية والإغريقية (كما وردت في دوهيم. راجع الجزء الرابع ٤٩٨-٤٩٩-٥٠٦).

(٢) راجع (النجاة) ص ٣٧٢ ، ٤١٥ ، ٤١٦ ، وراجع بإزاء هذا (الشفاء) : المقولة الرابعة ٥٢٦ - ٥٧٧ .

بذاته واجب الوجود من جميع جهاته » . ويقول زيادة على ذلك : « كل ما هو ممكن له فهو واجب له : فلا إرادة له منتظرة ، ولا علم منتظر ، ولا صفة من الصفات التي تكون لذاته منتظرة » .

على أنه قبل النظر في اعتراضات الغزالي على برهان من هذا النوع ، لا بد أن نلتفت إلى ما أثاره من اعتراضات لدى مؤلفين سابقين . فلقد وجد في أوائل القرن السادس مفسر من مفسري أرسطو تصدى لنقده ، وهذا المفسر هو يحيى النحوي (الملقب بفيلوبونوس) [١] الذي رد على ابرقلس بقوله : « إن

(١) المعروف عند مؤرخي العرب أن يحيى النحوي أدرك الفتح الإسلامي في القرن السابع الميلادي . جاء في الفهرست لابن النديم (ص ٢٥٠) : « وبيننا وبين يحيى النحوي ثلاثمائة سنة ونيف ... كان في أيام عمرو بن العاص » . ويقول ابن أبي أصيبعة (طبقات الأطباء ج ١ ص ١٠٤) إنه « لحق أوائل الإسلام » وذكره الشهرستاني في الملل والنحل (ج ٢ ص ٣٤٨ من طبعة Cureton) تحت عنوان « المتأخرون من فلاسفة الإسلام » .

وكان العلامة يعقوب صروف نبّه (في مقتطف مارس ١٩١١ ص ٢٣٦) أنه اشتهر في تاريخ مصر رجلان باسم يوحنا ، أحدهما « فيلوبونوس » أو الغراماطيقي من فلاسفة المشائين ، مات قبل الفتح بثلاثين سنة أو أكثر ؛ والثاني أسقف قبطي يقال له النحوي أو النخوي ، توفي في أواخر القرن السابع أي بعد الفتح بنحو خمسين سنة وله تاريخ باليونانية وبالقبطية ترجم إلى العربية فالحبشية (راجع أيضاً ص ٤٤٣ من مقتطف مايو سنة ١٩١١) . وافترض المرحوم صروف أن العرب لما اخذوا يدونون التاريخ في القرن الثاني « التبس عليهم اسم يوحنا الغراماطيقي باسم يوحنا النخوي فحسبوهما اسمين لمسمى واحد » وأضاف « لعلهم لم يعرفوا الغراماطيقي بهذا الاسم أولاً بل عرفوه باسم الحريص كما ذكر المسعودي . (وباليونانية فيلوبونوس أي محب العمل) » .

والذي عليه محققو المؤرخين الغربيين أن الغراماطيقي (= النحوي) اليعقوبي كان يدرّس في مدرسة الاسكندرية في الوقت الذي أغلق فيه الامبراطور يوستنيانوس مدارس آثينة سنة ٥٢٩ للميلاد ، وعلى ذلك فمن غير المحتمل أن يكون قد أدرك الفتح على عهد عمرو بن العاص . فقد أثبت ماكس مايرهوف بما لا يدع مجالاً للشك أن يحيى النحوي هو عين يوحنا الملقب Philoponus الذي عاش -

الإله الخالق الذي هو صانع الأشياء كاملٌ كمالاً أبديًّا . وهو يملك في ذاته

— في أوائل القرن السادس [راجع تحليل كراوس لدراسته في مجلة الدراسات الإسلامية Abstracta Islamica V, 1934 cahier II]. هذا ونقل الدكتور عبدالرحمن بدوي (راجع التراث اليوناني في الحضارة الإسلامية) مقالاً للباحث نفسه بعنوان « من الإسكندرية إلى بغداد » جاء فيه (ومأخذنا من الصفحات ٤٢ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١) : « في النصف الأول من القرن السادس الميلادي كان يحيى النحوي أو يحيى فيلوپونوس — ولعل هذا اللقب من اسم الجماعة المشار إليها [يعني جماعة محبي الاجتهاد] ... وانتقد مايرهوف ابن القفطي لكونه روى في ترجمة يحيى النحوي (ص ٣٥٦ س ١٤ وما يليه) عن « عبيد الله بن جبرائيل بن عبد الله ابن بختيشوع الطبيب أن اسم يحيى ثامسطيوس » . قال مايرهوف : « وهذه الفقرة التي أمامنا نموذج للخلط الشنيع الذي كانت عليه أخبار علماء الإسكندرية عند الكتاب العرب المتأخرين . ويزيد هذا الخلط ما يورده ابن أبي أصيبعة (ج ١ ص ١٠٣ س ٧ من أسفل) : « قال المختار بن الحسن بن بطلان : إن الاسكندرانيين الذين جمعوا كتب جالينوس الستة عشر وفسّروها سبعة وهم : [فلان وفلان وفلان ...] ويحيى النحوي » ثم يقول مايرهوف : ويختم كلامه بقوله (راجع ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٤ س ١) : « ... وعمّر من هؤلاء الإسكندرانيين يحيى النحوي الإسكندراني الاسكلاني حتى لحق أوائل الإسلام » وإننا لنعرف اليوم أن هذا العالم الهيليني المولود بمدينة قصارية قد مات قبل الغزو العربي بحوالي قرن . ولكن العرب أصروا على ربطه بعمرو بن العاص فاتح مصر على الرغم من أنه كان معروفاً لديهم أنه تلميذ أمونيوس ، وأن أمونيوس كان تلميذ أبرقلس . » ويضيف على هذا الكلام الحاشية التاليـــة : « هكذا عند مؤلف مثل أبي سليمان محمد بن طاهر السجستاني الفيلسوف الفارسي (أورده ابن أبي أصيبعة ج ١ ص ١٠٤ س ٩ وما يليه) . وظهير الدين البيهقي ... يجعله يعيش حتى النصف الثاني من القرن السابع ، ويجعل مولده في بلاد الديلم في فارس . ولكنه يترجم لقبه « فيلوپون » ترجمة صحيحـــة فيقول : « محب الاجتهاد » . راجع أيضا اشتينشنيدر كتاب « الفارابي » ص ١٥٢ إلى ص ١٧٦ « يحيى النحوي عند العرب » . ثم يقول مايرهوف وهو هام جداً : « ولعل هذا الخلط التاريخي كله نشأ عن خطأ أحد المترجـــين أو النساخ . فالفهرست (ص ٢٢٥ س ٣) ومن بعده ابن القفطي (ص ٣٥٦ س ١٢) يقولان إن يحيى النحوي ذكر في المقالة الرابعة من تفسيره لكتـــاب السماع الطبيعي عند الكلام في الزمان أن سنة تأليفه لهذا الشرح كانت سنة ٣٤٣ لدقلطيانوس القبطي —

وعلى صورة واحدة على آثاره ؛ فهو يصنع ويخلق كل شيء بمحض إرادته فحسب . إنه غير محتاج إلى أية آلة من أجل خلق جوهر الأشياء ؛ وسواء أخَلَقَ أم لم يخلق ، فإنه لا ينشأ عن ذلك أيّ اختلاف في ذاته . فهو منذ الأزل ، وعلى الصورة نفسها ، يحتوي معاني الأشياء وعلَلَها : تلك المعاني والعلل التي يكون بها خالقاً . فهو لا يشعر بأي تغيير من جراء إحداثه أو عدم إحداثه .

والخلاصة أنه لا يجوز القول بأن هناك فرقاً في الله بين استعداده للعمل والعمل نفسه ، فهذان أمر واحد . ولا يتجلى الفرق إلا في الكائن الذي هو مستمد منه . »

« على أن الزعم بأن الله لا يستطيع إرادة شيء غير أبدي دون أن يجره هذا إلى الخروج عن سكونه من الأمور التي تستلزم إقامة التغير المستمر في

— أي ما يعادل سنة ٦٢٧ . والواقع أن هذا الكلام ورد في الكتاب السادس عشر من شرح يحيى النحوي للسماع الطبيعي . ولكن السنة الوارد ذكرها هي سنة ٢٤٥ لدقلطيانوس أي ما يعادل ٥٢٩ ميلادية ! » . ويضيف ماير هوف إلى كل هذا قوله : « وهذا الخلط الذي وقع فيه العرب حول اسم يحيى النحوي ومؤلفاته لا يزال أثره باقياً حتى اليوم . فإن كتباً حديثة جداً تزعم أن يحيى الإسكندراني قد كتب الشروح التي بعضها طبي وبعضها فلسفي » .

والذي اريد أن أزيده على ما تقدم أمران :

أولاً : إن الأستاذ محمد كرد علي في تعليقاته على تاريخ حكماء الإسلام للبيهقي الذي نشره سنة ١٩٤٦ (راجع ص ٣٩ الحاشية رقم ١) يقول : هو [أي يحيى النحوي الملقب بالبطريق والمنسوب الى الديلم] غير يحيى النحوي الإسكندراني اليعقوبي الذي اجتمع بعمرو بن العاص » (كذا) .

ثانياً : ورد في حاشية لـ S. Munk على ترجمته الفرنسية لكتاب موسى ابن ميمون : « دلالة الحائرين » ما يستفاد منه أن في تفسير السماع الطبيعي ذكراً للسنة التي ألف فيها وهي « ٣٣٣ لتقويم دقلطيانوس أو للشهداء وهو ما يوافق ٦١٧ للميلاد » ومرجعه الطبعة الرابعة من Fabricuis, *Bibliothèque gr.* t XV. 640, (راجع الحاشية الأولى على ص ٣٤١ من كتابه المطبوع في باريز سنة ١٨٥٦) . ترى فما مصدر هذا التباين ?

ذات الله . » ولإثبات هذا يتساءل يحيى النحوي فيقول : « ترى أأراد الله أن تكون الأشياء الجزئية (مثل سقراط وأفلاطون) أزلية أم حادثة ؟ إنه ولا شك أراد أن تكون في حقبةٍ ما من الزمن وألاّ تكون في حقبة أخرى . وكذلك فيما يتعلق بكل الأشياء الجزئية . إنه لم يشأ أن تكون أزليـة ، ولو شاء لكانت . فإذا صحّ هذا ، كانت مشيئة الله أن توجد أشياء جزئية في زمن دون زمن . ولو كانت إرادة وجود الشيء في زمن دون زمن مما يدعو إلى تغير المريد ، لكان الله متغيراً دائماً . »

إذن ، في نظر يحيى النحوي ، هناك نوع من الهوية بين الخلق والإرادة بالنسبة لله . فإذا خلق أو لم يخلق ، وإذا أحدث أو لم يحدث ، فذلك لا ينشأ عنه أي اختلاف في ذات الله ، لأن الصلاحية للعمل والعمل شيء واحد . ومن جهة أخرى ، إذا قلنا إن الله لا يمكن أن يريد ما هو غير أزلي فإننا نقيم التغير المستمر في ذات الله .

إن هذا الاعتراض المستند إلى قضية الإرادة هو ما يجوز أن يكون قد انتفع به الغزالي في دحض حجة الفلاسفة . فني رأيه أن بقاء الإله على ما هو عليه ـ أي صفة عدم التغير فيه ـ لا تتأثر مطلقاً بالفرضية القائلة : « إن العالم حدث بإرادة قديمة اقتضت وجوده في الوقت الذي وجد فيه واستمرار العدم إلى الغاية التي استمر إليها » فإن « الوجود قبله لم يكن مراداً ، فلم يحدث لذلك » وهو « في الوقت الذي حدث فيه مراد بالإرادة القديمة ، فحدث لذلك » .

ولكن ترى هل يعني هذا أن الغزالي قد أخذ أقوال يحيى النحوي فقررها ؟ هذا ما يؤكده ظهير الدين البيهقي صاحب تاريخ حكماء الإسلام المتوفى بعد نيف ونصف قرن[1] من موت الغزالي . قال في كتابه المذكور : « وأكثر ما أورده الإمام حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في تهافت الفلاسفة تقرير كلام

(١) توفي البيهقي سنة ٥٦٥ هجرية والغزالي سنة ٥٠٥ .

يحيى النحوي »[1] . ولقد تابع هذا المؤلفَ القديمَ في رأيه فريقٌ من الغربيين المحدثين كدوجيراندو[2] ، ودوبور[3] ، ودوهيم (المتقدم ذكره) . والنظرة الأولى تدل على أن الرأي قريب من الصواب ، لا سيما وأن مؤرخي الفلسفة المحققين يجزمون أن آثار كثير من المشائين كثاوفرسطس ، وأمونيوس ، وسمبليسيوس ، وفيلوبونوس كانت موجودة في العربية[4] . وعلاوة على ذلك ينبئنا القفطي في تاريخ الحكماء (ص ٢٧٨ – ٢٨٠) ، وابن أبي أصيبعة صاحب طبقات الأطباء (ج ٢ ص ١٣٥ – ١٣٩ مولر) ، وابن النديم صاحب الفهرست (ص ٢٥٤ فلوجل) أن رد يحيى النحوي على إبرقلس لم يكن مجهولاً ، حتى أن الفارابي كتب رسالة (مفقودة) في نقد الاعتراضات التي أوردها يحيى النحوي على أرسطاليس ! غير أننا نحب أن نلفت النظر إلى بعض الأمور .

إن التقرير بأن الغزالي ردّد أقوال يحيى النحوي ضرب من الظن الذي لا يقوم عليه دليل أكيد . فلا بد في الجزم بنقل المذاهب وانتحالها من إثبات الإسناد المتسلسل إثباتاً تاريخياً . ولذلك انتقد المستشرق ماسينيون انتقاداً عنيفاً ما يسمى بـ « أشباه الاقتباسات » (*Pseudo - emprunts*) ، وحدد بعض ما يجب أن يراعى من قواعد في طريقة التأويل لكيلا نقع في الخلط بين المذهب الأصلي

---

(١) راجع ص ٤٠ من طبعة مجمعنا العلمي التي نشرها وحققها الأستاذ الرئيس المرحوم محمد كرد علي سنة ١٩٤٦ .

(٢) Degérando, *Histoire Comparée des Systèmes de Philosophie* (Paris, 1823) t. IV p. 225.

(٣) T. J. de Bœr, *Geschichte der Philosophie im Islam* (Stuttgart, 1901). راجع الصفحة ١٥٩ من الترجمة الإنكليزية لهذا الكتاب (لندن ، ١٩٣٣) ، وكذلك الصفحة ٢٠٩ من ترجمته العربية التي نقلها الأستاذ محمد عبد الهادي أبوريدة (القاهرة ١٩٣٨) .

(٤) Ravaisson, *Mémoire sur la Philosophie d'Aristote chez les Arabes* (in Compte rendu de l'Académie des Sciences Morales et Politiques t. V, Paris, 1844).
راجع ص ٢٦ – ٢٧ وكذلك ص ٩٣ من كتاب رونان عن ابن رشد .

وما يطلق عليه « أخذ أو سرقة » (*Plagiat*) سواء في النقد الأدبي أو في طرائق العلم . يقول : « لأجل أن نستطيع التأكيد بأن حلاً من الحلول الجبرية أخذه العرب عن الهنود ، لا ينبغي فحسب أن تكون مسلّمات المسألة في الجهتين على حال التطابق في الجملة ، بل لا بد من أن يكون سبيل الحل وبنيته واحدة لدى كل من صاحبي الحلين [1] » . وقد حدّد هذا الأستاذ أيضاً الهدف الذي يجب أن ترمي إليه السوسيولوجية الدينية من أجل إقامة مقارناتها على أساس الحالات الفردية فقال (حلاج ٤٦٣) : « ليس المهم تصوير القضايا تصويراً سيمويّاً نظرياً (*Schématisation théorique*) ... بل لا بد من النظر في ترتيب الأولوية والأهمية الذي عولجت على حسبه تلك المسائل وحُلّت في الزمان والمكان » ، وكذلك ثار الأستاذ باروزي على ما جنح إليه بعضهم من إرجاع مذهب القديس يوحنا الصليبي (St Jean de la Croix) في « الليلة الظلماء » إلى مذهب شاذلي مشابه لدى ابن عباد الرندي [2] (المتوفى سنة ١٣٩٤ م) بسبب وجود بعض المواطن المتطابقة حتى من الناحية التعبيرية اللغوية . ونحن في دراسة أخرى ، استغربنا أن يكون باسكال قد أخذ عن الغزالي « الاحتجاج بالرهان » [Pari de Pascal] على رغم ما بين فكرة هذين الفيلسوفين من تقارب وتشابه خطير [3] . أضف إلى ما تقدم أن لدينا بعض الأدلة على استبعاد الفرضية التي تجمع بين رأي الغزالي ورأي يحيى النحوي :

---

(١) راجع ص ٣٥ – ٣٨ من
Louis Massignon, *Essai sur les Origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane* (Paris, 1922).

(٢) راجع الفصل الأخير من
Jean Baruzi, *Problèmes d'Histoire des Religions* (Paris, 1933).

(٣) راجع حاشية الصفحات ٢ و ٣ و ٤ من ترجمتنا الفرنسية لـ « ميزان العمل » تحت عنوان :
H. Hachem, *Critère de l'Action*, traité d'Ethqiue Psychologique et Mystique d'Al-Ghazzālī (Paris, Maisonneuve, 1945)

أولاً : إن نقد الغزالي ألمّ إلماماً موجزاً بالناحية التي تناولها فيلوبونوس وأطال في أمور أخرى . حتى ان الاستدلال على طريقة الخُلف (*Réfutation par l'absurde*) غير وارد لديه أبداً . أما عند يحيى ، فالبرهان قائم على إثبات أن استحالة كون الله ـ وهو ساكن ـ مريداً لشيء حادث هي من الأمور التي تؤدي إلى إحلال التغير المستمر في ذات الله . فإذا استحالت النتيجة ، كانت المقدمة مستحيلة .

ثانياً : هناك هوية بين « الخلق » و « الإرادة » عند يحيى النحوي أو بين « الاستعداد للفعل » و « الفعل » نفسه . وبعبارة أخرى ، ليست الإرادة فعلاً مستقلاً عن الخلق في رأيه . أما الغزالي فليس ثابتاً أن يكون هذا من رأيه . والواقع أن استدلالات يحيى النحوي تتردد خلالها مصطلحات أرسطالية (مثل « القوة » و « الفعل ») وتتضمن إشارة إلى النظرية القائلة بأن « الله فعل محض » . ومن المعلوم أنه لم يستمسك في المجتمع الإسلامي بمثل هذه النزعة المبسطة إلا بعض الجهمية والمعتزلة والشيعة والفلاسفة (بما فيهم ابن سينا) الذين نفوا تعدد الصفات وقالوا إنه لا انفصال بين علم الله وقدرته وحياته [1] . أما أهل السنة ـ وفيهم الغزالي ـ فقد كانوا من غير هذا الرأي كما سنرى .

ثالثاً : يبدو أن استدلال يحيى النحوي يضع الزمان في الله . حتى لنستطيع أن نفهم منه أن العالم خُلق بصورة أزلية ، لأن الخلق والإرادة ـ التي هي أزلية ـ أمر واحد . ولذلك اضطر النحوي ، دفعاً لما قد يرد من اعتراض ، أن يقرر بأن « الفرق لا يتجلى إلا في الكائن الذي يستمد منه » . أما استدلال الغزالي فلا يمكن أن يرد عليه مثل هذا ، لأن انفصال الإرادة عن الخلق لا يتيح القول بخلق أزلي كما قلنا . ومن جهة ثانية ، الله بالضرورة خارج الزمان ، والزمان لا يتصور بدون خلق العالم .

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ج ١ ص ١٨٨ .

ثم ان الغزالي يتوقع ورود اعتراض آخر ، وهو قول من يقول : إن العلة تقتضي حتماً وبالضرورة حصول المعلول حالاً عند استجماع الشروط ، وانه من المستحيل أن يتراخى المعلول عند حصول العلة . فلا يعقل مثلاً عدم حصول الكتابة لدى مباشرة فعل الكتابة أو « القصد » إليها (مع انتفاء المانع لها) . والشأن كذلك في خلق العالم ، فإنه لا يعقل في رأيهم أن توجد علة الخلق ويتراخى معلول هذه العلة وهو حصول الخلق . ولا يرد على ذلك أن بالامكان تصور انفصال ما بين إرادة الكتابة وحصول الكتابة ، لأن الإرادة هنا ليست العلة الضرورية الكافية ، ولكن العلة إنما هي « القصد » أو فعل الكتابة بحيث لا يتصور أن يأتي الفعل وتتأخر الكتابة .

وجواب الغزالي على هذا الاعتراض جواب جدلي سلبي [1] ، فبدلاً من أن يبين أن المبدأ الذي يستمسكون به (أي ضرورة ورود المعلول دون تراخٍ عقب مجيء العلة) منطبق في حالة اقتضاء الإرادة القديمة مباشرة فعل الخلق في الزمان ، مثلما هو منطبق في مجيء حصول الخلق بعد مباشرة فعل الخلق ؛ نقول بدلاً من أن يفعل ذلك ، نراه يفضل مهاجمة الخصوم في عدم استمساكهم بضرورة المبادئ إلا حيث يطيب لهم الاستمساك بها . وإلا فلمَ لم يحترموا عمومية المبادئ الضرورية في جميع دعاواهم ؟ ألم يزعم أصحاب ابن سينا أن الله يعلم بعلم قديم الأشياء الجزئية الحادثة الواقعة في زمان دون زمان ، ثم جاؤوا يرفضون على سبيل لا ينسجم مع السبيل الاول - أن يخلق الله القديم عالماً غير قديم (أي واقعاً ضمن نطاق الزمان !) ؟

على أن الغزالي يرى أن من الممكن المضي إلى أبعد من هذا الحد . ففي رأيه ، لا يكفي أن ننكر استحالة صدور الحادث عن القديم على ما هو رأي الافلاطونيين المحدثين ، بل ان من المستحيل عنده أن يصدر قديم عن قديم . ذلك لأننا إذا قلنا بأن الحوادث تصدر عن الحوادث ، فكأننا أثبتنا التسلسل

(١) لعل هذا هو السبب الذي جعل ابن رشد يؤكد أن الغزالي خرج عن الموضوع (راجع تهافت التهافت ، آخر ص ٦ من طبعة القاهرة) .

إلى اللانهاية »[1] وهو من المتناقضات • فلا بد إذن من الوقوف عند حد ، وهذا الحد يجب تسميته بـ « القديم » •

(يتبع) الدكتور حكمة هاشم

(١) لهذا الدليل شهرة واسعة في تاريخ الفلسفة ، وأصله يصعد إلى أرسطو وإلى الربيين . فأرسطو ينفي المضي إلى اللانهاية في سلسلتي الأشياء المحرِّكة (بالكسر) والأشياء المحرَّكة (بالفتح). ومن حججه على ذلك (*Physique*, VIII S, 226 a 4, 256 b 3) أننا عندما نتصور سلسلة من المحرِكات والمحرَّكات يحرك كل منها ما بعده ، فمن الضروري أن نقر أنه إذا غاب المحرك الأول أو انقطع عن التحريك ، لم يعد أي حد من حدود السلسلة محرِكا ولا متحركا . ذلك لأن المحرك الأول هو الذي يمنح التحريك . فلو كانت سلسلة المحركات والمتحركات لا نهاية لها ، لانعدم المحرك الأول ، ولكانت كل حدود السلسلة محرِكات بالواسطة . وبما أننا قررنا أن المحركات بالواسطة لا حركة لها إلا بالمحرك الأول ، فإن الحركة تنعدم أصلًا لانعدام المحرك الأول . وهذا غير معقول بدليل أن الحركة موجودة . غير أن أرسطو لم يكن يستنتج من ذلك مباشرةً وجود الله ، خلافاً لما صنعه من بعده أمثال ابن سينا ، ثم آلان دوليل ، ثم آلان الكبير .

ولقد استعمل هذا الدليل متكلمو المسلمين الأشاعرة (راجع مقـــال مكدونالد في دائرة المعارف الإسلامية الفرنسية Allah I, 310) واستعملته الفلسفة العربية القديمة (على لسان ابن سينا : راجع أطروحة الدكتور جميل صليبا ص ١٠٩) والغزالي (راجع التهافت ٣١ ، ٥٠ ، ١٣٤ الخ ... والاقتصاد في الاعتقـــاد ص ١٣ وما بعدها ، والرسالة القدسية) وابن رشد (راجع Renan, *Averröès* ص ١١٧) واستعمله المتأخرون كالبيضاوي (طوالع الأنوار من مطالع الأنظار ص ١٠٥ طبعة القاهرة) ، والشهرستاني (الجزء الأول من طبعة غليوم ص ٢٩) والتفتازاني (شرح العقيدة النسفية ، القسطنطينية ص ٦٠) وابن تيمية (بيـــان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول على هامش منهـــاج السنة ، انظر خاصةً الصفحة ١١٢ وما بعدها في هامش الجزء ٣) . وممن قال به من فلاسفة الغرب في العصر الوسيط دون سكوت وغيليوم دوكام (راجع ص ٩٢ Gilson, *Le Thomisme*).

ومن الممكن تلخيص استحالة التسلسل إلى اللانهاية عند الغزالي على النحو الآتي : لو كان عدد دورات الفلك السماوي لا متناهياً ، للزم من ذلك فرضيات ثلاث : ١ً – إما أن يكون هذا العدد شفعاً أو وتراً ؛ ٢ً – وإما أن يكون شفعاً ووتراً ؛ ٣ً – وإما أن يكون لا شفعاً ولا وتراً . فمن هذه الفرضيات الثلاث ، الأخيرة وما قبلها مستحيلتان . وأما الأولى فمستحيلة أيضاً بدليل أن الشفع يصبح وتراً بزيادة الواحد وهو مناقض لفكرة اللانهاية .

المدرسة الإسعردية

- ١ -

عند الجسر الأبيض بطريق الصالحية ، وبجوار المدرسة الماردانية مدرسة تعرف بالإسْعِرْدِيَّة ، أنشأها الخواجا ابراهيم بن مبارك الإسعردي مدرسةً للشافعية وتربةً له ، فرغ من بنائها في ذي الحجة سنة ٨١٧ هـ . وكانت من أحسن عمائر دمشق ، وقد حل فيها الخراب ثم درست خلال الحرب العالمية الأولى أو بُعيدها ، وشُيد مكانها أبنية حديثة . قال ابن قاضي شهبة في حوادث سنة ٨١٦ : «وقد خرب في هذه السنة ثلاثة مساكن ، وهي أحسن مساكن بساتين دمشق : الدهيشة ، وبستان النشوة على حافة ثورة بالقرب من الربوة ، وبستان ابن جماعة بالمزة ، ولكن هذا الثالث نقلت آلته الى مدرسة الخواجا ابراهيم الإسعردي وانتفع الناس بها» . وكان الإسعردي من أكابر تجار دمشق ، وله المتاجر السائرة في البلدان . وهبه الله المال والبنين ، وكان عنده كرم واحسان للفقراء ، وتشهد مدرسته وأوقافها على فضله وإحسانه .

وقد عثرت بين مخطوطات المتحف الوطني بدمشق على نسخة قديمة من وقفية هذه المدرسة ، وأظنها الوقفية الأصلية [1] ، وقد استأذنت صديقي الدكتور سليم عادل مدير الآثار العام والأستاذ أبا الفرج العش مدير القسم الإسلامي في متحف دمشق بتحقيق هذه الوقفية ونشرها فتفضلا وسمحا لي بذلك فلهما خالص شكري .

إن هذه الوقفية وأضرابها حرية بالنشر ، فهي من السجلات الرسمية الموثوق بها ، وفيها فوائد كثيرة قلما نعثر على مثلها في مؤلفات السلف ، فهي سجل لوقائع تاريخية واجتماعية وثقافية ودينية يستعان بدقة وصفها على بيان خطط مدينة دمشق

(١) رقمها في السجل العام (٧٣٦٦) .

الإسلامية وغيرها بعد أن تبدلت بتوالي الأيام أكثر أسماء أحيائها وتغيرت معالمها . ونجد فيها أيضاً نموذجاً من أوضاع القضاء في عصرها .

كتبت هذه الوقفية على طومار من الرق عرضه بين ٢٢ و ٢٥ سنتيمتراً ، وعدد أسطر نص الوقفية (٣٦٤) سطراً يضاف اليها ملحقاتها ، وجل أحرفها مهملة النقط مما سبب الإبهام في بعض الألفاظ المتشابهة الرسم ، وقد احتفظت برسم بعض الألفاظ كما وردت في النص مثل : المستوفا والقيمة والذكوة الخ وكذلك في رسم الهمزة أو إغفالها كما في : رءوف وشؤن ومابة ويقرون الخ . ولم أحاول تصحيح الأخطاء الواردة في النص إلا ما ظهر لي أنها زلة قلم الناسخ .

وقد قابلت هذه الوقفية بنسخة ثانية حديثة العهد أكملت بها بعض نواقصها . واقتصرت على نشر نص الوقفية وملاحقها التي يهمنا موضوعها ، وأغفلت عبارات شهود الإثبات وأحكام التنفيذ لأنها لا علاقة لها بالغاية التي توخيتها من نشر هذه الوثيقة التأريخية واكتفيت بنشر انموذج منها .

نص الوقفية الأولى

[الحمد لله العزيز الحميد وأصلي وأسلم على سيدنا محمد المبعوث بالقول السديد وعلى آله و . . . . الرأي النضيد] وأسأله التوفيق لما يحب ويريد [وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله . . . .] وأرضى ، وطلب منهم البشير قرضا [وأمرهم أن ينفع بعضهم بعضا ويقصدوا بذلك وجهه] الأعلى ولسوف يرضى ووعد مقرضه بمضاعفة الجزاء في [دار الآخرة كما جاء به] الذكر الحكيم : «من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه [له] »[1] و [أشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله شرفه الله على جميع العباد وفضله وتقبل [منه الصدقة] والصلة وجعله أعلا الأنبياء منزلة ، وكان صلى الله عليه وسلم

(١) سورة البقرة الآية ٢٤٤ .

أجود من الريح المرسلة [صلى الله عليه] وعلى آله وصحبه صلاة على عمر الزمان متصلة وسلم تسليماً كثيراً . أما بعد ان أولى ما تقرب به العبد [الفقير] الى الله عز وجل وأزكى ما ثابر على تحصيله وأفضل الصدقةُ الجارية التي لا تنقطع عند انقطاع العمل بل تبقى بعد نفاد الأجل لقوله صلى الله عليه وسلم : إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية [1] ، وقد أرشد اليها عليه أفضل الصلاة والسلام عمرَ بن الخطاب رضي الله عنه ، ودلّ حين قال : اني أصبت أرضاً لم أصب مالاً أنفس منها ، فمرني كيف أفعل بهـا ، فأشار صلى الله عليه وسلم أن تصدق بها وحبّس الأصل وسبّل الثمرة ، فتصدق بها [عمر رضي الله عنه وحبّس وسبّل فهي] سنة سيد المرسلين وفعل ثاني الخلفاء الراشدين [والصدقة الواقع أجرها لدى رب العالمين] ان الله يجزي المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين ، وكان ممن رغب في هذه المنقبة [العظيمة ونال] الإنصاف بهذه الأوصاف الجميلة سيدنا الفقير الى الله تعالى الجنـاب الكريم العالي المولوي الخ[واجكي الأميري] المخدومي البرهاني أوحد الرؤساء في العالمين ، محب العلماء والصالحين ، صفوة الملوك والسلاطين [أبواسحق ابراهيم] ابن الجناب العالي المولوي الخواجكي الزيني مبارك شاه بن عبد الله الاسعردي [2] أدام الله تعالى نعمته وتقبل . . . . فوقف وأبّد وحبّس وحرّم وتصدّق ليهديه ربه الى صراطه المستقيم ويجيره يوم القيمة من عذاب الجحيم . . . . . . وهو في حال صحته وسلامته وجواز أمره ، جميع ما يأتي ذكره ووصفه وتحديده في هذا الكتاب . . . . . ومشاع ما ذكر ، أحسن الله اليه إن ذلك له

(١) الحديث : اذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له .

(٢) من أعيان دمشق وكبار تجارها وله المتاجر السائرة في البلدان ، أعطاه الله المال والبنين ، وكان عنده كرم واحسان للفقراء توفي سنة ٨٣٦ . ترجمته في الشذرات والضوء اللامع والدارس في تاريخ المدارس ١ : ١٥١ .

وملكه وحوزه بيده ، وهو مطلق التصرف فيه حين هذا الوقف . فمن ذلك : جميع الدار السفل والعلو المعروفة بعمارة الواقف وإنشائه الكائنة ظاهر دمشق بالصالحية بالجسر الأبيض تجاه المدرسة الماردانية (١) ، ويغلق عليها باب خاص يصعد اليه بثلاث درجات حجارة ، الباب ببوّابة وثلاث حجارة محلية أسود وأبيض ، وعلى الباب صفّتان ، ويدخل من الباب المذكور [الى] دهليز مبلط ، تجاه الباب سلم حجارة الذي يصعد منه الى العلو ويسلك من الدهليز المذكور . . . . . . مستطيل الى المرتفق الذي يجري اليه الماء من نهر يزيد بحق واجب ، ويسلك من الدهليز المذكور أولاً الى دهليز عن يسرة الداخل فيه بيت على يمنة الداخل الى باب ثان يدخل منه الى الدار السفل وتشتمل على وسط مبلط وبركة يجرى اليها الماء من نهر يزيد بحق واجب ، ولهذه الدار أربع [قصورة] بلق ، وايوان قبلي وايوان شامي ، فالقبلي به أربع شبابيك نحاس متفّحه (٢) ، اثنان منهم من جهة القبلة [وواحد] من جهة الغرب والآخر من جهة الشرق ، وكل واحد منهم يرمي إلى الطريق وتحت كل شباك [من] الشباكين القبلية حوض يجري اليه الماء من نهر يزيد بحق واجب ، وبينهما صهريج يصل اليه [الماء من] نهر يزيد ، وبهذا الايوان خرستانان ، وبالإيوان الشامي أربع بيوت غربية واثنان شرقية ، وفي صدر الإيوان شباك نحاس متفح يرمي الى البستان ، وتجاه الباب [الثاني المذكور] لهذه الدار باب يدخل منه الى قبة مبلطة بوسطها فسقية (٣) تحتانية معقودة وبها شباكان قبلي وغربي ، وكل شباك منها

(١) على حافة نهر ثورا الشمالية لضيق الجسر الأبيض بالصالحية ، أنشأتها عزيزة الدين اخشا خاتون بنت الملك قطب الدين صاحب ماردين وزوجة السلطان الملك المعظم في سنة ٦١٠ . انظر الدارس في تاريخ المدارس ١ : ٥٩٢ . وهي من المدارس الحنفية .

(٢) أي زين تشابك قضبانها بكرات تشبه التفاح .

(٣) بركة ماء صغيرة .

نحاس متفح وخرستان ، ولكل شباك من شبابيك الدار والقبة باب بمصراعين بصفائح نحاس ، ويصعد من السلم الحجر الذي في الدهليز المذكور تجاه الباب الأول الى اثني عشر طبقة والى مكتب على باب هذه الدار به بيت آخر ويغلق على كل طبقة باب خاص ، ويغلق على المكتب باب خاص وكذلك على البيت الذي به ، ولهذا المكتب درايزينات خشب ، وتشتمل كل طبقة على منافع ، وظهور[1] ذلك خواص له ، وبعض الإيوان القبلي من جهة القبلة وبعض الإيوان الشامي من جهة الشام محتكر ، حد هذه الدار بما اشتملت عليه والقبة المذكورة من القبلة والشرق والغرب الطريق ومن الشام البستان الآتي ذكره المعروف بالسنبوسكة .

ومنه جميع الحانوتين الملاصقين لباب هذه الدار من جهة الشرق ، [ويشتمل] كل حانوت على داخل وفناء وأغلاق ، وهما داخلان في حدود الدار الرحا (كذا) المذكورة فيه .

الطاحون[2] والطباق : ومن ذلك جميع الدار الرحا مستخرج من جدارها القبلي الحانوتان المذكوران الملاصقان لباب الدار المقدم ذكرها ، وجميع الطباق التي علو ذلك الذي يصعد الى هذه الطباق من باب خاص غير باب الطاحون الذي عمر ذلك وأنشأ هذا الوقف بعد أن ابتاع الطاحون المذكورة وخربها وأضاف منها الى ما ذكر ، ثم عمر ذلك على الصفة التي يذكرها ، ويغلق على هذه الطاحون باب خاص ويشتمل على حجر واحد مطبق بآلته وعدته وعلى هري ومصول وعليه سـ[طح لأجل] نشر القمح ، ومنافع ومرافق واصطبل ، وتشتمل كل طبقة من الطباق الأربعة على منافع ومرافق ، ولكل طبقة منهن مرتفق خاص ، وظهور ذلك جميعه خواص ، حد ذلك من القبلة الطريق

(١) السطح .

(٢) ما زالت باقية وتعرف بطاحون بز الأذنة .

وباب الطاحون واغلاق الحانوتين المستخرجين من جدارها الداخلين في هذا الوقف ،
٥٠ ومن الشرق الطريق السالك ، ومن الشام البستان المذكور المعروف بالسنبوسكة ، ومن الغرب الدار المتقدم ذكرها ، ومن ذلك جميع الغراس القايم بأرض البستان الخارجي المعروف بالسنبوسكة الذي هو من شام ما تقدم ذكره ، ويشتمل على فواكه مختلفة النوع وغير ذلك ، حده من القبلة ما تقدم ذكره ، ومن الشرق الطريق ، ومن الشام قسيمته ، ومن الغرب الطريق ، وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد بملك الطاحون والحانوتين تاريخه سادس عشر جمادى الأول سنة ست عشرة وثمانمائة ، ثابت وثابت في أصله الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحته بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي ابن الزهري الشافعي أجله الله
٥٥ تعالى حسبما تضمنه اشهاده الحكمي المسطر بظاهره المؤرخ باليوم المذكور .

القيسارية التي بالصالحية : من ذلك جميع القيسارية التي بالمحلة المذكورة بالقرب من المدرسة الماردانية ، وتشتمل على عدة مخازن سفل الكل مخزن باب خاص ، ويشتمل العلو على طبقة بمنافع ومرافق ومرتفق خاص ، حد ذلك من القبلة الطريق وبابها من الشرق . . . .

الدار بزقاق الحنفي : ومن ذلك جميع عمارة الدار السفل والعلو الكائنة أيضاً بالصالحية
٦٠ بزقاق الحنفي ويغلق عليها باب خاص ، ويشتمل السفل منها على قاعة بوسط مبلط وبركة طشية يجرى اليها الماء من نهر يزيد ، ومجلس وايوان وبيت براني لطيف ومرتفق ومطبخ ومنافع ومرافق ، ويشتمل العلو على طبقة بمنافع ، حدّ ذلك من القبلة الطاحون المعروفة بالقاضي بهاء الدين الحنفي ومن الشرق الطريق والباب ، ومن الشام وقف الحرمين الشريفين ، ومن الغرب بستان الحنفي .

نصف الحوانيت والطباق عند المدرسة الجوزية داخل دمشق : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها اثنا عشر سهماً من أربعة وعشرين سهماً وهي النصف شائعاً ، ذلك من جميع عمارة الحوانيت الأربعة ومن المخزن ومن الطباق الكائنات

علو ذلك ، الذي ذلك جميعه داخل مدينة دمشق جوار المدرسة الجوزية [1] ، والحوانيت المذكورة معقودات قبو حجر ، يشتمل كل حانوت منهن على داخل وفناء واغلاق ، وتشتمل كل طبقة من الطباق العلو على منافع ومرافق ومرتفق ، وظهور ذلك خواص [له] ، حد ذلك من القبلة الزقاق الغير نافذ وفيه باب العلو ، ومن الشرق الزقاق وتمامه وقف الجوزية ، ومن الشام باب المدرسة الجوزية ، ومن الغرب الطريق واغلاق الحوانيت . وأحضر الواقف من يده كتاباً حكمياً يشهد له بملك ذلك تاريخه خامس عشري شهر رجب الفرد سنة تسع وثمان مابة ، وهو ثابت ، وثابت فيه الملك والحيازة محكوم به بصحة البيع وباحترام العمارة مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي الشهابي ابن نشوان الحواري [2] الشافعي أجلّه الله ، حسبما تضمنه اشهاده الحكمي المسطر بظاهره المؤرخ بمستهل شعبان المكرم من السنة المذكورة ، المتصل ثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكمي الصالحي الحنفي رحمه الله تعالى ، حسبما تضمنه اشهاده المؤرخ باليوم المذكور .

الحوانيت الخمسة تجاه مسجد الجوزة : ومن ذلك جميع عمارة الحوانيت الخمسة المتلاصقات الكائنات خارج باب الفراديس بالقرب من قناة ابن العوني تجاه جامع الجوزة ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء واغلاق وظهورهن غير خاص بهن ، فإن العمارة التي على ظهورهن خارجة عن هذا الوقف ، وهي ملك للغير مستأجر الظهر بإيجار ، وعليه حكر يستحق بعد انقضاء مدة إجارته ، حد هذه الحوانيت الخمسة : من القبلة ملك الحاجي الزيني فيروز ، ومن الشرق الطريق واغلاقان ، ومن الشام الدخلة الغير نافذة ، ومن الغرب ملك أبي بكر الصيرفي

(١) في سوق البزورية عند مدخل قصر العظم ، حرقت ودرست وجدد مكانها مخازن ومصلى صغير .

(٢) احمد بن محمد بن نشوان الحواري (٧٥٧ – ٨١٩) ترجمته في الشذرات وذيل تذكرة الحفاظ والضوء والدارس في تاريخ المدارس .

ملك للعلو . وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد له بملك ذلك مؤرخ بالسادس عشر من شهر رمضان المعظم قدره سنة ست عشرة وثمان مابة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، وان البايع عمر ذلك من ماله وصلب حاله بطريق شرعي وإذن معتبر مرضي ، محكوم بموجبه وبصحة البيع المعين فيه واحترام العمارة المشهود بها مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي ابن الزهري الشافعي أجله الله تعالى حسبما تضمنه اشهاده المسطر بظاهره المؤرخ بثامن عشر ذي القعدة الحرام سنة ست عشرة وثمان مابة ، المتصل ثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكمي العزي ابن الخضر الحنفي أيده الله تعالى حسبما تضمنه اشهاده المؤرخ بثالث شهر الله المحرم سنة سبع عشرة وثمان مابة .

ومن ذلك جميع الحانوتين المتلاصقين الملاصقين بجامع الجوزة ومن قبلة ، وهما تجاه المسجد الملاصق لقناة ابن العوني ، ويشتمل كل حانوت منهما على داخل وفناء واغلاق ، وظهورهما خواص لهما ، حدهما من القبلة الطريق واغلاقها ، ومن الشرق وقف قرطاي ، ومن الشام جامع الجوزة[1] ، ومن الغرب وقف اسماعيل ، وأحضر الواقف من يده كتاباً حكمياً يشهد له بالملك تاريخه تاسع شوال سنة ست عشرة وثمان مابة ، ثابت مضمونه وثابت فيه الملك والحيازة ، محكوم فيه بالموجب بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي ابن نشوان الحواري الشافعي أجله الله تعالى حسبما تضمنه اشهاده الحكمي المسطر بظاهره المؤرخ بالتاريخ المذكور المتصل ثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العالمي الحاكمي الشهابي ابن ابي العز[2] الحنفي أجله الله تعالى الاتصال الشرعي .

(١) لم يزل عامراً في محلة العمارة حي القوازين . انظر الدارس في تاريخ المدارس ٢ : ٤٢٨ وذيل ثمار المقاصد ص ٢٠٧ رقم ٦٨ .

(٢) كذا في الأصل وصوابه ابن العز ويعرف أيضاً بابن الكشك وهو شهاب الدين أبو العباس أحمد بن اسماعيل بن محمد الاذرعي ، توفي سنة ٨٣٧ .

نصف الثمان حوانيت تحت القلعة : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها اثنا عشر سهماً من أصل أربعة وعشرين سهماً وهي النصف شائعاً من جميع عمارة الثمان حوانيت الكائنة ظاهر دمشق المحروسة تحت القلعة بالصف الشامي من الشارع ومن الطبقة التي هي علو الحانوت الذي تجاه حمام الكحال ومن خلف (؟) القيسارية ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء واغلاق ، وتشتمل الطبقة على منافع . حد ذلك من القبلة الطريق ومن الشرق الطريق الآخذ الى حمام الكحال . ومن الشام الطريق وتمامه عمارة قاضي القضاة نجم الدين ابن حجي[1] ، ومن الغرب وقف ابن أم علم .

نصف الفرن تحت القلعة : ونظير الحصة المذكورة من جميع عمارة الفرن الكائن بالمكان المذكور ، ويشتمل على كوشة وبلاط ومعاجن وقبة معقودة ومخزن ومنافع ، وفيه ماء يجري من نهر ثورة . حدّ ذلك من القبلة الطريق ، ومن الشرق وقف ابن أم علم ، ومن الشام الطريق الآخذ الى حمام الكحال ، ومن الغرب الطريق الآخذ الى دار البطيخ[2] ، وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد له بملك ذلك ، تاريخه ثامن عشرين شهر رمضان المعظم قدره سنة ست عشرة وثمان ماية ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة وانه عمر ما منه المبيع بطريق شرعي وإذن معتبر مرضي ، محكوم فيه بالموجب وبصحة البيع وباحترام البناء المشهود به مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز القضائي العلائي التاجي ابن الزهري[3] الشافعي أجله الله تعالى حسبما تضمنه اشهاده الحكمي المسطر بظاهره المؤرخ بالخامس من شوال من السنة المذكورة .

(١) أبو الفتوح عمر بن حجي بن موسى السعدي الحسباني توفي قتيلاً بمنزله بين الربوة والنيرب سنة ٨٣٠ .

(٢) يعرف اليوم بخان البطيخ .

(٣) أبو النصر عبد الوهاب بن أحمد بن صالح بن الزهري البقاعي . توفي سنة ٨٢٤ .

ومن ذلك جميع القيسارية والطباق خارج باب الجابية : ومن ذلك جميع القيسارية والطباق العلو والمخزن الخارج عن القيسارية الكائن ذلك ظاهر دمشق المحروسة خارج باب الجابية ، ويغلق على القيسارية باب خاص ، ويشتمل على عدة مخازن ومنافع ومرافق ، ويغلق على كل مخزن باب خاص ، والطباق العلو منها طبقتان لكل واحدة باب خاص أحدهما غربي باب القيسارية والآخر من شرقي بابها ، وتشتمل كل طبقة منهما على منافع ومرافق وطاقات على الطريق ومرتفق خاص ، ومنها أربعة يصعد اليهن من باب خاص ، وتشتمل كل واحدة على منافع ومرافق ولهن مرتفق خاص بهن ، ومنها خمسة يصعد اليهن من باب خاص ، ولهن مرتفق خاص بهن ، وتشتمل كل واحدة على منافع ومرافق ويغلق على المخزن الذي هو خارج القيسارية باب خاص ، ويشتمل على منافع ؛ وظهور ذلك كله وهواؤه خواص له ، حدّ ذلك من القبلة زقاق التركمان ، ومن الشرق ملك ابن الملاح ، ومن الشام الطريق وباب القيسارية وأبواب العلو ، ومن الغرب الحمام الخراب .

بستان ابن ذكرى بالمزة : ومن ذلك جميع البستان الخراجي الذي هو من جملة أراضي قرية المزة من غوطة دمشق ويعرف قديماً بابن ذكرى ثم بقاضي القضاة برهان الدين ابن جماعة [1] تغمده الله تعالى برحمته ثم لغيره ثم لهذا الواقف ، ويشتمل يومئذ على أشجار فواكه مختلفة النوع ، وشربه من الماء من نهر المزة حق معلوم ، وكان به عدة مساكن أخربها الواقف بعد انتقال ذلك الى ملكه ، حدّه من القبلة البستان المعروف بالاسعردي [2] ثم بابن اقبغا آص ، ومن الشرق البستان المعروف بالجورة [3] ، ومن الشام معلم الدين يليه الطريق ،

(١) ابراهيم بن عبد الرحمن بن محمد (٧٢٥ – ٧٩٠) ترجمته في الدرر والشذرات .

(٢) لعله زين الدين أبو بكر بن نصر بن حسين بن حسن الإسعردي المحتسب توفي سنة ٧٢٠ كما جاء في الدرر الكامنة .

(٣) ويمكن أن تكون الجوزة .

ومن الغرب الطريق والباب ، وأحضر من يده كتباً أربعة تشهد لهذا الواقف بملك جميع البستان بما اشتمل عليه من العمائر والغراس والأرض ، أحدها يشهد له بملك سبعة أسهم تاريخه الآخير ثالث شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمان مابة ، وهو ثابت و[ثابت] فيه الملك والحيازة محكوم بموجبه وبصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي الحاكي الصدري ابن مفلح[1] الحنبلي حسبما تضمنه اشهاده المؤرخ بالخامس من شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمان مابة ، المتصل ثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي ابن الزهري الشافعي أجله الله تعالى ، وثانيها يشهد له بملك ثلاثة أسهم وهو مؤرخ بتاريخين آخرهما ثاني شهر ربيع الأول سنة ست عشرة وثمان مابة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة لمن باع فيه ، محكوم بموجبه وبصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العالي الصدري ابن مفلح الحنبلي المشار اليه أيده الله تعالى حسبما تضمنه اشهاده المؤرخ باليوم المذكور ، وهو متصل أيضاً بالحاكمين في الكتاب المذكور أسبغ الله [عليه] ظلالهما . وثالثها وهو الكتاب المسطر أدنى الكتاب الثاني المذكور يشهد له بملك ثلاثة أسهم ونصف سهم ، تاريخه في العشرين من شهر ربيع الآخر سنة ست عشرة وثمان مابة وهو ثابت ، محكوم بموجبه وبصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي ابن الزهري الشافعي أجله الله تعالى ، حسبما تضمنه اشهاده المؤرخ بمستهل جمادى الأولى من السنة المذكورة ، ورابعها يشهد له بملك تتمة ذلك وهو عشرة أسهم ونصف سهم من أربعة وعشرين سهماً ، تاريخه الأخير الخامس من جمادى الأولى سنة ست عشرة وثمان مابة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة محكوم فيه بالموجب وبالصحة بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العالي الحاكي الشهابي أبي العز الحنفي أجله الله وحسبما

(١) أبو بكر بن إبراهيم بن محمد بن مفلح (٧٨٠ – ٨٢٥) .

تضمنه اشهاده المؤرخ بتاسع جمادى الأولى من السنة المذكورة ، متصل ثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلامي التاجي بن الزهري الشافعي ، ثم بقاضي القضاة زفال[1] العامري المالكي ثم بقاضي القضـاة شمس الدين بن عبادة الحنبلي أحسن الله اليهم .

ربع الغراس والعمارة لمزرعة ابن ابن البابا (؟) بالمزة : ومن ذلك جميع الحصة السابقة ومبلغها ستة أسهم من أصل أربعة وعشرين سهماً وهي الربع شائعاً ذلك من جميع غراس الفواكه وغيرها القائم ذلك في قطعة الأرض الخراجية التي من جملة أراضي وتعرف بمزرعة البابا (؟) ومن جميع الحوش الكائن به ومن الطبقة علوه ، وشرب أرض ذلك من قنـاة المزة ، ويغلق على ذلك باب خاص ، ويحيط بذلك فطاير (؟) وسيـاج ، حدّ ذلك من القبلة ملك المبيض ، ومن الشرق نهر داريا ، ومن الشام ملك ابن القطان ، ومن الغرب الطريق والباب ، وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد له بملك ذلك ، تاريخه ثامن عشرين شهر رمضان المعظم سنة ثلاث وثمان مابة يثبت مضمونه الملك والحيازة ، محكوم فيه بالموجب بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي الحاكمي التقوي بن النجا الحنبلي رحمه الله وحسبما تضمنه اشهاده المؤرخ في عشرين صفر سنة أربع وثمان مابة .

ومن ذلك جميع قطع الأرضين الخراجية التي من جملة أراضي حديثة جرش[2] من الغوطة وهن : الكبرى والخندق والصويصية وبهن أشجار صفصاف وغيره ، وشربهن من الماء من نهر زبدين الغربي ، وهو في كل أسبوع نهار الأربعاء وليلته ، حدهن من القبلة والشرق الطريق وتمامه ملك ورثة ابن التدمري يفصل بينهن مجرى ماء ، ومن الشام النهر الوسطاني والكريمات البرانية ملك المولى الأجل ناصر الدين ابن سويدان يومئذ ، ومن الغرب النهر الغربي الفاصل بين الأراضي المذكورة وبين الجورة .

(١) او زفان .

(٢) قرية معروفة عامرة يقال لها الحتيتة .

الغراس والعمارة بالكريم الجواني : وجميع الغراس والعمارة القائمان في أرض قطعة الأرض الخراجية من جملة أراضي القرية المذكورة ويعرف ذلك بالكريم الجواني ، ويحيط بذلك مطاير (كذا) وسياج ، وتشتمل العمارة على حوش واصطبل وطبقتين علو بمنافع ومرافق ، وتشتمل الغراس على فواكه مختلفة النوع وجوز وسفرجل وحور وغير ذلك . حدّ ذلك من القبلة ملك الواقف ومن يشركه ، ومن الشرق الطريق والباب ، ومن الشام مكان يعرف بالكريم البراني ، ومن الغرب ملك الواقف وشركته وتمام الحد النهر ، وأحضر الواقف من يده كتاباً يشهد لبائعه بملك ذلك مؤرخ بتاسع عشر شهر رمضان المعظم قدره سنة ثمان وثمان مابة ، ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحة البيع المذكور بمجلس الحكم العزيز القضائي الناصري رحمه الله وحسبما تضمنه اشهاده المسطر بعاشر شوال من السنة المذكورة ، وفي ظاهر الكتاب فصل يتضمن أنه ابتاع الواقف ذلك وهو مؤرخ بعاشر شوال سنة ثمان وثمان مابة ، وهو ثابت ، محكوم بموجبه بمجلس الحكم العزيز القضائي التاجي بن الحسباني[1] الشافعي أيده الله ، وحسبما تضمنه اشهاده المؤرخ بالتاريخ المذكور .

غراس حقل الجامع : ومن ذلك جميع الغراس المذكور [يشتمل] على فواكه وحور رومي وفارمي وصفصاف وغير ذلك .

غراس دف الخادم : وجميع الغراس القائم بدف الخادم من جملة الأراضي المذكورة .

غراس جنينة النصارى : وجميع [الغراس] القائم بالجنينة المعروفة بجنينة النصارى من القرية المذكورة ويشمل كل غراس منهما على فواكه مختلفة النوع وغير ذلك وحور وصفصاف . حد حقل الجامع من القبلة وقف الرهبان ، ومن

(١) محمد بن أحمد الحسباني (٧٨٤ – ٨٢٦) ترجمته في الضوء اللامع والدارس في تاريخ المدارس .

الشرق وقف مسجد أبي صالح [1] ، ومن الشام الطريق وفيه الباب وحقل دليل ، ومن الغرب الطريق . وحدّ جنينة النصارى من القبلة مقبرة القرية والطريق واليها يفتح بابها ، ومن الشرق ملك ابن خطيب الحديثة وتمام الحد وقف السادة الأشراف ، ومن الشام مكان يعرف بالفصيصة . وحد دف الخادم من القبلة وقف المنكورس [2] والتطرق الى ذلك ، ومن الشرق وقف السادة الأشراف وتمام الحد القناة ، ومن الشام الطريق وتمام الحد وقف الرهبان والقناة ، ومن
١٦٠ الغرب النهر وما هو داخل في هذا الوقف جميع الغراس القائم على كتفي النهر .

جنينة الحمَّام : ومن ذلك جميع الجنينة المعروفة بجنينة الحمَّام من أراضي القرية المذكورة إلا نصف الثُمن منها ، وتشتمل على أشجار توت وغرس وعنب وغير ذلك ، وشربها من الماء من نهر زبدين حق معلوم ، وحدّها من القبلة الطريق وبابها ، ومن الشرق حقل الجامع وتمامه وقف الحرمين ، ومن الشام وقف بني عنبر ، ومن الغرب الحمَّام .

حقل باب الدار : ومن ذلك جميع قطعة الأرض الخراجية المعروفة بحقل باب الدار ، وشربها من الماء من نهر بالا حق معلوم ، ويحيط بها قطاير وسياج . حدّها من القبلة قسيمتها ، ومن الشرق النهر ومن الشام قسيم ذلك ملك أولاد الصوفي ، ومن الغرب الطريق .

١٦٥ كرم الحراوي : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها ستة عشر سهماً وثلثا سهم من أربعة وعشرين سهماً شائعاً ، ذلك من جميع القطعة الأرض الخراجية ، المعروفة بكرم الحراوي من أراضي القرية المذكورة ، ويحيط بها سياج وقطاير ، وشربها من الماء من نهر زبدين حق معلوم . حدها من القبلة الحوش ، ومن الشرق الدرب ، ومن الشام أرض الرهبان ، ومن الغرب ملك يعرف باليبرودي .

(١) كان بظاهر باب شرقي ودرس .

(٢) ركن الدين منكورس الفلكي عتيق فلك الدين سليمان العادلي أخي الملك العادل لأمه توفي سنة ٦٣١ .

الحمّام : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها عشرة أسهم ونصف سهم من أربعة وعشرين سهماً من جميع الحمّام الذي بالقرية المذكورة ، ويغلق عليه باب خاص ، يدخل منه الى وسط مبلط به بركة تجري اليها الماء من بيّارة بدولاب ، وبه مساطب مستديرة ، ثم يدخل من باب ثان وثالث الى عدة مقاصير وأجرنة ، تجري الى ذلك الماء من قدرته الصفر (؟) وهذا الحمام ملاصق للجنينة المذكورة وداخل في الأرض المعروفة بحقل باب الدار .

الحصة بقرية دمر : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها سهمان وربع سهم وثمن سهم من جملة الثمانية أسهم المقسومة المفروزة وهي الثلث شائعة من جميع القرية الخراجية المعروفة بدمر ومن أراضيها ، وهذه القرية من قرى وادي بردا من عمل دمشق ، ويعرف هذا الثلث المقسوم المفروز الذي منه هذه الحصة الموقوفة بحصة سيف الدين ، ويشتمل ذلك أراضي معمّل ومعطل وسهل ووعر وأقاصي وأداني ومصايف ومشاتي ودمنة عامرة برسم سكنى فلاحيها ، وعلى أشجار وفواكه مختلفة الأنواع ، وحور وجوز وتين ورمان وغير ذلك ، ومر نهر يزيد بها يسقي ما يحكم عليه من أراضيها ، ويحق هذه القرية من الماء وهو الجانب الغربي منها من قناة المزة حق معلوم معروف ، ولهذه الحصة المقسومة المفروزة المعينة أعلاه التي منها الحصة الموقوفة قطع أرضين مجتمعات ومتفرقات في أرض القرية المذكورة وهن معروفات .

ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها النصف شائعاً من جميع البستان الخراجي الذي من جملة أراضي دمر المذكورة ، ويعرف مكانه ببستان الشياح قديماً .

ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها ثمانية أسهم من أربعة وعشرين سهماً وهي الثلث شائعاً ذلك من جميع البستان الملاصق لذلك ويعرف مكانه بأبي سليح قديماً ، يحيط بذلك فطاير من جهة الشرق . يشتمل ذلك جميعه على أشجار حور وتوت ورمان وسفرجل وانجاص وغير ذلك ، وشرب ذلك من الماء من نهر

يزيد حق معلوم ، وممر النهر في ذلك من الجانب الشرقي ، حد هاذين (كذا) البساتين بكمالها من القبلة مكان يعرف بالخيم ملك القاضي جلال الدين بن التقي ، ومن الشرق الطريق ، ومن الشام الوقف على الحنابلة ، ومن الغرب نهر بردى . وحد القرية المعروفة بدمر المذكورة بكمالها من القبلة جبل المزة وقبة سيّار ، ومن الشرق أراضي قرية الدريج وأراضي معربا [1] ، ومن الشام أراضي قرية الهامة وأراضي دُسيّا [2] ، ومن الغرب عين المنتنة . وأحضر الواقف من يده كتابين : أحدهما يشهد له بملك الحصة من قرية دمر ومن البساتين الكائنين بها والنصف من جميع الغراس القائم بحقل الجامع وبجنينة النصارى وبدف الخادم وغير ذلك مؤرخ بالثامن والعشرين من شهر رمضان المعظم قدره ، سنة ثمان وثمان مابة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحة البيع بمجلس الحكم العزيز القضائي الشرفي الرمشاوي [3] الشافعي رحمه الله ، وحسبما تضمنه اشهاده المؤرخ باليوم المذكور ، والكتاب الثاني يشهد له ببقية ما ذكر في قرية الحديثة تاريخه في الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة وثمان مابة ، ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، محكوم فيه بصحة البيع بمجلس الحكم العزيز المولوي القضائي العلائي الشمسي الكبيري الشافعي أيده الله تعالى حسبما تضمنه اشهاده المؤرخ بالخامس والعشرين من شهر ربيع الأول من السنة المذكورة .

الحصة بقرية برجه : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها ستة أسهم من أصل أربعة وعشرين سهماً وهي الربع شائعاً ، ذلك من جميع القرية الخراجية المعروفة بقرية برجة [4] من اقليم الخروب من عمل صيدا ومن أراضيها ، ويشتمل

(١) قريتان معروفتان شمالي دمشق .
(٢) من قرى وادي بردى وتعرف الأخيرة بأدسيا .
(٣) موسى بن أحمد بن الرمشاوي الشافعي (٧٦٠ - ٨١٦) .
(٤) قرية من البحر بين بيروت وصيدا .

ذلك على أراضي معتمل ومعطل وسهل ووعر وأقاصي وأداني ومصايف ومشاتي ١٩٥
ومروج وصِيَر ومسارح ومراعي وبيادر وبوادر وكروم عنب وتين محرجه على
أربابها وأشجار زيتون وخروب وغير ذلك وعيون ماء سارحة ودمنة عامرة برسم
سكنى فلاحيها . حدّها بكمالها من القبلة ينتهي الى المكان الذي يعرف
بوادي الراية ، ومن الشرق ينتهي الى الأرض وهو المكان المعروف بحايط
الرابطة ثم ينتهي الى أرض البرجين [1] ، ومن الشام ينتهي الى قرية بعاصير [1]
التحتا والفوقا ، ومن الغرب ينتهي الى الأرض المعروفة بأرض الجية [1] التي من
جملة أراضي قرية براروب (؟) وأحضر الواقف من يده كتاباً شهد له بملك ذلك
تاريخه ليلة يسفر صباحها عن ثالث عشرين شعبان المكرم سنة ست عشرة ٢٠٠
وثمان مابة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، ومحكوم فيه بالصحة بمجلس
الحكم العزيز المولوي القضائي العالي الحاكمي الشهابي ابن ابي العز الحنفي أجله الله
تعالى ، حسبما تضمنه اشهاده المسطر بظاهره المؤرخ بالثامن عشر من شهر رمضان
المعظم قدره سنة ست عشرة وثمان مابة ، متصل ثبوته وتنفيذه بمجلس الحكم
العزيز المولوي القضائي الحاكمي الشمس بن عبادة الحنبلي أجله الله ، وحسبما تضمنه
اشهاده المؤرخ بتاسع عشر الشهر المذكور .

(يتبع) جعفر الحسني

(١) قرى معروفة عامرة .

ما سمعت وما رأيت

في بلاد السوفيت

-٦-

متحف الصومعة :

يعد متحف الصومعة (The Hermitage Museum) أكبر متحف للتاريخ والثقافة والفن في بلاد الاتحاد السوفيتي قاطبة . ولا يقتصر ما يحويه من تحف نادرة من منشأ سوفيتي فحسب بل يتعداه الى تحف من سائر أنحاء العالم يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل آلاف من السنين .

ويعود تاريخ تأسيسه الى القرن الثامن عشر والى عهد كاترينا الثانية التي اتخذته داراً لها ولم يكن يسمح لأحد بزيارته ، وأضيف اليه في القرن العشرين جزء جديد عُرف بالصومعة الحديثة ، ومع ذلك فقد ظل عدد الذين يسمح لهم بالاطلاع على ما بين جدرانه محدوداً جداً ، حتى ان حاشية بلاط القيصر لم يكن لكلهم الحق بزيارة قاعات المتحف ، وأصبح الولوج فيه مسموحاً به تحت ضغط بعض المجتمعات الروسية اعتباراً من منتصف القرن العشرين . وظل المتحف حتى سنة ١٩١٤ تابعاً لقصر الشتاء (Winter Palace) قصر القيصر مرتبطاً به بممر خاص في جانب الطريق التي توصل بين القصر المذكور ونهر نيفا . وألحق قصر الشتاء بالمتحف اعتباراً من ١٩١٧ كما انه وسع وازدادت محتوياته أضعافاً بما جلب اليه مما كانت تحويه قصور القياصرة من كنوز وتحف من سائر أنحاء البلاد فضلاً عما صادرته الحكومة من تحف أخرى خاصة من قصور الأمراء والطبقة الارستوقراطية التي دالت دولتها .

وفتحت أبواب المتحف على مصاريعها لجميع الناس بعد ثورة تشرين الأول ، وأنيط بعدة اخصائيين في مقدمتهم الأديب الروسي المشهور ماكسيم غوركي (Maxim Gorky) تنظيم المتحف وتنسيقه ، وبلغت تحفه ثلاثة أضعاف ما كانت عليه قبل الثورة إذ يربو عدد المعروضات فيه الآن على المليونين وأضيف اليه أجنحة خاصة خصصت لتاريخ روسيا وثقافتها وثقافة شعوب الشرق وفنونهم . ويشتغل فيه عدد كبير من الاخصائيين في الفروع المختلفة من الفنون والصناعات .

زرت هذا المتحف يوم وصولي الى لنينغراد (الأحد ١٤ تشرين الثاني) وبعد أن ذكرت لنا الدليلة لمحة خاطفة عن المتحف بما لا يخرج عما تقدم شرعنا في زيارة قاعاته ولم يتح لنا سوى زيارة ٥٠ قاعة من أصل ٣٥٠ ، واستغرقت زيارتنا ٣ ساعات .

وإن مما يراه الزائر كثرة الوفود التي تؤم المتحف والفئات التي تمثل الجمعيات المختلفة وزمر الطلاب مع أساتذتهم لاطلاعهم على ما يمت بالصلة بالدروس التي يتلقونها [١] إذ باستطاعة الزائر أن يدرس فيه تاريخ الثقافة والفن لشعوب بلاد الاتحاد السوفيتي ، وتاريخ القرون الأولى من العصر الحجري حتى زمننا هذا .

وإن من القاعات التي أتيح لنا زيارتها الأقسام الخاصة بالرومانيين والايطاليين واليونانيين ثم الفرنسيين والهولنديين . ورأينا في القسم المخصص لمصر عدداً من المومياات منها المجرّدة ومنها غير المجرّدة في جانب الصناديق المنضدة والمغلقة التي لما يتم عرض ما تحويه ، ورأيت أوراق البردي وما تحمله من كتابة هيروغليفية بعضها بالخط الأحمر ، وكلا الخطين بالحبر الأحمر والأسود لا يزال محافظاً على لونه .

وفي الأقسام المخصصة بالمجوهرات رأينا الجواهر المصنوعة من الذهب الخالص

---

(١) ولقد أحصي عدد الزائرين سنة ١٩٥٤ فكان ١،٢٥٠،٠٠٠ وتلقى المتحف ١٢٠٠٠ رحلة وأن ٢٤٠ فئة درست فيه شؤون الأزمنة الغابرة وما يتعلق بها من ثقافة وفن .

والأحجار الكريمة النادرة منها ما كشف في شمال قفقاسية وفي جنوب أوكرانية عدا النماذج المختلفة من الساعات المصنوعة في روسية خلال القرنين الأخيرين ٠

ونجد بين التحف الشرقية تحفاً قديمة العهد من صينية وهندية وبيزنطية ومصرية وايرانية وتركية واغريقية ورومانية ٠ وقاعات الصور تشتمل على لوحات لأشهر رسامي الغرب والشرق ، وقاعات النسيج يبدو فيها الأنواع المختلفة من المنسوجات قديمها وحديثها ، ويرى الزائر النماذج النادرة من الخزف والعاج والبلور والفضيات والأواني الذهبية ٠

وانتقلنا من متحف الصومعة الى قصر الشتاء مقر القيصر فيما مضى ويرى الداخل من السلّم الرئيسي الرخامي الذي يحمل طابع القرن الثامن عشر ما في سقفه من نقش بديع وما يحيط بجانبيه من تماثيل من المرمر الأبيض النقي ، ولهذا القصر شأن تاريخي مزدوج فهو مقر للقيصر وعنه كانت تصرف شؤون تلك الامبراطورية الشاسعة ، كما ان فيه تم استلام رجال الثورة لزمام الحكم ، وألحق بعدئذ بمتحف الصومعة ، ويعد من أقدم الأبنية في لنينغراد ٠

فمن قاعاته قاعة العرش الصغيرة (The small Throne Hall) وتعرف بقاعة بطرس (Petrovsky) تخليداً لاسم بطرس الأكبر الأول ، جددت بعد الحريق الذى انتابها سنة ١٨٣٧ وهي غنية جداً بالنقوش والتماثيل واللوحات ٠ ولا يغمط رجال الثورة حق بطرس الأكبر بل هم يقرون بفضله [١] بتخصيصهم إحدى القاعات لمخلفاته ومصنوعاته التي قيل انه كان يتقن ١٤ صناعة يدوية ، واخرى تمثل لوحاتها العديدة المواقع الحربية التي خاض غمارها في الشمال والجنوب والغرب والشرق ومن أشهرها غزواته في الشمال لاستخلاص البلاد من السويد ٠ ومن المواقع الحاسمة التي خلدت ذكراها باللوحات البديعة موقعة اسماعيل [٢] التي يعرض

(١) وإن استبدلوا باسمه وهو مؤسسها اسم لينين زعيم الثورة الأولى .

(٢) وهي قلعة حصينة تابعة لبسارابيا (Bessaraby) الرومانية .

في احدى قاعات قصر الشتاء ما غنمه الجيش الروسي من أعلام عثمانية كثيرة ، وصور القواد الذين اشتركوا في الحرب الوطنية ضد نابوليون .

وقاعة العرش الكبيرة (Large Throne Hall) وتعرف بـ (Geor - giyevsky -) من أكبر قاعات قصر الشتاء اذ تبلغ مساحتها على ما قيل ٨٢٠٠ قدماً مربعاً وهي غنية جداً بالتماثيل واللوحات والزينات المختلفة ناهيك بأرضها الخشبية التي صنعت من ١٦ نوعاً من الخشب وفيها ٤٨ عموداً من المرمر بارتفاع ٣٠ قدماً ومحيط ٦ أقدام ، وقضاء بـ ٢٨ مشكاة تحوي ١٥٠٠ مصباح . وكان فيها عرش القيصر الذي نقل الى القاعة الصغيرة ، وفيها خريطة الاتحاد السوفيتي المصنوعة من أحجار أورال (Urals) شبه الكريمة (semi precious) وقيل لنا ان عدد هذه الأحجار هو ٤٥٠٠٠ نضدت في ساحة لا تتجاوز ٢٧٠ قدماً مربعاً ، وان هذه الخريطة قد عرضت في معرض باريس سنة ١٩٣٧ وفي معرض نيويورك أخيراً . وهي توضح التقسيمات الإدارية لبلاد الاتحاد ويظهر فيها ٤٥٠ بلدة كبيرة وما تحويه البلاد من بحيرات وأنهار وجبال .

متحف لومونوسوف :

وهو متحف العالم الرومي الشهير (Lomonosov) وقد أشرنا في المقال السابق الى إطلاق اسمه على جامعة موسكو[1] ويعده القوم رائد الأدب الروسي الحديث[2] . رأينا في هذا المتحف ما يبين حياته منذ نعومة أظفاره حتى أواخر

(١) انظر المجلة مج ٣٣ ص ٩٣ .

(٢) يعد في الطبقة الأولى بين أدباء الروس وعلمائهم ولد سنة ١٧١١ وتوفي سنة ١٧٦٥ رُوي عنه أنه جاء من مسقط رأسه في أقصى الشمال إلى موسكو مشياً على الأقدام ودرس في جامعتي كيف وبطرسبورغ وزار ألمانيا ، عين أستاذاً في بطرسبورغ ثم مديراً لاحدى الكليات فرئيساً للجامعة ومستشاراً للدولة ، ومن أشهر مؤلفاته تاريخ روسيا وقد نقل الى عدة لغات والنحو الروسي في جانب الكتب الأدبية العديدة .

أيامه بلوحات وتماثيل في جانب أوراقه الشخصية وكتبه ومخطوطاته وبعد أول من درس الكيمياء في بلاد روسيا ، ومن العلوم التي كان يتقنها علم الفلك والمعدنيات وسواها .

متحف نشوء الإنسان :

وهو المعروف بـ (Anthropology) وفيه شاهدنا النماذج المختلفة للإنسان البدائي وحيوانات العصور السالفة والتي انقرضت تماماً . وقد قال لنا دليلنا ـ وما أظن هذا إلا من قبيل الدعاوة ـ : إن ما توصل اليه علماء الاتحاد السوفيتي ان الأقوام المختلفة متساوية في خلقها وليس ثمة فوارق بينها .

ورأيت فيما يدعى بمتحف علم الأقوام أو الاثنولوجيا (Ethnology) ما يمثل حياة الأقوام المختلفة في الملبس والعيش والحياة الاجتماعية ، ولوحة تصور حفلات الطائفة الجعفرية في شهر المحرم ، وصورة تمثل سيدنا الحسين وقد فصل رأسه عن جسده والسهام التي تخترقها الثقوب التي تبدو في الجلد ، وما كان يستعمل في بلاد الاتحاد السوفيتي من آلات للتعذيب بشكل مجموعة فريدة في بابها .

ومن أطرف ما رأيناه مجموعة المسوخ [1] (Monstrus) أمر بجمعها وعرضها في المتحف بطرس الأكبر إذ أصدر مرسوماً أوجب فيه أن يسلم الى المتحف كل مسيخ في البلاد كافة ، وبذا بلغت المجموعة (وأظنها الفريدة في بابها) حداً نادر الأمثال ورأيت بين ما هو معروض منها ما لم تقع عيني على صورة له في الكتب التي اطلعت عليها . ويبدو أن صداقة القيصر لأحد الأطباء الدانيمرك أوحت اليه بهذه الفكرة الطريفة .

---

(١) جمع مسيخ والمسيخ لغة المشوه الخلق وتدعوه العامة بالعُجْبة وهو أن يحمل الجنين شذوذاً بالغاً في تكوين بدنه وأعضائه وأحشائه . ويدعو بعضهم المسيخ المشيَّأ فقد جاء في اللسان : والمشيأ المختلف الخَلْق المخبّله القبيح .

قال : فطيء ماطيء ماطيء ؟ شيأم إذ خَلَقَ المُشيَّيء

وقد شيأ الله خلقه قبحه . وقالت امرأة من العرب :

إني لأهوى الأطولين الغُلْبا وأبغض المشيئين الزُّغبا

ولكاتب المقال بحث مستفيض عن المسوخ في كتابه فلسفة الطب .

ورأينا في المتحف مجموعةً من آلات الجراحة وطب الأسنان قيل لنا ان القيصر قد صنعها بنفسه ويروى أنه أنقذ حياة ٢٧ جندياً من بين ٣٠ جندياً خاط لهم جراحهم وانه كان يقدم على إجراء بعض العمليات الجراحية لأفراد الشعب ولا عجب بعد أن ذكر لنا أنه كان يتقن ١٤ مهنة ٠

ورأيت أخيراً لوحة كبيرة تمثل فيها حياة الهنود الحمر في أمريكا الشماليـة رسمها أحد فناني الروس إبان احتلال القوم لتلك الأصقاع ورووا لنا وصولهم حتى سن فرنسيسكو ٠

مرصد بولكوف :

وقد زرناه في اليوم السادس عشر من تشرين الثاني ٠ وبولكوف اسم ناحية تبعد عن لنينغراد ٢٠ كيلومتراً قطعناهـا بنصف الساعة لكثافة الثلج الذي كان يستر أديم الأرض ٠ وكانت درجة الحرارة في المرصد — ٥ مئوية والمرصد مبني فوق هضبة مرتفعة حتى ان مستواه يوازي قبـة كنيسة اسحق الكائنة في جوار فندق استوريا ٠

وقد استقبلنا إثر وصولنا الى المرصد مديره الذي يتقن اللغة الفرنسية وزار الولايات المتحدة ومما قال لنا ان تأسيس المرصد يرجع الى سنة ١٨٣٩ تهدم في الحرب العالمية الثانية على بكرة أبيه وجدد بناؤه بعدها واحتفل بتدشينه في أيار سنة ١٩٥٣ بعد أن أضافوا الى المباني السابقة قاعة كبيرة للمحاضرات ٠

وقد قيل لنا ان هذا المرصد يعد الأول في العالم لا من حيث اتساعه فحسب بل لكثرة ما يحويه من أدوات حديثة بعضها مبتكر ولموقعه الجغرافي الممتاز ، ويعنى فيه بوجه خاص برصد نجمة القطب بتسجيل حركتها على مسجل خاص (وقد رأينا النجمة وما سجل من الحركة) ٠ وزرنا الجزء الخاص بضبط الوقت والساعة بالآلات الكهربائية والضوئية ، وزرنا المكان المعد لتصوير النجوم والكواكب تصويراً فوتوغرافياً ٠ وقد استغرقت زيارتنا هذه ٣ ساعات ونيفاً ٠

(للبحث صلة) الدكتور حسني سبح

كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي (*)

-٣-

< الفصل الثاني >

القول في القوة الغاذية

فنقول : إن الموجود مقابله ما ليس بموجود . وما ليس بموجود منه المحال [١] ، وهو ما لا يمكن وجوده ، و < منه الممكن > . والممكن وجوده صنفان : أحدهما الضروري [٢] [٣] وهو ما لا يمكن عدمه ، والآخر الموجود المطلق وهو ما هو موجود وقتاً ما ، فبيّن أن الوجود المطلق [٤] قد كان معدوماً وقتاً ما . وقد يُظنّ أنه يلزمه أن يكون معدوماً زماناً ولا نهاية . لكن إن كان ذلك فبالعرض ، وقد تلخص ذلك في الثامنة من السماع الطبيعي [٥] . فليترك الأمر

(*) انظر القسم الأول والقسم الثاني من هذا المقال في الجزء الأول والجزء الثاني من هذا المجلد الثالث والثلاثين .

(١) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٥٥ الف : « الموجود يقابلة لا موجود ، وبينهما ما هو موجود ولا موجود لكن لا في وقت واحد ، وهذه كلها إما بالإطلاق أو عند شيء ما ، فما هو لا موجود أصلاً وهو الممتنع والمحال فبين أمره » .

(٢) المخطوطة : الصنفان .

(٣) يستعمل ابن باجة « ضروري الوجود » ، و « ممكن الوجود » و « ممتنع الوجود » ، انظر السماع ، ورقة ٤٣ ب : « وكل معنى معقول فهو ضرورة إنما ممتنع وجوده أو ضروري وجوده أو ممكن » .

(٤) المخطوطة : المطلق الوجود .

(٥) قارن ابن باجة : السماع ، ورقة ٤٦ الف ، « فكل ما أنزلناه ممكناً زماناً غير متناه لزم من ذلك وجود أشياء غير متناهية معاً ، فإن الممكن والوجود في زمان غير متناه محال » .

على ما تبيّن هناك ان عدم[1] ذلك الأمر أيضاً عدم مطلق . والعدم المطلق يلزم الامكان[2] ضرورة لزوم التكافؤ . وقد تبين فيما بيناه في الأولى من السماع نسبة العدم الى الامكان . فالعدم نسبة الوجود المقابل الى المادة من جهة ما هو وجود مقابل بالذات . وأعني بالمقابل ما يأتلف منه الموجبة والسالبة المتناقضتان ، وهو اذا حمل على موضوع واحد بعينه ، هو ونقيضه ، صار القولان متناقضين واقتسما الصدق والكذب .

فأمّا اذا قلنا في زيد المريض أنه ممكن ان يصح وأن لا يصح ، فليس مقابل « ان يصح » الذي ائتلف منه هذا القول ، موجود عدم الصحة الذي مع الإمكان ، بل عدم الصحة (ورقة ١٤٣ الف) [في الآن الذي] تضمن القول «أنه يصح» فيه كان ذلك الآن محصلاً أو غير محصل . فنسبة الصحة من جهة ما له مثلٌ ـ مثل هذا المقابل ـ الى الموضوع هو إمكانها . والقوة على نسبة الصحة الى المادة هي عدم الصحة ، لكن ليس من جهة ما لها مقابل بالقوة . هي نسبة الصورة المقابلة الى الموضوع لكن ليس من جهة ما هي مقابلة ، فلذلك تلازما .

---

(١) قيل في حد العدم أنه الذي ليس بموجود كذا وكذا ، أي أنه عدم كذا وكذا ، لا عدم بالإطلاق ، إذ ليس هاهنا ما ليس بموجود على الإطلاق ، فانه لا يوجد عدم مطلق كما يوجد وجود مطلق بل عدم مضاف ، إذ كان العدم عدماً لشيء ، راجع تفسير مابعد الطبيعة لابن رشد ، بيروت ج ٢ ص ٨٠١ والتعليق الآتي .

(٢) فصّل ابن باجة معنى الإمكان في السماع ، ورقة ٧ الف ، حيث قال : « والممكن لزمه العدم ضرورة . . . . فهل الإمكان هو العدم كما الصورة هي الوجود أم لا . فنقول : إن الممكن من طريق ما هو ممكن فليس الوجود لذاته عدم ، فان الإمكان هو ثاني الوضوع للمنى عندما عرض لذلك الموضوع العدم ، فان العدم ليس هو بالذات ، لا يوجد عنه الشيء أصلًا ، بل ذاته وماهيته ألا توجد . والإمكان وما هو فوجوده في أن يوجد الشيء ، فالعدم عارض للممكن لامن جهة ما هو ممكن بل الإمكان فيه من جهة والعدم من جهة مّا . الممكن شيء آخر كأنك قلت نحاس أو صورة مضادة فلذلك يكون وجود المنى في الممكن تاماً لا استحالة . وإنما يكون استحالة الممكن من جهة العدم » .

قارن أرسطو : Phys. I. 3. 187 a 4 sq .

والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع ، اثنان [١] بالقول .

ولذلك يلزم ضرورة أن تتقدم القوة على الفعل بالزمان [٢] كما تبين ذلك في الثامنة من السماع . فقد يقال في القمر انه ممكن أن ينكسف وانه بالقوة منكسف لكن باشتراك الاسم ، والقوة في القمر أقرب الى القول بالتواطؤ من قولنا «الممكن» ، فان الممكن في القمر وفي المريض باشتراك ، ولذلك قد يعد الكسوف فيما هو ضروري .

والقوة كما تبين في مواضع كثيرة تتقدم الفعل [٣] ، والفعل ينقسم الى المقولات العشر .

وما بالقوة فلا يصير شيئاً بالفعل حتى يصير الكون تغير ضرورة ، كما تبين ذلك في الثامنة [٤] .

---

(١) المخطوطة : لينال .

(٢) ابن باجّة كرّر قوله « إن القوة تتقدم على الفعل بالزمان » في مواضع : ورقة ٤٤ ب : فاذا القوة متقدمة للكمال بالزمان . » ، ورقة ٥٢ الف : « من تقدم القوة للفعل بالزمان » ، ورقة ٩٣ ب : إن قوة كل موجود سابقة لفعله بالزمان . قارن ارسطو Met. B. 6. 1003 a 1. ؛ وهذا كما هو ظاهر يخالف ما قال أرسطو ان ما بالفعل سابق على ما بالقوة زماناً ، راجع Met. O. 8. 1049 b 18. .

(٣) قارن ابن باجّة ، السماع ، ورقة ١٠ ب : « والشيء إذا كان بالقوة جملة فليس هو بالفعل شيئاً مما هو بالقوة ذلك الشيء ، وإذا كان بالفعل جملة فليس هو بالقوة أصلاً ذلك الشيء ولا فيه جزء من أجزاء القوة » .

(٤) قارن النص نفسه (ورقة ١٥٠ الف) : كل ما بالقوة فانما يصير بالفعل ، أيضاً ، السماع ورقة ٣٥ الف : فان الفعل لايتحرك وإنما يتحرك ما بالقوة . . . فالمقالبة ضرورة في التغير يحتاج الى ثلاثة أشياء - متقابلان وموضوع - والموضوع هي ما بالقوة وهو قابل للتغير ».وقارن أرسطو Phys. VIII. 4. 255 a 34—35; 5. 257 b 7 وابن سينا : الشفاء ورقة ١٩٦ ب ٨ : « وكل ماخرج من القوة الى الفعل فانما يخرج بسبب بالفعل يخرجه » .

والتغير هو في الجوهر والكم والكيف والأين (١) ، فقوى (٢) هذه الأربعة هي القوى التي بها يتحرك المتحرك . والقوى التي بها يتحرك المتحرك تسمى القوى المنفعلة والمتغيرة . والقوى على هذه قوى متغيرة .

وأما باقي المقولات حاشى مقولة أن تنفعل (٣) فليس كال قواها المنفعلة تغيراً ، لكنه يكون عن تغير ، ولذلك يكون في الآن (٤) .

والمقولات الثلاث فلا توجد النسبة في حدودها . فليس يحد الكم بنسبة الجوهر اليه الذي هو موضوع ، وكذلك الكيف . والكم أحرى بذلك حتى ظن انه مفارق . وأما الستّ فكلها تحد بالنسبة الى الموضوع . لكن الوضع ومقالة له يوجد الجوهر في أقوالها (٥) . وأما الأربع الباقية فليست كذلك ،

(١) قارن النص (ورقة ١٤٤ الف) والتغير كما قلنا يكون في الجوهر ؛ ورقة ١٦ الف : وذلك هو التغير في الجوهر ؛ ورقة ٣٢ ب : « لما كان المتغير منه ما يقال بالتقديم ومنه ما يقال بالتأخير ، فالمقول بالتقديم هو مافي الجوهر وفي الكم وفي الكيف والأين على ما تلخص في الثالثة » . وبين ابن باجة سبب التغير في المقولات الأربع قائلاً (ورقة ١٠ الف) : « لكن الفحص عنه هنا فن جهة الوجود الذي يقال له تغير ، وأما السبب الأول الذي على طريق الصورة فليس بواحد ولا يوجد له قول واحد فانما يعطى بحدودها وهي المقولات الأربع وهو الجوهر والوجود الأول فيه كون ، والكم والوجود فيه نمو ، وأما النقص فأحرى أن يكون « لا وجود » . وهــذه تقابلها أضداد ، فالكون يقابله الفساد ، والنمو يقابله الذبول ، والكيف يقال لضدته استحالة وليس أحد طرفيها أخلق بأن يكون وجوداً من الآخر فليرسما في الوجود ، والحركة في الأين وهي النقلة وهذه أخلق بالوجود من سايرها ، إذ ليس فيها ما يزيل بالذات وجود الموجود » .

(٢) المخطوطة : مقوى .

(٣) المخطوطة : ىىعل .

(٤) قارن ابن باجة ، السماع ورقة ٢٩ ب : « وتغيرت النسب وتبدلت نسبة بعد نسبة أخرى ، لكن هذه وان لم تكن تغيراً فهي عن تغير لكن ذلك التغير في شيء آخر ويكون النسب تغير تابع لتغير فلذلك يكون في الآن » . راجع النص ، ورقة ١٠٣ الف ؛ ويكون تغيرها في الآن ؛ وزيلر (Zeller) : Aristotle : Vol. I. p. 433. 9 .

(٥) المخطوطة : أقوالها .

بل قد تكون موضوعاتها غير الجوهر . وكلها يشترك في أن لهـا موضوعات لا توجد تلك النسبة في حدودها .

فأمّا التي توجد النسبة في حد أحد الموضوعين من حيث هما ذانك المتباينان فهي الوضع وله والأين ومتى وان ينفعل . وأما التي لا توجد النسبة في حد واحد منها ، فهذه صنفان : إما أن يكون الموضوعان معاً بالفعل [1] ، فهذه هي مقولة الاضافة ، وإما أن يكون أحدهما بالفعل والآخر بالقوة من جهة ما هو بالقوة فهذه مقولة « أن ينفعل » .

وأما هل يكون موجودان بالفعل ، موضوعان لنسبةٍ توجد تلك النسبة في حديهما ، وتكون عن الإضافة ، فقد تبيّن كيف ذلك في غير هذا الموضع .

(ورقة ١٤٣ ب) فظاهرٌ الذي يفعل من حيث هو « ما يفعـل » موجود بالفعل « وما ينفعل » موجود بالقوة . فان قولنا « يفعل » يلزم عنه بالذات لا بالعرض أن يكون موجوداً بالفعل مشاراً اليه ، واما « ما ينفعل » فيلزم عنه أن يكون موجوداً بالقوة . و « ما يفعل » يُساوق [2] في الوجود « ما ينفعل » ويلزم عنه وجوده ضرورة .

والمتحرك منه ما هو متحرك حركة سرمدية ، ومنه [3] ما هو متحرك حركة كاينة فاسدة . ومحرّك السرمدية واحد وهو محرك دايماً ، فمحرك السرمدية هو أبداً واحد موجود بالفعل ، وليس محركا تارة وتارة لا . وما يحرك حركة كاينة فاسدة فإمّا أن يكون واحداً فيكون طوراً محركاً وطوراً غير محرك

(١) ابن باجّة ، ورقة ٦١ الف : « فان المحرك والمتحرك من المضاف فيجب ضرورة ان يكون في موضوعين تغاير مّا حتى يكونا اثنين » .

(٢) والمصدر « مساوقة » أي مصاحبة . راجع Dozy : Lexique I. p. 704 ؛ وقارن ابن باجة ، ورقة ٢٦ الف : فحركة ح د تساوق أجزاؤهـا أجزاء أ ب وتناسب تناسبها ... والزمان يساوق الطول بتوسط الحركة عليه ؛ وزيلر : Aristotle, I. p. 302 ft. ؛ وقارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 7. 324 a 9 .

(٣) المخطوطة : منه .

كالثقل في الحجر فانه يحرك حيناً وحيناً لا يحرك ، واما الذي يكون واحداً بعد آخر . وعلى أي الوجهين كان فهذا الجنس من المحرك [١] . فقد يلزم جميعاً أن يكون جميعه ـ حيناً مّا ـ لا يحرّك ، وأظهر ما يكون [٢] ذلك في الواحد الذي يحرك حيناً ولا يحرك < حينا > كالثقل الذي يمنعه العايق ، وكذلك أنفس الحيوان المعوّق عن الحركة ، والنبات غير المستأنف ، والنار اذا لم تجد ما تحرقه ، والثلج اذا لم يجد ما يبرده ، فهذه كلها تكون لا محركة وتكون ممكنة أن تحرك . وما هو ممكن على ما تبين [٣] فهو بالقوة ، والذى يحرّك عندما لا يحرك بالفعل فهو قوة ، فهذه تخص بالقوى الفاعلة والقوى المحركة . فقد تبيّن ما القوى المحرّكة .

والقوى المتحركة فهي ضرورة في جسم [٤] إذ كان كل متحرك منقسما [٥] [٦] وعليها يقال قوى بالتقديم . فأما القوى المحركة فانما يقال قوى بالتأخير وعلى طريق النسبة .

والقوى المحركة فقد تكون في أجسام إما صوراً أو [٧] اعراضاً وقد لخصت هذه وبيّن كيف وجودها فيما بعد الطبيعة [٨] ، وقد تكون موجودات لا في

---

(١) المخطوطة : التحرك .

(٢) المخطوطة : مالا يكون .

(٣) قارن النص ، ورقة ١٤٣ الف ، والممكن وما بالقوة واحد بالموضوع .

(٤) واجع ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨٣ الف : « ليس يلزم ضرورة أن يكون كل قوة محركة نقوامها بجسم كما يلزم ان كل قوة متحركة فهي في جسم وذلك قد تبين في السادسة من السماع » .

(٥) المخطوطة : منقسم .

(٦) هذا لأن الحركة لا تفعل على ما لا ينقسم ، ابن باجّة ، السماع ، ورقة ٢٥ الف : « فظاهر انه لا يكون حركة على ما لا ينقسم ؛ الحيوان ، ورقة ٩٦ ب : لكن كل متحرك فهو منقسم » .

(٧) المخطوطة : و .

(٨) قارن ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ، بيروت ، ص ١٦٣٧ .

أجسام[1] أن يبرهن وجودها . وفي هذا الصنف بعد العقل الفعّال والعقل المستفاد[2] .

فأما أنفس[3] الأجرام المستديرة[4] فليست قوى أصلاً ولا بوجه . فإن قيل لها قوى فبطريق آخر . وبالنسبة الى العقل الفعال القوى المحركة لا من[5] طريق ما به شابه العقل الفعال لكن بما شابهته في الوجود فتقال قوى بطريق التشبيه بالعرض . وهذا صنف آخر مما يقال بتشكيك لكنه أقرب معاني التشكيك الى المشترك .

والغذاء يقال بالقوة كاللحم للحيوان السبعي ويقال غذاء على الغذاء الأخير[6] والمنزلة الدم مثلاً . فإذن[7] قوة الغذاء قوة يصير بها الجسم متحركاً فقوته منفعلة .

---

(١) راجع ابن باجة ورقة ١٣٨ الف : « فان وجودنا أن نعقل كوجودنا أن نبصر ونحس ، وهذان ليسا استحالتين فلا وجودنا أن نعقل استحالة . . . . . فانما يعقل الإنسان إذا سلبت جميع حركاته حتى ان بعضهم اذا استغرقوا في الفكرة بطلت حواسهم وصاروا في حال النيام ، واذا كان ذلك ، فعند ذلك يوجد العقل ، وقد تبين في غير هذا المكان ان العقل يوجد لا في زمان فليس فيه حركة ، وانما يحتاج الزمان الى وجوده .

(٢) وذكر ابن باجّة ان الصور الروحانية أصناف : أولها صور الأجسام المستديرة ، والصنف الثاني العقل الفعال ، والعقل المستفاد ، والثالث المعقولات الهيولانية ، والرابع المعاني الموجودة في قوى النفس ، وهي الموجودة في الحس المشترك وفي قوى التخيل وفي قوة الذكر ، تدبير المتوحد ص ١٩ .

(٣) المخطوطة : نفس .

(٤) قارن السماع ورقة ٥٤ ب : فالمتحرك من تلقائه لما هو متحرك من تلقائه مؤلف من هذين ولذلك يقال في الجسم المستدير تارة ان حركته عن الطبيعة وتارة ان حركته عن النفس ؛ ورقة ١٢١ الف : ولكل جرم سماوي عقل ونفس ؛ ورقة ٩٥ ب : فلذلك لزم ضرورة على ما تلخص في غير هذا الموضع أن يكون محرك المستدير عقلاً ؛ وانظر زيلر Zeller : Aristotle. I. p. 477 ft note .

(٥) المخطوطة : لامن .

(٦) أراد « بالغذاء الأخير » الغذاء بالفعل الذي هو الغذاء القريب الذي يستحيل الى جوهر المغتذي ، والغذاء يقال بالقوة قبل أن يستحيل الى جوهر المغتذي ، راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٥ حيدر آباد : ص ١٢ ، والنص نفسه ، ورقة ١٤٤ الف .

(٧) المخطوطة : فاذا .

وكل متغير فله مغير، (ورقة ١٤٤ الف) [فالغذاء] الذي بالقوة وهو الغذاء البعيد فضرورة له محرك هو [الذي] يصيّره غذاء بالفعل وفعله هو التغذية ، والمحرك هو الغاذي والجسم الذي له مثل هذه القوة هو المغتذي . واشكال الألفاظ مقابلة لما تدل عليه لأنّ الغذاء هو المنفعل ، وكال المحرك[1] أن يحرك وشكل[2] لفظه شكل لفظة التحريك . فأمّا لِمَ كان ذلك فنلخصه في غير هذا الموضع[3] .

والمغتذي فهو إما نبات وإما حيوان ، ففي هذين قوة محركة[4] ، ففي الجسم المغتذي قوة محركة . وكل قوة محركة فهي ضرورة كال ما . ففيه إذن معنى موجود بالفعل به يحرك الغذاء .

ولما كان الغذاء لا يكون إلا بآلات على ما تبين بالتصفح فالقوة[5] الغاذية نفس . وقد يتشكك في الكم هل قوته نفس أم لا . فإن كانت نفساً لم يكن كل نفس فهي تحرك بآلة ، فإن الكم متشابه الأجزاء في الحس ، وانه[6] لم يكن نمو[7] [8] للكمّ تراكماً على ما هو نحو الحجر . وكذلك يتشكك في اسفنج البحر[9] هل هو حيوان أم نبات . وبالجملة فانا نجد الطبيعة لم تنتقل

---

(١) المخطوطة : وكاله .

(٢) وابن باجة له ميلان طبيعي الى الاشكال ويريد تفصيل معاني الألفاظ باشكالها أحياناً ، فقال مثلًا في تشريح معنى « روحاني » : وشكل هذه اللفظة غيرعربي وهي دخيلة في لسان العرب .

(٣) راجع النص نفسه ورقة ١٤٤ ب .

(٤) قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 11 .

(٥) المخطوطة : بالقوة .

(٦) المخطوطة : وان .

(٧) الكم ليس له نمو فلا نفس له : قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 a 23—25 .

(٨) المخطوطة : نموّا .

(٩) ابن باجة ، النبات ، ورقة ١١٣ ب : « ان النبات هو مغتذ وله نفس غاذية » ولذلك يشك في أشياء توجد وسطاً بين النبات وبين الحجر ، وكذلك يوجد جسم بين النبات والحيوان يأخذ من كل واحد . بقسط كاسفنج البحر » . قارن أرسطو : Arist. : Hist. An. I. 1. 487 b 9; VIII. 1. 588 b 20 .

من وجود جنس الى جنس أكمل حتى صنعت متوسطاً[(١)] ، لكن الفحص عن هذا في غير هذا الموضع .

والتغير[(٢)] كما قلنا[(٣)] يكون في الجوهر ، ويكون في باقي المقولات . والاغتذاء لا يكون إلا بتحريك في الجوهر . وذلك بين عندما تصفح الأغذية . فان الدم واللبن غير اللحم وغير الماء المختلط بالأرض الذي هو غذاء النبات ، وقد تبين كيف تكون هذه في كتاب الحيوان وكتاب النبات[(٤)] .

فالغذاء يتحرك حركة كون وفساد ، والغذاء يتكون والغاذي يكوّن . فالقوة الغاذية إذن هي التي من شأنها أن تحرك في الجوهر فقد وجدنا الجنس[(٥)] الذي تترتب فيه النفس الغاذية . وهذه القوة فاعلة وكل فاعل فهو موجود بالفعل ، وكل موجود ليس < له > فعل غيره فله كمالان[(٦)] : كمال أول

(١) ابن باجة يظن أن الانسان جنس آخر غير الحيوان فبينها وسط وهو القرد : ورقة ١١٣ ب : « والوسط بين الأجسام الطبيعية والأجسام المتنفسة هو المتوسط بينها وبين النبات ، فإنه لا وسط بين الاجسام المعدنية وبين الحيوان ، لأن الوسط إنما هو أبداً فيما بين الأبعد والأقرب ، ولذلك يوجد بين المتنفس المدرك وهو الحيوان غير الناطق ، والمتنفس الذي لا يدرك وهو النبات وسط ومن هنا فقد يجب أن نظن أن الإنسان جنس آخر غير الحيوان لأن بينه وبين الحيوان غير المدرك وسطاً وهو القرد » .

(٢) المخطوطة : التغير .

(٣) واجع ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدر آباد ، ص ٧١ . وأيضاً التعليق ٩ الفصل الثاني .

(٤) ابن باجّة ، ورقة ١٠١ الف : وقد تبين أن الغذاء القريب هو الدم ، وتبين بياناً أتم في أقاويل تكون الجنين : النبات ، ورقة ١١٣ ب : ان كل نبات فهو مغتذ وكل مغتذ فهو على ما كتبناه في كتاب النفس يستعمل حرارة طبيعية وبها تغير الغذاء ، وغذاء النبات فبيّن بنفسه » .

قارن أرسطو : De Gen. An. I. 20. 728 a 20; 726 b 1 .

(٥) يعني القوة المحركة فانها تفعل على الجوهر (أي الغذاء) .

(٦) ابن باجة ، ورقة ٩٢ الف : ولما كان الكمال صنفين : الحركة والفعل ، والحركة التي هي التكوّن هي الكمال الأول » ، السماع ، ورقة ٩ الف : ومتى وجد الشيء كان على كماله الأخير ومتى لم يوجد كان ناقصاً .

وهو وجود هذه قوةً ، وأخير وهو وجوده محركاً . فالنفس[١] الغاذية كمال المغتذي الأول . فأما أيّ تكون[٢] تكوّن هذه[٣] ؟ وهذا هو الحد الذي يقال له مبدأ البرهان فيبين ما أقوله :

لما كان الغذاء إمّا بالقوة وإما بالفعل[٤] ، وما بالقوة فمنه بعيد كالاسطقسات[٥] ، ومنه قريب كاللحم والنبات للحيوان ، فان الغذاء القريب للنبات لا اسم له . والبعيد هو ما كان المحرك فيه ليس القوة الغاذية ، والقريب ما تحركه القوة (ورقة ١٤٤ ب) الغاذية . وهذا أيضاً مراتب : منه الغذاء الحاصل في مغتذ[ى] الحيوان ، ومنه الرطوبة الموجودة في أصول النبات ، ومنه أقرب من هذا كالدم[٦] الحاصل في العروق واللبن في النبات حتى اللبن . ومنه الكمال الأخير كالدم الذي صار لحماً ، واللبن الذي صار عصباً فناله عصب .

وكل ما هو مقابل <لما> بالقوة فهو مقابل لما بالفعل . فنقول[٧] : من

---

(١) المخطوطة : فبالنفس .

(٢) المخطوطة : تكوين .

(٣) راجع ابن باجّة ، الكون ، ورقة ٨٦ الف : فاما أن يكون التكون عند الاستحالة فذلك بيّن ، ورقة ٨١ الف : أن كل تكون فهو إما بسيط وإما مركب ، أعني بالتكون البسيط التغير الى الموجود البسيط ، وأعني بالتكون المركب الحركة الى الموجود المركب » .

(٤) راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٣ ب : والغذاء يقال بالقوة .

(٥) قال ابن رشد : والقوة البعيدة في الغذاء ، المحرك لها ضرورة غير النفس الغاذية . راجع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٥ ، حيدر آباد ص ١٢ .

(٦) ابن باجّة ورقة ١٠١ الف : « الغذاء القريب هو الدم » .

(٧) ذكر أرسطو أن فريقاً قال : ان الشيء يغتذي من شبهه وينمى ، وذهب آخرون الى أن الشيء يغتذي من غير شبهه . وهذا بناءً على أن الغذاء على نوعين : أحدهما بالفعل والآخر بالقوة ، فالغذاء الذي بالفعل استحال وتشبه بالمغتذي ، والذي بالقوة فهو الذي لم يتغير ولم يتشبه بالمغتذي ، فلكل من الفريقين حجة . وكتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يصرح (تلخيص كتاب النفس لابن رشد ، الأهواني ، ص ١٤٤) « والطعام الذي لم ينضج هو الغذاء الذي لا يشبه المغتذي . . . . والغذاء يتحرك وينتقل من شيء الى شيء الى أن يتشبه بالمغتذي فيغذوه . . . . وكلا القولين يصدقان بنوع ونوع » ، ولهذا قال ابن باجة الله لا تناقض بين القولين ، قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 5 sq ؛ ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٩ .

يرى أن الغذاء من الغاذ غير مناقض لقول من قال ان كل غذاء فهو من الشبيه . لأن الأول يصدر عن الغذاء بالقوة ، والثاني عن الغذاء بالفعل . والغذاء يقال عليهما [١] باشتراك ، فقد يسقط بهذا التشكيك اللاحق الغذاء .

فأما أي نوع من أنواع التكوّن يتكوّن به الغذاء ، وكيف يكون فقد يظهر بما [٢] نقوله :

فنقول : ان كل موجود كائن فاسد فله فعل يخصه ومن أجله كان حسب ما بيّن في غير هذا الموضع . وبذلك صار جزءاً من أجزاء العالم ، فإن الطبيعة لم تفعل شيئاً باطلا .

ولما كان كل تكوّن فله مكوّن ، والمكوّن إما أن يكون من نوع الكائن أو من جنسه [٣] . والتكوّن إما صناعي - فيكون المكوّن له الصناعة وهي بجهة مخالفة للمصنوع غير انها في مواد مختلفة - وإمّا أن يكون طبيعياً [٤] ، والتكوّن [٥] الطبيعي فمكوّنه طبيعي . وبالجملة فالمتحرك قد يكون من نوع المحرك وقد لا يكون ، فان النار تكون عن النار والحار يكون عن الحار ، فأما الصلب فانما يكون عن البارد أو عن الحار .

فقوى الأجسام منها محركة ومنها ما ليس كذلك [٦] .

والقوة المحركة فانها تفعل بالذات وأوّلاً ما هو من نوعها وتفعل ثانياً وبالعرض شيئاً آخر ، وذلك بحسب المواد التي تفعل فيها . وكل قوة محركة ففيها مع انها موجودة للوجود الذي يخصها معنى به تفعل مثلها [٧] . فأما الاسطقسات

(١) المخطوطة : عليها .
(٢) المخطوطة : ما .
(٣) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدر آباد ، ص ٥٥ .
(٤) المخطوطة : طبيعية .
(٥) المخطوطة : المكون .
(٦) راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٣ ب .
(٧) قارن أرسطو : De An. II. 4. 419 b 14—15 .

فان هذه القوة ظاهرة في النار منها ، ثم في الهواء وأخفى ما هي في الماء والأرض . غير أن مثل هذه انما تفعل صوراً طبيعية لأجسام متشابهة الأجزاء . إلا أنها قد تكون النار عن شيء آخر مثل أن تكون عن قدح الزناد .

فأما الأجسام المتنفسة ففي كلها قوة مكونة . وهي ـ في الجملة ـ التي تكوّن من الغذاء بالقوة جسماً شبيهاً بما هي فيه (١) ، فيكون ضرورة ذلك الجسم المتنفس في وجودها الذي يخصها معنى به تحرّك الى الوجود الذي يخصها . وهذه منها رئيسة في ذلك الجسد ، وهي التي (١٤٥ الف) [في جزء منها] هو مبدأ لذلك الجسم كالقلب في الحيوان (٢) . ومنها خادمة جزئية وهي في عضو عضو . فان صورة العظم فيه قوة تحمل الغذاء الذي هو عظم بالقوة فتصير عظماً بالفعل وكذلك في اللحم وكذلك في سايرها . والذي في المبدأ يصير من الغذاء الذي هو ذلك الموجود وقد لخص ذلك في غير هذا الموضع (٣) .

وبين ان الجسم الذي له مثل هذه الصورة مركب من الاسطقسات وانه (٤) مركب من الأرض والماء . وان المركب كما تبين (٥) انما يمتزج أولاً بأن

---

(١) هذه الجملة تبين معنى الجملة في ورقة ١٤٤ ب : « وكل قوة محركة نفيها مع انها موجودة الوجود الذي يخصها » . لعله أراد ان القوة المحركة هي القوة المولدة التي تفعل الغذاء وتغيره فتكوّن منه جسماً شبيهاً لجسمه ، فيكون ضرورة ذلك الجسم في وجوده معنى به يحركه الى الوجود . قارن أرسطو : De An. II. 416 b 24 ; b 11—14 .

(٢) ابن باجة ، ورقة ٩٦ الف : « فالعضو الذي فيه القوة الغاذية فهناك ساير القوى وبه تكون حياة الحيوان ، وهذا هو في الانسان القلب ، وكذلك في كل حيوان ذي دم ، وفي كل حيوان قلب أو ما يناسب القلب في الحيوان الذي له ما يناسب الدم » ، ورقة ٩٦ ب : فالنفس ضرورة في الحيوان في القلب أو فيما يناسبه فالقلب هو مبدأ الحيوان ، وساير الأعضاء إما حافظ له أو متحرك عنه فكل ما في الجسد هو تابع للقلب أو ما يناسبه .

(٣) لعله أراد العبارة التي نقلتها آنفاً تحت التعليق السابق ، الفصل الثاني . (ورقة ٩٦ ب) .

(٤) المخطوطة : وله .

(٥) راجع ما قال في أول هذا الكتاب (ورقة ١٣٩ الف) : فتى كان الموجود . . . أن يختلط به غير واحد . قارن أرسطو De Gen. et Cor. II. 8. 334 b 31 .

يتحرك أجزاؤه في المكان فيدنو[١][٢] بعضها من بعض ، ثم بعد ذلك ان يستحيل كل واحد منها على الوجه الذي تبيّن في الأولى من كتاب الكون والفساد . وذلك لا يمكن بالبرودة وإنما يكون بالحرارة . وهذه الحرارة هي آلة النفس وهي التي تدعى[٣] الحرارة الغريزية النفسانية ، وقد لخص القول فيها في السابعة عشر من كتاب الحيوان[٤] .

فالحار الغريزي هو آلة هذه النفس . فالنفس الغاذية تحرك أولاً الحار الغريزي وهو المتحرك من تلقائه ، وتحرك بالحار الغريزي الغذاء . فان ما لا يتحرك لا يمكن أن يحرك ما ليس هو فيه الا ان يحرك أولاً بجسم هو فيه حسب ما تبين في الثامنة من السماع[٥] .

وهذه القوة تحرك مثل هذه الحركة وتصيّر ما هو بالقوة المغني الذي هو فيه الى أن يكون مثله بالفعل .

---

(١) ابن باجة ورقة ٨١ ب : وكذلك الاسطقسات يماس كل واحد منها في مواضعها الطبيعية . . . . وقد تدنو هذه بعضها من بعض على أحوال مختلفة . راجع أرسطو : De Gen. et Cor. I. cc 6—10 .

(٢) المخطوطة : فتنوا . (٣) المخطوطة : ندعا .

(٤) الحيوان ، ورقة ١٠٩ ب : « فان الاسطقسين متى تقارنت قواهما لم يختلطا بل كان كل واحد منهما يقدر على التخلص من صاحبه فلذلك يحتاج الى مبدأ آخر يؤلف بينهما ويحركهما حتى يصيرا شيئاً واحداً وتصير قوتها قوة واحدة مركبة ، وهذا لا يكون بالقوة المحركة التي هي برد فان البرد يجمدها ويجعل لكل واحد منهما نهاية تخصه ، فلا يختلطان ، وأما الحرارة فمن شأنها أن يخلط أولاً ثم يفرق بين المجانسة ثانياً وثالثاً » . وأرسطو : De An. II. 4. 416 b 29 ، وأيضاً : 416 a 9 . وأيضاً ابن سينا ، الشفاء ورقة ١٦٣ الف ٢٠ ، ثم ان آلة هذه القوة (الغاذية) الأولية هي الحار الغريزي ، فان الحار هو المستعد لتحريك المواد ويتبعها البرد لتسكينها عند الكمالات من الخالق مختومة عليها » ؛ وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٨ ، حيدر آباد ، ص ١٥ .

(٥) راجع ابن باجة ، الحيوان ، ورقة ٩٨ ب : « وكل محرك ليس بمتحرك بذاته فانما يحرك جسماً على أحد وجهين : اما وهو فيه — ويكون ذلك الجسم المتحرك الأول من تلقائه ، أو يحرك جسماً ليس هو فيه ، فيحركه بتحريكه الجسم الذي هو فيه آلة لتحريك غيره » . وأيضاً السماع ، ورقة ٤١ الف : « وأما الروح الغريزي ففيه المحرك الذي لا يتحرك ، وهذا يحرك الحيوان وبهذا يوجد الحيوان متحركاً من تلقايه » .

ولما كان كل ما فيه رطوبة هو سريع الانفعال والتحلل كان جسد كل متنفس كذلك[١] . فلذلك ان كان مزمعاً ان يبقى ذلك الجسم فيجب أن يكون له مثل هذه القوة ، لأنه ان لم يخلف عوض ما تحلّل تلف ذلك الجسد[٢] .

ولمّا كان كل جسم طبيعي له نوع من العظم مخصوص وبه يكمل وجوده كما يظهر ذلك في كثير من النبات وفي الحيوان وذلك المقدار لم يعط من أول تكونه إذ لم يكن كانت له قوة يتحرك بها الى ذلك النحو من العظم . وهذه هي النفس المنمية[٣] . فلذلك تكوّن الغاذية من الغذاء أكثر من عوض ما يتحلل حتى يصير في العضو عوضاً مما تحلّل وزيادة[٤] ، فيتحرك ذلك الجسد ويصير فيه نوع من أنواع العظم لم يكن له .

وهـذه الحركة ليس يظهر لها اسم يعمّها و <يعمّ> اسم حركة النمو واسم حركة النشوء ، ومقابليها حركة البلى[٥] وحركة الذبول ، وقد لخصت هذه

---

(١) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 10. 328 b 4 .

(٢) قارن أرسطو : De An. II. 4. 416 b 19—20 ؛ أيضاً ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب ٩ : فالقوة الغاذية تورد البدل أي بدل ما يتحلل ويشبه ويلصق ، وانه وان كان الغذاء أكثر منافعه انه يقوم بدل ما يتحلل فانه ليست الحاجة الى الغذاء لذلك فقط بل تحتاج اليه الطبيعة في أول الأمر للتربية وان كان بعد ذلك انما يحتاج الى وصفه موضع التحلل فقط .

(٣) قارن ابن سينا : الشفاء ، ورقة ١٦٢ ب : والنامية تفعل في أول كون الحيوان فعلاً ليس هو التغذية فقط ، وذلك لأن غاية التغذية ما حددناه ، وأما هذه القوة فانها توزع الغذاء على خلاف مقتضى القوة الغاذية وذلك لأن الذي للقوة الغاذية لذاتها أن يؤتى كل عضو من الغذاء بقدر عظمه وصغره وتلصق به من الغذاء بمقداره الذي له على السواء ، وأما القوة النامية فانها تسلب جانباً من البدن من الغذاء ما يحتاج اليه الزيادة من جهة أخرى فيلصقه بتلك الجهة ليزيد تلك الجهة فوق زيادة جهة أخرى مستخدمة للغاذية في جميع ذلك ، ولو كان الأمر الى الغاذية لسوت بينها أو افضلت الجهة التي نقصتها النامية .

(٤) قارن أرسطو : De Gen. et Corrup. I. 5. 322 a 16—33

(٥) المخطوطة : البلا .

الحركة في الأولى من كتاب الكون والفساد (١) .

فهذه قوة أخرى وهي في الغاذية كالصورة والأولى لها كالمادة ، إذ لا يمكن أن تكون (ورقة ١٤٥ ب) المنمية دون الغاذية (٢) ولذلك اذا بلغ الجسد تمامه الطبيعي صنعت الغاذية غذاء أقل ، وذلك بمقدار ما بقي مما يتحلل منه ، هذا فيما له هذان النوعان من أنواع النفس .

ولما كان كل جسم متغذٍ إما أن يكون متناسلاً أو غير متناسل ، فالمتناسل هو الذي لصورته قوة تحرك ما هو لذلك النوع جملةً بالقوة فتصيّره ذلك النوع بالفعل .

والفرق بين هذه وبين الغاذية ان الغاذية تصنع ما هو بالقوة جزءاً جزءاً فتصيّر بالفعل تلك الأجزاء أجزاءها وهذه تصنع ما هو بالقوة ذلك النوع جسما من ذلك النوع ولا تستعمل فيه أجزاءها ، وقد قيل كيف ذلك في السادسة عشر من الحيوان (٣) .

ونسبة هذا المكون في الجسم المتكوّن كنسبة الصناعة الى الكرمي ، فإن المكوّن على ما بين في ذلك الكتاب يكون في غير مادة المتكون كما يعرض ذلك في الصناعة .

---

(١) قارن ابن باجة ، الكون ، ورقة ٨١ الف : ولما كان الاختلاط قد يظن به انه نمو ولا اختلاط يظن انه اضمحلال لزمه ان يفحص أيضاً عن هذه الحركة ويميزها بما يخصها ، أيضاً أرسطو : De Gen. et Cor., I. c 10 .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 23 .

(٣) قارن أرسطو : De Gen et Cor. I. cc 17—20 ، خصوصاً ، De Gen. An. II. 1. 735 a 16 — 19 ; De An. II. 4. 415 a 29; I. 19. 726 b 1 — 20

وابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ١٦ ، حيدرآباد ، ص ١٤ .

ولخص ابن سينا بيان أفعال القوة الغاذية فقال : الشفاء ورقة ١٦٣ الف : وبالجملة فان القوة الغاذية مقصودة ليحفظ بها جوهر الشخص ، والقوة النامية مقصودة ليتم بها جوهر الشخص ، والقوة المولّدة مقصودة ليستبقى بها النوع .

وهذه القوة ليست في جسم بل هي عقل بالفعـل[1] على ما تبين هنالك .

(١) وقال ابن باجّة ويشير الى « ما بعد الطبيعة » لأرسطو : ورقة ٩٨ ب : قد تبين في (يو) من الحيوان ان القوة المصورة في المني قوة عقلية لأن فيها النوع مجرداً ولم يبين كيف ذلك . . . . انه بين ان الذي في المني هو قوة نوع الشخص المولد فقط فكيف ليت شعري تقبله ، وأيضاً فما هذا النوع وأي وجود وجوده فان النوع متى صار عقلاً بالفعل وذلك عند وجوده في القوة الناطقـة لم يمكن أن نعقل في موضوعاته لأنه غير مقترن بآلته » . وقال أيضاً : ورقة ١٠٧ ب : « بل الأمر على ما يقوله أرسطو انه مشارك بوجه ما للأجرام السماوية فانه يشبهها من جهة ان القوة التي فيه عقل بالفعل » . وقد صرّح أكثر من هذا في رسالته التي كتبها بعد رسالة الوداع ، ورقة ٢٢٠ ب : « ولذلك بقي بزرها (النفس المولدة) وبالجملة فاعلهـا أعني الحار النفساني سواء كان في بزر أو في الهواء أو الماء مبثوثاً النوع وفيه ما فيه نوع نفس النبات معقولاً وجوهر هذا الفاعل عقل إلهي كما يقوله أرسطو في السادسة عشر من كتاب الحيوان ، ولذلك لا يحتاج الى محرك آخر » . ولكن أرسطو لم يصرح قط بأن الفاعل « عقل إلهي » وهذه ألفـاظه : (De Gen. An. I. 19. 726 b 15—24) :
« . . . and what each of them is actually such as the semen potentially, either in virtue of its own mass or because it has a *certain power* in itself.»
ولعل ابن باجة وافق ابن سينا الذي يقول : « اذا خرج نفسنا من القوة الى الفعل في معقول واحد فصار له ذلك بالفعل ، فقد اتحد به العقل الفعال كما هو ، أو اتحد به شيء منه ، أو انما يمثل فيه أثر منه ، فان كان اتحد به العقل الفعال كما هو ، فقد صار عقلاً بالفعل في جميع المعقولات ، راجع عبد الرحمن بدوي : أرسطو عند العرب ، ص ٩٢ . تعليقات ابن سينا على كتاب النفس لأرسطو . ومأخذ ابن باجّة وابن سينا أيضاً ، هي كتب الفارابي فانه يقول : ان الفاعل الذي يخرج المعقولات من القوة الى الفعل شيء جوهره عقل بالفعل ومجرد عن المادة (انظر آراء أهل المدينة الفاضلة ، ديتريصي ص ٤٤) . وأشار اليه ابن باجة في رسالة الاتصال (مع تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٠٧) بقوله : فالعقل بالفعل هو المحرك الأول في الإنسان بالإطـلاق ، وظاهر أن العقل بالفعل قوة فاعلة . . . والقوة الناطقة تقال أولاً على الصور الروحانية من جهة انها تقبل العقل ، وتقال على العقل بالفعل ، وإياها يعني أبو نصر في تشككه بقوله : « هل هي موجودة في الطفل وغيرتها الرطوبة أو تحدث بأخرة ؟ » . وقول ابن باجّة يؤيده ما قال ابن الإمام في الحاشية : « يعني أن القوة التي تفعل الصورة الحاصلة في النوع ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالفعل مفارق . » ؛ قارن ابن رشد : تلخيص ، الأهواني ص ٧ ، حيدر آباد ص ٥ ؛ وكتاب النفس ، الأهواني ، ص ١٦٨ . ترجمته الفارسية ، بودليانا ، ورقة ٥٠ ب ١٥ .

والقوة الغاذية هي قوة في جسم لأنها هيولانية . فلذلك إذا فعلت هذه القوة في المادة الملائمة لها وكوّنتها أن تصير فيها ذلك النوع بعينـه ، كانت تلك الصورة محركة هذا النحو من التحريك (١) . فتبيّن أن فعل هذه القوة المكونة ليس بقوة غاذية ، بل هي شيء آخر (٢) .

وهذه القوة التي قلنا انها مكوّنة للنوع تبيّن انها ليست تكوّن بأن تصيّر آخر مثله (٣) لا على جهة ما يقال في الموضوع انه مثل الصنـاعة (٤) . وهذه القوة أبداً انما توجد مقترنة بجسم ما لتحرك ما لها أن تحرك وهو المتحرك بالقوة على ما تبيّن قبل .

وهذا الجسم الذي مثل هذا صورته قد وجد في الهواء وفي الماء . فيكون تكوّن أمثال هذه عن محرّكات أخر ، وذلك مثل العفونة في الحيوان الذي (٥) يتكوّن عنها (٦) . فهذه أجسام غير متناسلة ولكنها لم يعط أكثر من وجودها

(١) ابن باجة فرق مرة أخرى بين أفعال الغاذية وأفعال المولدة قائلاً بأن الغاذية اذا فعلت في المادة الملائمة لها وكونتها أن تصير فيها ذلك النوع كانت تلك الصورة محركة ، وهذا يوافق ما قال أرسطو ان الغاذية تحفظ الافراد والمولدة تحفظ النوع ، انظر De. An. II. 415 a 29 .

(٢) قارن ابن سينا ، الشفاء ، ورقة ١٦٣ الف : « فالغاذية تورد بدل ما يتحلل من الشخص ، والمولدة تورد بدل ما يتحلل من النوع » .

(٣) في المخطوطة تخريجة بحاشية الكتاب : « يعني أن القوة التي تفعل الصورة الحاصلة في النوع (المخطوط : النور) ليست قوة في الجسم بل هي عقل بالفعل مفارق ، وجع » .

(٤) يريد على غير منوال الصناعة التي تكوّن الصورة في الخشب ، ان القوة المكونة للنوع ليست تكوّن بأن تصير آخر مثله فقط بل هي توجد ابداً مقترنة بجسم ما .

(٥) المخطوطة : التي .

(٦) أرسطو وان لم ينكر التولد الاختيـاري (Spontaneous generation) ولكنـه انتقد على من قال ان بعض الحيوان يتولد عن العفونة قائلاً :

« Nothing comes into being by putrifying, but by concocting; putrefaction and the thing putrefied is only a residue of that which is concocted (cf. De Gen. An. III. 11. 762 a 14 and 15.) ».

ولكن كتاب النفس المنسوب لاسحق بن حنين يذكر هذا بلفظ يدل على أن أرسطو –

فقط . واحتاج نوعها في استمرار وجوده الى نوع آخر . وأنواع الأجسام المتنفسة المتناسلة هي التي أعطيت مع وجودها قوة تعطيها اتصال وجودها . فان التالي (١) بحال الاتصال ، وهو بوجه ما اتصل وجود (٢) . وهو أنقص مراتب الوجود الضروري (٣) .

فأما الأنواع غير المتناسلة فاتصالها (٤) هو انتظام أدوار وجودها ، وهو أخس مراتب الوجود الضروري . فالمتناسل هو وسط بين أشرف مراتب الوجود وهو الوجود (٥) الضروري الاطلاق ، وبين أخس مراتب الوجود وهو الذي معنى الضروري فيه (٦) الانتظام .

ولما لم يكن في (ورقة ١٤٦ الف) [الأجسام] الهيولانية الوجود الضروري أعطيت التناسل عوضاً منه .

والتناسل يكون بأن تكون فيه قوة يحرك بها الغذاء حتى يصير منه جسم له مثل هذه القوة أعني قوة التكوين ، وقد قيل (٧) كيف حال هذا الجسم .

— اعتقد « ان الزنابير والدود وكل دابة تتولد من العفن لا وم لها » انظر تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٧ . وأما ابن باجّة وابن رشد فهما يقولان به ، تلخيص ، الأهواني ، ص ١٥٧ ، س ١٨ ؛ ص ١٧٤ ، س ١ . وكأنهما أخذا عما قال أرسطو ، راجع Meteorology. IV. 1. 379 b 6 ؛ أيضاً b 5 ٣٨٩ .

(١) أرسطو عرّف التالي فقال :

« That which is after the beginning (the order being determined by position or form on in some other way) and has nothing of the same class between it and that which it succeeds (Met. 1068 b 30) ».

(٢) ابن باجة يذكر « اتصال الوجود » فيما بعد ، راجع النص ورقة ١٤٨ الف .

(٣) المخطوطة : الضروري الوجود .

(٤) المخطوطة : واتصالها .

(٥) المخطوطة : الموجود .

(٦) المخطوطة : فيها .

(٧) النص نفسه ورقة ١٤٥ ب .

وهذا يسمى البزر فيما له بزر ، وقد لخص عنه في كتاب الحيوان [١] .

فهذه القوة هي كالصورة لتلك ، وكأنها طرف [٢] حركة المنمية ، فلذلك انما تفعل هذه اذا قارنت تلك لكمال تحريكها . وتكون الغاذية كالمادة لهذه ، <و> المنمية كالتوطئة ، وهذه كالغاية [٣] ، ولسنا نجد للغاذية قوة أكمل من هذه .

ويبّن ان الغاذية تصنع دائماً في أمثال هذه الأجسام غذاء أكثر مما يدعو [٤] اليه حفظ الجسد الذي هي فيه . وان تلك الزيادة [٥] تنصرف أولاً الى النمو فاذا كمل كان منها البزر . والبزر هو فضلة الغذاء الأخير . ولذلك لا تعدم قوة التوليد إلا عند الهرم [٦] . فتكون الغاذية إنما تقتصر منهـا على حفظ الجسد فقط ، وعند ذلك تنفرد الغاذية عن هذه وتوجد وحدها فقط .

فقد تبين ما النفس الغاذية ، ولمَ هي ، وأيّ الآلات آلتها ، وهذه وقواها في موضوع واحد ــ سواء كان جزءاً واحداً أو كان متتابعاً فيها ــ على ما نجده في كثير من النبات وفي حيواناتٍ ما .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

(١) ابن باجة ، ورقة ١٠٨ ب : وهي التي هي موضوعة لتفعل منها البزر وهي الطمث ويسميه أرسطو بزراً . قارن أرسطو De Gen. An. I. 16. 721 b 5 .

(٢) ابن رشد استعمل « تمام » موضع « طرف » ، تلخيص ، الأهواني ص ١٩ .

(٣) المخطوطة : كالغاذية .

(٤) المخطوطة : يدعوا .

(٥) ابن رشد استعمل « الفضلة » موضع « الزيادة » ، تلخيص ، الأهواني ص ١٩ .

(٦) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٢٠ ب : بل النفس المنمية توجد في أول العمر وتعدم بعد ذلك ، والنفس المولدة لا توجد في أول عمر الجسم الحي ، ثم توجد بعد ذلك ولا تعدم الا بعرض وقد شوهد شيوخ تنسلوا بعد الثمانين » .

كتاب فتيا فقيه العرب

لأبي الحسين أحمد بن فارس اللُّغويّ

— ١ —

تصدير :

عثرت على هذا الكتاب القيّم ، لأبي الحسين أحمد بن فارس ، اللغويّ الكبير المعروف ؛ المتوفى سنة ٣٩٥ هـ ، في دار الكتب الرضوية (كتابخانه آستانه قدس رضوى) ـ بمشهد ، في خراسان ـ الحافلة بكثير من الكتب المخطوطة ، والوثائق ، والأسفار ، والأعلاق العربية النفيسة .

وهذا الكتاب النادر في الوجود ، من ذخائر تلكم الخزانة الجامعة الرائعة ؛ رقمه « ٤٣٧٩ / ٨٤ أدبيات » وهو مكتوب بخط سيف الدين بن خميس النجفي سنة ١٠٠٢ هـ ؛ نقله من النسخة التي كتبها لنفسه ، أبو علي ، نظام الشرف ابن قوام الشرف بن شاهنشاه بن محمد بن الحسين ، الحسني ، الاصفهـاني ، ليلة الثلاثاء ، غرة شهر ذي القعدة ، من سنة سبع وعشرين وستمائة (٦٢٧ هـ) ؛ التي قرأها على السيد المرتضى ، كمال الدين ، أبي الفتوح ، حيدر بن محمـد ابن زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله ، الحسيني ؛ نقيب الموصل ، حادي عشر ذي الحجة ، من السنة المذكورة ، ورواها عنه باسناده الموصول بابن فارس .

عدة أوراق النسخة الأصل ، المحفوظة بدار الكتب المذكورة ؛ ١٢ ورقة ، طولها ٢٠/٤ سنتيمتراً ، في عرض ١٣/٨ . وفي كل صفحة ١٢ سطراً . وهي مكتوبة بخط جميل ، يكاد يميل إلى التعليق .

أما الكتاب ؛ فقد رواه ـ عن ابن فارس ـ القاضي أبو زرعة ، روح بن محمد بن أحمد بن اسحق ، الرازي ، المتوفى سنة ٤٢٣ هـ[1] . ورواه عنـه ،

(١) طبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٣٠٧ . وتراجم اسناد أوّل الكتاب .

الخطيب البغدادي ، المتوفى سنة ٤٦٣ هـ [1] ، وأبو القاسم سعد بن علي بن محمد ابن علي بن الحسين ، الزنجاني ، المتوفى سنة ٤٧١ هـ [2] .

وقد نقل بعضَ فقره ، جماعةٌ من أهل الأدب ؛ منهم :

القاضي ، أبو العباس ، أحمد بن محمد ، الجرجاني ، الثقفي ، المتوفى سنة ٤٨٢ هـ ، في كتاب (المنتخب من كنايات الأدباء ، واشارات البلغاء) [3] .

وتاج الدين السبكي ، المتوفى سنة ٧٧١ هـ ، في (طبقات الشافعية الكبرى) [4] .

وكمال الدين الدميري ، المتوفى سنة ٨٠٨ هـ ، في (النجم الوهاج) ؛ شرح منهاج الطالبين ، للنووي [5] .

وجلال الدين السيوطي ، المتوفى سنة ٩١١ هـ ، في (المزهر) [6] .

وابن نبهان في (الدرة الأدبية) [7] .

وقد سمّاه ابن خلكان (مسائل في اللغة وتعايا بها الفقهاء) [8] ، واليافعي (مسائل في اللغة يتعانى الفقهاء) [9] ، وجلال الدين السيوطي (مسائل في اللغة يغالي بها الفقهاء) [10] . وقد أصاب شهاب الدين أحمد بن علي الدلجي ؛ إذ دعاه (مسائل في اللغة يعايى بها الفقهاء) [11] [12] [13] .

---

(١) المرجع المذكور ج ٢ ص ٣٠٧ .
(٢) تراجع اسناد أوّل الكتاب .
(٣) المنتخب من كنايات الأدباء ص ٨٦ .
(٤) طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٧ .
(٥) المزهر ج ١ ص ٦٣٧ .
(٦) المرجع المذكور ج ١ ص ٦٣٥ و ٦٣٧ .
(٧) المرجع نفسه ج ١ ص ٦٣٧ .
(٨) وفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٠ .
(٩) مرآة الجنان ج ٢ ص ٤٤٢ .
(١٠) بغية الوعاة ص ١٥٣ .
(١١) الفلاكة والمفلوكون ص ١٠٨ .
(١٢) وسمّاه ناشر الصاحبي ، الصفحة / يب : فتاوى فقيه العرب .
(١٣) وفصّل الكلام عليه – كذلك – محمد عبد السلام هارون ، في مقدّمة كتاب مقاييس اللغة ج ١ ص ٣٣ .

وذكره كمال الدين أبو البركات ابن الأنباري ، في نزهة الألباء[١] ، والقفطي ، في إنباه الرواة[٢] .

ولعل آخر من رآه ـ ممن اطلعنا على خبره ـ السيوطي ؛ ولكنه لم يظفر به ، في أثناء تأليف كتاب (المزهر) ؛ قال ، في الفصل الثالث ، من النوع التاسع والثلاثين ؛ (في فتيا فقيه العرب) : « وذلك ـ أيضاً ـ ضرب من الألغاز . وقد ألف فيه ابن فارس ، تأليفاً لطيفا ، في كراسة ، سماه بهذا الاسم ، رأيته قديماً ، وليس هو ـ الآن ـ عندي[٣] .

ونحا نحوه ، الحريري ، المتوفى سنة ٦١٥ هـ ، ومنه اقتبس ذلك الأسلوب ، ووضع المسائل الفقهية[٤] ، في المقامة الثانية والثلاثين ، وهي (المقامة الطيبية)[٥] .

وقد قابلت هذا الكتاب ، بالملاحن[٦] ، لابن دريد ؛ المتوفى سنة ٣٢١ هـ ، وعارضته بالمقامة الطيبية ، ورجعت الى المزهر ، والمنتخب من كنايات الأدباء ، والطبقات للسبكي . واستندت في تحقيقه وتصحيحه وضبطه وايضاحه والتعليق عليه ؛ الى ما ملكت يدي من أصول التاريخ ، وكتب الأدب ، واللغة ، ودواوين الشعر . وتوفرت على ذكر تراجم من وردت أسماؤهم فيه ، ثم رتبت الألفاظ التي فسرها ، على حروف المعجم ، وذيلت بها الكتاب .

---

(١) نزهة الألباء ص ٣٩٤ .
(٢) إنباه الرواة ج ١ ص ٩٤ .
(٣) المزهر ج ١ ص ٦٢٢ .
(٤) بغية الوعاة ص ١٥٣ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ١٠٠ .
(٥) تراجع شرح المقامات الحريرية ج ٢ ص ١١٨ .
(٦) الملاحن ص ٩ و ١١ و ١٥ و ٢١ و ٢٩ و ٣٠ و ٣٢ و ٣٣ و ٤٥ و ٤٨ و ٥٥ ــ ٦ و ٥٨ و ٦٠ و ٩٠ .

مراجع التحقيق والتعليق

أدب الكاتب : ابن قتيبة الدينوري (مصر ١٣٤٦) .

أساس البلاغة : الزمخشري (مصر ١٣٤١) .

إصلاح المنطق : ابن السكيت (مصر ١٣٦٨) .

الأضداد : ابن السكيت (بيروت ١٩١٢) .

الأضداد : الأصمعي (بيروت ١٩١٢) .

الأضداد : السجستاني (بيروت ١٩١٢) .

الأضداد : الصغاني (بيروت ١٩١٢) .

الأضداد : أبو بكر بن الأنباري (مصر ١٣٢٥) .

أعيان الشيعة : السيد محسن الأمين العاملي (دمشق ١٣٦٨) .

الأغاني : أبو الفرج الاصفهاني (مصر ١٣٢٠) .

أمالي المرتضى : الشريف المرتضى (مصر ١٣٢٣) .

إنباه الرواة على أنباه النحاة : القفطي (مصر ١٣٦٩ — ٧٤) .

بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار : محمد باقر بن محمد تقي المجلسي (ايران ١٣٠٥) .

البداية والنهاية : ابن كثير (مصر ١٣٤٨ — ٥٨) .

بغية الوعاة : الجلال السيوطي (مصر ١٣٢٦) .

تاج العروس : السيد محمد مرتضى الزبيدي (مصر ١٣٠٧) .

تاريخ آداب اللغة العربية : جرجي زيدان (مصر ١٩٣٠) .

تاريخ أبي الفداء (قسطنطينية ١٢٨٦) .

تاريخ بغداد : الخطيب البغدادي (مصر ١٣٤٩) .

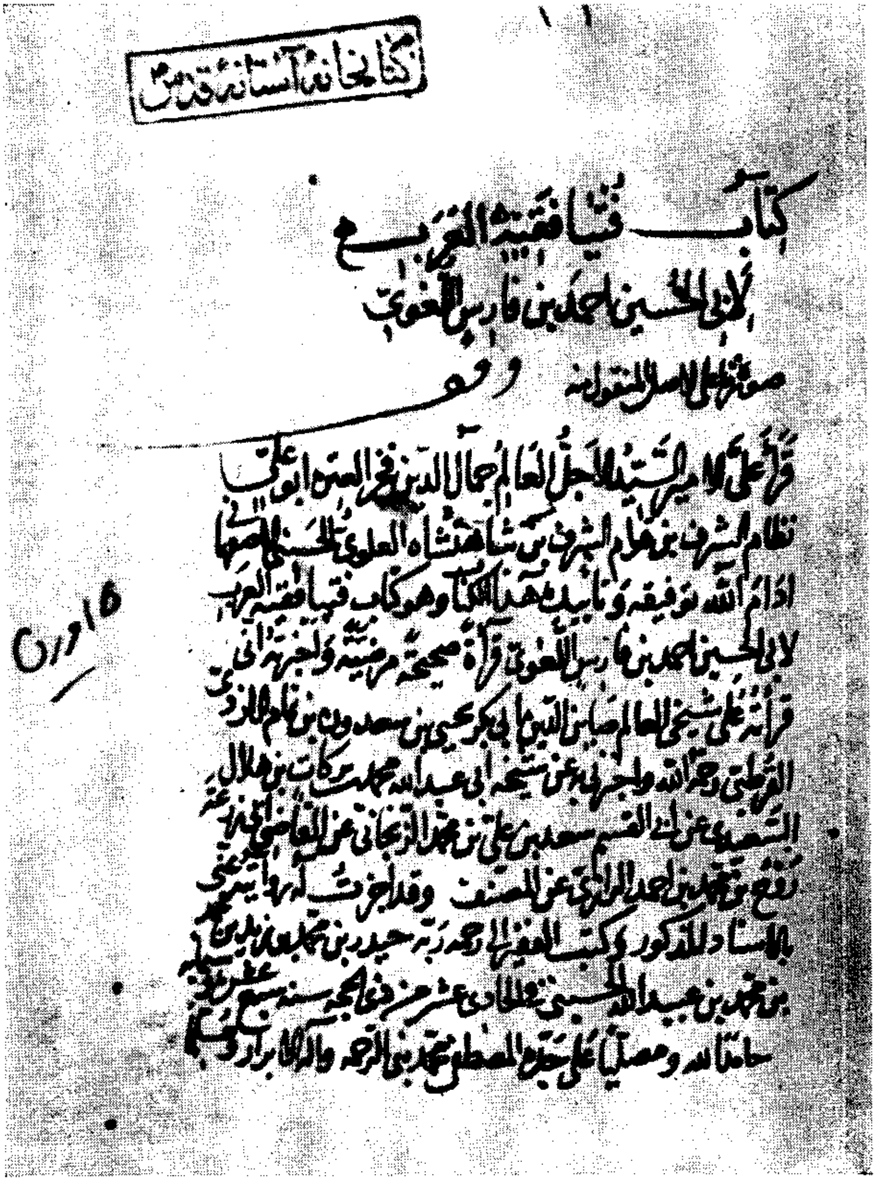
تذكرة المتبحرين في أحوال العلماء المتأخرين : محمد بن الحسن الحر العاملي (ايران ١٣٠٢) .

تفسير البيضاوي (المكتبة التجارية الكبرى / مصر ؟) .
التكملة لكتاب الصلة : ابن الأبار (مجريط ١٨٨٧) .
تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات : محب الدين افندي (مصر ١٣٠٧) .
تهذيب الألفاظ : ابن السكيت (بيروت ١٨٩٥) .
ثمار القلوب : الثعالبي (مصر ١٣٢٦) .
جمهرة أشعار العرب : أبو زيد القرشي (مصر ١٣٠٨) .
جمهرة اللغة : ابن دريد (حيدر آباد الدكن ١٣٤٥) .
حاشية تفسير البيضاوي : أبو الفضل القرشي الصديقي الكازروني (هامش التفسير) .
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة : الجلال السيوطي (مصر ١٣٢٧) .
خريدة القصر وجريدة العصر : العماد الاصفهاني (مصر ١٣٧٠) .
خزانة الأدب : عبد القادر البغدادي (بولاق ١٢٩٩) .
الدرر اللوامع على همع الهوامع شرح جمع الجوامع : أحمد بن الأمين الشنقيطي (مصر ١٣٢٨) .
الديباج المذهب في أعيان المذهب : ابن فرحون اليعمري (مصر ١٣٥١) .
ديوان الأخطل (بيروت ١٨٩١) .
ديوان شعر ذي الرمة (كمبريج ١٣٣٧) .
ديوان شعر لبيد (ليدن ١٨٩١) .
روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات : ميرزا محمد باقر الموسوي الخوانساري (ايران ١٣٦٧) .
ريحانة الأدب في تراجم المعروفين بالكنية أو اللقب : محمد علي المدرس التبريزي (طهران ١٣٢٦ — ٣٣ ش) .
السامي في الأسامي : الميداني (ايران ١٢٦٥) .
سر صناعة الاعراب : ابن جني (مصر ١٣٧٤) .
شجر الدر : أبو الطيب اللغوي (مصر ١٩٥٧) .

شذرات الذهب في أخبار من ذهب : ابن العماد (مصر ١٣٥٠ — ١) .
شرح ديوان زهير بن أبي سلمى : ثعلب (مصر ١٣٦٣) .
شرح الشافية لابن الحاجب : الرضى الاستراباذي (مصر ١٣٥٨) .
شرح شواهد شرح الشافية : عبد القادر البغدادي (مصر ١٣٥٨) .
شرح المفصل : ابن يعيش (دار الطباعة المنيرية بمصر) .
شرح المفضليات : الأنباري (بيروت ١٩٢٠) .
شرح المقامات الحريرية : الشريشي (مصر ١٣٠٠) .
شرح المقامات الحريرية : المطرزي (ايران ١٢٧٢) .
شرح المقصورة الدريدية : ابن دريد (قسطنطينية ١٣٠٠) .
شرح نهج البلاغة : ابن أبي الحديد (مصر ١٣٢٩) .
الصاحبي : ابن فارس (مصر ١٣٢٨) .
الصبح المنير في شعر أبي بصير/الأعشى (بيانة ١٩٢٧) .
صحاح اللغة : الجوهري (مصر ١٢٨٢) .
ضبط الأعلام : احمد تيمور باشا (مصر ١٣٦٦) .
طبقات الشافعية : أبو بكر بن هداية الله الحسيني المصنف (بغداد ١٣٥٦) .
طبقات الشافعية الكبرى : السبكي (مصر ١٣٢٤) .
طبقات الفقهاء : أبو اسحق الشيرازي (بغداد ١٣٥٦) .
طبقات النحويين واللغويين : أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي (مصر ١٣٧٣) .
غاية النهاية في طبقات القراء : الجزري (مصر ١٣٥٢) .
الفائق في غريب الحديث : الزمخشري (مصر ١٣٦٦) .
فقه اللغة : الثعالبي (مصر ١٣٧١) .
الفلاكة والمفلوكون : شهاب الدين أحمد بن علي الدلجي (مصر ١٣٢٢) .
الفهرست : ابن النديم (مصر ١٣٤٨) .

فوائد الرضوية في أحوال علماء المذهب الجعفرية : الشيخ عباس القمي (طهران ١٣٢٧ ش) .
القاموس المحيط : الفيروزابادي (مصر ١٣٥٤) .
الكامل : المبرد (مصر ١٣٥٥) .
الكامل في التاريخ : ابن الأثير (مصر ١٣٤٨) .
كتاب الإبل عن الأصمعي / الكنز اللغوي في اللسن العربي (بيروت ١٩٠٣) .
كتاب العصا : أسامة بن منقذ / نوادر المخطوطات ٢ (مصر ١٣٧١) .
كتاب شرح أشعار الهذليين : السكري (لندن ١٨٥٤) .
الكشاف : الزمخشري (مصر ١٣٦٥) .
كشف الظنون : حاجي خليفة (تركية ١٣٦٠ — ٢) .
الكنى والألقاب : الشيخ عباس القمي (صيدا ١٣٥٨) .
لسان العرب : ابن منظور (دار صادر ودار بيروت) .
مجازات الأحاديث النبوية : الشريف الرضي (مصر ١٣٥٦) .
مجمع البيان لعلوم القرآن : الطبرسي (صيدا ١٣٣٣ - ٥٦) .
المجمل : ابن فارس (مصر ١٣٦٦) .
المخصص : ابن سيده (بولاق ١٣١٦ — ٢١) .
مرآة الجنان وعبرة اليقظان : اليافعي (حيدرآباد ١٣٣٨) .
مراتب النحويين : أبو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي الحلبي (مصر ١٣٧٥) .
مروج الذهب : المسعودي (مصر ١٣٥٧) .
المزهر : الجلال السيوطي / تحقيق البجاوي (مصر) .
معادن الجواهر : السيد محسن الأمين العاملي (دمشق ١٣٥١) .
المعاني الكبير : ابن قتيبة الدينوري (حيدرآباد الدكن ١٣٦٨) .
معجم الأدباء : ياقوت الحموي (مصر ١٣٥٧) .

معجم البلدان : ياقوت الحموي (مصر ١٣٢٣) .
معجم المطبوعات العربية والمعربة : يوسف اليان سركيس (مصر ١٣٤٦) .
المعرّب : الجواليقي (مصر ١٣٦١) .
المفردات في غريب القرآن : الراغب الاصفهاني (طهران ١٣٧٣) .
مقاييس اللغة : ابن فارس (مصر ١٣٦٦ — ٧١) .
الملاحن : ابن دريد (مصر ١٣٤٧) .
المنتخب من كنايات الأدباء واشارات البلغاء : القاضي أبو العباس الجرجاني (مصر ١٣٢٦) .
المنتظم : ابن الجوزي (حيدر آباد الدكن ١٣٥٧ – ٨) .
المنصف : ابن جني (مصر ١٣٧٣) .
الموازنة : الآمدي (مصر ١٣٧٣) .
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة : ابن تغري بردي (مصر ١٣٤٧ — ٥٥) .
نزهة الألباء : الكمال بن الأنباري (مصر ١٢٩٤) .
النهاية في غريب الحديث والأثر : ابن الأثير (مصر ١٣١١) .
النوادر في اللغة : أبو زيد الأنصاري (بيروت ١٨٩٤) .
هدية الأحباب في ذكر المعروفين بالكنى والألقاب : الشيخ عباس القمي (طهران ١٣٤٩) .
هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين : اسماعيل باشا البغدادي (استانبول ١٩٥١ — ٥) .
الوافي بالوفيات : الصفدي (استانبول ١٩٤٩) .
وفيات الأعيان : ابن خلكان (مصر ١٣٦٧ — ٩) .

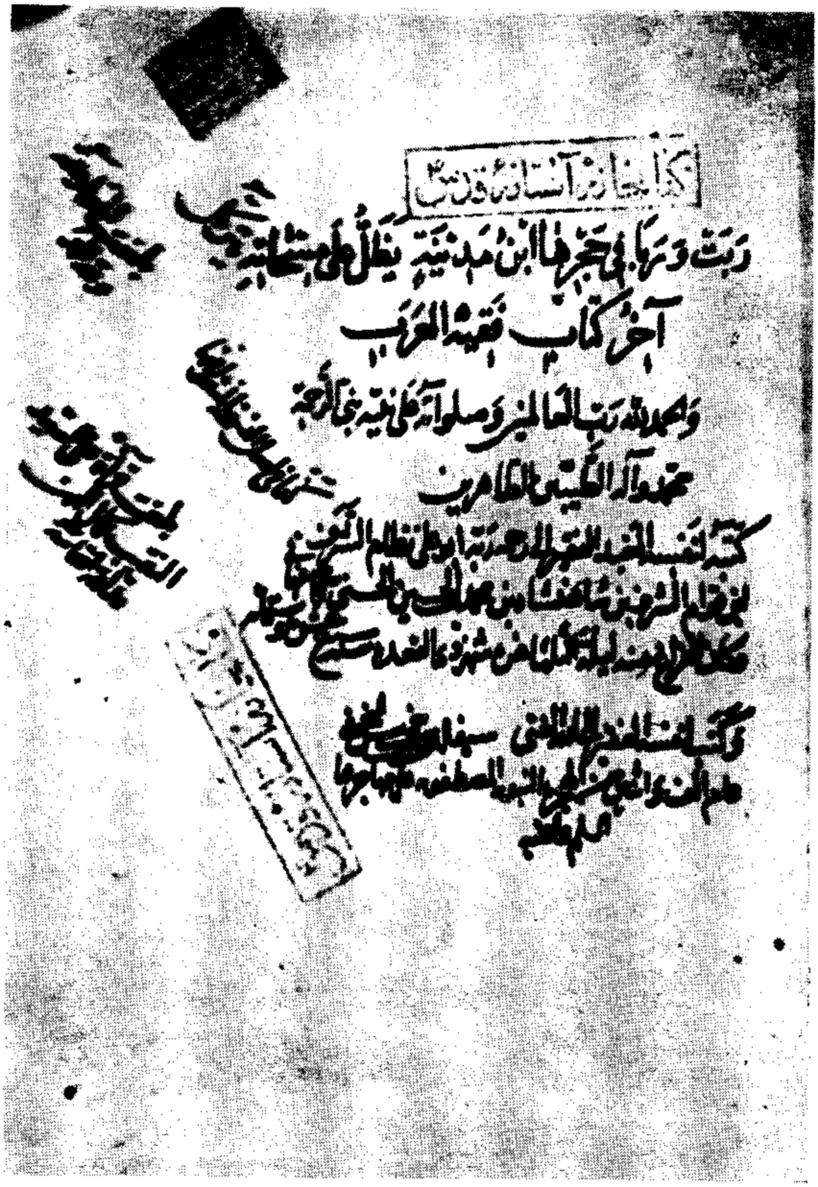


كتاب فتيا فقيه العرب
لأبي الحسين احمد بن فارس اللغوي

صح مقابلة على الأصل المنقول منه

قرأ عليّ الأمير السيد الأجل العالم جمال الدين فخر العترة ابو علي
نظام الشرف بن همام الشرف بن شاهنشاه العلوي الحسني الاصفهاني
ادام الله توفيقه وتأييده هذا الكتاب وهو كتاب فتيا فقيه العرب
لأبي الحسين احمد بن فارس اللغوي قراءة صحيحة مرضية واخبرته اني
قرأته على شيخي العالم صاين الدين ابي بكر يحيى بن سعدون بن تمام الازدي
القرطبي رحمه الله واخبرني عن شيخه ابي عبد الله محمد بن بركات بن هلال
السعيدي عن ابي القسم سعد بن علي بن محمد الزنجاني عن القاضي ابي زرعة
روح بن محمد بن احمد الرازي عن المصنف وقد اجزت له روايته عني
بالاسناد المذكور وكتب الفقير الى رحمة ربه حيدر بن محمد بن زيد بن محمد
بن محمد بن عبيد الله الحسيني في الحادي عشر من ذي الحجة سنة سبع عشرة وستمائة
حامداً لله ومصلياً على خير المصطفى محمد نبي الرحمة وآله الابرار وسلم

صورة الصفحة الأولى من الأصل



آخر كتاب فقيه العرب

والحمد لله رب العالمين وصلواته على نبيه محمد وآله الطيبين الطاهرين

صورة الصفحة الآخرة من الأصل

[f. 1a] كتاب فتيا فقيه العرب

لأَبي الحسين ، أحمد بن فارسٍ اللغويّ

صورة ما على الأصل المنقول منه :

قرأ عليّ ، السيد الأجل العالم ، جمال الدين ، فخر العترة ، أبو علي ، نظام الشرف بن قوام الشرف بن شاهنشاه ، العلوي ، الحسني ، الاصفهاني ـ أدام الله توفيقه وتأييده ـ هذا الكتاب ؛ وهو كتاب «فتيا فقيه العرب» لأبي الحسين ، أحمد بن فارس ، اللغوي ، قراءةً صحيحة مرضية .

وأخبرته ؛ أني قرأته على شيخي العالم ، صاين الدين ، أبي بكر ، يحيى ابن سعدون ابن تمام ، الأزديّ ، القرطبي [1] ـ رحمه الله ـ وأخبرني به عن شيخه ، أبي عبد الله ، محمد بن بركات بن هلال ، السعيدي [2] ، عن

(١) هو يحيى بن سعدون بن تمام ، ضياء الدين ، أبو بكر ، الأزدي ، القرطبي . ولد بقرطبة سنة ٤٨٦ هـ . وتوفي يوم الفطر سنة ٥٦٧ هـ ـ بالموصل .
له ترجمة في غاية النهاية ج ٢ ص ٣٧٢ ، والتكملة لكتاب الصلة ج٢ ص ٧٢٤ ، والنجوم الزاهرة ج ٦ ص ٦٦ ، ومرآة الجنان ج ٣ ص ٣٨٣ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٢٢٥ ، والكامل ج ٩ ص ١١٤ ، والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٢٧٠ ، ووفيات الأعيان ج ٥ ص ٢١٩ ـ ٢١ ، ومعجم البلدان ج ٧ ص ٥٤ ؛ مادة (قرطبة) .

(٢) هو محمد بن بركات بن هلال بن عبد الواحد ، السعيدي ، النحوي ، أبو عبد الله . ولد سنة ٤٢٠ هـ . ومات في ربيع الآخر سنة ٥٢٠ هـ .
له ترجمة في إنباه الرواة ج ٣ ص ٧٨ ـ ٩ ، وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨ ، وخريدة القصر ج ٢ ص ٤٢ ـ ٣ ، وكشف الظنون ج ١ ص ٧١٥ ، ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٣٩ ـ ٤٠ ، ومرآة الجنان ج ٣ ص ٢٢٥ ، وشذرات الذهب ج ٤ ص ٦٢ ، والوافي بالوفيات ج ٠ ص ٢٤٧ ، وبغية الوعاة ص ٢٤ .

أبي القاسم ، سعد بن علي بن محمد ، الزنجاني [١] ؛ عن القاضي ، أبي زرعة ، روح بن محمّد بن أحمد الرازي [٢] ، عن المصنف .

وقد أجزت له روايته عنّي ؛ بالاسناد المذكور .

وكتب الفقير إلى رحمة ربّه ، حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد ابن عبيد الله ، الحسيني [٣] ؛ في الحادي عشر من ذي الحجة ، سنة سبع وعشرين وستمائة ؛ حامداً لله ، ومصلياً على جدّه المصطفى محمد ، نبي الرحمة ، وآله الأبرار ، ومسلّما .

---

(١) هو سعد بن علي بن محمد بن علي بن الحسين ، أبو القاسم ، الزنجاني . ولد سنة ٣٨٠ هـ ، وتوفي سنة ٤٧١ هـ .
له ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ١٦٦ – ٧ ، ومرآة الجنان ج ٣ ص ١٠٠ – ١٠١ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٣٩ – ٤٠ ، والبداية والنهاية ج ١٢ ص ١٢٠ ، والمنتظم ج ٨ ص ٣٢٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ١٠٨ .

(٢) هو روح بن محمد بن أحمد بن محمد بن اسحاق ، أبوزرعة ، الرازي ، القاضي . توفي بالكرج ، سنة ٤٢٣ هـ .
له ترجمة في طبقات الشافعية للسبكي ج ٣ ص ١٦٥ ، والبداية والنهاية ج ١٢ ص ٣٤ ، والمنتظم ج ٨ ص ٧٠ ، وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٤١٠ .

(٣) هو السيد حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله ، كمال الدين ، أبو الفتوح ، المرتضى ، نقيب الموصل ؛ من تلاميذ محمد بن علي بن شهراشوب المازندراني ، وعلي بن سعيد بن هبة الله الراوندي ، وعبد الله بن جعفر الدوريستي . وهو صاحب كتاب (غرر الدرر) الذي استمد منه العلاّمة محمد باقر بن محمد تقي المجلسي ، في بحار الأنوار .
له ترجمة في أعيان الشيعة ج ٢٩ ص ٣٩ – ٤١ ، وفوائد الرضوية ج ١ ص ١٦٧ ، وتذكرة المتبحرين ص ٤٣ ، وبحار الأنوار ج ١ ص ٨ و ١٤ .

[f. 1 b] بسم الله الرحمن الرحيم

وصلّى الله على محمد وآله

أخبرنا الشيخ الإمام الأوحد العالم ، صاين الدين ، جمال الإسلام ، تاج الأئمة ، زين القرّاء ؛ أبو بكر ، يحيى بن سعدون بن تمام ، الأزدي ، القرطبي ـ أدام الله سعادته ـ قراءةً عليه ،

قال : أخبرنا الشيخ الأجل ، أبو عبد الله ، محمد بن بركات بن هلال ، النحوي ، اللغوي ، السعيدي ، سماعاً عليه ؛ في منزله ـ وهو يقرأ عليه ، من أصل سماعه ـ سنة خمس عشرة وخمسمائة ؛

قال : أخبرنا الشيخ ، أبو القاسم ، سعد بن علي بن محمد ، الزنجاني ، بمكة ـ حرسها الله ، تعالى ـ سنة ست وخمسين وأربع مائة ؛

قال : أخبرني القاضي [f. 2 a] أبو زرعة ، روح بن محمد بن أحمد ، الرازي ـ وكان جده أبو بكر ، أحمد بن محمد بن اسحق ، السني ، الدينوري [1] ـ بقراءتي عليه ،

قال : كان أبو الحسين ، أحمد بن فارس بن زكريا ، واسع الآداب [2] ،

---

(١) هو أحمد بن محمد بن اسحق بن ابراهيم بن اسباط ؛ مولى جعفر بن أبي طالب ؛ الدينوري ، الحافظ ، أبو بكر ، ابن السني . مات في آخر سنة ٣٦٤ هـ . له ترجمة في طبقات الشافعية ، للسبكي ج ٢ ص ٩٦ ، ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٨٠ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٤٧ – ٨ .

(٢) في إنباه الرواة ج ١ ص ٩٤ : الأدب .

متبحراً في اللغة العربية [١] [٢] ، وكان يناظر في الفقه ، وينصر مذهب مالك [٣] ، ويناظر في الكلام ، وينصر مذهب أهل السنة [٤] . وطريقته في النحو طريقة الكوفيين .

وإذا وجد فقيها ، أو متكلماً ، أو نحويا ؛ يأمر [٥] أصحابه بسؤالهم إياه ، ويناظر [٦] في مسائل ؛ من جنس العلم الذي يتعاطاه ، فإن وجده بركاً [٧] جدلا ، جرّه في المجادلة إلى اللّغة ، فيغلبه بها .

وكان يحث الفقهاء دائماً على [٨] اللغة ، ويلقي عليهم مسائل ؛ ذكرها في كتاب ؛ سمّاه [٩] «فتيا فقيه العرب» ، ويخجلهم بذلك ؛ ليكون الخجل [١٠] لهم ، داعية [١١] إلى حفظ اللغة . ويقول : من قصر علمه عن اللغة ، [f. 2 b] غوالط ؛ فغلط [١٢] .

(١) في المرجع المذكور : العربية .
(٢) في المرجع نفسه ؛ زيادة : فقيهاً شافعيا » . أقول : وقد عدّه ابن فرحون اليعمري ؛ في كتاب (الديباج المذهب) ص ٣٥ ـ ٦ ، مالكياً . وتراجع النجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢ ، ومعجم الأدباء ج ٤ ص ٨٣ ، ونزهة الألباء ص ٣٩٣ .
(٣) في إنباه الرواة ؛ زيادة : بن أنس .
(٤) لا توجد هذه الجملة فيما نقله القفطي ، في ترجمته ، في إنباه الرواة ج ١ ص ٩٤ .
(٥) في إنباه الرواة ج ١ ص ٩٤ : كان يأمر .
(٦) في المرجع المذكور : ويناظره .
(٧) في المرجع نفسه : بارعا .
(٨) في المرجع نفسه : معرفة اللغة .
(٩) في المرجع نفسه : كتاب ...
(١٠) في المرجع نفسه : خجلهم .
(١١) في المرجع نفسه : داعياً إلى .
(١٢) في المرجع نفسه : وغولط غلط .

وقال لنا ، أبو الحسين (١) : سألت فقيهاً ، من فقهاء الجبل (٢) ـ وأنا ، إذ ذاك ، في فتاء من سنّي ـ فقلت : ما تقول في امرأةٍ ، خافت على حملها ، هل لها الفطر ؟

فقال : نعم .

فقلت : أجمع الناس على أنه ليس لها . فاستشاط .

قال : وقال سلم بن محمد : حضرت مجلس أبي العباس بن سريج (٣) ، فوقف عليه رجل ، فقال : أيجب على المتوضئ غسل شاكله ؟

فلم يعلم أبو العباس ما قال .

والشاكل ؛ البياض بين الأُذن ، والصدغ ؛ عن ابن فارس (٤) .

قال أبو الحسين : وهذا ابن داود (٥) ، قد أنكر على الشافعي ، مقالته في القروء ؛

---

(١) هو ابن فارس ؛ مؤلّف هذا الكتاب .

(٢) الجبل : اسم جامع للأعمال التي يقال لها الجبال . . . وهي ما بين زنجان وقزوين وهمدان وقرميسين (= كرمانشاه) والري . تراجع معجم البلدان ج ٢ ص ٥٠ ؛ مادة (الجبل) ، و ص ٤٤ – ٥ ؛ مادة (الجبال) .

(٣) هو أحمد بن عمر بن سريج ، أبو العباس ، القاضي ببغداد . توفي سنة ٣٠٦ هـ له ترجمة في الفهرست ص ٢٩٩ ، وتاريخ بغداد ج ٤ ص ٢٨٧ – ٩٠ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٤٩ – ٥١ ، وشرح المقامات الحريرية للمطرزي ص ٧٤ – ٥ ، وشرح المقامات الحريرية للشريشي ج ١ ص ١٦٦ – ٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٨٧ – ٩٦ . وطبقات الشافعية ص ١١ – ١٢ ، وطبقات الفقهاء ص ٨٩ – ٩٠ ، ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٤٦ – ٨ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤٧ – ٩ ، والكامل ج ٦ ص ١٦٢ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ١٢٩ ، والمنتظم ج ٦ ص ١٤٩ – ٥٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٩٤ ، وروضات الجنات ص ٥٧ – ٨ ، والكنى والألقاب ج ١ ص ٢٩٥ .

(٤) تراجع مقاييس اللغة ج ٣ ص ٢٠٥ ؛ مادة (شكل) .

(٥) هو محمد بن داود بن علي بن داود بن خلف ، الاصفهاني ، الظاهري ، الفقيه ؛ أبو بكر . توفي سنة ٢٩٧ هـ .

له ترجمة في الفهرست ص ٣٠٥ ، وطبقات الفقهاء ص ١٤٨ – ٩ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٣٩٠ – ٢ ، ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٢٨ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢٦ ، والكامل ج ٦ ص ١٣٧ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ١١٠–١١١ ، والمنتظم ج ٦ ص ٩٣ – ٩٥ ، وروضات الجنات ص ٢٤٧ « ترجمة داود ، والده » ، والفلاكة والمفلوكون ص ١٠٨ – ٩ ، والكنى والألقاب ج ٢ ص ٤١٣ .

انّها الأطهار (١) ؛ واستشهاده بقريت الماء في الحوض (٢) .

ولو علم ابن داود [f. 3 a] مغزى الشافعي ، لعرف مكان الشافعي من اللغة .

قال لنا أبو الحسين : «وسمعت أبا بكر ، محمد بن الحسين ؛ الفقيه (٣) ؛ يقول : ادّعى رجل مالاً ، بحضرة القاضي ؛ أبي عبيد بن خربوية (٤)(٥) . فقال المدّعى عليه : مالُه عليّ حقٌ ؛ بضم اللام .

(١) تراجع تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٤٠ ؛ الآية ٢٢٨ من سورة البقرة (ثلاثة قروء) وراجع النهاية ج ٣ ص ٢٣٨ ؛ مادة (قرأ) ، والأضداد ص ٢٢ – ٦ ، والأضداد لابن السكيت ص ١٦٣ – ٥ ، والأضداد للأصمعي ص ٥ – ٦ ، والأضداد للسجستاني ص ٩٩ ، والأضداد للصغاني ص ٢٤٢ ، ومجمع البيان مج ١ ص ٣٢٥ (البقرة : ٢٢٧) ، وتنزيل الآيات ص ٩٦ – ٧ ، والكشاف مج ١ ص ٢٧١ – ٢ ، والمخصص ج ١ ص ٤٨ .

وقال أبو الفضل القرشي الصديقي الكازروني في حاشية تفسير البيضاوي ج ١ ص ٢٤٠ : « ان المراد بالقروء في الآية ، على القول المرجح للشافعي ، ليس مجرد الانتقال من الطهر إلى الحيض ، بل الطهر المتخلل بين الحيضتين » .

(٢) تراجع المخصص ج ١٥ ص ١٧٥ ، ومقاييس اللغة ج ٥ ص ٧٨ و ٧٩ .

(٣) هو محمد بن الحسين بن عبد الله ، أبو بكر ، الآجري ، الفقيه . توفي في المحرم سنة ٣٦٠ هـ . له ترجمة في الفهرست ص ٣٠١ – ٢ ، ووفيات الأعيان ج ٣ ص ٤١٩ ، وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٣ ، ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٧٣ ، وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٥ ، والكامل ج ٧ ص ٤٣ – ٤ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ٢٧٠ ، والمنتظم ج ٧ ص ٥٥ ، وهدية العارفين ج ٢ ص ٤٦ – ٧ ، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ١٥٠ ، وروضات الجنات ص ٦٨٤ ، والكنى والألقاب ج٢ ص ٢ – ٣ .

(٤) كذا – بالخاء المعجمة . وفي طبقات الفقهاء : حرنوية . وفي طبقات الشافعية : جربويه . وفي شذرات الذهب : جويرية . وكلّها تصحيف . (والصحيح) : حربويه .

(٥) هو علي بن الحسين بن حرب بن عيسى ، البغدادي ، القاضي ، أبو عبيد ؛ المعروف بابن حربويه ؛ قاضي مصر . توفي في صفر ، سنة ٣١٩ هـ ، ببغداد . له ترجمة في طبقات الفقهاء ص ٩٠ ، وطبقات الشافعية ص ١٥ ، وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٥ ، وطبقات الشافعية للسبكي ج ٢ ص ٣٠١ – ٧ ، وحسن المحاضرة ج ٢ ص ٩٠ ، والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٣٢ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨١ – ٢ ، والبداية والنهاية ج ١١ ص ١٦٧ ، والمنتظم ج٦ ص٢٣٨–٩ .

فقال أبو عبيد : أتعرف الإعراب ؟

فقال : نعم ؛

قال : قم ؛ قد ألزمتك المال [١] .

قال أبو الحسين : فالواجب على المفتي ، التحرز ، والنظر في ساير العلوم ؛ ليكون تصدّيه لجواب ما يُسأل عنه ، مصيبا .

قال القاضي ، أبو زرعة ، روح بن محمد بن أحمد [٢] : سمعت أبا الحسين ، أحمد بن فارس ؛ يقول : قيل لفقيه العرب : هل يجب على الرجل - إذا أسهد - الوضوء ؟

قال : نعم .

الإسهاد ؛ أن يمذي الرجل [٣]

يقال : مذَى يمذي ، وأسهد يسهد (كذا) ؛ بمعنى .

قال : وقيل له ؛ هل [f. 3 b] بحمل الصبي اللاعب - في الصلاة - بأس ؟

قال : لا .

اللاّعب ؛ الذي يسيل لعابه [٤] .

يقال : لعب الصبيّ ، أو الرجل ، يلعب ؛ إذا سال لعابه .

وقيل له : ما تقول في الرجل يطأ السماء ، ثم يصلي ؟

قال : لا بأس بذلك .

السماء ؛ المطر .

ولا بأس بالصلوة ؛ إذا وطئ الرجل المطر .

---

(١) نقل هذه المقالة ، السبكي ، في طبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٧ .

(٢) تقدمت ترجمته .

(٣) قال في مقاييس اللغة ج ٥ ص ٣٠٩ ، مادة (مذي) : المذي . . . وفيه الوضوء .

(٤) وتراجع الملاحن ص ٣٢ .

قيل له : ما تقول في رجل ، توضأ من إناء مموّج [١] ؟

قال : إن مسّ الماء تمويجه ، لم يجز .

الإناء المَموّج ؛ [المضبّب] بالعاج [٢] .

يقول : إن باشر الماءُ العاج ، لم يجزئه وضوؤه .

قال : وهذا مذهب علمائنا .

وقيل له : هل في الربيع صلاة ؟

قال : نعم ، إذا نضب ماؤه .

الربيع ؛ النهر [٣] .

وقيل له : هل يقتل جريّ [٤] الكفار المحاربين ؟

قال : لا .

الجريّ ؛ الرسول [٥] .

قيل له : رجل ضرب صيداً بمخلبه [f. 4 a] ، فقطعه نصفين ، هل يجوز أكله ؟

قال : نعم .

المخلب : المنجل .

قيل له : هل تجزئ الصلوة في الفرّوج ؟

---

(١) نقل السيوطي ، في المزهر ج ١ ص ٦٣٧ : (وفي شرح المنهاج للكمال الدميري : سئل فقيه العرب ، عن الوضوء في الإناء المموّج ؟ فقال : إن أصاب الماء تمويجه لم يجز ، وإلاّ جاز .
والمراد بالمموّج ، المضبّب بالعاج ، وهو ناب الفيلة . ولا يسمى غيرها عاجا) .

(٢) لعلّ الناسخ أغفل كلمة (المضبّب) . تراجع المزهر ج ١ ص ٦٣٧ ؛ كما سبق .

(٣) في شرح المقامات الحريرية للشريشي ج ٢ ص ١٢١ : النهر الصغير .

(٤) في الأصل : جوي ؛ بالواو – وهو تصحيف من الناسخ (ظ) .

(٥) في مقاييس اللغة ج ١ ص ٤٤٨ ؛ مادة (جرى) : الجريّ ؛ الوكيل . . .
وسمّي الوكيل جريّا ؛ لأنه يجري مجرى موكّله .

قال : إن كان تحته ما يغطّي العورة ، فنعم .

الفرّوج : القباء [1] .

قيل له : تجوز صلاة الفرض ، على الوهم ؟

قال : لا .

قال : فالتطوع ؟

قال : نعم .

قال : الوهم : الجمل ، يكون ضخما .

وقيل له : ما تقول في الدَّين ، اذا بَرَد لصاحبه ، هل يزكّيه لما مضى ؟

قال : نعم .

بَرَد : حصل .

وقيل له : هل تجوز شهادة الخالة ؟

قال : إن لم يكن ثمّ فسق ، فنعم .

الخالة : اللُعّاب ، ذوو اللّعب والمزاح ، واحدهم ، خايل . مثل باعة ، وبايع .

وقيل له : على المطاعم في الصوم كفارة ؟

قال : لا .

يقال : أطاعم : إذا قاء .

وأبو ثور [2] ، يوجب عليه الكفارة ، إذا تعمّد .

---

(١) في الملاحن ص ١٥ : الدراعة .

(٢) هو ابراهيم بن خالد بن أبي اليان ، أبو ثور ، الكلبي ، الفقيه ، البغدادي . توفي سنة ٢٤٠ هـ .

له ترجمة في طبقات الفقهاء ، ص ٧٥ ، وتاريخ بغـــداد ج ٦ ص ٦٥ – ٩ ، وطبقات الشافعية ص ٥ – ٦ ، وص ٨٢ – ٣ ، ووفيات الأعيان ج ١ ص ٧ ، والفهرست ص ٢٩٧ ، ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٢٩ – ٣٠ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٩٣ – ٤ ، والكامل ج ٥ ص ٢٩٤ ، والبداية والنهاية ج ١٠ ص ٣٢٢ ، وطبقات الشافعية للسبكي ج ١ ص ٢٢٧ – ٣١ ، والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٠٣ .

وقيل له : هل لمن معه — في السفر — ملك ، أن يتيمّم ؟

قال : لا . إلاّ أن يخاف [f. 4 b] العطش .

الملك ؛ الماء .

وقيل له : هل يجوز السجود على الخد(1) ؟

قال : نعم ، إذا كان طاهراً .

الخد ؛ الطريق(2) .

قيل له : رجلٌ توضأ ، ثم غرَف رأسه ، هل يضرّه ؟

قال : لا .

غرف رأسه ؛ حلق رأسه .

قيل له : هل على الرجل — إذا حبق — وضوء ؟

قال : لا .

حبَق الرجل ؛ إذا جمع ماله ، وأحكم أمره .

قيل له : هل على العمّ — في قتل رجل واحد — قود ؟

قال : نعم .

العمّ ؛ الجماعة(3) .

وهذا مذهبنا ؛ أعني ؛ قتل الجماعة بالواحد .

وقيل له : رجل نقب على بني عمّه ، هل يعقل عنهم ؟

قال : نعم .

يقال : نقب ينقب ، اذا صار نقيباً(4) . وذلك ؛ حمل دية الخطأ .

(١) في المزهر ج ١ ص ٦٣٧ ؛ من فتيا فقيه العرب : يجوز السجود على الخد ، ان كان طاهرا — يعني الطريق .

(٢) في الملاحن ص ٢٩ ؛ الشق في الأرض ، وهو الأخدود .

(٣) وتراجع اصلاح المنطق ص ٧٠ ، والنوادر في اللغة ص ٦٥ .

(٤) في مقاييس اللغة ج ٦ ص ٤٦٦ ؛ مادة (نقب) : نقيب القوم ؛ شاهدهم ، وضمينهم .

وقيل له : هل يجوز أكل العوارض ؟

قال : نعم .

العارضة ؛ الناقة ، أو الشاة ، تذبح لشيء يعتريها .

وقيل : هل على أسير أبي سعدٍ صوم ؟

قال : نعم ؛ إذا قدر [f. 5 a] عليه ، وإلاّ ، كفّر [١] .

أبو سعد ؛ الهرَم [٢] .

وقيل له : إذا جلس الرجل من بغداد ، هل له أن يقصر الصلاة ؟

قال : نعم .

يقال : جلس الرجل ؛ إذا أتى نجداً ، فهو جالس [٣] .

وقيل له : هل للرجل أن ينزل من غير إذن أبويه ؟

قال : إن كان فرضاً ، فنعم .

يقال : نزل الرجل ؛ إذا حجّ .

قيل له : هل على الإوز حجْر ؟

قال : نعم ؛ إن كان مفسداً لماله .

قال له : هل على الإوز حجّ ؟

قال : إن كان فقيراً ، فلا .

الإوز ؛ الرجل الموثق الخَلق [٤] .

قيل له : هل على الفيل حجْر ؟

---

(١) قال أبو العباس أحمد بن محمد ، الجرجاني ، الثقفي ؛ في المنتخب من كنايات الأدباء ص ٨٦ : وفي فتيا فقيه العرب ؛ هل على أسير أبي سعد صوم .
قال : نعم ، اذا قدر عليه . وأبو سعد الهرم .

(٢) وفي المزهر ج ١ ص ٥٠٩ ، وقال ابن السكيت في المكنى : أبو سعد ؛ الهرَم .

(٣) وتراجع الملاحن ص ٣٣ .

(٤) في الملاحن ص ٥٥ — ٥٦ : الرجل القصير الضخم .

قال : نعم ، إذا كان مفسداً لماله .

الفيل ؛ الرجل الضعيف الرأي .

قيل له : هل تنجّس السمامم الماء ، إذا وقعت فيه ؟

السمامم ؛ النمل الصغار .

قيل له : هل على المشخص عقوبة ؟

قال : لا ، إلاّ أن يكون قذفا .

المشخص ؛ الشاتم .

يقال : أشخص به ، إذا شتمه .

[f. 5 b] قيل له : هل يجب على المتوضئ غسل الغابة ؟

قال : ظاهرها .

الغابة ؛ ما تحت العنفقة .

قيل له : هل على الفحل صلاة ؟

قال : نعم .

الفحل ؛ الحصير .

قيل له : هل تجوز صلاة المفتري ؟

قال : نعم ؛ إلاّ أن يكون غير ذكيّ ولا مدبوغ .

المفتري ؛ الذي عليه الفرو [١] .

وقيل له : هل على البيضاء جُمُعة ؟

قال : نعم .

البيضاء ؛ الرستاق .

قيل له : هل يُصَلّى على المزكوم ، إذا مات من يومه ؟

قال : نعم .

---

(١) وفي الملاحن ص ٥٨ : ما افتريت على فلان ؛ أي ، ما لبست له فروا .

المزكوم ؛ الولد الملق ·

قيل له : هل يفسد ريق الطوّافة الماء ؟

قال : لا ·

الطوافة : السِنَّوْر ·

قيل له : هل يجوز التيمُّم بالعجلة ؟

قال : نعم ؛ إذا جفّت ·

العجلة : الطينة ·

قيل له : هل يجوز التيمُّم بالآس ·

قال : لا ·

الآس ؛ الرماد ·

قيل له : هل للحاكم أن يحكم على البقر ؟

قال : لا ·

البقر : التحيُّر ·

قيل له : هل يحكم وبه طيرة ؟

[f. 6 a] قال : لا ·

الطيرة : الغضب ·

قيل : فمتى يحكم ؟

قال : إذا تحللت عقده ·

يقال للرجل ـ إذا سكن غضبه ـ قد تحلّلت عُقَده[1] ·

وقيل له : هل يجوز بيع الطريق ؛ إلاّ واحدةً غير معلومة ؟

قال : لا ·

(١) في أساس البلاغة ج ٢ ص ١٣٢ ، مادة (عقد) [ويقال] لمن سكن غضبه ، قد تحللت عقده .

الطريق : النخل [1] .

ولا يجوز بيعه ، باستثناء واحدة غير معلومة .

قيل له : هل على المصاب زكاة ؟

قال : لا .

المصاب [2] : قصب السكر .

وقيل له : هل في الختم زكاة ؟

قال : لا .

الختم : بيت النحل ، الذي تعسّل فيه .

ولا زكاة في العسل عندنا ، ولا في قصب السكّر .

قيل له : هل تؤدّى زكاة الفطر من الثور ؟

قال : نعم .

الثور : الأَقط [3] .

قيل له : هل يقطع الصبي في السلّة ؟

قال : لا .

السلّة : السرقة .

قيل له : فما في أربعين سنًّا ؟

قال : واحد .

أربعون سنّا : أربعون ثوراً [4] ، [f. 6 b] فيها من الصدقة مُسِن .

(يتبع) الدكتور حسين علي محفوظ

(١) في الملاحن ص ٢١ : النخل الذي ينال باليد .

(٢) الصواب : المُصّان بالنون لا بالباء ، فقد جاء عن ابن الأعرابي وقال ابن بري : المُصّان بالضم قصب السكر ، عن ابن خالويه ، التاج (مص) . « لجنة المجلة »

(٣) في الملاحن ص ١٥ : القطعة العظيمة من الأقط .

(٤) في الملاحن ص ١١ : السن – عند بعض العرب – الثور الوحشي .

التعريف والنقد

ديوان الأمير ابن أبي حصينة (ج ١)

أخرج المجمع العلمي العربي بدمشق هذا الديوان بتحقيق محمد أسعد طلس
الدكتور في الآداب

أما صاحب الديوان فقد عرّف به المحقق الفاضل في المقدمة الممتعة التي صدّر بها الديوان وتكلم فيها عن حياة هذا الشاعر وتأميره وعلمه وأدبه وحليته وأخلاقه وشاعريته وديوانه ومَمْدُوحيه (الأمراء المرادسة) بما لم يترك معه مقالاً لقائل .

وأما المحقق فهو ذو فضل بما نشره من المخطوطات ، وآخر ما حققه هذا الديوان مع شرح ما يحتاج الى تفسير من الكلمات اللغوية والجغرافية والتاريخية فضلاً عن تلك الفهارس العامة التي تناولت نواحي كثيرة من الديوان .

والعلماء الذين يوفقون إلى إخراج الكتب الخطية في مثل هذه الطريقة هم أفراد قلائل ، وكل من وقف على بعض ما يعانونه في هذا الشأن أدرك أن إخراج ذخائر السلف الخطية وإبرازها على هذا النمط ليس بالأمر السهل الهين ولا سيما اذا كانت النسخ مكتوبة بخطوط من قبيل الطلسمات .

وقد عنت لي ملاحظات على هذا الديوان في أثناء قراءتي له أحببت أن أنشرها فيما يلي ، لعل فيها ما يجدر بأن يلحظ بعين الاعتبار ويتيح لي شرف المشاركة في خدمة هذا الديوان ولو بالنزر الطفيف .

جاء في الصفحة ٣٥ س ١٨ من المقدمة : « وهو وإن كان قد سهم فيما قاله شعراء عصره » والصحيح : أسهم ، ولعله من خطأ الطبع .

وفي ص ٦ س ٦ من الديوان :

أو يطبيه وشمل الحي منشعب ربع بشعب بعسار دارس الأُثَر

والصحيح دارس الأثر بفتح الهمزة لا بضمها .

وفي ص ٧ س ٣ :

كأن أعشار قلبي يوم بينهم تذكى بزِندين من مرخ ومن عشر

بكسر الزاي من (زندين) في حين انها بالفتح .

ص ٨ سطر ١٠ :

سود المرائر لا يغشون يوم وغى إلا على لحق الآطال كالمرر

وقد جاءت لا يُغشَون بالبناء للمجهول والأولى أن تكون للمعلوم .

ص ٩ س ٨ :

غاليتُ في الحمد حتى صرت مشتربا من القريض سطور الحبر بالحبر

وقد وضع على التاء في غاليت ضمة وربما كان الفتح أولى .

ص ١٢ س ٦ :

تمزّق بالتقبيـل واللثم سَبطةٌ فتَبلى وما تَبلى من القِدَم السُّبْطُ

ولعلها تعرّق بالتقبيل وورد في القاموس رجل معرق العظام قليل اللحم ، وبعدان تمزق بالتقبيل لا يبقى فيها بقية لأن تبلى .

ص ١٩ س ٤ :

تنقّى الضـالَ والعُبْريّ داراً

ولعله والعبدي بالدال والعبد نبات طيب الرائحة (١) .

ص ١٩ س ٩ :

تألّق من دُوين حَزيز خَبْت فأذكرني به الحيّ الحَلالا

بفتح الحاء والأولى كسرها وحي حِلال نزول .

(١) لعل الصواب ما جاء في الديوان لأن العبري هو ما نبت من السدر والضال على ضفاف الأنهار وعطفه على الضال يدل على الشجر لا الزهر (لجنة المجلة)

ص ٢٣ س ٣ :

ملك بنى عزي وأسبغ نعمتي وأجل منزلتي وأزهف أسهمي

ولعله وأزهق أسهمي بمعنى جعلها تجاوز الهدف .

ص ٢٤ س ٦ :

كرمًا محا ذكر الكرام ووصفهم حتى كأنْ كريمهم لم يُكرِمِ

وردت يكرم من أكرم ولعل الصواب يَكرُم من كَرُم .

ص ٢٨ س ١١ :

هي القُبُّ بارتها قبابٌ كأنها على حتُف الأحمال في العين أجمال

لعله (على خُنُف الأجمال في العين جُمَّال) والخنف جمع خانف والجُمَّال كرمان الجميل[1] .

ص ٣٣ س ١ :

أتوا يَتقُلون الأرض من فوق شزب . . . .

جاءت يثقلون من ثقل ولعل الأولى يُثْقِلون من أثقل .

ص ٣٣ س ٤ :

ولكنكم قبلتموهم ذوابلا من الخط لدا مشرعوها هم اللد

جاءت قبلتموهم من التقبيل ، والأولى من أقبلته الشيء جعلته يلي قبالته .

ص ٣٦ س ٦ :

بمُوقَر لا يُستخَفّ كأنما في بُردَتيه مُتالعٌ أو صلفع

وجاء في الحاشية ٣ انه ليس من جبل باسم صلفع .

أقول لعله صيلع الوارد في قول امرئ القيس :

أتاني وأصحابي على رأس صيلع حديث أطار النوم عني فأنعما

(١) المعنى غامض ولا يصح على رأي الناقد ، وعلى رواية الناشر غامض المعنى أيضاً .
(لجنة المجلة)

ص ٤٨ س ١٢ :

ولو قدرتُ لما زارت مُقَفّلَةً إلا بخدي اليه الوخَّدُ الرسمُ

وضبطت مقفلة على التضعيف وربما كان الشطر « ولو قدرت لما زارته مقفلة » من أقفل الرفقة جعلهم يتبدؤون السفر أو يقفِلون منه كما في القاموس .

ص ٤٩ س ٣ :

« ومهمه ممحلة حـدوده » بالحاء

وربما كانت جدوده بالجيم جمع جد وجه الأرض .

ص ٥٢ س ٤ :

يفرق في الغبراء ظبْياً ومِكنسا ويرمي من الشّغواء وكراً واجدلا

وردت الشغواء بالغين وربما كانت الشعواء بالعين المهملة وهي الشجرة المنتشرة الأغصان .

ص ٦٣ س ٤ :

طوينا بهـا مرر الناجيـات طيّ الأساودِ تحت الرُّجَمْ

وضبطت مرر على أنها مفعول به ، والأولى أن يكون الشطر :

« طوتنا بهـا مررُ الناجيـات »

ص ٦٦ س ٩ :

وغدا بنو الآمال خلفك في الفلا غضباً يزجون المطيّ الوخَّدا

ولا محل للغضب هنا ، ولعله (عُصَباً) جمع عصبة .

ص ٦٧ س ١٤ :

سارت بذا طُلَلُ الركاب وغرّفت أمواج ذا بالمكرمات الوُفّدا

ولعلها : ذُلُل الركاب .

ص ٧٧ س ٧ :

أمِنَ الدهرُ عدلَه فغـدا الدهـــرُ ومَنْ فيه آمنـاً في أمانه

وضبطت على أن الدهر فاعل أُمِن وعدله مفعول ، ولعل الأولى أن يكون «أمَّن الدهرَ عدلُه» أمن بالتضعيف والدهر مفعول وعدله فاعل .

ص ٧٩ س ١ :

وقد سألوا عن شأننا بعد نأيهم فقلنا لهم لم يرق بعدكم شان

ولعلها «لم يبق بعدكم شأن» [1] .

ص ٧٩ س ٤ :

وبالغور من جنبي خفاف جآذر من الإنس يبكرن الأنيس وغزلان

ولعله «يُنْكِرن الأنيس» .

ص ٨٣ س ٧ :

وفيها نواجمُ بيضُ المتون مُذَرَّبة مثل روس المدى

ولعلها «مذربة كرؤوس المدى» .

ص ٨٧ س ٢ :

المشبهاتِ كُتَب الشنان الواشحاتِ أوجهَ الغيطان

وفسر كتب الشنان في الحاشية ٢ : الشنان : القرب وكتب القربة : خرزها ، والذي أراه أنها «كُثُب الشنان» ، الكثب جمع كثيب والشنان واد بالشام .

ص ٨٧ س ٣ :

والكاسيات قلل الرعان ضرائب العَطب من الأرسان

ولم يفسر البيت مع حاجته الى التفسير وضبطت العطب بفتح العين مع أنها بالضم ومعناها القطن والضرائب القطع من القطن والمراد ما يقذف من اللغام .

ص ٨٩ س ٥ :

الى القطع وما والا ها من سهل ومن وعر

ولعله الى القرع والقرع اسم لأودية ببلاد الشام حسبما جاء في مراصد الاطلاع .

---

(١) ولعل الأصوب : (لم يرق بعدكم شأن) وأصل يرق يرقأ بمعنى يجف ، سهلت الهمزة ثم حذفت بالجازم ، والشأن هنا يريد به شأن العين . (لجنة المجلة)

ص ٩٠ س ٣ :

تراهم في سما العز ة مثل الأنجم الزهر

وجاء في الحاشية ٢ (في الأصل : في سما العز) .

والأصل هو الصحيح ولكن الهمزة سقطت من آخر السماء وأصل البيت :

تراهم في سماء العز مثل الأنجم الزهر

ص ٩١ س ٧ :

نقيّ العرض لا يُدْنَس بالفحشاء والنكر

والأصح لا يَدْنَس من باب شرب .

ص ٩٦ س ٤ :

يقول صحبي وقد كُسيَت بالنور غُبر الفجاج من أممه

والصحيح :

يقول صحبي ضُحىً وقد كسيت بالنور غُبر الفجاج من أممه

وربما ظنت كلمة ضحى تكراراً لكلمة صحبي فحذفت وبقي البيت مكسوراً .

ص ٩٦ س ٩ :

وأبلجٌ مثل الصباح رؤيته تشفي حليف السقام من سقمه

هكذا ورد وأبلج بالواو في أولها والتنوين في آخرها ، والصحيح (أبلجُ) .

ص ١٠٠ س ١ :

بعد أن حطم الرماح ورد البيض قد خربت ظباها الفلولُ

ولعله (قد دربت ظباها الفلول) ومن معاني المدرب المصاب بالبلايا .

ص ١٠١ س ٢ :

لا زال سعيك مقبلاً مقبولا

ولعل السعي هنا حل محل السعد .

ص ١٠٩ س ١ :

وكشرت حسادي وثمرت نعمتي

هكذا جاءت كشرت بالشين والصحيح : وكثرت ، ولعلها من خطأ الطبع .

ص ١١٦ س ٨ :

كأن الحيّ فارقه فشابت لفرقته من النور القُنان

هكذا جاءت القنان بضم القاف والصحيح بالكسر جمع قنة .

ص ١٢٥ س ٣ :

ولقد أشهد الكريهة والجو عليه غيابة طخياء

فسرت الغيابة بالحاشية ١ بالهبطة والقعر وكان الأولى أن تفسر بما ورد في القاموس من أن غيابة كل شيء ما سترك منه .

ص ١٢٨ س ٢ :

لا اليماني تبع كان شروا . ولا قيصر ولا السبّاء

ولعلها الزباء .

ص ١٣٢ س ٨ :

وفي قلبي شهاب أسى ووجد زكي[1] من فتاة بني شهاب

ولعلها وحيّ والوحي السريع .

ص ١٣٥ س ١ :

الى المليحةَ[2] حيث العين جارية من الصباح الى جلهات واديها

ولعلها الضّياح أي العسل يصفها بالحلاوة .

ص ١٣٩ س ٤ :

وشعث كهامات القسوس رواكدٍ لها من مَياجين الإماء نواقسُ

وربما كانت مناجين جمع منجنون وهو الدولاب .

---

(١) لعل الأصوب : (. . . ووجد ذكي . . .) بالذال أي وجد ملتهب .
(لجنة المجلة)

(٢) فتح الآخر خطأ مطبعي والصواب بكسر آخره للصرف بالتعريف . (لجنة المجلة)

ص ١٣٩ س ١١ :

اذا أرقلت لم يدر من مدّ طرفَه أعُقبانُ دُجنٍ تحتنا أم عرامس

هكذا وردت بالإضافة والأولى أعقبان دجنٌ على أن دجن صفة لعقبان .

ص ١٤٣ س ٨ :

لما طلعت على سمنـدٍ سابحٍ

وفسرت السمند بأنها الحصان الأصيل ولعلها (سماوة سابح) والسماوة ظهر الفرس .

ص ١٤٦ س ٩ :

فداك كل حُسود[1] ضل ذي بُخُلٍ يمشي الى الضيف مشي الأجرد الحفد

ولعلها الأحرد بالحاء ومعناها البخيل اللئيم .

ص ١٤٦ س ١٠ :

اذا تفازع أهـل الحي أبده خوف المنية بين الكَسْر والنضد

هكذا وردت أبده بالياء والصحيح أنها أبده بالباء من أبد بالمكان أقام

أما الكَسر فهي الكِسْر بكسر الكاف : جانب البيت .

ص ١٥٦ س ١٢ :

حتى لكاد معين الماء يصبغه ماشاع في الأرض منهامن دم سرب

ولعلها ما ساح في الأرض بالسين والحاء .

ص ١٥٩ س ٢ :

سجيـة من كريم الطبع في ملك مهذب لم يَغِب يوماً ولم تَغِب

والغياب لا معنى له هنا والأولى أن يكون (لم يُعَب يوماً ولم يَعِب)

أو (لم تُعَبْ يوماً ولم يَعب) .

---

[1] قوله (حُسُود) بضم الحاء غلط مطبعي صحيحه بفتح الحاء ، يدل على ذلك صفة (ضل) و (ذي بخل) . (لجنة المجلة)

ص ١٦١ س ٥ :

قصدتم الشام إذ غابت فوارسه والذئب يرقص حتى يحضر الأسد

ولعلها (والذئب بفرس) .

ص ١٧١ س ٧ :

وقد زرت[1] الملوك فلا جَلالا جهلت من الملوك ولا دقاقا

وجاء في الحاشية ٣ ان جلالا هو جلال الدولة ركن الدين بن بهاء الدولة ودقاق هو ابن تتش شمس الملوك السلجوقي ، والذي أراه أن صاحب الديوان لم يقصد إلا الى المعنى اللغوي لجُلال ودُقاق بالضم أي الجليل والدقيق ، بدليل أن دقاق بن تتش ولي الملك عام ٤٨٨ بعد وفاة الشاعر بما يقرب من ثلث قرن ، فكيف يشير اليه إذا كان لم يدركه .

ص ١٧٢ س ٢ :

تود الشمس لو خلقت مداساً له والشهب لو صنعت نطاقا

وأرى أن الشمس مهما يكن الأمر لا تقبل أن تكون مداساً حتى للفاتحين العظام فكيف لابن مرداس ، فضلاً عن قبح اللفظة وربما كانت عناسا بمعنى مرآة أو لباسا .

ص ١٧٤ س ٥ :

تضورن حتى كدن يسفعن مائلاً من الترب من افراط ما بتن جوعا

والأولى أن تكون يسففن بدل يسفعن .

ص ١٧٥ س ٧ :

بكل نجيب لم يَدع في نجيبة دوامُ السُرى إلا فِقاراً وأضلعا

والأولى أن تكون الجملة (لم يدع في نجيبه) .

(١) ولعل رواية (رُزت) بدلاً من (زرت) أقوى . (لجنة المجلة)

ص ١٨٠ س ١ :

لولا ظباء رماح لم أمت شغفاً بظبية من ظباء السرب معطال

والأولى (لولا ظُباة رماح) والظبة تطلق على حد السيف وحد السنان .

ص ١٨٧ س ٦ :

محسنٌ نستفيد من يده الثرْ وة فضلاً وحكمةً من كلامهْ

والأولى (من يده الثرة فضلاً) .

ص ١٩١ س ٦ :

فردة أعلمت بأنك فرد وسجلٌ قلدته ليحلى

ولعلها سحيل بمعنى الثوب أو حلي .

ص ١٩٥ س ١٥ :

تَهوي بهم شَدَنياتٌ مزممةٌ تَصِلُّ في البيد أعضاداً بأعضادِ

لعلها تصلّ بالصاد من الصليل وهو الصوت عندما تحتك الأعضاء بعضها ببعض .

ص ١٩٧ س ١٢ :

من بعد ما سالت شعوب مدامع سالت لهنّ مدامعٌ وشعابُ

ولعل (مدامع) الثانية أصلها مدافع بالفاء ، وهي مدافع المياه عندما تجري .

ص ١٩٨ س ٥ :

واذا طلبتَ من الزمان طلابة بالسيف لم يعذب عليك طِلابُ

ولعلها يعزب بالزاي لا بالذال .

ص ١٩٩ س ٨ :

واذا الكريم حوى الجسيمَ سخا بهِ كالبحر ما للشيء فيه رَبابُ

وجاء في الحاشية ٢ : « هكذا في الأصل » ، وأقول من معاني رَبَّ أقام والبحر عادة لا يُبقي شيئاً ، بل يقذفه الى الشاطئ .

ص ٢٠٢ س ١٢ :

ولا تحْسَبَ إلا شفار السيوف وهذي الرجال وهذي الخطبْ

والخطب لم تكن من أداة الحرب في عصر المرادسة كما هي الآن ولعلها (الشطب) جمع شطبة وهي الفرس السبط اللحم ·

ص ٢٠٨ س ٦ :

مقدمة لها من عهد عاد كأن حبابهـا قمصُ الأفاعي

والصحيح مفدّمة بالفاء لا بالقاف وابريق مفدم عليه مصفاة ، وقد وقع ابدال القاف بالفاء في شرح المعري أيضاً ·

ص ٢١٠ س ٩ :

الله جارك ان ثويت اقامة وكفيل عزك ان أردت رحيلا

والأولى (ان نويت) بالنون لا بالثاء ·

ص ٢١٠ س ١١ :

وبذلت مالك دون عرض لم يبت للذم مرهوباً ولا مبـذولا

لعله (موهوباً) بالواو ·

ص ٢١٣ س ١٢ :

ويارب شر ساس خيراً وربغة الى السلم جرتها الضغينة والحرب

والأولى (سام خيراً) بالميم لا بالسين ·

ص ٢١٩ س ٧ :

نجح الزمان بذكره وتجملت بحديثـه الشعراء والأشعار

لعلها (نجع)[1] أو (متع) مكان نجح ·

ص ٢٢٣ س ٧ :

وبفضلهم ركبوا الجيـاد وثمروا أموالـ ماشية لهم وسوامُ[2]

والأولى وبفضلكم ·

---

(١) ورواية (نجع) خير من غير لمناسبة المعنى على ان تكون بالبناء للمجهول . (لجنة المجلة)
(٢) رويّ القصيدة بكسر الميم ، ولاحاجة الى الإقواء هنا . (لجنة المجلة)

ص ٢٢٣ س ١٢ :

فلألبسنكمُ برودَ محاسن أبهى وأسنى من بُرود رئامِ

وجاء في الحاشية ٣ ان الرئام الغواني الجميلات لا الغزلان الحقيقية ، أقول : رئام : موضع ينسج فيه الوشي كما ورد في مراصد الاطلاع ، فضلاً عن أن الغواني الجميلات لا يلبسن كلهن الثياب الجميلة .

ص ٢٣٠ س ٨ :

ورميتني يوم الحبيس بنظرة كبتت على شغفي بهن حبيسا

وجاء في الحاشية ٢ : (لم أجد يوم الحبيس هذا في مصادري) ، أقول : جاء في مراصد الاطلاع (حبيس موضع بالرقة) ولا يلزم أن يكون الموضع المذكور في البيت اسمه يوم الحبيس .

ص ٢٣٢ س ٢ :

وكم ليلة بت مما أحن لا أطعم النومَ إلا غرارا

والأولى (مما أجِنُّ) .

ص ٢٣٢ س ٧ :

توخّين شهرين حتى أتينَ الى الرقتين رذايا حِسارا

والأولى (توجين) بالجيم بمعنى الحفاء أو أشد منه كما ورد في القاموس .

ص ٢٣٦ س ١٢ :

مطهَّر الخيم والأرومة لا عيـــب ولا وصمة ولا طمعُ

الأولى (ولا طبَع) والطمع لا يعد عيباً في مثل المرادسة من الأمراء المغامرين .

ص ٢٣٧ س ٤ :

إن أفضلوا أوسعوا وإن حملوا سروا وان تستسرهم وسعوا

ولعله (تستثرهم) .

ص ٢٤٠ س ١٢ :

سارت مسير النيرين وطبقت ثغر[1] البلاد تهائماً ونجودا

ولعله (عَفَر) أو (حُضْر) ومعنى الأولى ظاهر التراب والثانية وجوه الأرض ·

ص ٢٤٤ س ٩ :

لا ينجحن الدزيري بما جرى قدماً ، فقد وضح الطريق الأقوم

الأولى (لا يجفخنّ) ، والجفخ : الكبر ، وهذه الكلمة هنا صادفت موضعها اللائق بها ·

ص ٢٥٣ س ٨ :

ما كان من طلب النجاح تبجحا في قوله وفعاله ومرامه

والأولى : (ما كل من طلب النجاح منجّحاً)

ص ٢٥٦ س ٥ :

لمع الطميم عليهم فكأنه خمر يحسر عنه ثوب قتامه

لعله (لمع النميم) ، والنميم الكتابة و (جَمر) لا خمر ·

ص ٢٥٧ س ١١ :

يا صاح شمر في استباق العلى وانهض الى الرزق بباقي الجناح

ولعله (بوحف الجناح) ووحف كثير الريش ·

ص ٢٥٨ س ٩ :

مؤدب الأعضاء مستحسن ماشين بالبُهر ولا بالجماح

والأولى : (مؤرب) بالراء لا بالدال بمعنى محكم الأعضاء شديدها ·

ص ٢٥٩ س ١١ :

من قاس بالسحب ندى كفه أيقن أن السحب بحر شَحاح

ولعل الأولى : (لحز شحاح) أو (كُز) ، وشحاح بكسر الشين جمع شحيح ·

---

(١) جاءت (ثغر) في هذا البيت مفردة ، والصواب أن تكون (ثُغَر) بالجمع وهي جمع ثغرة وهي المسلك يقال : (هو يخترق ثغر المجد) أي مسالكه . (لجنة المجلة)

ص ٢٦٣ س ٥ :

تأملي مفرقي تجـدي سطوراً أجادت محوهن يد الزمان

ولعله (تأملْ مفرقي تجِدَنْ) .

ص ٢٦٣ س ١٢ :

يُخيِّف شخصَها التأويبُ حتى لكادت أن تدقّ عن العيان

والأولى (تحيّف شخصَها) بمعنى تنقص[1] .

ص ٢٧١ س ١ :

والعيس تكاد تذوب اذا ذابت فتسيل مع العرق

والأولى (اذا دأبت) بالدال .

ص ٢٧١ س ٤ :

فأتوا حلباً فسفوا ذهباً وعفوا فنفوا بِدَر الوَرِق

لعله (فسبوا) أصلها فسبئوا . والمراد بالذهب الخمر .

ص ٢٧٤ س ١٣ :

جادت يداك الى أن هجن المطر وزان وجهك حتى قبح القمر

لعله (وازدان) أو (وازينّ) بتشديد النون لأن زان لم ترد إلا متعدية .

ص ٢٧٩ س ٩ :

كأنه من فَرَجٍ ممسوسُ

لعله (من فرح) بالحاء لا بالجيم .

ص ٢٨٦ س ١٠ :

فما لكما لا تعذراني على الجوى وحبلي من حبل الأحبة مقنوب

وفسرت الحاشية ٢ مقنوب من قنب الكرم اذا قطع زوائده ، ولعلها محرفة عن مقتوب أو مقطوب بمعنى مقطوع .

---

(١) و (تخيف) بالخاء المعجمة أقرب الى الأصل وهي بمعنى (تحيف) . ففي التاج : وتخيفه : تنقصه ، عن ابن الاعرابي . (لجنة المجلة)

ص ٢٨٧ س ٧ :

حذاراً واشفاقاً من البين أن تُرَى مخبرة عنه النجاح الغرابيبُ

ولم تفسر النجاح ولعلها (النطاح) جمع نطيح وهو المشئوم .

ص ٢٨٧ س ٨ :

فلا لوم لي ان طار قلبي صبابة لأني من شحط الأحبة مخوبُ

وردت (مخوب) بالحاء والأولى (مخوب) وهو الجبان المنزوع الفؤاد .

ص ٢٩٢ س ٤ :

يغاظ به شانيك حتى كأنما عدوك بالمدح الذي فيك مفسوبُ

والأولى (مسبوب) .

ص ٢٩٦ س ٤ :

من فوقه سفن يشف كأنه حبب يطف على خليج مزبد

وورد في الحاشية ١ السفن بفتح السين والفاء : من عدد السلاح ، وهو آلة تبرى بها السهام ، والسفن أيضاً هو الجلد السميك الخشن الذي يسفن به الخشب فيلين . أقول : وأولى من ذلك ما جاء في الافصاح ٢٨٤ ان السفن : الجلدة المحببة التي تُلْبَسُها قوائم السيف .

ص ٢٩٦ س ٨ :

واركب جياد ابن النبي طوامحاً مثل الصقور دوالجاً في المسجد

لعلها (مثل الصقور جوانحاً) .

ص ٣٠١ س ١٠ :

ورمت بالجمار تلتمس الأجر وقد أسعرت بقلبك جمرا

والأولى (بقلبي) .

ص ٣٠٣ س ٣ :

أيها القلب لم يدع لك في وصل العذارى نِصف المبيدة عذرا

وقد وضع في آخر البيت أداة استفهام ، وأقول لعله النصف بفتح النون من تنصف الشيب اذا كان هو والسواد نصفين والهبيدة حب الحنظل كناية عن الشيب [1] .

ص ٣٠٤ س ٣ :

كالسحاب الكنهور الجود قادته النعامى فطبق بالأرض قطرا

الأصح (الأرض) دون حرف الجر ولعلها من خطأ الطبع .

ص ٣٠٧ س ١٠ :

وأصبحت من الضاحي تبض كأنما قسي رمت أكبادها حر أسهم

والأولى (كأنها) لا كأنما .

ص ٣٠٨ س ٢ :

ولما علت نشر الرصافة بشرت بعارض مزن باكر الوبل مثجم

وردت (نشر) بالراء والأولى (نَشْز) بالزاي .

ص ٣١٢ س ٩ :

يا حبذا بلداً حلت بجانبه بهنانة من بنات البدو عَطُول

هكذا وردت (عطول) والأولى (عُطبول) .

ص ٣١٢ س ١١ :

ممكورة الخلق لا أفضى بها قصر مع القصار ولا أزرى بها طول

والأولى (لا أفضى بها قصر الى) .

ص ٣١٣ س ٣ :

حلت بسلع فلا مر الغمام به إلا وللقصر عقد فيه محلول

الصواب (إلا وللقطر) بالطاء .

ص ٣١٣ س ٥ :

يا ربع ضفناك فافعل ما ستذكره لسائلين فان الضيف مسؤول

وردت (ستذكره) بتاء المخاطب ، والأولى (سنذكره) بنون الجمع المتكلم .

(١) لم نجد هذه الكناية في كتاب ويظل المعنى غامضاً . (لجنة المجلة)

ص ٣٢٣ س ٩ :

ورجاحة لو انهـا وزنت بالنسر خف لوزنها النسر

فسر في الحاشية ٢ النسر بالكوكب المعروف ، والأولى أن يفسر بأن النسر جبل ببلاد غنيّ كما جاء في مراصد الاطلاع .

ص ٣٢٩ س ٨ :

ويارب غـبراء المخارم يرتعي بها فرقد والمس للمتن عَوهجُ

فسر في الحاشية ٣ المخارم والعَوهج ، والشطر الثاني من البيت غامض ولعل (والمس للمتن) : (أملس المتن) ، ومع ذلك فيبقى الشطر الثاني مكسوراً وان صار مفهوماً [1] .

ص ٣٣٢ س ٥ :

ونبت منابًا عن أخيك تهزّه كشكرك، في اكفانه، وهو مُدْرجُ

الأصوبُ (اشكرك) .

ص ٣٣٦ س ٢ :

ما دون فضلك لا مَطَلٌ ولا عدة [2]

والأقوى (مطل لا ولا عدة) وان كانت الأولى صحيحة .

ص ٣٣٧ س ١١ :

لأي هزبر وغى هيجـوا

ولعلها (فأيّ هزبر وغى هيجوا) .

ص ٣٦٢ س ١١ :

كأنّ قدودهن قدود سُمر مثقفة بهن حفـا ولينُ

وردت (حفا) بالحاء ، وهي بالجيم [3] .

---

(١) ولعل الأصل : (بها فرقد ، أو أملس المتن عوهج) وبذلك ينتفي الزحاف . (لجنة المجلة)

(٢) جاءت (مطل) مفتوحة الطاء والصواب سكونها . (لجنة المجلة)

(٣) لعل (الحفا) بالحاء المهملة أصلح لأنه مما يعرو القدم والخف والحافر . (لجنة المجلة)

ص ٣٦٣ س ١ :

تهفهفت الصدورُ فمن لُدن

والأولى (١) (الخصور) .

ص ٣٦٣ س ٦ :

ضنينات عليك وكيف يرجى زوال يد وصاحبها ضنين

ولعلها (نوال يد) (٢) .

رشدي الحكيم

الطريق إلى مكة

تأليف الأستاذ محمد أسد

نقله الى العربية الأستاذ عفيف البعلبكي

هو كتاب جليل، شرقي غربي، ديني مدني، ومؤلفه الأستاذ محمد أسد رجل عصامي . أما تسمية المؤلف إياه باسمه هذا، فقد أبان أنه لمّا كان في برلين، قصد إلى صديق له مسلم هندي، ـ وقد كان رئيس الجالية الإسلامية ـ وأعلمه برغبته في الإسلام، فوضع يده اليمنى بيده، وبحضور شاهدين شهد أن لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، فقال له صديقه المسلم : لقد كان اسمك حتى الآن ليوبولد (Leopold) وكلمة (Leo) اليونانية معناها أسد، إذن سندعوك من الآن فصاعداً «محمد أسد» وبعد بضعة أسابيع اعتنقت أولى زوجاته الإسلام . قضى المؤلف سنّ الطفولة في المدينة البولونية المعروفة بـ «لمبرج» Lemberg، وقد كانت جزءاً من بلاد النمسا، وقام في سن الشباب مع

---

(١) ولعل رواية الأصل أولى . (لجنة المجلة)

(٢) هذا وقد ذكر الأستاذ رشدي الحكيم من الانتقاد بعض ما سبقه اليه الدكتور مصطفى جواد ونشر في المجلة (مج ٣٢ ج ٣ ص ٥٣٣-٥٣٩ و ج ٤ ص ٦٨١-٦٨٤) لذلك لم نر مجالاً لإعادة نشره .

والده الرياضي المحامي برحلات واسعة في ڤينا وبرلين وجبال الألب وغابات بوهيميا وبحر الشمال وبحر البلطيك ، فبدت له في رحلاته عوالم جديدة ، وكان جدّه لأمه صيرفياً ثرياً ، ذا أملاك واسعة . وأما جدّه لأبيه فقد كان حاخاماً في عاصمة مقاطعة بوكوفينا التي كانت نمسوية وقتئذ .

وقد نظر محمد أسد ، في الأديان السماوية نظر استقلال واستدلال ، فرأى اليهودية تُفَضِّل جنسها على سائر بني الإنسان ، وتسمّي نفسها شعب الله المختار ؛ ورأى المسيحية أقرب إلى العدل ، في نظرتها العامّة الشاملة للبشر ، ولكنها تفصل بين الروح والجسد ، وقد قال ما موجزه : «وبمقتضى تقاليدنا العائلية كنت قد درست على أيدي أساتذة خصوصيّين العلوم الدينية العبرانية بتعمق كبير ، لقد درست العهد القديم في الأصل ، وأصبح نصّ التلمود وشروحه مألوفين لدي ، وانهمكتُ في شروح الكتاب المقدّس المسمّاة «تارغوم» تماماً ، كما لو كان مقدّراً عليّ أن أصبح حاخاماً ؛ ولكن كان يبدو لي أن الله (تعالى) كما يمثله العهد القديم والتلمود ، كان مهتماً بأكثر مما ينبغي بالطقوس التي كان مفروضاً في عباده أن يعبدوه بواسطتها ؛ كذلك خطر لي أن هذا الإله كان منشغل البال بصورة غريبة بمصائر أمة واحدة معيّنة أعني العبرانيين !! ولكن بالرغم من أنّ تأثير تلك الدراسات المبكرة ، التي قمت بها ، كان على عكس ما قصد بها ، إذ أنها أبعدتني عن دين آبائي وأجدادي ، بدلاً من أن تقربني منه ، فإنني كثيراً ما أعتقد أنها في السنوات التي تلت ، ساعدتني على أن أفهم الغرض الأساسيّ للدّين » .

كانت رحلة المؤلف الأولى الى الشرق (سنة ١٩٢٢) بدعوة من خاله الدكتور الذي كان مقيماً في القدس ، فلبى الدعوة ، وكان أسد ـ كما قال ـ شاباً أوربياً (في الثانية والعشرين من عمره) ناشئاً على الاعتقاد بأن الإسلام وكل تعاليمه لم يكن ليقارن بالدينين اللذين يعتبرهما الغرب جديرين بالنظر

إليها نظرة جدية – المسيحية واليهودية – ؟ ولكنه لمّا درس الإسلام دراسة واسعة رآه أعمّ وأشمل منهما ، أو هو مكّل لهما ، إذ جمع بين مصالح الروح والجسد معاً .

وفي عام ١٩٢٦ م دخل في الإسلام ، وأخذ يشاطر العالم الإسلاميّ أهدافه وآماله . ودّع الأستاذ محمد أسد الغرب الى الشرق ، واتصل بالعرب ، فأعجب بالكرم العربي ، والصفاء البدوي ، وقابل بين العرب واليهود في مدينة القدس ، ورأى أن الحق في جانب العرب (قال) : « وبرغم أنني من أصل يهودي فقد كنت أحمل من البدء مقاومة شديدة للصهيونية » وجرى له حوار شديد مع زعيمها الدكتور حاييم في القدس ، جعل بها أشد مزاعم خصم العرب من الوجهات القومية والتاريخية والوطنية هباءً منثورا ، ونصر الله حق محمد أسد ، على باطل ذلك العدو الألد . وقد نشر الأستاذ مقالاتٍ في الصحف الألمانية عن انطباعاته في فلسطين ، وعيّن مراسلاً للصحف متجولاً في الشرق الأدنى . وقد وصف عدوان الغرب على الشرق ، وأن طابع الغربيين : « التمييز لعناصرهم ، والتزبق لغيرهم » . عاش في مصر معيشة فقر وصبر ، وعاشر العرب فعرف المزايا التي امتازوا بها على الغرب في حياته . علّمه السفر الصبر على المكاره : فقد معطفه وفيه المال وجواز السفر ، فأتى دمشق من حيفا مشياً على قدميه ، وأوى إلى العرب في خيامهم ، ينام في بيوتهم ، ويأكل من طعامهم ، ورأى من عنت الطريق ومتاعبه ما لا يكاد يحتمل .

وصف دمشق البلد العربي ، والجامع الأموي ، وحسن معاملة التاجر الدمشقي ، ثم عكف المؤلف بدمشق على دراسة الإسلام من كتبه ، فبدا له أنه منهاج للسلوك الشخصي والاجتماعي ، ورجحه على كتب العهدين بأنه ليس فيه محاباة لشعب معيّن ، وبأن الروح والجسد فيه كانا بمثابة وجهي توأمين للحياة الإنسانية التي أبدعها الله .

قال المؤلف يصف رحلته : « مررنا زيد ـ رفيقه وصديقه ـ وأنا على هجينين اثنين ، ومرّت الأيام ، وكانت الليالي قصارا ، ونحن نسير باتجاه الجنوب » .

كان تأثير بلاد العرب في نفسه أبلغ من تأثير تركية وأوربة ، وصف في كتابه الحركة الوهابية ، والعقيدة السلفية ، والطريقة المستقيمة السنوسية ، والنهضة الأزهرية ، وقابل بين الإسلام والنصرانية ، وبيّن أن الإسلام انتشر في الشرق والغرب بفضائله لا بحدّ السيف .

لم يبق للمؤلف من همّ إلا التعرّف بإخوانه المسلمين فقد أحبهم عرباً وعجما ؛ ومن بعد أن عاش مع العرب سنين ، سافر إلى إيران وأفغانستان ، ثم رحل إلى روسية ، وقصد بعدها إلى فرانكفورت ، وكان اشتهر بمقالاته عن الشرق وأهله اشتهاراً عظيما ، وأخذ من بعد يشرح حقائق الإسلام ، وأنه دين إنساني عام ، فدعا إليه ، ورغّب فيه .

نصح المؤلف لإخوانه في الإسلام بأنهم إذا تبنوا ـ وهم في غير حاجة إلى أن يفعلوا ذلك ـ أشكال الحياة الغربية ، والآداب والعادات والمفاهيم الاجتماعية الغربية ، فإنهم لن يفيدوا من ذلك شيئا ، ذلك أن ما يستطيع الغرب أن يقدمه لهم في هذا المضمار ، لن يكون أفضل وأسمى مما قدمته لهم ثقافتهم نفسها ، ومما يدلهم عليه دينهم نفسه .

حج خمس مرات ، وشغفت قلبه تلك الشعائر والمنازل ، ولسان حاله ينشد قول القائل : « لك يا منازل في القلوب منازل » وصف المسلمين في الحج والثّج كأنك تراهم ، وختم حديثه معبراً عن إيمانه وإذعانه بقوله : « من وسط هذه الوديان ، انبثق أعظم دين في تاريخ الإنسان » .

وفي طليعة الكتاب مقدمة حافلة لصديقنا الدكتور العلاّمة عبد الوهاب عزام ، أتى فيها على مجمل ما في الكتاب بأسلوب شائق مؤثر .

تفضل صديقنا المؤلف فأهدى إليّ كتابه هذا ، وكتب عليه عبارة الإهداء وأولها : إلى أقدم أصدقائي في العالم الإسلامي . . . محمد بهجة البيطار مع ودي الخالص وتقديري ؛ وإنما وصفني بأني أقدم أصدقائه ، لأني صحبته في مكة المكرمة عام ١٩٢٧ م ، ثم لقيته في دمشق ولبنان فلم تزدني معرفتي به إلا إعجاباً بإيمانه ، وبحبه الخالص للعروبة والإسلام .

محمد بهجة البيطار

تطور صناعة الزيت في الشرق الأوسط (١)

« كتاب يقع في ٤٠ صفحة من القطع الكبير ، راجعه وحرره الأستاذ وديع فلسطين ، وطبعته دار المعارف في مصر سنة ١٩٥ »

هذا كتاب صغير في عدد صفحاته ، كبير في كثافة مادته ، نسيج وحده بالعربية في خرائطه الجيولوجية والطبغرافية الملونة .

لقد عُرف الأستاذ وديع فلسطين في دنيا الأدب والصحافة بقلمه الناصع ، وبيانه العربي المشرق ، فلا عجب أن يجول قلمه في هذا الكتاب جولةً بسَّط فيها مواضيعه العلمية المختلفة بلغة سهلة وصحيحة .

وبلاد الشرق الأوسط التي ورد ذكرها في الكتاب هي إيران والعراق والمملكة العربية السعودية والبحرين والكويت وقطر . ومن المعروف أن حقول النفط فيها تقع كلها في الخليج العربي .

بدأ المؤلف حديثه بذكر ما لنفط الشرق الأوسط من شأن في العالم ؛ ثم انتقل الى ذكر لمحة في التأريخ الحديث للبلاد الملمع اليها بلداً بلداً ، وفي

(١) الزيت في المعجمات الأصلية عصير الزيتون لا عصير غيره من النبات ، فهذا يسمى الدهن فيقال مثلاً دهن اللوز ودهن الكتان ودهن البنفسج ودهن الورد وهكذا ، وقد درج المولدون على إطلاق كلمة الزيت تعميماً على ما يسمى بالإنكليزية Oil أي على النفط الخام وكذلك على زيت الزيتون وأدهان النباتات السائرة .

تأثير موارد النفط في أوضاعها العامة ؛ ثم تناول قصة النفط في كل بلد ، منذ تأريخ منح الشركات المختلفة امتيازات التنقيب عنه حتى أيامنا هذه التي تتدفق فيها تلك المقادير العظيمة من هذا السائل الحيوي المسمى بالذهب الأسود .

والمعلومات المكثفة ، والإحصاءات الدقيقة ، والخرائط والجداول البيانية الملونة التي يراها المطالع في هذا الكتاب لا يجدها في كتاب عربي آخر .

ومن المؤسف ألاّ تتسع مجلتنا لنقل كثير من المعلومات المفيدة التي اشتمل الكتاب عليها فنجتزئ بذكر الأمثلة الآتية دَلالةً عليها :

تنتج حقول النفط في الشرق الأوسط ربع ما يحتاج اليه العالم الغربي من النفط (أي عدا الكتلة السوفياتية) . وتستورد أوربة اليوم من الشرق الأوسط تسعين في المائة من جماع النفط الذي يأتيها من العالم . وبلغ دخل حكومات الشرق الأوسط وشعوبه من النفط وصناعته في سنة ١٩٥٥ قرابة ٩٠٠ مليون دولار . وقُدر مجموع ما استُنبط من النفط في تلك البلاد في سنة ١٩٥٦ بنحو مليار و ٢٧٥ مليون و ١٢٠ ألف برميل ، وهو ما يعادل ٢٣ في المائة مما يُستنبط في العالم الغربي كله .

وجاء في الجداول البيانية الملونة مقدار ما نتج من النفط الخام في كل قطر من الأقطار المذكورة وفي كل سنة من السنين العشر الأخيرة . ويتضح من تلك الجداول أن معدل ما نتج في كل يوم من أيام سنة ١٩٥٦ هو :

اسم القطر	عدد براميل النفط الخام في اليوم
الكويت	١،١٤٤،٠٠٠
المملكة العربية السعودية	٩٨٦،١٢٩
العراق	٦٣٣،٠٠٠
إيران	٥٣٥،٠٠٠
قطر	١٢٣،٠٠٠
البحرين	٣٠،٠٠٠

هذه بعض الأمثلة على ما في الكتاب من معلومات غزيرة . والكتاب لا يتعرض للناحية السياسية من هذا الموضوع الهام . ولو كان من خطة مجلتنا الخوض في الأمور السياسية لكان أمامنا مجال واسع للكلام على هذه الثروة العظيمة من النفط التي نستطيع بها رفع جميع شعوب أمتنا العربية الى مستوى أرقى الشعوب اجتماعياً وثقافياً واقتصاديا .

تقارير الأمم المتحدة

أهدى الينا مكتب الأمم المتحدة للأنباء في الشرق الأوسط ومقره القاهرة عدداً من كراريس مكتوبة بعربية حسنة ومشتملة على ما يلي :

١ — تقرير مجلس الأمن الى الجمعية العامة عن المدة الواقعة بين ١٦ من تموز سنة ١٩٥٥ و ١٥ من تموز سنة ١٩٥٦ .

٢ — تقرير المجلس الاقتصادي والاجتماعي عن المدة الواقعة بين ٦ من آب سنة ١٩٥٥ و ٩ من آب سنة ١٩٥٦ .

٣ — تقرير مجلس الوصاية عن المدة الواقعة بين ١٧ من تموز سنة ١٩٥٤ و ٢٢ من تموز سنة ١٩٥٥ .

٤ — التقرير السنوي للأمين العام عن أعمال المنظمة بين ١٦ من حزيران سنة ١٩٥٥ و ١٥ من حزيران سنة ١٩٥٦ .

٥ — القرارات التي اتخذتها الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها العاشرة بين ٢٠ من أيلول و ٢٠ من كانون الأول سنة ١٩٥٥ .

والمعلومات التي حوتها هذه الكراريس متنوعة ومفيدة لكل من يهمهم معرفة أعمال الأمم المتحدة في السنتين الماضيتين . وهيهات أن يكون في مجلتنا متسع لذكر شيء من هذه الأعمال الواسعة المتشعبة ، ولكن هنالك أمراً استوقف نظرنا في تقرير مجلس الأمن ، وهو أن أكثر من نصف هذا التقرير الطويل

قد مُلئت صفحاته بقضية فلسطين ، ولا سيما باعتداءات إسرائيل على قطاع غزة ، وعلى الأراضي السورية الواقعة في الشرق الشمالي من بحيرة طبرية .

وما كان أغنى الدول الاستعمارية ، وأغنى الولايات المتحدة الأميركية خاصةً ، عن أن تُشغل أنفسها ، وتشغل البلاد العربية ، وتشغل دول الأمم المتحدة بأمرها ، بعصابات من أفاقي العالم وأعداء البشرية ، ألّفت منهم دولة في فلسطين العربية ، وأخذت تحميهم وتمدهم بالمال والسلاح ، حتى تنكروا لقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بتقسيم فلسطين وبعودة اللاجئين اليها ، وراحوا يمعنون في أموال عرب فلسطين سلباً ونهباً ، وفي ضعفائهم تقتيلاً وتشريدا ، وحتى بلغت بهم الجرأة مبلغ تحدي الدول العربية المجاورة لهم ، والاعتداء على أراضيها وعلى مخافرها بين الفينة والفينة .

أو ليست سياسة هذه الدول هي مكمن الداء الناجم عن جميع أجرام اليهود في فلسطين ؟ فيالضياع الضمير العالمي في الأمم المتحدة أمام الاستعمار الذي لا ضمير له .

إدارة الناس فن

« كتاب ألفه جورج . د . هالسي ، وترجمه أحمد زكي محمد ، وقدم له
قائد الجناح حسن إبراهيم وزير الدولة لشؤون الانتاج
في مصر ، وطبعته « دار المعارف » فيها فجاء
في ٢٧٥ صفحة من قطع الوسط »

لقد اتفق لي غير مرة ، وأنا أعنى ، في الحقول أو في المخابر ، بأمور النبات والحيوان ، أن جاءني صحاب يقولون لي : ما أشق هذا العمل الذي ألزمت نفسك به ، فكنت أجيبهم باسماً بأنني عانيتُ فيما عانيت سياسة الناس في الحكومة

مدة طويلة ، فألفيت سياسة هذه الأحياء غير الناطقة أسهل بكثير من سياسة الحيوان الناطق المسمى إنساناً ، فنحن عندما نعالج أمراً من أمور النبات أو الحيوان بوسائل علمية معروفة ، ننتهي غالباً الى نتائج واحدة كثيراً ما تكون مرتقبة . أما الناس فان لكل فرد من أفرادهم طبيعةً وعقليةً وقابليةً وأحوالاً شخصية خاصة ، فليس من السهل معالجة أمورهم المختلفة ، ولا سيما في خضم القوانين والأنظمة السياسية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية في عصرنا الحاضر .

وإدارة الناس أشكال على حسب مجتمعاتهم المتعددة . ومهما يكن الشكل فقد أصبح اليوم لعلاقات الناس بعضهم ببعض فلسفة ونظريات وقواعد تختلف عن أشباهها في الماضي . ففي السنين الخوالي كان طراز الحكم أو جهل الأفراد أو فاقتهم كثيراً ما تضطرهم الى العمل قسرا . أما في هذا الزمن فقد أصبح لحرية الفرد مكان مرموق ، وأصبحت علاقات الرئيس والمرءوس تعاطفاً وتضامناً وتكافلاً في مصلحة العمل ومصلحة المجتمع ، ولذلك أصاب مؤلف هذا الكتاب في قوله إن إدارة الناس أمست فنّاً من الفنون .

تناول المؤلف في كتابه موضوع إدارة الموظفين والعمال في المؤسسات والشركات والمعامل والمتاجر ، فأوضح الأسس التي يجب أن تقوم عليها علاقة المدير أو المشرف بالموظف أو العامل لكي يكتب النجاح للعمل ، وبيّن الصفات التي ينبغي لكل منهم أن يتحلى بها ، والسلوك الذي عليه أن يسلكه ، وذلك بعد أن حلل النفسية البشرية تحليلاً نظرياً وعملياً .

وفي الكتاب تفصيلات مفيدة في دقائق الإدارة .

الإرشاد الزراعي

«كتاب في ٣١٠ صفحات من قطع الوسط ، ألفه لنكولن دافيد كيلسي ، وكاني تشايلز هيرن ، وترجمه ملخصاً محمد المطم ، وراجعه مصطفى الفار ، ونشرته مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ودار الثقافة ببيروت ومكتبة المثنى ببغداد ، بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر في القاهرة ونيويورك»

من المعروف أن الزراعة الحديثة أصبحت قائمة على أدق الأسس العلمية ، وأن العلوم الزراعية صارت تدرّس نظرياً وعملياً في مدارس زراعية شتى منها المتوسطة ومنها الثانوية ومنها العالية ، دع مدارس الاختصاص والمخابر والمحطات الزراعية على اختلاف أغراضها .

وجميع هذه الأشكال في التعليم والتثقيف الزراعي لا تسد حاجة جمهرة الزراع والفلاحين الى من يبين لهم في بيئتهم أنجع السبل التي ينبغي لهم سلوكها لكي يفيدوا أعظم فائدة من ممارسة مهنة الفلاحة .

وعلى هذا قامت مؤسسات الإرشاد الزراعي في كثير من البلاد . والكتاب الذي نتكلم عليه يتناول مواضيع الإرشاد الزراعي في الولايات المتحدة الأمريكية خاصةً ، فهو يبحث في ماهية الإرشاد الزراعي ، وتأريخه وأهدافه وفلسفته ، وعلاقته بالحكومة وبالأهلين ، وتنظيم برامجه وإعداد طبقات المرشدين والإخصائيين ، وطرائق الإرشاد بالخطب والمحاضرات والإذاعة والصحافة والسينما والنشرات والاجتماعات والاتصالات الشخصية الخ .

وفي الكتاب معلومات واسعة في هذه المواضيع ، وهو مفيد في بابه .

مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨
وأثره في البلاد العربية

« محاضرات في ٦٦ صفحة ألقاها الدكتور مصطفى صفوت سنة ١٩٥٧
على طلبة قسم الدراسات التأريخية في معهد الدراسات
العربية العالية التابع لجامعة الدول العربية
في القاهرة »

يعرف كل مطلع على التأريخ السياسي الحديث أن الدول الأوربية الكبرى كانت تسمي الدولة العثمانية « الرجل المريض » ، وأن ما كان يُعرف باسم « القضية الشرقية » إنما هو في الحقيقة فصل نصارى الدولة العثمانية عنها في أوربة ، أي في البلقان ، واستيلاء الدول الأوربية المذكورة على الأجزاء العربية والتركية من تلك الدولة في آسية وفي افريقية ٠

ولولا اختلاف الدول الكبرى على الغنائم لما امتدت تصفية القضية الشرقية من سنة ١٨٢٩ ، وهي السنة التي استقلت فيها اليونان ، حتى سنة ١٩١٨ ، وهي السنة التي انتهت فيها الحرب العالمية الأولى ، وانفصلت فيها البلاد العربية الآسيوية عن الدولة العثمانية ٠

والمحاضرات التي نتكلم عليها تناولت هذا الموضوع من جميع نواحيه في المدة التي انقضت قبل مؤتمر برلين ، وأدت الى عقد هذا المؤتمر سنة ١٨٧٨ م ٠ وقد نتج من معاهدة برلين تثبيت استقلال رومانية والصرب والجبل الأسود « بوغوصلافية » ، وانفصال بلغارية ، واحتلال بوسنة وهرسك ، وغير ذلك من الأمور التي أضعفت الدولة العثمانية ، ومهدت سبيل الدول الكبرى ، فثبتت أقدامها بعد ذلك في تونس ومصر والكويت والمغرب وليبية وغيرها من البلاد العربية ٠

والمحاضرات مفيدة ، وقد ألحق بها وثائق ومراسلات سياسية بالإنكليزية والفرنسية والألمانية ٠

النقل في البلاد العربية

« محاضرات في ١٦٥ صفحة من قطع الوسط ألقاها الدكتور محمد محمود الصياد على طلاب معهد الدراسات العربية العاليـــة التابع لجامعة الدول العربية »

وهي محاضرات تكلم فيها المحاضر الفاضل على العوامل الطبيعية وأثرها في موضوع النقل في البلاد العربية ، ثم تناول من الأقطار العربية مصر والسودان والشام (سورية ولبنان والأردن وفلسطين) والعراق وجزيرة العرب ، فذكر وسائل النقل في كل منها أي النقل في الأنهار وفي سكك الحديد والسيارات والطيارات والبحار .

وفي الكتاب ١٤ خريطة ، وإحصاءات كثيرة ، ومعلومات غزيرة ومفيدة . وقد استوقف نظرنا في الخرائط أسماء بلدان تُرجمت غلطاً منهـا على وجه التمثيل لا الحصر .

الاسم المذكور في الخريطة	الاسم الصحيح	ملاحظات
جسر الشاغور	جسر الشُّغـر	والعامة تقول جسر الشغور
دمر كابو	دميرقبو	في الجزيرة
سفير	سفيرة	قرية جنوبي حلب
عنة	عانة	والعامة في العراق تقول عنة
مادابا	مادبا أو مأدبا	في الأردن
حديرة	خُضَيرة	في فلسطين
قسطنطينية	قُسَنْطينة	في الجزائر
راما	الرامة	في فلسطين
حسِتكة	حسكة	ص ١١٠
عين دفار	عين ديوار	ص ١١٠
الخ .		

أصول ألفاظ اللهجة العراقية

« كتاب في صفحتين ومائة صفحة من القطع الكبير ألفه العلامة الشيخ محمد رضا الشبيبي
ونشره أولاً في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٥٦ ، ثم طبعت مطبعة
المجمع منه نسخاً منفردة عن مجلته »

والكتاب قسمان قسم في عشرين صفحة بحث فيه الأستاذ الشبيبي في أصول اللهجة العراقية ، ورد معظمها الى عصر المغول في القرن السابع والقرن الثامن للهجرة ، مستشهداً بما عثر عليه أو طالعه من كتب ألفت في تلك الأيام ، (ولا سيما كتاب الحوادث الجامعة) ، واستدل بمدارستها على أن لهجة العراق الحضرية في أيامنا هذه لم تتغير كثيراً عما كانت عليه في تلك الأيام . وفي هذا القسم نظرات لغوية صائبة في الاشتقاق والتعريب .

أما القسم الثاني ، أي معظم الكتاب ، فهو يشتمل على ٨٦ كلمة أعجمية أو عربية مولدة ردها المؤلف الفاضل الى أصولها ، وذكر استعمالها في الكتب القديمة الملمع اليها ، وأوضح أوجه الصحة في استعمال بعضها الى غير ذلك من المعلومات الدالة على جهد المؤلف الكبير في تتبع هذا البحث الدقيق .

ومن الواضح أن الكلمات العامية العراقية ، على مختلف أشكالها ، كثيرة جداً ؛ والأستاذ العلامة لم يتناول لــــ بحثه الماتع هذا سوى جزء صغير منها ؛ وكل محب للغة الضاد يتمنى أن يداوم الأستاذ على عمله المفيـد ، حتى يصير عندنا للألفاظ العامية العراقية كتاب كبير شبيه بكتاب العلامة الفقيد الشيخ أحمد رضا في الألفاظ الشامية وهو « رد العامي الى الفصيح » الذي نشرته « دار العرفان » في صيدا مشتملاً على ما لا يقل عن ألف وخمسمائة لفظة .

التربية السياسية

« أربع محاضرات ألقيت في المؤتمر السابع لهيئة
الدراسات العربية في الجامعة الأميركية ببيروت سنة ١٩٥٧ »

والمحاضرة الأولى في «المواطن الصالح» للدكتور فؤاد عمون ، والثانية في «مهمة الدولة في خلق المواطن الصالح» للدكتور أديب نصور ، والثالثة في «مهمة النخبة في خلق المواطن الصالح» للدكتور ادمون رباط ، والرابعة في «الصحافة ووسائل النشر» للأستاذ محيي الدين النصولي .

تدل عناوين هذه المحاضرات الثمينة على مواضيعها ؛ ومن الطبيعي القول بأنها تتناول المواطن الصالح في بلادنا العربية خاصةً ، وكذلك مهمة الدولة والنخبة والصحافة ووسائل النشر في خلق المواطن العربي الصالح .

ومواضيع المحاضرات دقيقة ؛ وللآراء السياسية فيها ميادين وملاعب لو أردنا أن نجول فيها لاحتجنا الى تسطير صفحات عدة . ومن المؤسف ألاّ يكون من مبدأ مجلتنا هذه الخوض فيها . لذلك نكتفي بقولنا ان المحاضرين الأفاضل قد أوضحوا مواضيعهم إيضاحاً يدل على علم وتجربة . وجلاء قضية من القضايا خطوة واسعة في سبيل حلها .

المغرب العربي

في طريق التطور والاتحاد الاقتصادي

« كتاب ألفه يونس صالح الحريثي وطبعته « دار الأندلس » للطباعة والنشر
في بيروت فجاء في ١٧٨ صفحة من القطع الصغير »

عرّف المؤلف الفاضل المغرب العربي بقوله انه يشمل ليبية وتونس والمغرب الأوسط «أي الجزائر» والمغرب الأقصى «أي المملكة المغربية» فبحث في أوضاعها الجغرافية والاقتصادية والزراعية ، وعلاقاتها بفرنسة وإسبانية وإيطالية ، وخلص الى البحث في تطوراتها المختلفة ، والى ذكر الوسائل المؤدية الى وحدتها الاقتصادية .

وفي الكتاب معلومات وإحصاءات كثيرة ومفيدة .

الشهابي

تاريخ الأمة العربية ــ عصر الانبثاق

الجزء الأول

تأليف الدكتور محمد أسعد طلس

طبع في بيروت سنة ١٩٥٧ في (١٩٢) صفحة من قطع الوسط

يشتمل هذا الجزء على تاريخ العرب قبل الإسلام ؛ عرّفه المؤلف بعصر الانبثاق ، وجمع به ما حاضر به طلابه في كلية الملكة عالية ببغداد وكلية الآداب فيها . وقد استهل بحثه بجغرافية دنيا العرب وتقسيماتها الطبيعية والسياسية ، قديمها وحديثها ، وعدد بحارها وبحيراتها ، ووصف كبريات مدنها ؛ ثم انتقل الى تاريخ العرب قبل الإسلام ، واختتم هذا الجزء بالقسم الأول من عصر الانطلاق حسب اصطلاح المؤلف ، أي أيام الرسول وخلفائه الراشدين . وقد جمع المؤلف في هذا التاريخ ما هو مبعثر في مظان عديدة فوفر بجهده على الطالب والباحث عناء التنقيب في المراجع الكثيرة ، وهو عمل مفيد يستحق التقدير .

ولا يخلو الكتاب على فائدته من هفوات ومن أخطاء مطبعية يستغلق فيها المعنى على القارئ ، فمن المفيد التنبيه اليها وتصحيحها في كتاب مقدر له أن يكون مرجعاً للطلاب وغيرهم ، ومن أهمها التصحيحات الآتية :

ص ٧ — قد أخرج بالشكل الذي حدد فيه دنيا العرب اليمن والمغرب العربي من هذه الدنيا .

ص ١١ — ان دنيا العرب بلاد شاسعة ممتدة على مساحة (٥٠٠٠) ك م مربع من الغرب الى الشرق وصوابه أن يقال : ... تمتد على طول (٥٠٠٠) ك م ... الخ .

ص ١٣ — غابات الغضى صوابها غابات أو أدغال الغضا .

ص ١٥ — بحيرة انطاكية وبحيرة افاميــة ، فقد اشتهرتا بمستنقع العمق ومستنقع الغاب .

ص ١٦ — ارخروم صوابها ارضروم .

ص ١٦ — الدجلة صوابها دجلة .

ص ١٨ و ١٩ — أخطاء في مجموع مساحة البلاد العربية وسكانها .

ص ٣٣ — الجماد لعلها الحماد وهي عامية يراد بها البادية .

ص ٣٣ — حبذا لو اقتصر في تحديد الدول العربية على ذكر الدول والبحار المجاورة لها فهي أوضح وأعلق بالذهن من ذكر جبال ووديان وأنهر وبوادٍ غير مشهورة .

ص ٣٣ — مساحة المملكة الأردنية مبالغ فيه .

ص ٣٤ — بحيرة العقبة صوابها العتيبة .

ص ٣٥ — مدينة سكنة صوابها مسكنة .

ص ٣٥ — الخابور يصب في دجلة صوابه يصب في الفرات .

ص ٣٥ — تل حسوتة صوابه تل حسونة .

ص ٣٥ — العلافية صوابها العيلامية .

ص ٣٥ — الحجاز لا يتاخم مصر .

ص ٥٠ — خطط العرق صوابها العرض .

ص ٥٠ — البحر الأحمر واريترية . هما اسمان لمسمى واحد .

ص ٥٥ — تصحيح حدود الجزائر الغربية والاقتصار على مراكش فقط .

ص ٥٨ — تقرت صوابها تاهرت .

ص ٥٩ — بونة صوابها بونة أو عنابة .

ص ٨٤ — غرود صوابها نمرود .

ص ١٠٨ — الرابت صوابه ألبريت Albrigt .

ص ١٢١ — وادي يُطحان صوابه بُطحان .

ص ١٢٦ — الحجار صوابها الجمار .

ص ١٣٣ — وجنان كالجواب صوابها وجفان كالجواب .

ص ١٤٢ — غولد زبير صوابه غولد زيهر .

ص ١٤٩ — قوجيه صوابه فوجيه أو فوغيه Vogué .

ص ١٤٩ — روسو صوابه دوسو .

ص ١٤٩ — السبئي صوابها السَّبَئي .

ص ١٥١ — ولبل واهر صوابه راهن .

ص ١٥٦ — عصر النهي صوابه النبي .

ص ١٥٩ — ذكر ان ولادة عبد المطلب بن هاشم أو وفاته كانت في سنة ١٢٧ قبل م . وهذا خطأ ظاهر ، والتواريخ الميلادية في الصفحات التي تلي هذه الصفحة مشوشة تحتاج الى اعادة النظر فيها .

ص ١٧٢ — ولا غزو صوابها ولا غرو .

وكان كل قوم بلهجتهم لعل صوابها وكان يخاطب أو يكلم كل قوم . . . . الخ .

نشكر للدكتور جهده ونتمنى له التوفيق في إنجاز بقية أجزاء هذا التاريخ الذي نأمل أن يكون له شأن بين المراجع التاريخية ، وعسى أن تزداد عناية المؤلف بطبع تلك الأجزاء وبتحقيق موادها .

ماذا حدث في التاريخ

تأليف جوردن تشايلد وتعريب الدكتور جورج حداد

طبع في القاهرة عام ١٩٥٦ في (٢٩٢) صفحة بقطع الوسط

نقل الدكتور حداد هذا الكتاب الى اللغة العربية ضمن مشروع ثقافي اضطلعت به الجامعة الأمريكية في بيروت بالتعاون مع مؤسسة روكفلر ومؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر .

إن مؤلف هذا الكتاب هو علم من أعلام التاريخ القديم وأستاذ كبير في علم آثار الإنسان ونشاطه في العصور الخالية ، اشتهرت سمعته منذ أن كشف قرية سكارابراي من قرى العصر الحجري في اوركني البريطانية ، وطاف هذا العالم بأكثر البلاد الشرقية والغربية ، منقباً عن نشاط الإنسان الأول في كهوفه ومنازله ومدافنه ، مستنطقاً جمادات معالمه بنجوة عن نزعات المؤرخين وتضليل الرواة والمدونين التي كثيراً ما أبعدت المؤرخين عن الحقيقة وأضلتهم السبيل . وقد ساهم المؤلف بقسط وافر بإنشاء تاريخ الإنسان في عصر ما قبل التاريخ ، وهي حقب طويلة دامت نحو (٢٥٠٠٠٠) سنة ، انتقل خلالها الإنسان من الكهوف الى القصور متدرجاً في تطوره المادي والفكري ، موطداً دعائم حضارة المجتمع البشري . كتب جوردن تشايلد في مؤلفاته لا سيما في هذا الكتاب قصة الإنسان الأول في مراحل تطوره من همجية العصر الحجري القديم الى طور استقراره واستثماره خيرات الطبيعة في العصر الحجري الحديث . وهذا الكتاب هو استئناف أبحاث سابقة كان المؤلف عرضها في مؤلفات سابقة عن تقدم الإنسان عبر مئات الألوف من السنين التي سبقت تاريخ التدوين ، ويجيبنا في فصوله على السؤال الذي طرحه على نفسه في عنوان كتابه « ماذا حدث في التاريخ » الجواب المقنع ، مدعوماً بنظريات علمية حديثة أخذ بها علماء آثار ذاك العصر وأحدثت ثورة في معتقدات الناس فيما يتصل بأصل البشر وسلالاته ، ومهدت السبيل أمام مزاعم داروين ومن يقول بقوله عن نشوء الإنسان وارتقائه .

وقد أحسن المؤلف بكتابه للعلم وكذلك أحسن الدكتور حداد الى الثقافة العربية بترجمة هذا الكتاب الجليل وأضاف الى المكتبة العربية كسباً جديداً وبحثاً حديثاً نفتقر اليه ، وقد برهن الدكتور حداد عن كفاءته وأمانته ، كما هي عادته في جميع ما ألف وعرّب ففاز بإعجاب مواطنيه وتقديرهم ، فنكرر للدكتور الشكر على جهده وحسن اختياره وتهنئته على توفيقه .

جعفر الحسني

معجم أمثال الموصل العامية

إن «معجم أمثال الموصل العامية» مؤلف في جزءين، وضعه الأستاذ عبد الخالق خليل الدباغ الهذلي، وقدم له الدكتور داود الچلبي، ونظر فيه وعلق عليه الأستاذ محمود الملاح.

لقد جمع المؤلف بين دفتي هذا الكتاب عدداً كبيراً من الأمثال العامية، ورتبها حسب حروف المعجم، وفسرها بأسلوب سلس متين. وهذا لعمري عمل شاق يتطلب جهوداً كبيرة يقدرها حق قدرها من عانى مشكلة جمع الأمثال العامية، كما أن صعوبة التفسير ليست بأسهل من صعوبة الجمع، وذلك لأن تفسير الكلمات العامية لا يتطلب الرجوع الى المعاجم اللغوية فقط بل يتطلب أيضاً التحري عن أصل الكلمات المحرفة عن بعض اللغات الأجنبية، وهذا يحتاج الى صبر وطول أناة بالإضافة الى المقدرة العلمية. وقد بدا لنا من خلال مطالعة هذا الكتاب أن العامية الموصلية مشحونة بكثير من الكلمات التي هي من أصل آرامي أو سرياني أو تركي أو يوناني. وهذا ناشئ عن تأثير هذه الثقافات بالثقافة العربية، كما انه يرجع بجزء منه الى تدني الثقافة العربية وطغيان العجمة على أبناء البلاد العربية؛ ولذلك كثيراً ما نلاحظ الناس لا يستسيغون الأمثال الفصحى استساغتهم للعامية بسبب صعوبة الأولى وسهولة الثانية.

وهذا التأثير المشاهد في اللغة العامية الموصلية يشاهد أيضاً في العامية السورية، أو بالأصح في العامية العربية بجميع لهجاتها ولكن بتفاوت بسيط.

ويلاحظ تشابه الأمثال الموصلية مع الأمثال السورية بالمعنى والمبنى، فالإمالة الموجودة في اللغة الموصلية موجودة أيضاً لدينا فنقول، كما يقولون، (رقبي) أي رقبة كما نقول (خشبي وقصبي) بدلاً من خشبة وقصبة .... وكذلك الأمر في الإمالة المفضوحة الموجودة عندهم فهي ظاهرة لدينا أيضاً، ونضرب على ذلك مثلاً الألفاظ الآتية (قيعد) و (ويقف) بدلاً من قاعد وواقف فهي

كثيرة الاستعمال بل شائعته في منطقة حماة ، كما ان لفظة (الرجيل) بدلاً من الرجال كثيرة الاستعمال بل دائمته في منطقة حلب . وكذلك دخول (ال) ، التي هي بمعنى الذي أو التي ، على الفعل ليس بغريب على لغتنا العاميـة كما هو الحال في لغة الموصل ، فنحن نقول مثلاً (الينام هالنومات بشوف هالشوفات) إلا أننا نلفظ الـ (أل) بشكل فيه إمالة حيث تبدو وكأنها (اللي) . وكذلك الأمر فيما يتعلق بصيغة (فاعول) السريانية فانها سائدة في لغتنا أيضاً كحاصود وداقور ، والمثل الآتي (ان رحنا عالقبور بيلحقنا ألف داقور) لخير شاهد على ذلك .

ويستعمل الموصليون أبويا وأخويا في حين أننا نستعمل ذات اللفظ ولكن بتحريف بسيط إذ نقول (أبوي وأخوي) لا سيما في منطقتي حمص وحماة . وكما أن لدى الموصليين نوعاً من التصغير فاننا أيضاً نستعمل هـذا النوع على سبيل التحبب إلا أن لنا فيه قياسات خاصة فعند تصغير عبد الرحمن نقول (رحمو) وهم يقولون (رحو) ومصطفى (صطوف) وهم يقولون (صفو) . والابدال الموجود في عامية الموصل موجود بذاته في عاميتنا فمثلاً (حكيت وشميت) من حككت وشممت ، وغيرهما كثير ، من الكلمات الكثيرة الاستعمال عندنا . وما قيل في الابدال يقال أيضاً في (القلب والاتباع) .

إلا ان (لثغة الراء) عندهم غير معروفة عندنا ، وقد حرص المؤلف على تثبيتها مما جعل قراءة مؤلفه صعبة علينا ، إذ أننا لم نألف هذه اللثغـة ، وله مبرراته في ذلك إذ أنه أورد الأمثال العامية بإملائها لا بإملاء الفصحى وهو بعمله هذا قد أثبت للتاريخ هذه اللهجة التي اعتقد أنها صائرة الى الزوال عندما تعم الثقافة العربية وتتراجع العامية بتقدم الفصحى فيكون بذلك قد قدم للتاريخ خدمات مشكورة .

ويزيد في صعوبة قراءة هذا المؤلف وفهمه كون العامية الموصلية تحوي بعض الأحرف غير الموجودة في العامية السورية مثل الكاف الفارسية المقلوبة عن

القاف ، والكاف المقلوبة الى جيم فارسية . وهذا الأمر لا يمكن تذليله ما لم يكن القارئ السوري قد ألمّ بهذه الأحرف وسبق لأذنه أن سمعتها ، ولكن الاتصال المتزايد بين القطرين الشقيقين قد أخذ بتذليل هذه الصعوبة إذ لم تعد اللهجة الموصلية غريبة على أبناء سورية .

لقد أحسن المؤلف باقتطاف ما اقتطف من مقدمة رسالة الدكتور الجلبي في (الآثار الآرامية في لغة الموصل العامية) لأنها ذات فائدة كبيرة لمتتبع الأمثال العامية وخاصةً إذا كان يبغي من وراء ذلك استشفاف الوضع الاجتماعي ومعرفة عادات القوم ونظرتهم الى الكون والحياة ومدى تأثرهم بالأمم الأخرى وتأثيرهم فيها .

وقد دلتنا هذه المقتطفات على أن العامية السورية قد جارت الموصلية في اقتباسها من الآرامية سواء كان ذلك في الآثار الصرفية أو النحوية أو الآثار اللفظية أو اللغوية .

هذا فيما يتعلق بمشابهة مبنى الأمثال العامية لمبنى أمثالنا ، أما فيما يتعلق بتشابه المعنى فالأمثال المتشابهة كثيرة وكثيرة جداً ويحتاج سردها الى مؤلف ضخم ليس الآن وقته .

إن ما ذكرناه من تشابه العامية الموصلية والعامية السورية لا يعني أن كلاً منها صورة طبق الأصل عن الأخرى ، لأن التشابه لا يعني التماثل ، بل نقول إن لكل منها تعابيرها وإمالتها كما ان كلاً منها لهجة خاصة من اللهجات العربية ، وهذا أمر طبيعي فلكل قطر بل لكل بلد لهجته الخاصة به المتأثرة بوضعه الطبيعي والاجتماعي ومدى تأثره بالأقوام المجاورة . وبما أن هذه البلاد قد خضعت لتيارات مختلفة من الغزوات والفتوح فقد تأثر كل قطر ـ بنسب متفاوتة ـ بعادات الأمم الأخرى ولغاتها ، فتعددت اللهجات العامية واختص كل قطر بلهجته الخاصة ، ومن المعلوم أن اللغة العربية الفصحى نفسها كانت ذات لهجات مختلفة .

وأخيراً يجدر أن نثبت هنا تقديرنا للجهود التي بذلها المؤلف في سبيل إخراج هذا الكتاب راجين له دوام التوفيق .

محمد ظهير حمران

آراء وأنباء

قرار وزاري في الصلة بين

مجمع اللغه العربية والمجمع العلمي العربي

رقم ٥٤٠ بتاريخ ١١ يونية (حزيران) سنة ١٩٥٨

وزير التربية والتعليم

بعد الاطلاع على المباحثات التي جرت بشأن تنسيق العمل بين مجمع اللغة العربية بالقاهرة والمجمع العلمي العربي بدمشق ،

وعلى التشريعات والمراسيم التي تحدد نهج كل من المجمعين وعملهما للمحافظة على سلامة اللغة العربية ونشر تراثها وتيسير الانتفاع بها ،

قرر

المادة الأولى :

يبقى مجمع اللغة العربية بالاقليم المصري والمجمع العلمي العربي بالاقليم السوري في مثل وضعها الحاضر ، ويعملان للغرض المشترك في الاقليمين ، على أن يلتقيا مرة أو مرتين كل سنة في الاقليم المصري أو في الاقليم السوري على هيئة مؤتمر تصدر عنه قرارات المجمع .

المادة الثانية :

يكون لهذا المؤتمر ـ الذي ينوب عن المجمع الموحد ـ مكتب دائم يتولى تنسيق العمل المشترك بين المجمعين .

المادة الثالثة :

تعتبر هذه المبادئ خطوطاً رئيسية لتفصيلات فرعية تتألف لجنة مشتركة من المجمعين لوضعها واقتراح التشريعات اللازمة لها .

المادة الرابعة :

تتألف اللجنة المشار اليها في المادة السابقة من السادة :

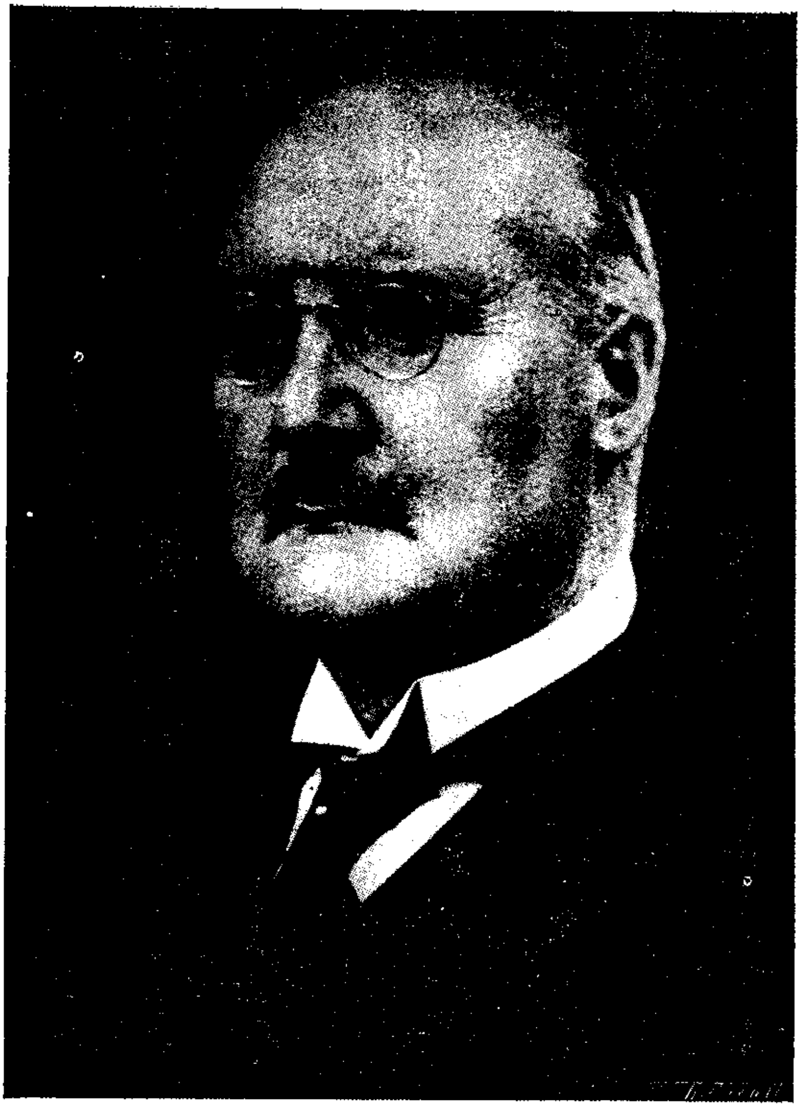
الأستاذ أحمد لطفي السيد	رئيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو من ينوب عنه
الدكتور منصور فهمي	كاتم سر مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الأستاذ محمد شفيق غربال	عضوي مجمع اللغة العربية بالقاهرة
الأستاذ زكي المهندس	
الأستاذ خليل مردم بك	رئيس المجمع العلمي العربي بدمشق أو من ينوب عنه
الأستاذ الأمير جعفر الحسني	كاتم سر المجمع العلمي العربي بدمشق
الدكتور جميل صليبا	عضو المجمع العلمي العربي بدمشق
الأستاذ الأمير مصطفى الشهابي	عضو المجمعين
الأستاذ محمد سعيد العريان	مدير الشؤون العامة بوزارة التربية والتعليم

المادة الخامسة :

على وكيل الوزارة تنفيذ هذا القرار .

وزير التربية والتعليم

كمال الدين حسين



الأستاذ رينه دوسو

(١٨٦٨ _ ١٩٥٨)

الأستاذ رينه دوسو
René Dussaud

١٨٦٨ ـ ١٩٥٨

عضو مراسل للمجمع العلمي العربي وعضو المجمع العلمي الفرنسي وأمين السر العام الدائم الفخري لمعهد النقوش والفنون الجميلة ، وأمين متاحف فرنسة الفخري وحامل وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى

نعت الينا أنباء فرنسة وفاة الزميل المرحوم الأستاذ رينه دوسو . وقد فقد بموته الآثاريون علماً من أعلامهم وركناً من عظماء أساطينهم ، كان الفقيد في طليعة العاملين في علم آثار بلاد الشرق الأدنى وبحر إيجة متبحراً بعقائدهم الدينية ولغاتهم القديمة .

كان المرحوم من أصدقاء سورية المخلصين ، شغف منذ نشأته بتاريخها القديم ، وانقطع الى دراسته وسبر غوره ، ووقف جل نشاطه العلمي على خدمة تاريخها وإعلاء شأن حضارتها . وكان من المؤمنين بعظمة هذا الشرق مهد الحكمة ومهبط الوحي ، ونشر للملأ كل ما من شأنه أن يعزز مكانة بلاد الشام التاريخية ومشاركتها في الإشعاع الفكري وتطور الحضارة البشرية .

تخرج على يديه جيل من الآثاريين الذين يفاخرون بتفقههم عليه ، واقتفوا أثره بحبهم لهذا الشرق وشاركوه بحياته عقيدته وسيواصلون بعد موته رسالته .

رحل مراراً الى بلاد الشام وجاب معمورها وبواديها ، يبحث عن آثارها وينقب في أطلالها لاستجلاء ما خفي من ماضيها ، وواصل خلال نصف قرن البحث والتدريس وأحلّ تاريخ البلاد الشاميـة القديم مقام الصدارة بين العلوم التاريخية ، وجعل لآثارها المنزلة الأولى بين أترابها . وأيدت الاكتشافات الأثرية الحديثة حقيقة ما كان يؤمن به وما يدعو اليه ، وغدت سورية بفضل أبحاثه محط أنظار علماء الآثار في العالم وموضع اهتمامهم .

قدم في سنتي ١٨٩٥ و ١٨٩٦ الى سورية وزار حوران واللجا وجبل الدروز والصفا ، معرضاً حياته لأخطار تلك الأيام مستهيناً في سبيل غايته العلمية قسوة الطبيعة وعناء السفر ، وعاد الى بلاده من الرحلتين مزوداً بباكورة أبحاثه التاريخية ، فأودع حصيلتها في جزءين ما زالا الى يومنا هذا مرجعاً لكل باحث ، ومن أهم ما عثر عليه في إحدى رحلاته الى الصفا قبر امرئ القيس بن عمرو بن عدي اللخمي ملك العرب المتوفى سنة ٣٢٨ م ، ونقل شاهدة هذا القبر الى متحف اللوفر في باريس ·

وتوالت بعد ذلك أبحاثه الأثرية والتاريخية ولمعت مواهبه العلمية ، وأصبح حجة في اختصاصه ، وحكماً في ما يختلف فيه من الآراء العلمية ، وكان موجه البعثات الافرنسية وغيرها ومرشدها الى أهم المواقع الأثرية مثل : قَطْنا (المشرفة) وقدس (تل النبي مند) وأغاريت (رأس شمرة) وماري (تل الحريري) وغيرها ، عثر فيها المنقبون على وثائق هامة وأدركوا حقائق تاريخية مجهولة دلت على مكانة حضارة بلاد الشام في جميع أدوارها التاريخية ·

وقدر له المجمع العلمي العربي اهتمامه بتاريخ بلاد الشام وآثارها فانتخبه في عام ١٩٢٠ عضواً مراسلاً مع قافلة المستشرقين الأولى ، ومنحته فيما بعد الدولة السورية وسام الاستحقاق السوري من الدرجة الأولى ·

يتعذر علينا حصر أبحاث المُتَرْجَم له وتعداد مؤلفاته · فقد أحصى له في عام ١٩٣٩ بعض تلاميذه وأصدقائه احتفالاً ببلوغه السبعين من عمره نحواً من (٢٦٠) مقالاً وكتاباً بلغات مختلفة و (٧٧) بحثاً في دائرة المعارف الفرنسية الكبرى [1] تناول فيها دراسات متنوعة عن شرقنا ، وقد تضاعف هذا العدد في السنوات العشرين الأخيرة من عمره ·

---

(١) Melanges Syriens offerts à Mr. R. Dussaud par ses amis et ses éleves—Paris 1939.

اشتهر المرحوم الى جانب علمه الواسع بوفرة إنتاجه العلمي في شبابه وشيخوخته ، ومن أجل مؤلفاته :

Voyage archéologique au Safa et dans le Djebel ed-Druz.

(رحلة أثرية في الصفا وجبل الدروز) .

Rapport sur une mission dans le desert de Syrie.

(تقرير عن مهمة أثرية في بادية سورية) .

Les civilisations préhelleniques dans le Bassin de la mer Egée.

(حضارة حوض بحر إيجه قبل اليونان) .

Topographie historique de la Syrie antique et médiévale.

(خطط سورية التاريخية في العصور القديمة والقرون الوسطى) .

Histoire et Réligion des Nosairsi. (تاريخ النصيرية وعقيدتهم)

Notes de Mythologie Syrienne.

(تعليق على الأساطير الدينية السورية) .

Le Arabes en Syrie avant l'Islam.

(العرب في سورية قبل الإسلام) .

وهذا الكتاب آخر ما ألف وهو من أجل آثاره .

وستخلد هذه الكتب وغيرها من مؤلفاته وأبحاثه ذكر الفقيد رحمه الله رحمة واسعة .

« قياسية فَعَل للمرض »[1]

كثيراً ما تحدثتُ عن القرارات العلمية المفيدة التي اتخذها هذا المجمع الموقر في قياسية بعض الأوزان العربية تسهيلاً لعمل واضعي المصطلحات العلمية بلغتنا الضادية . فقد ذكرتُ أهم تلك القرارات في كتاب « المصطلحات العلمية في اللغة العربية » ، وأجملتها أخيراً في بحث ألقيته على أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ونشرته في مجلته ، ويسرني أن أقدم الى الزملاء الأفاضل نسخاً منه .

فمن جملة القرارات المذكورة قرار « فُعَال » للمرض هذا نصه :

« يقاس من فَعَل اللازم المفتوح العين مصدر على وزن فُعَال للدلالة على المرض » .

وهذا الوزن للمرض معروف ومشهور . وقد ذكر الشيخ أحمد الإسكندري رحمه الله في الاحتجاج لبعض قرارات المجمع العلمية : أن صيغة فُعال للمرض قياسية عند سيبويه والأخفش وابن مالك ومتابعيهم ككل أبواب الأفعال الثلاثية الكثيرة الورود عندهم .

ومن المعروف أيضاً أن هناك أسماء للأمراض اتخذت من مصادر غير مطردة كالبرسام والرَّثْية والحُمَّى وذات الجنب وغيرها .

ولعل من أكثر الألفاظ الدالة على أمراض أو آلام أو عيوب مشبَّهة بالأمراض تلك التي جاءت على وزن فَعَل مصدراً لفَعِلَ المكسور العين كالبَرَص من بَرِصَ والمَرَض من مَرِضَ والوَجَع من وَجِعَ فقد قال الاسكندري في موضوع هذا الوزن ما يلي : (ج ١ ص ٢١٠) : « إكتفَى المجمع في الدورة الفارطة (أي الدورة الأولى) بتقرير قياس فُعَال ، وربما قرر قياسية فَعَل أيضاً في دورة أخرى ، لأن هذا الوزن قياسي أيضاً عند بعض النحويين واللغويين » .

---

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي ، نائب رئيس المجمع العلمي العربي ، وأحد أعضاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في الدورة الرابعة والعشرين (١٩٥٧ - ١٩٥٨ م) لمؤتمر مجمع القاهرة .

وقد راجعت القرارات العلمية في أجزاء المجلة التي صدرت حتى يومنا هـذا فلم أجد فيها قراراً في هذا الموضوع . ولا يستطيع غير أقدم القدماء من أعضاء المجمع معرفة الأسباب التي دعت الى إهماله .

ومن المعلوم أن المجمع قد سار في فتح أبواب القياس على خطة حكيمة وهي قبول قياسية الأوزان التي لم يبت علماء النحو واللغة رأياً في قياسيتها ، ولكنهم استعملوا ألفاظاً تدل على ترجيح القياسية كالأصل والغالب والكثير والأكثر وغير ذلك من الألفاظ الدالة على الاطراد أو على شبه الاطراد .

فقرار المجمع في هذا الموضوع هو «ج ٤ ص ١» :

«يرى المجمع أن الكلمات التي يستعملها قدامى النحويين والصرفيين وهي : القياس والأصل والمطرد والغالب والأكثر والكثير والباب والقاعدة ألفاظ متساوية في الدلالة على ما يقاس ، وأن استعمال كلة منها في كتبهم يسوّغ للمحدثين من المؤلفين وغيرهم قياس ما لم يُسمع على ما سُمع ، وأن المقيس على كلام العرب هو من كلام العرب» .

فهذا القرار الحكيم أو لنقل هذا المنهج السديد هو الذي جعل المجمع يجيز الاشتقاق من أسماء الأعيان لضرورة علميـة ، ويجيز صنع المصدر الصناعي ، والنسب الى لفظ الجمع عند الحاجة ، وغير ذلك من الأمور التي لم يتفق القدماء على اطرادها .

فأئمة اللغة مثلاً منعوا الاشتقاق من أسماء الأعيان ، وحصروه في المصادر والأفعال ، ولكن المجمع اعتبر الكثرة النسبية كافية لجعل الاشتقاق من الأعيان قياسياً في لغة العلم فقط ، لضرورة يعرفها كل عالم بالعلوم الحديثة .

وكذلك لا أعتقد أن القدماء من النحاة واللغويين جعلوا صنع المصدر الصناعي قياسياً ، فقد جاء في المخصص أن العرب تقول : فَعَل كذا على جهة العدل ، وعلى جهة الجور ، وعلى جهة الخير ، ولا يقولون على العدلية ولا على الجورية

ولا على الخيرية . ومع هذا فقد أقر المجمع إيجاد المصادر الصناعية توسعاً في القياس ، لكثرة ما ورد من هذه المصادر في كلام القدماء ، ولا سيما في كلام العلماء ، منذ أواخر المائة الثانية للهجرة الى زماننا هذا .

وكذلك أيضاً موضوع النسب الى جمع التكسير ، فقد أهمل المجمع مذهب البصريين القاضي بأن يُرد لفظ الجمع الى واحده ، وبأن يُنسب الى هذا الواحد ، وأجاز - أي المجمع - النسب الى لفظ الجمع عند الحاجة كإرادة التمييز أو نحو ذلك ، ذاهباً في هذا القرار مذهب الكوفيين الذين أجازوا النسبة الى الجمع على لفظه مطلقاً .

لقد ذكرتُ هذه الأمثلة الثلاثة لأخلص منها الى القول بأن كثرة الورود (مضافةً الى الحاجة العلمية) التي سوغت للمجمع التوسع في القياس في هذه الأمور وأشباهها هي التي تجيز لنا على ما أعتقد اتخاذ قرار بقياسية (فَعَل) من فَعِلَ المكسور العين للدلالة على مرض أو ألم أو عيب . فأما الحاجة العلمية فهي معروفة لا تحتاج الى دليل . وأما كثرة ورود هذا الوزن فهذه بعض الأدلة عليها :

عندما كنتُ أصنف كتاب الدواجن أي الحيوانات الأهلية المطبوع في دمشق سنة ١٩٣٠ م كنت أفتش في كتب اللغة وفي كتب الخيل القديمة على أسماء عربية لأمراض الفرس وعيوبه ، لكي أضع هذه الأسماء أمام ما يقابلها بالفرنسية فوجدت على وزن فَعَل كلمات كثيرة .

فمن التزيّدات أي الانتفاخات العظيمة في مواضع مختلفة من قوائم الفرس :

الدَّخَس	Forme coronaire
العَرَن	Forme cartilagineuse
الجَرَد	Jarde والفرنسية من العربية .
المَشَش	Suros

ومن الأسماء التي نطلق على عيوب في وقفة الفرس وفي اتجاه قوائمه :

البَدَد والفرس أبَدّ	Cheval ouvert	تباعد يدي الفرس
الفَحَج والفرس أفحج	Cheval cambré	تباعد ركبتي الفرس
الصَّدَف والفرس أصْدَف	Cheval panard	التواء السنبكين الى الخارج
القَفَد والفرس أقْفَد	Cheval cagneux	التواء السنبكين الى الداخل

ومن أمراض دواجن الحيوان :

الحَبَط (والحُباط)	Météorisation	انتفاخ الكرش من أكل علف أخضر مبتل بالندى ·
الدَّنَف	Cachexie	هزال وضعف أي سوء شامل يعتري البقر والغنم لأسباب شتى ·
الخَزَب	Oedème	استسقاء موضعي ·
الزلع	Gerçure	شقوق في أطباء ضروع البقر ·

الهَبَج ورم في ضرع الناقة ·

الثفن داء في ثفنة الفرس ·

الثقل داء في خف البعير ·

الغرب داء يصيب الشاة ·

الغلل داء في الغنم ·

ومن أمراض النبات :

البَشَق والرَّصَع	Asphyxie	بطء التنفس أو امتناعه لازدياد الماء في التراب ·
الغمل	Verse	ويسمى الضَّجْعان · والفلاحون يسمونه الترقيد · وهو استلقاء الزرع لكثرة الآزوت وقلة الفصفور في التراب ولأسباب أخرى ·

المطق Coulure ويسمى الصَّأْصأة وهو امتناع الإلقاح فالشجرة لا تحمل .

أما أدواء الإنسان أو عيوبه التي جاءت أسماؤها على هذا الوزن فهي كثيرة جداً . فمن الأسماء المشهورة الحَدَب والكَلَب والمرض والوصب والعرج والصلع والرمد والأرق والبرص والصمم والطرش والمغص والجرب والشجن والوهن والجوى والضوى والورم والسقم والخبل الخ .

وقد أفرد الدكتور صلاح الدين الكواكبي أحد أساتيذ الجامعة السورية من القاموس المحيط ما لا يقل عن ٢٤٠ كلمة على هذا الوزن وكلها تدل على أمراض أو عيوب . ووضع الدكتور مرشد خاطر أحد أعضاء المجمع المراسلين نحو سبعين كلمة منها أمام أشباهها بالفرنسية في النسخة العربية لمعجم كليرفيل Clairville الطبي . وهاكم بضع كلمات منها :

مَرَط . نَسَل	Alopécie	سقوط الشعر .
خَفَش . جَهَر	Nyctalopie	ضعف البصر خلقةً ، أو أن يبصر في الليل دون النهار وفي يوم غيم .
قفص	Pyrosis	حرارة في الحلق وحموضة في المعدة .
حقب	Dysurie	عسرة البول .
جحن . سغل	Athrépsie	سوء تغذية الطفل .
شفع	Diplopie	الرؤية المضاعفة .
فلح	Bec de lièvre	شق في الشفة السفلى .
شرث	Engelure	التهاب يحدثه البرد .

ويتضح من هذه الأمثلة ومن كثير غيرها [1] أن « الكثرة » بارزة في الكلمات العديدة التي جاءت على وزن (فَعَل) ودلت على مرض أو ألم أو عيب . وفي

(١) كالتي ذكرها المرحوم محمد شرف في معجمه .

كتاب سيبويه « ج ٢ ص ٢١٩ » ورد العنوان الآتي : « هذا باب ما جاء من الأدواء على مثال وَجِعَ يَوْجَعُ وَجَعاً وهو وَجِعٌ لتقارب المعاني » . وفي هذا الباب ذُكرت أسماء كثيرة للأدواء ولما أنزل منزل الأدواء .

وفي المخصص أيضاً « ج ١٤ ص ١٣٩ » باب أو فصل عنوانه : « ومما جاء من الأدواء على مثال وَجِعَ يَوْجَعُ وَجَعاً لتقارب المعاني » سرد فيه ابن سيده عدداً من الكلم على هذا الوزن .

ومن المعلوم أن الأساتذة الذين يعنون بالأسماء العربية لأدواء الإنسان والحيوان والنبات يحتاجون الى الكلمات العربية القديمة مثلما يحتاجون أحياناً الى اشتقاق كلمات جديدة لأدواء أو آلام أو عيوب لها في الطب الحديث أسماء أعجمية حديثة . ولهذا أقترح على مؤتمر المجمع الموافقة على تحقيق فكرة الفقيد الشيخ أحمد الإسكندري باتخاذ قرار كالآتي :

« يقاس من (فَعِلَ) اللازم المكسور العين مصدر على وزن (فَعَلٍ) للدلالة على مرضٍ أو ألم أو عيب » .

وبعد فأرجو إما مناقشة اقتراحي في المؤتمر واتخاذ قرار فيه ، وإما إحالته على لجنة الأصول ، أو على اللجنة الطبية ، أو على كلتيهما ، إذا رأى المؤتمر لزوماً للتعمق في البحث والاستقصاء قبل اتخاذ القرار ، ورأيكم الأسد ، وفقنا الله في خدمة لغتنا العربية .

سماع لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي بخطه

بعث به الدكتور صلاح الدين المنجد

الله الموفق

أما بعد حمد الله تعالى على ما أنعم والصلوة على سيدنا محمد
النبي الأمي صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم فقد سمع من لفظي جميع
هذا الكتاب المسمى بالحسن الصريح في مائة مليح المولى المالك البليغ
الفاضل الكاتب المنشئ كمال الدين خالصة الملوك والسلاطين
أبو الفضل محمد ابن المولى المالك المخدوم القاضي محب الدين أبي إسحق
إبرهيم ابن المولى الإمام العلامة القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود

فرع نمى من دوحة كلها يانعة فيها ثمار الأدب
أكرم به من ناظم ناثر قد كبت الأعدا لما كتب

وسمع الزيادة الملحقة وآخر في ثالث شوال سنة خمس وأربعين وسبعمائة
بمنزلي الآن تجاه الشريف بقلعة الجبل المصون وقد أجزته

روايةَ ذلك عنّي وروايةَ ما يجوز لي روايتُه من كتب العلم الشريف
والأدب المنيف وروايةَ ما صنّفتُه من ذلك كتاب
الوافي بالوفيات رتّبتُه على حروف المعجم تراجم الأعيان بلغتُ فيه نحوًا
إلى أوّل حرف القاف في إحدى وخمسين مجلّدة والمرجوّ من كرم الله تعالى
إكماله وكتاب غيث الأدب الذي انسجم في شرح لاميّة العجم
وهو أربعة أسفار وكتاب نصرة الثائر على المثل السائر
مجلّد كبير وكتاب جنان الجناس وكتاب
فضّ الختام عن التورية والاستخدام وكتاب التنبيه على التشبيه
وهو مجلّدان كبيران وكتاب حرم المرح في تهذيب لمح الملح
وكتاب لذّة السمع في صفة الدمع وكتاب كشف
الحال في وصف الخال وكتاب الروض الباسم والعرف

الثانية وكتاب جلوة الخاطر في خلوة المذاكر ورسالتي
عبرة اللبيب بعثرة الكئيب ورسالة رشف الرحيق وصف الحريق
والتذكرة التي جمعتها وهي يومئذ اربعة وعشرون مجلداً الى غير ذلك
مما دونته وجمعته واخترته واختصرته. جميع ذلك يرويه عني
بشرطه المعتبر عند اهل الاثر وسمع ما سمعه المشار اليه فتاي
مراد بن عبد الله التركي واجزته رواية ذلك اجمع بشرطه المعتبر
وكتب الفقير الى الله تعالى خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي
الشافعي عفا الله عنه بمنه وكرمه

ديوان عدي بن الرقاع العاملي

لا تزال ايران حافلة بكثير من الذخائر العربيـة النفيسة ، التي لا تقوّم ، وقد رزقت الكتب الخطية خاصة عناية شديدة فاعتزت الخزائن العامة والخصوصية ، بطائفة قيمة من النوادر الأدبية التي أُتيح لي الاطلاع على أكثرها .

ومما كنت أصبته من تلكم الأعلاق المذخورة نسخة عتيقة جداًّ ـ هي الوحيدة ـ من ديوان شعر عدي بن الرقاع العاملي ، رواية ثعلب اللغوي الكبير المشهور ، محفوظة بخزانة التاجر الفاضل محمد أمين الخنجي البحراني نزيل طهران الذي لم يضن بها عليّ .

قوام هذه النسخة ١٠٣ أوراق من النوع القديم . طول كل ورقة ٢٣و٤ سنتيمتر في عرض ١٦و٥ . وطول الكتابة ١٧و٩ سنتيمتر في عرض ١١ من الشعر و ٨و٥ من الشرح . وفي كل صفحة ١٥ سطراً بالخط النسخي القديم . والنسخة مخرومة بتراء سقط مقدار من آخرها ولا يوجد بهـا الورقة ٢٠ ، ولا الورقة ١٠٢ ، ولا الورقة ١٠٥ وفيها اختلال في الترتيب .

والظن أنها مكتتبة في العشر الأول من القرن الخامس الهجري . وقد ملك هذه النسخة جماعة قيدوا عليهـا أسماءهم في سنة ٩٧٤ و ١١٨٧ هـ وكانت قبل ذلك من كتب داود بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ، وهو أخو السلطان الملك الأشرف عمر ، مؤلف كتاب (طرفة الأصحاب) المتوفى سنة ٦٩٦ (ظ) وعليها خطوط قديمة جداً تكاد تخفى .

مجموع أشعار ابن الرقاع في هذه الأثارة الباقية من أوراق الديوان ١٠٩٢ بيتاً في ٢٩ قصيدة ؛ هذا بيانها على ترتيب الأصل :

لمن الدار كعنوان الكتاب هاجت الشوق وعيّت بالجواب
لمن الدار مثـل خط الكتاب بالمراقيد أو بوكر العقـاب

شطت بجارتك النوى فتحمل ونأتك بعد مودة وتدلل
أتعرف الدار أم لا تعرف الطللا بلى فهيجت الأحزان والوجلا
عرف الديار توهماً فاعتادها من بعد ما شمل البلى ابلادها
ما هاج شوقك من مغاني دمنة ومنازل شعف الفؤاد بلاها
علاني الشيب واشتعل اشتعالا وقد غشى المفارق والقذالا
بانت سعاد ولبس الود ينصرم وداخل الهم ما لم تمضه سقم
ألمم على طلل عفا متقادم بين الذويب وبين غيب النائم
لمن رمم دار كالكتاب المنمنم بمنعرج الوادي فويق المهزم
منع النوم طارقات الهموم وأمىّ وادكار خطب قديم
جزعت ان شت صرف الحي فانفرقوا وأجمعوا البين بالرهن الذي علقوا
أرواحٌ أم بكرة فاغتداء بديون لم تقضهن الشفاء
لمن المنازل أقفرت بقباء لو شئت هيجت الغداة بكائي
نزع الفؤاد عن البطالة والصبى وقضى لبانته فأقصر وانتهى
بانت حسينة وائتمت بمن بانا واستحدثت لك بعد الوصل هجرانا
حدثت أن روبعي الإبل يشتمني والله يصرف أقواماً عن الرشد
ليت شعري هل تخبرني الديار بيقين عن أهلها أين ساروا
غدا ولم يقض من سلومة الوطرا وما تلبث اذ ولّى وما انتظرا
عما يا ابنتي قيس صباحا ومظلما وان كنتما أجمعتما البين فاسلما
أهمّ سرى أم عاد للعين عائر أم انتابنا من آخر الليل زائر
أطربت أم رفعت لعينك غدوة بين المكيمن والرجيع حمول
نأتك حسينة فيمن نأى وكانت نواها بها تسعف
طال الكرى وألم الهم فاكتنعا وما تذكر من قد فات وانقطعا
غشيت بعفرى أو برجلتها ربعا رماداً وأحجاراً بقين بها سفعا

أتعرف بالصحراء شرقي شابك منازل أقواها الأنيس وملعبا
ان الخليط اجد البين فانقذفوا وأمتعوك بشوق أية صرفوا
ألا رب لهو آنس ولذاذة من العيش يغبيه الحياء المستّر

وأكثر هذه القصائد في مدح الوليد بن عبد الملك بن مروان ، وعمر بن الوليد . وفي الديوان قصيدتان مدح بهما عمر بن عبد العزيز ، واثنتان - أيضاً - قالهما في الاسوار عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان ، وواحدة في مري بن ربيعة بن مسعود بن كعب بن عاصم بن جناب الكلبي ، وأبيات في نقض كلمة عبيد بن الحصين الراعي .

أما الشرح فقد سلك فيه ثعلب نهجه اللغوي المعروف إلاّ أنه أكثر الشواهد وعني بالألفاظ ، واهتم بالتعابير المستعملة ، والجمل والمجازات . وهو - عندي - من خيار آثاره الأدبية .

وقد توفرت على العناية بهذا الديوان ، فحققت شواهده ، وخرّجت أحاديثه ، وعارضته بأصول اللغة ، ودواوين الأدب ، وكتب الجغرافيا والتاريخ ، ومجموعات الشعر . واستدركت عليه ذيلاً طويلاً من أشعار عدي التي أصبتها في المراجع . وقد راجعت في سبيل تحقيقه كل ما بلغته يدي من كتب خطية ومطبوعة . وقد صدرته بمقدمة تعرف بالديوان مع دراسة أدبية لشعر ابن الرقاع وتأثيره في الأدب العربي والفارسي ، كما زينته بالفهارس المختلفة التي تيسره للمطالعة والتصفح والدرس .

الدكتور حسين علي محفوظ

جملة من المصطلحات البحرية

طُلب الى المجمع العلمي العربي بيان أصلح ألفاظ عربية يمكن استعمالها مقابل ألفاظ فرنسية تُستعمل في الشؤون البحرية ، فألف المجمع لجنة نظرت في هذا الطلب ، وانتهت الى ترجيح الألفاظ العربية الآتية . وقد نظر المجمع فيها فأقرها في جلسة عامة مؤرخة في ٢٥/٥/١٩٥٧ .

ومن المعلوم أن قرارات المجمع في المصطلحات العلمية عامةً ليست نهائية ، والمجمع يعدها ترجيحات أو مقترحات يعرضها في مجلته على المجامع اللغوية والعلمية العربية ، وعلى جامعات البلاد العربية ، وعلى جمهرة العلماء والأدباء .

العربية	الفرنسية	ملاحظات
أسْطُول	Flotte	
أسْطول صغير	Flotille	
عَمارة	Escadre	اصطلاح مولد
سِلاح	Arme	
قُوَى	Forces	
بارِجة (دارِعة)	Cuirassé	البارجة وُضعت لها في أوائل هذا القرن
طَرّادة	Croiseur	الطرادة وُضعت لها في أوائل هذا القرن
طَرّادة ثقيلة	Croiseur lourd	
طَرّادة خفيفة	Croiseur léger	
طَرّادة ضد الطائرات	Croiseur anti—aérien	
مُدَمِّرة	Destroyer	
مُدَمِّرة مُواكِبة	Destroyer d'escorte	

العربية	الفرنسية	ملاحظات
نَسَّافة	Torpilleur	
نَسِيفَة (طُرْبيد)	Torpille	اشتهرت المعرَّبة
حَرَّاقة	Frégate	اشتهر تعريبها
زَوْرق حَرْبي	Vedette	
زَوْرق نَسَّاف	Vedette—lance—torpille Motor—torpedo—boat	
حامِلَةُ طائِرات	Porte—avions	
حامِلَةُ طائِرات مُواكِبة	Porte—Avions d'escorte	
غُراب	Corvette	
كاسِحَةُ ألْغام	Dragueur de mines	
زارِعَةُ ألْغام	Mouilleur de mines	
غَوَّاصة	Sous—marin	
سَفِينَةُ التَّدْرِيب	Bâtiment—école	
خافِرةُ السَّواحِل	Garde—côtes	
سُفُنُ المَيْدان (مَراكِبُ الميدان)	Bâtiments de ligne	
نُوتِيُّ الإشارة	Timonier	
مَصْلَحَةُ الإشارات	Timonerie	
مُناوِر (نُوْتِيُّ المُناوَرة)	Manœuvrier	
نُوتِيُّ السُّكَّان	Homme de barre	
نَجَّار	Charpentier	
كهربائيٌّ	Électricien	
راداريٌّ	Radariste	
رامِي	Fusilier	
مِغْوار	Commandos	
إدارةُ المَرْفَأ (إدارةُ المِيْناء)	Direction de port	

الاغزاز وابن اللونقه

قلت في الكلمة التي علقت بها على كتاب (الغصون اليانعة) المنشورة في الجزء الثاني من المجلد ٣٣ من هذه المجلة ، وقد عرضت للبيت :

أنحى الزمان على الاغرار واجتهدت سيفي قطع دابرهم أحداثه السود

: « ان الاغرار هنا صوابها الاغزاز » وعلقت لجنة المجلة المحترمة على ذلك بكلمة « كذا » اشارة الى التوقف .

والعذر للجنة واللوم عليّ ، فما زال من عيوبي التي أشعر بها الإيجاز والاكتفاء في الموضع الذي يجب فيه الإطناب والموضوع الذي ينبغي فيه الاستيعاب . ومن ذلك التصويبُ الذي أشرت اليه في هذا البيت ، وهو من قصيدة للشاعر أبي العباس الجراوي ؛ قالها في تهنئة المنصور الموحدي بفتح قفصة من بلاد تونس وانهزام ابن غانية الذي كان وثب عليها متعززاً في ذلك بقراقوش مولى صلاح الدين الأيوبي .

ومعلوم أن قراقوش هذا كان صلاح الدين قد سرحه الى المغرب وشغب به على دولة الموحدين كثيراً ، وكانت حركته هذه هي السبب في نفور المنصور الموحدي من صلاح الدين .

وابن غانية الذي كان بقية الملثمين والقائم بالدولة المرابطيـة بعد قيام دولة الموحدين كان قد استقر في جزائر شرق الأندلس المعروفة بجزر البليـار ، وكان كثيراً ما يغير منها على شواطئ افريقية الشمالية ويضع يده في يد قراقوش الغزي والعرب الذين ما فتئوا منذ رَمى بهم العُبيديون أرضَ المغرب يناوئون الدول القائمة به . . فلما أعاد المنصور فتح مدينة قفصة وهزم ابن غانية ومن لف لفه ممن ذُكر قال الجراوي قصيدته التي منها ذلك البيت . . فالأغزاز هم الغز الذين ينتسب اليهم قراقوش كالترك والأتراك والروم والأروام والعُرب والأعراب . وأطلق على جميع المحاربين وصفَ الأغزاز وان لم يكونوا كلهم ُغزاً تغليباً واحتقارا . .

فهذا وجه تصحيحي للأغرار بالأغزاز . ولا يقال ان الأغرار أيضاً صحيحة باعتبار شمول المعنى اللغوي للمحاربين المذكورين ، لأنا نقول انها كذلك أي

بالزاي في مخطوطة الاسكوريال التي هي الأصل المطبوع عنه . ومصدرها الآن أمامي . ومن اللطائف في هذا الباب أن الأمير الشاعر أبا الربيع سليمان الموحدي كان تحت جفوة من ابن عمه المنصور، فاتفق أن وفد على مراكش وفد من الشام انتهى الى ظاهر هذه العاصمة وعُين لهم الدخول في غداة اليوم الثاني فكتب أبو الربيع للمنصور:

يا كعبة الجود التي حجت لها عربُ الشآم وعُزُّها والديلَمُ
طوبى لمن أمسى يحجُّ بها غداً ويطوف بالبيت العتيق ويُحرِمُ
ومن العجائب أن يفوز بنظرة مَن بالشآم ومَن بمكة يُحرَمُ

يريد نفسه ، فرضي عنه المنصور وأمره أن يكون هو الداخل بهم .

فهذا مما يثبت ما قلته في الأغزاز .

* * *

هذا وكنت في نقدي لكتاب (المغرب في حلى المغرب) لابن سعيد المنشور بالجزء الأول من نفس المجلد من هذه المجلة ، قلت أثناء التعليق على هذا البيت من موشح لابن حريق :

محمد النَّنق يا غزالي يا صاحب العينين الكبار ما يلي :

« وانما قلنا ان النلق لقب ، لأن هنالك من أعلام الأندلسيين من يعرف باللونكو ، فالغالب أن النلق الذي نحن بصدده هو تعريب له . وانظر هل تكون كلمة (اللونكو) مأخوذة من (Long) الفرنسية بمعنى الطويل .

وفي هذه الأيام وقفت على العلَم المذكور بكتاب صلة الصلة لابن الزبير ، وهو علي بن عبد الرحمن ... الأنصاري الخزرجي من ولد عبادة بن الصامت ، يكنى أبا الحسن ويعرف بابن اللونقه وتفسيره الطويل .

هذا نص ابن الزبير . وهو كذلك في الصلة لابن بشكوال ولكن غير مفسر بالطويل . فهذا عربي صميم من أشراف العرب شهر بلقب عجمي ... ومثله عندنا اليوم في مدينة تطوان آل راغون ينتسبون في رسومهم القديمة الى عبادة بن الصامت نفسه فيقال فلان الصامتي المعروف براغون ، وراغون اسم عجمي ما يزال كثير من الاسبان ، وفي تطوان نفسها ، يحملونه . ولله في خلقه شؤون .

عبد الله كنون

تصويبات

جاء في الجزء الأول من المجلد الثالث والثلاثين (ص ٨٠ — ٩٥) أغلاط تعزى الى أحد النساخ وقد حال سفر صاحب المقال دون إصلاحها . وصوابها فيما يلي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
٨٠	٦	٢٠٧ هكتار	٢٠٧ هكتارات
٨٤	١٠	٧٠٠ ضعفاً	٧٠٠ ضعف
٨٥	١٦	٨٥ ألف	٨٥ ألفاً
٨٦	١	٧٧ مليون	٧٧ مليوناً
٨٦	٢٠	٢٠٧ كيلومتر	٢٠٧ كيلومترات
٩١	٩	ثلاثة صيادون	ثلاثة صيادين
٩٣	١٥	وبوشر في بناء هذا الصرح	وبوشر بناء هذا الصرح
٩٣	١٧	٣١٧ ألف هكتار	٣١٧ هكتاراً
٩٤	٦	١٢٠ ألف غرفة	٢٠ ألف غرفة
٩٥	٣	علم الطفولة	علم التراب

ووردت أغلاط مطبعية لا يخفى صوابها على القارئ .

استدراك

وردت في الجزء الثاني من المجلد الثالث والثلاثين (ص ٢٣٣) جملة من الآية الثالثة لسورة سبأ من القرآن الكريم :

(لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لا في السماوات ولا في الأرض) .

والصواب :

(لا يعزب عنه مثقال ذرّة في السمٰوات ولا في الأرض) .

فهرس الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين

التعريف والنقد

آراء وأنباء

مجلة
المجمع العلمي العربي

١ تشرين الاول سنة ١٩٥٨ م ١٧ شهر ربيع الأول سنة ١٣٧٨ هـ

ابن الخيّاط

٤٥٠ — ٥١٧

- ٢ -

شعره

ابن الخياط شاعر مطبوع فصيح ، جزل الألفاظ من غير إغراب ، واضح المعاني ، في شعره حلاوة وطلاوة ، وأثر الطبع فيه أظهر من جميع العناصر التي يتكون منها الشعر . وله بضع قصائد بلغ بها الذروة صحةَ معانٍ وحسن أداء ، وفي بعضها من الجزالة والقوة ما يحاكي شعر الصدر الأول من المخضرمين والإسلاميين ، وذلك لصحة طبعه وسلامة ذوقه وكثرة حفظه من شعر المتقدمين .

وهو على قوة طبعه لا يستوي جميع شعره ، بل ربما تفاوت ولكن من غير إفراط في التفاوت ، فقد يعلو حتى يبلغ الذروة ، وينحط عن تلك المكانة ، ولكن قلما يسف .

وسبيله في النظم سبيل المطبوعين ، يعتمد على طبعه وسليقته ، ولو خالف القواعد والرسوم ، ولذلك يكثر في شعره الزحاف الذي يلقى في الشعر القديم قبل أن يحرر الخليل بن أحمد قواعد العروض ، ولعله هو والبحتري من أكثر الشعراء زحافاً ، من ذلك قوله : الديوان ص ٣٩

أَمُرُّ بالروضِ فيه منكمُ شَبَهٌ فأَغتدي بارئاً وأنثني دَنِفا

وقوله : ص ١٤٥

وما مَنْ رَمَى مِن غيرِ عَمْدٍ فأَقْصَدَتْ نوافِذُهُ كَمَنْ تَعمَّدَ أَنْ يَرمي

وقوله : ص ١٧٣

يقولونَ تِرْبٌ للغمامِ وإنما رجاء الغمامِ أَنْ يُعَدَّ كَتِرْبِهِ

وقوله : ص ٢٤٢

كَفَى مِن شَجايَ عَبْرَةٌ بعد زَفْرَةٍ وَلُبٌّ مُطارٌ أَمْ سَقامٌ مُهَيَّجُ

وقوله : ص ٢٥٩

مَن كانَ يَفْخَرُ أنه مِنْ أُسرةٍ كرمتْ ويضربُ في الكرامِ مُعْرِقا

وقوله : ص ٣٠٦

فأنتَ الحقيقُ بالعَلاءِ وبالثنا إذا الحقُّ يوماً أوجبته الحقائقُ

وتجوُّزه في اللغة في طائفة من شعره جريء وغير قليل ، وسنبسط الكلام عليه في فصل خاص يلي هذا الفصل .

وسعة روايته للشعر القديم جعلتْ في نفسه ملكةً على حسن البيان وإشراق الديباجة ، وقوةً على محاكاة الفحول من الشعراء والطبع على غرارهم في أصالة الأسلوب وشدة الأسر في طائفة صالحة من شعره .

لا نعلم متى بدأ بقول الشعر ، ولا بد من أن يكون قاله في سن مبكرة لأنه شاعر بالفطرة ، ولكن ليس في الديوان إلا ما قاله بعد أن بلغ العشرين من عمره واجتازها قليلاً .

وشعره في شبابه من أحسن شعره وهو قليل الصنعة لولا قصيدة واحدة من أول ما قاله من الشعر أولها : ص ٧

سَقَوْهُ كأْسَ فرقتهم دِهاقا وأسكره الوَداعُ فما أفاقا

ففيها قسط من الصنعة بخلاف سائر شعره ، ثم أقلع عن هذه الطريقة وسلك طريقة الطبع ، على أن هذه القصيدة لم تدون إلا في نسخة واحدة من ثماني نسخ مخطوطة من ديوانه رجعنا إليها في تحقيق هذا الديوان ، ولم يروها عنه تلميذه القيسراني الذي جمع ديوانه .

وفي بعض قصائده أثر من استعارات أبي تمام الطائي وتشبيهاته وكناياته من ذلك قوله : ص ٥٥

وكيف ترى مياهَ الفضلِ إلاّ وقد رُشِفَتْ بأفواه العقول

وقوله : ص ٦٠

هربتُ من ارتياحكَ حين أنحَى على حمدي بعضبِ ندًى صقيلِ
ولمّا عذتُ بالعلياء قالتْ لعلّكَ صاحبُ الشكرِ القتيلِ

فأفواه العقول والشكر القتيل بعضب الندى أشبه بمعاني أبي تمام ، وقلما يسلك طريقة أبي تمام في الصنعة اللفظية ، من ذلك قوله : ص ١٩٨

فإلى ارتياحكَ ينتمي صَوْبُ الحَيا وعلى اقتراحكَ ينتهي صَرْفُ القضا

فقابل إلى بعلى ، وارتياحك باقتراحك ، وينتمي بينتهي ، وصوب بصرف . ولكن مثل ذلك في شعره نادر .

وفي بعضها نفحة من نفحات البحتري منها قوله : ص ١٨٩

وليسَ يبينُ الدهرَ إخلاصُ باطنٍ إذا أنتَ لم تُدْلِلْ عليه بظاهرِ

وهو ينظر الى قول البحتري :

ولن تستبينَ الدهرَ موضعَ نعمةٍ إذا أنت لم تُدلِلْ عليها بحاسدِ (١)

وفي بعضها عبقة من نفس أبي الطيب المتنبي مثال ذلك قوله : ص ٢٤

إذا ما النارُ كان لها أضطرامٌ فما الداعي إلى قدحِ الزِّنادِ

رجوتُ فما تجاوزه رجائي وكان الماءُ غايةَ كل صادِ

إذا ما رُوِّضَتْ أرضي وساحتْ فما معنى انتجاعي وارتيادي

وقوله : ص ٣

إذا عاينتَ من عُودٍ دخاناً فأَوْشِكْ أنْ تُعاينَ منه نارا

وقد يكون هذا التشابه صدر عفواً عن غير قصد ، أو يكون من باب توارد الخواطر أو تقارب السبل ؛ أما الشاعر الذي قصد ابن الخياط أن يسلك طريقته فهو جاره وشيخه ابن حيّوس الذي رآه من علو منزلته وإقبال الدنيا عليه حتى جعله مضرب المثل في الشاعرية ، قال يصف إحدى قصائده ص ١٦٥

يَضيقُ الأَعْصُرِيُّ بها ذِراعاً ويَعْذُرُ عَجْزَهُ عنها الخَفاجي

والأعصري هو ابن (٢) حيّوس ، أما الخفاجي فهو عبد الله بن سنان الخفاجي ، وأرجو أن لا تكون القافية هي التي جرته .

كان ابن الخياط يطبع على غرار ابن حيّوس ويقتفي أثره في عدة أمور : منها أن له عدة مدائح لم يستهلها بالنسيب وهذه طريقة ابن حيّوس ، ومنها

(١) ديوان البحتري ص ٥٤

(٢) انظر ديوان ابن حيوس ج ١ ص ٦٦ و ص ١٥٠ و ص ٣٢٨

قلة الغزل في شعره وخلو ديوانه من الفخر والهجاء إلا قليلاً ، أخذاً بطريقة ابن حيّوس [1] ، ومنها استعمال ألفاظ أكثر ابن حيّوس من استعمالها على وجه خاص ، مثل [1] ظَافَرَ بمعنى ظَاهَرَ أو أيَّد ، وإضافة كلمة أم الى المعنى الذي يريده تأكيداً له ، قال ابن الخياط : ص ٨٠

وعيشٌ يرفُّ عليه النعيمُ وَجدٌ تَظَافَرُ فيه السعودُ

وقال : ص ٢٩٠

فتىً ظافرتْ هِمّاتُهُ عزماتِهِ كما ظافرتْ سُمْرَ الصِّعادِ نصالُ

وقال : ص ٨١

لقَدْ طرَقَتْ بِكَ أمُّ العَلاءِ بيومٍ له كلُّ يومٍ حسودُ

وقد يجمع الأم فيقول : ص ٧٤

بَصُرتُ بِأُمّاتِ الحَيَا فظنتها أنامِلَهُ إنَّ السَّحائِبَ أشباهُ

وقال : ص ٣٠٨

فانْ أنا لم أطلق لساني بحمدها فأُمُّ العلى والمجدِ مِنّي طالِقُ

وقال : ص ٣٢٨

فتىً لم تزلْ عاقراً في ذَراه أمُّ الحوادث وهي الولودُ

ويقول : ص ٢٩٤

من معشرٍ كانوا لأُمّاتِ العُلَى أبداً فحولاً أنجبت وبعولا

وتلاعب ابن حيّوس مرة بالحروف فقال : (ديوان ابن حيوس ٢/٥٧٨)

وتربةِ المرحومِ والحاءُ جيمٌ لقد ثوى في النار منه رجيمْ

(١) انظر مقدمة ديوان ابن حيوس ص ٣٩ – ٤٣

فقال ابن الخياط قطعة تلاعب بالحروف في كل بيت من أبياتها أولها : ص ١٤٢

صرتَ بين الصادَيْنِ يابن المُجَلّي بين صفعٍ يوهي قفاكَ وصرفِ

وقريب من ذلك قوله : ص ٩٦

وبكّتْكَ كلُّ عروضيـةٍ تُزِنُّ بهـا كل ميمٍ ولامْ

وقوله : ص ١٠٧

إن خير المعروف ما جاء لاسيـــــنَ سؤالٍ فيه ولا واو وعْدِ

وقوله : ص ٢٠٨

لدى بِرْكةٍ حُرِّكَتْ راؤُها فليسَتْ تَقِلُّ ولا تَنْقُصُ

وكان ابن حيّوس يزعم في مدائحه أنه لا يمدح طلباً للعطاء لأنه من ذوي اليسار ولكنه يبغي المجد والعلاء [1] ، فبدا لابن الخياط ـ على فقره ومرارة شكواه من الحرمان ـ أن يقول في إحدى قصائده : ص ٢٧٨

أتيتكَ للعليا فإن كنتَ منعماً فبالعزةِ القعساءِ لا العيشةِ الرغْدِ

إذا نائلٌ لم يجتَبِني الفخرَ نيلُهُ فإنَّ انقطاعَ الرِّفْدِ فيه من الرِّفْدِ

ولكنه لم يعد الى هذا المعنى خشية أن يصدقه الممدوحون .

وليس هنا محل المفاضلة بينه وبين ابن حيّوس ولكن لا بأس بإيراد ما قاله العماد الكاتب في هذا الشأن : « ابن حيّوس أصنع من ابن الخياط ، لكن لشعر ابن الخياط طلاوة ليست له [2] » .

ومن دلائل قوة طبعه كثرة ارتجاله ، ففي الديوان مقدار غير قليل من الشعر الذي كان يقوله بداهةً وارتجالاً في مجالس الطرب ومع أصحابه إجابةً لمقترحهم ،

(١) مقدمة ديوان ابن حيوس ص ٩

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (مخطوط)

أو غير ذلك من بواعث الشعر والشواهد على ذلك كثيرة انظر الديوان ص ٧٧ و ص ١١٩ و ص ١٢٥ و ص ١٣٢ و ص ١٤٠ وص ١٩٢ و ص ١٩٥ و ص ٢٠٣ و ص ٢٠٧ و ص ٢١٢ و ص ٢٢٠ وص ٢٢٣ و ص ٢٣٤ و ص ٢٧٣ و ص ٢٧٩ و ص ٢٨٠ و ص ٢٨١ و ص ٢٨٢ و ص ٢٨٣ و ص ٢٨٦ ، و ص ٢٩٨ و ص ٢٩٩ و ص ٣٠٠ و ص ٣٢١

ولئن خصت ألفاظه في أكثر شعره بالجزالة والعذوبة والطلاوة فقد « كان ولوعاً بتصحيح المعنى(١) » كما يقول ابن فضل الله العمري ، يعرضه أحسن ما يكون وأوضح ما يكون ، فقد يتناول المعنى المتداول المعاد الذي مله السمع ، فيعرضه بثوب جديد حتى كأنه مبتكر ترتاح له الأذن وتهش له النفس . لقد أكثر الشعراء من عهد امرئ القيس من الوقوف في ديار الأحباب الخالية ورسومها البالية حتى عافت الناس هذا المعنى فقال ابن الخياط : ص ١٥٤

حيِّ الديارَ فَمَجْ في رسمِها العاري ... إنْ كان يُغنيك تعريجٌ على دارِ
إنْ يَخْلَ طَرْفُكَ مِن سكانها فبها ... ما يملأُ القلبَ مِن شوقٍ و تذكارِ

وقال : ص ٢٢٦

لقد وَجدَتْ وَجدي الديارُ بأهلها ... ولو لم تَجِدْ وَجدي لما سَقِمَتْ سُقمي

فكأنه أول من قال في هذا المعنى بعد أن نفخ فيه روحاً جديدة .

وبينا تسمعه يهدر بمثل هذه الجزالة التي شبهها ابن فضل الله العمري بصليل السيوف وصرير الأقلام(١) ، إذا به يرق حتى تظنه من الشعراء المعاصرين إذ يقول مهنئاً بمولود : ص ٨٤

أطلعتَ بدراً في سماء ممالكٍ ... سمِ الجمالُ ونام في تلوينهِ

(١) مسالك الأبصار (مخطوط)

ويقول وقد رماه فتى صبيح بجمرة ممازحاً : ص ١٢٧

يا مؤذياً بالنار جسمَ محبه ... نار الجوى أحرى بأن تؤذيهِ
عذّبْ بها جسدي فداك معذّباً ... واحذرْ على قلبي فإنك فيهِ

وفنون شعره : المديح والرثاء والوصف والشكوى والغزل وما يتصل بهذه الفنون ، ويكاد يخلو من الفخر والهجاء لولا بضعة أبيات في هذين المنيين .

وله قصيدة في الحروب الصليبية قالها في ليلة واحدة ، حين شاع خبر مجيء الجيوش الصليبية ، وقدمها الى الأمير عضب الدولة زعيم الجيوش في دمشق يحضه على الجهاد ، ولعلها أول قصيدة قيلت في الحروب الصليبية أولها : ص ١٨٢

فَدَتْكَ ٱلصَّواهِلُ قُبًّا وَجُرْدا ... وَشُمُّ ٱلْقَبائِلِ شِيباً وَمُرْدا

وبعض شعره في الوصف يصف وجوهاً من الحياة الاجتماعية في أيامه ، وحياة القصور ، ومجالس اللهو والأُنس والطرب ، وما يجري فيها من شراب وغناء ونعيم وترف ، في المقاصير وفي متنزهات دمشق ، ويصف الأزهار والفواكه والثمار والخضر في الغوطة وقراها .

وله في النرد (طاولة الزهر) قصيدة طريفة فريدة في بابها أولها : ص ٢٨٤

أقولُ واليومُ بهيمٌ خطْبُهُ ... مُسْوَدُّ أوْضاحِ الضُّحَى دُغُوشُها

والحسن من شعره أكثر من الوسط ، وقد يعلو حتى يبلغ الأوج ، وله قصيدة هي في رأينا أحسن شعره ، ومن مختار الشعر العربي في جميع عصوره ، سلمت جميع أبياتها ، عذبة الألفاظ ، خلابة المعاني ، جعل نسيبها وصفاً لآراب الشباب ، ونزغات الصبا ، ونزوات الفتوة ، يصلح أن يكون عنوان هذا القسم منها (الشاب) أولها : ص ٦٤

أعطى الشبابَ مِن الآرابِ ما طلبا ... وراحَ يختالُ في ثوبَي هوىً وصِبا

وقصيدته الثانية التي سلمت له كل أبياتها مع الجزالة والعذوبة أولها : ص ١٥٤

هي الديارُ فعَجْ في رسمها العاري ... إنْ كان يُغنيكَ تعريجٌ على دارِ

وله قصيدة سما بغزلها حتى تغنى الناس به الى اليوم أولها : ص ١٧٠

خُذَا مِن صَبا نَجدٍ أماناً لقلبِهِ ... فقد كاد ريّاها يَطيرُ بلُبِّهِ

واستقصاء محاسنه يطول ، وليس كل شعره مستويا ، فبعضه أحسن من بعض .

أما منزلته بين شعراء عصره فقد اتفق على أنه كان من المحسنين ، بشهادة معاصريه من طبقة شيوخه ومَن دونهم ، فقد شهد له شيخه ابن حيّوس بالإجادة وهو في ريّق الشباب وجعله ولي عهده . وقال ابن عساكر [1] : « ابن الخياط ختم به ديوان الشعر بدمشق ، وكان شاعراً مكثراً مجيداً محسنا » . وقال السلفي [2] : « كان ابن الخياط شاعر الشام ، وقد اخترت من شعره مجلدة لطيفة وسمعتها منه » .

وقال أبو الفوارس نجا بن اسماعيل العمري [2] : « ابن الخياط في عصره أشعر الشاميين بلا خلاف » .

وقال الذهبي [2] : « ابن الخياط شاعر عصره ، من كبار الأدباء ونظمه في الذروة » .

وقال ابن خلكان [3] : « ... كان من الشعراء المجيدين ... وأكثر قصائده غرر » .

والذي نراه أنه ومعاصره أبا اسحق إبراهيم الغزي طبقة واحدة وكلاهما محسن ، ولكن الغزي رحل عن الشام ودخل بلاد العجم وبقي هناك بقية حياته ، فأصبح ابن الخياط وحده شاعر الشام .

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٦٧/٢
(٢) سير أعلام النبلاء (مخطوط)
(٣) وفيات الأعيان ٥٦/١

لغتـــه

لغة ابن الخياط في أكثر قصائده جزلة عذبة طلية ، لصحة ذوقه ، وكثرة محفوظه من الشعر المختار ؛ يجزل حتى كأنه من شعراء الأعراب إذ يقول : ص ١٥٧

الطاعنُ الطعنةَ الفَوْهاءَ جائشةً تَرُدُّ طاعنَها عنها بتَيّـارِ
يكادُ يَنفُذُ منها حين يُنفِذُها لولا عُبابُ دَمٍ من فَوْرِها جارِ

ويرق ويعذب دون أن يفارق جزالته فيقول : ص ١٧٠

خُذا مِن صَبا نجدٍ أماناً لقلبِهِ فقد كاد ريّاها يَطِيرُ بِلُبِّهِ

ومثل ذلك غير قليل في شعره ، ولكن ليس كل شعره كذلك .

وله ألفاظ أغري باستعمالها تدور على لسانه أكثر من غيرها منها رَوْض قال : ص ٢٥

إذا ما رُوِّضَتْ أرضي وساحتْ فما معنى انتجاعي وارتيادي

وقال ص ١٤٩ :

أضاءت بك الأوقاتُ والشمسُ لم تُنِرْ وَرُوِّضَتِ الساحاتُ والغيثُ لم يَهْمِ

وقال : ص ١٥٢

فلم يأتِ عندي غيرُ ماأنتَ أهلُهُ ولا عَجَبٌ للغيثِ أنْ رَوَّضَ المحلا

وقال : ص ١٧٥

تُرَوِّضُ قبلَ الروضِ أخلاقُهُ الثرى وتبعثُ قبلَ السكرِ سُكراً لِشَرْبِهِ

وقال : ص ٢٠٢

يُخجلنَ ما حاكَ الربيع مُفَوَّفاً ويزدنه خَجَلاً إذا ما رَوَّضا

وقال : ص ٢٠٦

سقاكَ ـ ومَن سقى قبلي سحاباً تُرَوِّضُ قبلَ موقِعِـهِ المَحُولُ

وقال : ص ٢٥٠

وَرَوَّضَ ساحتيهِ كأنْ وَشياً يُحَلُّ بها وديباجاً نَشيرا

سبق لنا أن قلنا في الفصل الذي عقدناه لعلمه وأدبه أن ثقافة ابن الخياط شخصية ، يعني أنه أخذ نفسه في أول الأمر بحفظ الشعر فكانت ثروته الأدبية باشتغاله على نفسه أكثر من اشتغاله على شيوخه ، ولعل ذلك جعله يقدم بجرأة غريبة على أمورٍ : منها إتيان الرخص ، والتساهل في تعدي الحدود اللغوية ، والتجوز في الاشتقاق وصوغ المشتقات ، والتوسع في القياس ، حتى صارت هذه الأمور مذهباً له ـ إن صح أن تدعى مثل هذه المآخذ مذهباً ـ وبقي على هذه الطريقة بعد أن أثرى من الأدب وصار من شيوخه . قال الصلاح الصفدي في الوافي بالوفيات في ترجمة ابن الخياط : «روى ابن القيسراني شعره وبه تخرج ، وكان حافظاً لشعر الأقدمين ذكياً عارفاً باللغة» ولكنه بعد أن صار عارفاً باللغة وحدودها بقي يتعداها في عدة أمور منها قوله : ص ١٣٩ على ما فيه من الحسن والرشاقة :

مَنْ ظَنَّ أنْ لا بُدَّ منه فإنَّ منـه أألفَ بُدِّ

(فلا بُدَّ) لا يستعمل إلاّ في النفي كما تاج العروس وكما ورد في الشطر الأول من هذا البيت .

وقوله : ص ٢

وهلْ مَن ضَمَّرَ الْجُرْدَ المَذَاكي كمَن جعلَ الطِّرادَ لها ضِمارا

يريد بالضّمار : تضمير الخيل ولم أجدها بهذا المعنى .

وقوله : ص ٨

تُعيِّرُني بِأَحداثِ الليالي وكيف يدافِعُ البدرَ المِحاقا

والمختار في فعل عَيَّر أن يتعدى بنفسه لا بالباء ، يقال عَيَّرَه الأمرَ .

وقوله : ص ٧

إذا ماالكأسُ لم تكُ كأسَ بَيْنٍ فليستْ بالحميم ولا الغَسَاقا

فعطف المنصوب على المجرور .

وقوله : ص ١٠

وأَقْبَلَ بالهَناءِ عليكَ عِيدٌ حداه إليكَ إقبالٌ وساقا

وقوله : ص ٨٧

أما الهَناءُ فللزمانِ وأهلِهِ كُلٌّ يَدِينُ من الزمانِ بدينِهِ

وقوله : ص ٨٨

فأسعدْ ودام لك الهناء بماجدٍ طالتْ به الآمالُ وهي قصار

والهناء بالمد غير صحيح على شيوعه على الألسنة والأقلام . وانما هو : هنَأَه هنأً وهَنُوءٍ هناءَةً وهناةً وهنأً .

وقوله : ص ١٨

تَناقَلُ بي أيدي المَهَارَى حَثيثَةً كما اختلفتْ في العقدِ أَنمُلُ حاسبِ •

يريد بأنمل جمع أنملة والموجود في المعاجم أنامل وأنملات وهي رؤوس الأصابع .

وقوله : ص ٢٣

هَبْ ذا الرَّمِيَّ من الحوادث جُنَّةً ولذا الأسيرِ من الخطوب فِكاكا

والمشهور في فعل (وهب) أن يتعدى إلى المفعول الأول باللام لا بنفسه ·

وقوله : ص ٢٤

أرى البيضَ الحِدادَ ستقتضيني نُزُوعاً عن هوى البِيضِ الخِرادِ

الخريدة : المرأة الحيية والبكر لم تمس ، تجمع على خرائد وخُرُد وخُرَّد · لا على خِراد ·

وقوله : ص ٣٠

تُجَرِّدُ نَصْلاً والخلائقُ مَفْصِلٌ وَتُنْبِضُ سهماً والبَرِيَّةُ مَقْتَلُ

يقال أَنْبَضَ القوس : اذا جذب وترها لتصوت ، ولا يقال أنبضَ السهمَ ·

وقوله : ص ٣٣

ومهما هفَتْ يوماً مِن الجوِّ نفحةٌ فَرَبٌّ بِحِضْنَيْكَ النسيمُ المُمَنْدَلُ

الممندل اشتقه الشاعر من المَنْدَل ، وهو أجود العود · وهو غير موجود في المعاجم ·

وقوله : ص ٤٢

تَنَلْ أجراً وذكراً سوف يبقى عليكَ مع الليالي الباقياتِ

جزم الفعل المضارع بلا جازم ·

وقوله : ص ٤٤

فياليتني أبقى ليَ الهجرُ عَبْرَةً فَأَقضي بها حقَّ النوى وأُرِيقُها

الفاء بعد التمني تنصب الفعل المضارع وقد رفعه الشاعر هنا ·

وقوله : ص ٤٥

وأُعْرِضُ عَنْ مَحْضَ المَوَدَّةِ باذِلٍ وقد عَزَّنِي مِمَّنْ أَوَدُّ مَذِيقُها

يريد : وأعرض عن باذلٍ محضَ المودة . ففصل بين الجار والمجرور هذا الفصل المنكر .

وقوله : ص ١٤١

أبلغْ أبا الفضلِ الذي شهدتْ بالفضلِ منه البَدْوُ والحَضْرُ

الحضَر بفتح الضاد وقد سكّنها تقليداً لشيخه ابن حيّوس القائل (ديوان ابن حيوس ١/٢٤٥)

فَجَدٌّ له دانتْ نِزارٌ ويَعْرُبٌ وَجَدٌّ رعايا ملكهِ البَدْوُ والحَضْرُ

وقوله : ص ١٩١

وهل تنهضُ الأيّامُ بي في مَقاوِمٍ فطولُ بِناهِ للزمانِ وآمِرِ

جمع مقام على مقاوم وهو غير مسموع .

وقوله : ص ٢٠٨

ترى الطيرَ والوحشَ مِنْ جانبَيْـــهِ يشكو البطينَ بها الأخمَصُ

الأخمص : باطن القدم ولا معنى لها هنا ، وإنما أراد الشاعر الخميص وهو الضامر جوعاً فقال الأخمص .

وقال : ص ٢١٠

تخالَفُ في الشكلِ تيجانُهُمْ وتحكي غلائِلَهـا الأقْمُصُ

يريد بالأقْمُص : جمع قميص وليس بصحيح وانما يجمع على قُمُص وأقمصة وقمصان .

وقال : ص ٢٣٧

تَبيتُ ركائبنـا ما يَمَسّنَهُ تخالجُنـا أزمتها خِلاجا

والخلاج : البُرد المخططة فظنه مصدر خالج .

وقال : ص ٢٣٨

أعدتَ له بِبيضِ الهندِ كَيّاً وأشفى الكيِّ أبلغُهُ نضاجا

يريد بالنضاج النضج

وقال : ص ٢٣٨

وقَبْلٍ قد دلفتَ له بخيـلٍ كشهب القذفِ ترتهج ارتهاجا

يريد بقوله ترتهج تُرْهج أي تثير الغبار فاستعمل ارتهج على سبيل الاشتقاق ولو لم يكن مذكوراً .

وقال : ص ٢٤٣

فلولا بنو الصوفي أعوزَ مُفْضِلٌ إلى بابهِ للوفدِ مَسْرىً وَمَدْلَج

المسرى سير عامة الليل والإدلاج السير في أول الليل وآخره . وهذا مراد الشاعر . أما المدلج فهو الموضع الذي يمشى فيه بالدلو بين رأس البئر والحوض .

وقال : ص ٢٤٧

فيالي منه صوّالاً فَتُوكاً ويالي منه خلاّباً سَحُورا

يريد فاتكاً وساحراً . فاشتق فَتُوكاً من الفتك ولو لم تذكر في كتب اللغة ، وسَحُوراً من السحر ، وإنما السحور ما يتسحر به من الطعام أو الشراب .

وقال : ص ٢٤٩

وياحاثي التراب عليه مهلاً كسفتَ بهاءه ذاك البَهِيرا

أراد الباهر فقال البهير .

وقال : ص ٢٥٠

وروّضَ ساحتيهِ كأنّ وَشْياً يُحُلّ به وديباجاً نَشيرا

يريد بالقشير المقشور . ومعنى القشير في كتب اللغة المئزر والزرع جمع وهم لا يدوسونه .

وقال : ص ٢٥٠

إذا خطر النسيمُ عليه أهدى إلى زُوّاره أرجاً عَطِيرا

أراد بالعطير العَطِر . ولم تذكر دواوين اللغة العطير .

وقال : ص ٢٦٥

تَتُوقُ إلى الغُمودِ البِيضُ فيها وتشتاق الرماحُ بها الرِّكازا

يقال ركز الرمح ركزاً : غرزه في الأرض . أما الرِّكاز فالمعادن تحت الأرض .

وقال : ص ٣١٨

ولئن غدوتَ الفردَ في نيلِ العلى والمجـدِ فالقمرُ المنيرُ فُرادُ

يريد بـ (فُراد) أنه فرد ووجه الصواب في استعمالها ليس كذلك .

ومما أغري به استعمال صيغة استفعل ومستفعل فيما يشاء من الأفعال قياساً مطرداً ولو لم ينص عليه من ذلك قوله : ص ٢٠٧

ويومٍ أخذنا به فُرصـةً من العيشِ والعيشُ مُسْتَفْرَص

وقوله : ص ٢٠٩

وَتَوّجها الشَّرْبُ نارَنْجَـةً فخلتُ المذَبَّةَ تَسْتَخْوصُ

يقال أخوَصَت النخلةُ : أخرجت الخُوصَ وهو ورق النخل . ولم يقولوا استخوصت .

وقوله : ص ٢٠٩

ودَوْحٍ أغانيُّ قُمْرِيِّهِ يَهُزُّ اللبيبَ وَيَسْتَرْقِصُ

وقوله : ص ٢١٤

يا قولُ قَوْلَةَ مُكْمَدٍ مُسْتَنْزِرٍ ماء الشؤونِ له ونارَ الأَضْلُعِ

وقوله : ص ٢١٦

قد كنتَ أمرعَهم لمرتادِ الندى كَفًّا وأسرعهم إلى المُسْتَفزِعِ

وقوله : ص ٢٥٧

كَتَمَ الصنائعَ فاستشاعَ ثناؤُها مَنْ ذا يصُدُّ الصبحَ عن أنْ يُشرِقا

وقوله : ص ٣٦١

وقد استشادَ لك الثناء فما ترى إلاّ بليغاً بامتداحك مُفلِقا

وما استعمله من هذه الصيغة على وجه الصواب مثل يستخلص ويسترخص ويستنقص ص ٢١٠ ويستذل ص ٢١٥ ويستضحك ص ٢٠٨ فغير قليل .

وعجيب قوله : ص ٢٩٣

قد نالَ من شرفِ الفِعالِ ذخيرةً تبقى إذا كادَ الزمانُ يَزُولا

فقد نصب الفعل المضارع ولا ناصب له هنا .

وفي شعره تعابير محلية لا تزال جارية على ألسنة الدماشقة إلى اليوم منها قوله : ص ٢٢٤

وما إنْ ذاكَ تقصيرٌ بحقٍ ولكنّ الأسى قَيْدُ اللسانِ

وقوله : ص ٢٨٦

لا يَأْتلي مِنْ ذَهَبٍ يَلُفُّهُ مِنّي ومِنْ دراهمٍ يَحُوشُها

فقوله (تقصير بحق) تعبير يستعمل كثيراً في كلام أهل دمشق إلى اليوم وكذلك (لَفَّ) الشيء يلفه أي اختلسه أو اغتصبه ، وحاشه أي أصابه وجمعه وساقه .

هذه أمثلة من المآخذ لم نوردها على سبيل الاستقصاء بل على سبيل المثال ، ونرجح أن ثقافته اللغوية كانت تزداد مع الزمن حتى عُدَّ (عارفاً باللغة) كما يقول الصلاح الصفدي ولعل قوله يعاتب قوماً من العرب : ص ١٦٧

مَواعِدُ مَرْضى كلما قلتُ قد بَرَا لكم موعدٌ بالبذلِ عاوَدَهُ النُّكْسُ

يدل على معرفة باختلاف بعض لغات العرب فان (بَرَأَ) لغة حجازية في (بَرِئَ).
ولكنه كان ميالا إلى الأخذ بالرخص والتوسع بالقياس .

ديوانه

المفروض أن يكون ديوان ابن الخياط الذي وصل إلينا وحققناه على تعدد نسخه ، مشتملاً على جميع شعره ، ومن أصح الشعر روايةً ؛ لأن الذي جمعه ورواه عن الشاعر وسمعه منه وقرأه عليه وأخذ عليه خطه تلميذه محمد بن نصر القيسراني الشاعر المشهور (٤٧٨ — ٥٤٨) فقد رتبه ترتيباً يكاد يكون زمنياً ، فأول قصيدة فيه أنشدت سنة ٤٧٤ وعمر الشاعر أربع وعشرون سنة ، وآخر قصيدة فيه كتب بها الشاعر إلى ابن القلانسي سنة ٥١٧ وهي السنة التي توفي فيها الشاعر . وقد ذكر عن هذا الشاعر أنه « كان مكثراً محسناً مجيداً وأنه كان يحفظ شعره منذ بدأ بقول الشعر إلى أن مات » واختار أبو طاهر أحمد ابن محمد السلفي العالم المحدث الأديب (٤٧٢ — ٥٧٦) مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه .

والذي نراه أن الديوان لم يحط بجميع شعر ابن الخياط ، بل جمع على سبيل الاختيار مما ارتضاه الشاعر لنفسه وأجاز روايته عنه وأسقط ما سواه ، لأن الديوان متوسط غير كبير لا يزيد على ٣٣٠٠ بيت ، على ما اشتهر عن صاحبه من أنه مكثر شديد العارضة متدفق الطبع كثير الارتجال ، يضاف إلى ذلك خلو الديوان من شعر الصبا أي ما قاله قبل أن بلغ العشرين من سنه ، وشاعر مطبوع مثله لا بد من أن يكون قد قال غير قليل من الشعر قبل العشرين .

ومهما يكن فهذا الذي ارتضاه الشاعر لنفسه . ونسخ الديوان المخطوطة التي حصلنا عليها أو على صور منها عند تحقيق الديوان ثماني نسخ ترجع إلى أصلين وفرع .

الأصل الأول : رواية القيسراني وترتيبه وعدد نسخ هذا الأصل ست .

فرع من الأصل الأول : نسخة من رواية القيسراني ولكنها مرتبة على حروف المعجم .

الأصل الثاني : نسخة تختلف في ترتيبها عن كل ما تقدم كما تختلف بالزيادة والنقص وهاك وصف كل نسخة على حدة :

١

نسخة الإسكوريال المحفوظة في الإسكوريال تحت رقم ٣٧٥ والمرموز اليها بحرف (س) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي : « ديوان الأديب الابيب . البليغ الأريب الشيخ . شهاب [١] الدين أحمد بن . محمد بن الخياط . رحمه الله . تعالى » . وفي أعلا الزاوية اليسرى من هذه الصفحة تملك بثلاثة أسطر هذا نصه : « الحمد لله . من كتب عبد الله تعالى زيدان [٢] أمير المؤمنين بن أحمد المنصور بالله . أمير المؤمنين الحسني خار الله له . »

عدد صفحاتها ١٥٩ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً بخط مقروء واضح والنسخة تغلب عليها الصحة ، وترتيب القصائد فيها يكاد يكون زمنياً . وقد ورد في آخرها ما نصه :

« تم الديوان على ما قرره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي .

---

(١) كل من ترجم لابن الخياط لم يعرفه بهذا اللقب الذي كان يلقب به أكثر من اسمه أحمد .

(٢) زيدان بن أحمد من ملوك المغرب كان فقيهاً مشاركاً متضلعاً في العلوم وله تفسير على القرآن ، وله شعر ، وفي أيامه أخذ قراصين الاسبان مركباً له من جملة ما فيه ثلاثة آلاف كتاب من كتب الدين والأدب والفلسفة وغير ذلك منها ديوان ابن الخياط . وكانت وفاته سنة ١٠٣٧ « انظر الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى للسلاوي ٣ / ١٢٨ » .

قال مؤلفه كل[1] ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد ابن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقرأه عليّ ، وما رواه غيره يخالف ما في نسخته هذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد بن محمد بن علي الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائة والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده .

« ووافق الفراغ من كتابة هذه النسخة في شهر شوال سنة أربع وثمانين وتسعمائة ، على يد الفقير الحقير محمد بن علي الاحلافي الأزهري الشافعي غفر الله له ولوالديه ومشايخه والمسلمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً دائماً إلى يوم الدين وهو حسبي ونعم الوكيل والحمد لله رب العالمين » .

٢

النسخة الظاهرية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٣٩٧٤ والمرموز اليها بحرف (ظ) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يأتي :

ديوان الشيخ الأجل . أبي عبد الله محمد[2] بن أحمد بن الخياط . الدمشقي تغمده الله برحمته . وكاتبه والمسلمين . آمين . آمين .

عدد أوراقها ٨٧ ورقة سقط منها الورقة الثانية فبقي ٨٦ ورقة في كل صفحة تسعة عشر سطراً وخطها حسن وأغلاطها قليلة ولا تكاد تختلف عن نسخة الإسكوريال ، وعناوين القصائد مكتوبة بالحبر الأحمر على الأكثر وقد تكون بالحبر الأخضر وبهما معاً . وورد في آخرها ما نصه :

« تم الديوان بأمره على ما قرره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة قال فيها من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي . ثم قال أيضاً كتبته من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخياط رحمه الله

---

(١) رسمها في الأصل : كلما .

(٢) كذا والصواب أحمد بن محمد .

ءا نسخته كل (١) ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقرأه عليّ . وما رواه غيره فخالف ما في نسخته هـذه فلا يعتد به . وكتبه أحمد بن محمد بن علي بن الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائة

وافق الفراغ من تحرير هذه النسخة المباركة في يوم الأحد المبارك سابع عشر ربيع الأول من شهور سنة خمس عشرة وألف ختمت بخير على يد الفقير يوسف ابن علي الملاح سبط الشيخ الحنفي غفر الله له ولوالديه والمسلمين » .

٣

النسخة الأيوبية المحفوظة في دار الكتب الظاهرية بدمشق تحت رقم ٧٣٢٩ والمرموز اليها بحرف (ي) كتب على ظاهرها بأربعة أسطر ما يلي :

« ديوان الشيخ الفاضل العالم أبي عبد الله . أحمد بن محمد بن الخياط رحمه الله تعالى . وغفر لنا وله ولجميع المسلمين . آمين . » وتحت ذلك إلى اليسار : « تملكه الفقير محمد عطاء الله بن السيد محمد سعيد الأيوبي » وتحت ذلك « تملكه الفقير محمد علي بن السيد محمد عطاء الله الأيوبي . غرة محرم سنة ٣٠(١٣) » .

عدد أوراقها سبع وتسعون ورقة صغيرة القطع ، في كل صفحة سبعة عشر سطراً ، وخطها حسن ولكنها كثيرة الأغلاط ، وقد يسقط الناسخ من بعض القصائد أبياتاً سهواً أو قصداً ، وعناوين القصائد مكتوبة بالحمرة . ورد في فاتحة الصفحة الأولى ما نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم .

هذه النسخة منقولة من نسخة بخط الشيخ الأديب العالم الفاضل أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي القيسراني رحمه الله تعالى . قال أنشدني الشيخ

(١) رسمت في الأصل كلما .

الأجل أبو عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط يمدح الأمير ناصر الدين أبا القوام وثاب بن نصر بن صالح رحمه الله تعالى [1] :

عَتادُكَ أنْ تَشُنَّ بها مُغارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تَبارا

وورد في آخرها ما نصه :

تم ديوان الشيخ الأجل أبي عبد الله أحمد بن محمد الخياط وصلواته وسلامه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . فرغ من نسخه في مستهل سنة ٩٩٣ من نسخة تاريخها رابع عشر ربيع الأول سنة خمس وتسعين وخمسمائة . والأصل المنقول منه هذه النسخة نقلت من نسخة بخط الشيخ الإمام العالم الأوحد أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني رحمه الله تعالى وعليها خط الشيخ أبي عبد الله أحمد بن محمد بن علي الخياط وإجازته له بها وصحتها وصورة ما كتبه ابن الخياط وكل[2] ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقرأه عليه . وما رواه غيره فخالف ما في نسخته هذه فلا يعتد به وكتبه أحمد بن محمد بن علي الخياط في سنة سبع عشرة وخمسمائة » .

عدد القصائد والمقاطيع

١٤٥

٧٢٣٢ بيتاً [3]

زبره أحقر العباد الفقير أبو بكر بن يونس

(١) وبعد ذلك بضع كلمات مأروضة .
(٢) في الأصل : كلما .
(٣) كذا والأقرب إلى الصحة ٣٢٣٢ .

٤

نسخة شيخ الإسلام عارف حكمة المحفوظة في مكتبته بالمدينة المنورة تحت رقم ١٢٢ والمرموز إليها بحرف (ع) كتب على ظاهرها بستة أسطر ما يلي :

« هذا ديوان الشاعر البليغ . المفلق الأجل الكامل الأديب . الأريب الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد الخياط . الدمشقي رحمه . الله تعالى » .

وتحت ذلك خاتم كبير مدوّر نقش عليه بخمسة أسطر ما يلي :

« مما وقفه العبد الفقير إلى ربه الغني . أحمد عارف حكمة الله بن عصمة الله الحسيني . في مدينة الرسول الكريم عليه وعلى آله الصلاة والتسليم . بشرط أن لا يخرج من خزانته . والمؤمن محمول على أمانته ١٢٦٦ » .

عدد صفحات هذه النسخة ١٧٢ صفحة في كل صفحة ١٩ سطراً وخطها مقرمط ولا تخلو من الأغلاط .

وورد في آخرها ما نصه :

« تم الديوان بأمره على ما قرره صاحبه أبو عبد الله أحمد بن الخياط من نسخة الشيخ أبي عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي . ورأى راقم هذه الرقوم في الأصل الذي نقلت منه هذه الرقوم ما صورته : كتبته من نسخة عليها خط الشيخ أبي عبد الله بن الخياط رحمه الله بما نسخته : كل[1] ما رواه عني الشيخ الأجل الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير فهو ما سمعه مني وقرأه علي وما رواه غيره فخالف ما في نسخته هذه فلا يعتد به وكتبه أحمد بن محمد ابن علي بن (الخياط) . وقال كاتب الأصل فرغ من نسخه بمدينة حلب بوري خان بن بلق بن بوري خان يوم الثلاثاء الرابع من جمادى الأولى سنة ست وخمسين وخمسمائة والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وآله أجمعين

(١) في الأصل : كلما .

وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل . وكان الفراغ من كتابة هذا الديوان المبارك لستة أيام خلون من شهر شوال سنة ١٢٣٨ على يد الفقير إلى الله محمد محمد محمد الوجيه المالكي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

٥

النسخة المصرية المحفوظة في دار الكتب المصرية بالقاهرة تحت رقم ٣٩٢ والمرموز إليها بحرف (م) نسخة جديدة حسنة الخط صحيحة وقد تكون أقل النسخ أغلاطاً . عدد أوراقها ٧٩ ورقة في كل صفحة ٢١ سطراً .

ورد في آخرها ما نصه : تم الديوان بعون الله الملك المنان .

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

٦

نسخة الأستاذ عبد الله كنون المحفوظة في خزانته والمرموز إليها بحرف (ن) وهي أقدم النسخ التي بين أيدينا خطها مشرقي من خطوط القرن السادس ، كتب على ظاهرها بخط مغربي ما يأتي :

«الحمد لله تملك هذا المجلد المشتمل على ديوان الأديب البليغ ابن الخياط الدمشقي بالشراء من السيد محمد بن سيدي محمد حدوش الخالدي بثمن منتهاه ست موزونات ونصف في غرة ربيع الثاني عام أربعة وستين ومائة وألف . عبيد ربه محمد بن صالح» .

وقد سقط من أول النسخة ورقتان ذهب معها القصيدة الأولى من الديوان التي مطلعها :

عَتَادُكَ أَنْ تَشُنَّ بها مُغَـارا فَقُدْها شُزَّباً قُبّاً تَبَـارَى

ولم يبق منها إلا البيتان الأخيران .

وفي أعلا الورقة السادسة منها على هامشها كتابة بخط مغربي يختلف عن خط الأصل ذكر كاتبها أنه نقلها من نسخة محمد بن أحمد خطيب داريّاً سنة ٧٩٤ ·

عدد أوراق هذه النسخة ١٣٣ ورقة في كل صفحة منها ١٣ سطراً وهي حسنة قليلة الأغلاط · وقد ورد في آخرها ما نصه : «تم الكتاب والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد وأهل بيتـه الطيبين الطاهرين وسلم تسليما» ·

وفي الصفحة التي تلي الخاتمة تعليقات مختلفة تاريخها سنة ٦٠٨ ·

٧

النسخة التيمورية المحفوظة في خزانة المرحوم أحمد تيمور باشا والمرموز إليها بحرف (ت) هذه هي النسخة المخطوطة الوحيدة من ديوان ابن الخياط المرتبة على حروف الهجاء لا تختلف عن النسخ الست التي تقدم وصفها إلاّ في الترتيب ، يعني أنها تعتمد على رواية القيسراني في النص لا في الترتيب · ونرى أنها من عمل بعض الأدباء الذين يفضلون الترتيب الهجائي في الدواوين لتيسير المراجعة · ورد في أولها ما صورته :

«بسم الله الرحمن الرحيم وبه الهداية · حدثنا الشيخ الأديب أبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير الخالدي قال أنشدني الشيخ الأديب أبو عبد الله أحمد ابن محمد الخياط الدمشقي لنفسه على قافية الألف يمدح القاضي فخـر الملك أبا علي عمّار بن محمد بن عمّار :

هبوا طيفكم أعدى على النأي مسراه ... فمن لمشوقٍ أن تهوّم جفنـاه»

عدد صفحاتها ١٦٠ صفحة في كل صفحة ٢١ سطراً وخطها حسن ولكن الأغلاط فيها غير قليلة · وورد في آخرها ما نصه : تم الديوان ·

ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ ·

٨

نسخة كوبنهاغ المحفوظة في دار الكتب هناك تحت رقم ٢٦٤ والمرموز إليها هنا بحرف (ك) . هذه النسخة تختلف عن جميع النسخ التي سبق وصفها بالترتيب والرواية والزيادة والنقص ، وجامعها غير محمد بن نصر القيسراني ، ولكنه أديب آخر معاصر لابن الخياط يروي عنه شعره .

عدد أوراق النسخة ١٣٨ ورقة في كل صفحة ١١ سطراً وخطها حسن من خطوط القرن الثامن ، وقد كتب على حواشي ستين ورقة من أوائل النسخة من الورقة رقم ١٠ إلى الورقة رقم ٧٠ كتاب نصيحة الملوك للإمام الغزالي بخط يختلف عن خط المتن .

وكتب على ظاهره بثلاثة أسطر ما نصه : « ديوان الشيخ أبي عبد الله . أحمد بن محمد بن الخياط الدمشقي . رحمه الله تعالى » .

وورد في الصفحة الأولى ما صورته : « بسم الله الرحمن الرحيم قال الشيخ أبي[1] عبد الله أحمد بن محمد بن الخياط الدمشقي يمدح الأمير مجد الدين عضب الدولة جمال الملك زعيم الجيوش أبا منصور أتق[2] بن عبد الرزاق عند وروده الى دمشق سنة سبع وثمانين وأربعمائة :

خُـذَا مِنْ صَبا نجْدٍ أماناً لقلبِهِ فقد كاد رَيّاها يَطِيرُ بِلُبِّهِ »

وترتيب الديوان في هذه النسخة كما يلي : أورد جامعه أولاً ما قاله الشاعر في عضب الدولة ثم ما قاله في تاج الملوك بوري بن طغتكين . واستغرق هذا

(١) كذا .
(٢) كذا والصواب أبق .

القسم سبعين صفحة وورد في ختام هذا القسم ما نصه : « هذا ما علقته من إملائه رضي الله عنه ولم أجد عشره في ديوانه عند جامعي شعره ومدوني شكره ثم أعود إلى ما نظمه في عنفوان شبابه وزمان اطرابه وأبتدئ بالسابق من مدائحه والمستغرب من قرائحه فأجعل مدح كل ممدوح يتبع بعضه بعضاً على الوضع المقدّم في كل رئيس ومقدّم ثم لما صدر في صدره عن اعراضه [١] باباً مفرداً وما رأيت أن أقدم على مدائح الموليين المذكورين نور الله ضريحهما من الجماعة [٢] يمدحهم أحداً » .

ثم أورد بقية ما جمعه من شعره مرتباً ترتيباً يكاد يكون زمنياً . وجاء في آخر الديوان ما نصه : « هذا آخر ما انتهى من أشعاره وانتظم » ولم يذكر اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ .

وقد يكون جامع هذه النسخة أبا طاهر أحمد بن محمد السِّلَفي المحدث العالم الأديب الذي عاصر الشاعر ، فقد ذكر عنه أنه اختار مجلدة لطيفة من شعره وسمعها منه [٣] .

ولقد أخذنا ما فيها من الزيادة وأشرنا إلى ما فيها من نقص واختلاف في الرواية .

خليل مردم بك

---

(١) لعلها أغراضه .
(٢) لعل الصواب : « من يمدحهم أحداً .
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبي (مخطوط) .

كلمات مولّدة مشهورة في كتاب

«قوانين الدواوين» لابن مَمّاتي[1]

من المعلوم أن الأمهات من معجماتنا العربية لا تشتمل على جميع الألفاظ التي عرفتها العرب في زمن الجاهلية وفي صدر الاسلام . فهناك ألفاظ خلت منها المعجمات المذكورة على حين أنها وردت في شعر الفحول من الشعراء المخضرمين . وهناك آلاف من الألفاظ التي سُميت مولدة استعملها الكتاب في كتبهم العلمية والأدبية بعد أواخر القرن الثاني الهجري في الأمصار ، وبعد أواسط القرن الرابع في جزيرة العرب . وكثير من هذه الألفاظ لم تذكرها المعجمات ، أو ذكرت بعضها وخصته بقولها إنه لفظ مولد أو عامي ، وبقولها هذه لغة مصرية أو شامية ، أو مثل ذلك .

وقد كان المرحوم الشيخ عبد القادر المغربي تلا علينا منذ ثلاثين سنة ونيفاً[2] في جلسة مماثلة لجلستنا هذه حديثاً تناول فيه ما سماه (الكلمات غير القاموسية) وهي الكلمات المولدة والعامية ، وقسمها سبعة أقسام ، ورغب الينا ـ أي الى أعضاء المجمع ـ أن نبدي رأينا فيما يجوز وما لا يجوز استعماله منها أو ادخاله في معجماتنا الحديثة ؛ فأجاب ثمانية عشر عضواً من أعضاء المجمع عن هذا الاستفتاء ، ونُشرت أجوبتهم في المجلد الثامن والمجلد التاسع من مجلة المجمع . ثم عاد الفقيد المغربي الى هذه الأجوبة فلخصها في المجلد الثاني عشر من المجلة ، وانتهى الى قوله حرفياً[3] :

---

(١) بحث ألقاه الأمير مصطفى الشهابي نائب رئيس المجمع العلمي العربي في جلسة المجمع الختامية لسنة ١٩٥٨ .

(٢) انظر ج ٨ ص ٢٩ من مجلة المجمع العلمي العربي .

(٣) ج ١٣ ص ٥٨٨ من مجلة المجمع .

«والفتوى الصريحة والقول الفصل في الأصناف السبعة : أن العامي لا يجوز استعماله في اللغة التي يتخاطب بها الخواص ولا تدوينه باعتبار أنه لفظ عربي . أما سائر الأصناف فتقبل وتُستعمل وتدون بشيء من التحفظ والاحتياط في الصنف الثالث (وهو الكلمات الاصطلاحية) والصنف الرابع (وهو الكلمات المولدة)[1] والصنف الخامس (وهو الكلمات المعربة) . فيحسن في هذه الأصناف الثلاثة استعمال ما يقوم مقامها من اللغة الفصحى إن أمكن والا استعملت من دون نكير» .

وفي أجوبة أعضاء المجمع الملمع اليهم آراء طريفة ، وفوائد كثيرة . لكن هذا الموضوع ظل معلقاً تعالجه أقلام الكتاب بين آونة وأخرى حتى جاء مجمع اللغة العربية في القاهرة فوضع في المولَّد القرار الآتي :

«المولَّد هو اللفظ الذي استعمله المولَّدون ، على غير استعمال العرب ، وهو قسمان :

١ — قسم جروا فيه على أقيسة كلام العرب من مجاز أو اشتقاق أو نحوهما ، كاصطلاحات العلوم والصناعات أو غير ذلك ، وحكمه أنه عربي سائغ .

٢ — وقسم خرجوا فيه على أقيسة كلام العرب إما باستعمال لفظ أعجمي لم تعرِّبه العرب ، وقد أصدر المجمع في شأن هذا النوع قراره (أي قرار التعريب) ، وإما بتحريف في اللفظ أو في الدلالة لا يمكن معه التخريج على وجه صحيح ، وإما بوضع اللفظ ارتجالا .

والمجمع لا يجيز النوعين الأخيرين في فصيح الكلام» .

ومهما تكن القواعد المتبعة في موضوع المولد من الكلم فالحقيقة أن كل كلمة مولدة ، من أي صنف كانت ، تحتاج الى دراسة خاصة عميقة لمعرفة صلاحها

(١) يريد الكلمات العربية التي ولدها المتأخرون مثل فعل خابره بمعنى راسله ، وتفرَّج على الشيء واحتار في أمره الخ .

للدخول أو عدم الدخول في معجماتنا الحديثة ، وهو شيء لا يجهله الذين يعانون تأليف الكتب العلمية ، ولا سيما الذين يضعون أو يحققون ألفاظ المصطلحات العلمية الحديثة .

والكلمات غير القاموسية تعد بالألوف . وقد عثرتُ في كتب الفلاحة وكتب المفردات القديمة على عدد كبير منها ذكرته في معجمي . وعندما كنت في القاهرة في الشتاء الماضي عدتُ الى دراسة المصطلحات في كتاب الفلاحة الأندلسية لابن العوام الإشبيلي وفي كتاب قوانين الدواوين لابن مَمَّاتي ، واستخرجت من الكتاب الثاني خاصةً أكثر من خمسين كلمة لم ترد في المعاجم الأصلية ، ولكنها ما برحت تُستعمل في أيامنا هذه مثلما كانت تُستعمل في زمن الفاطميين والأيوبيين .

ولا بد لي من ذكر كلمة في غاية الايجاز عن ابن مَمَّاتي وكتابه ، قبل أن أتكلم على بعض الكلمات المولدة الملمع اليها التي هي بيت القصيد في هذا البحث .

فمؤلف كتاب (قوانين الدواوين) هو الأسعد بن مُهَذَّب بن مَمَّاتي ، كان جده المسمى أبا المليح قبطياً مسيحياً من أسيوط في صعيد مصر ، كتب في ديوان مصر لأمير الجيوش بدر الجمالي في أيام الخليفة المستنصر بالله الفاطمي . وبعد وفاته تولى ابنه (المهذب) ديوان الجيش في أواخر عهد الفاطميين وأسلم هو وأسرته . ثم تولى من بعده ديوانَ الجيش ابنُه الأسعد الذي نتكلم عليه ، وظل محتفظاً بهذا الديوان ثم بديوان المال طيلة أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي وأيام ابنه العزيز عماد الدين عثمان . وفي زمن الملك العادل سيف الدين أبي بكر كثر الواشون به ففر الى حلب حيث أكرمه الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين ابن أيوب ، وتوفي فيها سنة ٦٠٦ من الهجرة .

وكان ابن مماتي أديباً وشاعراً له تصانيف كثيرة ، ترجم له ياقوت في معجم الأدباء ترجمة وافية ، والعيني في عقد الجمان في تأريخ أهل الزمان ،

والسيوطي في حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، والزبيدي في التاج ؛ وذكره ابن خلكان في وفيات الأعيان ، والمقريزي في خططه . ومما قاله ياقوت فيه : «أحد الرؤساء الأعيان الجلة ، والكُتّاب الكبراء المفزلة ، ومن تصرّف في الأعمال ، ووُلي رئاسة الديوان ، وله أدب بارع ، وخاطر وقاد مسارع ، وقد صنف في الأدب الخ ..» .

وذكر له المؤرخون ولا سيما ياقوت تصانيف أدبية كثيرة لا مجال لذكرها . ولعل أهم مصنفاته كتاب (قوانين الدواوين) هـذا . وقد ذكر المقريزي أنه أربعة أجزاء ضخمة ، وأن الذي يقع في أيدي الناس جزء واحد اختصره منه غير **المصنف** .

ومن المؤسف ضياع الأصل أي الأجزاء الأربعة . ومع هذا ففي المختصر معلومات جد مفيدة على مصر وأعمالها ونواحيها وضياعها وجزائرها وموانيها وخلجانها وترعها وجسورها وحراجها السلطانية وأصناف مزروعاتها وأوان زراعتها وادارة مزارعها ومساحة أراضيها وأحكام مستغلاتها وما يزرع فيها من حبوب وقطاني وبقول وشجر ، ودواوين الحكومة وسجلاتها والضرائب التي تستوفى عن الغلات وغيرها الى آخر ما جاء في الكتاب من معلومات فيها صورة مفيدة لما كانت عليه الأوضاع الزراعية والحكومية في مصر في عهد الملوك من بني أيوب .

وقد عُثر على بضع نسخ مخطوطة من الكتاب المختصر منها نسخة في مكتبة غوطة Gotha من أعمال ألمانية ، يرجّح أنها نُسخت في القرن الثامن من الهجرة ، ونسخة في مكتبة أياصوفية في اسطنبول نُسخت في القرن التاسع للسلطان قايتباي من المماليك البرجية .

وفي سنة ١٩٤٣ أنفقت الجمعية الزراعية في مصر على طبع الكتاب المختصر ، بعد أن حققه الأستاذ المؤرخ عزيز سوريال عطية معتمداً بخاصة على النسختين الملمع اليهما .

وفي النسختين أغلاط لغوية عديدة نقلها المحقق على ما وردت دون بيان صحتها ، وهي تدل على أن الذي اختصر الكتاب أو الذين اختصروه ونسخوه قد شوهوا كثيراً من جمل ابن مماتي وهو بعدُ أديب كبير لا تصدر عنه جمل ركيكة أو مغلوطة كالتي وردت في النسخ المذكورة .

ومهما يكن من أمر فالكلمات المولدة التي اشتمل الكتاب عليها والتي هي موضوع حديثنا هذا كانت تُستعمل في زمن الأيوبيين ، أو على الأقل في زمن المماليك الذين أتوا من بعدهم .

وها كم جملة من الكلمات المذكورة :

المُحْمِضات أو المُحَمِّضات .

يطلق المصريون اليوم كلمة الموالح ، والشاميون كلمة الحوامض وكلمة الحَمْضِيَّات على ما يسمى بالفرنسية Agrume وهو اسم شامل لثمار جنس الليمون Citurs من الفصيلة البرتقالية كالبرتقال والأترج والنارنج والليمون الحامض واليوسفي وليمون الجنة « غريب فروت » وغيرها . وقد سماها ابن مماتي المُحْمِضات أو المُحَمِّضات . ولهذه التسمية وجه . ففي القاموس حَمُضَ وحَمَضَ وحَمِضَ حَمَضاً وحُمُوضة ، وأحْمَضَهُ . ومن الغريب أن الزبيدى قد سها عن ذكر أحمضه المتعدي في التاج . فالمُحْمِضات يمكن تفسيرها بالتي تجعل الشيء حامضا .

أما المُحَمِّضات ففي مستدرك التاج : « والمُحَمِّض من العنب كمحدِّث الحامض . وحَمَّضَ تحميضاً صار حامضا . فقول ابن مماتي (المُحَمِّضات) اسماً لثمار البرتقاليات معناه الثمار الحامضة .

ولم يرد في المعجمات على الثمار المذكورة الا ان ما في جوف الأترج يسمى الحُمّاض . ومن المعلوم أن كلمة الحُمّاض تدل أيضاً على نبات معلوم ، وأن

الحَمْض في كتب اللغة تطلق على ما مَلُحَ وأَمَرَّ من النبات خلافاً للخُلَّة .

ولم يذكر دوزي في معجمه المُحَمَّضات ولا المَوالح بمعنى الثمار المذكورة .

والذي أراه أن كلمات المُحَمِضات والمُحَمَّضات والحوامض والحَمْضِيّات كلها يجوز استعمالها اصطلاحاً للدلالة على ثمار الفصيلة البرتقالية ؛ ومن الأرجح الاقتصار على أحدها . أما المَوالح فهي لا تصلح لهذا الغرض . وهي لم ترد الا مرة واحدة في احدى النسخ التي اختُصر فيها كتاب (قوانين الدواوين) . ويغلب على الظن أنها من كلام الناسخ .

وعلى الرغم من انتشار كلمة المَوالح في مصر ، فقد أخذ الزراعيون فيها يستعملون في كتبهم الى جانبها كلمتي الحوامض والحَمْضِيّات .

الفَكّاهون . استُعملت كلمة الفَكّاه بمعنى بائع الفاكهة ، على حين أن سيبويه قد منع هذا الاستعمال في قوله : « ولا يقال لبائع الفاكهة فَكّاه كما قالوا لَبّان ونَبّال لأن هذا الضرب انما هو سماعي لا اطرادي » . قلت لقد جاء في المعجمات كثير من الكلم على هذا الوزن كالحَنّاط والوَرّاق والبَدّال والسمان والتمار والتبان واللحام والأبار وغيرها كثير ، وكلها تطلق على بائعي هذه الأشياء . ومع هذا فنحن في غنى عن استعمال الفَكّاه ما دام عندنا كلمة صحيحة تقوم مقامها وهي كلمة الفاكِهانِيّ المشهورة .

وكما أن وزن (فَعّال) كثير الورود كذلك النسب بالياء كقولهم إبْرِيّ وحِمّصي وحِنّائي وأُشْناني وباقِلاّني وبَقْلي الخ .

ولمجمع اللغة العربية قرار في هذا الموضوع ذكرته في البحث الذي ألقيته على الزملاء في مثل هذا التأريخ من السنة الماضية .

النَّصْبُ والنَّصْبَة . من العناوين التي جاءت في كتاب قوانين الدواوين « أوقات نصب الأشجار » أي غرسها . والنَّصْب بهذا المعنى مشهور في أيامنا

هذه . وكذلك النَّصْبة للغَرْسة . وقد وجدتُ النصبة هذه في تاريخ حلب لابن العديم ، الذي حققه الدكتور سامي الدهان . ووجدت النصبة في كتاب عَلَم الملاحة في علم الفلاحة للشيخ عبد الغني النابلسي ؛ وأورد دوزي الكلمتين ، ولكنه نقل عن محيط المحيط وغيره من الكتب الحديثة . ولم ينقل عن كتاب قديم دلالةً على قدم استعمالها .

السَّباخ والتَّسْبيخ . لم ترد السَّبْخة ولا السَّبَخة ولا السَّبَاخ في المعجمات بمعنى الزبل أو السماد أو القمامة أو الزبل المتَتَرِّب ، على حين أن كلمة السَّباخ شائعة في مصر تدل على هذا المعنى في أيامنا هذه . وقد ذكرها ابن مَماتي وابن العوام وغيرهما بهذا المعنى ، كما ذكروا التسبيخ بمعنى التزبيل والتسميد . ولم ترد كلمة التسبيخ بهذا المعنى في المعجمات . ومن الواضح أن استعمالها قديم .

التَّخْبيش والتَّشْوين والتَّكْييس . أفعال اشتقها المولدون من أسماء أعيان ثلاثة وهي الخَيْش والشَّوْنة والكيس بمعنى وضع الأشياء في الأخياش والشُّوَن والأكياس . وقد ذكر ابن مماتي التخبيش والتشوين ، ولم يذكرهما دوزي في قاموسه . أما فعل التكييس فلم أجده في قوانين الدواوين . وذكره البستاني بهذا المعنى في محيط المحيط ، ونقله دوزي عنه ، كما نقل معنى التدليك في الحمامات . وكلا المعنيين مشهور في أيامنا هذه .

والشَّوْنة بالفتح مصرية تطلق على الأنبار والهُرْي أي مخزن الغلة ، وتجمع على شُوَن ؛ والشَّوّان خازن الغلة على ما جاء في مستدرك التاج .

الكَسْحُ والزِّبَارة . تُستعمل كلمة الكسح اليوم بمعنى التقليم والتشذيب والتقضيب أي قطع أغصان الشجر أو فروعها لأغراض زراعية . وقد جاء في احدى النسخ من كتاب ابن مماتي قوله : « وفيه تُكْسَح الكروم بأرض مصر » ، أي في شهر أمشير ، وأكثر أيامه تكون في شباط (فبراير) . وذكر ابن العوام

الكسح في أماكن كثيرة من كتاب الفلاحة الأندلسية ، وسمى مُقَلِّم الشجر كَسَّاحا . أما ابن مماتي فقد أكثر من استعمال التقليم بدلاً من الكسح .

ولم أصادف في كتاب (قوانين الدواوين) زَبْر الكروم وزبارتها أي تقليمها ، على حين أن ابن العوام استعمل الزبارة في كتابه ، وكذلك ابن البيطار في مفرداته (مادة قفر اليهود) ، وقسطا بن لوقا في كتاب الفلاحة اليونانية ، والغزال في ج ٧ ص ٣٧٢ من نفح الطيب ، وغيرهم .

التَّقوِية والتَّقاوِي . كلمة التقاوي مشهورة في مصر خاصةً حيث تطلق على الزريعة أي البذور المعدة للبذر . وتطلق في بعض كور الشام على ما يستلفه المزارع من صاحب الأرض نقداً أو عينا . وقد وردت في كتاب (قوانين الدواوين) تارةً وحدها في مثل « وفيه تُصرف التقاوي » ، وتارةً معطوفةً على البزر في مثل « وقَبْضُ البزر والتقاوي » .

ومن الواضح أن التقاوي هذه من التقوية أي تقوية الفلاّح بما يحتاج اليه في فلاحته إما من بذور يبذرها في أرضه ، أو من مال يبتاع به بذوراً أو غير بذور .

الشَّتْلة والشَّتْل والتَّشتيل والمَشْتَل . الشتل والشتلة من السريانية تطلقان اليوم في مصر والشام على الغرس والغرسة ، ولا سيما على ما يكون من صغار النبات في الأُصص والمستنبتات ، ثم يُنقل الى مستقرّه في البستان أو الحديقة أو المبقلة . وقد اشتق الفلاحون فعل شَتَل وشَتَّل أي حوّل الشتل الى مستقره ، واشتقوا من الشتل المَشْتَل أي المستنبت الذي يُربى فيه الشتل .

ولم ينقل دوزي في معجمه هذه الألفاظ من كتاب قديم . وذكر ابن مماتي الشتل في بحثه عن زراعة الخس والكرنب .

الوَقّاف . ذكر دوزي لهذه الكلمة معاني مولدة . ولم يذكر لها المعنى الزراعي الذي ما برح يُطلق عليها في أيامنا هذه في الغوطة ، وهو الاختصاص بأعمال

الإسقاء وغيرها من الأعمال الزراعية . وقد عرَّف ابن مماتي الوقاف بقوله : « والعادة جارية أن يكون لكل وجه وقّافان ، وهما اللذان يحوّلان المياه الى ما يحتاج اليها » .

الخَوْلِيّ . هذه الكلمة مشهورة تطلق اليوم على رئيس فلاّحي المزرعة ، أي على الذي يدير شؤونها الزراعية بالنيابة عن صاحبها أو عن مستأجرها . وقد ذكرها صاحب محيط المحيط وجمعها على خَوْلِيّة . وجمعها آخرون على خَوَلة ؛ وقال ابن مماتي فيها « ويُحتاج الى خولي خبير بالأرض وبقاعها ، عارف بالمزروعات وأنواعها » .

الطِّيْن . تُطلق هذه الكلمة في مصر على الأرض الزراعية . ويبدو أن هذا الاصطلاح قديم ، فقد جاء في كتاب (قوانين الدواوين) مثلاً : « وتحتاج الى نَجّار برسمها ، يقرّر له ما يتناوله ، إما مشاهرةً وإما طينا » .

الصَّيَافِيّ . كثيراً ما ينطق الفلاحون بهذه الكلمة إشارةً الى المزروعات التي تُزرع في الربيع وتُدْرِك بزورها أو ثمارها في أواخر الصيف . وجاء في كتاب (قوانين الدواوين) : « ... وفيه زراعة الصيافي » . ولم أجد لكلمة الصيافي هذه تخريجا . ولو قيل زراعة الصَّيْفِيّ لكان لذلك وجه ، لأن من معاني الصيفي في المعجمات الكلأ ينبت في الصيف . والعامة تجمع على هذا الوزن ، كقولهم شَرْقِيّ وشَرَاقِيّ ، وبَدْرِيّ وبَدَارِيّ ، وعَوْسِيّ وعَوَاسِيّ .

العِمارة . من معاني العِمارة عند الفلاحين الزبل والتزبيل وإحياء الأرض ، أي قلع نباتاتها الهربة وأحجارها ثم حرثها لاتخاذها مُزْدَرَعا . والعمارة عند سكان المدن ، تشييد الأبنية ، والأبنية المشيدة . وذكر دوزي عن بعض القدماء ومنهم الإدريسي أنها وردت بمعنى الحقل والمزدرَع . ولم يذكر ورودها في

كتاب قديم بمعنى التسميد أو إحياء الأرض ، على حين أن ابن مماتي وغيره من القدماء أوردوها بهذا المعنى .

الشُّوح . الشوح من الكلمات المشهورة في الشام . وهي تدل على نوع من أنواع التَّنُّوب اسمه تنوب كيليكية ، يوجد في حراج اللاذقية ، ويكثر في جبال طورس ، ويأتينا خشبه منها ومن رومانيا على الأخص . وقد وجدتُ هذه الكلمة في مخطوط كُتب للسلطان صلاح الدين الأيوبي حيث جاء : « وبنو الأصفر ومن جانسهم من الروم يعتدُّون رماحاً من الخشب الزان والشوح وما شاكله ويسمونها القنطاريَّات » .

أما ابن مماتي فقد ذكر أشكالاً من خشب الشوح في أيامه منها : « شوح ضيق وشوح جَنَوِيّ وشوح صخري وشوح نولي وشوح طويل الخ . » .

وقال دوزي في قاموسه إن الشَّاحَة والشَّاح والشُّوْح تُطلق على الصنوبر والتنوب ، نقلاً عن قاموس للجيب افرنسي — عربي ، وعربي — افرنسي ألفه هيلو Hélot وطبعه في الجزائر . ولم ينقل دوزي عن كتاب قديم .

اللأطة . كلمة شائعة تُطلق على خشبة تُستعمل في نجارة الأبنية . وقد نقل دوزي عن محيط المحيط أنها خشبة يُسقف بها ، ولم يذكر ورودها في كتاب قديم .

أما ابن مماتي فقد ذكرها في جملة الأخشاب كالقنطاريَّات والمجاديف والنُّشَّاب وألواح الصنوبر وأنصاب الشُّوح والحور والحسنيَّات وعيدان السنديان والمدَاري الخ .

الشَّدَّة . من معاني الشدة في أيامنا هذه الحزمة ، وجملة من الأشياء يُشد بعضها الى بعض . وقد نقل دوزي هذا المعنى عن بقطر لا عن كتاب قديم . ووجدت لابن مماتي قوله : (شَدَّة خيش وشدة تبن وشدة حُصر) .

البَطْن . كثيراً ما يقول الفلاحون لما يُجنى من الثمر أو البقل أو الزهر جنياً على مرات منفصلة : البطن الأول والبطن الثاني ، أي الجنية الأولى والجنية الثانية وهكذا .

وقد ذكر ابن العوام للبطن هذا المعنى . وذكره ابن مماتي في كلامه على شهر بَرْموده (نيسان) بقوله : « يكثر فيه الورد الأحمر والبطن الأول من الجُمَّيز .

التّيل الهندي . نبات اسمه العلمي Hibiscus cannabinus يُزرع قليلاً في مصر حيث تُستخرج من سوقه ألياف تفتل حبالاً غلاظا . ويُزرع كثيراً في الهند حيث تُنسج من أليافه أنساج الأكياس وأضرابها . فكلمة التيل تُطلق اليوم في مصر على هذا النبات . ولم أجدها في المعجمات ولا في المفردات .

* * *

ومما استوقف نظري في الكتاب المذكور ورود كلمة « الحِراج » وكلمة « السَّقْي » عنوانين . وكنتُ ذكرت أن القدماء في كتبهم كانوا يقولون « الحراج السلطانية » لا « الغابات السلطانية » ، ويقولون السقي والإسقاء ، ترجيحاً على الري والإرواء . ففي المخصص « باب السَّقْي » لا باب الري . ومثل ذلك في كتب الفقه القديمة .

ومما استوقف نظري أيضاً قول ابن مماتي « عُرْجُون الموز » وهو ما نسميه اليوم « قُرْط الموز » أي قِنْوه وكِباسته ، وهو جماع ثمره .

ومنها إطلاقه القُرْط على البِرْسيم ، وهو نوع من النَّفَل تكثر زراعته في مصر ، والقرط مرادفة للبرسيم .

ومنها أن ابن مماتي لم يستعمل الزيت بدلاً من الدهن ، فما قاله دهن البلسم ودهن الآس ودهن الزنبق وهكذا . ومن المعلوم أن الزيت عصير الزيتون وحده . ومع هذا فقد أقر مجمع اللغة العربية إطلاق الزيت على أدهان النباتات الأُخرى ، وعلى النفط ومشتقاته ترجمةً لكلمة أويل الانكليزية .

ومنها أنه استعمل كلمتي الحوض والمسطبة بمعنى السَّكِبَة والمَسْكَبة أي المستطيل من أرض البساتين الذي يُزرع ويقام حوله أعضاد للسقي سيحا .

وبعد هذا جزء من الكلمات والمعاني المولدة التي عثرتُ عليها في كتاب « قوانين الدواوين » . وترون أنها جميعاً شائعة في أيامنا هذه ، وأنها جديرة بأن يكون لها مكان في معجماتنا الحديثة .

ومن المعلوم أن الكلمات المولدة التي خلت منها معجماتنا القديمة تعد بالآلاف ، فما أحوجنا الى تخلها والى إقرار الصالح منها للاستعمال ، حتى لا يجد المتساهلون ولا المتشددون حرجاً في استعمالها .

مصطفى الشهابي

العلاقات الجوهرية

بين اللغتين العربية والآرامية « السريانية »

في النواحي التاريخية والفنية واللغوية والأدبيــة

- ١ -

(١) نطاق البحث

ان مجرد نظرة بسيطة الى ما يحويه هذا البحث من النقاط الهامة ، وقلة المصادر الأساسية التي تبلغ بالباحث الى كنه المواضيع الدقيقة المنحصرة فيه ، تدل دلالة واضحة على ما فيه من الوعورة والتعقيد ، إذ ليس من السهل التطلع الى أمور تاريخية في هذه الأهمية ، والخروج منها بنتائج صائبة ، وما زال البحث فيها ضمن الترجيح ، وأحياناً في نطاق التخمين . ولكننا بعد الاتكال على الله ، نحاول هذه المحاولة وإن كانت محاولة جريئة بحد ذاتها ، إلا أنها - إذا تكللت بالنجاح - ستضع أموراً كثيرة في هذا المضمار أمام الباحثين علهم يتوصلون الى بعض الحقائق التي لم يبت بها الى الآن في ميدان فسيحة أرجاؤه ، بعيدة آفاقه ، مترامية أطرافه ، نظير هذا الميدان .

والعلاقات التاريخية بين هاتين اللغتين الشقيقتين ، قديمة كقدم انبثاقهما من اللغة الأم ، وليس من السهل الإحاطة بكل تلك العلاقات ، وقد أرخى الزمن على معظمها سدول الإبهام ، وغطى بعضها الآخر بخمار الظلام ، إلا أننا سنلقي نظراتنا الى هذه العلاقات منذ فجرها ، ونحـاول إظهار تطورها في العصور المتتالية وإن كانت مصادرنا ضئيلة في هذا المضمار .

أما العلاقات اللغوية ، فنجدها أكثر وضوحاً وأقرب منالاً من الأولى

لتيسر المادة اللغوية أمامنا بعد دراسة دقيقة لهذه المادة في اللغتين ، وعليه يمكن الخروج بحقائق واضحة قد يستفيد منها الباحثون في هذه الناحية .

والوجهة الأدبية في علاقة اللغتين الشقيقتين ، هي الوجهة الجميلة المشرقة ، لأنها تتصل بصميم الحياة المثلى فيهما ؛ والمرور في هذه الخمائل العابقة بعبير الشعر والأدب الحي ، هو لدينا كالمرور في جنة غناء تجري من تحتها الأنهار .

أما الوجهة الفنية ، فإنها وجهة الجمال الحي المتصل بالذوق الفني ، وهي أساس أول لسير اللغتين في اتجاه واحد ، من الينبوع الأول الى المحجة الأخيرة ، وليس الفن إلا أساساً للذوق السليم ، والشعر الجميل ، والأدب الرفيع ، والتاريخ الصحيح .

فنطاق البحث إذاً يتصل بكل هذه الأهداف الهامة ، ويشمل كل هذا الفضاء العلمي الواسع ، فالى ذلك أيها القارئ الكريم ، وقبل أن نضع على بساط البحث أي شيء من هذه النقاط الأربع ، يجدر بنا أن نلقي بعض النظرات الى اللغة السامية الأم ، لأن ذلك يتصل بصميم بحثنا ، ولأنه لا يمكن ولوج أبواب هذا البحث الدقيق دون العودة الى الينبوع الأول والمصدر الأصلي لهاتين الشقيقتين الكريمتين .

(٢) السامية والساميون ، واللغة السامية الأم

١ — التسمية السامية . — ادعت دائرة المعارف البريطانية [١] أن أول من استعمل كلمة « اللغات السامية » لهذه المجموعة من لغات الشرق الأوسط هو شلوتسر Shlozer في بحوثه التاريخية سنة ١٧٨١ م [٢] ، وجاراها في هذا

(١) دائرة المعارف البريطانية بعنوان Semitic languages ص ٦١٧ الطبعة ١١ المجلد ٢٤ .

(٢) Eichoyns Repertorum Bd 8. p. 161

الادعاء اسرائيل ولفنسون في كتابه «تاريخ اللغات السامية»[١]، ثم سرى هذا الزعم عند علماء المشرقيات، ولكن المصادر السريانية تدحض هذا الزعم، وتؤيد أن هذه التسمية قديمة العهد جدا، يرتقي تاريخها الى ما قبل القرن السابع الميلادي، وأول عالم سرياني أطلق هذه التسمية على مجموعة اللغات الشرقية هذه هو يعقوب الرهاوي المتوفى سنة ٧٠٨ م[٢] وجرى العلماء السريان على اثر الرهاوي فاستعملوا هذا الاصطلاح قبل «شلوتسر» بقرون كثيرة، منهم المؤرخ السرياني المجهول في القرن الثاني عشر[٣] وابن العبري في القرن الثالث عشر[٤]، فيكون الزعم بأن شلوتسر أول من استعمل هذا الاصطلاح بعيداً عن الصحة، لأن العلماء السريان سبقوه الى ذلك بعدة قرون، ولكن مما يؤسف له أن هذه المؤلفات ما زالت بلغتها السريانية بعيدة عن أعين الباحثين المعاصرين.

٢ — من هم الساميون ؟ وأين كان موطنهم الأصلي ؟

هذان سؤالان لا بد من الإجابة عنهما قبل البلوغ الى حديث اللغة الأم، واليك ذلك :

الساميون هم سلالة سام بن نوح حسبما جاء في سفر التكوين[٥]، فعنه استق العلماء هذه التسمية فأطلقوها على الأمم المنحدرة من تلك السلالة العظمى، وهي تشمل أمماً شرقية كثيرة عرفها التاريخ بحضارتها القدمى، وغزواتها الموفقة، ودولها الكبرى في هذا الشرق كله، وذلك منذ أقدم العصور.

---

(١) اسرائيل ولفنسون، تاريخ اللغات السامية ص ٢ .
(٢) الأيام الستة للرهاوي ص ١٦٨ .
(٣) التاريخ السرياني المجهول ص ١٣ طبعة رحماني سنة ١٩٠٠ .
(٤) كنز الأسرار، الفصل الرابع .
(٥) سفر التكوين ص ١٠ .

أما موطنها الأصلي يوم كانت أمة واحدة فقد اختلف فيه الباحثون أيضاً اختلافاً شديداً ، ومن هذا الاختلاف نستطيع بلوغ الحقيقة الكبرى التي يجب إعلانها بجرأة وصراحة .

وللعلماء في هذا الموضوع ثلاثة مذاهب : الأول يدعي أن الموطن الأصلي للساميين هو أرض بابل [١] ، ويدعي الثاني أنه هضبة ارمينيا [٢] ، ويذهب الثالث الى أنها الجزيرة العربية [٣] ، وقد أوردنا هذه الآراء الثلاثة في بحثنا « تحقيقات تاريخية ولغوية في حقل اللغات السامية المطبوع سنة ١٩٥٣ » [٤] ، ولم نعلق عليها بشيء ، إلا أننا الآن لا بد من التعليق عليها ، فإن لم نصب كبد الحقيقة ، نعتقد أننا نقترب منها كثيراً .

إن هذه المذاهب الثلاثة لم تسلم الى الآن من النقص ، ولم يتفق العلماء على واحد منها ، لوجود أدلة تخمينية لكل منها ، الأمر الذي يجعلها جميعاً في حيّز الظن والتخمين من جهة ، ولمحاولتها اصدار الأمم السامية الكبرى من بقعة واحدة ضيقة ، كأرض بابل ، أو هضاب ارمينيا ، أو الجزيرة العربية من جهة ثانية .

وإذا كانت كل هذه الآراء عرضة للنقد من أصحاب الرأي الآخر ، لعدم اتفاق العلماء عليها اتفاقاً تاماً ، لا بد من ايجاد رأي آخر يوضع على بساط البحث ، علّه يلقي ضوءاً ولو ضئيلاً على هذه الناحية المظلمة ، وإذا كان نصيبه نصيب الآراء السابقة فلننتظر مرة أخرى ، ربما تظهر الكشوف الأثرية الحقيقة التاريخية الناصعة التي نوردها .

---

(١) T. Guidi : Della sede dei popoli sem.

(٢) T. G. Noldeke, Sem. Sprachen. p. 12

(٣) ولفنسون ص ٥ .

(٤) تحقيقات تاريخية ص ١٠ .

ويكفي الآن أن نقول إن الأمم السامية رأيناها منتشرة في بقاع كثيرة في هذا الشرق منذ أقدم العصور التاريخية ، وقد أشبع المؤرخون السريان هذه الناحية درساً وتحقيقاً . وقرّروا أن نطاق المنبت السامي كان أوسع جداً مما عيّنه علماء الاستشراق ، بل ربما يشمل جميع المناطق التي ذكروها مجتمعة ، وقد أكّد هؤلاء العلماء أن موطن الأمم السامية كان يمتد من حدود مصر والبحر الأحمر ، وشاطئ فينيقية وسورية ، ويشمل بلاد فلسطين وفينيقية وسورية والجزيرة العربية وما بين النهرين وآثور وأرض شنعار وبابل وحدود فارس وما يحيط بها والهند الغربية وما اليها (١) . وربما نفكر أن هذه المنطقة واسعة جداً لا يمكن أن تكون (منبتاً) لأمة واحدة كالأمة السامية ، غير أن واقع الحال يؤيد ذلك ، لأن الاكتشافات الأثرية دلت على أن كل هذه المناطق الواسعة وطأتها أقدام الساميين منذ أقدم العصور ، متنقلين من ربع الى آخر ذهاباً وإياباً ، وليس بحسب الموجات التي افترض العلماء تدفقها من بقعة واحدة من هذه البقاع .

والشيء الذي أدى بعلماء الاستشراق الى الظن بأن الساميين وردوا إما من هضاب أرمينيا أو من بلاد بابل ، أو من جزيرة العرب ، هو وجود آثار أقدامهم في كل هذه المناطق متنقلين لا يقرّ لهم قرار ، وهذا التنقل أدى الى انقسامهم فرقاً وقبائل واتخاذاً اتخذت كل فرقة اسماً خاصاً طبقاً لنمط حياتها ، والتفرق هذا أدى الى تكتلات قبلية من جهة ، والى اختلاف اللهجات واستقلالها بمثابة لغات خاصة من جهة ثانية ، على ما سنرى عند تعريف معنى كلمة (العرب) ومعنى كلمة (آرام) .

وإذا ألقينا نظرة شاملة الى هذه المناطق الواسعة ، لا بد لنا من تعيين « قلب » لها جميعاً يمكن أن يكون بمثابة الينبوع الأصيل لتدفق هذه السيول

(١) التاريخ السرياني المجهول ص ١٣ .

البشرية الجارفة ، وانتشارها وتنقلها في هذه الأرض الواسعة . ويجب أن يكون هذا « القلب » النابض مهبط أول مدنية بشرية في هذا المحيط ، وقد دلت الاكتشافات الأخيرة على أن أول مدنية رآها التاريخ نشأت في سهل شنعار[1]. وشملت القسم الشمالي للجزيرة العربية ، وامتدت بعد ذلك الى بقية المناطق المجاورة .

ويجدر بنا بعد الآن النظر الى هذه الآراء الثلاثة الماضية مجتمعة لنكون منها رأياً واحداً صائبا ، فاذا سلمنا بالرأي القائل إن المدنية نبتت في أرض شنعار ومنطقة بابل ، نسلم حتماً بأن المدنية تفرض حياة ناعمة موفقة للأشخاص والأسر والجماعات ، لما تجنيه من الخير واليسر والرفاهة بالزراعة والتجارة والثقافة ، الامر الذي يجذب اليه البدو رويداً رويداً فيصبغهم بصبغة الحضارة والمدنية بصورة تدريجية ، فيتجمعون من كل صوب الى مهد الحضارة ليرفعوا مستواهم المعاشي من حالة البداوة الى حالة الحضارة والاستقرار .

ونحن نرى هؤلاء البداة يتجمعون من كل صوب الى مهد الحضارة بشكل غزاة يريدون مقاسمة اخوانهم المتحضرين خيرات الأرض ، ونتائج الأعمال المجدية ، فتنشب بينهم وبين الحضر حروب تنتهي بغلبة المهاجمين تارة ، والمدافعين طورا ، وهذا ما حدث فعلاً على مسرح هذه المناطق في جميع مراحل التاريخ .

واذا افترضنا أن الساميين انتشروا بسرعة في كل المناطق المذكورة في رأي العلماء السريان من جهة ، ورأي المكتشفات الأثرية التي تجعل منطقة بابل مهداً للحضارة من جهة ثانية ، نسلم حتماً بأن القبائل السامية المتبدية أغراها نمط الحياة الناعمة التي كان يعيشها اخوانهم الحضر تحت ظل الحضارة والمدنية ، فتجمعوا من كل صوب ليقاسموا إخوانهم تلك الحياة الناعمة ، فرآهم العلماء

(١) مجلة سومر المجلد ٣ الجزء ١ ص ٨٨ سنة ١٩٤٧ .

بصورة موجات غازية يندفعون كالزوبعة الى مركز الحضارة ، ويستولون عليه ويتخلقون بأخلاق أهليه ، ويتخذون نمط حياتهم نبراساً للحياة المستقرة الجديدة ، وقد جاء بعض هؤلاء البدو الغزاة من قلب الجزيرة العربية ، وبعضهم هبط من الحدود الشمالية ، وهدفهم جميعاً مهد الحضارة والمدنية في أرض شنعار ومنطقة بابل ، وهذا ما حدا العلماء على أن يعدوهم موجات صادرة من المناطق التي عاشوا فيها مدة من الزمن ، وبالتالي أن يجعل كل فريق الناحية التي اندفعت منها هذه القبائل موطناً أصلياً لها ، بينما نجد الأمر ليس كذلك ، بل انهم أبناء أرومة واحدة انتشروا أولاً في طول هذه المناطق وعرضها بالنسبة الى أساليب حياتهم ، ثم عادوا فتجمعوا حول هذه المنطقة المخضرة للأسباب التي شرحناها الآن ، فتكون والحالة هذه منطقة الأمة السامية واسعة جداً تجمع بين جميع المناطق التي ذكرها المستشرقون كمصادر للقبائل السامية المتفرقة .

ونحن لا ندّعي أن هذا الرأي هو القول الفصل في هذ القضية التاريخية الهامة ، بل نقول انه تعديل للآراء السابقة المتناقضة ، ولا سيما أن لنا أسناداً تاريخية واجتماعية تؤيده [1] .

---

(١) من المعقول ان ينتقل الناس من الحياة البدوية الى الحياة الحضرية ، ومن غير المعقول أن ينتقلوا من الحضارة الى البداوة . ومن الثابت أن جميع الحضارات القديمة المعروفة التي نشأت في العراق وفي الشأم قد أنشأتها قبائل بدوية أتى معظمها من جزيرة العرب على موجات متوالية ، بعد أن جف إقليمها وقلت أمطارها . ففي عهد الحجر المنحوت أي منذ عشرة آلاف سنة على الأقل كانت جزيرة العرب كثيرة المياه غزيرة الأمطار ، ثم أخذ إقليمها يجف وصارت قبائلها تنتقل في أراضيها انتجاعاً للكلأ . وكلما ازداد الجفاف فيها وأمكنت السكنى في الهلال الخصيب حيث بدأ الإقليم يعتدل كانت قبائل الجزيرة العربية تنتقل اليه ، وهنالك استطاع بعضها أن يوجد بعد زمن طويل تلك الحضارات التي عرفت في التأريخ .
والعلماء القائلون بأن جزيرة العرب هي مهد الساميين عددهم كبير منهم شبرنجر وشرادر وسايس وغُويه وبروكلمن وكُوك وغِرم وماير وغيرهم . والأدلة التي ذكروها تأييداً لرأيهم كثيرة ومقنعة . (التتمة في ذيل الصفحة التالية) —

٣ — اللغة السامية الأم :

عاشت اللغة السامية الأم في العصور التي سبقت التاريخ البشري ، وانتشرت مع أهليها في جميع المناطق التي كانوا يرتادونها منذ أبعد الأزمان ، وعندما ولد التاريخ وترعرع فتح عينيه على محيّا بناتها اللواتي أصبحن كأعضاء لتلك الأرومة الشيخة .

يستفاد من بحوث العلماء في هذا الموضوع أن اللغة السامية كانت قليلة المفردات ، ليس فيها إلا ما يكفي الحياة البدائية ، ولم تكن بها حاجة الى جمال التعبير ، وتنميق الألفاظ والعبارات ، مما يشبه تماماً بعض اللغات البدائية في زمننا الحاضر .

وإذا أردنا معرفة ما كانت عليه هذه اللغة ، فعلينا أن نلقي نظرنا الى الكلمات المشتركة المبثوثة في اللغات السامية التاريخية والحديثة ، فمنها نستطيع تأليف فكرة ولو بسيطة عن كيفية النطق باللغة الأم ، فقد تتفق اللغات السامية — وهي فروع اللغة الأم — بأمور لغوية هامة كالضمائر والعدد وأسماء أعضاء الجسم والألفاظ اللازمة لحياة الإنسان المادية البدائية ، مثل البيت والجمل

— وقد جرح نولدكه رأي القائلين بأن مهد الساميين أرض بابل ، واثبت تهافت هذا الرأي . ولم يقم دليل ما على الرأي القائل بأن افريقية هي مهد الساميين ، أي أن الشعوب السامية أتت الى جزيرة العرب والى الهلال الخصيب من افريقية ، بل تدل الأدلة التأريخية على عكس ذلك .
أما ما ذكره العالم جون بيترس من أن موطن الساميين قد يكون أرض ارمينية ، لأن الانف الحثي يشبه كل الشبه الأنف العبراني ، فقد فنده الأستاذ جواد علي بجملة صغيرة فيها صحة وطلاوة وهي : « لقد نسي » أي العالم المشار اليه « ان العرب وهم من الساميين لم يرزقوا هذا الأنف !
وفي الصفحة ١٥٢ وما يليها من الجزء الأول « القسم السياسي » من كتاب (تأريخ العرب قبل الإسلام) للدكتور جواد علي معلومات مسهبة وآراء صائبة في هذا الموضوع . (لجنة المجلة)

والكلب والحمار والماء ، وأسماء بعض الأشياء التي يراها الانسان دائماً كالسماء والأرض الى ما هنالك من الألفاظ المشتركة مما يطلعنا على شيء من أساليب هذه اللغة من جهة ، ويؤيد أن هذه الألفاظ قديمة العهد جداً من جهة ثانية . وهنالك كلمات أخرى تشترك فيها هذه اللغات وهي الدالة على العمران والحيوان والنبات .

واذا استطعنا استخلاص القديم من كل اللغات السامية ، وتركيب لغة خاصة من هذه المادة القديمة ينفتح أمامنا بريق من الأمل في الوصول الى خيال لتلك اللغة من وراء جميع هذه العصور السحيقة الغابرة .

ولما كان علماء المشرقيات مختلفين في مهد الأمم السامية ومنبتها ، فهم مختلفون أيضاً في مهد نشوء هذه اللغة ، وقد استدل بعضهم على أنها نشأت في أرض بابل وما جاورها بدليل أن أرض بابل هي المنبت الأصلي للحضارة البشرية [١] . ولكن فريقاً آخر يعارض هذه النظرية معارضة شديدة [٢] .

إلا أننا إذا سلمنا بأن الحضارة البشرية وجدت في حوض الفرات الأسفل ، يجب أن نسلم بأنه في هذه البقعة اشتغل الإنسان للمرة الأولى في التفكير والتمدين والتمصير مما يقرب النظرية الأولى من الحقيقة .

ولكن اذا عدنا الى الرأي الأخير ، وهو انتشار الأمة السامية بقبائلها في جميع المناطق في الشرق الأوسط ، تحتم علينا التصريح بأن اللغة أيضاً انتشرت بانتشار الأقوام التي كانت تتكلمها .

ومهما يكن الأمر فليس تعيين منبت هذه اللغة بمهم جداً بالنسبة الى بحثنا هذا ، إنما المهم انتقالها الى لغات حية عاشت زمناً طويلاً ، وذكرت في آثار تلك الأقوام ، واطلعتنا بقدر الامكان على نمط حياتها المادية والأدبية ، وهو

(١) T. Guidi : della sede dei popoly sem.

(٢) Noeldeke : Sem. Sprachen p. 14.

ما يفيدنا أكثر مما تفيدنا معرفة منبت تلك اللغات أو منبت اللغة الأم معرفة مضبوطة ٠

وانك لتجد تعليقات وآراء كثيرة حول اللغة السامية في دائرة المعارف البريطانية [1] لا تتعدى كونها دراسات تخمينية ٠ وكذلك قل في البحث الذي كتبه اسرائيل ولفنسون في مؤلفه «تاريخ اللغات السامية» [2] ، لم نر فيه أكثر مما ورد في دائرة المعارف المشار اليها ٠ وبعد هذه اللمحات العابرة ننتقل الى موضوعنا الأساسي ، وهوالعلاقات بين اللغتين العربية والآرامية (السريانية) ٠

٣ ـ العرب والآراميون

قبل بحث العلاقات بين اللغتين العربية والآرامية (السريانية) يجدر بنا معرفة من هم العرب ، ومن هم الآراميون ، واليك ذلك :

من المؤكد أن الساميين أمة واحدة نشأت وانتشرت انتشارها الواسع المعروف ، ولنتخط البحث في سائر الأفخاذ السامية ، ولنفرد منها فخذين اثنين سمي أحدهما «العرب» والآخر «الآراميون» ٠ فمن هما هذان الفخذان الساميان ؟

وقبل أن نعرف من هما ، يجدر بنا تصوّر الأمة السامية تضيق بها أرض منبتها ، ويلجأ بعض القبائل منها الى مغادرة تلك الأرض لغرض الحصول على المعيشة اليومية الحيوية ، فتتفرق هذه القبائل هنا وهناك نازحة عن موطنها الأصلي ، فينتشر بعضها في الفيافي والسهول ، ويتوقل غيرها في الهضاب ، ويبقى القسم الآخر مقيماً في أرضه ٠ أما تاريخ هذا التفرق فليس معروفاً الى الآن ولا حاجة بنا الى بحثه ٠

---

(١) دائرة المعارف البريطانية مجلد ٢٤ الطبعة ١١ ص ٦١٧ – ٦٢١ ٠

(٢) تاريخ اللغات السامية ص ٢ – ٢١ ٠

ويظهر أن القسم المقيم أطلق بعض الأسماء الجديدة على الاقسام النازحة ، وذلك بحسب طبيعة الأرض الجديدة التي نزحت اليها ، ومن هنا أتى اسم العرب واسم الآراميين ، إذ سمي النازحون الى الفيافي والسهول بـ (العرب) وسمي النازحون الى الهضاب بـ (الاراميين) . ولماذا ذلك ؟ وما معنى الكلمتين ؟

« العرب » كلمة سامية قديمة معناها (سكان الصحراء أو البيداء) حفظت في اللغات السامية المنحدرة من اللغة الأم ، فنجدها سواء في العربية (العرباء) وفي الارامية (ܥܪܒܐ) Arobo وفي العبرية ערבה Arbat [1] فيكون « العرب » والحالة هذه القبائل النازحة الى الصحراء والبيداء الذين سموا أيضاً (البدو) .

واما كلمة « ارام » فهي أيضاً كلمة سامية قديمة مركبة من كلمتين جاءتا في بعض اللغات السامية ومنها الآرامية نفسها والعبرية ، والكلمتان اللتان ركبت منها هذه اللفظة هما ܐܪܥܐ ܪܡܬܐ Aréo romtho الأرض العالية [2] فيكون الاراميون والحالة هذه القبائل النازحة الى الهضاب والأراضي المرتفعة ، وزد على ذلك أن المؤرخين القدامى يقولون إن الاراميين هم ولد « ارام » بن سام بن نوح [3] .

واذا قرنا أن كلمة « عرب » تأتت من الصحراء والعرباء ، وكلمة « آرام » نشأت من الأرض المرتفعة ، يستطيع الباحث المتبصر أن يستنتج أن الموطن الجديد للقبيلتين هو الذي أوحي باسميها ، وينتقل الى استنتاج الموطن الأصلي للأمة السامية كسهول بابل مثلاً أو ما يشبه ذلك .

---

(١) قاموس الكتاب المقدس للدكتور جورج بوست ج ١ ص ٨٨ طبعة بيروت سنة ١٩٠١ وقاموس منا السرياني العربي ص ٥٦٥ طبعة الموصل سنة ١٩٠٠ واسرائيل ولفنسون تاريخ اللغات السامية ص ١٦٤ .

(٢) قاموس الكتاب ج ٢ ص ٥٧ .

(٣) سفر التكوين . الفصل العاشر .

غير أن التاريخ يؤكد ان هذه القبائل السامية ، وإن اتخذت لها مواطن جديدة بعد جلائها عن موطنها الأصلي ، كانت لا تزال تتصل بعضها ببعض اتصالاً محدوداً ، ولغايات خاصة إما اقتصادية أو عسكرية أو غير ذلك ، وعلى هذا مثل هذه العلاقات بين سكان وادي الرافدين وسكان أقسام كثيرة من الجزيرة ، كما نشأت علاقات أخرى بين سكان الجزيرة والقبائل التي سميت بالآرامية من جهة أخرى ، الأمر الذي يؤيد ان سكان جميع هذه المناطق كانوا يستطيعون التفاهم بل كانوا يشعرون بأواصر القربى التي تشد بعضهم الى بعض .

وأقدم ذكر لسكان الصحراء في الآثار المسمارية ورد منذ عهد شلمناصر الثالث ملك آشور ، وسمي فيه أولئك الصحراويون بالعرب ، وذلك في أواسط القرن التاسع قبل الميلاد ، وتردد ذكر « العرب » في المآثر المسمارية بعد هذا التاريخ في مناسبات كثيرة بصيغ مختلفة منحدرة من مادة واحدة هي البادية أو الصحراء [١] .

ووردت كلمة « العرب » في نصب داريوس على حجر « بهستون » وذلك بصيغة Arabaya الموافقة للفظ الآرامي المختص بالعرب أو العربي ، كما وردت هذه التسمية « العرب » في مواضع كثيرة من التوراة [٢] ، وسميت أحياناً أخرى في التوراة « بجبل المشرق » [٣] و « أرض المشرق » [٤] و « أرض بني المشرق » [٥] ، ومع هذا لا يُعلم العهد الذي استعملت فيه كلمة « العرب » دلالةً على القومية

(١) Reollexikon der Assyriologie, Araber

(٢) سفر الملوك الأول ١٠ ، ١٥ وسفر الأيام الثاني ٩ ، ١٤ و ١٧ ، ١١ وسفر اشعيا ٢١ ، ١١ – ١٣ و ٤٢ ، ١١ و ٦٠ ، ٧ وسفر ارميا ٤٥ ، ٢٤ و ٤٩ ، ٢٨ و ٢٩ .

(٣) سفر التكوين ١٠ ، ٣٠ .

(٤) تكوين ٢٥ ، ٦ .

(٥) تكوين ٢٩ ، ١ .

أو العنصرية اللغوية . والذي عول عليه كثيرون من المؤرخين أن ذلك عرف منذ الجاهلية حيث سميت الجزيرة باسم «جزيرة العرب» .

وأما الآراميون ، فعرفهم التأريخ في جهات الفرات الأوسط منذ منتصف الألف الثاني قبل الميلاد ، حيث هبت ريحهم ونمت لغتهم وثقافتهم وقوميتهم ، وكذلك لغتهم الآرامية أخذت بالانتشار مستقلةً منـذ مطلع الألف الثاني قبل الميلاد ، وشاع اسمهم في المصادر المسمارية منذ عهـد تغلاثفلاصر الأول ملك آشور حوالي سنة (١١٠٠ ق . م)[1] على ما نعلم حتى الآن .

على أن أقدم نص مكتوب ذُكر فيه الاسم الآرامي ورد في سفر التكوين حوالي سنة ١٧٤٠ قبل الميلاد ، وذلك أن « لابان » الحراني الذي تسميه التوراة « بالآرامي » ، وهو خال يعقوب أبي الأسباط ، عندما وقع العهد مع ابن اخته يعقوب ، وقعه بالآراميـة وسماه (ܝܓܪ ܣܗܕܘܬܐ) (يغر سهدوثو) ، أي (نصب الشهادة) . وكتبت هذه الجملة الآرامية في التوراة العبرية بصيغتها الآرامية التي وردت فيها ؛[2] وهذا أول أثر نعرفه حتى الآن للغة الآرامية بل أقدم نص ذكر فيه الاسم الآرامي .

ويتوارد اسم « آرام » و « الآراميين » في المراجع الأثرية والتأريخيـة مرات كثيرة بعد التأريخ الذي عيناه الآن[3] . وكذلك في التوراة حيث تخبرنا عن الدويلات الارامية المنتشرة في كل مكـان مثل (ارام صوباة) و (ارام صوبا) و (ارام معكة) و (ارام النهرين) و (ارام دمشق) و (ارام بيث راحوب) و (فدان ارام) .

---

(١) G. H. kraeling, Aram and Israel « 1918 »

(٢) سفر التكوين ٣١ ، ٤٧

(٣) « Luckenbill, Ancient Records, 1, 239, 399, » Ancient Records of Bob, and Assyria, 1, 73; Hitti, op. cit, 162.

وإذا علمنا أن أول ذكر للعرب كان في أواسط القرن التاسع ق . م ، بينما أول ذكر للآراميين في أواسط القرن الثامن عشر ق . م نجبر على القول حتماً بأن الآراميين يسبقون العرب في القدم تسعة قرون كاملة ؛ إلا أننا لا يجب أن نحسب هذا القرار نهائيا ، فعدم ذكر العرب الى أواسط القرن التاسع لا يدل على عدم وجودهم كأمة سارحة في بيدائها ، لأن انعزالهم في تلك البيداء البعيدة أدى الى تأخر ذكرهم في المصادر المسمارية وغيرها ، لأننا (طبقاً لما ورد في التوراة على عهد ابراهيم الخليل ، وكان معاصراً لحمورابي ملك بابل المعروف ، وهو في نحو القرن العشرين ق . م) ، نجد قبائل كثيرة ذات ابل وغنم وخيل تنتقل في المراعي الخصبة وتعود الى الصحراء ، وتسكن الخيم وتعيش عيشة البدو الذين عرفوا بـ « العرب » . وهذا ما يؤيد وجود العرب موازياً للآراميين على وجه التقريب ، ويؤكد لنا وجود العرب قبل التأريخ الذي ورد ذكرهم فيه بأزمان طويلة .

٤ – نشوء اللغتين العربية والآرامية

لم يستطع العلماء الى الآن تعيين الوقت الذي استقل فيه هذان الشعبان العظيمان عن الأرومة السامية القدمى ، ولذلك عسر عليهم أيضاً تعيين الزمن الذي نشأت فيه لغتاهما بصورة مضبوطة ، ومهما يكن الأمر فنحن نرى أنهما نشأتا في عهد واحد على وجه التقريب ، وأهم البراهين على ذلك ما يأتي :

١ – تقارب الزمن الذي نشأ فيه الشعبان الشقيقان ، وذلك في نحو القرن العشرين قبل الميلاد ، فنحن نسلم بأن « لابان » الحراني الذي سمي في التوراة « ارامياً » انحدر من عشيرة ابراهيم الخليل الذي جلا عن اور الكلدانيين (في جنوب العراق) ، وابراهيم نفسه كان يتكلم الآرامية بحكم موطنه الأول الذي كان يتكلم هذه اللغة ، وقد رافق ابراهيم أقواماً في شمالي الجزيرة وفي

أواسطها هم عرب لا محالة ، وهؤلاء «العرب» الذين كانوا في تنقل دائم في طول الجزيرة وعرضها كانوا يتكلمون لغة خاصة بهم هي أم اللهجات العربية في التاريخ ، فلا بد اذن أن تكون اللغتان قد نشأتا في عهد متقارب ، وأن تكونا متقاربتين ، وإلا لما استطاع ابراهيم التفاهم مع رجال تلك القبائل التي رأينا له علاقات كثيرة بها حسبما ورد في التوراة نفسها[١] .

وزيادةً في التأكد نعود الى الآثار الخطية التي ظهرت أخيراً في جنوبي الجزيرة العربية ، وفي مملكتي (معين وسبأ) العربيتين القديمتين ، فقد رأينا أن الدول المتعاقبة في هذين القطرين العريقين في القدم تتصل بالدول القدمى في بلاد سومر وأكد وآشور ، ويرتقي تاريخ الكتابات المعينيّة وغيرها الى مطلع القرن العاشر قبل الميلاد . وتشير هذه الكتابات الى حضارات عربية ازدهرت في هذه المنطقة ترتقي الى مطلع القرن العشرين ق . م[٢] ممّا يؤيد وجود اللغة العربية في هذا الجزء من العالم القديم معاصرة للغة الآرامية في القسم الأعلى للجزيرة ، وفي حوضي دجلة والفرات ، وفي مدينة حران وما جاورها ، وإن كانت لغة معين العربية تختلف عن اللهجات العربية الأخرى المنتشرة في شمالي الجزيرة ، والتي تأثرت باللهجات الآرامية والعبرية في العصور التالية ، وذلك نتيجةً لامتزاج بعض القبائل الآرامية والعبرية في غرب هذه المنطقة[٣] .

٢ — تقارب اللغتين تقارباً يكاد يفوق تقارب أية منها هي وبقية اللغات السامية كما سنتكلم عليه فيما بعد .

---

(١) راجع أيضاً Hitti, op. cit, 164

(٢) راجع المؤلفات التالية :

محمد توفيق (القاهرة ١٩٥١) Les Manuments de Ma'in

احمد فخري طبعة ١٩٤٧ An Archaeological Journey to Yemen

K. Y. Nami, Les Manuments de Ma'in

(٣) تاريخ اللغات السامية — ولفنسون ص ١٦٢ .

٣ — لأن اللغتين في مطلع أمرهما كانتا تكتبان بأبجدية واحدة هي الأبجدية الآرامية القديمة [١] .

٤ — تعاون اللغتين في التكامل والحياة وتأثير إحداهما في الأخرى في مختلف عصور التأريخ وعلى الأخص في بادئ أمرهما ، مذ أخذت إحداهما عن الأخرى أساليب ومواد وألفاظاً كثيرة وذلك في جنوبي الجزيرة وفي شماليها ، كما سنرى .

٥ ــ مميزات كل من اللغتين العربية والآرامية في تطورهما

مما لا شك فيه أننا لا نستطيع دراسة كل لغة من هاتين اللغتين بمفردها ، من ناحية نشوئها واكتمالها وتطورها ، ما لم ننظر الى الأحوال التي مرّت بها أختها الثانية ، وذلك لأنهما نشأتا في ظروف متشابهة ، وطرأت عليها أحوال متقاربة . هذا من جهة ، ومن جهة ثانية لا يمكن فصل أية لهجة من لهجاتها عن رفيقاتها للعلاقات الوثقى التي تربط بعضها بالبعض الآخر . فاذا أردنا السير مع احداهما منذ نشوئها الى نهاية نضجها لا بد لنا من الالتفات الى الخطوات التي تدرّجت فيها شقيقتها الثانية ، وعليه نقرر أن الذين درسوا نشوء اللغة العربية واكتمالها وحدها سقطوا في ورطات كثيرة كان في مقدورهم اجتنابها لو نظروا الى نشوء اختها الآرامية ونضجها .

وأهم المميزات التي نستطيع ملاحظتها في هاتين اللغتين الشقيقتين هي ما يأتي :

١ — كثرة اللهجات البدائية في كل منهما .

نشأت كل من هاتين اللغتين ولكل منها لهجات كثيرة بالنسبة الى كثرة القبائل التي تتكلمها ، وكلما انفصلت قبيلة جديدة من المجموعة الكبرى ، وتباعدت عنها فترة من الزمن ، نشأت لديها عناصر لغوية جديدة ، وتطورت اللفظة بحسب المؤثرات القبلية والاجتماعية ، وتولّدت من ذلك لهجة جديدة من اللغة الأم ، وكلما تقاربت قبيلتان أو أكثر وتمازجتا زالت الفوارق اللغوية ،

(١) ولفنسون ص ١٦٠ .

وتكوّن من ذلك المزيج لهجة خاصة أخذت عناصرها اللغوية واللفظية من جميع اللهجات المتمازجة ، وهكذا حتى انتهى الأمر الى اندراس لهجات كثيرة ، وانفراد غيرها بالسيادة لدى أفراد الأمة وقبائلها .

ومما لا يرتاب فيه علماء الساميات أن القبائل القاطنة في أصقاع الجزيرة العربية النائية استطاعت الاحتفاظ بلغتها السامية الأصيلة احتفاظاً ملحوظاً ، فلم يطرأ عليها الا القليل من التبدل والتطور ، وذلك لبقاء هذه القبائل منعزلة مدة طويلة من الزمن عن بقية الأقوام ، على العكس من كثير من القبائل السامية التي تأثرت لغتها بالحضارات المجاورة القريبة اليها ، وهذه هي الميزة الخاصة التي تحوزها اللغة العربية دون بقية أخواتها الساميات .

ولكنه مع ذلك حدثت هجرات متواصلة لقبائل كثيرة من القبائل المتبدية في طول الجزيرة وعرضها ، وهو ما أثر في اللغة تأثيراً كبيراً فنتجت عنه لهجات متباينة كثيرة ، غير أن علماء الساميات اتفقوا على أن يميّزوا منها لهجتين كبيرتين ، إحداهما في الجنوب والثانية في الشمال ، مع أن كل لهجة من هاتين اللهجتين تفرّعت منها لهجات أخرى كثيرة ، هذا من جهة ، ومن جهة ثانية إن هذا التقسيم ليس دقيقاً لأننا لا نجد حدوداً طبيعية تفصل القسم الشمالي من الجزيرة عن قسمها الجنوبي .

إلا أننا اذا استعرضنا الرقم العربية المكتشفة في أصقاع كثيرة من الجزيرة ، نستنتج منها أنه لم يكن في الجزيرة لهجتان وحسب بل هنالك لهجات كثيرة يصعب ضمها الى قسمين متساويين ، وكل لهجة كانت تسمى باسم اقليمها أو تنتسب الى أكبر قبائلها ، ولم يكن لكلمة «عرب» أو «عرباء» المعنى الذي نعرفه اليوم ، بل كانت تطلق على جميع القبائل المنتشرة في البادية المتنقلة بحسب حاجتها الى الماء والمرعى .

وأشهر القبائل الكبرى التي عرفناها في الجزيرة العربية ، والتي درس العلماء آثارها الباقية ، هي القبائل اللحيانية والثمودية والمعينية . ومما لا شك فيه ان لكل قبيلة من هذه القبائل لهجة خاصة بها ، قد يتعذر على القبيلة الثانية فهم أكثر مفرداتها . وقد قدّم علماء الساميات دراسات قيّمة في لهجات هذه القبائل[١] .

ومع أن آثار هذه القبائل اللغوية هي عربية ، ولا سيما الرقم اللحيانيـة ، لأن فيها الحروف العربية التي تخلو منها بقية اللغات السامية كالذال والثاء والغين والضاد ، ولأن فيها أفعل التفضيل وعلامة التنبيه وهما من المميزات الخاصة بالعربية وحدها ، أقول : مع ذلك نجد هذه اللهجات مشوبة بكلمات آرامية على الأخص[٢] ، وهو ما يدل على تعاون هاتين اللغتين الشقيقتين منذ أقدم عصورهما التاريخية .

هذا بعض ما وصل الينا من اللهجات العربية الشهيرة ، ومما لا نشك فيـه أن هنالك لهجات كثيرة غيرها نشأت عند القبائل العربية الكثيرة ، ثم تقلصت رويداً رويداً حتى زالت من الوجود لاندماجها في اللهجات الكبرى الباقيـة .

وأما امتزاج هذه اللغات الكثيرة فقد حدث شيئاً فشيئاً . ومن المعلوم أنه في القرنين الثالث والرابع الميلاديين شرعت اللهجات الشمالية تنتقل من قوة الى قوة وتزيد أهمية وانتشاراً ، وتسجل لنفسها في جميع الميادين الحيوية صولة وانتصارا ، بينما أخذت اللهجات الجنوبية تنحدر نحو الهوة حتى كادت تزول في القرن السادس الميلادي ، وذلك من جراء فقدان مواطنها لحريتها ولاستقلالها السياسي عندما خضعت للحبشان والفرس ، وهكذا أخذت تلك اللهجات في التلاشي ، وقد أفسحت المجال لانتشار اللهجات الشمالية ، التي انفردت بالسيادة المطلقة تقريباً قبل ظهور الإسلام .

ومع هذا كنا نجد بعد الإسلام لهجات عربية متباينة ، والشاهد على ذلك

(١) W. F. Albright : « The chronology of Ancient South Arabia » in Basar, No 119 (1950).

(٢) E. Littmann : Thamudenische Inschriften, p. 28.

تباين لهجات القراءة حسبما هو معلوم من تعدد القراءات القرآنية الكريمة ، وهو ما يعرفه كل مطلع على هذه القراءات .

والشيء الذي يمكن تقريره بعد هذا العرض السريع أن اللغة العربية الباقية هي مزيج من لهجات مختلفة امتزجت كلها بعضها ببعض فكوّنت لغة واحدة .

ولكثرة اللهجات بحسب كثرة القبائل كثرت المفردات والجموع في اللغة العربية حتى أصبحنا نجد أسماء كثيرة لمسمى واحد كما هو معلوم ، ولما اجتمعت هذه اللهجات المختلفة ، وصارت لغة واحدة ، ظهر فيها بعض الألفاظ في مظاهر متباينة ، وصيغ مختلفة ، فنرى مثلاً كلمة « نجم » تجمع على أنجم ونجوم ونجم وأنجام وكلها بمعنى واحد ، ومثلها كلمة « عبد » فنقول في جمعها عبيد وعبد وعبدان وكلها بمعنى واحد .

وإنك لتجد أمثلة كثيرة لهذا النوع في المعاجم العربية ، وهي الدلالة الثابتة على أنها كانت كلها صيغاً مختلفة لكلمة واحدة ، استعملت كل قبيلة من القبائل صيغة خاصة بها ، ولما جمعت هذه المفردات والصيغ في المعاجم اللغوية ، نشأ منها هذا الفيض الغزير من المفردات الدالة على المعنى الواحد .

وما قلناه في نشوء اللغة العربية نقوله في نشوء اللغة الآرامية ، فهذه أيضاً مثل أختها العربية تفرّعت الى لهجات متباينة ، لا لكثرة القبائل الناطقة بها ، بل لاختلاط أهليها بالأمم المجاورة أكثر من اختلاط اخوانهم العرب ، وهو ما أضفى على اللغة الآرامية أثواباً جديدة لم تألفها في فجر وجودها ، ومما هو معلوم لدينا أن للآراميين لهجتين عظيمتين منذ الأزمان القديمة ، الأولى وتسمى شرقية ، وتشمل لهجات بلاد العراق عامةً ، والثانية وتعرف بالآرامية الغربية ، وتشمل لهجات سورية وفلسطين وطور سينا .

والفرق بين اللهجتين يعود الى كيفية النطق ، والى نوع الأعجمي من الألفاظ الدخيلة ، واتجاه الصيغ الأدبية وغيرها ، وكل لهجة منهما تركت آثاراً خطية

منذ أقدم العصور ، وقد درسها علماء الساميات إلا أنهم لم يستطيعوا الى الآن وضع كتاب في قواعدها وأصولها . ولكن اذا قابلنا النصوص الأثرية الكثيرة المكتشفة بما هي عليه اللغة الآرامية (السريانية) الآن ، نجد أن اللغة هي هي لم يطرأ عليها تبديل كبير ، وهو ما نستطيع معه أن نتوصل الى أصول اللهجات الأولى . وهذا ما سار عليه علماء اللغة الآرامية اعتباراً من القرن الرابع الميلادي الى العصور المتأخرة ، فتركوا لنا مجلدات هامة في قواعدها وأصولها ، ووضعوا المعاجم الهامة في تحري ألفاظها ومفرداتها ، على أن أعظم الذين تناولوا هذه المواضيع بالدرس الدقيق هو العلامة يعقوب الرهاوي في القرن التاسع ، (المتوفى سنة ٨٠٧ م) والفيلسوف غريغوريوس ابن العبري في القرن الثالث عشر (١٢٢٢ — ١٢٨٦ م) . ومما كتباه نستطيع المقابلة بينه وبين النصوص الأثرية التي بين أيدينا ، والتخطي الى استنتاج نتائج هامة لا يمكننا الوصول اليها بغير هذه الطريقة .

أما سبب نشوء اللهجات الكثيرة لهذه اللغة ، فهو سعة انتشارها ، وكثرة الشعوب التي امتزج بها أهلها ، فقد شملت بلاد الشام والجزيرة العليا والعراق الى حدود بلاد فارس شرقاً ، والى بلاد الأرمن واليونان وآسيا الصغرى شمالاً ، وحدود بلاد العرب جنوباً [1] . ولم يكن من الممكن حفظ هذه اللغة من التشعب الى لهجات شتى بحسب قابلية كل شعب من الشعوب المختلفة المتكلمة بها ، لذلك نرى فروقاً عظيمة بين لهجاتها حتى لا يكاد المتكلم بلهجة نينوى مثلاً أن يفهم المتكلم بلهجة الشام ، ولا هذان يستطيعان أن يفهما المتكلم بلسان فلسطين مما أثبته علماء هذه اللغة [2] .

(يتبع) (الموصل) غريغوريوس بولس بهنام

(١) اللمعة الشهية ليوسف داود ص ٧ .
(٢) المدخل لابن العبري : التعليق على الحركات السريانية .

المدرسة الإسعردية

-٢-

الصنين[1] من نوي : ومن ذلك جميع الحصة الشائعة ومبلغها أحد وعشرون سهماً من أربعة وعشرين سهماً شائعاً من جميع القرية المعروفة بالصنين من الجيدر من عمل نوى من جند دمشق المحروسة ، وتشتمل هذه القرية وأراضيها على معتمل ومعطل وسهل ووعر واقاصي وأداني ومصايف ومشاتي وصبر وبيادر ودمنة ، ولها عيون ماء تسقي ما يحكم عليه من أراضيها . حد هذه القرية المعروفة بالصنين وأراضيها من القبلة أراضي قرية طيرة[2] الجولان ورفرافة ، ومن الشرق أراضي قريتي المستا والباهسية ، ومن الشام أراضي نوى ، ومن الغرب أراضي قرية اللبوة[3] وتمامه مكان يعرف بابن الاسعردي . وأحضر من يده كتباً تشهد له بملك ثابت ، وثابت فيها الملك والحيازة ، محكوم فيها بالصحة بحق ذلك كله وطرقه ومرافقه ومجاري مائه في حقوقه ، وكل حق هو الكامل والمشاع داخل فيه وخارج عنه ، معروف به ومنسوب اليه ، خلا ما في القريتين المذكورتين آخراً من مسجد الله تعالى ووقف عليه ، وطريق للمسلمين ومقبرة برسم دفن موتاهم ، فإن ذلك خارج عن الوقف وغير داخل فيه ، وقد عرّف الواقف ذلك معرفة تامة باعترافه ، وقفاً صحيحاً شرعياً وابقافاً دائماً وتحبيساً مؤبداً ، وصدقة بتة بتلة لا يباع أصل ذلك ولا يوهب ولا يورث ولا يُملك ولا يستهلك ولا يتناقل به ولا ببعضه ، لا يخرج الى ملك أحد من سائر الناس أجمعين ، بل كلما مر بهذا الوقف زمن أكده ، وكلما أتى عليه عصر

(١) تعرف اليوم بخربة صنين في حوران .

(٢) من قرى حوران شمالي غربي درعا .

(٣) تعرف اليوم بدير اللبوة .

وأوان أظهره وسدده ، فهو محرم بحرمان الله ، مدفوع عنه بقوة الله ، مبتغ فيه مرضات الله ، لا يحل لأحد يؤمن بالله العظيم واليوم الآخر ويعلم أنه الى ربه الكريم صائر نقض هذا الوقف ، ولا يبدله ولا يغيره ولا الإحادة عن وجوهه وشروطه التي تذكر انشاء الواقف المسمى : الجناب الكريم العالي الخواجكي الكبيري المخدومي البرهاني ابو اسحق ابراهيم ابن الجناب العالي الخواجكي الكبيري الزيني مبارك شاه الاسعردي أفاض الله نعمه عليه وغفر له ولوالديه ، وقفه هذا على ما يأتي وصفه وبيانه وشرحه في هذا الكتاب ، فأما الدار المبدو بذكرها في هذا الكتاب وهي المعروفة بعمارة الواقف وإنشائه الكائنة بالجسر الأبيض بالصالحية تجاه مدرسة الماردانية ، فان القبة الكائنة بها جعلها مدفناً برسم دفنه بعد العمر الطويل ودفن أولاده ، ووقف بقية السفل مدرسة دار قرآن ، وجعل الايوان القبلي مسجداً لله برسم الصلوات به ، واذن لسائر المسلمين في الصلاة فيه وفي المدرسة المذكورة ، وجعل البيوت الكائنة بها منها بيتاً برسم البواب القيم الفراش بهذه المدرسة ، وبيتاً برسم الإمام الشيخ بهذه المدرسة . وبقية البيوت برسم الفقراء المتلقنين القرآن بهذه المدرسة إلا المكتب والبيت الذي فيه فانه برسم الأيتام الذين يتلقنون القرآن العظيم وشيخهم على ما يذكر فيه . وأما الصهريج والحوض تسبيل الماء الواصل اليهم على جميع المسلمين ، وأما جميع القيسارية والمخزن والطابق العلو الكائن ذلك خارج باب الجابية فانه وقف ذلك على أن يصرف ريع ذلك الى الأيتام الذين يذكرون فيه والى شيخهم ، وكمل ما يذكر لهم من بقية ريع الموقوف الآتي ذكره فيه إن نقص ريع ذلك عن القدر الذي يصرف لهم وإن تعطلت هذه القيسارية أو خربت أو لم يتحصل من ريعها شيء فتصرف اليهم جامكيتهم من ريع الوقف المقدم ذكره فيه ، وان تعذر الصرف الى الأيتام والشيخ صرف ذلك من مصرف المال الذي يذكر في هذا الكتاب ، وأما عمارة الدار السفل والعلو التي بالصالحية بزقاق الحنفي

فوقفها الواقف على أن يصرف ريعها بعد العمارة الى رجل مسلم من أهل الدين والصلاح ويكون عارفاً بقراءة الحديث النبوي على قائله أفضل الصلاة والسلام يقرأ في كل يوم جمعة من كل أسبوع بعد صلاة الجمعة وفي كل يوم اثنين من كل اسبوع بعد صلاة الظهر في هذه المدرسة ما تيسر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أخبار الصالحين أو من تفسير القرآن العظيم ، ويختم الميعاد بقراءة شيء من القرآن ويهدي ثواب ذلك الى الواقف والى والده والى من كانت سبباً في ذلك ولجميع المسلمين ، فان عمرت دار القرآن التي بمدينة
٢٣٥ دمشق عند البيمارستان النوري المعروفة بالاسعردية [1] لزم المحدث أن يقرأ الحديث بها في اليومين المذكورين وإلا ففي المدرسة المذكورة يجري ذلك على محدث بعد محدث ، فان تعذر الصرف الى ذلك صرف من مصرف المال الذي يذكر في هذا الكتاب ، وعين الواقف لقراءة الحديث المذكور سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى أقضى القضاة برهان الدين ولي أمير المؤمنين أبواسحق ابرهيم ابن سيدنا ومولانا العبد الفقير الى الله سبحانه نجم الدين قاضي المسلمين خالصة أمير المؤمنين أبي العباس أحمد بن أبي العز الحنفي أيده الله تعالى وقرره فيها ، وأما بقية الموقوف فوقفه الواقف المسمى على [ما] يذكر فيه فيصرف الى امام
٢٤٠ بهذه المدرسة المذكورة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ستون درهماً في كل شهر من شهور الأهلة نصفها ثلاثون درهماً ، من شرطه أن يكون رجلاً ديناً حافظاً لكتاب الله العزيز جيد القراءة ، حسن الاداء والتلاوة ، ملازماً للصلوات الخمس في هذه المدرسة ، غير منسوب الى شر ولا الى بدعة ، وعليه صلاة التراويح في شهر رمضان من كل سنة ، يجري ذلك على إمام بعد إمام بهذه الصفة ، ويصرف الى رجل من أهل الخير والصلاح يكون مؤذناً

(١) يظهر أن دار القرآن المذكورة لم ينفذ عمارها ولم يرد ذكرها بين دور القرآن المعروفة في دمشق .

بهذه المدرسة في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة خمسة وأربعون درهماً ، ومن شرطه أن يكون حسن الصوت ، ملازماً للأذان في الأوقات الخمس على باب هذه المدرسة أو إمامة الصلوات الخمس والتكبير في الصلوات وفي التراويح ، ويختم كل صلاة بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ، والدعاء للواقف ولوالديه وأولاده ولجميع المسلمين ، وكذلك الإمام يختم كل صلاة بالذكر والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والدعاء لمن ذكر ، يجري ذلك على مؤذن بعد مؤذن بهذه الصفة ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الخير والصلاح غير منسوب الى شر ولا الى بدعة يكون بواباً بهذه المدرسة وقيماً وفراشاً وبالتربة المذكورة ، في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة تسعون درهماً نصفها خمسة وأربعون درهماً ، ومن شرطه أن يلازم باب المدرسة ويحفظ آلاتها ويفتح بابها ويغلقه وإيقاد مصابيحها ومصباح التربة وكنسها وتنظيفها وفرشها وإطفاء المصابيح وغسل ذلك وتعميره وتنظيف المرتفق وايقاد المصباح به وطفيه ومنع من ينكر عليه الدخول ، يجري ذلك على رجل يقوم بالوظائف المذكورة بعد رجل جيد القراءة يقرأ في المصحف الشريف في كل يوم بعد صلاة الصبح على الكرسي بهذه المدرسة نصف حزب من ستين حزباً من كتاب الله تعالى وتختم القراءة بقراءة سورة الإخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة الى قوله سبحانه : وأولئك هم المفلحون ، ويهدي ثواب ذلك للواقف ولوالديه وأولاده ولجميع المسلمين ويترحم عليهم ويستغفر لهم ويسأل الله ايصال ثواب ذلك اليهم ، في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضة معاملة دمشق المحروسة ثلاثون درهماً ، يجري ذلك على رجل بالصفة المذكورة بعد رجل ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الدين والصلاح يكون حافظاً لكتاب الله العزيز ، جيد القراءة ، حسن الاداء والتلقين ، يكون شيخاً للفقراء الآتي ذكرهم يعلمهم القرآن ويلقنهم ذلك

في كل يوم من الأيام من بعد صلاة الصبح الى وقت الضحى ومن بعد صلاة العصر الى الغروب ، وعليه ملازمة هذين الوقتين في كل يوم ويلقن الفقراء الآتي ذكرهم ومدارستهم القرآن العظيم ، وان يسمع من كل فقير يلقنه ويلقنه غيره ، في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ستون درهماً يجري ذلك على شيخ يكون حافظاً لكتاب الله العزيز ، جيد القراءة ، حسن الاداء بعد رجل ، وأن لا يكون منسوباً الى شر ولا الى بدعة ، وعين الواقف للامامة والمشيخة وقراءة المصحف الشريف الفقير الى الله تعالى الشيخ عماد الدين جمال القراء أمجد الأتقياء أبو الفداء اسمعيل بن شمس الدين محمد بن اسمعيل الحنبلي[1] نفع الله به ، وقرره في الوظائف الثلاث بالمعالم المذكورة ، ويصرف الى عشرة من الرجال الفقراء الذين يتعلمون القرآن العظيم في هذه المدرسة ، المقيمين بها ليلاً ونهاراً في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ثلثمائة درهم نصفها مائة وخمسون لكل نفر منهم ، من ذلك في كل شهر مبلغ ثلاثين درهماً وعليهم الحضور في الوقتين المذكورين والقراءة على الشيخ والتلقين ودرس تلاقينه وقراءة الماضي ، وان يكونوا بالغين يذقون بحيث لا يكون أحد أمرد ، وعلى الفقراء العشرة المذكورين وشيخهم في آخر كل مجلس أن يختموا القراءة بقراءة سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة ويهدوا ثواب ذلك الى الواقف ووالديه وأولاده ولجميع المسلمين ويترحموا على الواقف ويدعوا له بالمغفرة ويسألوا الله تعالى ايصال ثواب ذلك اليهم ، يجري ذلك على عشرة رجال بعد عشرة بالصفة المذكورة ، ويسكن كل واحد منهم في بيت من بيوت هذه المدرسة ، وعليهم الاقامة بها ليلاً ونهاراً ، الا طمن (؟) حاجة ، والاشتغال بالقرآن العظيم في الوقتين المذكورين ، ومن حفظ منهم القرآن صرفه الناظر و كساه

(١) (٦٤٥ - ٧٢٩) ترجمته في الشذرات والدرر الكامنة .

بمبلغ خمسين درهماً جزاء الانصراف وقرر الناظر مكانه أحداً بصفته ، ومن لم يحفظ القرآن في مدة ثلاث سنين ومضت الثلاث سنين صرفه الناظر وقرر مكانه من غير كسوة بل الكسوة لمن حفظ القرآن في المدة المذكورة ، ويصرف الى خمسة عشر يتيما من أيتام المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم ، يكون مقرهم في المكتب الذي هو علو هذه المدرسة المذكورة ، في كل شهر من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة مائة درهم وخمسون درهماً ، لكل منهم من ذلك في كل شهر عشرة دراهم ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الدين والخير والصلاح ، يكون حافظاً لكتاب الله العزيز ، جيد القراءة ، حسن الاداء ، عارفاً بالكتابة ، يعلم الأيتام المذكورين القرآن والحفظ ، في كل يوم من الأيام المعتادة من بكرة النهار الى أذان العصر ، في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ستون درهماً ، وعليه الملازمة وتعليم الأيتام المذكورين القرآن ويلقنهم إياه ، ويعلمهم الكتابة والأدب ، وله أن يبطل هو وإياهم يوماً واحداً من كل اسبوع وأيام العيدين والمواسم ، وأن يكون هذا الفقيه غير منسوب الى شر ولا الى بدعة ، وعليه ان يجمع الأيتام المذكورين في كل يوم عند الانصراف وقراءة سورة الاخلاص والمعوذتين والفاتحة وأوائل سورة البقرة الى قوله : (وأولئك هم المفلحون) ويهدي ثواب ذلك الى الواقف ولوالديه وأولاده ولأموات المسلمين ، ويترحم على الواقف ويدعو له بالمغفرة ، ويسأل الله ايصال ثواب ذلك الى من ذكر ، ويصرف هذا القدر المعين لشيخ الأيتام وللأيتام من ريع القيسارية الموقوفة عليهم ، فان نقص ريعها عن ذلك كمل من بقية الموقوف ، وان خربت أو تعطلت صرف ذلك من بقية الموقوف ويصرف في ليلة الرغائب من كل سنة مبلغ خمسين درهماً يُشرى بذلك حلوى وخبز ويفرق على الأيتام وشيخهم والفقراء وشيخهم ، وكذلك يُصرف نظير العدد في ليلة النصف من شعبان وفي ليلة عيد الفطر ،

وأما في يوم النحر فيشرى لهم إما بقرة أو غيرها مما يجوز في الأضحية ويذبح ذلك في اليوم المذكور، ويفرق على المذكورين مبلغ مابة درهم في كل سنة، وعلى شيخ الفقراء وشيخ الأيتام أن يحضروا في كل ليلة من الليالي المذكورة وفي ليلة يوم النحر ويحضر معها الفقراء العشرة والأيتام الخمسة عشر ويفرق عليهم الربعة بحيث يختمون في الربعة ختمة كاملة ويهدون ثواب ذلك للواقف ولوالديه ولأموات المسلمين ، ويصرف لخادم الربعة الشريفة في كل شهر مبلغ عشرة دراهم، وعليه أن يبخر في كل يوم جمعة بالمدرسة المذكورة بشيء من العود والطيب، ويفرق الربعة في كل يوم جمعة وفي الليالي المذكورة ويحطها ويشيلها وأن يكون من أهل الخير والصلاح يجري ذلك على قوم بعد قوم بالصفة المذكورة . ويصرف الى ثلاثة رجال من القراء ، ويكون كل واحد منهم حافظاً لكتاب الله العزيز جيد القراءة ، حسن الصوت والاداء والتلاوة ، ظاهر الخير والديانة ، في كل شهر من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة سبعون درهماً ، يصرف الى الريس منهم في كل شهر ثلاثون درهماً ولكل واحد من الاخرين في كل شهر عشرين درهماً ، وعليهم في أيام الواقف الى حين وفاته القراءة بهذه المدرسة في كل يوم بكرة النهار وبعد صلاة العصر أن يقرأوا مجتمعين في كل وقت من الوقتين المذكورين حزباً كاملاً من ستين حزباً من القرآن العظيم ، ويهدوا ثواب ذلك مع قراءة سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة الى الواقف ولوالديه وأولاده ولجميع المسلمين ، ويترحموا على الواقف ويدعوا له بالمغفرة ويسألوا الله إيصال ذلك الى من ذكر ، وأما بعد وفاة الواقف مد الله في عمره فيقرأوا متفرقين ، الريس منهم يقرأ بعد صلاة الصبح في هذه التربة التي وقفها الواقف برسم دفنه التي هي في المدرسة المذكورة ، وآخر يقرأ بعد صلاة الظهر ، والآخرون بين المغرب والعشاء في كل يوم ، يجري ذلك على ثلاثة أنفار بهذه الصفة بعد

ثلاثة ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الدين والخير والعلم الشريف ويكون عارفاً بقرأ الحديث النبوي وأهلاً لعمل ميعاد على الكرسي الكائن بهذه المدرسة ، في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ثلاثون درهماً ، وعين لقراء الميعاد المذكور الواقف المسمى سيدنا العبد الفقير الى الله تعالى أقضى القضاة صدر الدين ولي أمير المؤمنين أبي الصدق أبي بكر بن مفلح (١) أيده الله تعالى ، وشرط عليه الحضور في كل يوم سبت من كل أسبوع والقعود على الكرسي الذي هو بهذه المدرسة ، وأن يعمل ميعاداً يكون مشتملاً على شيء من تفسير القرآن ومن حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبار الصالحين وذكر شيء من العلم الشريف ، وأن يختم الميعاد المذكور بقراءة سورة الاخلاص والمعوذتين وفاتحة الكتاب وأوائل سورة البقرة الى قوله (وأولئك هم المفلحون) ، ويسأل الله ايصال ذلك الى الواقف ووالديه وأولاده ولجميع المسلمين ، ويترحم عليهم ويدعو لهم بالمغفرة وقراءه (؟) في ذلك ، وأما غيره ممن يكون مكانه وهو بالصفة المذكورة فعليه الحضور في يومي السبت والثلاثاء من كل أسبوع وعمل ميعاد في المدرسة على ما شرح ، يجري ذلك على رجل بعد رجل بالصفة المذكورة ويصرف في ثمن زيت برسم ايقاد مصابيح المدرسة والتربة المذكورة وفي ثمن حصر وبسط في كل شهر من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة خمسة وأربعون درهماً ، وشرط الواقف أن يوقد من المصابيح خمسة من أول الليل الى آخره ، الواحد في الإيوان القبلي والثاني في التربة والثالث في الايوان الشامي والرابع في المرتفق والخامس على باب المدرسة وبقية المصابيح على العادة من المغرب الى بعد صلاة العشاء ، ومن الفجر الى بعد

(١) أبو بكر بن ابراهيم بن محمد بن مفلح ، ولي نيابة الحكم عن قاضي القضاة شمس الدين بن عبادة مدة ثم ولي القضاء (٧٨٠ – ٨٢٥) ترجمته في الضوء والشذرات والدارس في تاريخ المدارس .

صلاة الصبح ، ويصرف الى رجل مسلم من أهل الدين والصلاح ويكون عارفاً بقراءة صحيح البخاري غير منسوب الى شر وبدعة يقرأ في كل سنة صحيح الإمام محمد بن اسمعيل البخاري رحمه الله تعالى في هذه المدرسة المذكورة في مدة شهرين هما شعبان ورمضان من كل سنة يقرأ في كل يوم من أيام الشهرين المذكورين ذلك في المدرسة المذكورة بحيث يكون الختم في يوم من الأيام المفردة من العشر الأخير من شهر رمضان المعظم ، في كل سنة من السنين من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ماية درهم وخمسون درهماً تصرف له عند ختم الكتاب المذكور ، يجري ذلك على رجل بالصفة المذكورة بعد رجل ، ويصرف في كل ليلة جمعة من كل أسبوع مبلغ عشرة دراهم فضية معاملة دمشق المحروسة يشترى بذلك خبز من خبز الحنطة ويفرق على باب المدرسة على الفقراء والمساكين المسلمين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم ؛ يجري ذلك كذلك ، ويصرف الى رجل مسلم يكون جابياً لهذا الوقف في كل شهر من شهور الأهلة ما مبلغه من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ستون درهماً نصفها ثلاثون درهماً ، ومن شرطه أن يكون ديناً أميناً من أهل الدين والخير يحصل ريع الوقف ويصرفه بأمر الناظر فيما ذكر ، يجري ذلك على رجل بالصفة المذكورة بعد رجل ، ويصرف الى من يكون ناظراً على هذا الوقف غير الواقف المذكور في كل شهر من شهور الأهلة من الدراهم الفضية معاملة دمشق المحروسة ماية درهم نصفها خمسون درهماً ، يجري ذلك على ناظر بعد ناظر وما فضل بعد ذلك صرف الى هذا الواقف المسمى أثابه الله تعالى أيام حياته ، لا يشاركه في الفاضل شريك ولا ينازعه فيه منازع ولا يتأول عليه فيه متأول ، ثم من بعده على أولاده الذكور والاناث بينهم على الفريضة الشرعية ، على أنه من توفي من أولاد هذا الواقف وأولاد أولاده ونسله وعقبه وذريته عن ولد أو عن ولد ولد أو عن نسل وعقب وذرية يعود نصيبه من ذلك على ولده ثم على ولد

ولده ثم على نسله وعقبه وذريته بينهم على الفريضة الشرعيـة ، ثم على أولاد
٢٣٠ أولاده كذلك ، ثم على نسله وعقبه وذريته مثل ذلك ، وعلى أنه من توفي
منهم أجمعين عن غير ولد ولا ولد ولد ولا نسل ولا عقب ولا ذرية فان نصيبه
من ذلك يعود الى من في درجته وذوي طبقته من أهل الوقف ، يقدم الأقرب
الى المتوفا منهم فالأقرب فان لم يكن في درجته من يساويه فعلى أقرب الموجودين
الى المتوفا من أهل الوقف ثم على ولد من انتقل ذلك اليه ثم على نسله وعقبه
وذريته على الفريضة الشرعية ، ومن مات منهم أجمعين قبل الاستحقاق وترك
ولداً أو أسفل من ذلك يستحق ولده أو الأسفل منه ما كان يستحقه المتوفا
لو بقي حياً وقام في الاستحقاق مقامه ابا كان أو اماً أو جداً أو جدة ، فاذا
٢٣٥ انقرضوا بأجمعهم وخلت الأرض منهم ولم يبق لهذا الواقف نسل ولا عقب ولا
ذرية صرف ذلك في ثمن خبز يفرق على باب المدرسة على الفقراء والمساكين ،
وكذلك حكم اذا تعذر مصرف شيء من المصارف المذكورة أعلاه صرف
ذلك في ثمن خبز يفرق على باب المدرسة على الفقـراء والمساكين المسلمين ،
ومتى أمكن العود عاد ، ومتى تعذر فعلى ما ذكر ، فان تعذر التفرقة على باب
المدرسة فرق على الفقراء والمساكين حيث كانوا ، ومتى أمكن العود عاد ، ومتى
تعذر فعلى ما ذكر ، يجري ذلك كذلك أبد الابدين ودهر الداهرين الى أن
يرث الله تعالى العباد والبلاد وهو خير الوارثين ، وجعل الواقف أثابه الله تعالى
٢٤٠ النظر في ذلك لنفسه وله تفويضه واسناده والوصية به ، وكذلك لكل من المفوض
اليه والمسند اليه هكذا أبداً مع مشاركة الأرشد فالأرشد من أولاد الواقف
ونسله وذريته لمن أسند اليه أو فوض اليه ، فان مات الواقف عن غير تفويض
ولا اسناد أو انقطع التفويض والاسناد وكان النظر مستقلاً به الأرشد فالأرشد
من أولاد الواقف ثم من نسله وعقبه ، فان لم يكن منهم رشيد فلمن هو متكم
عليهم الى أن يتأهل منهم أحد يعود النظر اليه ، وعند انقراض ذرية الواقف

يكون النظر لتاجر من تجار الكارم[1] الذين هم بدمشق والمشار اليهما من التجار يكونان من أكبر تجار الكارم مع شيخ المدرسة يجري ذلك كذلك ، وللناظر في هذا الوقف أن يجعل الوظائف الثلاثة الإمامة والمشيخة وقراءة المصحف مع رجل واحد ، يجب أن يكون من أعيان القراء ، وأن يفرد كل واحد في وظيفة ، وله الاستبدال اذا كان في استبدال صاحب الوظيفة مصلحة ، ومن شرط هذا الواقف البدأة من ربع ذلك بعمارة الموقوف والمدرسة والتربة واصلاح ذلك وصلاحه ، وإذاناً (؟) على بعض ذلك من الحكر ، وان لا يؤجر الموقوف ولا بعضه أكثر من سنة واحدة ، ولا يستأنف على ذلك عقد حتى ينقضي العقد الأول الا أن يكون مصلحة الوقف في ايجار سنتين ، ويؤجر ذلك سنتين من غير زيادة على ذلك ولا يستأنف على السنتين عقد حتى ينقضي العقد الأول ، وان لا يتأول به ولا ببعضه ولا ببيع ما خرب منه على مذهب من يرى ذلك ، بل يعمر من ربع الوقف ، وان لا يمكن أحداً من أرباب الوظائف من النزول بل اذا أراد الانصراف قرر الناظر مكانه من هو بصفته ، وأن لا يستنيب أحداً منهم إلا من عذر شرعي ، وان طال العذر والاستنابة استبدل الناظر مكانه ، يجري ذلك كذلك الى يوم القيامة ، وهذا الواقف المسمى يستعدي الى الله تعالى على من يقصد وقفه هذا بفساد أو يرومه ببغض وعناد ، ويحاكمه اليه ويخاصمه بين يديه يوم القيامة ، يوم الحسرة والندامة ، يوم التناد ، يوم عرض الاشهاد ، يوم عطش الأكباد ، يوم يكون الله تعالى هو الحاكم فيه بين العباد ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً ، وما عملت من سوء

(١) لم أعثر على هذه اللفظة فيما اتصل بي من كتب اللغة . جاء في معجم دوزي : كارم اصفر بمعنى عنبر اصفر ، ووردت بهذا المعنى في رحلة ابن بطوطة بقوله : تجار الكارم وتجار الكارمية والبهار الكارمي .

تود لو ان بينها وبينه أمداً بعيدا ، ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعبـاد
ولا قبل الله منه صلاة ولا صوماً ولا زكاة ولا حجاً ، وحشره ثقيل الظهر
مسود الوجه ، ولقي الله تعالى وهو عليه غضبان وجعله من الأخسرين أعمالاً
الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً . ومن أعان
على مصالحه وصرفه في وجوهه المذكورة فيه برد الله مضجعه وجعله ممن يأتي
آمناً يوم القيامه ، فقد تم هذا الوقف ولزم ودفع أجر الواقف منه على الله العظيم
الذي لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين
يبدلونه إن الله سميع عليم ، ووكل الواقف في شئون ذلك وطلب الحكم ٣٦٠
وتنفيذه وابداء الدافع ونفيه لكل من (؟)[1] الحكم العزيز وشهوده ومتصرفيه ،
وبه شهد على ذلك بعد قراءته عليه واعترافه بفهمه ومعرفته في نسختين هذه
احداهما في صحته وسلامته وجواز أمره وطواعيته ، في اليوم المبارك يوم الجمعة
المبارك وهو الخامس عشر من شهر الله المحرم الحرام سنة سبع عشرة وثمانمائة .
الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد نبيه خير خلقه وعلى جميع الأنبياء ٣٦٤
والملائكة والصالحين وسلم تسليما .

---

(١) كلمة غير واضحة .

الوقفية الثانية

الحمد لله الهادي للحق

بسم الله الرحمن الرحيم

ثم وقف الواقف المسمى باطنه وأعلا باطنه سيدنا الفقير الى الله تعالى المقر العالي الخواجكي الكبيري البرهاني أوحد الرؤساء في العالمين ، صفوة الملوك والسلاطين أبو الحق ابراهيم ابن الجناب العالي الخواجكي الكبيري الزبني مبارك شاه بن عبد الله الاسعردي أدام الله تعالى نعمه ، وهو في حال صحته وسلامته وجواز أمره ، تقربا الى الله عز وجل . . . [1] خالصة بوم معاده ، يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وقف وأبد وحبس وحرم وتصدق بما ذكرت ذلك له وملكه وحوزه وبيده وتحت تصرفه حين هـذا الوقف ، وأحضر من يده كتاباً يشهد له بملك ذلك ، وهو مؤرخ بيوم الخميس الثامن والعشرين من شهر الله المحرم سنة سبع عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت ، وثابت فيه الملك والحيازة لمن باع فيه بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكي الشمس ابن عبادة الحنبلي الناظر في الحكم العزيز بالشام المحروسة . . . [2] وحكم [1] بصحة البيع المذكور حسبما تضمنه اشهاده المسطر بظاهره المؤرخ بالثاني من صفر من السنة المذكورة ، متصل ثبوته وتنفيذه والحكم باسقاط الغش (؟) في البيع المذكور مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز القضائي الحاكي الخطبي الشهابي ابن أبي العز الحنفي الناظر في الحكم العزيز بالشام المحروسة كان له الله . . . [1]

---

(١) كلمة غير واضحة .

(٢) ثلاث كلمات غير واضحة .

حسبما تضمنه اشهاده المؤرخ بالثالث من صفر من السنة المذكورة . وذلك جميع الحوانيت ، الحوانيت الأربعة الكائنة بجسر الزلابية[١] بالصف الغربي الذي غربيهن المسجد ، يفصل بينهن شباك المسجد ، وكل حانوتين منها متلاصقان والشباك بينهن ، ولكل حانوت منها داخل وفناء واعلى . حدهن من القبلة ملك ورثة قاضي القضاة وشركهم من قاضي القضاة ... [٢] الاخنائي وشركهم ، ومن الشرق الطريق ... [٣] ومن الشام ملك ورثة قاضي القضاة وشركهم ، ومن الغرب المسجد المذكور ، وقفاً صحيحاً شرعياً ، ووقف أيضاً ما ذكرت ، ذلك ملكه ومعروف به وبانسابه وذلك جميع عمارة القيسارية والطباق علو ذلك ، الكائن ذلك ظاهر دمشق خارج باب الفراديس بمحلة العقيبة الكبرى بالقرب من زقاق المشايخ ، وكان قبلها مكان القيساريتين المذكورتين قاعتان وحينه خراب ، وأسفل ذلك الى ملك الواقف ... [٢] ابتياع شرعي ، وشهد بذلك كتاب ابتياع أحضره الواقف من يده مؤرخ بتاريخ الثاني والعشرين من شهر ... [٢] رجب الفرد سنة ست عشرة وثمان مائة ، وهو ثابت وثابت فيه الملك والحيازة ، وان العمارة عمرت بطريق شرعي وإذن مقرر ومحكوم فيه بالموجب وبصحة البيع وباحترام العمارة المشهود بها مع العلم بالخلاف بمجلس الحكم العزيز القضائي العلامي المحبوب المصري الشافعي أيده الله ، وحسبما تضمنه اشهاده المؤرخ

(١) أرجح انه في السوق المعروف اليوم بالزرابلية . وقد جاء في وقفية الوزير لا لا مصطفى باشا فى تعيين حدود أحد الحمامين الموقوفة ، المعروف اليوم بحمام الرأس وحمام السروجية ما نصه : « الكائن ذلك ظاهر مدينة دمشق المحروسة وشمالي قلعتها المنصورة ، بين سوقي جسر الجديد وجسر الزلابية » ان القاعدة المتبعة في ترتيب الحدود أن يقدم الشرق على الغرب وعليه يكون سوق جسر الجديد شرقي الحمام وسوق جسر الزلابية من غربيه أي مكان سوق الزرابلية الحالي .

(٢) ثلاث كلمات غير واضحة .

(٣) لفظة غير واضحة .

بالحادي عشر من شعبان من السنة المذكورة . ويغلق على كل من القيساريتين باب خاص ، وهما شرقية وغربية ، فالشرقية عدة مخازنها ثمانية وعشرون مخزناً وعلوها سبع طباق ، يشتمل كل مخزن على منافع وباب خاص ، وتشتمل كل طبقة من علوها على منافع ومرافق وظهور ذلك خواص ، والغربية عدة مخازنها سبعة عشر مخزناً ، وعلوها طبقتان ، يشتمل كل مخزن على باب خاص ومنافع ومرافق ، وتشتمل كل طبقة من الطباق الى علوها على منافع ومرافق وظهور ذلك خواص . حد ذلك من القبلة ملك بيت الخلحى (؟) ، ومن الشرق الرواق والأبواب ، وتمام الحد حوش ابن خضر ، ومن الشام ملك ورثة شهاب الدين ... [1] ومن الغرب جادة ... [1] ، وجميع عمارة الطباق المبني على الحانوتين الملاصقين للحانوت الكبير هي من جملة الوقف المسطر باطن أعلاه الكائن خارج باب الفراديس تجاه المسجد الذي على قناة ابن العوني ، وعلو ذلك طبقتان ، تشتمل كل طبقة على منافع ومرافق وطاقات على الطريق ، وجميع الروشنين والطبقتين اللتين هما علو الروشنين الراكبات على الحانوتين التي وقفها الواقف في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه اللتين هما تجاه المسجد الذي على قناة ابن العوني الملاصق ... [2] ، ويشتمل كل روشن على منافع ، وتشتمل كل طبقة على منافع ومرافق وطاقات على الطريق ، وظهور ذلك خواص ، وجميع ذلك عمارة الواقف وإنشائه ، حد ذلك من القبلة سوال (؟) الطريق ومن الشرق وقف الحاج اسمعيل العطار ، ومن الشمال مسجد الجوزة ، ومن الغرب هو الطريق المسلوك منه الى العقيبة الصغرى ، يحق ذلك كله انشاء الواقف ، وقف هذه على أن يبدأ من ربع ذلك بعمارة هذا الوقف والوقفين الواردين

(١) لفظة غير واضحة .
(٢) ثلاث كلمات غير واضحة .

باطنه وصلاح ذلك ، وما فضل بعد ذلك صرف ذلك على ما يذكر فيه ، ان نقص ريع الوقفين المذكورين باطنه عن المصاريف التي عينت في الوقف الأول كل من هذا الوقف ، وان لم ينقص صرف ذلك الى الواقف المسمى أثابه الله وثم لأولاده ثم لأولاد أولاده ثم لنسله وعقبه على الحكم المبين في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه ، وكذلك حكم هذا الوقف في المال والنظر حكم الوقف المسطر باطن أعلاه ، وإن كان الوقف المسطر باطنه وأعلا باطنه يفي بالمصاريف صرف هذا الوقف الى الواقف ، ثم الى أولاده على الشروط المعينة باطن أعلاه ، وكلما نقص ريع الوقفين باطنه عن المصاريف لزم هذا ولو استوعب ذلك جميع ريع هذا الوقف ، وكلما فضل عن المصاريف صرف الى هذا الواقف ثم الى أولاده وأنساله وأعقابه ، ومن شرطه في الايجار مثل الشرط المذكور في كتاب الوقف المسطر أعلاه ، وكذلك في المناقلة ومع ما تحرر منه . وهذا الواقف أمام الله يستعدي الى الله تعالى على من يقصد وقفه هذا بفساد أو يرومه ببغض وعناد ويحاكمه اليه ، ويخاصمه بين يديه يوم القيامة ، يوم الحشر والندامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم .... الخ .

الوقفية الثالثة

الحمد لله الهادي للحق

بسم الله الرحمن الرحيم ، الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلامه .

ثم وقف الواقف المشار اليه اعلاه المقر العالي المولوي الخواجكي الكبيري البرهاني أوحد الرؤساء في العالمين . صفوة الملوك والسلاطين أبو اسحق ابراهيم ابن الجناب العالي الخواجكي الكبيري الزيني مبارك شاه وتقديماً بين يديه للقاء خالقه يوم معاده ، يوم يجزي الله المتصدقين ولا يضيع أجر المحسنين . وقف وأبد وحبس وحرر وتصدق بما هو ملكه وحوزه وبيده وتحت تصرفه من هذا الوقف وهو الذي عمره وبناه من ماله وصلب حاله بالطريق الشرعي ، وهذه العمارة الموقوفة في هذا الكتاب هي مكان الحوانيت التى وقفها الواقف في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه وأحرقت العمارة في فتنة قاني باي [1] في شهور سنة تاريخه ، ثم عمرها المذكور من ماله في قرارها الجاري في الوقف أيضاً الذي كان في ملك الواقف عمارتها الى الآن ، وأخرت كل واحد منها ثم وقفها الواقف في هذا الكتاب بعد أن عمرها من ماله بعد الحريق المذكور ، وهذه الحوانيت الأربعة التي عمرها الواقف بعد خرابهن يفصل بينهن المجاز الى المسجد والحانوت الوسطاني من الثلاثة حوانيت اللواتي من جهة القبلة الذي هو وقف على المسجد ، ويحد ذلك الحدود المذكورة في كتاب الوقف المسطر اعلا باطنه ، وأما كل واحد من المقعدين الجاريين في ملك الواقف من هذا الوقف مكان كل واحد منها قبل الحريق مقعد شرقي (؟) ثم أحرق كل واحد منها في الفتنة المذكورة ، وعمر مكان كل واحد منها حانوتاً منها

(١) قانباي المحمدي الظاهري برقوق ويعرف بقانباي الصغير سيف الدين ، تولى نيابة الشام في عام ٨١٧ فأقام بها مدة ثم تمرد على السلطان المؤيد ، ألقي عليه القبض وسجن ثم قتل بقلعة دمشق في أواخر شعبان سنة ٨١٨ .

الموقوفان في هذا الكتاب ، وعمرها الواقف المسمى من ماله بالطريق الشرعي والاذن المعتبر المرضي حسبما شهد بذلك من تعيين ذلك في رسم شهادته ... [1] ولكل من الحانوتين داخل وفناء واغلاق ، وكذلك كل حانوت من الحوانيت الأربعة المذكورة أعلاه له داخل وفناء واغلاق ، فالحوانيت الأربعة المذكورة أعلاه أرضهن وعمارتهن داخل في هذا الوقف ، وأما الحانوتان المبنيان مكان المقعدين فعمارتهما داخل في هذا الوقف وأرضهما محتكر [2] غير داخل في هذا الوقف ، يبين ذلك ليُعلم أن الأربعة المذكورة أولاً ليس عليها حكر بل الحكر على الحانوتين المذكورين مما في مكان المقعدين لأن الأرض محكرة خارج ذلك عن الوقف ، ومما بالصف الغربي من الشارع ، حدهما من القبلة ملك ورثة ابن الاخنائي والخواجكي ابن المذكور وشركهما ، ومن الشرق الطريق واغلاقه ، ومن الشام الطريق ، ومن الغرب جدار القيسارية ، بحق ذلك وقفاً صحيحاً شرعياً على الحكم المعتبر في كتاب الوقف المسطر باطن أعلاه والحال والمال والنظر ، فلا يحل لأحد يؤمن بالله العظيم ويعلم انه الى ربه الكريم صائر نقض هذا الوقف ولا تبديله ولا تعطيله ولا ... [1] عن وجوهه وشروطه التي تذكر فيه ، وهذا الواقف المسمى يستعدي الى الله تعالى على من يقصد وقفه هذا بفساد أو يرومه بنقص وعناد ، ويحاكمه اليه ويخاصمه بين يديه يوم القيامة ، يوم الحشر والندامة ، يوم التناد ، يوم عطش الأكباد ، يوم يكون الله هو الحاكم فيه بين العباد ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه انه سميع عليم . ووكل الواقف في ثبوت ذلك وطلب الحكم به وتنفيذه وفي إبداء الواقع ونفيه ... على ... [3] بمستهل شهر رمضان المعظم ومن سنة ثمان عشرة وثمان ماية . الخ .

(١) كلمة غير واضحة .
(٢) يجوز قراءتها : محكر .
(٣) ثلاث كلمات غير واضحة .

الوقفية الرابعة

الحمد لله الهادي للحق

. . . . (١)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه خير خلقه وعلى آله وصحبه وسلامه ، ثم وقف الواقف المسمى المقر العالي المولوي الخواجكي الكبيري البرهاني ابو اسحق ابراهيم بن الجناب العالي الخواجكي الزيني مبارك شاه بن عبد الله الاسعردي أدام الله تعالى نعمته ووالى مسرته ، وحبس وسبل وأبد وحرم وتصدق بما انتقل الى ملكه وهو في يده وتحت تصرفه . . . . (١)

وذلك جميع عمارة الحوانيت التسعة عشر والمخزن الكائن ذلك بسوق القطانين بصالحية دمشق فهن ثلاثة عشر حانوتاً بالصف القبلي ، وست حوانيت بالصف الشامي . . . (٢) المخزن بالصف الشامي ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء واغلاق لا يغلق على المخزن باب خاص ، فأما الحوانيت القبلية فأحدها يعرف بسكن عيسى المغربل ، وثانيها يعرف بسكن الكركي ،وثالثها يعرف بسكن . . . (٢) خضر ، ورابعها يعرف بسكن محمد الحلواني ، وخامسها يعرف بسكن محمد مسلم ، وسادسها يعرف بسكن عمر الملاح ، وسابعها يعرف بسكن عبد الله البابا ، وثامنها يعرف بسكن ناصر الدين ؟ الجماعيني ، وتاسعها يعرف بسكن الشيخ أحمد نقيب الفقراء ، وأما الحوانيت الشامية فأحدها يعرف بسكن محمد محمود ،

---

(١) حذفت من هنا مقدمة طويلة ورد شبيه بها في نص الوقفيات السابقة .

(٢) لفظة غير واضحة .

وثانيها يعرف بسكن الحاج علي الحلبوني ، وثالثها يعرف بسكن علم الدين (؟) سليمان ، ورابعها يعرف بسكن عبد الله الكناني ، وخامسها يعرف بسكن محمد الحمراء ، وسادسها يعرف بالطوافي . وجميع الحصة الشائعة ومبلغها أربعة عشر سهماً من أصل أربعة وعشرين سهما ، وهي الثلث والربع شائعاً ذلك من جميع الحوانيت الأربعة الكائنة بالصف الشامي من السوق المذكور وتعرف الواحدة بسكن ...[1] ، والثانية بسكن محمد بن الفرا ، وتعرف الثالثة بسكن عبد الملك الرسام ، وتعرف الرابعة بسكن عمر النظروني ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء واغلاق ، وجميع الحصة الشائعة ومبلغها اثنتا عشر سهماً من أربعة وعشرين سهماً ، وهي النصف شائعاً ، ذلك من جميع الحوانيت الثلاثة عشر الكائنات بالسوق المذكور ، منها بالصف القبلي ثمانية ، والتاسع وهو خمسة في الصف الشامي ، فأما الحوانيت التي بالصف القبلي فالواحد منها يعرف بسكن ...[1] ، وثانيها يعرف بسكن محمد البوشي ؟ الزبداني ، وثالثها يعرف بسكن ارغون البابا ، ورابعها يعرف بسكن احمد الشهيد ، وخامسها يعرف بسكن عمر الكناني ، وسادسها يعرف بسكن محمد البوشي ، وسابعها يعرف بسكن محمد السيد الخياط ، وثامنها يعرف بسكن عبد الرحمن البارودي ، وأما الحوانيت الشامية فواحد منها يعرف بسكن أبي بكر ابن قيم الصاحبة ، وثانيها يعرف بسكن محمد الحجازي الفرا ، وثالثها يعرف بسكن أحمد بن يوسف البابا ، ورابعها يعرف بسكن يوسف بن الشاطر ، وخامسها يعرف بسكن محمد القاسيوني ، ويشتمل كل حانوت على داخل وفناء وأغلاق ، وحد الصف القبلي من القبلة ملك علي (؟) ابن زريق وتمام الحد أملاك لأربابها ، ومن الشرق ملك ابن زريق ، ومن الشام الطريق واغلاقهن ، ومن الغرب ملك

(١) فراغ في الاصل يتسع للفظة أو لفظتين .

الأمير ناصر ابن الميداني ، وحد الصف الشامي من القبلة الطريق وأغلاقهن ، ومن الشرق الوقف ، ومن الشام الزقاق وملك أربابه ، ومن الغرب الزقاق . وجميع عمارة المسلخ والحانوت المستخرجين من جداره الغربي المتخذين للقصابة والرواسة الكائن ذلك بالصالحية بالقرب من مدرسة شيخ الإسلام ابي عمر رحمه الله ، ويغلق على هذا المسلخ باب خاص ، ويشتمل على وسط مبلط وأحواض يجري اليها الماء من نهر يزيد ...[1] مستديرة به وبه بيوت برمم السواد ويضمنه مسمط ومنافع ومرافق ، وحد ذلك من القبلة الخان المعروف بالقلانسي ، ومن الشرق مطبخ مدرسة أبي عمر ، ومن الشام المرتفق يليه الطريق ، ومن الغرب الطريق والباب . . . . [1] اهـ .

* * *

واختتمت كل هذه الوقفيات بشهادة عشرات الشهود ، جلهم من قضاة وأعيان عصرهم المعروفين من آل الاسعردي والعجلوني والحسباني والبدري والچلبي والمقدمي وأبي العز الحنفي وغيرهم ، كتبت جميعها بخطهم ، وعباراتها متشابهة متقاربة من ذلك هذه الشهادة :

«أشهد على الواقف المسمى بأعاليه أثابه الله تعالى بما نسب اليه أعلاه أصلاً وفصلاً وبتلفظه بالوقف على الوجه المشروح بأعاليه في خامس عشر شهر الله المحرم الحرام من سنة سبع عشرة وثمان مابة ، كتبه ...»

جعفر الحسني

---

(١) لفظة غير واضحة .

كتاب النفس

لابن باجّة الأندلسي (*)

- ٤ -

< الفصل الثالث >

القول في القوى الحسّاسة

كل جسم فإنه على ما تبين [١] في غير هذا الموضع مؤلف من صورة ومادة ، وكلاهما غير جسم [٢] ، والجسم هو موجود بهما [٣] . وليس المادة من جهة ما هي مادة ذات صورة بالذات [٤] ، لكنها قابلة للصورة . وليست الصورة في الجسم متحازة توجد بالفعل عن المادة ، ولا أيضاً المادة فيه متحازة بالفعل عن الصورة [٥] . لكن كل واحد منهما في الجسم المؤتلف منهما متحاز عن الآخر بالقوة ، وهذا بيّن في الأجسام الكاينة الفاسدة .

(*) انظر القسم الأول والقسم الثاني والقسم الثالث من هذا المقال في الجزء الأول والجزء الثاني والجزء الثالث من هذا المجلد الثالث والثلاثين .

(١) راجع النص ، الصفحة الأولى .

(٢) قارن ابن باجة ، السماع ، ورقة ٨ الف : « وكل واحـد منهما (أي المادة والصورة) طبيعة لكن الأخلق ... أن تكون الصورة طبيعة من المادة .

(٣) ابن باجة ورقة ٨ الف : « ووجوده (اي الجسم الطبيعي) يتم بوجودِ المادة والصورة » ؛ ٨ ب : فالصورة والمادة سببان لكل جسم طبيعي .

(٤) ابن باجّة ورقة ٧ الف : « فانا متى وضعنا المادة ذات صورة لزم أن تكون منقسمة الى مادة وصورة ويمرّ ذلك الى غير نهاية . فتكون في هذا الانجار مواد لا نهاية لها ، وهذا أيضاً شنيع بل محال . فتنتهي ضرورة الى مادة غير ذات صورة » . ايضاً زيلر (Zeller) : Aristotle. I. p. 347 .

(٥) ابن باجة : ورقة ٧ الف : « وظاهر انها (= المادة) لا تفارق الصورة وذلك انها ان فارقت الصور لم تكن موجودة أصلاً . فإن كانت موجودة لزم أن يكون شيئاً ما . وعاد الأمر الى أن تكون ذات مادة وليست أولى » . راجع زيلر : Aristotle I. 349 .

وامّا الاجرام المستديرة ، فان الجسم والمادة والصورة يقال عليها وعلى الاجرام الكاينة والفاسدة بالاشتراك [(١)] ، وقد لخص أمرها في غير هذا الموضع . ومادة ما آلية [(٢)] قد تنحاز عن صورة وذلك يظهر عند الفساد [(٣)] ، وقد لخّص ذلك في الأولى من السماع ، فبيّن من هذا أن المشار اليه غير متميز [(٤)] ولا متغاير [(٥)] بالفعل بوجه من وجوه التغاير . وانما يتغاير عند تحرك المشار اليه في كونه وفساده .

والمادة ليست توجد منفردة عن الصورة اصلا ، بل تنفرد فتوجد مقترنة بصورة اخرى [(٦)] ، ويظهر فيها عدم الصورة ، فقد يجب ضرورة من هذا أن تكون الصورة منحازة بنفسها أيضاً عن (ورقة ١٤٦ ب) تلك إما مقترنة بمادة أخرى أو منفردة بنفسها ، والاّ لم يمكن أن يكون أحدهما غير الآخر بوجه ، وكان التغاير أمراً باطلاً ، ولزم من ذلك محالات أخر : منها أن يبطل الكون والفساد ، وبالجملة الحركة [(٧)] ، ويبطل وجود المحرك الذي من نوع المتحرك .

(١) قارن ابن رشد : تلخيص ما بعد الطبيعة ص ٧١ .

(٢) واستعمل ابن رشد « آلة آلية » في معنى « آلة جسمانية » . انظر تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٧٤ . ويقول في تلخيص ما بعد الطبيعة ، حيدراباد ص ٥٤ ، « وكذلك الأمر في المادة فان التغير إنما يلحقها من حيث هي جزء متغير وهو المشار اليه ، فأما بما هي مادة فلا » .

(٣) قارن ابن باجة ورقة ٨ ب : « كالصناعة فانه لا يمكن ان توجد الصورة الصناعية في المادة القابلة لها حتى تكون هي قبل موجودة ونجد ذلك في كثير من الأمور الطبيعية فان الدم لا يكون عنه جنين وتحصل فيه صورة الانسان حتى يمازنه المني » . ايضاً أرسطو : Phys. I. 7. 191 a 10, IV. 2. 209 b 10 وقال فلوطين (Plotinus : Ennead (ترجمة Mackenna) الجزء الثاني ص 182
(... Where there is decay there is a Distinction between Matter and Form.)

(٤) المخطوطة : متميزين .

(٥) المخطوطة : متغايرين .

(٦) راجع النص ورقة ١٥٠ الف : وهي في ذاتها غير مصورة لكنها كما الخ .
أيضاً ارسطو : Phys. IV. 2. 209 b 9 : III. 6. 207 a 25; I. 7. 190 b 25

(٧) ابن باجة ورقة ١٢ الف : « وأيضاً فلا تكون حركة إذ لا يكون فوق ولا أسفل » .

وأيضاً فكما توجد مادة الماء – اذا فسد فصار بخارا – مقترنة بصورة البخار، لا [١] على [٢] أن تحصل صورة البخار صورة لها تخصها بل هي أبداً مقترنة بها، فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على أنها هيولى [٣] لها يتصور بها كما تصورت المادة بها اذ كانت ذلك الجسم [٤]، بل على انها، كما كانت بالطبع، موجودة في موضوع، ولا قوام لها بنفسها، لأنها صورة هيولانية او [٥] كانت لها تلك على وجه مناسب لوجود المادة ذات صورة . فان المادة لما تصورت بصورة صارت موضوعاً لها وهي مادة غير مصورة في وجودها . فلذلك تكون فيها الصور المتقابلة بالقوة . فتكون تلك القوة لاحقة [٦] ضرورية [٧] لاتفارقها .

ولذلك [٨] إن أمكن أن تكون صورة لا مقابل لها فإن المادة التي فيها إنما هي موضوع فقط [٩]، فليست مادة إلا باشتراك الاسم فإن الهيولى [١٠] لا نسبة لها في ذاتها إلى صورة من الصور بل كلها لها بالسواء . لأن كل متحرك فله محرك كالخشب الصناعية وهي لا تخلو [١١] من صورة أصلاً، واذا حصل فيها صورة ما، ايّ صورة، كانت عند ذلك قابلة للمضادة الأخرى . فإذا وردت [١٢] عليها حرّكتها [١٣] .

---

(١) المخطوطة : الا .
(٢) المخطوطة : علا .
(٣) المخطوطة : هيولا .
(٤) قارن ارسطو : Arist. Phys. I. 7. 191 a 10
(٥) المخطوطة : و
(٦) المخطوطة : لاحقا .
(٧) المخطوطة : ضروريا .
(٨) المخطوطة : كذلك .
(٩) فلا بد من موضوع للتقابل، حيث لا يوجد تضاد عند عدم الموضوع، انظر ارسطو : Phys. I. 7. 191 a 15، أيضاً : Plotinus (Mack.) II. p. 202
(١٠) المخطوطة : الهيولا .
(١١) المخطوطة : لا تخلوا .
(١٢) المخطوطة : اوردت .
(١٣) يقول ابن باجّة، ورقة ١٤٤ ب : وكذا إن ورد وارد حركه فوروده حركة .

والمحرك صنفان[1] : إما غير مجانس كمحرك الأجسام المستدير فهو يحركها بالضرورة ، وإما مجانس[2] ، فله هيولى ، وهي أيضاً قابلة للصورة المضادة للأولى . فليكن آبَ ماء . ففي آبَ صورة الماء ، فليكن ذلك بردا ، ففيه برد بالفعل وهو هواء بالقوة . فليكن قوة الهواء عليها هَ . ففي آبَ « بَ » و « هَ »؛ فلذلك يحرك من جهة أنه بَ ويتحرك من جهة انه هَ . وما يقابله[3] هو آ و على آجَ ، ففي آجَ جَ[4] ، وهو صورته وفيه مَ وهو كونه ما بالقوة . وما بالقوة لا يتحرك دون محرك . فجسما آبَ ، آجَ ما كانا بما هما هَ و مَ ومحركان بما هما بَ و جَ . فقوة هَ تتحرك ضرورة عن جَ[5] وقوة مَ تتحرك عن بَ . فإن كان بَ مساوياً لـ جَ لم يتحرك ولا واحد منهما . وإن كان أحدهما[6] أقوى وليكن بَ حرّك ضرورة آمَ وصارت المادة بَ وموضوعة لـ بَ لزمها[7] ضرورة هَ ، لأن بَ جَ متجانسان وأضداد . فليس كذلك مما يمكن الصور فيه غير متضادة (ورقة ١٤٧ الف) [مثال] ذلك أن هذا خشب وكرسي بالقوة . فقد يكون كرسيا وهو خشب كما كان . فإن الكرسي غير مجانس للخشب على ما يجانس الحار البارد ، ولا اقتران قوة الكرسي بالخشب بالذات للخشب ، ولا الخشب سبب وجود القوة في الخشب إلا على جهة أخرى .

(١) المحرك صنفان : غير مجانس كمحرك الأجسام المستديرة ، ومجانس ، راجع النص نفسه ، ورقة ١٤٩ ب : ... بمحرك مجانس له ... ، ورقة ١٥٠ ب ... والمحركة منها مجانسة ... وغير مجانسة كالنار ...

(٢) المخطوطة : غير مجانس .

(٣) المخطوطة : للاعه .

(٤) المخطوطة : حر .

(٥) المخطوطة : د .

(٦) المخطوطة : احداهما .

(٧) المخطوطة : ولزمها .

فأما الحار وقوة البارد ، فان وجوده حارا [١] هو سبب كونه بارداً بالقوة [٢] ، ومن أجله كان ذلك ، لأن نسبة الحار والبارد الى المادة نسبة واحدة [٣] . فمن الجهة التي تقبل الحار فمن تلك الجهة تقبل البارد بعينها [٤] وهما متغايران . ولو قبلتهما معاً لما بقي هنالك تغاير أصلا . وانما كانا متغايرين لأن المادة التي لها تقبل الاستقامة ، والمستقيم هو السبب الأول في التضاد [٥] ، لأن المستقيم هو متمم وليس بتام بذاته . فلذلك له وسط وطرفان [٦] ، لأنه متصل ، وكل متصل فهو ذو أجزاء [٧] — إلا أن هذا القول يليق بالنظر في سبب وجود الأضداد — وليس للقوة المحركة التي هي له [٨] معنى يكون به أكثر أو أقل [٩] ، إلا أن تكون في جسم أعظم أو أصغر . والجسم يكون

(١) المخطوطة : حار .

(٢) زيلر (Zeller) يقول في كتابه ارسطاطاليس ص ٣٤٣ ج ١ :
« All becomes that wich it comes to be out of its opposite. What becomeswarm must before have been cold » .

(٣) راجع ارسطو : Phys. IV. 9. 217 a 22 . وزاد ابن باجة في ورقة ٣٦ الف : فإن النار لا يمكن أن تكون باردة لكن من أجل انها نار لا من أجل أنها جسم .

(٤) المخطوطة : بعينها .

(٥) راجع ابن باجة ورقة ٦٣ الف : وليس كذلك في الخط المستقيم لأن ما منه غير ما اليه بالموضوع ، فان طرف آ غير طرف بَ . وقارن ارسطو : Phys. VIII. 8. 264. b 14 sq ، أيضاً ابن رشد : السماع ، حيدراباد ، ص ٦١ .

(٦) ابن باجة ورقة ٦٣ الف : والخط المستقيم ناقص عنه محدود بذاته ، وانما يتم بشيء خارج عنه . (ورقة ٦٣ الف) وكذلك الحركة المستقيمة ناقصة فغير تامة وانما يتممها شيء آخر غيرها وهو السكون .... فهي أول وآخر ووسط . قارن أرسطو : Phys. VIII. 9. 265 a 28 .

(٧) قارن ابن باجة ، ورقة ٢٣ الف : ولما كان المتصل ضرورة ذا أجزاء .

(٨) المخطوطة : آه .

(٩) انظر ابن باجة ، ورقة ٣٨ ب : فان الأقل والأكثر فيما له عدد ، والأعظم والأصغر فيما له اتصال . وأيضاً ورقة ٣٩ الف : ان كل متناسبتين فبينهما ضرورة معنى واحد بعينه مشترك يقبل الأقل والأكثر . قارن أرسطو : Phys. VIII. 8. 264 b 34

أعظم وأصغر من جهة انه بالفعل ذلك الجسم ، لأنه بما هو صار له ذلك العظم الموجود بالطبع . والأقل والأكثر إنما هما [١] موجودان للمتضادين من < جهة > أنهما موجودان بالفعل . والأكثر والأقل يقالان بالاقتياس ، فلذلك يلزم ضرورة فيما هيولاه واحدة أن يفعل كل واحد منهما وينفعل الآخر . وأما ما كان هيولاه [٢] ليست بواحدة لم ينفعل كل واحد منهما عن صاحبه ، بل تحرّك المتحرك وحرّك المحرك .

والهيولى إما قريبة وإما بعيدة . فاللذان هيولاهما القريبة واحدة بالنوع كالهواء والماء . وأما اللذان [٣] هيولاهما البعيدة واحدة بالنوع والقريبة مختلفة بالنوع فكالصانع والخشب في الكرسيّ ، ولذلك لا يكون صانع أعظم من صانع عند خشب واحد بعينه .

ولما كانت الهيولى البعيدة مشتركة لذلك قد يحرك الخشب الصانع مثل الكلال الذي يلحقه [٤] ، وعند ذلك الهيولى البعيدة . فان كل شيء يحرك شيئا - وهيولاهما شيئان غير مشتركين أصلا - لم يلحق الكلال المحرك ، لكن لكونه ذا هيولى ، لزم أن يكون للمحرّك [٥] عند المتحرك نسبة [٦] . وذلك

(١) المخطوطة : هو .
(٢) المخطوطة : متولاه .
(٣) المخطوطة : التي .
(٤) ابن باجة ورقة ٤٢ الف : « لأن المحرك والمتحرك اذا كانا جسمين فان المتحرك ضرورة حركته عنه غير طبيعية ، فان كان كل واحد منهما عند صاحبه أوّلا ، فكل واحد منهما يحرك صاحبه غير ان المحرك تفضل قوته ولذلك يحرك ، ولأنه يتحرك عن المتحرك لذلك يكلّ عن تحريك المتحرّك ، فان فرقاً بين كلال المحرك عن تحريكه المتحرك وبين كلاله اللاحق له من ذاته » . قارن فضل الرحمن : Avicenna's Psychology ص ١٤١ ، س ٥٨ .
(٥) المخطوطة : المحرك .
(٦) قارن ابن باجة ورقة ٤٢ الف : ولذلك ليست أيضاً تستمر النسبة بين المحرك والمتحرك .

كالأجرام المستديرة والاسطقسات . فإن كان المحرّك لا هيولى له فذلك المحرك يحرك دون كلال ودون [1] نسبة الى المتحرك في الكم لأنه ليس بذي أجزاء . وان لم يكن مكتفياً بنفسه (ورقة ١٤٧ ب) يتبع تحريكه نسبة الى المعاضد له فان أمكن أن يكون تارة يحرك وتارة لا ، كالعقل ، وحرك تحريكاً مختلفا كما يعرض في أكثر [2] المتوسطة .

فإن كان مكتفياً بتحريكه بنفسه فذلك محرك ضرورة دائماً أو حركة سرمدية متشابهة كالمحرك الأول .

فالمادة في كل جسم يحتاج في وجودها ضرورة الى التلبس بصورة إما قريبة وإما بعيدة . والأمر فيها على ما يقوله فلاطن [3] انها لفقرها وقبحها يهرب من أن يظهر بنفسها فكأنها تستتر بأي صورة امكنت [4] . فهذه الأحوال تلحق المادة عند تجردها عن الصورة . فلننظر ما يلحق الصورة عند تجردها وكيف يكون ذلك .

والمبدأ الذي يقضي [5] على ذلك هو أن الجسم المشار اليه عند وجوده يشار اليه فان الصورة فيه والمادة لا تغاير بينهما أصلا [6] بوجه إما بالقوة وإما بالفعل . فهما شيء واحد [7] وهو ذلك الشخص المشار اليه .

---

(١) المخطوطة : ويحرك دون .

(٢) المخطوطة : الاكثر .

(٣) قارن : Plotinus : Enneads II (Mack.) p. 182 & 195 — 6 ، ويظهر ان افلاطون لم يقل به في طياوس .

(٤) وبيّن زيلر (Zeller) نزوع المادة الطبيعي وتشوقها الى الصورة في كتابه أرسطاليس ص ٣٩٢ ج ١ .

(٥) المخطوطة : يقضا .

(٦) قارن أرسطو : Met. O. IX. 8. 1050 a 15 .

(٧) قارن ارسطو : Met. H. VIII. 1045 b 21 .

وان كل شيء هو غرام مّا [١] ، فان الشيء متى وجد مفارقاً للأمر ، فان الأمر قد يوجد مفارقاً للشيء .

وأما كيف يكون شيئان لا تغاير بينهما بالفعل أصلاً فيكون التغاير بالقوة ، فعلى ما يكون الجزء في الكلي المتصل المتشابه الأجزاء ، فإن الجزأين في الكل واحد بالفعل متغايران بالقوة . فان التغاير هو من وجه من أجل الصورة ، ومن جهة أخرى من أجل المادة . وأمّا كيف تكون الصورة والمادة شيئاً واحداً بالفعل ويتغايران [٢] بالقوة ، والقوة أبداً إنما هي المادة فقد بان أمره فيما بعد الطبيعة [٣] . والقوة هنا تدل على غير ما يدل قولُنا « بالقوة » [٤] فيما يتغير فليس وجود الصورة هنا غير المادة بالقوة على ان أحدهما يتغير فيفترق المجتمع ، بل على جهة أخرى [٥] . فان الصورة المختصة بذلك المجتمع اذا فسد فسدت ضرورة ، وتتصور المادة بصورة أخرى [٦] ، ويصير بذلك التشكيل مجتمع آخر ، غير أن نسبتها إلى نوع الصورة الأولى توجد عند ذلك فيها [٧] ، فتصير بهذه

---

(١) ابن باجة ورقة ٥٤ الف : كل واحد من هذه تتشوقه بالطبع غريزة فيــه . والمادة نزوع طبيعي الى الصورة بينه ارسطو انظر : Zeller; Arist. I. p. 379 : De Gene. Cor. II. 10. 336 b 4 ابن رشد : تفسير ما بعد الطبيعة ص ١٣٦ .

(٢) المخطوطة : يتغاير .

(٣) قارن أرسطو : Met. K. XI. 1060 a 20; 107 = b 12; 1071 a 10; 1042 a 27 .

(٤) المادة والصورة متقاربتان ، ووجود الصورة حقيقة فعل ما بالقوة ، والمادة ، كما ذكره زيلر (Zeller) ، في ذاتها أو قوتها هي التي فعلها صورة ، انظر : Arist. Vol. I p. 379 .

(٥) يعني المادة تختلف عن الصورة بالذات فقط ، فما بالقوة من حيث هو هو لم يتغير ولم يقبل الفعل بعد .

(٦) والمادة لا توجد منفردة عن الصور أصلا ، بل تنفرد فتوجـــد مقترنة بصورة أخرى . النص نفسه والتعليق ٩ السابق . زيلر (Zeller) : Arist. I. p. 382 .

(٧) النص العربي آخر ورقة ١٤٩ ب : لأن نسبتها الى الهيولى فيها .

النسبة محاكية لما بالفعل (١) ، وقد استُقصِي القول فيها في غير هذا الموضع .

فأما الصورة فلا يمكن فيها أن تحرك (٢) كما أمكن في المادة فتصير غيرا ، إلاّ انها غير بالضرورة . فكيف توجد غيرا ؟ أما أنها لا تتحرك بالذات فذلك بيّن ، لأنها غير منقسمة (٣) وأما أن تتحرك بالعرض فذلك غير ممتنع ، كما تبين في السماع (٤) . لكن حركتها بالعرض كيف تصير بهـا شيئا ، والحركة بالعرض ؟ وكيف وجود هذه الحال لها حتى تصير بها غيرا ؟

فنقول : إن من الأمور التي يجب أن يعترف بها ان الطبيعة لا تصنع أمراً باطلا ، ولا في الوجود أمر باطل أصلا . وكل موجود إما أن يكون لأجل غيره أو لأجله (٥) . (ورقة ١٤٨ الف) وما هو لأجل غيره فغايته اتصاله بذلك الشيء <الذي> وُجد له .

والاتصال إمّا في [الوجود] فالأمر فيه كاتصال النفس بالبدن واتصال

---

(١) المادة لاقترانها بالصورة الأولية تصير محاكية لما بالفعل فتحرك صورة أخرى (النص) فان المادة نفسها ليست شيئاً أصلاً بالفعل ، والمتغير ضرورة موجود بالفعل شيئاً ما فلذلك كان عندما يتحرك موجوداً بالضرورة فيحتاج الى الصورة ويتغير في العرض وهو موجود بالصورة التي هي فيه ، انظر النص ورقة ١٥٢ ب ، وقارن أرسطو : Zeller : Arist I. 383; De Gen et Cor. II. 9. 335 b 17; b 30 .

(٢) انظر ابن باجّة ، ورقة ٢٢١ الف ٣ فلذلك يقال انها (الصورة) ساكنة لأنها لا تتحرك بل تعدم وتوجد ، لا يتغير ذاتهـا لا بكون ولا فساد ، وقارن أرسطو : Phys. V. I. 224 b 25 .

(٣) النص نفسه ورقة ١٥٣ الف : وهي غير ذات أجزاء .

(٤) انظر التعليق (٢) أعلاه ، وأصّل ابن باجة قائـلًا (ورقة ٢٢١ الف) : وهذه الصورة فلا تتحرك لأنها ليست أجساماً بل ان تحركت فبالعرض كما يقال في النحو انه متحرك اذا تحرك النحوي .

(٥) اما ان الموجود ينقسم الى لذاته ولغيره فذلك أيضاً يفهم من ورقة ٢٢٠ ب : والنبات فليس من الموجودات لذاتها ، بل من الموجودات لغيرها من الأجسام .

المتغير بالمغير سواء كان تغيراً أو انفعالا أو [1] ملكة وما يجري مجراها ، وإما [2] اتصال الهيولى وهو اتصال الجسم بالجسم ، وهو أصناف : فمنها اتصال الجسم بما فيه الجسم وهو الاتصال بالمكان ، ومنها اتصال الجسم المحرك بالجسم المتحرك . وأقدم هذه الاتصالات الاتصال بالمكان على ما تبيّن في سابعة السماع [3] . إذ كان كل متغير فله مغير .

والاتصال يقال على اتصال الوجود [4] واتصال الجسم بتقديم وتأخير . والاتصال بالمكان هو اتصال الجسم بالجسم بالذات وأما سائر ذلك فهو < اتصال الجسم بـ > الجسم [5] بالعرض .

وظاهر أن كل شيء إما أن يكون جسماً أو في جسم أو لا يكون جسماً أصلاً ولا في جسم . وأعني بقولي «في جسم» كل ما يحتاج في وجوده الى الجسم ، فانه قد يبرهن أن موجوداً مّا لا يحتاج في قوامه الى الجسم بل يحتاج الجسم في قوامه اليه ويكون متصلاً بالجسم على هذه الجهة كما تبين ذلك في آخر الثامنة من السماع ، وفي [6] السادسة عشر من الحيوان [7] . «فهذا»

(١) المخطوطة : و . (٢) المخطوطة : .... مجراها منها .

(٣) قارن أرسطو : Phys. VII. I. 242 b 24 .

(٤) النص نفسه ورقة ١٤٩ الف : وهذا الاتصال ... الا في الوجود .

(٥) المخطوطة : فهو الجسم . (٦) المخطوطة : ومن .

(٧) الظاهر ان ابن باجة يشير الى الباب الثامن من كتاب السماع الطبيعي والباب السادس عشر من كتاب الحيوان ، ولكن أرسطو ، كما يفهم من المقالتين في كتابيه ، لم يذكر الاتصال بالمعنى الذي وصفه ابن باجة في هذا المقام . والذي قاله أرسطو في الكتاب الثامن من السماع ، ولعل ابن باجة قصده في نظريته ، « ان كل ما هو محرك بالذات متصل » (5. 227 b 1) ، وانظر أيضاً Phys. III. I. 200 b 7 ، « فالحركة من الأشياء التي هي متصلة » ، أيضاً Phys. VI. 2. 232 b 24; V. 3. 227 a 10; IV. II. 218 b 11 ، وللمادة كتاب الحيوان انظر Der Portibus Animalium II. 9. 654 b 14 . وفي آخر الكتاب الثامن من السماع بين ابن باجة : « وبين ان المتحرك عن مثل هذا المحرك (أي الأول) دائم الوجود ، وسبب دوام وجوده اتصاله بمبدأه ، ومبدأه أول وهو يمده دائماً بالوجود لأنه فيه ومتصل به .

ليس بجسم ولا في جسم ، وهذا لا يمكن أن يكون له اتصال إلاّ بالوجود فقط . فلذلك إن كان شيء وجوده لغيره وكان ذلك الذي وجد من أجله جسماً لزم ضرورة أن يتصل المتقدم بالمتأخر اتصالاً جسمانيا . وإن كان المتأخر ليس قوامه بذلك المتقدم حتى يكون المتأخر في المتقدم كالصحة في الانسان . فضرورة سيكون «هذا» جسماً ، فانه ان لم يكن جسماً لم يكن بين المتقدم والمتأخر اتصال أصلاً .

والصور الهيولانية لم توجد لأنفسها بل كانت من أجل غيرها ، فإن الطبيعة لا تفعل شيئاً باطلا . وتبين [1] في كتاب السماء والعالم [2] ان الاسطقسات لأجل الأجسام المستديرة [3] ، لأن الجسم المستدير فيها على جهة ما الجسم في المكان ، وهي في الجسم المستدير على جهة ما الجزء في الكل . فان العالم كأنه حيوان واحد مفرد ليس يحتاج إلى شيء من خارجه اصلاً ، فبالضرورة كانت صورة الاسطقسات في مادة . ولما كان السبب على طريق الغاية هو التام ـ وهو الوجود الأفضل ـ فلذلك كان وجوده بعد الاسطقسات ضرورة في موضوع لوجود ما هي من أجله كذلك . فإنه لو لم يكن ضرورة المستدير في موضوع لم تحتج هذه ان تكون في موضوع ، فوجود تلك الصور في موضوع هو سبب وجود هذه في موضوع . فالجسم يقال على تلك وعلى هذه بتقديم وتأخير . وقد استبان ما تشكك فيه أبو نصر في مقالته في

(١) المخطوطة : وىىں .

(٢) والفلاسفة العرب يسمون الرسالتين الشهيرتين بـ De Caelo و De Mundo ، وهما لأرسطو ، بكتاب السماء والعالم .

(٣) قارن أرسطو : De Caelo III. I. 298 a 30 و De Mundo 2. 391 b 9 .

العقل والمعقول (١) .

(ورقة ١٤٨ ب) وقد تبين أن المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة (٢) حسب ما وضعه ارسطو ، لكن من أجل وجودها الأخير لا من أجل وجودها الأول و [الشك] إنما لزم من أجل وجودها الأول . وقد يتشكك على هذا القول : فيقال ان الوجود الأخير هو الأفضل ، ووجودها الأول هو الأنقص فيكون الوجود الجسماني أفضل من الوجود المعقول ، وهذا مناقض لما يقوله فلاطن والمشهور من مذاهب المشائين .

فنقول : إن قولنا «وجود أفضل» يقال على نحوين : إما بالإطلاق ، فإن الوجود المعقول أفضل من الوجود المحسوس (٣) وذلك بيّن لأن المعقول أحرى بالوجود من المحسوس ، فإن ذلك مبدأ لهذا (٤) ، وقد بيّن ذلك فلاطن

(١) الظاهر ان ابن باجة يشير الى ما قاله الفارابي في رسالته في العقل (تحقيق بوئيج Bouyges ، ص ٣٠) ان الصور التي في العقل بالفعل والتي تتجرد عن المادة إن كانت موجودة بغير المادة فماذا تحتاج الى المادة ، ولم تتنزل من الكمال الى النقص ؟ وانما أشار الفارابي الى الجواب حيث يقول : « يقال انها تتنزل لتكميل المادة في الوجود » ، وزاد قائلاً : « هذا يدل ان الصورة وجدت من أجل المادة فقط » وهذا يخالف ما قاله أرسطو . أمّا ابن باجة فانه يبين ان السبب هو التام على طريق الغاية فيكون ضرورة في موضوع ، فان الاسطقسات التي هي من أجل التام ضرورة في موضوع ، فوجود الصور في موضوع هو سبب وجود الاسطقسات في موضوع ، فالاسطقسات والصور أجسام بتقديم وتأخير .

(٢) لم يصرّح ابن باجّة ان المادة انما وجدت من أجل وجود الصورة ، ولعله أراد النسبة التي بيّنها لها في ورقة ١٤٦ ب : « ان امكن ان تكون صورة لا مقابل لها فان المادة التي فيها انما هي موضوع فقط الخ » ، ولا صرّح أرسطو واضحاً هذه المسألة . راجع Phys. III. 7. 207; I. 7. 191 a 10: 9. 192 a 22 .

(٣) هذا يتضح مما قاله ابن باجّة في موضع آخر : ورقة ٢٢١ الف س ٩ : « وأنفس الحيوان تتقدم بالزمان الجواهر المعقولة في الاسم ، والجواهر المعقولة هي أخلق في الوجود بهذا الاسم » .

(٤) قارن زيلر : Zeller : Arist.. II. p. 338. 5 .

وأرسطو وكثير من المشائين . والأحرى بالوجود يقال انه أفضل وجودا ، وقد يقال «وجود أفضل» بالإضافة الى نوع نوع من الموجودات ، لكن ليس انه [1] من أجل ذلك الموجود [2] فيكون للوجود الاسم الذي لذلك الموجود ليس من جنس الأفضل ، فيكون إنما وجوده الأفضل هو من جنس الوجود الأنقص . ويكون هذا الأفضل لا من أجل أنه النوع من الوجود بل هو له من أجل شيء يخصه [3] . فلذلك قيل ان الصورة الهيولانية معقولة لا بذاتها بل من أجل أن العقل جعلها كذلك .

لكن قد يتشكك متشكك فيقول : ان هذا الوجود اللاحق للصور الهيولانية لو لم يكن في ذاتها ووجودها أن تكون معقولة لم تعقل . لأنه كل شيء يوجد لأمر ففي طبيعة الأمر قبول ذلك الشيء . وما لم يكن في طبيعته قبول شيء ما لا قريبا ولا بعيدا فلا يمكن ان يوجد له لا بالذات ولا بالعرض .

فنقول : إما أن يكون في طبيعة الصور الهيولانية أن تكون معقولة بوجه فذلك مما لم يوضع في القول ، وإمّا أن يكون ـ في وجودها الذي يخصها ـ وجودها معقولة ، فلا . لكن يكون مما به قوامها قبول [4] للوجود المعقول ، فاذا اتصل بها المحرك صار لها ذلك الوجود ، فلذلك تحتاج في ذلك الوجود إلى شيء آخر . وهو اتصالها بالمحرك وهو لها من خارج . فلذلك ليس في ذاتها أن تكون معقولة بل أن يجعلها عقلاً غيرُها . فلذلك تحتاج الى هذا الاتصال دائما لتكون معقولة ، ويتم لها كلها في وجودها فيكون كمال وجودها الخاص بها هو من جنس الوجود الناقص ، فاذا أخذت قسطها من الوجود الأفضل

(١) المخطوطة : ان .
(٢) المخطوطة : الوجود .
(٣) المخطوطة : بحصه .
(٤) المخطوطة : قبول .

كانت حينئذ مقتصرة على وجودها الأفضل [1] . (ورقة ١٤٩ الف) [فلأجل] هذا كل متبرىء من المادة وهي [2] ضرورة مفارقة كما يقال في العقل المستفاد .

لكن قد يتشكك على هذا القول ، فيقال : ان وجود الصور معقولة هو وجودها غير مقترنة بفعل فقد لزم أن يكون في الطبيعة شيء باطل ، فيعود الشك بعينه .

فنقول : ان هذه الصور الهيولانية قد تكون محسوسة ومتخيلة فتكون عند ذلك محركة للشهوة والغضب ولأشياء أخر كثيرة [3] . فتكون لها أفعال إما في وجودها في المواد التي تخصها فتلقب بألقابها ، وإمّا في وجودها محسوسة ومتخيلة فلا تلقب بتلك الألقاب ، بل بلقب الجنس نفساً [4] متحركة ولا اسم لصنف صنف منها يخصها .

لكن قد يسأل سائل فيقول في وجودها معقولات مثل ذلك بعينه . ووجودها معقولة ان بعضها لا يوجد شيء بفعله أصلاً . لكن هذا الشك انما يجب أن يفحص عنه عند النظر في وجود العالم ونسب ما فيه بعضها الى بعض . فإن وجود المعقول من أجل غيره غير وجود الهيولاني من أجل غيره ، بل الوجودان متقابلان [5] . ولهذا [6] قال أبو نصر : « ويصير أحد موجودات

---

(١) المخطوطة : وجوديها الافضلين .

(٢) المخطوطة : هو .

(٣) راجع أرسطو : Arist. : De An. I. 403 a 16 .

(٤) أيضاً : Zeller : Arist. I. p. 220 ft. ; Arist. : Met. VIII. 6. ch. 28. 1024 b 3 .

(٥) راجع زيلر : Zeller : Arist.. I. p- 351 .

(٦) في نسخة برلين عنوان مستقل : « في الحس » .

العـالم » (١) .

ولما كان المحرك يفعل حينا ولا يفعل (٢) حينا آخر وجب أن يكون هناك تغير ضرورة . إلاّ أن المحرك ليس بجسم ، فالتغير إذن في الصورة الهيولانية . ولما كان كل ما ليس منقسم فليس متغير كان لها التغير (٣) بالعرض (٤) وهو أن توجد لمتغير . فهي إذن ضرورة تحتاج أبداً الى الهيولى لتتغير بها (٥) . وهذا الاتصال ليس يقال بالتغير في بالمكان ، لأن أحدهما ليس بجسم وليس يقرب أو يبعد ، فليس إلاّ في الوجود (٦) .

ولذلك يكون للهيولاني ضربان من التغير ، يتقدم أحدهما الآخر على نحو ما يتقدم مبدأهما (٧) : أما الواحد فهو التغير (٨) في المكان ومبدأه الوجود الهيولاني من أجل انه هو في موضوع . فان الهيولاني إنما يدل عليه من أجل

(١) راجع رسالة في العقل ، نشر بويج (Bouyges) ص ١٧ : « فاذا حصلت المعقولات بالفعل صارت حينئذ أحد موجودات العالم وعدت من حيث هي معقولات في جملة الموجودات » . والعبارة تدل على أن المعقولات تختلف من الأجسام . وابن باجّة يوضح الأمر عندما يصف ان الحس المشترك لا يوجد في نفسه ، واذا يدرك بالحس فيصير شيئاً مشاراً اليه وأحد موجودات العالم . راجع ورقة ٢٢٠ ب : فاذاً إنما يعطى المني المادة قوة الحس المشترك فيما له ذلك ، وليس هو في نفسه شيئاً موجوداً . واذا أحس صار شيئاً مشاراً اليه وأحد موجودات العالم ، واذا كان بحيث يبقي فيه رسوم أحس بعد غيبة المحسوس صار بالفعل شيئاً مشاراً اليه وصار أحد موجودات في العالم .

(٢) المخطوطة : يفعل .

(٣) المخطوطة : المتغير .

(٤) راجع النص ورقة ١٥٣ الف : فتغير الصورة ... بالعرض .

(٥) قارن أرسطو : Arist; Met. 1010 a 15; Phys. VIII. 3. 253 b 9 sqq .

(٦) راجع النص ورقة ١٤٨ الف : والاتصال اما في الوجود الخ ، . . . على اتصال الوجود .

(٧) المخطوطة : مداهما .

(٨) المخطوطة : المتغير .

أنه كاين لا من أجل أنه موجود ، والتغير الآخر من أجل هذا الوجود الخارج عن ذاته الذي يتقدم ذلك الوجود الآخر كما تتقدم حركة المكان سائر الحركات . فأما التغير في الكم – مثل النشوء –[١] فذلك خاص ببعض الأجسام الهيولانية وهي المتغذية .

والتغير في الوجود هو أن يصير «هذا» في رتبة أقرب الى الوجود[٢] . وذلك بأن توجد لها مغايرة ما . وقد قلنا ان ذلك ليس يمكن فيها إلا من أجل المحرك والمتحرك لا يحرك[٣] . فظاهر أنه يجب (ورقة ١٤٩ ب) أن يكون الوجود يخالط الاسطقسات ليس بواحد هو منها أحرى بالوجود من الهيولاني[٤] وهو مشوب مع الاسطقسات[٥] يكون تارة تحريكه بمحرك مجانس له وهو الذي في ذوات الأنفس المتناسلة ، وبعضه تحركه الأجسام المستديرة كأنفس المتكونة غير المتناسلة .

ولأن القول في وجود الصور الهيولانية مجردة عن الهيولى ، وهذه هي العقل بالفعل[٦] فقد تبين أن ذلك هو السبب الأقصى[٧] مما قلناه قبل .

---

(١) المخطوطة : النش .

(٢) مراتب الوجود بيّنها ابن السيد البطليوسي من رفقاء ابن باجة ، في كتاب الحدائق ، ويقول في ختام البحث : فانما أريد بذكر القرب والبعد مراتبها في الوجود . راجع الأندلس : Al - Andalus : vol. V. 1940 p. 64. 5 ، ميدرد .

(٣) المخطوطة : لا يتحرك .

(٤) المخطوطة : الهيولانية .

(٥) قارن أرسطو : Phys. III. 4. 204 b 32 .

(٦) راجع التعليق (١) ص ٣٩٤ من الجزء ٣ من هذا المجلد (الفصل الثاني) .

(٧) كما قال ابن السيد في حدائقه (الأندلس vol. V. 1940 p. 65. 8) : أول الموجودات التي خلقها الله تعالى الثواني التسع والعقول المجردة عن المادة ، ويتبعها العقل بالفعل الذي يخدم الاسطقسات وهو مجرد عن المادة مثل الثواني ، وهو عاشر في مراتب الوجود .

وكان هذا النحو من[١] الوجود في[٢] الهيولى لا يمكن أن يكون موجوداً بالفعل حتى يكون بأحوال محدودة من الاغتذاء[٣] والأمكن أن يكون مختاراً من الغذاء الملائم الى ساير ما لا يتم وجوده إلاّ به وهو الإنسان .

فبالضرورة تقدمت إذن القوة الناطقة ساير[٤] قوى النفس في الوجود ، ووجدت ساير القوى لأجل هذه التي هي أفضل ، فلذلك تكون والتخيل من أجل القوة الناطقة ، ولم يكن ذلك[٥] بالضرورة كما يعتقده من يرى أن الاسطقسات لما اختلطت باعتدال عرض عنها الحس بالاتفاق .

والصورة إذن لها مراتب : أولها كونها وجودها هيولانية[٦] ، وهذه فلا مغايرة فيها أصلا . وهي الطرف الأقصى ، وطرف آخر مقابل له وهو وجودها معقولة ، وهو طرف أقصى . إلا انه في وجودها معقولة <يجب> أن يكون لها وجود هيولاني ويكون ذلك مما به قوامها . فإن ذلك هو مبدأ وجودها . وإن التام هو أخلق المبادي بأن يكون مبدأ فلذلك لا تمكن هذه أن تجرد من الهيولى أصلاً . ومتى جردت كانت مخترعة كاذبة . فلذلك لزم ضرورة أن يكون النظر الطبيعي في «الصور مع المواد» . وتلخيص هذا يكون في القوة الناطقة[٧] فهي أبداً لا تخلو[٨] من موضوع إذ كذلك طبعت .

(١) المخطوطة : في .
(٢) المخطوطة : من .
(٣) قارن ابن باجة : ورقة ٥٤ الف : وأما الحيوان فانه كما قيل في مواضع كثيرة بالطبيعة يغتذي .
(٤) المخطوطة : وساير .
(٥) أي قوة الحس لم تكن بالضرورة ولكن الحس والتخيل هما وجدا من أجل القوة الناطقة .
(٦) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس . بتحقيق أحمد الأهواني ، ص ٧٣ . ١٦ وحيدراباد ص ٦٧ .
(٧) انظر ورقة ١٦٤ الف : «فإن كان ذلك فلها هيولى الخ» .
(٨) المخطوطة : لا تخلوا .

فاذا وجدت متغايرة فظاهر أنه قد اتصل بها المحرك على قدر تغايرها • وذلك تابع لمقدار التجرد • فكذلك كل صورة هيولانية ، أعني أن توجد في موضوعها على أن الموضوع هيولى لها • فهي والاسطقسات في رتبة واحدة • فأمّا اذا وجدت منتزعة نحواً من الانتزاع سواء كانت مجردة أو كان لها موضوع - إلاّ ان حال موضوعها منها ليست مثل حال الهيولى من الصورة - فإن ذلك كيف كان فيقال له إدراك •

فأمّا تجرد الصور الهيولانية فذلك غير ممكن لأن نسبتها الى الهيولى فيها على ما تبين قبل هذا [١] • فلذلك يكون في ذوات (ورقة ١٥٠ الف) الصور ضرورة معنى به تتصل بالهيولى ، فما دام اتصالها [بالهيولى] كانت عقلاً واذا تجردت [٢] الهيولى صارت عقلاً بالقوة •

وهذا التجرد مراتب ، وكل رتبة يقال لها « نفس » ، و « قوة نفسانية » وهي رتبة : منها الحس ثم التخيل ثم النطق وهو [٣] أقصاها • فأما المغتذي فأيّ رتبة رتبته فسنبين أمره بعد • وقد قلنا من أجل ماذا كانت هذه الرتب ، وانها كلها من أجل الناطقة •

وأمّا ان هذه رتب فذلك بيّن بنفسه • فان الحسّ والتخيل أمران ظاهران الوجود •

فأمّا أيّ هذه هي الحس وكيف يكون ، فبيّن ما نقوله :

فنقول : إن من الأمور الظاهرة ان الحس يكون بالفعل [٤] كحال الحيوان المنتبه عندما يحس ، وقد يكون بالقوة مثل حال النائم والغالق عينيه • والقوة

(١) انظر ورقة ١٤٧ ب : « غير ان نسبتها الى نوع الصورة الأولى توجد الخ » .
(٢) المخطوطة : تحركت .
(٣) المخطوطة : وهي .
(٤) قارن أرسطو : De An.. II. 5. 417 a 6; 22 sqq. . أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الأهواني ، ص ٣٠-٢٠ ، حيدراباد ص ١٧ .

منها قريبة ومنها بعيدة[١] . والبعيدة كقوة الجنين على الحس ، والقريبة كحال حاسة الشم عندما لا يحضر مشموم ، وحال البصر عند الظلمة . وكذلك من الأمور المعترف بها ان لا يحس أي نوع شيئاً من الحس بأي عضو[٢] اتفق . فان الحيوان لا يبصر بفمه ولا يذوق بعينيه .

و كل ما بالقوة فانما يصير بالفعل بأن يتغير بمغير كما تبين في ثامنة السماع[٣] . فقد يجب أن يكون في الحس متغير ومغير[٤] . وبيّن أن المتحرك غير المحرك . فالمحرك هو المحسوس ووجوده محركاً ظاهر بنفسه والمتحرك هو الحاسة .

وكل متحرك فانه بالقوة ذلك الذي اليه يتحرك فالحاسة لها قوة الحس ، والقوة على ما تبين في مواضع كثيرة هي في الهيولى[٥] . فلننظر أي هيولى يجب أن تكون هذه .

فنقول : ان الهيولى تقال بتقديم على الهيولى الأولى المشتركة الكائنة الفاسدة وهي بالقوة ذلك الشيء الذي من شأنها أن تقبله . وهي في غير ذاتها غير مصورة لكنها كما قلنا مقترنة بصورة[٦] ، فلذلك يوجد لها أبداً أحد الأضداد . وذلك ان الصور الأولى التي هي صور الجواهر كالخفة والثقل[٧] ، فلا توجد

---

(١) قارن أرسطو : De An. II. 5. 417 a 30; b 19. 30; 418 a 1 أيضاً ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ص ٢٠ .

(٢) راجع ابن رشد : تلخيص كتاب النفس ، الاهواني ، ص ٢٥ ، حيدراباد ص ٢٢ ، ١٠ .

(٣) انظر النص نفسه ورقة ١٤٣ الف ، والتعليق ٢ و ٤ من ص ٤٢٦ من هذا المجلد .

(٤) قارن أرسطو : De Somno I. 454 a 9; De An. II. 5. 416 b 33 .

(٥) انظر النص نفسه ورقة ١٤٧ ب : والقوة ابداً إنما هي المادة الخ .

(٦) النص نفسه آخر ورقة ١٤٦ الف . وورقة ١٤٦ ب : وهي لا تخلو من صورة أصلا الخ . وابن رشد : المصدر نفسه ، الأهواني ، ص ٢١ وحيدراباد ص ١٧ و ١٨ .

(٧) انظر ابن رشد : المصدر نفسه ، الاهـواني ، ص ٧٣ ، ١٦ وحيدراباد ص ٦٨ ، ١٩ .

خلواً من هذه . وكذلك في الأعراض التي تنسب الى الأجسام من أجل ما هي أجسام ، فان الهيولى انما يوجد لها من الأعراض الأول أحد الأضداد(١) ، وأول الأعراض وجوداً فيها الأطوال . فلذلك توجد أبداً مجسمة . فأما لمَ كانت الأطوال أول الأعراض اللاحقة لها فقد أعطي السبب فيه في غير هذا الموضع . ثم من بعد ذلك أنواع ، الكيف والأين الى ساير ما للجسم من المقولات العشر . فكل صورة في مادة فان الأطوال تلزمها . لأن الصورة إمّا أن تكون لبسيط ـ فقد قيل ـ لها من أجل المادة الأطوال ، أو تكون لمركب ، فهي عن ذوات الأطوال . ويلزمها من أجل صورتها النوع من الطول الذي (ورقة ١٥٠ ب) يوجد لها سواء كانت نسب أبعاده الثلاثة بعضها الى بعض محدودة كالحيوان أو كانت لها بالعرض كقطعة ذهب فإنها قد تكون كرة فتكون أبعادها الثلاثة متساوية ، فاذا مدّت فصارت مستطيلة تقرب أبعادها بعضها الى بعض .

والمحسوسات هي أعراض في أجسام هيولانيـة وهي التي تخص بالأجسام الطبيعية أو صور الأجسام الطبيعية . والأعراض الطبيعية إما خاصة بالأجسام الطبيعيـة كالحر والبرد والصلابة واللين ، وإما مشتركة للأجسام الطبيعية والصناعية . إلا أنها للصناعية متأخرة وللطبيعية متقدمة . فالمحسوسات إذن هي صور في أجسام طبيعية ، فإن الأعراض تجري مجرى الصور . وبيّن أن هذه كلها صور هيولانية ليس لصور واحدٍ منها شيء من الانتزاع(٢) .

والأعراض الطبيعية منها محركة ومنها متحركة . والمحركة منها مجانسة(٣)

---

(١) أيضاً ، ص ١٠٧٤ وحيدراباد ص ٥٠٦٩ .

(٢) المخطوطة : الانواع ، وبالهامش الانتزاع .

(٣) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : والمحرك صنفان .... واما مجالس ....

للمتحرك وهي [1] الشيء الذي يصير المحرك مثله كالنار ، < ومنها > غير مجانسة [2] كالنار لتصليب الطين .

وما تحرك عن نوعه فليس يصير ذلك المحرك ولا يصير له ذلك المعنى المختص بالمحرك من جهة ما هو ذلك المحرك فلذلك [3] تحركت الى النوع [4] فانها [5] لو تحركت الى ذلك الشخص من أشخاص من نوع المحرك لما أمكن ان تحرك خشبة مًّا . بل كانت [6] تحركها نار ما بعينها ، كحركة العاشق للمعشوق ، فانها [7] ليست تتحرك الى أي انسان اتفق مثل الانسان بعينه ، وهذا بيّن بنفسه .

ولذلك تبين في المحرك انه انما حرك لابانه ذلك الذي في المادة من أجل انه في المادة بل حرك من جهة انه ذلك النوع ، كما يشاهد ذلك في الأجسام الممتزجة ، فإنها تتحرك بحركة الأغلب من غير أن يكون هنالك عند الامتزاج الخيار . ولا تغاير إلاّ أن يكون هناك متضادان وهنا انما هو أحد الأضداد فقط ولا معنى فيه [8] للمادة بل هي فيه كأنها ليست بموجودة وكأن الصورة موجودة في الجسم فقط . وانما تبين أمرها كما ذكرناه [9] عند التغير .

(١) المخطوطة : وهو .
(٢) المخطوطة : غير مجانس .
(٣) المخطوطة : بل .
(٤) أي الصورة الخاصة التي تتحرك الى النوع يقال لها الطبيعة أو ما يجري مجراها ، كما ذكر ابن باجة في تدبير المتوحد ص ٦٨ : ... الطبيعة ، فانّ العاطش مثلا يجد في نفسه صورة روحانية للماء (في الأصل : الماه) والجائع الطعام (في الأصل : الطمام) .... وأما ما يجري مجرى الطبيعة كالعاشق للمعشوق وبالجملة فالمشوق للمتشوق .
(٥) المخطوطة : فانه .
(٦) المخطوطة : كان .
(٧) المخطوطة : فانه .
(٨) المخطوطة : فيها .
(٩) انظر النص ورقة ١٤٦ ب : فالصورة إما أن تكون لها مادة لا على انها هيولى لها الخ .

وليس هذا هو الوجود الذي وقع به التغايير بل هذا هو وجودٌ للصورة التي يخصها من أجل ذاتها .

فان وجدت هذه الصورة وقد غايرت المادة على النحو الذي قلناه (١) ، فانها تكون على أحد نحوين : إما أن تكون كانت موجودة متغايرة فحضرت عند الادراك ، وبيّنٌ أن هذا محال ، فانه يلزم أن تكون صورة هذا الكاتب مثلاً بوجوده عند الحاسة (٢) قبل ادراك المحسوس (٣) . وإما أن تكون تحدث فيلزم أن تكون بالقوة ، وما بالقوة فهو هيولى . لكن إن كانت تلك الهيولى له فالحادث مثله هو ، لأنه يلزم أن يكون (ورقة ١٥١ الف) الحادث جسما فيكون بالحس ذا عظم في نفسه فلا يحض الصغير ما هو أكبر منه لأنه يكون الجزء ليس بأصغر من الكل ، وهذا محال .

وانما تتصل بالمحرك غير الاتصال الأول ان كان هناك اتصال . وان كانت الهيولى بحال أخرى حتى تكون اذا كانت بحال مًا اتصلها ، واذا كانت بحال أخرى لم يتصل بها - وتلك الحال هي النفس - أو تكون مواد لا من نوع واحد فكيف تكون مادة بلا صورة أصلا ؟ وكيف يتحرك ما هذا سبيله وكيف كان ؟ فانّ المحرّك قد اتصل بهذا المتحرك غير اتصاله بالهيولى حتى صارت تقبل الصور هذا النوعَ من القبول ، إذ لا يمكننا أن نضع أن

---

(١) راجع النص ورقة ١٤٧ ب : الا" انها غير بالضرورة .... ورقة ١٥٣ الف : اذا كانت الصورة قد غايرت .... فتتغير الصورة لذلك بالعرض .

(٢) المخطوطة : الحاسب .

(٣) استدلّ ابن باجة على ان الصور الروحانية لا تتجرد عن الأجسام والا لزم محالات بدليل آخر يشبه ما ذكره في النص ، ورقة ٢٢١ الف و ب : « ولو وجدت (أي الصور الروحانية) مفارقة لازم أحد أمرين : اما أن يكون أجساماً ولذلك تتصل بالأجسام وكونها أجسام محال ، وأيضاً فلو كانت موجودة مفارقة لازم من ذلك أيضاً محالات كثيرة .... وهو وجود أشخاص الاعراض مفارقة لأن هذه الاعراض هي التي تحرك فيلزم ما يلزم وهو وجود الاشخاص قبل وجودها .

الحس يحرك المحسوس (١) . ولو وضعنا ما وضعه جالينوس في الأبصار فعل ذلك المحسوس ولافترق . إلاّ أن جالينوس يضع المحرك المتحرك يتحرك الى المحرّك وهو المحسوس (٢) ، وأرسطو يضع ان المحرك هاهنا هو المحسوس ، هو الذي يتحرك بنحوٍ ما إلى المتحرك ، لأنّ المحرك يجب أن يكون بالفعل . وهذا بيّن بنفسه . وهذه القوة هي نفس بالجملة .

ولما كان الأمر على ما تبين ، وأن كل كائن فاسد فهو جسم ملموس (٣) . وكان كل ملموس (٤) فهو إمّا بسيط وإما مركب . وكانت البسائط هي الأربعة وهي المعدودة في مواضع كثيرة ـ واحد المواضع في الثانية عشر من الحيوان (٥) . وقد تبيّن أن كل جسم حساس فهو مركب (٦) وليس ببسيط ، وانه على ما تبين من أرض ليكون له قوام ونهاية مخصوصة ، فانه ليس يوجد حيوان متشابه الأجزاء ، ولا نبات . وكل مركب فإمّا أن تكون اسطقساته التي تركب منها (٧) موجودة فيه بالفعل ـ فيكون تركيبه إمّا اتصالا وإما التحاما ، وبالجملة فيكون متلاقياً (٨) ـ وإمّا أن تكون اسطقساته التي منها تركب موجودة فيه بالقوة ، فيكون امتزاجاً . وما له نفس فهو مركب على هذه الجهة

---

(١) قارن زيلر : Zeller (De An. II. 5 init.) Arist. II. p. 58. 6 .

(٢) قارن أرسطو : De An. II. 5. 416 b 33; 417 a 13 .

(٣) المخطوطة : مملوس .

(٤) المخطوطة : مملوس .

(٥) أيضاً Arist. De Motu 703 a 25; De caelo. 269 a 2. 29 ، وابن باجة ورقة ٩٤ ب : « قال أرسطو عندما عدد الاسطقسات في الثانية عشر من الحيوان » .

(٦) راجع ابن باجة : ورقة ٩٣ ب : انواع التركيب ثلاثة : الأول تركيب الاسطقسات ـ وهو من الصورة والمادة الأولى ، والثاني التركيب من الاسطقسات وهو في المتشابة الأجزاء . والثالث التركيب من هذه وهي الأعضاء في ذي الأعضاء ، وأجزاء النبات كاليد والرجل وما جانسها .

(٧) المخطوطة : منه .

(٨) المخطوطة : متلامت .

لا على الجهات الأخر . فانه لا يوجد نبات ولا حيوان يوجد < فيه > أحد الاسطقسات بالفعل ، فلا يظهر فيه أحد الاسطقسات ظهوراً يظن به أنه أحدهما ، كما يظن ذلك في كثير من المركبات[(١)] ككثير من الأحجار و كثير من الأجسام المعدنية . بل إنما توجد الأرض والماء فيها يختلطان . وأمّا سائر الاسطقسات فوجودها قد يخفى في بعضها .

وكل ممتزج فله مازج[(٢)] ، وقد تبين في الكون والفساد كيف يكون المزج بالإطلاق[(٣)] .

والامتزاج منه صناعي كمزج الذهب بالفضة والعسل بالخل في السكنجبين ، ومنه طبيعي كامتزاج الاسطقسات في النبات ، والامتزاج الطبيعي يكون على ما بيّن بفعل وانفعال .

وأصناف التغير الذي يكون به نوع نوع من أنواع الامتزاج هو إمّا طبخ وإمّا عفونة (ورقة ١٥١ ب) أو غير ذلك من الأنواع المعدودة في الرابعة من الآثار العلوية[(٤)] . وهذه كلها تتم بالحرارة الطبيعية[(٥)] فهي في جسم طبيعي ضرورة فان الحرارة مما تفارق . وليست تلك الحرارة في أحد الاسطقسات لأنها إن كانت فيه فهو يحتاج ضرورة الى أن يتحرك هو والاسطقس الآخر في المكان حتى تلاقيا فإن اللقاء يتقدم الامتزاج . فان كان المحرك لهما أو لأحدهما لم يحرك لأجل الامتزاج فهو امتزاج بالعرض .

(يتبع) محمد صغير حسن المعصومي

---

(١) قارن أرسطو : Arist : De Gen. et Cor. I. 5. 322 a 32 ؛ وبيّن ابن باجة في الآثار ورقة ٦٨ ب : « وكان كل مركب فن بسائط أربعة ، وكان تركيبها على طريق التجاوز وقد يكون على طريق المزج » .

(٢) قارن أرسطو : De Gen. et Cor. I. 6. 322 b 10 .

(٣) أيضاً I. 10. 328 b 15 — 25 .

(٤) أيضاً Arist. Meteo. IV. 2. 379 b 12; 25 — 30; 380 a 5, 11 sq .

(٥) ايضاً Meteo. IV. 2. 379 b 8 .

كتاب فتيا فقيه العرب (*)

لأبي الحسين أحمد بن فارس اللغويّ

- ٢ -

قيل له : الرجل يمشي قبل حلول الحول ؛ هل تسقط عنه الزكاة ؟

قال : نعم .

يقال : مشى الرجل ؛ إذا ذهب ماله بعد كثرته .

قيل له : هل يعدّ مع الفرش ، الحشو ؟

قال : نعم .

الفرش ؛ الإناث من الضأن (١) . والحشو ؛ أولادها .

قيل له : أفي المثنين – تنقص نواةً – زكاة ؟

قال : لا .

النواة ؛ وزن خمسة دراهم .

قيل له : بَرٌّ سقطت في هلال (٢) .

قال : نجس .

البرّ ؛ الفارة .

والهلال ؛ بقية الماء في الحوض .

(*) انظر القسم الأول من هذا المقال في الجزء الثالث من هذا المجلد الثالث والثلاثين .

(١) في الملاحن ص ٣٠ : الصغار من الإبل . وفي (المفردات في غريب القرآن) ص ٣٨٢ مادة « فرش » والفرش : ما يفرش من الأنعام ، أي ؛ يركب . قال – تعالى : « حمولة وفرشا » .

(٢) في المزهر ج ١ ص ٦٣٥ ؛ وفي فتاوى فقيه العرب : سئل عن بر سقطت في هلال . قال ؛ نجس . البرّ : الفارة . والهلال : بقية الماء في الحوض .

قيل له : متى تجب الصدقة في القرار ؟

قال : اذا كانت أربعين ·

القرار ؛ الغنم ·

قيل له : ما يجب في الحاضرتين ؟

قال : الدية ·

الحاضرتان ؛ الأذنان ·

والحواضر ؛ الآذان ·

قيل له : علق خالط ماء ·

قال [f. 7 a] : نجس ؛ اذا كان قليلا ·

العلق ؛ الدم ·

قيل له : علق خالط ماء ·

قال : ينجس ؛ إذا كان قليلاً ·

العلق ؛ الخمر ·

وقيل له : ما تقول في الصلوة في الملقوط ؟

قال : لا بأس ·

الملقوط ؛ المرفوء ·

قيل له : هل يُتَوَضأ بالماء المُسَكَّن ؟

قال : نعم ·

المُسَكَّن ؛ المحمي بالسَكَن ؛ وهي النار [1] ·

وقيل له : هل تجب الصدقة قبل الهجر ؟

قال : لا

الهجر : السنة [2] ·

(١) وتراجع الملاحن ص ٦٠ ·

(٢) في تاج العروس ج ٣ ص ٦١١ ؛ مادة (هجر) : ولقيتــه عن هجر ، بالفتح ؛ أي بعد حول ونحوه . وقيل : الهجر ؛ السنة فصاعدا ..

تقول العرب : لا أكلمك هجراً ؛ أي سنة ·

قيل له : المرأة تدرس أقل من يوم ، فتترك الصلاة ؟

قال : تعيد ·

الدرس ؛ الحيض(١) ·

يقال : درست المرأة ؛ إذا حاضت ·

وقيل له : مع المصر شفعة ؟

قال : لا

المصر ؛ الحدّ ·

وهذا مذهب أصحابنا ؛ اذا وقعت الحدود [f. 7 b] ، فلا شفعة ·

قيل له : أللشبعان أن يقصر الصلوة ؟

قال : له ذلك ، مع مسافة القصر ·

الشبعان ؛ الآمن ·

قال ثعلب(٢) : رجل شبعان ؛ آمن ·

---

(١) وتراجع السامي في الأسامي ص ٧٧ ، والمزهر ج ١ ص ٥٠٨ ·

(٢) هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار ، ابو العباس ، النحوي ، الشيباني ؛ مولاهم ؛ المعروف بثعلب . ولد في سنة ٢٠٠ ھ ، وتوفي سنة ٢٩١ ھ . له ترجمة في الكنى والألقاب ج ٢ ص ١١٥ – ٧ ، ونزهة الألباء ص ٢٩٣ – ٩ ، ومروج الذهب ج ٤ – ٢١٥ – ٦ و ص ٢١٧ – ٨ ، والفهرست ص ١١٠ – ١١ ، وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٧ – ٨ ، وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٤ – ١٢ ، وتاريخ آداب اللغة العربية ج ٢ ص ١٨٠ – ١ ومعجم الأدباء ج ٥ ص ١٠٢ – ٤٦ ، وضبط الأعلام ص ٢٤ ، وإنباه الرواة ج ١ ص ١٣٨ – ٥١ ، ومراتب النحويين ص ٩٥ – ٦ ، وبغيـــة الوعاة ص ١٧٢ – ٤ ، وطبقات النحويين واللغويين ص ١٥٥ – ٦٧ ، وهدية العارفين ج ١ ص ٥٤ ، وتاريخ أبي الفداء ج ٢ ص ٦٤ ، وريحانة الأدب ج ١ ص ٢٣٣ – ٥ ، وهدية الأحباب ص ١١٤ ، ومعجم المطبوعات العربية والمعربة ص ٦٦٢ – ٣ ، وروضات الجنات ص ٥٦ – ٧ ·

قيل له : هل في محراب المسجد صلوة ، بصلاة الإمام ؟

قال : نعم .

المحراب ؛ العُلْو .

قال الشاعر[(١)] :

ربة محراب إذا جئتُها لم ألقها [(٢)] أو أرتقي سلّما [(٣)] [(٤)]

وقيل له : هل يجوز التيمم بالنعل ؟

قال : نعم ؛ إن علق غبارها باليد .

النعل ؛ الحرّة [(٥)] . والحرة ؛ أرض فيها حجارة سود . (*)

(١) هو وضّاح اليمن . تراجع تاج العروس ج ١ ص ٢٠٦ ، ولسان العرب ج ٣ ص ٣٠٥ ، والصحاح ج ١ ص ٤٢ ؛ مادة (حرب) ، ومجمع البيان مج ١ ص ٤٢٦ (آل عمران : ٣٧) ومج ٤ ص ٣٨٠ - ١ (سبأ : ١٠) ، والأغاني ج ٦ ص ٤٣ ، وشرح المقصورة الدريدية ص ٨٧ ، وجمهرة اللغة ج ١ ص ٢١٩ . وفي مقاييس اللغة ج ٢ ص ٤٩ - غير منسوب .

(٢) في المراجع المذكورة ، لم ألقها .

(٣) البيت من كلمته الطريفة التي اختارها أبو الفرج الاصفهاني في كتاب الأغاني ج ٦ ص ٤٣ - ٤ ، وأوّلها :

يا ابنة الواحد جودي فما ان تصرميني فبما أو لما

(٤) رواية شرح المقصورة الدريدية ص ٨٧ :

وبت محراب اذا جئتها لم أدن حتى أرتقي سلما

وفي شرح المفضليات ص ٢٩٣ ، و ٧٦٨ ، وجمهرة اللغة ج ١ ص ٢١٩ :

وربة محراب اذا جئتها لم أدن حتى أرتقي سلما

وفي مجمع البيان مج ٤ ص ٣٨١ :

وربة محراب اذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلما

وفي الأغاني ج ٦ ص ٤٥ :

ورب محراب اذا جئتها لم ألقها أو أرتقي سلّما

(٥) وفي الملاحن ص ٩٠ : القطعة الغليظة من الأرض .

(*) هنا وردت جملة لم تر لجنة المجلة وجهاً لذكرها .

قيل له : هل يفسد لعاب البصير الماء القليل [1] ؟

قال : نعم ·

البصير ؛ الكلب [2] ·

قيل : فإن صار لعابه في عضوض ؟

[f. 8 a] قال : كذلك ·

العضوض ؛ البئر ، البعيدة القعر ؛ إن كان ماؤها قليلاً ، فسد بلعابه ، واذا كان كثيراً ، لم يضر · هذا مذهبنا ·

قيل له : هل تغرم العافية ما أكلت ؟

قال : نعم ·

العافية [3] ؛ التي تأتي زرع قوم ، أو ثمرهم ؛ فتأكل منه ؛ لإقامة الرمق · فقد أبيح لها ذلك ؛ على أن توفّر ثمنه على صاحبه ·

قيل له : هل في عقص اليد قود ؟

قال : إن أوهن ذلك ·

العقص : ليّ اليد ·

يقال : عقص يده ، يعقصها ، عقصا ؛ إذا لواها ·

قيل له : هل يكون الأب عاقلاً ؟

قال : لا ·

يريد ؛ انه لا يعقل عن الابن ، اذا قتل خطأ ؛ وهذا مذهبنا ؛ لا يؤخذ الأب بجريرة ابنه ، ولا الابن بجريرة أبيه ·

(١) في المزهر ج ١ ص ٦٣٧ ؛ من فتيا فقيه العرب : يفسد لعاب البصير الماء القليل — يعني الكلب ·

(٢) وتراجع شرح المقامات الحريرية ج ٢ ص ١٢١ ·

(٣) تطلق العافية على الدابة أو الطير · (لجنة المجلة)

قيل له : هل يُرَدّ الفرس من العُقاب ؟

قال : نعم ؛ اذا استعابه العلماء .

[f. 8 b] العقاب ؛ شبه لوزة تخرج في إحدى قوائم الدابّـة .

قيل له : هل في العَلْم قود ؟

قال : نعم .

العَلْم ؛ شق الشفة العليا [1] .

قيل له : هل على قاتل الأعمى مغرم ، إذا صال ؟

قال : لا

الأعمى ؛ الفحل .

يقال للسيل والفحل ؛ الأعميان [2] .

قيل له : هل يقتل العيّار في الحرم ؟

قال : نعم .

العيّار ؛ الأسد .

قال الشاعر :

لما رأيت أبا عمرو ، رزمت له   عمداً [كما [3]] رزمَ العيّارُ في الغُرُفِ [4][5]

الغرف ؛ جمع غريف ، وهو الغابة .

---

(١) وتراجع اللاحن ص ٩ .

(٢) في كتاب السامي في الأسامي ص ٧٨ ؛ الأعميان : السيل ، والجمل الهايج . وفي المزهر ج ٢ ص ١٧٤ ، واصلاح المنطق ص ٤٣٨ — ٩ ، والمخصص ج ١٣ ص ٢٢٤ ؛ قال أبو عبيدة : الأبهان — عند أهل البادية — السيل والجمل الهائج ، يتعوّذ منها ؛ وهما : الأعميان .

(٣) الزيادة من المراجع .

(٤) رواية المراجع :

لما رأيت أبا عمرو رزمت له   منّي كما رزم العيّار في الغرف

(٥) تراجع الصحاح ج ١ ص ٣٧٣ ، ولسان العرب ج ٢٠ ص ٦٢٣ ، وتاج العروس ج ٣ ص ٤٣٤ ؛ مادة (عير) ، وفي مقاييس اللغة ج ٤ ص ٤١٨ ؛ مادة (غرف) .

قيل له : هل تؤخذ الجزية من العباد ؟

قال : نعم .

العباد ؛ نصارى أهل الحيرة . والنسبة اليهم ؛ عباديّ .

قيل له : ما كفّارة العاتق ؟

قال : إطعام عشرة مساكين ، أو كسوتهم ، أو تحرير رقبة مؤمنة ، أو صيام ثلاثة أيام ؛ إن لم يجد ذلك .

العاتق ؛ اليمين المتقدّمة .

يقال : عتقت عليه يمين ؛ اذا تقدّمت [ووجبت [1]] .

[f. 9 a] قال أوس [2] :

عليّ ألية عتقت قديما وليس لها ـ وإن طلبت ـ مرامُ [3][4]

وقيل له : هل يطوف بالبيت عاتكة ؟

قال : أكره ذلك [5] .

العاتكة ؛ المتضمّخة بالخلوق ، والطيب .

وقيل له : محرم ، قتل عثانا .

قال : عليه قيمة العثان .

العثان ؛ فرخ الحبارى .

قيل له : هل تقسم العجوز بين الورثة ؟

قال : لا . لكن ، تباع ، ويقسم الثمن بينهم .

العجوز ؛ السيف .

---

(١) الزيادة من اصلاح المنطق ص ٢٦١ .

(٢) هو أوس بن حجر ؛ الشاعر المعروف ، كما في المراجع .

(٣) رواية اصلاح المنطق ص ٢٦١ :

علي أليّة عتقت قديما فليس لها وان طلبت مرام

(٤) تراجع لسان العرب ج ٤٠ ص ٢٣٥ ، والصحاح ج ٢ ص ١٠٤ ، وتاج العروس ج ٧ ص ٤ ؛ مادة (عتق) ، واصلاح المنطق ص ٢٦١ .

(٥) في المزهر ج ١ ص ٦٣٧ ؛ من فتيا فقيه العرب : يكره أن تطوف بالبيت عاتكة — وهي ؛ المتضمّخة بالطيب .

وقيل له ـ أيضا : ما تقول في عجلة ، خالطتها عجوز ؟

قال : تُغسَل .

العجلة : الاداوة .

والعجوز [1] : الخمر .

قيل له : هل للشيخ ـ إذا عجن ـ أن يصلّي قاعدا ؟

قال : لا ، ما قدر على القيام .

العاجن : الذي إذا نهض ، عجن الأرض بيديه من كِبَر .

قال الشاعر [2] :

فأصبحت كنتيًّا ، وأصبحت عاجنا ... وشر خصال المرء : كنت ، وعاجن [3][4][5]

(١) هذا : وللعجوز معان كثيرة ، ذكرها الفيروزابادي في (القاموس المحيط) : مادة (عجز) ج ٢ ص ١٨١ ، والسيد محمد مرتضى الزبيدي ، في تاج العروس ج ٤ ص ٥٠ – ٢ ، والمرحوم السيد محسن الأمين العاملي ، في معادن الجواهر ج ٣ ص ٥٠٥ – ١٠ .

(٢) هو الأعشى (ظ ؟) تراجع ملاحيق الصبح المنير ص ٢٥٩ ، والدرر اللوامع ج ١ ص ٢٢٩ نقلا من الهمع .

(٣) رواية تاج العروس ج ٩ ص ٢٧٤ ، ولسان العرب ج ٥٥ ص ٢٧٧ ، مادة (عجن) :

فأصبحت كنتياً ، وهيجت عاجنا ... وشر خصال المرء كنت وعاجن

وانشاد ابن بزرج (كما في الدرر اللوامع ج ١ ص ٢٢٩) :

قد كنت كنتياً فأصبحت عاجنا ... وشر خصال المرء كنت وعاجن

وفي شرح الشافية ج ٢ ص ٧٧ ، والمخصص ج ١٣ ص ٢٤٦ :

وما أنا كنتي وما أنا عاجن ... وشر الرجال الكنتني وعاجن

ورواية الأصل توافق الصحاح ج ٢ ص ٣٩٢ ، وديوان الأعشى (الصبح المنير) ص ٢٥٩ ، وأساس البلاغة ج ٢ ص ٣٢١ : (كنت) .

(٤) تراجع تاج العروس ج ٩ ص ٢٧٤ ، ولسان العرب ج ٥٥ ص ٢٧٧ ، والصحاح ج ٢ ص ٣٩٢ ، والصبح المنير ص ٢٥٩ ، وشرح نهج البلاغة ج ٤ ص ٥٠٨ ، وأساس البلاغة ج ٢ ص ٣٢١ ، والمخصص ج ١٣ ص ٢٤٦ ، وشرح المفصل ج ٦ ص ٨ ، وسر صناعة الإعراب ج ١ ص ٢٣٠ ، والدرر اللوامع ج ١ ص ٢٢٩ ، وشرح شواهد شرح الشافية ج ٤ ص ١١٨ – ٩ ، وشرح الشافية ج ٢ ص ٧٧ .

(٥) انظر هذه الحاشية في الصفحة التالية .

[f. 9 b] وقيل له : رجل له عذاران ، فأخذ الأطول ؛ لا لعلة في الأقصر ، هل له أن يقصر الصلاة ؟

قال : له ذلك .

العذاران ؛ الطريقان .

قال ذو الرّمة :

عذاران في جرداء ؛ وعثٍ خصورها (١) (٢) (٣)

وقيل له : امرأة ، بليت بعاذل .

قال : تغتسل .

العاذل ؛ عرق دم المستحاضة .

وقيل له : هل يجوز التيمم بالعِرْق ؟

قال : نعم .

العِرق ؛ الأرض السبخة ؛ تنبت الطرفاء .

---

(٥) الكنتيّ : الذي لا يقدر على النهوض من الكبر إلا بعد الاعتماد على يديه اعتماداً تاماً كأنه يعجز (تراجع شرح الشافية ج ٢ ص ٧٧) . وفي سر صناعة الإعراب ج ١ ص ٢٣٠ : فقوله : « كنتيا » ؛ معناه ؛ انه يقول : كنت في شبابي أفعل كذا ، وكنت في حداثتي أصنع كذا .

(١) رواية الصحاح ج ١ ص ٣٦٠ ، واللسان ج ٢٠ ص ٥٥٠ ، وتاج العروس ج ٣ ص ٣٨٧ ، والمعاني الكبير ج ٢ ص ٧١٠ ، وديوان ذي الرمة ص ٣٠٦ :

عذارين في جرداء وعث خصورها

وفي ديوان ذي الرمة ، والمعاني الكبير :

عذارين عن جرداء وعث خصورها

(٢) صدره :

ومن عاقر ينفي الألاء سراتها

وفي المعاني الكبير :

من عاقر ينفي الألاء سراتها

(٣) البيت من كلمة أوّلها :

تصابيت في اطلال ميّة بعدما نبا نبوة بالعين عنها دثورها

وقيل له : ما الذي يفسد الغَرَب ؟

قال : ما غيَّره .

الغَرَب : الماء الكثير ؛ لا يفسده شيء من النجاسة ، إلاّ أن يغيّره .

وقد قيل : الغرَب : النهر الشديد الجرية .

وقيل له : هل لقتيل العصا دية ؟

قال : لا .

قتيل العصا : رجل فارق الجماعة ، فيقتل[١] . وهو في الحديث[٢] [٣] .

قيل له : محرم ، قتل عكرمة .

[f. 10 a] قال : عليه شاة[٤] .

العكرمة : الحمامة[٥] .

وقيل له : رجل خاف على نفسه الغيم ، هل له أن يتيمم ؟

قال : له ذلك .

الغيم : العطش ، وحرارة الجوف .

قيل له : هل يحدّ الرجل في الغبيراء ؟

قال : إذا علم منه السُّكْر .

---

(١) تراجع كتاب العصا ص ١٨٤ . وفي النهاية ج ٣ ص ١٠٣ ؛ مادة (عصا) : أي ؛ اياك أن تكون قاتلاً ، أو مقتولاً ، في شق عصا المسلمين . وتراجع – أيضاً – ثمار القلوب ص ٥٠٤ ، والمخصص ج ١٥ ص ١٥٩ .

(٢) تراجع النهاية ج ٣ ص ١٠٣ « مادة – عصا » ، وفي الفائق في غريب الحديث ج ٢ ص ١٥٨ : صلة بن اشيم – رضي الله تعالى عنه – قال لابن السايل : اياك وقتيل العصا ... وفي مجازات الأحاديث النبوية ص ٢٢٤ : ومنه قول صلة ابن أشيم لأبي السليل : اياك وقتل العصا . وكذا رواية أصل (كتاب العصا) الحصي ، وقد صحّحها محقّقه وفاقاً لرواية النهاية والفائق والمخصص .

(٣) في ثمار القلوب ص ٥٠٤ : قتيل العصا – العرب تقول : اياك وقتيل العصا . . .

(٤) في المزهر ج ١ ص ٦٣٧ : من فتيا فقيه العرب : محرم قتل العكرمة ، عليه شاة – يعني ؛ الحمامة .

(٥) في المزهر ج ١ ص ٥١١ : وأبو عكرمة ؛ الحمام .

الغبيراء : السكركة ، وهو نبيذ الذُّرة [١] .

قيل له : هل يتوضّأ بماء الفقير ؟

قال : كلّ ماء طاهر ، فانّه يتوضأ به .

الفقير : مخرج الماء من القناة [٢] .

وقيل له : هل الفاجر يمينا وشمالاً تفسد صلاته ، إذا علم ؟

قال : لا .

الفاجر : المايل .

وإذا مال يمينا ، وشمالاً ، في صلوته ، عن الجهة ، جهة القبلة ، ثم علم ، لم تكن عليه إعادة .

قال لبيد ، في الفاجر [٣] :

فان تتقدم تغش منها مقدّما غليظاً ، وإن أخرت ، فالكفل فاجر [٤][٥][٦]

---

(١) تراجع تاج العروس ج ٣ ص ٤٣٧ ؛ مادة (غبر) و ص ٢٧٦ ؛ مادة (سكر) واللسان ج ١٨ ص ٣٧٥ – ٦ ؛ مادة (سكر) ، وتاج العروس – أيضاً – ج ٧ ص ١٤٣ ؛ مادة (سكركة) ، وج ٥ ص ٣٨٢ ؛ مادة (سفرقع) ، والصحاح ج ١ ص ٣٧٤ ؛ مادة (غبر) ، والمعرب ص ٢٣٦ ؛ مادة (الغبيراء) وفقه اللغة ص ٤٠٢ ، والنهاية ج ٣ ص ١٤٧ ؛ مادة (غبر) .

(٢) وفي الملاحن ص ٤٨ ؛ جماعة الفقر ، وهي ثقاب تحفر في الأرض ركايا ؛ ينفذ بعضها إلى بعض ، حتى يجتمع ماؤها إلى بئر واحدة ، أو يسيح على الأرض.

(٣) من كلمة له يخاطب عمه أبا مالك . تراجع لسان العرب ج ٢١ ص ٤٧ ؛ مادة (فجر) .

(٤) رواية الديوان ص ٥ ، والمعاني الكبير ج ٢ ص ٧٨١ :

فإن تتقدم تغش منها مقدما عظيما وان أخرت فالكفل فاجر

(٥) البيت من كلمة أوّلها :

من كان منّي جاهلا أو مغمّرا فما كان بدْعا من بلائي عامر

وقبله :

فقلت ازدجر احناء طيرك واعلمن بأنك ان قدمت رجلك عاثر
فأصبحت أنّى تأتها تبتئس بها كلا مركبيها تحت رجليك شاجر
فان تتقدّم . . . . البيت

(٦) تراجع لسان العرب ج ٢١ ص ٤٧ ، والصحاح ج ١ ص ٣٨١ ، وكتاب المعاني الكبير ج ٢ ص ٨٧١ ، وديوان لبيد ص ٥ وأمالي المرتضى مج ١ ص ٤٥٧ ، وخزانة الأدب مج ٣ ص ١٩١ .

وقيل له : ما تقول في الفَلاح ، مع الفاضح ؟

قال : عليه [f. 10 b] القضاء .

الفَلاح : السَّحُور .

والفاضح : الصبح .

يقال : أفضح الصبح ، وفضح : إذا بدا .

وقيل له : هل يفسد الماءَ قرنُ الفرس ؟

قال : لا .

القرن : الدفعة من العرق ، والجمع قرون :

قال زهير [1] :

تعـوّد [2] الطراد فكل يوم   تسن على سنابكها قرون [3][4][5][6]

(١) من كلمة أوّلها :

ألا ابلغ لديك بـني تميم   وقد يأتيك بالنصح الظنون

(٢) البيت مكسور ولعل الصواب : تعوّدت . (لجنة المجلة)

(٣) في المعاني الكبير ج ١ ص ٨ :

يعودها الطراد وكل يوم   تسن على سنابكهـا القرون

وفي ديوان زهير ص ١٨٧ :

تعودها الطراد فكل يوم   تسن على سنابكهـا قرون

وفي الصحاح ج ٢ ص ٤٠٠ :

تضمر بالأصائل كل يوم   تشن على سنابكهـا قرون

(٤) صدره ، في لسان العرب ج ٥٦ ص ٣٣٣ ، وتاج العروس ج ٩ ص ٣٠٦ ، والصحاح ج ٢ ص ٤٠٠ ؛ مادة (قرن) ، وشرح ديوان زهير ص ١٨٧ – على رواية –

تضمر بالأصائل كل يوم

(٥) في خزانة الأدب مج ٣ ص ١٣٧ (في شرح الشاهد ٤٩٥) ؛ قول الشاعر :

بآية يقدمون الخيل زورا   تسن على سنابكهـا القرون

(٦) تراجع ديوان زهير بن أبي سلمى ص ١٨٧ ، ولسان العرب ج ٥٦ ص ٣٣٣ ، وتاج العروس ج ٩ ص ٣٠٦ ، والصحاح ج ٢ ص ٤٠٠ ، والشطر الثاني في المخصص ج ٩ ص ١٤٣ .

وقيل له : هل تفسد الماءَ المُقْعَدَة ، إذا ماتت فيه ؟

قال : لا .

المقعدة : الضفدعة . والجمع : المقعدات .

وقيل له : هل يجوز السعي بين الصفا والمروة : على عاج ؟

قال : نعم .

العاج : الناقة اللينة المعطف : الفارهة .

قال الشاعر (١) :

وتفري بنا الموماة عاج كأنها (٢) (٣) (٤)

وقيل له : محرم : قتل أبا المدلج .

قال : لا أعلم عليه شيئا .

أبو المدلج : القنفذ (٥) .

وقيل له : رجل : سرق خليجا : هل عليه قطع ؟

قال [f. 11 a] قال : ينظر إلى القيمة .

الخليج : الرسن (٦) .

---

(١) هو ذو الرمة . تراجع مقاييس اللغة ج ٤ ص ١٨٠ ؛ مادة (عوج) .

(٢) في مقاييس اللغة :

تقدّى بي الموماة عاج كأنها

(٣) عجزه — كما في مقاييس اللغة :

أمام المطايا تشتكي حين تذعر .

(٤) تراجع لسان العرب ج ٩ ص ٣٣٤ ، وتاج العروس ج ٢ ص ٨٠، ومقاييس اللغة ج ٤ ص ١٨٠ ؛ مادة (عوج) .

(٥) تراجع مقاييس اللغة ج ٢ ص ٢٩٤ . وفي لسان العرب ج ٩ ص ٢٧٣ ، والجمل ج ١ ص ٣١٨ ؛ مادة (دلج) : والمدلج : القنفذ .

(٦) في الملاحن ص ٤٥ ، واصلاح المنطق ص ٨٩ : الحبل .

قال الشاعر [١] :

وبات بعيني في الخليج كأنه كميت مدمى ، ناصع اللون أقرح [٢][٣]

المدمّى ؛ الأحمر .

وقيل له : محرم ، قتل الغوغاء .

قال : في كل واحدة ، قبضة من طعام .

الغوغاء ؛ الجراد .

وفي أدب الكاتب [٤] ؛ صغار الجراد .

وقيل له : رجلٌ ضرب رجلاً بحشفة ، فقتله .

قال : يقتل بمثلها .

قال : الحشفة ؛ الصخرة الرخوة [٥] .

قيل له : الرجل الأحمر ، يحضر القتال ، هل يُسهَم له من الغنيمة ؟

قال : نعم .

الأحمر ؛ الذي لا سلاح معه .

يقال : أحمر ، وحُمْر .

---

(١) هو تميم بن مقبل . تراجع تاج العروس ج ٢ ص ٣٤ ، والصحاح ج ١ ص ١٤٨ ، ولسان العرب ج ٩ ص ٢٥٧ . ورواه في الملاحن ص ٤٥ ، ومقاييس اللغة ج ٢ ص ٢٠٧ (خلج) – غير منسوب .

(٢) في مقاييس اللغة ج ٢ ص ٢٠٧ :

فبات يغني في الخليج . . . . البيت

(٣) قبله – كما في المراجع ؛ ما خلا الصحاح :

فبات يسامي بعد ما شج رأسه فحولا جمعناها تشب وتضرح

(٤) أدب الكاتب ص ١٥١ .

(٥) في الملاحن ص ٢٩ : صخرة رخوة ، تنفرد في فضاء من الأرض .

قالـــ (١) :

وتشقى الرماح بالضياطرة الحُمْر (٢) (٣) (٤) (٥)

(١) هو خداش بن زهير . تراجع الصحاح ج ١ ص ٣٥١ ؛ مادة (ضطر) ، وأمالي المرتضى مج ١ ص ٤٦٦ ، والكامل للمبرد ج ١ ص ٢٧٤ ، والأضداد للسجستاني ص ١٥٣ ، وجمهرة أشعار العرب ص ١٠٨ ، وتنزيل الآيات ص ٥٥ . ورواه في مقاييس اللغة ج ٢ ص ١٠٢ ؛ مادة (حن) ، والأضداد ص ٨٥ ، ولسان العرب ج ١٩ ص ٤٨٩ ؛ مادة ضطر ، والصاحبي ص ١٧٢ ، وفقه اللغة ص ٥٦٥ ، والمخصص ج ٢ ص ٧٧ ، والموازنة ص ١٧٩ ، ومجمع البيان مج ٤ ص ٢٦٥ (القصص : ٧٦) ، والكشاف مج ٢ ص ١٣٧ (الاعراف : ١٠٥) — غير منسوب .

(٢) البيت من كلمة (مجهورة) أوّلها :

أمن رسم أطلال بتوضح كالسطر فما شن من شعر فوابية الجفر

(٣) صدره ؛ وفاقاً لجمهرة أشعار العرب ص ١٠٨ ، وأمالي المرتضى مج ١ ص ٤٦٦ :

وتركب خيلاً لا هوادة بينهـــا

وفي الأضداد ص ٨٥ ، والموازنة ص ١٧٩ ، والكامل للمبرد ج ١ ص ٢٧٤ ، والأضداد للسجستاني ص ١٥٣ ، ولسان العرب ج ١٩ ص ٤٨٩ :

وتركب خيلاً لا هوادة بينهـــا

وفي الصحاح ج ١ ص ٣٥١ ؛ مادة (ضطر) :

وتلحق خيل لا هوادة بينهـــا

وفي مجمع البيان مج ٤ ص ٢٦٥ :

وتركب خيلاً لا هوادة بينهـــا

وفي تنزيل الآيات ص ٥٥ :

نزلت بخيل لا هوادة بينهـــا

(٤) رواية جمهرة أشعار العرب ص ١٠٨ :

وتعصي الرماح بالضياطرة الحمر

(٥) ذكره الثعالبي في (باب القلب) قال : أي وتشقى الضياطرة الحمـــر بالرماح ومثله في أمالي المرتضي مج ١ ص ٤٦٦ ، والصاحبي ص ١٧٢ . وفي المخصص ج ٢ ص ٧٧ ؛ أي انهم — اذا حلوها — لم يجيدوا الطعن بها ، وقيل هو على القلب ، أي ؛ تشقى الضياطرة الحمر بالرماح . يقول : يقتلون بهـــا لانهم لا يجيدون التحرّز منها . والرأي — عندي — ما قال الطبرسيّ ، في مجمع البيان مج ٤ ص ٢٦٥ : « فذهب كثير من العلماء ، الى ان المعنى ؛ وتشقى الضياطرة الحمر بالرماح ، فقلب . وليس الأمر كذلك . وإنما أراد ان رماحهم تشرف عن هؤلاء الضياطرة ، فاذا طعنوا بها فقد شقيت الرماح ؛ لأن منزلتها أرفع من ان يُطعنوا بها » . وتراجع تنزيل الآيات ص ٥٥ .

قيل له : هل تصلي الأمة برهطها ؟

قال : لا بأس ، مع الطهارة .

الرهط : الأديم ؛ كقدر ما بين السُرّة إلى الركبة ، تلبسه الحيّض .

قال الشاعر(١) :

[f. 11 b] متى ما أشأ غيرَ زهو الملو ك أجعلك رَهطاعلى حيّض(٢)(٣)(٤)(٥)

ويكفي في الأمة ، أن تغطي ـ في صلاتها ـ ما يغطي الرجل .

وقيل له : هل يجوز أن يضحّى بالراهن ؟

قال : لا .

الراهن : المهزول ، الذي لا يُنقى من كل شيء .

---

(١) هو أبو المثلم الهذلي . تراجع تاج العروس ج ٥ ص ١٤٤ ، ولسان العرب ج ٣٠ ص ٣٠٦ ؛ مادة (رهط) ، وكتاب شرح اشعار الهذليين ج ١ ص ٥٢ ، والمعاني الكبير ج ٢ ص ٧٩٤ ، وكتاب الابل للأصمعي ص ٩٢ ، وتهذيب الألفاظ ص ٦٦١ .

(٢) رواية شرح اشعار الهذليين ج ١ ص ٥٢ ، وكتاب الإبل للأصمعي ص ٩٢ :

متى ما أشأ غير زهو الرجا ل أجعلك رهطا على حيّض

ورواية الأصل توافق المخصص ج ٤ ص ٣٦ .

(٣) البيت من كلمة اولها :

عذير أميمـــة بالمرفض كذي همة النفس لا تنافي

(٤) قبله :

له عكة وله ظبيـــة اذا انفض الناس لم ينفض

وبعده :

واكحلك بالصاب او بالجلا ففقح لكحلك أو غمّض

(٥) تراجع تاج العروس ج ٥ ص ١٤٤ ، ولسان العرب ج ٣٠ ص ٣٠٦ ، وصحاح اللغة ج ١ ص ٥٥٠ ، ومقاييس اللغة ج ٢ ص ٤٥٠ ؛ مادة (رهط) و ج ٣ ص ٢٩ ؛ مادة (زهو) والمعاني الكبير ج ١ ص ٤٨٤ و ٥٩٣ ، و ج ٢ ص ٧٩٤ ، وشرح اشعار الهذليين ج ١ ص ٥٢ ، وتهذيب الالفاظ ص ٦٦١ ؛ وكتاب الابل للاصمعي ص ٩٢ ، والمخصص ج ٤ ص ٣٦ .

قال الراجز[١] :

إمَّا تريْ جسمي خلاًّ قد رَهَنْ[٢][٣]

وقيل له : هل يصلّى على الأرض المنصورة ؟

قال : لا بأس بذلك ، اذا أمكن .

المنصورة ، الممطورة .

وقيل له : أتترك الصلوة في الجماعة للرمل ؟

قال : لا .

الرمل ، القليل ، الخفيف من المطر . وجمعه ، أرمال .

قيل له : رجلٌ ، قطع قوس رجل .

قال : يُقاد . فإن أرادوا ، فالفدية .

القوس ، الذراع .

قيل له : رجلٌ ، قتل مدينة .

قال : عليه قيمتها .

---

(١) هو الأموي . تراجع لسان العرب ج ٥٥ ص ١٩٠ .

(٢) عجزه – كما في تاج العروس ج ٩ ص ٢٢٢ :

هزلا وما مجد الرجال بالسمن

وكذا في لسان العرب ج ٥٥ ص ١٩٠ ، والصحاح ج ٢ ص ٣٧٩ ، ومقاييس اللغة ج ٢ ص ٤٥٣ ؛ مادة (رهن) . ورواه في (خل) ص ١٥٦ :

هزلا وما مجد الرجال في السمن

(٣) تراجع لسان العرب ج ٥٥ ص ١٩٠ ، والصحاح ج ٢ ص ٣٧٩ ، وتاج العروس ج ٩ ص ٢٢٢ ، ومقاييس اللغة ج ٢ ص ١٥٦ ، وص ٤٥٣ ، وروي شطر الشاهد ، في المخصص ج ٢ ص ٨٦ ؛ بلا نسبة .

المدينة ؛ الأمة (١) .

قال الأخطل (٢) :

[f. 12 a] ربت وربا في حجرها ابن مدينة يظل على مسحاته يتركل (٣) (٤)

(١) في لسان العرب ج ٦ ص ٤٠٣ ؛ مادة (مدن) : ابن مدينة ؛ اي العالم بأمرها . ويقال للأمة مدينة ، أي مملوكة . وتراجع شجر الدر ص ١٨٩ . وفي الاساس ج ١ ص ٣٦٩ ؛ مادة (ركل) : ابن أمة أو قروي . وفي المنتخب من كنايات الادباء ص ٩١ ؛ يقال : هو ابن مدينة ، أي ؛ عالم بها . وفي المعاني الكبير ج ١ ص ٤٧٢ : وابن مدينة – يقول : هو عالم بالقيام عليها ؛ يقال الرجل ، انه لابن مدينة – اذا كان عالما بها . وقال غيره : ابن مدينة ؛ ابن مملوكة ، أي ، هو عبد ربي ، وأمه فيها . وفي شرح المقامات الحريرية للشريشي ج ١ ص ١٠٧ : ويقال للأمة مدينة ؛ لأنها مملوكة . وفي المنصف ج ١ ص ٣١٢ : فالمدينة فيه ؛ أمة . يصف الاكار الذي يعمل في الكرم . يقول ، هو ابن مدينة . وفي المخصص ج ١٣ ص ١٩٩ : ويقال لابن الامة ابن مدينة . . . وقال ابن الاعرابي ؛ ابن مدينة – ابن امة ، قد دينت ، اى ، ملكت . وقال ؛ ابن مدينة ؛ رجل من اهل القرى ، واهل الامصار ، وأعلم من غيرهم .

(٢) من كامة ، أولها :

عفا واسط من آل رضوى فنبتل فمجتمع الحرين فالصبر أجمل

(٣) رواية الاساس ج ١ ص ٣٦٩ ؛ مادة (ركل) :

ربت وربا في كرمها ابن مدينة يظل على مسحاته يتركل

وفي شرح المقامات الحريرية للشريشي ج ١ ص ١٠٧ :

لوت وثوى في كرمها ابن مدينة يظل على مسحاته يتركل

(٤) تراجع تاج العروس ج ٩ ص ٣٤٢ ، ولسان العرب ج ٥٦ ص ٤٠٣ ، وديوان الاخطل ص ٥ ، وكتاب المعاني الكبير ج ١ ص ٤٧٢ ، وشجر الدر ص ١٨٩ ، ومقاييس اللغة ج ١ ص ٣٣٤ ، والمخصص ج ١٣ ص ١٩٩ ، والمنصف ج ١ ص ٣١٢ ، وشرح المقامات الحريرية ج ١ ص ١٠٧ والاساس ج ١ ص ٣٦٩ ، والمنتخب من كنايات الادباء ص ٩١ .

آخر كتاب فقيه العرب

والحمد لله ربّ العالمين ، وصلواته على نبيه ـ نبي الرحمة ـ محمد ، وآله الطيبين ، الطاهرين .

بلغت المعارضة ، ولله الحمد

* * *

بلغت قراءة ، على السيد النقيب كمال الدين (١) ـ مدّ الله أنفاسه .

* * *

كذا ، في أصل النسخة ، المنقول منها :

كتبه لنفسه ، العبد الفقير إلى رحمة ربّه ، أبو علي ، نظام الشرف بن قوام الشرف بن شاهنشاه بن محمد بن الحسين ، الحسني ، الاصفهاني .

وكان الفراغ منه ، ليلة الثلاثا [ء] ، غرة شهر ذي القعدة ، سنة سبع عشرة وستمائة .

وكتب لنفسه ، الفقير الى الله الغني ، سيف الدين بن خميس ، النجفي ، عام الف واثنين ، من الهجرة النبوية ، المصطفوية ـ على مهاجرها السلام والتحية .

---

(١) هو السيد حيدر بن محمد بن زيد بن محمد بن محمد بن عبيد الله ، كمال الدين ، ابو الفتوح ، المرتضى ، نقيب الموصل ؛ راوي الكتاب ، عن يحيى بن سعدون ابن تمام ، ضياء الدين ، ابي بكر ، الازدي ، القرطبي – بالاسناد المذكور في اوّله .

معجم الألفاظ التي فسّرها ابن فارس في كتاب

فتيا فقيه العرب

(حرف الألف)

الآس : الرماد .

أبو سَعد : الهرَم .

أبو المُدْلج : القنفذ .

الأحمر : الذي لا سلاح معه . ويقال أحمر وحُمر .

الإسهاد (كذا) : أن يمذي الرجل . يقال مَذى ، يمذِي ، وأسهد يسهد ، بمعنىً .

أطْلَعَ : يقال أطلع ، اذا قاء [فا] المُطْلِع .

الأعمى : الفحل .

الأعْمَيان : السيل والفحل .

الإوَز : الرجل الموثق الخلق .

(حرف الباء)

بَرَد : حصَل .

البِرّ : الفارة .

البصير : الكلب .

البَقَر : التحيُّر .

البيضاء : الرستاق .

(حرف التاء)

تحلّلت عُقَدُه : سكن غضبه .

(حرف الثاء)

الثور : الأقط .

(حرف الجيم)

الجَرِيّ : الرسول .

جلس : جلس الرجل ؛ إذا أتى نجدا ، فهو جالس .

(حرف الحاء)

الحاضرة : الأذن [ج] الحواضر .

حبق : حبّق الرجل ؛ اذا جمع ماله ، وأحكم أمره .

الحرّة : أرض فيها حجارة سود .

الحشفة : الصخرة الرّخوة .

الحَشْو : أولاد الضأن .

(حرف الخاء)

الخالة : اللُّعَّاب، ذوو اللعب والمزاح .
وأحدهم خايل ؛ مثل باعة وبايع .
الخَشْم : بيت النحل ، الذي تعسل فيه .
الخد : الطريق .
الخليج : الرسن .

(حرف الدال)

الدَرْس : الحيض . يقال درَست المرأة ، اذا حاضت .

(حرف الراء)

الراهن : المهزول .
الربيع : النهر .
الرهط : الأديم ، كقدر ما بين السرة إلى الركبة ، تلبسه الحُيَّض .
الرَمَل : القليل الخفيف من المطر ، وجمعه أرمال .

(حرف السين)

السُكُرْكَة : نبيذ الذُرة .
السَلّة : السَرِقة .
السماء : المطر .
السُماسم : النمل الصغار .
السِنّ : الثور .

(حرف الشين)

الشاكل : البياض بين الأذن والصدغ .
الشيعان : الآمن .

(حرف الطاء)

الطريق : النخل .
الطَوّافة : السنّور .
الطَيْرة : الغضب .

(حرف العين)

العاتِق : اليمين المتقدمة . يقال عتقت عليه يمين ، اذا تقدمت .
العاتكة : المتضمّخة بالخلوق والطيب .
العاج : الناقة اللينة المطف ، الفارهة .
العاجِن : الذي اذا نهض ، عجن الأرض بيديه من كِبَر .
العاذل : عِرْق دم المُستَحاضة .
العارضة : الناقة ، أو الشاة ؛ تذبح لشيء يعتريها [ج] عوارض .
العافية : التي تأتي زرع قوم أو ثمرهم ، فتأكل منه لإقامة الرمق .
العاقِل : الذي يؤخذ بجريرة غيره .
العباد : نصارى أهل الحيرة ، والنسبة اليهم عبادي .
العثان : فرخ الحباري .

العَجَلَة : الطينة .

العِجْلَة : الاداوة .

العجوز : السيف .

الخمر .

المذاران : الطريقان .

العِرْق : الأرض السبخة، تنبت الطرفاء.

العَضوض : البئر البعيدة القعر .

العُقاب : شبه لوزة تخرج في إحدى قوائم الدابّة .

العَقَص : ليّ اليد . يقال عَقَص يده يَعقِصها عقصا ؛ إذا لواها .

العِكْرِمَة : الحمامة .

العَلَق : الدم .

العِلْق : الخمر .

العَلَم : شق الشفة العليا .

العَمّ : الجماعة .

العيّار : الأسد .

(حرف الغين)

الغابة : ما تحت المنفقة .

الغُبَيْراء : السُّكُرْكَة ، وهو نبيذ الذُّرَة .

الغَرَب : الماء الكثير لا يفسده شيء من النجاسة إلاَّ أن يغيّره ، وقد قيل : الغرب ؛ النهر الشديد الجرية .

غرَف رأسه : حلق رأسه .

الغُرُف : جمع غريف وهو الغابة .

الغوغاء : الجراد .

الغَيْم : العطش وحرارة الجوف .

(حرف الفاء)

الفاجر : المايل .

الفاضح : الصبح . يقال أفضح الصبح وفضَح ؛ إذا بدا .

الفحل : الحصير .

الفرّوج : القباء .

الفَرْش : الاناث من الضأن .

الفَلاح : السَّحور .

الفقير : مخرج الماء من القناة .

الفِيْل : الرجل الضعيف الرأي .

(حرف القاف)

قتيل العصا : رجل فارق الجماعة .

القَرار : الغنم .

قَرْنُ الفرس : القَرْن ، الدُّفعة من العَرَق . والجمع قُرون .

القروء : الأطهار .

القوس : الذراع .

(حرف اللام)

اللاّعب : الذي يسيل لعابه . يقال لَعَب الصبي أو الرجل يلعَب ؛ اذا سال لعابه .

(حرف الميم)

المِحْراب : العلْو .

المخلب : المنجل .

المُدمّى : الأحمر .

المدينة : الأَمَة .

المزكوم : الولد المُلقى .

المُسكّن : المحمي بالسَّكَن ، وهي النار .

المُشْخِص : الشاتم . يقال أشخص به ، إذا شتمه .

مشى الرجل : يقال مشى الرجل اذا ذهب ماله بعد كثرته .

المُصاب : قصب السكر .

المِصْر : الحدّ .

المُموّج : [المضبّب] بالعاج .

المُفْتَرِي : الذي عليه الفرو .

المُقْعَدة : الضفدعة . والجمع المقعدات .

المَلْقُوط : المرفوء .

المُسَلْسَل : الماء

المنصورة : الممطورة .

(حرف النون)

نزل : نزل الرجل ، إذا حجّ .

النعل : الحرّة .

نقب : نقَب ينقُب ، اذا صار نقيبا .

النواة : وزن خمسة دراهم .

(حرف الهاء)

الهَجْر : السنة .

الهِلال : بقية الماء في الحوض .

(حرف الواو)

الوَهم : الجمل يكون ضخما .

***

مستدرك

زاد الأستاذ الدكتور مصطفى جواد على مراجع ترجمة (يحيى بن سعدون ابن تمام الازدي القرطبي) معجم الأدباء ج ٧ ص ٢٧٨ من طبعة مرغليوث .

وعلى مراجع ترجمة (سعد بن علي بن محمد الزنجاني) معجم البلدان في «زنجان» .

وعلى مراجع ترجمة (السيد كمال الدين حيدر الحسيني ، نقيب الموصل) تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ٣٤٢ من الكاف ، والمسمى بالحوادث الجامعة ص ٣٨٦ فقد ذكر في نسب حفيده كمال الدين حيدر الثاني .

وعلى مراجع ترجمة (ابن داود) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ٥ ص ٢٥٦ — ٦٣ ، والوافي بالوفيات ج ٣ ص ٥٨ — ٦١ .

وقال في (أسهد يسهد) لعل الأصل «أسهل» باللام .

الدكتور حسين علي محفوظ

التعريف والنقد

تفسير « محاسن التأويل »

تأليف الشيخ محمد جمال الدين القاسمي الدمشقي

(١٢٨٣ ـ ١٣٣٢ هـ)

الجزء الأول (المقدمة)

طبع في مطبعة البابي الحلبي وشركاه

كان علامة الشام القاسمي تغمده المولى برحمته ورضوانه آيةً في المحافظة على الوقت ، والمواظبة على العمل ، كان يجهد نفسه بدراسة التفاسير الكثيرة ، ومدوّنات السنة وشروحها ، ومؤلفات أصول الدين ، وأمهات الفقه وأصوله ، ومطوّلات التاريخ والأدب ، وكتب المقالات والنحل ، يمعن النظر فيما أُلّف في هذه العلوم والفنون ، ويستخرج منها حقائق يبذل لها من نفيس وقته ، وقوة عقله ، ودم قلبه ، ما يشهد له به كلّ من وقف على مصنفاته ، ورسائله التي كانت تتهاداها المجلات الكبرى في مصر والشام ولبنان ، كالمنار والمقتبس والعرفان ، فكان ينشرها على صفحاتها إيماناً واحتسابا ، ولم يكن يبغي منها ، ولا مما يطبعه مستقلاً ، إلا وجه الله والدار الآخرة .

وكنت قلت في مقدمتي لكتابه « قواعد التحديث » الذي خرّجت أحاديثه ، وطبع بعد وفاته ، ما نصه :

« إن مما يقضي بالعجب من أمر أستاذنا المؤلف رحمه الله تعالى ، هو كونه خلف زهاء مائة مصنف أو أكثر ، ولم يبلغ الخمسين من عمره ، وندر جداً أن ترى كتاباً في خزانته الواسعة ، مخطوطاً أو مطبوعا ، خالياً من التعليقات

الكثيرة ، والتصحيح على الأصول الخطية الصحيحة ، ولو طال عمره لرأينا من آثاره النافعة أكثر مما رأينا ، ومن نفاسة تآليفه فوق ما شاهدنا ، فإن الأستاذ كان في تجدد مستمر ، استمده من علوم العصر وحقائقه ، وانكشف له به عن كثير من أسرار الشريعة وغوامضها » .

ثم رجوت أن توفق الأمة إلى طبع ما اشتدت إليه الحاجة من مؤلفاته ، لا سيما تفسيره الكبير الجليل ، المسمى بـ « محاسن التأويل » .

وقد تفضل المولى سبحانه وله الحمد والشكر ، ويسّر طبعه في دار إحياء الكتب العربية بمصر ، لصاحبها السيّد عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ووقف على طبعه وتصحيحه ، ورقّمه ، وخرّج آياته وأحاديثه ، وعلّق عليه ، خادم الكتاب والسنة ، العلامة الأستاذ محمد فؤاد عبد الباقي الشهير .

هذا التفسير قد بلغ اثني عشر جزءاً كبيراً بتجزئة المؤلف ، ولعله يبلغ بالطبع أكثر من عشرين إذا تساوت أجزاؤه ، وقد بدأه رحمه الله بمقدمة حافلة في أصول التفسير وقواعده ، وجعلها جزءاً مستقلاً قلما تقع العين على مثله ، وقد نجز طبع هذه المقدمة ، وهي الجزء الأول منه (١٣٧٦ هـ — ١٩٥٧ م) وخُصَّ كاتب هذه السطور بمراجعة المطبوع جزءاً فجزءاً . وتصويب الأغلاط المطبعية ، وهو ما يراه القرّاء آخر كل جزء منه ، وهذا بعض حق شيخنا المؤلف علينا ، أجزل الله ثوابه .

من مباحث المقدمة : تمهيد خطير في قواعد التفسير — قاعدة في أمهات مآخذه — قاعدة في معرفة صحيح التفسير ، وأصح التفاسير عند الاختلاف — قواعد في معرفة أسباب النزول ، وفي الناسخ والمنسوخ ، وفي القراءة الشاذة — وقاعدة في قصص الأنبياء — وفصول في معنى ما نقل أن للقرآن ظاهراً وباطناً ، وكون الباطن هو المراد بالخطاب ، وفي وقوع تفاسير مشكلة في القرآن .

ومن عناوين المقدمة أيضا : العرب الذين نزل القرآن بلسانهم — العلوم التي

كان العرب يعتنون بها ـ لا بد في فهم الشريعة من اتباع معهودهم ـ قصص التاريخ لا يراد بها سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص ـ قاعدة الترغيب والترهيب في التنزيل الكريم ـ وفصول في أن الأحكام في القرآن أكثرها كلية ـ القرآن فيه بيان كل شيء من أمور الدين ـ أقسام العلوم المضافة إلى القرآن ـ المدني من السور منزّل في الفهم على المكي ـ مدخل السنة في تبيين الكتاب ـ في أن الأدلة الشرعية لا تنافي قضايا العقول ـ السنة تفصّل ما أجمله الكتاب .

ومن أبدع فصول المقدمة وأمتعها : هل في القرآن مجاز أم لا ؟ وهل في اللغة أسماء شرعية نقلها الشارع عن مسمّاها في اللغة ؟ ـ ذكر مجمل مقاصد التنزيل الكريم وضروب التفسير ـ مطلب في سر التكرير ـ ذكر بديع أسلوب القرآن الكريم ـ معنى السبع في حديث «أنزل القرآن على سبعة أحرف» ، معنى الأحرف في الحديث ـ بحث القراءات الشاذة ـ ثمرة اختلاف القراءات وتنوّعها ـ إجمال المباحث المتقدمة في تواتر القراءات وعدمها ، وختمه بفصل في ذكر ملخص وجوه التفسير ومراتبه (للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده) ، وآخر في بيان دقائق المسائل العلمية الفلكية الواردة في القرآن الكريم ، ثم بيان أن الصواب في آيات الصفات هو مذهب السلف ، وذكر انطواء القرآن على البراهين والأدلة ـ والخاتمة في شرف علم التفسير .

ومن المباحث المهمة التي تعنى مجلتنا بمثلها : تقسيم الألفاظ الدالة على معانيها إلى حقيقة ومجاز ، فقد نقل المؤلف بحثاً ضافياً عن إمام المعقول والمنقول ابن تيمية ، نفى فيه هذا التقسيم ، وقال : هو اصطلاح حادث بعد انقضاء القرون الثلاثة ، لم يتكلم به أحد من الصحابة ، ولا التابعين لهم بإحسان ، ولا أحد من الأئمة المشهورين في العلم كمالك ، والثوري ، والأوزاعي ، وأبي حنيفة ، والشافعي ، بل ولا تكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل ، وسيبويه ، وأبي عمرو بن العلاء .... ونحوهم .

نقل شيخنا المفسّر القاسمي رأي الإمام ابن تيمية بطوله في الحقيقة والمجاز ، وما زال الناس يتساءلون ، فمنهم من يقول : إن ابن تيمية ينفي المجاز في أسماء الله تعالى وصفاته ، ويثبته فيما عدا ذلك ، ومنهم من يقول : إنه لا يرى وقوع المجاز في القرآن أصلا ، ومنهم من يرى أنه ينكر المجاز في لغة العرب ، ويجيب ابن تيمية عن ذلك كله فيقول ما خلاصته :

(١) إن المجاز الذي هو قسيم الحقيقة لم تعرفه العرب قبل الإسلام ، ولم ينطق به أحد من الصحابة الكرام ، ولا من التابعين لهم بإحسان .

(٢) هو اصطلاح حادث بعد القرون الثلاثة ، وإنما اشتهر في المائة الرابعة ، وظهرت أوائله في المائة الثالثة ، ولم يعلم في المائة الثانية ، اللهم إلا أن يكون في أواخرها .

(٣) لم يتكلم به أئمة اللغة والنحو كالخليل بن أحمد الفراهيدي (م ١٧٠ هـ) وتلميذه سيبويه (م ١٨٠ هـ) وأبي عمرو بن العلاء (م ١٥٤ هـ) ونحوهم .

(٤) إن أبا عبيدة معمر بن المثنّى (م ٢٠٩ هـ) هو أول من تكلم به في كتابه (المجاز) .

(٥) إن معنى (المجاز) عنده وعند أئمة اللغة والنحو الذين سبقوه ، هو ما جاز لغةً ، لا أنه قسيم الحقيقة .

(٦) بيّن أن القائلين بوجود (المجاز) ـ وهو استعمال الكلمة في غير ما وضعت له ـ يأتي أحدهم إلى ألفاظ لم يعلم أنها استعملت إلا مقيّدة ، فينطق بها مجرّدة ، وضرب لذلك الأمثال ، كلفظ العين والرأس والأسد والبحر وغيرها ، وجاء بأمثلة من القرآن الكريم ، وأوضح أن كلاً منها حقيقة في معناه .

نكتفي بهذا القدر في الكتابة عن مقدمة هذا التفسير الجليل : « محاسن التأويل » وسنعود إلى الكتابة عن فرائده وفوائده في أجزائه التالية إن شاء الله تعالى .

محمد بهجة البيطار

الاتجاهات الفكرية في بلاد الشام وأثرها في الأدب الحديث

محاضرات الدكتور جميل صليبا

ألقى الدكتور جميل صليبا عميد كلية التربية ونائب رئيس الجامعة السورية طائفة من المحاضرات في معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة .

صدّر المحاضرة الأولى بمقدمة أشار فيها الى موضوع محاضراته وطريقة هذا الموضوع وأقسامه ، ثم أفاض في طبائع أهل الشام واستوفى الكلام على هذه الطبائع في المحاضرة الثانية .

وفي المحاضرتين الثالثة والرابعة تكلّم على العوامل المؤثرة في الاتجاهات الفكرية الحديثة وعلى رأس هذه العوامل الأحداث التاريخية وتأسيس الجمعيات والأحزاب السياسية واقتراب الشاميين وهجرتهم وعناصر الحضارة الغربية وأثرها في الاتجاهات الفكرية ونموّ الحياة الاقتصادية وانتشار التعليم .

وفي المحاضرة الخامسة أتمّ البحث عن العوامل المؤثرة في الاتجاهات الفكرية الحديثة فأضاف الى العوامل التي ذكرها حركة الترجمة والتأليف .

أمّا المحاضرة السادسة فقد جعلها للاتجاهات الفكرية في بلاد الشام فأمضى القول في القومية والوطنية والانسانية واستوفى هذا البحث في المحاضرة السابعة .

وتكلّم في المحاضرتين الثامنة والتاسعة على الطبيعة والمجتمع في أدبنا الحديث .

وفي المحاضرة العاشرة أشار الى النزعتين المادية والروحية في هذا الأدب .

وجعل موضوع المحاضرتين الحادية عشرة والثانية عشرة الاتجاه العلمي والاتجاه الفني .

ثم ختم محاضراته كلها بكلمة وجيزة فرغب الى القارئ أن يلمّ بما في محاضراته من إشارات سريعة وأن يكمّل هو نفسه ما تومئ اليه هذه الإشارات من أفكار لم يتسع وقت المحاضر لتفصيلها وتوضيحها .

***

انني لم أذكر فهرس هذه المحاضرات وعناوينها عبثاً ، فلا شك في أن القارئ يحسّ بجلالة قدر هذه الموضوعات من ذكر الفهرس والعناوين ، ولا شكّ في أنه يشعر بخصب هذه الموضوعات ، وبسعة آفاقها . وما أظن أن محاضراتٍ كهذه يسهل الخوض فيها . فالذي أعان الدكتور جميل صليبا على التبريز في موضوعه إنما هو على ما أعتقد اختمار عقله ونضج تفكيره الفلسفي فما تصدّى لفكر من الأفكار إلاّ أحاط بهذا الفكر من مجامع نواحيه أو من أكثر هذه النواحي . وأعانه على هذه الإحاطة كما قلت تفكيره الفلسفي العميق فانه يُعنى في كل ناحية بالمقدمات والنتائج وبالأسباب والمسبّبات ، شأن الفلاسفة الذين لا يقنعون بظواهر الأمور دون التدقيق في بواطنها . فالدكتور صليبا لم يعالج موضوعاته في المحاضرات من ناحية السطوح وانما انحدر الى الأعماق فكشف عن غوامضها فوضّح ما يحتاج الى توضيح ، وفصّل ما يفتقر الى تفصيل ، بحيث لا يعترض الذهن في خلال القراءة إشكال أو غموض ، وإنما يتراءى الموضوع للذهن كأنه أمام مرآة صافية مصقولة . فهنيئاً للذين رزقهم الله روحاً فلسفية تمكّنهم من أشباه هذه التوضيحات والتفصيلات .

ولكن هذه الروح الفلسفية التي رزقها الله الدكتور صليبا لم تخل من روح أدبيـة دقيقة صادقة ، فهو يذوق الشعر كما يذوق الفلسفة ، ويقدر على معرفة أسراره وخصائصه كما يقدر على معرفة أسرار الأشياء وخصائصها ، فان الذي يقلّب النظر في هذه الأحكام الوجيزة التي حكمها على كثير من قصائد الشعراء في هذا العصر لا يشكّ في أن صاحب هذه الأحكام قد خالط كبار الشعراء في القديم والحديث وامتزج بأرواحهم وأدرك حسّهم وشعورهم حتى اهتدى الى مواطن الحسن في أكثر الشعر ، وحتى نبّه على هذه المواطن ، وبيّن حقائق قيمتها .

فاذا شكرنا للدكتور جميل صليبا مجهوده في محاضراته التي ظهرت عليها آثار عقل راجح وفكر ناضج وذوق صافٍ فانّا نشكر لمعهد الدراسات العربية العالية حسن اختياره للأساتذة المحاضرين .

شفيق جبري

محاضرات عن شعر الحماسة والعروبة

في ديار الشام

من أواخر القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين

القسم الأول في ١٢٠ صفحة ، ثماني محاضرات ألقاها الدكتور أمجد الطرابلسي في معهد الدراسات العربية العالية ، نشرها المعهد وطبعها في مطبعة نهضة مصر بالقاهرة سنة ١٩٥٧

كان الأستاذ ساطع الحصري قد دعا ، منذ عهد طويل ، إلى إنشاء معهد للدراسات العربية ، يتخرج فيه الشباب المثقف المؤمن بعروبته ، الواعي لها ، العارف بواقعها وآمالها ، العالم بعوامل القوة والضعف فيها ، العامل على توجيهها الوجهة الخيّرة النيّرة المفيدة . وكان من إنجاح مساعيه في هذا الميدان أنْ أنشأتْ جامعة الدول العربية « معهد الدراسات العربية العالية » في القاهرة ، وعهدت إلى الأستاذ الحصري في إدارته والإشراف عليه منذ بضع سنوات ؛ فسنّ فيه سنّة حميدة لا تزال متّبعة إلى اليوم ، رغم تخلّيه عن العمل فيه . وتقضي هذه السنّة بأن يُدعى ، لمحاضرة طلاب المعهد في موضوعات عربية عصرية ، رهط من رجال الفكر والبحث في البلاد العربية ؛ وبأن تطبع بعدئذ هذه المحاضرات وتنشر على الناس ، فلا يقتصر نفعها على طلاب المعهد من دون غيرهم . وكانت لنا من هذه المحاضرات العديدة المنشورة ثروة عظيمة ينهل منها الشادي ، ويستفيد منها الباحث ، ويرجع إليها المتمكن المتقدم ؛ وليس هنالك معهد يضارع معهد الدراسات هذا في احتفاله ببحث حاضر العالم العربي بحثاً علمياً في جملته ، وتيسير الاطلاع على حصاد هذا البحث للمشتغلين والدارسين .

وقد دُعي الأستاذ الدكتور أمجد الطرابلسي (أحد مدرّسي كلية الآداب في الجامعة السورية) إلى أن يحدث طلبة قسم الدراسات الأدبية في المعهد المذكور ،

عن الشعر الحماسي في سورية ، فقبل الدعوة سنة ١٩٥٦ ، ولكنه جعل موضوعه : شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام في أواخر القرن التاسع عشر وخلال النصف الأول من القرن العشرين . وقد بيّن ، في المقدمة التي وطّأ بها لمحاضراته ، أن المقصود بالشعر الحماسي عنده هو ذلك (الشعر الذي نظمه الشعراء في معارك النضال القومي ، ممجّدين فيه بطولات الأبطال والشهداء ، منددين فيه بمظالم المستعمرين وأحابيلهم ، مستحثين فيه همم مواطنيهم كي يمضوا قدماً في الكفاح حتى يستردوا حقوقهم المهضومة) . واستبعد الشعر السياسي أي (الشعر الذي يدور حول المنازعات الحزبية الضيقة ، فلا تعبق منه رائحة النضال ولا يتصل بالقضية القومية الكبرى) .

ألقى الدكتور الطرابلسي في هذا الموضوع ثماني محاضرات وقف فيها عند نهاية الثورة السورية ، فكان منها هذا القسم الأول من الكتاب الذي نعرّف به اليوم . أما القسم الثاني من شعر الحماسة والعروبة في بلاد الشام من بعد الثورة السورية حتى منتصف القرن العشرين أي إلى نكبة العرب في فلسطين فنرجو أن نراه منشوراً في القابل . ولن يتعرض المحاضر إلى الشعر الذي قيل فيما بعد ذلك ، فقد اتجه الشعر السياسي والحماسي بعد النكبة ، تحت تأثير المذاهب السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وجهات جديدة (لم تتبلور بعد تماماً) .

ينبغي لمن يعالج مثل هذا الموضوع ذوق شعري مرهف ، ونقد بصير نيّر ، وثقافة واسعة عميقة ، وإيمان مخلَص متمكن ، وكل أولئك من عُدّة المحاضر ، ويتجلى واضحاً بيّناً في هذه المحاضرات التي بين أيدينا .

رأى المحاضر لتسهيل البحث أن يستعرض الحوادث التاريخية التي مرّت ببلاد الشام ، وأن يقرن بها ما يرافقها ـ أو ما يهيئ لها أو ما ينتج عنها ـ من شعر قومي حماسي قاله شعراء هذا القطر ؛ فبحث أولاً في الشعر الحماسي واتجاهاته قبل إعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ ، ثم ما قيل من الشعر بعد إعلان

الدستور إلى أن خلع عبد الحميد ، ثم عكف على وصف هذا الشعر في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الأولى ، وانتقل بعد ذلك إلى شعر الحرب الذي قيل في شطرها الأول قبل تعليق أحرار العرب على المشانق في ٦ أيار ١٩١٦ ، وفي شطرها الثاني وقد شبت الثورة العربية ، ثم توقف المحاضر طويلاً عند ميسلون وما قيل فيها ، ثم نظر في فترة اليأس التي أعقبتها إلى أن اشتعلت نار الثورة السورية . وهو يحاول ، أثناء بحث ذلك كله ، أن يتبيّن اتجاهات هذا الشعر وأغراضه ومراميه ومعانيه ، ويؤرخ ، من خلال هـذا الشعر ، نشوء فكرة القومية العربية ، ويصف أسسها وأهدافها وأطوارها ، ويجلو أثر الشعر في بثها في النفوس ، وإسهام الشعراء القوميين في إبرازها وتحديد سيرها ، وشحذ العزائم في سبيل نصرتها والتمكين لها .

والمحاضر لا يترجم لهؤلاء الشعراء ، ولا يستشهد بهم جميعاً ، وانما يختار نماذج من شعر بعضهم الحماسي ، تعين على وضع الصوى وجلاء الأفكار . وهو لايزوز دوماً قيمة هذا الشعر الفنية ، ولا يعبأ ببنائه إذا سلم معناه ، حتى إنه ليستشهد حيناً بشيء من النظم نحتاج إلى قدر وافر من سعة الصدر لنبلغ به مرتبة الشعر ، ولكن المحاضر في ذلك غير مليم ، إذ لم يكن حظ شعراء هذه الفترة واحداً من سليقة الشعر القوي الأسر الناصع الديباجة .

قد يخطر بالبال أن الحكم الصادق المتجرد المنصف على شعر هـذه الفترة القريبة منا ، وعلى أصحابه ، أمر لا يتيسر الآن ، وأنّ من الخير الأناة والريث ، فقد تحجب الشجرة القريبة ، عن أبصارنا ، رؤية الغابة كلها ، فيستبهم من ذلك تبيّن موقع هذه الشجرة من الغابة وقدرُها فيها ؛ ولكن لا بد من خطوة أولى يخطوها الرائدون من الباحثين ، تنير أول الطريق ، وتيسر السلوك فيه ، وقد سبق الأستاذ الطرابلسي مشكوراً إلى تمهيد السبيل وتحديد معالم البحث .

أما أسلوب المحاضر فأسلوب الأديب العالم : سلاسة في التعبير ، وتسلسل في التفكير ، وعرض منسق منظم ، ولغة مأنوسة سهلة ، ونقد محكم منصف ، وحس مرهف ذواق .

فالشكر الوافر للمحاضر ، والحمد الواصب لمعهد الدراسات ، والترقب للقسم الثاني من هذه المحاضرات .

عبد الهادي هاشم

مجموعة الوثائق الفاطمية
(المجلد الأول)

جمعها وحققها الدكتور جمال الدين الشيال

عدد صفحات الكتاب (٤٩٠) صفحة من القطع الوسط . طبع في مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر في القاهرة سنة ١٩٥٨

إن الدكتور الشيال لا يحتاج الى تعريف ، إن ما نشره من مؤلفات وأبحاث قيمة وتحقيق مخطوطات هي أبلغ ترجمة له . وهذه المجموعة التاريخية هي شاهد جديد على صحة ما اتصف به المؤلف من علم واسع وفضل زائد ، جمع في كتابه وثائق تاريخية إسلامية هامة عن الخلافة وولاية العهد والوزارة في زمن دولة العبيديين وعلق عليها بدراسات تحليلية وافية وضحت أكثر ما استغلق على الباحثين فهمه . ونظم للكتاب فهارس دقيقة تسهل للمراجع بحثه .

إن عناصر كتابة تاريخ للعرب بالمفهوم الحديث متوفرة ، غير انها مشتتة في تضاعيف ألوف التصانيف المخطوطة والمطبوعة على اختلاف موضوعاتها وفنونها ، ويتعذر على المؤلف الإحاطة بها مهما طال به العمر ومهما توفرت لديه أسباب البحث . ولهذا نجد التواريخ وغيرها من الدراسات الإسلامية التي نتداولها ، فجة وغير ناضجة ، ولم تتطور مع الأساليب الحديثة ، لأنها تعتمد على النقل

دون تمحيص أو نقد ، وكأن لسان حال أصحابها يقول : لا جود إلا من الموجود . وقد أصبح جمع شتات مثل هذه الوثائق وتصنيفها وضمها بعضها إلى بعض ونشرها من أجلّ الأعمال التي يمكن أن يقدمها الباحث الى المؤرخ ، فيزوده بمصادر جديدة ومادة قيمة يستعين بها لإثبات حقيقة أو نفي زعم أو تصحيح خطأ . وكم من معلومات تاريخية أغفلها المؤرخون فكشف عنها النقاب المنقبون عن آثار السلف المشيدة وصناعاتهم ونقوشهم وبعثوها من جوف الأطلال المتراكمة والخرائب المهجورة .

إن الكتاب الذي أخرجه الى قراء العربية الدكتور الشيال هو خلاصة عمل طويل وجهد مرهق ، وباكورة من مجموعة وثائق تاريخية وعد بمتابعة نشرها ، أمده الله بقوة من عنده لينجز ما وعد .

شريعة حمورابي

للدكتور عبد الرحمن الكيالي

عدد صفحاته (١٩١)صفحة من قطع الوسط . طبع في مطبعة الضاد في حلب عام ١٩٥٨

استهل الدكتور المؤلف كتابه بلمحة عاجلة عن تاريخ بابل السياسي ، وأخبار سورية في نظر التأريخ وعلم الآثار ، وعلاقتها ببابل والساميين . وقد جعلها مدخلاً للوقوف على حالة تلك البلاد السياسية والاجتماعية ، ووصفاً للبيئة التي سنت لأجلها هذه الشريعة .

كان الكشف عن نص شريعة حمورابي في مطلع القرن العشرين من أهم الأحداث عند علماء الآثار القديمة لما لها من شأن في الناحيتين التأريخية والتشريعية . وكانت أقدم وثيقة قانونية عثر عليها حتى ذاك التاريخ كما وضعها صاحبها[1] .

(١) كشفت الحفريات في السنين الأخيرة النقاب عن غيرها من النصوص القانونية منها : شريعة «أرنانوس» ، وشريعة إشنونا ، وشريعة ليبت عشتار ، وجميعها أقدم بنيف وعشرة قرون من شريعة حمورابي ، وقد استمد منها حمورابي شريعته .

وقد شغلت في الغرب علماء الآثار والأديان والقانون عشرات السنين ، وكتبوا عنها أبحاثاً ملأت خزائن كبيرة من الكتب .

وقد يقول بعضهم إن من العبث بعث موات العصور الغابرة ، بعد أن استنفدت على زعمهم جهوداً جمة وبعد أن أدرك الباحثون منهـا أغراضهم ، ولم يترك الغرب فيها زيادة لمستزيد ، وإن ما سيكتب بعدهم لا يتعدى النقل ولا يأتي بجديد ، ولئن صح هذا الرأي في بعض العلوم فلا يجوز إطلاقه على العلوم التأريخية ، لأن تأريخ كل أمة هو سلسلة متصلة الحلقات ، يلتقي يومها بأمسها ، وتمتد جذور حاضرها في أغوار ماضيها ، وتستمد جذوة نهضتها من التغني بأمجادها . وما شريعة حمورابي إلا واحدة من تلك الأمجاد التي تفاخر بها الشعوب السامية غيرها من الأمم ، فهي أول شريعة توخى بها صاحبهـا الذي لقب نفسه ملك العدالة خير بلاده وسعادة شعبه وإدخال السرور والاطمئنان الى قلوب رعيته ، وقد دون فيها الحدود والواجبات في المعاملات الخاصة والعامة ، كما تفعل الأمم الراقية في عصرنا الحاضر .

لقد سبق للأستاذ أحمد حسن الزيات ترجمة هذه الشريعة ونشرها . وليس بين الترجمتين فوارق كبيرة ، فكلتاهما اعتمدت أصولاً غربية متشابهة في صحتها وأخطائها وأبقت على ما استغلق فهمه على أرباب الدراسات من علماء الغرب . وإني موقن بأن أول ترجمة عربية لعربي يعتمد الأصل البابلي ستجلو لنا الكثير مما أشكل فهمه على علماء الغرب ، لأن رواسب الماضي رغم انقضاء ٣٧٠٠ سنة عليها ، لم تزل حية في لغتنا وتقاليدنا وأساطيرنا ، وفيها مفاتيح ما استعصى على غيرنا إدراكه .

ولا يخلو الاعتماد على الترجمات الغربية من محاذير توقع المترجم في أخطاء ، ولا سيما في ضبط الأعلام ، ومن ذلك استعاضته عن الحركات بحروف العلة كقوله مثلاً : (شماس) بدلاً من (شَمَس) ، و (سين عاميل) بدلاً من

(سَنْجَمِيل) ، كما أنه أثبت بعض الأعلام على الطريقة الغربية كقوله ص ١٠ (سارغون) وصوابه (سرجون) و (إيشتار) صوابها (عشتار أو عشترة) . وفي ص ١٩ (أوزيا) والصواب (عُزيًّا أو عوزيًّا) ، و (جوديا) صوابه (يهوذا) ، و (مبناهيم) صوابه (منَحيم) . وفي ص ٢٠ (هوشيا) صوابه (هوشع) ، و (ساماريا) صوابها (السامرة) . وفي ص ٢٤ (ابتوبال) صوابه (إتْبَعْل) ، و (سايروس) صوابه (كورش) . وفي ص ٣٢ (كولو سوريا) صوابها (سورية المجوفة أو البقاع) . وفي ص ٤٢ (شينار) صوابها (شنعار) . وفي ص ٦١ (حداد) صوابه (هدد) .

وأمثال هذه الغلطات شائعة عند أكثر المترجمين عن اللغات الغربية وفيها بلبلة وتشويش . ونأمل أن تكون هذه الباكورة التي يقدمها الدكتور الكيالي حافزاً للجيل الجديد من الآثاريين العرب على الاهتمام في ماضي بلادهم مستمدين أبحاثهم من ينابيعها ، ليعيدوا سيرة السلف لا في النقل والاقتداء فحسب بل في الابتكار والإبداع أيضاً .

الريف السوري ــ محافظة دمشق

(الجزء الثاني)

أقضية الغوطتين والزبداني وقطنا والقنيطرة

تأليف : أحمد وصفي زكريا

يقع هذا الجزء في (٦٠٠) صفحة من قطع الوسط يتخللها بعض الصور والخرائط الجغرافية . طبع في المطبعة العمومية في دمشق سنة ١٩٥٧

تكاد المصادر العربية المعاصرة التي تبحث عن خطط بلاد الشام عامةً والسورية خاصة أن تكون معدومة الأثر ، والموجود منها لا ينقع غلة ، ولا يزود الباحث

بما ينشده منها . ولم يزل أكثرنا عالة على السلف ، يستقي معلومات لجيلنا من مؤلفات وضعها أصحابها قبل قرون لأبناء عصرهم . وينقل الرواة عنهم وزر أخطائهم ، وينشرون دون تمحيص أوهامهم وأساطيرهم . ولا مندوحة لمن يريد التوسع في التحقيق من أن يعتمد المصادر الأجنبية ، ولا يتيسر ذلك إلا لقلة حذقت لغاتها ، ووقفت على أبحاثها ومؤلفاتها ، وتبقى الكثرة الباقية تتعسر بحسرة الحرمان ، وتتبلغ بفتات موائد هذه الأبحاث .

وليس من الوفاء أن نجحد فضل المؤلفات العربية القديمة الباحثة عن خطط البلدان وعمرانها ، أو ننكر جهد أصحابها وإن أصبحت اليوم قليلة الجدوى وقاصرة عن الوفاء بحاجة عصرنا . وقد أمسينا اليوم في أشد الحاجة الى مصادر جديدة تهدي سبيلنا وتقيل عثرتنا .

شعرنا كلنا بنقص مراجعنا في هذا الباب ، وطالبنا بسد ثغراتها . وقد حقق بعض هذه الأمنية البحاثة الأستاذ أحمد وصفي زكريا ، مذ أخذ على عاتقه القيام بهذه المهمة ، وباشر عمله بنشر سلسلة بحوث عن الريف السوري ، وأصدر الجزء الأول عن محافظة دمشق . وقد وفته هذه المجلة حقه في حينه ، وقدرت للمؤلف جهده . وصدر الآن الجزء الثاني الذي نحن بصدده ، وفيه واصل المؤلف بحثه ، فوصف أقضية الغوطتين والزبداني وقطنا والقنيطرة من محافظة دمشق ، معدداً قراها وجبالها وأوديتها وينابيعها ، وسارداً لمّا من أخبارها التاريخية والأثرية ، وذاكراً نهضتها العمرانية والزراعية والثقافية والاجتماعية ، وقد جمع هذه المعلومات من مصادر عديدة ، وعززها بما استقصاه بنفسه طيلة سنوات عديدة وبما حققه تحقيقاً دقيقاً .

وإن مَن عانى الطباعة في بلادنا لا يستغرب ابتلاء الكتب بأغلاط مطبعية لا يسلم منها مطبوع مهما أوتي محققه من العناية ودقة الانتباه . وقد رأيت أن أشير الى أهمها مع ما ظهر لي من ملاحظات وهي :

الصفحة	الخطأ	الصواب
١٨	ممتد بينها	ممتد بينها .
٢٥	بني فرقا	بني فوقا .
٣٢	مساكير	سكور ومساكر .
٣٤	شمالي	غربي وجنوبي .
٣٥	يثبت نهائياً حق نهر يزيد من ماء بردى عند الربوة وما يتسرب منه قبل ذلك هو من حقوق أرض دمر .	
٣٦	شرقي قرية دمر	جنوبي قرية دمر .
٣٨	القعاطلة	الأعاطلة .
٤٢	قناة بشر	قناة دير بشر .
٤٣	على ثبوت ضمان المشمس والعنب وغيرها	على ثبوت ضمان المشمش وغيره ، ولا يكون ضمان العنب إلا في فصل الصيف ولا خوف عليه وتتنذمن الصقيع .
١٢٣ و ١٣٧ و ٢١٨ وغيرها	قدسيا	آدسيا أو دسيا .
١٣٧	في قرية دمر نفق بلقيس	في قرية بسيمة ....
١٦٨	قناة أم أرانس	قناة بيت ارانس .
٢١٧	طاحونة السعدية	طاحونة السعيدية نسبة الى صاحبها سعيد شمدين .
٣٦٧	بقسم	بقعسم
٤٣٢	دريل	دربل .
٤٥٤	تل مري	تل مرعي .
٤٨٧	خربة الأمباجي	خربة الأمبشة .

وجاء في ص (٣٥) (شالسيس) تعريباً لاسم (Chalcis) اليوناني ، والأفضل أن يقال (خلقيس) تمشياً مع نهج تعريب الأعلام اليونانية ،

أو أن يقال قنسرين الجنوبية تمييزاً لها عن قنسرين الشمالية التي كانت تعرف هي أيضاً في القديم باسم خلقيس (Chalcis) الشمال ·

ويؤخذ على الأستاذ المؤلف إهماله تنظيم فهرس شامل للأمكنة ييسر على المراجع والباحث الاهتداء الى مطلبه ·

نشكر للأستاذ المؤلف جهده الكبير ونود لو اقتدى به العاملون في بقية المحافظات السورية وهم أعلم من غيرهم بشؤون محافظاتهم وأولى منهم بالبحث فيها ·

جعفر الحسني

ثلاثة علماء من شيوخ بني معروف

كتاب صفحاته ١١٢ ، اخراج دار الغد للطباعة والنشر ببيروت ، سنة ١٩٥٧

مؤلف هذا الكتاب الأستاذ عارف أبو شقرا من أفاضل بني معروف الأدباء ، فمن قبل قرّظت له مجلتنا كتابه التاريخي الثمين وهو (كتاب الحركات في لبنان الى عهد المتصرفية) ، أما في هذا الكتاب الذي يفيد المؤرخين وعلماء الملل والنحل ، ويسد ثغرة في تاريخ أدبنا ، فقد بحث المؤلف عن ثلاثة من شعراء بني معروف ، وسماهم علماء ، لأن الشعر في عصر ضعف العربية كان من صنع الشيوخ في كثير من الأقطار العربية ، وهؤلاء الشعراء الثلاثة هم الأمير سيف الدين التنوخي والشيخ يوسف الكفرقوقي والشيخ الفاضل محمد أبو هلال ·

وفي المقدمة تكلم المؤلف عن شعر بني معروف وخصائصه ، وعن ازدهار الأدب في العهد التنوخي بلبنان ، وعن التصوف المعروفي الذي لم يمنع شيوخهم أولي العمائم من قتال الفرنجة تحت راية صلاح الدين الأيوبي · وقد أيد المصنف ذلك بكثير من الأدلة التاريخية · والمختارات الشعرية لا تخلو من أغلاط عربية يغلب على الظن أنها من مسخ النسخ ، ولذلك حرص المؤلف على تصحيح الشعر من الخطأ ، وعلى شرح الغامض منه ، فله أطيب الثناء على ما يبذل في خدمة العلم من عناء ·

التنوخي

النقود والبنوك في البلاد العربية

«مصر والسودان»

محاضرات في مائة صفحة وصفحتين ألقاها الدكتور فؤاد مرسي على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

تبسط الدكتور المحاضر في محاضراته ، فبين أهداف النقد في العالم ، وعلاقته بالاقتصاد الوطني ، وحالة النقد والاقتصاد في البلاد العربية ، وأوضح أن الاقتصاد في البلاد العربية اقتصاد تابع ومتماثل ، وأن الطابع الزراعي هو الغالب فيه ، وأنه لا يزال متأخراً ؛ والحق أن الاقتصاد العربي كان تابعاً ، ولكنه اليوم قد بدأ يأخذ طريقه التحرري ، وأصبح حرًّا وموجهاً في وقت واحد في كثير من الأقطار العربية ، وذلك لتأمين النهوض السريع .

ثم بين المحاضر مساحة الأراضي الزراعية في البلاد العربية ، وصافي انتاج الفدان والفرد ، وقال : إن الاقطاعية في الأراضي العربية هي السائدة ، وإن الملكيات الصغيرة في تدهور ، وإن الأراضي التي تُروى بمياه الأنهر قليلة ، بالنسبة الى الأراضي التي تُسقى بمياه الأمطار ، والتي يجف محصولها في كثير من السنين ، وهذا القول صحيح ، على أن الإقليم المصري قد حدد الملكية الزراعية ، وستُحدد تدريجاً في كل البلاد العربية .

ثم بحث عن الصناعة في البلاد العربية ، وذكر أنها لا تزال هزيلة ، وأنها لا تستخدم أكثر من ٤ — ٦ ٪ من مجموع السكان ، وأن تلك الصناعة بدأت بالتقدم ، وقد يساعدها على التقدم وفرة اليد العاملة ؛ ويقصد بذلك أن كثرة اليد العاملة تخفض من أجور العمال ، وعندئذ تكون كلفة الانتاج زهيدة بالنسبة الى الغرب ، وقوله هذا معقول ، على أن من واجب القائم على الصناعة أن يحسن إدارة أعمالها .

ثم بحث عن التدخل السياسي الغربي في الاقتصاد العربي ، عن طريق المصارف والنقل وغير ذلك ؛ وبين أن الأموال الأجنبية كانت مستثمرة بكثرة في عام ١٩٣٨ وما قبله ، وذكر مقدار الانتاج البترولي في البلاد العربية ، وتأثيره على الاقتصاد العربي ، وما هو الانتاج الهام في البلاد العربية ، وقيمة صادرات القمح ، وضعف التصدير ، وضآلة الادخار القومي ، وهذا القول ينطبق على البلاد العربية بصورة عامة ، ولكن صادرات اقليمي الجمهورية العربية قد تساوت تقريباً مع المستورد من الخارج ، والادخار في الاقليم المصري يسير سيراً مرضياً .

ثم خرج من هذا البحث الى بحث حالة النقود والمصارف في مصر والسودان وتاريخها وقال : إن النقود الورقية قد ظهرت في مصر لأول مرة في ابريل عام ١٨٩٩ ، وتعوّد الناس استعمالها تدريجياً . وفي عام ١٩١٦ انتقلت مصر رسمياً الى قاعدة المصرف بالاسترليني ، على انها قد اتخذت طريقها عام ١٩٤٩ في تحرير نقدها من الاسترليني ، وهو ما جعلها ترفع مقدار التغطية الذهبية من ٦٬٣٧٥٬٨٧٤ جنيهاً في غاية عام ١٩٥٠ الى ٦٠٬٥٥٢٬٦٠٦ جنيهاً في عام ١٩٥٢ ، وذلك ضروري لاستبقاء الثقة في النقد المتداول وإن يكن للنقد المتداول ضمانة تأتي عن تصدير السلع ، وهذه الضمانة هامة في الإقليم المصري .

وبين المحاضر أيضاً تاريخ المصارف في مصر ، فقال : إن المصرف المركزي قد أنشئ عام ١٨٩٨ ، وكان هم الإنكليز أن يجعلوه منافساً للبنوك التجارية ومسيطراً عليها لا مساعداً لها . وودنا لو ان الدكتور مرسي لخص نظام ذلك المصرف وبين سيئات مواده . ثم قال : إن النقد السوداني الذي انفصل عن النقد المصري عام ١٨٨٥ قد عاد وارتبط به ، وأصبح التداول في السودان بالنقد المصري عام ١٨٩٩ . وذكر مقدار ودائع البنوك في مصر من عام ١٩٤٦ الى عام ١٩٥٢ ، وتجارة السودان مع مصر ومع الانكليز ؛ ومساحة الأراضي التي كانت تزرع قطناً في السودان من عام ١٩٢٥ حتى عام ١٩٢٦ ، وكانت

تلك المساحة ٨٠٠٣١ فداناً فارتفعت سنة ١٩٢٠ – ١٩٤١ الى ٦٤٨و٢١٤ فداناً .

وقد كنت أتمنى أن يتوسع الدكتور في بحث أسباب تأخر التجارة بين مصر والسودان ، وأسباب تقدمها بين السودان وانكلترة ، وأن يوضح أهم العوامل التي أدت الى زيادة مساحة الأراضي المزروعة قطناً في السودان ، وذلك لتعميم الفائدة .

وبعد لقد أجاد المحاضر الفاضل في محاضراته المفيدة .

البترول في البلاد العربية

محاضرات في ٢٦١ صفحة ألقاها الدكتور محمد جواد العبوسي
على قسم من طلبة معهد الدراسات العربية العالية في القاهرة

أوضح الدكتور في تلك المحاضرات تاريخ امتيازات البترول في البلاد العربية ، والتزاحم الانكليزي الفرنسي ثم الامريكي عليها ، وتكاليف الإنتاج ، بالنسبة الى قيمة ما يستهلك في سبيله من البترول والفحم ، ومقدار البترول الاحتياطي العربي الذي يقدر بمقدار ٦٥٤٤ مليون طن أي ٤٢و٢٥ في المائة من مقدار الاحتياطي في العالم البالغ ١٥٥٨٠ مليون طن ، ومقدار ما ينتجه كل قطر عربي منه ، وذكر المحاضر الاتفاقات التي وضعت بين الأقطار العربية التي فيها بترول والشركات المستثمرة له ، ودوافع الاحتكار الناتجة عن الحاجة والتجارة والاستعمار ، وكيف أن الشركات كانت تحدد الثمن لمصلحتها ، ولم تترك للدول صاحبة البترول أي شأن في تقرير السياسة العامة للشركات .

وأوضح أيضاً تطور صناعة البترول وآثارها في الاقتصاد العربي ، ومتى وأين بدأ البحث عن البترول العربي واستثماره ، والزيادة المضطردة في الإنتاج بسبب الطلب العالمي عليه ، وذكر أن أنابيب البترول العراقية التي تتصل بالبحر المتوسط

تصب فيه ١٤ مليون طن سنوياً ، وأن أنابيب البترول السعودية تصب فيه أيضاً ١٥ مليون طن ، مع العلم بأن هذه الكمية هي دون نصف الإنتاج ، وأن ربح سورية ولبنان والأردن من البترول الذي يمر في أراضيها لا يزيد على مليون و ٨١٥ الف دولار فقط .

ومما جاء في المحاضرات أن معامل التكرير في البلاد العربية تكرر ٣٢و٧ مليون طن مع أن الكميات المستهلكة في البلاد العربية المنتجة للبترول كانت عام ١٩٥٢ خمسة ملايين و ٧٢٠ الف طن ، وهذا يعني أن الشركات المستثمرة تبيع البترول المصفى ، بكميات وافرة ، خارج البلاد العربية ، ولم يسه المحاضر عن ذكر أسواق البترول العربي الذي يصدر اليها ، وأرباح الشركات المستثمرة .

ومما ذكره أيضاً ما تدفعه الشركات الى العمال العرب من الأجور ، وما تقدمه اليهم من المساعدات ، وقد كان من المفيد أن يبين ، عند ذكر ذلك ، نسبة ما تدفعه من الأجور وما تقدمه من المساعدات ، الى الربح الفاحش الذي تحصل عليه ، ذلك الربح الذي ضاع على حكومات البلاد المنتجة . وكان أيضاً من المستحسن أن يبين القيود الاستعمارية التي تقيد بها الشركات وحكومات الشركات بلادنا العربية المنتجة وأضرارها على الأمة العربية .

وقد أحسن الدكتور العبومي في قوله : «فاذا لم تقم الأجيال الحاضرة في هذه الأقطار باعادة تكوين هذا العنصر المهم من عناصر رأسمال الأمة العربية ، طبقاً للمبدأ الذي جئنا في الاشارة اليه فانها تكون قد فرطت وأي تفريط في حقوق الأجيال التي ستعقبها الخ ...» (ص ٢٣١) .

وهذا لعمري قول حق ، وقد أصبح من الواجب على الأمة العربية أن تنظر نظرة جدية الى هذا الموضوع الهام ، وأن تتخذ الوسائل المؤدية الى الإفادة فائدة كبرى من هذه الثروة القومية العظيمة .

وأحسن الدكتور أيضاً في قوله : «انه يجب استخدام الدخول الناتجة عن البترول ، في تنمية القوى المنتجة في الأمة ، من مادية وبشرية ، تنمية تمكننا في المستقبل من تعويض النقص الذي يحدث في هذا المصدر عندما يبدأ بالتناقص ، أو عندما ينفد نهائيا (ص ٢٣٢) ، أو عندما تقوم الذرة مقامه» (ص ٢٣٢) .

وهذا رأي سديد ولا ريب ، يجب على كل الحكومات المنتجة أن تنتبه اليه ، لأن بقاء الأمة العربية فقيرة ، مع أنها تريد مجاراة العالم في الميدان الحضاري ، لا يجوز مطلقاً .

وفي الحق أن هذه المحاضرات قيمة ، وأن الدكتور قد صرف جهوداً طيبة في تهيئتها .

منير الشريف

آراء وأنباء

مخطوطة جديدة من تاريخ داريّا

أصدر المجمع العلمي العربي بدمشق، عام ١٩٥٠، «تاريخ داريا» للقاضي عبد الجبّار بن المهنّا الخولاني، المتوفى بعد سنة ٣٦٥ هـ، بتحقيق الأستاذ سعيد الأفغاني.

اعتمد المحقق في إخراج النص يومئذ على مخطوطة من الكتاب وُجدت في المتحف البريطاني، رقمها ٣٦١٦. ومعلوم أن إخراج نصٍّ ما عن مخطوطة واحدة، ليست بخط المؤلف، ولا قرأها أو صحّحها من العلماء مَنْ يوثق به، مغامرة لا تخلو أحايين كثيرة من الخطر، ولا يسلم صاحبها من الزلل. لذلك فات الأستاذ المحقق أشياء كثيرة، رغم ما بذل من جهد مشكور في التحقيق.

وفي سنة ١٩٥٦ عثرنا في مكتبة جامع الزيتونة بتونس على مخطوطة جديدة من تاريخ داريّا. فصوّرناها لمعهد المخطوطات العربية، آملين أن تتاح لنا الفرصة لمقابلة المطبوع بها. وبانتظار ذلك نوّهنا بها في كتابنا «المؤرخون الدمشقيون وآثارهم المخطوطة» عند الكلام على ابن المهنّا.

ثم عكفنا على دراسة المخطوطة ومقابلة المطبوع بها. فوجدنا أنها مخطوطة عتيقة، صحيحة، نقلت من أصل عتيق جيد، وأن النسخة من رواية ابن عساكر مؤرخ دمشق، عن ابن الأكفاني، عن الكتاني، عن ابن طوق الداراني الطبراني، عن المؤلف القاضي عبد الجبار الخولاني.

وقد أثبت على النسخة سماعات كثيرة لعلماء أجلاّء من علماء دمشق في القرن السادس والقرن السابع . وأقدم هذه السماعات سماع ابن عساكر على شيخه ابن الأكفاني وهذا نصّه :

«سمع جميعه مني الشيخ أبو القسم علي بن الحسن بن هبة الله بقراءته عليّ
«من أصل سماعي . وكتبه هبة الله بن أحمد بن محمد الأكفاني بخطه
بدمشق في المحرّم
«من سنة عشرين وخمس مائة لهجرة نبينا محمد خاتم النبيّين صلّى الله عليه وسلم . »

فيكون ابن عساكر قرأ هذا الكتاب على شيخه وعمره احدى وعشرون سنة ، لأنه وُلد سنة ٤٩٩ هـ .

وثمة سماعات كثيرة أخرى بعضها بخط البرزالي الاشبيلي (محمد بن يوسف بن محمد) وغيره ، في مسجد بني عبس ، ومسجد أبي سليمان الداراني بداريّا ، وجامع دمشق وغيرها .

وقد قوبلت هذه النسخة على أصلها . وأثبت في آخرها : « قوبل فصحّ بصحة أصله . ولله الحمد والمنّة » .

ويجب أن نذكر أنّ في آخر النسخة أيضاً زيادات ابن الأكفاني على تاريخ داريا .

وعلى الجملة فإن هذه النسخة مما يطمأن اليه من الناحية العلمية . فلما قابلنا المطبوع بها تبيّن لنا ما يلي :

١ً — في المطبوع أسانيد محرّفة ، سقط منها زواة كثيرون .

٢ً — وفيه نقص في الأحاديث والروايات .

٣ً — والنصّ فيه مضطرب غير مستقيم ، لا يتتابع الكلام فيه .

وان أذكر هنا الأسانيد المحرّفة الناقصة ، ولا الكلمات المصحّفة ، فإن هذا يطول . وسأكتفي بذكر أمثلة عن النقص في النص ، وعن عدم استقامة الكلام فيه .

آ ـ النقص في الأحاديث والروايات

١ ـ في ص ٣٨ س ٦ وود في المطبوع ما يلي :

سألتُ بعض ولد أبي ثعلبة قال : ناشر بن جرثوم .

وجاء في المخطوطة التونسية :

سألتُ بعض ولد أبي ثعلبة عن اسم أبي ثعلبة فقال : ناشر بن جرثوم .

٢ ـ في ص ٥٨ من المطبوع ما يلي :

... ومعه امرأته أم حرام .

أنها سمعت رسول الله ... يقول :

إن أول جيش يغزون من أمتي مدينة قيصر مغفور لهم . قالت أم حرام : وأنا منهم ؟ قال : لا .

وجاء في المخطوطة التونسية ما يلي :

قال عمير فحدثتنا أم حرام أنها سمعت رسول الله ... يقول : إن أول جيش يغزون البحر قد أوجبوا . قالت أم حرام : يا رسول الله ! أنا منهم ؟ قال : أنتِ منهم .

ثم قال رسولُ الله صلّى الله عليه وسلّم : أول جيش من أمتي يغزون مدينة قيصر مغفور لهم . قالت أم حرام : وأنا منهم ؟ قال : لا .

فانظر هذا النقص الكبير في المطبوع .

وفي هذين المثالين كفاية .

ب ـ اضطراب النص

يبدو أن أصل المتحف البريطاني كان دشتاً ثم جُمع . ولم ترتب أوراقه كما ينبغي فجمعت دون تدبّر النص ومتابعة الكلام . فما كان ينبغي أن يكون

في أول الكتاب جعل في آخره . وتنبه الأستاذ المحقق مرّة الى عدم استقامة النص (انظر حاشية ص ٣٨) ولكن جهوده التي بذلها والمصادر المخطوطة والمطبوعة التي ذكر أنه رجع اليها لم توصله إلى النص الصحيح .

وهاكم بعض الأمثلة :

١ — ص ٣٨ :

سألتُ بعض ولد أبي ثعلبة [عن اسم أبي ثعلبة فقال] ناشر بن جرثوم .

ثم يلي ذلك في نسخة تونس :

أخبرنا عبد الرحمن بن عبد الله بن عمر ، ثنا أبو زرعة قال : غزا أبو ثعلبة القسطنطينية مع يزيد ....

وقيل إن أبا ثعلبة كان يسكن ...

قال أبو علي : وأرى ولده انتقلوا ...

هنا تنتهي ترجمة أبي ثعلبة . وليس صحيحاً ما ذكره المحقق أن في ص ٥٥ بقية حديث أبي ثعلبة .

يلي ذلك في التونسية :

ومن النساء بداريا هند الخولانية .

وقد جاء هذا النص في المطبوع في ص ١٠٢ بدلاً من أن يكون في ص ٣٨ .

ثم جاء : وأم مسلم .

وقد جاءت في ص ١٠٣ من المطبوع .

يلي ذلك في التونسية :

ذكر التابعين الأكابر .

وقد جاء في ص ١٠٣ من المطبوع .

فما ورد في ص ١٠٢ ، ١٠٣ الى ص ١١٦ ينبغي أن يكون في ص ٣٨ وما بعدها .

٢ — في ص ١١٥ — ١١٦ من المطبوع :

حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي . ثنا كبير بن عبد (في التونسية : عبيد) الله .. ثنا بقية بن الوليد ، عن عبيد بن أبي | سليمان :

بعد كلمة أبي سقط في المطبوع . وقد اتصل السند بسندٍ آخر .

ففي التونسية : ... عن عُبيد | بن أبي حكيم ، حدثني عطاء بن أبي مسلم الخراساني .. حدثني أبو ادريس قال : جئتُ الى حمص ...

وهذا السند موجود في ص ٥٤ س ٧ من المطبوع . يبدأ من أبي حكيم ويستمر . فما جاء في المطبوع في ص ١١٦ ينبغي أن يكون في ص ٥٤ .

وليس هنا مجال لسرد أمثلة أخرى لهذا الاضطراب في النص الذي نجده في المطبوع . وهاذان المثالان يدلاّن أن النص المطبوع مشوّش ، مضطرب ، غير مستقيم . اختلطت أسانيده بعضها ببعض ، وكذلك دخلت التراجمات فيه بعضها ببعض ، هذا عدا عن السقط والنقص من ناحية ، والتحريف والتصحيف من ناحية ثانية .

ومن المؤكد بعد هذه الملاحظات ، أن تاريخ داريا المطبوع لا يمكن الاعتماد عليه في دراسات علمية ، والمرجو أن يُعاد طبعه عن المخطوطة التونسية .

ولا حاجة الى القول أن هذه الملاحظات لا تقدح في علم الأستاذ الجليل الأفغاني ، فلقد بذل جهوداً كثيرة لتحقيق هذا النص الصغير . وتحقيق المخطوطات بحر بعيد الغور لا يحيط به أحد .

صلاح الدين المنجد

من نوادر المخطوطات المغربية

الأستاذ عبد العزيز الميمني من أعضاء مجمعنا الثقات في الأدب ولغة العرب ، وسمط اللآلئ من مصنفاته من مراجع العلماء والأدباء . وهو كثير الرحلة في طلب العلم ، والبحث عن كنوز مخطوطاتنا العربية ، وفي زيارته الأخيرة لدمشق حرسها الله (سنة $\frac{١٣٧٧}{١٩٥٨}$) ، سألته في المجمع العلمي أن يحدثنا ببعض ما عثر عليه من نوادر مكتبات المغرب لننظم لقراء مجلتنا من لآلئها سمطاً جديداً ، فبدأ بوصف نوادر من مكتبة الرباط العامة جلبت اليها منذ نحو شهرين من خزانة الزاوية الناصرية بتمكروت منها :

١ — كتاب (حذف من نسب قريش) لمؤرّج السدوسي نسخ سنة ٢٥٥ للهجرة ، وقد ذكره بعضهم بالقاف (حذق) ، ولكنه في هذه النسخة الجليلة القديمة بالفاء الواضحة ، وقد ذكر فيها بالفاء مرتين ، ولعل (حذف) بمعنى نبذة ، وهو معنى لم تثبته المعاجم .

٢ — مجلدة تشتمل على عشر رسائل نفيسة :

الأولى منها : كتاب (الموجز) في النحو لأبي بكر بن السراج .

والثانية : كتاب (الموفقي) لابن كيسان ، نسبة للموفق بالله .

والثالثة : كتاب (الكِتَاب) وهو مضبوط بتخفيف التاء ، لا (الكُتّاب) جمع كاتب كما نشرته اليسوعية ببيروت ، ومعنى الكتاب هنا الكتابة ، وهو لابن درستويه أبي محمد عبد الله بن حفص .

والرابعة : كتاب (النحو) مع زيادات لأبي علي لُكْزه بضم اللام لا (لغده) كما هو مشهور به .

والخامسة : كتاب (الهجاء) لابن السرّاج .

والسادسة : كتاب (الياء في الهجاء) لابن درستويه .

والسابعة : كتاب (المذكر والمؤنث) للمفضل بن سلمة .

والثامنة : كتاب (المقصور والممدود) لأبي عمر الزاهد المطرّز علام ثعلب ، وهو محمد بن عبد الواحد .

والتاسعة : كتاب (العروض) لابن السرّاج .

والعاشرة : كتاب (القوافي) لأبي القاسم التميمي .

ففي هذه المجموعة النفيسة ثلاثة كتب لأبي بكر بن السراج وهو محمد بن السريّ .

مكتبة جامع القرويين

وأما مكتبة جامع القرويين بفاس المحمية فمن نفائسها :

١ — كتاب (المغازي) رواية يونس بن بُكَير عن محمد بن اسحق وغيره وليس فيها منه إلا أربعة أجزاء الثاني والثالث والرابع والخامس ، وهي بخط النسخ على الورق لا الرق ، وفيها سماعات من القرن الخامس والسادس .

٢ — (كتاب السماء والعالم) لأبي عبد الله محمد بن أبان بن سيد اللخمي القرطبي (— ٣٥٤) ومنه السفر الثالث وحده ، وهو قديم بالٍ ، وكان هذا الكتاب الجليل في ١٠٠ جزء ، وهو أصل المخصص لابن سيده ، يكاد يكون قد نقله نقلاً ، وقيل بل سلخه سلخاً ، ويتألف هذا الجزء الثالث من ١٧٢ ورقة ، والصفحة منها ٢٩ سطراً عريضاً ، فهو بقدر مجلدين ضخامةً ، وهو منقول عن نسخة الحكم المستنصر تلميذ أبي علي القالي الذي طلب من المشرق لتعليمه .

٣ — (مختصر العين) : لأبي بكر الزبيدي الاشبيلي نقله عن نسخة أخي أبي محمد بن السيد البطليوسي وهي نسخة جليلة على رق الغزال ، في مجلدة ضخمة .

٤ — كتاب (الألفاظ) لابن السكيت برواية ثعلب عنه ، وفي آخر الجزء الأول منه : قرأت جميع هذا السفر على أبي محمد بن السيد البطليوسي رضي الله عنه

في منزله ببلنسية حرسها الله ، وكان الفراغ من قراءته سنة ٥١١ هـ ، والنسخة على رق ، ومثل هذا في آخر الجزء الثالث منه .

٥ — سِيَر ابرهيم بن محمد الفَزاري : الجزء الثاني ، رواية ابن مروان على رَق في ١٨ ورقة ، وعليه خط ابن بشكوال ، وكتبت نسخة هذا الجزء سنة ٢٧٠ هـ .

٦ — كتاب المسلسل (بمعنى المداخل) للتميمي أبي القاسم ، وهو مؤلف من ثماني أوراق بخط الفازازي من وزراء الأندلس .

٧ — الكتيبة الكامنة في شعراء المئة الثامنة : في الأندلس للسان الدين ابن الخطيب وهي نسخة كاملة .

٨ — مختصر أبي مصعب أحمد بن أبي بكر الزُهري رواية أبي اسحق بن هند بن سعيد بن عثمان المدني ، وهو من فقه الموالك ، وفي آخره : وكتب حسين بن يوسف عبد الإمام الحكم المستنصر بالله سنة ٣٥٦ هـ .

٩ — المسائل والأجوبة لابن السيد أبي محمد البطليوسي مجلد مغربي ما كول .

١٠ — كتاب التاج للجاحظ مؤلف من ١٢ رقًا ، مما يدل على صحة نسبة التاج للجاحظ المطبوع بمصر .

مكاتب تونس

١ — ديوان النابغة الذبياني ، نسخة منه قديمة جدا بروايات أئمة اللغة ، في الأحمدية بتونس .

٢ — الذخيرة لابن بسام : المجلد الثاني منه ، وهي نسخة جليلة .

٣ — شرح حماسة الأعلم الشنتمري ، وعليه خط ابن دحية بالقراءة سنة ٥١٣ هـ .

٤ — كتاب (التيسير) لأبي عمرو الداني نسخة جليلة جدا ، وعليها خط ابن سعادة .

٥ — نيل الابتهاج بتطريز الديباج للتنبكتي ، مسودة المؤلف أهداها للمقري صاحب نفح الطيب .

٦ — اللباب لابن الأثير نسخة جليلة جداً عليها طرر لابن خلكان ، وللرضي الشاطبي (— ٦٨٤ هـ) . وقد طبعه القدسي بمصر .

هذا ما نسقّطناه من الميمني الجهبذ من جواهر الأسفار النوادر ، وفي بلاد العرب المغربية من العقيدة الراسخة والعروبة الصادقة والألسنة الفصاح والمفردات الصحاح ، وفيها من نوادر المخطوطات التي لا تزال في شرقنا العربيّ مجهولة ، وفي خزائن مكتبات المغرب مدفونة ، فيها من ذلك ما يستهوي القلب والعقل ، ويحمل على الرحلة اليها ليطلع الخلف على تراث السلف ، فنحن الى اكتشاف الأسفار أحوج منا الى اكتشاف الآثار ، وجزى الله أخانا الميمني هذا المفتون بالعلم والأدب والعربية والعرب خير الجزاء .

التنوخي

نجعة الرائد

(أو نظرة على قصيدة العروس وأخواتها)

قرأت ما كتبه الأستاذ عبد العزيز الميمني جاليًا[1] عن «العروس» وباحثًا عن صاحبها «القنّاص» ، ولقد أجاد فأفاد . والعاجز لا يستنكف أن يعترف بقصور باعه ، أو أن يتراجع عما انتشر من نفثات يراعه ، فالحق أحق أن يتبع .

تعرض الأستاذ ببعض ما وقع في طبعته[2] غلطًا محرفًا ، فبيّن وجه الصواب واستمدّ في ذلك من نسخة دار الكتب ومما نقلوه عن مختصر الطبقات للمبارك

---

(١) انظر مجلة المجمع العلمي العربي . المجلدة ٣٢ ص ٦٩٢ .

(٢) انظر الطرائف الادبية . مطبعة اللجنة . القاهرة ١٩٣٧ .

ابن أحمد . على أن ما بقي من هذا القبيل أكبر وأكثر بالنسبة الى ما وفّق لتصحيحه . وبعد أن فتح الباب لم يكن في ندحة من تصحيح أغاليط أنا ذاكرها فيما يلي ، إذ كان حقها أن تشطب في أول وهلة حتى يتم جلاء تلك « العروس » . وأعاذني الله من رمي الكلام على عواهنه فأقول :

١ — جاء في ص ١٠٣ : « أجشّ مغلنطق » البيت . وفي الشرح ـ « المغلنطق والمغلندق والمغدودق الممتلئ الكثير الماء من السحاب » ـ وكتب الأستاذ بالهامش ـ « الأوّلان لم يعرفا » ـ يعني « المغلنطق والمغلندق » بالقاف . نعم لم يعرفها أصحاب المعاجم ، والأستاذ زعمها صحيحين بالقاف ، والحجة في ذلك ما ورد في النسخ القديمة التي عوّل عليها ونوّه بها . والذي يراه العاجز أن الصواب بالفاء دون القاف ، وتلك النسخ مغلوطة . فقد ورد عند المجد[1] في باب الفاء ما نصه ـ « المغلندف الشديد الظلمة كالمغلنطف » ـ ثم راجعت نسخة متأخرة[2] في خزانة المجمع الآسياوي بكلكتا فوجدت الكلمة فيها بالفاء ، وقد سقط منها «المغلندف» .

٢ — وجاء في ص ١٠٥ في تفسير البيت الـ ١٦ ما نصه : « المركولة نسخة العظيمة الوركين الضخمة العجيزة » ـ وكتب عن قوله « نسخة العظيمة » ـ بالهامش : « كذا ولعله الضخمة » ـ ولكني أخاف أن تكون « نسخة » محرفة عن « الحسنة » إذ فسّروا المركولة بالحسنة الجسم أيضاً .

٣ — وقد ورد في شرح البيت السابق أيضاً ـ « والأشرة ماء الأسنان » وعلّق عليه بما نصه ـ « كذا بالهاء ولا يعرف » ـ يعني الأشرة ـ والظاهر من صنيعه أنه أثبتها بالهاء ـ وأخاف أن تكون علامة الإهمال زعمها الأستاذ هاء أو كتبها الناسخ هكذا فأخطأ وأوهم . وجاء في النسخة الآسياوية ـ « والأشر ماء الاسنان » ـ بلا هاء وهو الصواب .

---

(١) راجع القاموس .

(٢) مخطوطة رقم A. 948 II

٤ — وجاء في ص ١٠٧ في شرح البيت الـ ٢٤ ـ « يصف الحراس والحجب (؟) والأستاذ يقول في التعليقة ـ « يريد الحجاب جمع حاجب البيت » ـ والظاهر أن الناسخ أخطأ في إسقاط التاء ، وفي النسخة الآصفية ـ « الحجبة » ـ على الصواب .

٥ — وفي ص ١٠٩ :

« في قصرها غرف من تحتها سقف » البيت

وكتب الأستاذ عن سُقُف بضم السين والقاف ما نصه ـ « جمع سقفٍ عامية ، والمعروف سقوف » . فقد أغرب في ذلك إذ ورد في قراءة الجمهور : « سُقُفاً من فضّة ومعارج عليها يظهرون [1] » ـ بضم السين والقاف ، وقد سارت تلك القراءة مسير الشمس ، ولئن كانت لغة القرآن عامية فأين الفُصحى ؟ (وانظر : النشر للجزري ج ٢ ص ٣٦٩ وأيّ كتاب في التفسير واللغة) .

٦ — وفي ص ١١٢ ، في الشرح : « يعني القنان (كذا) والاقداح » ـ وقال بالهامش ـ « يريد القناني » ـ ولا يخفى ان « القنان » بلا ياء من أغلاط الكتابة ولا بدّ من ردّها الى الصواب وان تكتب بالياء .

وكان العاجز كتب في مقالٍ نشرته مجلّة « معارف » [2] بأعظم كره أن الصواب « قواقزهم » بالزاي (الطرائف : ص ١١٤ ب ٧٦ ـ « قواقرهم ») .

وكنت أنشأت مقالاً آخر طبع في مجلّة « برهان » [3] بدهلي ، يدور حول ما وقع في القسم الأول من الطرائف الأدبيــة من أوهامٍ عنّ لي تصحيحها ولا بأس أن أذكر هنا طائفةً منها ، والشيء بالشيء يذكر ، فانظروا الصفحات الآتية من الطرائف :

(١) سورة الزخرف ، الآية الـ ٣٣

(٢) ج ٧١ عام ١٩٥١ م (دار المصنفين)

(٣) ج ٢٩ عام ١٩٥٢ م (ندوة المصنفين)

ص ١٥ ـ قوله :

وجاؤا بمـاء باردٍ وبغسلةٍ فيالك من غسلٍ سيتبعه عبر

قال الأستاذ ـ « وعبر جمع عبرةٍ أو بالفتح الدمع » ـ قلت الصواب « غبر » بالمعجمة كما ورد عند الشهرستاني في الملل [(١)] والنحل والآلوسي في بلوغ الأرب [(٢)] وهو المحفوظ في الرواية عند ابن حبيب وجاء بهامش الأصل من كتاب المحبّر [(٣)] له ـ وهو أقدم المصادر ـ ما نصه ـ « جمع غبرة من التراب » ـ والأصل الذي نقل عنه الأستاذ لا يخلو من تصحيف ، غير أن هذا التصحيف ليس بأقل إجادةً مما وقع للأصمعي في شعر [(٤)] الحطيئة والجابر بن هبة الله [(٥)] القاضي في قولـــ الحريري في مقاماته .

ص ٢٦ ـ قال الأستاذ في ترجمة الشنفرى ـ « وهو علم وقيـل لقب » ـ ثم نبّه بالهامش على ما ورد في « الكنز المدفون » وهماً أن اسمه « عمرو بن براق » وقد غلط فيه العيني أيضاً كما غلط من زعم ان اسمه ثابت بن جابر (انظر الخزانة : ج ٢ ص ١٦) . ومما هو جدير بالذكر أن ابن السيد البطليوسي يقول : « اسمه عمرو بن عامر » (انظر الاقتضاب : ص ٤١٧ بيروت) ويظهر من سياق كلامه الجزم بذلك حتى انه لا يلتفت الى قولٍ آخر في الباب مع خبرته الواسعة واطلاعه الكبير ، وقال ابن رشيق : « اسمه عامر بن عمرو الأزدي » ـ (العمدة ج ١ ص ٢٩٩) .

---

(١) انظر ص ٤٤٣ طبعة لندن وهامش كتاب الفصل ج ٣ ص ٢٣٥ مصر .
(٢) انظر : ج ٢ ص ٢٨٧ .
(٣) انظر ص ٣٢٠ طبعة دكن – الهند .
(٤) المزهر : ج ٢ ص ٢٢٣ . مصر .
(٥) راجع طبقات الشافعية ج ٤ ص ٢٩٦ .

ص ٣٤ — قوله : « عليه نُساريّ على خوط نبعة » ـ البيت ·
جاء فيما علّق عليه الأستاذ ـ « نُساري من ريش نسر ولكني لم أجده في المعاجم » ـ
قلت ورد في اللسان عن ابن الأعرابي ـ « من أسماء العقاب النُسارية شبّهت
بالنسر » ـ (ج ٧ ص ٥٩) وهذا النصّ يزيد الأمر وضوحاً ·

ص ٦٤ ـ قوله : « طاوية جنبي فُراعٍ عثجل »
وفي الشرح ـ « الفُراع حوض من أدم شبّه جنبيها به » ـ وقال الأستاذ في
تعليقه ـ « قوله الفراع حوض لا أعرفه · وفي مستدرك التاج الفراع بالكسر
ما علا من الأرض وارتفع وجمعه فرعة » ·

لا أظن الأستاذ أن يقول « لا أعرفه » إلا بعد أن أفرغ جهده في البحث
والتنقيب عن هذه الكلمة وكيف لا وهو بحّاثة سبّاق غايات · ولو أنه تأمّل لحةً
واحدة في التطبيق بين الكلمة ومعناها الوارد في الشرح ، لسنح له أن المعنى
يقتضي مادّة تدلّ على معنى السعة والخلاء دون معنى الارتفاع والعلاء · وقد
عنّ لي على هذا الوجه أن الحوض يؤول بمعناه الى « الفراغ » بالغين المعجمة
دون « الفراع » بالعين ثم راجعت اللسان فأدهشني هذا النصّ عن الأصمعي :
« الفراغ حوض من أدم واسع ضخم ، قال أبو النجم :

طاف به جنبي فراغ عثجل

ويقال عنى بالفراغ ضرعها أنه قد جف ما فيه من اللبن فتغضن » ـ (ج ١٠
ص ٣٢٨ والتاج ـ ج ٦ ص ٢٦) والصواب أن تضبط الفاء بالكسر ·

ص ٨٢ ـ جاء في شرح البيت الـ ٨ من لامية ابن الرقاع :
« قال أبو يوسف سمعت هشاماً المكفوف يحكي [عن] أبي عمرو عن
الأصمعي (كذا) وكذلك الادواء مضمومة نحو النُحاز والرُداع والمكاع والقلاب ،
قال أبو عمرو لا هو السواف بالفتح » ·

نبّه الأستاذ بالهامش على تصحيح العبارة وإصلاحها بمراجعة المعاجم ٠ وانه لصحّح مفاريد مصحّفةً « كالبحار والركاع » وما اليها ٠ فردّها الى صورها المحفوظة في الأصول اللغوية فاستحق منا جزيل الشكر وجميل الذكر ؛ إلا أنه زاد حرف « عن » بين القوسين المربّعين ، وبمجرد صنيعه هذا استفحل الأمر ، وحيث لم يبد له وجه الصواب زاد « كذا » بين القوسين ٠ وإنما تنكشف هذه الغمّة بمراجعة اللسان إذ وردت فيه تلك العبارة بنصّها هكذا : قال ابن السكيت (وهو أبو يوسف) سمعت هشاماً المكفوف يقول لأبي عمرو أن الأصمعي يقول السواف بالضم ويقول الادواء كلها جاءت بالضم نحو النُحاز والدكاع والزكام والقلاب والخُمال ، قال أبوعمرو لاهو السواف بالفتح » ـ (ج ١١ ص ٦٦) ٠

فالظاهر أن يكون التصويب على هذا النمط « ٠٠٠٠٠ يحكي لأبي عمرو عن الأصمعي [يقول السواف بالضم] وكذلك الادواء كلها ٠٠٠٠٠٠ » ٠

ثم بقي هناك ما يستحق النظر وذلك أن الأستاذ أثبت بالهامش تصحيفات الأصل ومن بينها « الركاع » فزعم أن الصواب « الرداع » وأرى « الدكاع » بالدال هو الصواب ، ولا يخفى ما بين الحرفين الدال والراء من الشبه في الخط ٠ و « الدكاع » سعال يأخذ الإبل (انظر اللسان ج ٩ / ٤٤٥) ويؤيدني ما حكاه صاحب اللسان عن ابن السكيت وقد مرّ ٠

ص ٩٩ ـ قوله « زِناء الحاميَين » ـ ضبطه الأستاذ بكسر الزاي والصواب أن يضبط بالفتح (انظر المعاجم) ٠

ص ١٠٠ ـ قوله : « مستضرع ما دنا منهن مكتنبٌ » ـ

وجاء في الشرح ـ « ٠٠٠٠ مكتنبٌ فهو ضارع والمكتنب الخاضع » ـ قلت : الصواب « مكتنتٌ » والاكتنات : الخضوع والرضى (راجع اللسان ج ١٠ ص ٩١ والتاج ـ ج ١ ص ٥٧٩) ٠

وهذا آخر ما سنح لي في الباب ، والله الموفق للصواب ٠

أبو محفوظ الكريم معصومي

ملاحظات

على الجزء الثالث من كتاب الوافي بالوفيات
لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي
باعتناء الأستاذ (ديرينغ)

— ١ —

على اثر صدور هذا الجزء عام ١٩٥٣ طالعته ولاحظت عليه ملاحظات لم أرها في جداول الخطأ والصواب المدرجة في آخر الكتاب . ولم أحاول يومذاك نشرها ، بل اكتفيت بعرضها على العالم المستشرق (هـ . ريتر) الذي كان له الفضل في التنويه بهذا التاريخ والترغيب في طبعه .

وقد رأيت الآن أن أبعث بهذه الملاحظات الى مجلة المجمع العلمي العربي ، فلعل في نشرها فائدة للقراء .

ص ٩ :

وطال بنا حيناً ورق حديثنا ودارت علينا بالرحيق المراشف

وصوابه : (وطال تناجينا) .

ص ١٢ :

عن ان الأموات مروا وأبقوا غصصاً لا تسيغها الأحياء

وصوابه : (غير أن الأموات) .

ص ١٢ :

إنما نحن بين ظفر وناب من خطوب اسودهن ضراء

ولعله : (أسودهن جراء) جمع جرو [١] .

---

(١) لعل الأصح ضراء كما وردت في الاصل ، وهي جمع ضِرْو بالكسر وهو الكلب الضاري ويجمع على ضراء . (لجنة المجلة)

ص ٣١ : لهذا يرجع عن مثلك بالمدحة مثلي ، والصواب : (فلذا يرجع) .

ص ٥٠ : وكلما تناهى الإنسان له في المطعم وتأنف، ولعله : (وتأنق) بالقاف .

ص ٥٢ : (ويحتاجون الى عصي) وقد وضعت ضمة على العين ، والصواب : كسر العين .

ص ٥٤ : وقد صلبوا ابن الكازروني وفي حلقه جرة خمر ، وأظن أن الجرة في عنقه لا في حلقه .

ص ٦٤ : ورسايل الاسطرلاب ، لعلها : (ووسائل الاسطرلاب) .

ص ٦٩ :

حسام لابن رائق المرجى   حسام التقي أيام صالا

ولعلها : (ايّان صالا) .

ص ٨٢ :

وأتت بعدها قوارع أخرى   خضعت أنفس لها حين حلت
وتلتها قوارع باقيات   سئمَت بعدها الحياةُ وملت

ووضعت ضمة على تاء الحياة ، والأولى أن تكون منصوبة . ويعود الضمير في سئمت الى الأنفس في البيت الأول .

ص ٨٩ : في ترجمة محمد بن سعد الديباجي المروزي أنه توفي سنة تسع وست مائة بعتبة بابه فسقط على وجهه ، ولعل العبارة : (عثر بعتبة بابه) .

ص ٩١ :

اذا ارتضت في علم فصنه عن الورى   لأنك قبل الحذق في الناس نابغا

ولعل الأولى : (ولا تك قبل الحذق) .

ص ٩٢ :

اسمع نصيحة من أوليته نعما   يخاف كفرانها ان كُف أو تُرِكا
والله لا امتد ملك مد مالكه   على رعيته في ظله شبكا

هكذا وردت كف وترك بالبناء للمجهول . ووردت طله بالطاء وبالفتح .
ولعل الصواب : ببناء كُف وتُرك للمعلوم بمعنى ترك النصيحة ، وبـ (ظله) بالظاء .

ص ٩٥ :

أما ترى الفضل يستدعي برقته حث الكؤوس وينمي عهد فاجره

والصواب : أما ترى الفصل بالصاد . ولعلها من خطأ المطبعة .

ص ١٠٢ : ورد في ترجمة ابن الدبيثي العبارة الآتية : (وله نظم وكان (له) من أعيان المعدلين والعدالة ببغداد منصب كالقضاء) . وقد زاد الناشر كلمة له ليستقيم المعنى . وأرى أن المعنى يستقيم دون هذه الزيادة ، على أن تقرأ العبارة بحيث يوقف عند كلمة المعدلين ، ثم يستأنف الكلام : والعدالة ببغداد الخ .

ص ١٠٥ : ورد في ترجمة الصاحب شمس الدين الجزري ما يأتي : واجتهد في تحصيل العلوم فاحظاه ذلك بأن كان من أئمة عصره . وعلق على كلمة احظاه بأنها في الأصل (احضاه) ؛ وأحضاه واحظاه كلاهما صحيح . وقد ورد في ترجمة ابن الأعرابي في الكتاب نفسه ص ٨٠ انه كان يقول : يجوز في كلام العرب أن يعاقبوا بين الضاد والظاء ، فلا يخطئ من يجعل هذه موضع هذه ، وينشد قول الشاعر بالضاد :

الى الله أشكو من خليل أوده ثلاث خلال كلها لي غايض

ص ١٠٩ :

تُشْخَص أبصارهم نحوها بشهقة تتبعها زفرة

ببناء تشخص للمجهول في حين ينبغي أن يكون للمعلوم من باب منع .

ص ١١٥ س ١ : قدامة بن مطعون : مكان مظعون بالظاء المعجمة .

(يتبع) رشدي الحكيم

نصف الهُنَيدة لا الهَبيدة

قرأت في الجزء الثالث من المجلد الثالث والثلاثين لهذه المجلة الغراء ما علق به الأستاذ رشدي الحكيم على هذا البيت من شعر الأمير ابن أبي حصينة ، الوارد في ديوانه الذي حققه الدكتور محمد أسعد طلس ، وهذا هو البيت كما ورد في الديوان والمجلة :

أيها القلب لم يدع لك في وصـــــل العذارى نِصف الهبيدة عذرا

ونص التعليق : « وقد وضع (يعني المحقق) في آخر البيت أداة استفهام ، وأقول : لعله النصف بفتح النون من تنصف الشيب اذا كان هو والسواد نصفين . والهبيدة حب الحنظل كناية عن الشيب » .

وعلقت لجنة المجلة بدورها على العبارة الأخيرة من كلام الأستاذ الحكيم بهذه الجملة : « لم نجد هذه الكناية في كتاب ، ويظل المعنى غامضاً » .

والواقع ، أن الكناية بحب الحنظل عن الشيب غريبة ، لم يستعملها أحد ، ولذلك لم تجدها اللجنة في كتاب . فعلامة الاستفهام ما تزال موضوعة بازاء البيت . والصواب بقاء النصف كما ضبطه المحقق بكسر النون وتصحيح الهَبيدة بالهُنَيدة ، فانها مصحفة عنها قطعا .

والهُنَيدة كما لا يخفى اسم للمائة من الإبل . قال جرير :

أعطوا هنيدة يحدوها ثمانية ما في عطائهم منّ ولا سرف

وفي الشمقمقية :

من بعد ما كانت هنيدة غدت أكثر من ذود ودون شَنَق

يصف ابل الأحبة بعد طول السرى ، واعتساف الحادي بها ، بأنها كانت مائة ، فصارت أكثر من ذَوْد أي عشرة ، وأقل من شنق أي عشرين .

وعند أبي عبيدة أن هنيدة اسم لكل مائة ، من الإبل وغيرها ، وحجته قول سلمة بن الخرشب الأنماري :

ونصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين عاماً ثم قوّم فانصاتا

وأنشده الزمخشري : وخمسين ، وجعله من المجاز .

وعلى كل حال ، فنصف الهنيدة في بيت صاحبنا ابن أبي حصينة ، معناه : خمسون سنة ، وهي التي لم تدع له عذراً في وصل العذارى ، على حد قول عمر رضي الله عنه : (إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب) .

وبهذا يتضح معناه ، ولا يبقى فيه غموض ، وهو معنى جميل جداً ؛ ومما زاد في جماله هذا الجناس بين كلمتي العذارى وعذرا ، وهو جناس شبه الاشتقاق .

والله أعلم . عبد الله كنون

حول كلمة (كُردِنت) الواردة

في ديوان ابن الخياط

جاء في ديوان ابن الخياط الذي حققه العلامة رئيس المجمع ونشره حديثاً في ص ٢٨٦ ، س ٦ هذا البيت :

ومن دجاجات اذا ما كُردنت كأنما شك فؤادي شيشها

وقيل في الحاشية ٦ : يريد بكردنت ذبحت . يقال أخذ بكردنه وقردنه أي قفاه . انتهى .

أقول : كان الأصح أن يقال : كردنت عملت كردناجاً . والكردناج بفتح الكاف واسكان الراء وكسر الدال معرب كردنا الفارسية . وهذه بكاف فارسية ودال مفتوحتين . وكلمة كردناج فاتت المؤلفين الذين قصدوا لجمع الكلمات الأعجمية المعربة كالخفاجي في شفاء الغليل في ما في كلام العرب من الدخيل ، والجواليقي في المعرب من الكلام الأعجمي ، وادي شير في الألفاظ الفارسية المعربة . ذكرها المعجم المسمى (تبيانِ نافع در ترجمهٔ برهان قاطع) . الأصـل

معجم فارسي ترجمه الى التركية أحمد عاصم العينتابي وطبع في المطبعة العامرة في الآستانة سنة ١٢٨٧ هـ في مجلدين . جاء فيه : كردناج معرب كردنا . وجاء في كردنا : بمعنى الشبش والسيخ وبمعنى كردان المذكورة قبلاً . وقال في مادة كردان ما تعريبه : نوع من الشواء وهو أن يسلق الطير أو الحمل أو غيرهما جيداً في الماء الحار ثم يحشى ويشك بالسفود ويشوى ، وهو الذي يقال له چوبرمه كباب . (أي الشواء المدار) .

وجاء في كتاب بحر الجواهر لمحمد بن يوسف الهروي المطبوع على الحجر بالمطبعة النامية بلكنو (بلدة في الهند) ص ٢٢٧ : كردناج بالفتح وقيل كردناك ، قال بعض الأطباء هو اللحم الذي يشك بسفود ويدار على الجمر حتى ينضج . قال السديدي : هو أن يطبخ الفروج بعض الطبخ ثم يؤخذ ويشوى على النار ويكون في داخله أبازير . وكذلك النواهض والعصافير .

حول كلمة (مياجين)

في الجزء ٣ من المجلد ٣٣ ، ص ٤٧٣ ، س ٢١ وردت كلمة مياجين ، وقال فيها الناقد : «ربما كانت مناجين جمع منجنون وهو الدولاب» . ـ أرى أن مياجين صحيحة وهي جمع ميجنة بالكسر . والميجنة مطرقة خشب أكثر من يستعملها أهل البادية يدقون بها أوتاد خيمهم . جاء ذكرها في تاج العروس في مادة جنن وفي مادة وجن وسماها مدقة القصار . وقال : وجن الوتد دقه .

الدكتور داود الچلبي

غلط مطبعي

وردت في الصفحة ٥٥٦ السطر ١١ من هذا المجلد جملة «منذ ثلاثين سنة ونيفاً» غلطاً صوابه «منذ ثلاثين سنة ونيف» .

الفهرس العام

لمواد المجلد الثالث والثلاثين

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الأعلام

أي أسماء كتّاب المقالات المنشورة في هذا المجلد

منسوقاً على حروف الهجاء

فهرس الجزء الرابع من المجلد الثالث والثلاثين

مطبوعات
المجمع العلمي العربي

تطلب من المكتبة العربية في دمشق
لاصحابها عبيد اخوان

مطبوعات المجمع العلمي العربي بدمشق

ق.س.		الرقم	
٠٠٠	×	١	— محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الأول)
٨٥٠			— محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثاني)
٨٥٠			— محاضرات المجمع العلمي العربي (الجزء الثالث)
٠٠٠	×	٢	— نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثاني) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
١٠٠			— نشوار المحاضرة للقاضي ابي علي المحسّن التنوخي (الجزء الثامن) بتحقيق المستشرق الأستاذ مرجليوث
٥٠٠		٣	— رسالة الملائكة لأبي العلاء المعري : بتحقيق الأستاذ محمد سليم الجندي
٥٠٠	×	٤	— المهرجان الألفي لأبي العلاء المعري : قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٠٠٠	×	٥	— تاريخ حكماء الإسلام لظهير الدين البيهقي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٤٥٠		٦	— المستجاد من فعلات الأجواد للقاضي أبي علي المحسّن التنوخي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٠٠٠	×	٧	— كتاب الأشربة لابن قتيبة : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٣٠٠		٨	— البيزرة لبازيار العزيز بالله الفاطمي : بتحقيق الأستاذ محمد كرد علي
٤٠٠		٩	— غوطة دمشق (الطبعة الثانية) : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
٦٥٠		١٠	— كنوز الأجداد : تأليف الأستاذ محمد كرد علي
٠٠٠	×	١١	— ديوان الوليد بن يزيد : جمع وترتيب المستشرق الأستاذ ف. جبريالي قدّم له الأستاذ خليل مردم بك
٠٠٠	×	١٢	— ديوان ابن عنين : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك
٦٠٠		١٣	— ديوان علي بن الجهم : حققه وجمع تكملته الأستاذ خليل مردم بك

× اشارة إلى ان هذا الكتاب قد نفد .

الرقم		ق.س.
١٤	— ديوان ابن حيّوس (الجزء الأول) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك	٧٥٠
	— ديوان ابن حيّوس (الجزء الثاني) : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك	٧٥٠
١٥	— ديوان ابن الخياط : بتحقيق الأستاذ خليل مردم بك	٨٥٠
١٦	— الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الأول) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني	١٢٥٠
	— الدارس في تاريخ المدارس لعبد القادر النعيمي (الجزء الثاني) : بتحقيق الأمير جعفر الحسني	١٥٠٠
١٧	— الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الأول): بتحقيق الدكتور جميل صليبا	١٢٥٠
	— الرسالة الجامعة المنسوبة للمجريطي (الجزء الثاني) : بتحقيق الدكتور جميل صليبا	٧٥٠
× ١٨	— فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية (قسم التاريخ) : وضعه الدكتور يوسف العش	١٢٥٠
١٩	— ديوان الوأواء الدمشقي : بتحقيق الدكتور سامي الدهان	٧٥٠
٢٠	— تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (المجلدة الأولى) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	٢٠٠٠
	— تاريخ مدينة دمشق للحافظ ابن عساكر (القسم الأول من المجلدة الثانية) : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	١٠٠٠
٢١	— فضائل الشام ودمشق لأبي الحسن علي بن محمد الربعي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	٣٥٠
٢٢	— أمراء دمشق في الاسلام لصلاح الدين الصفدي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	٤٣٠
٢٣	— قضاة دمشق لشمس الدين ابن طولون : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	٧٠٠
٢٤	— الزيارات بدمشق للقاضي محمود العدوي : بتحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد	١٧٥
٢٥	— طرفة الأصحاب في معرفة الأنساب للسلطان الملك الأشرف عمر بن يوسف بن رسول : بتحقيق المستشرق السويدي الأستاذ ك . و . سترستين .	٤٠٠